كتاب

شفاء العليل

فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتّعليل

تأليف

الامام العالم العلامه المتقن الحافظ الناقد شمس الدين

أبى عبد الله محمد بن الشيخ أبى بكر المعروف بابن القيم

الجوزيه الحنبلى المتوفى سنة ٧٥١ تغمده الله برحمته

(عنى بتصحيحه)

السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعسانى الحلبى

الطبعة الاولى

على نفقة السادات أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى وأخيه

سنة ١٣٢٣

طبع بالمطبعة الحسينية المصريه

بجوار مسجد الامام الحسين رضى الله تعالى عنه

لصاحبها ومدير ادارتها محمد عبد اللطيف الخطيب
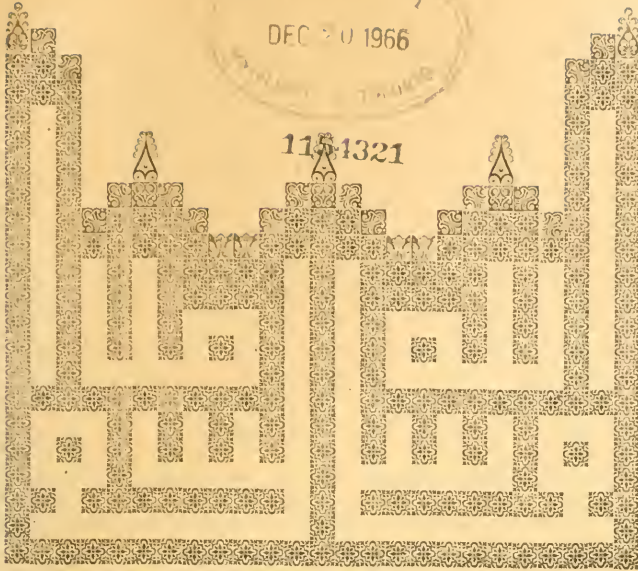
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الافضال والانعام * وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والائمة الاعلام
(امابعد) فان أهم مايجب معرفته على المكلف النبيل فضلا عن الفاضل الجليل * ماورد في القضاء والقدر
والحكمة والتعليل * فهو من اسنى المقاصد والايمان به قطب رحى التوحيد ونظامه * ومبدأ الدين المبين
وختامه * فهو أحد أركان الايمان * وقاعدة أساس الاحسان * التى يرجع اليها * ويدور في جميع
تصاريفه عليها * فالعدل قوام الملك * والحكمة مظهر الحمد * والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة *
وكمال النعمة * ولا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير * فبالقدر
والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين * ألا له الأمر والخلق تبارك الله رب العالمين *

﴿فصل﴾ وقد سلك جماهير العقلاء في هذا الباب في كل واد * وأخذوا في كل طريق *
وتولجوا كل مضيق * وركبوا كل صعب وذلول * وقصدوا الوصول الى معرفته * والوقوف على
حقيقته * وتكلمت فيه الامم قديما وحديثا * وساروا للوصول الى مغزاه سيرا حثيثا * وخاضت فيه
الفرق على تباينها واختلافها * وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها * فلا أحد الا وهو
يحدث نفسه بهذا الشان * ويطلب الوصول فيه الى حقيقة العرفان * فتراه إما مترددا فيه مع نفسه * أو
مناظرا لبنى جنسه * وكل قد اختار لنفسه قولا لا يعتقد الصواب في سواه * ولا يرتضى الا إياه * وكلهم
الا من تمسك بالوحى عن طريق الصواب مردود * وباب الهدى في وجهه مسدود * تحسى علما غير
طائل * وارتوى من ماء آجن * قد طاف على أبواب الافكار * ففاز بأخس الآراء والمطالب * فرح
بما عنده من العلم الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع * وقدم آراء من أحسن به الظن على الوحى المنزل
المشروع * والنص المرفوع * حيران يأتم بكل حيران * يحسب كل شراب ماء فهو طول عمره ظمآن

ينادي الى الصواب من مكان بعيد* أقبل الى الهدى فلا يستجيب الى يوم الوعيد* قد فرح بما عنده من الضلال * وقنع بانواع الباطل وأصناف المحال* منعه الكفر الذى اعتقده هدى وما هو ببالغه عن الهداة المهتدين * ولسان حاله أوقاله يقول أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا أليس الله أعلم بالشاكرين *

﴿فصل﴾ ولما كان الكلام في هذا الباب نفيا واثباتا موقوفاً على الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره وأسعد الناس بالصواب فيه من تلقى ذلك من مشكاة الوحى المبين ورغب بعقله وفطرته وإيمانه عن آراء المتهوكين وتشكيكات المشككين وتكلفات المتنطعين واستمطر ديم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين فان كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب وفي غيره كفت وشفت وجمعت وفرّقت وأوضحت وبينت وحلت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن ثم تلاه أصحابه من بعده على نهجه المستقيم وطريقه القويم فجاءت كلماتهم كافية شافية مختصرة نافعة لقرب العهد ومباشرة التلقى من تلك المشكاة التى هى مظهر كل نور ومنبع كل خير وأساس كل هدى ثم سلك آثارهم التابعون لهم باحسان فاقتفوا طريقهم وركبوا مناهجهم واهتدوا بهداهم ودعوا الى ما دعوا اليه ومضوا على ماكانوا عليه ثم نبغ في عهدهم وأواخر عهد الصحابة القدرية مجوس هذه الامة الذين يقولون لاقدر وأن الأمر أنف فمن شاء هدى نفسه ومن شاء أضلها ومن شاء بخسها حظها وأهملها ومن شاء وفقها للخير وكملها كل ذلك مردود الى مشيئة العبد ومقتطع من مشيئة العزيز الحميد فاثبتوا في ملكه مالايشاء وفي مشيئته مالايكون ثم جاء خلف هذا السلف فقرروا ماأسسه أولئك من نفى القدر وسموه عدلا وزادوا عليه نفى صفاته سبحانه وحقائق أسمائه وسموه توحيدا فالعدل عندهم اخراج أفعال الملائكة والانس والجن وحركاتهم وأقوالهم وارادتهم من قدرته ومشيئته وخلقه والتوحيد عند متأخريهم تعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله وانه لاسمع له ولا بصر ولا قدرة ولاحياة ولا ارادة تقوم به ولا كلام ماتكلم ولايتكلم ولا أمر ولا يأمر ولاقال ولايقول إن ذلك إلاأصوات وحروف مخلوقة منه في الهواء أوفي محل مخلوق ولااستوى على عرشه فوق سماواته ولاترفع اليه الأيدى ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولاينزل الأمر والوحى من عنده وليس فوق العرش إله يعبد ولارب يصلى له ويسجد مافوقه الاالعدم المحض والنفى الصرف فهذا توحيدهم وذاك عدلهم

﴿فصل﴾ ثم نبغت طائفة أخرى من القدرية فنفت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أن حركته الاختيارية ولااختيار كحركة الأشجار عند هبوب الرياح وكحركات الامواج وانه على الطاعة والمعصية مجبور وانه غير ميسر لما خلق له بل هو عليه مقسور ومجبور ثم تلاهم أتباعهم على آثارهم مقتدين ولمناهجهم مقتفين فقرّروا هذا المذهب وانتموا اليه وحققوه وزادوا عليه أن تكاليف الرب تعالى لعباده كلها تكليف مالايطاق وانها في الحقيقة كتكليف المقعد أن يرقى الى السبع الطباق فالتكليف بالايمان وشرائعه تكليف بما ليس من فعل العبد ولاهو له بمقدور وانما هو تكليف بفعل من هو متفرد بالخلق وهو على كل شئ قدير فكلف عباده بافعاله وليسوا عليها قادرين ثم عاقبهم عليها وليسوا في الحقيقة لها فاعلين ثم تلاهم على آثارهم محققوهم من العباد فقالوا ليس في الكون

معصية البتة إذ الفاعل مطيع للارادة موافق للمراد كما قيل

أصبحت منفعلا لما يختاره   منى ففعلى كله طاعات

ولاموا بعض هؤلاء على فعله فقال إن كنت عصيت أمره فقد أطعت ارادته ومطيع الارادة غير ملوم وهو في الحقيقة غير مذموم وقرر محققوهم من المتكلمين هذا المذهب بان الارادة والمشيئة والمحبة في حق الرب سبحانه هى واحد فمحبته هى نفس مشيئته وكل ما في الكون فقد أراده وشاءه وكل ما شاءه فقد أحبه*وأخبرنى شيخ الاسلام قدس الله روحه أنه لام بعض هذه الطائفة على محبة مايبغضه الله ورسوله فقال له الملوم المحبة نار تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب وجميع ما في الكون مراده فأى شئ أبغض منه قال الشيخ فقلت له اذا كان قد سخط على أقوام ولعنهم وغضب عليهم وذمهم فواليتهم أنت وأحببتهم وأحببت أفعالهم ورضيتها تكون مواليا له أومعاديا قال فبهت الجبرى ولم ينطق بكلمة*وزعمت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنة ناصرون وللقدر مثبتون ولأقوال أهل البدع مبطلون هذا وقد طووا بساط التكليف وطففوا في الميزان غاية التطفيف وحملوا ذنوبهم على الاقدار وبرأوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والاوزار وقالوا انها في الحقيقة فعل الخلاق العليم واذا سمع المنزه لربه هذا قال سبحانك هذا بهتان عظيم فالشر ليس اليك والخير كله في يديك ولقد ظنت هذه الطائفة بالله أسوأ الظن ونسبته الى أقبح الظلم وقالوا ان أوامر الرب ونواهيه كتكليف العبد أن يرقى فوق السموات وكتكليف الميت إحياء الاموات والله يعذب عباده أشد العذاب على فعل مالا يقدرون على تركه وعلى ترك مالا يقدرون على فعله بل يعاقبهم على نفس فعله الذى هو لهم غير مقدور وليس أحد ميسر له بل هو عليه مقهور وترى العارف منهم ينشد مترنما ومن ربه متشكيا ومتظلما

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

وليس عند القوم في نفس الامر سبب ولاغاية ولاحكمة ولاقوة في الاجسام ولاطبيعة ولاغريزة فليس في الماء قوة التبريد ولافي النار قوة التسخين ولافي الأغذية قوة الغذاء ولافي الأدوية قوة الدواء ولا في العين قوة الابصار ولافي الاذن قوة السماع ولا في الانف قوة الشم ولا في الحيوان قوة فاعلة ولا جاذبة ولاممسكة ولادافعة والرب تعالى لم يفعل شيئا بشئ ولاشيئا لشئ فليس في افعاله باء تسبب ولالام تعليل وماورد من ذلك فمحمول على باء المصاحبة ولام العاقبة وزادوا على ذلك أن الافعال لاتنقسم في نفسها الى حسن وقبيح ولافرق في نفس الأمر بين الصدق والكذب والبر والفجور والعدل والظلم والسجود للرحمن والسجود للشيطان والاحسان الى الخلق والاساءة اليهم ومسبة الخالق والثناء عليه وانما نعلم الحسن من ذلك من القبيح بمجرد الأمر والنهى ولذلك يجوز النهى عن كل ماأمر به والامر بكل مانهى عنه ولو فعل ذلك لكان هذا قبيحا وهذا حسنا وزاد بعض محققيهم على هذا أن الاجسام كلها متماثلة فلافرق في الحقيقة بين جسم النار وجسم الماء ولابين جسم الذهب وجسم الخشب ولابين المسك والرجيع وانما تفترق بصفاتها واعراضها مع تماثلها في الحد والحقيقة وزادوا على ذلك بان قالوا الاعراض كلها لاتبقى زمانين ولا تستقر وقتين فاذا جمعت بين قولهم بعدم بقاء الاعراض وقولهم بتماثل الاجسام وتساوي الافعال وان العبد لافعل له البتة وانه لاسبب في

الوجود ولاقوة ولا غريزة ولا طبيعة وقولهم ان الرب تعالى ليس له فعل يقوم به وفعله غير مفعوله وقولهم انه ليس بمباين لخلقه ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه وقولهم انه لايتكلم ولا يكلم ولا قال ولايقول ولا سمع أحد خطابه ولا يسمعه ولايراه المؤمنون يوم القيامة جهرة بأبصارهم من فوقهم أنتجت لك هذه الاصول عقلا يعارض السمع ويناقض الوحى ، وقد أوصاك الاشياخ عند التعارض بتقديم هذا المعقول على ماجاء به الرسول

فلو أنى بليت بهاشمى   خؤلته بنو عبـد المدان
لهان على ماألقى ولكن   تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

﴿فصل﴾ ولما كانت معرفة الصواب في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل واقعة في مرتبة الحاجة بل في مرتبة الضرورة اجتهدت في جمع هذا الكتاب وتهذيبه وتحريره وتقريبه فجاء فردا في معناه بديعا في مغزاه وسميته (شفاء العليل ، في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وجعلته أبوابا (الباب الاول في تقدير المقادير قبل خلق السموات والارض) (الباب الثانى في تقدير الرب تعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد الأول) (الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبى صلى الله عليه وسلم لآدم) (الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه) (الباب الخامس في التقدير الرابع ليلة القدر) (الباب السادس في ذكر التقدير الخامس اليومى) (الباب السابع في ان سبق المقادير بالسعادة والشقاوة لايقتضى ترك الاعمال بل يوجب الاجتهاد والحرص لأنه تقدير بالاسباب) (الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) (الباب التاسع في قوله تعالى إنا كل شئ خلقناه بقدر) (الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التى من استكمل معرفتها والايمان بها فقد آمن بالقدر وذكر المرتبة الاولى) (الباب الحادى عشر في ذكر المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر وهى مرتبة الكتابة) (الباب الثانى عشر في ذكر المرتبة الثالثة وهى مرتبة المشيئة) (الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة وهى مرتبة خلق الاعمال) (الباب الرابع عشر في الهدى والضلال ومراتبهما) (الباب الخامس عشر في الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة ونحوها وانه مفعول الرب) (الباب السادس عشر في تفرد الرب بالخلق للذات والصفات والافعال) (الباب السابع عشر في الكسب والجبر ومعناهما لغة واصطلاحا واطلاقهما نفيا واثباتا) (الباب الثامن عشر في فعل وافعل في القضاء والقدر وذكر الفعل والانفعال) (الباب التاسع عشر في ذكر مناظرة بين جبرى وسنى) (الباب العشرون في مناظرة بين قدرى وسنى) (الباب الحادى والعشرون في تنزيه القضاء الالهى عن الشر ودخوله في المقضى) (الباب الثانى والعشرون في طرق اثبات حكمة الرب تعـالى في خلقه وأمره واثبات الغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التى فعل وأمر لاجلها وهو من أجل أبواب الكتاب) (الباب الثالث والعشرون في استيفاء شبه نفاة الحكمة وذكر الاجوبة المفصلة عنها)*(الباب الرابع والعشرون في معنى قول السلف في الايمـان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره) (الباب الخامس والعشرون في بيان بطلان قول من قال ان الرب تعـالى مريد للشر وفاعل له وامتناع اطلاق ذلك نفيا واثباتا) (الباب السادس والعشرون فيما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ

بعفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك من تحقيق القدر واثباته واسرار هذا الدعاء)*(الباب السابع والعشرون في دخول الايمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد تحت قوله ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك وما تضمنه الحديث من قواعد الدين) (الباب الثامن والعشرون في أحكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه) (الباب التاسع والعشرون في انقسام القضاء والقدر والارادة والكتابة والحكم والامر والاذن والجعل والكلمات والبعث والارسال والتحريم والعطاء والمنع الى كونى يتعلق بخلقه ودينى يتعلق بأمره وما في تحقيق ذلك من ازالة اللبس والاشكال) (الباب الموفي ثلاثين في الفطرة الاولى التى فطر الله عباده عليها وبيان أنها لاتنافي القضاء والعدل بل توافقه وتجامعه) * وهذا حين الشروع في المقصود فما كان فيه من صواب فمن الله وحده هو المانّ به وماكان فيه من خطأ فمنى ومن الشيطان والله برىء منه ورسوله

فياأيها المتأمل له الواقف عليه لك غنمه * وعلى مؤلفه غرمه * ولك فائدته * وعليه عائدته * فلا تعجل بانكار مالم يتقدم لك أسباب معرفته ولايحملنك شنآن مؤلفه وأصحابه على ان تحرم مافيه من الفوائد التى لعلك لاتظفر بها في كتاب ولعل أكثر من تعظمه ماتوا بحسرتها ولم يصلوا الى معرفتها والله يقسم فضله بين خلقه بعلمه وحكمته وهو العليم الحكيم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الباب الاول في تقدير المقادير قبل خلق السموات والارض .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء رواه مسلم في الصحيح وفيه دليل على ان خلق العرش سابق على خلق القلم وهذا أصح القولين لما روى أبو داود في سننه عن أبى حفصة الشامى قال قال عبادة بن الصامت لابنه يابنى إنك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ماأصابك لم يك ليخطئك وماأخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فقال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة يابنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس منى وكتابة القلم للقدر كان في الساعة التى خلق فيها لما رواه الامام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت قال حدثنى أبي قال دخلت على عبادة وهو مريض اتخايل فيه الموت فقلت ياأبتاه أوصنى واجتهد لى فقال اجلسونى فلما أجلسوه قال يابنى انك لن تجد طعم الايمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قلت ياأبتاه وكيف لى أن أعلم ماخير القدر وشره قال تعلم ان ماأخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يابنى إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال أكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة يابنى ان مت ولست على ذلك دخلت النار* وهذا الذى كتبه القلم هو القدر لما رواه ابن وهب أخبرنى عمر بن محمد أن سليمان بن مهران حدثه قال قال عبادة بن الصامت ادعو لي ابنى وهو يموت لعلى أخبره بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول شئ خلقه الله من خلقه القلم فقال له أكتب فقال يارب ماذا أكتب قال القدر قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار * وعن عبد الله بن عباس قال كنت
خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي ياغلام انى أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك إحفظ الله
تجده تجاهك اذا سألت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك
بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه
الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن أبي هريرة
قال قلت يارسول الله انى رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت
عنى ثم قلت مثل ذلك فسكت عنى ثم قلت مثل ذلك فسكت عنى ثم قلت مثل ذلك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ياأباهريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أوذر رواه البخاري في صحيحه قال
حدثنا أصبغ ثنا ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة
ورواه ابن وهب في كتاب القدر وقال فيه فائذن لي أن اختصى قال فسكت عنى حتى قلت ذلك
ثلاث مرات فقال جف القلم بما أنت لاق وقال أبوداود الطيالسي ثنا عبد المؤمن هو ابن عبد الله قال
كنا عند الحسن فأتاه يزيد بن أبي مريم السلولي يتوكأ على عصا فقال ياأباسعيد اخبرنى عن قول الله
عز وجل (ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) فقال الحسن
نعم والله ان الله ليقضى القضية في السماء ثم يضرب لها أجلا انه كائن في يوم كذا وكذا في ساعة كذا
وكذا في الخاصة والعامة حتى ان الرجل ليأخذ العصا ما يأخذها الا بقضاء وقدر قال ياأباسعيد والله
لقد أخذتها وانى عنها لغنى ثم لاصبر لي عنها قال الحسن أولا ترى * واختلف في الضمير في قوله من قبل
أن نبرأها فقيل هو عائد على الانفس لقربها منه وقيل هو عائد على الارض وقيل عائد على المصيبة
والتحقيق أن يقال هو عائد على البرية التى تعم هذا كله ودل عليه السياق وقوله نبرأها فينتظم
التقادير الثلاثة انتظاما واحدا والله أعلم * وقال ابن وهب أخبرنى عمر بن محمد أن سليمان بن مهران
حدثه قال قال عبد الله بن مسعود إن أول شيء خلقه الله عز وجل من خلقه القلم فقال له أكتب
فكتب كل شيء يكون في الدنيا الى يوم القيامة فيجمع بين الكتاب الاول وبين أعمال العباد فلا
يخالف الفا ولاواوا وميما * وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور شيء اهتدى
ومن أخطأه ضل قال عبد الله فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن رواه الامام أحمد وقال أبوداود
حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد قال اخبرنى أبي قال سمعت الاوزاعي قال حدثني ربيعة بن يزيد
ويحيى بن ابى عمرو الشيباني قال حدثني عبد الله بن فيروز الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو
ابن العاص وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط فقلت خصال بلغتنى عنك تحدث بها عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر لم تقبل توبته أربعين صباحا وان الشقى من شقى في بطن
أمه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من
نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله
ورواه الامام أحمد في مسنده أطول من هذا عن عبد الله بن فيروز الديلمي قال دخلت على عبد الله
ابن عمرو وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو مخاصر فتى من قريش يزن بشرب الخمر

فقلت بلغنى عنك حديث ان من شرب شربة خمر لم تقبل توبته أربعين صباحا وان الشقى من شقى في بطن أمه وان من أتى بيت المقدس لاينهزه الا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو انى لاأحل لاحد ان يقول على مالم أقل سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من شرب من الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فلا أدرى في الثالثة أو في الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة * قال وسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله * وسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان سليمان بن داود سأل الله عز وجل ثلاثا فاعطاه اثنتين ونحن نرجوا أن تكون لنا الثالثة * سأل الله تعالى حكما يصادف حكمه فاعطاه الله إياه وسأله ملكا لاينبغى لاحد من بعده فاعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لايريد الا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجوا أن يكون الله تعالى عز وجل قد أعطانا إياه ورواه الحاكم في صحيحه وهو على شرط الشيخين ولاعلة له *

الباب الثانى في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد التقدير الاول

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال مامنكم من أحد مامن نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية أوسعيدة قال فقال رجل يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير الى عمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فامامن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأمامن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وفي لفظ اعملوا فكل ميسر اما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة واما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فامامن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وامامن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) * وعن عمران بن حصين قال قيل يارسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار فقال نعم قيل ففيم يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له متفق عليه وفي بعض طرق البخارى كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له * وعن أبى الاسود الدؤلى قال قال لى عمران بن حصين أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم قال فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال فقال لى يرحمك الله انى لم أرد بما سألتك الا لاحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشئ

قضى

قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أوفيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها) رواه مسلم في صحيحه * وعن شفى الاصبحى عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ماهذان الكتابان قال قلنا لا الا أن تخبرنا يارسول الله قال للذى في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل عليهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص أبدا ثم قال للذى في يساره هذا كتاب أهل النار باسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلأى شئ نعمل ان كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان عمل أى عمل وان صاحب النار يختم له بعمل النار وان عمل أى عمل ثم قال بيده فقبضها ثم قال فرغ ربكم عز وجل من العباد ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال فريق في الجنة ونبذ باليسرى فقال فريق في السعير رواه الترمذى عن قتيبة عن ليث أبي قبيل عن شفى وعن قتيبة عن بكر بن نصر عن أبي قبيل به وقال حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائى والامام أحمد وهذا السياق له * (وفي صحيح الحاكم) وغيره من حديث أبي جعفر الرازى ثنا الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبيّ بن كعب في قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال جمعهم له يومئذ جمعاً ماهو كائن الى يوم القيامة فجعلهم أزواجا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) الى قوله المبطلون قال فانى أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع واشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم أو تقولوا انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بى شيئاً فانى أرسل اليكم رسلى يذكرونكم عهدى وميثاقى وانزل عليكم كتبى فقالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ورُفع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لوسويت بين عبادك فقال إني أحب ان اشكر ورأى فيهم الانبياء مثل السرج وذكر تمام الحديث وفي صحيحه وجامع الترمذى من حديث هشام بن يزيد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يارب فقال هؤلاء ذريتك فرأى فيهم رجلا أعجبه وبيص مابين عينيه فقال يارب من هذا قال ابنك داود يكون في آخر الامم قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة قال يارب زده من عمرى أربعين سنة قال الله اذا يكتب ويختم فلا يبدل فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمرى أربعون سنة قال له أولم تجعلها لابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته قال هذا على شرط مسلم (وفي) موطأ مالك عن زيد بن أبي انيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم ابن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره

بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار * قال الحاكم هذا الحديث على شرط مسلم وليس كما قاله بل هو حديث منقطع (قال) أبو عمر هو حديث منقطع فان مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب بينهما نعيم بن ربيعة هذا إن صح أن الذى رواه عن زيد بن أبى انيسة فذكر فيه نعيم بن ربيعة إذ ليس هو بأحفظ من مالك ولا ممن يحتج به اذا خالفه مالك ومع ذلك فان نعيم بن ربيعة ومسلم بن يسار جميعا مجهولان غير معروفين بحمل العلم ونقل الحديث وليس هو مسلم بن يسار العابد البصرى وانما هو رجل مدنى مجهول ثم ذكر من تاريخ ابن أبى خيثمة قال قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا فكتب بيده على مسلم بن يسار لا يعرف * قال أبو عمر هذا الحديث وان كان عليل الاسناد فان معناه عن النبى صلى الله عليه وسلم قد روى من وجوه كثيرة من حديث عمر بن الخطاب وغيره وممن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه فى القدر على بن أبى طالب وأبى بن كعب وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وأبو سريحة العبادى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص وذو اللحية الكلابى وعمران بن حصين وعائشة وأنس بن مالك وسراقة بن جعشم وأبو موسى الاشعرى وعبادة بن الصامت قلت وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد وأبو ذر ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبو عبد الله رجل من الصحابة روى عنه أبو نصر وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسى وأبو الدرداء وعمرو بن العاص وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن الزبير وأبو امامة الباهلى وأبو الطفيل وعبد الرحمن بن عوف وبعض أحاديثهم موقوفة وستمر بك جميعا متفرقة فى أبواب الكتاب إن شاء الله عز وجل * وقال اسحاق بن راهويه أخبرنا بقية بن الوليد قال أخبرنى الزبيدى محمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن أبى قتادة عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام أن رجلا قال يارسول الله أنبتدأ الاعمال أم قد مضى القضاء فقال ان الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم فى كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار قال اسحاق وأخبرنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا الحريرى عن أبى نصرة أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكى فقالوا له ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله قبض قبضة بيمينه وأخرى بيده الاخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالى فلا أدرى فى أى القبضتين انا * أخبرنا عمرو بن محمد بن اسماعيل بن رافع عن المقبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى اذا كان صلصالا كالفخار كان ابليس يمر به فيقول خلقت لأمر عظيم ثم نفخ الله فيه من روحه قال يارب ماذريتى قال اختر ياآدم قال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين فبسط الله كفه فاذا كل من هو كائن من ذريته فى كف الرحمن * أخبرنا النضر أخبرنا أبو معشر عن أبى سعيد المقبرى ونافع مولى الزبير عن أبى هريرة قال لما أراد الله

ان

أن يخلق آدم فذكر خلق آدم فقال له ياآدم أى يدى أحب اليك ان أريك ذريتك فيها قال يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين فبسط يمينه واذا فيها ذريته كلهم ماهو خالق الى يوم القيامة الصحيح على هيئته والمبتلى على هيئته والانبياء على هيئاتهم فقال الاأعفيتهم كلهم فقال انى أحببت أن أشكر وذكر الحديث * وقال محمد بن نصر المروزى حدثنا محمد بن يحيى ثنا سعيد بن أبى مريم انا الليث بن سعد حدثنى ابن عجلان عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبيه عن عبد الله بن سلام قال خلق الله آدم ثم قال بيده فقبضها فقال اختريا آدم فقال اخترت يمين ربى وكلتا يديك يمين فبسطها فاذا فيها ذريته فقال من هؤلاء يارب قال من قضيت أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة الى أن تقوم الساعة (قال) وثنا اسحاق بن راهويه أنا جعفر بن عون أنا هشام بن سعد عن زيد بن سالم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وذكر الحديث (وقال) اسحاق بن الملاى ثنا المسعودى عن على بن نديمة عن سعد عن ابن عباس في قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال ان الله أخذ على آدم ميثاقه انه ربه وكتب رزقه وأجله ومصيباته ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر فاخذ عليهم الميثاق أنه ربهم وكتب رزقهم وأجلهم ومصيباتهم (قال) وحدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فأخرج كل طيب في يمينه وفي يده الاخرى كل خبيث (وقال) محمد بن نصر حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى وثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله ضرب منكبه الايمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء أهل الجنة ثم ضرب منكبه الايسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء أهل النار ثم أخذ عهده على الايمان والمعرفة به والتصديق له وبامره من بنى آدم كلهم واشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا * حدثنا اسحاق ثنا روح بن عبادة بن محمد بن عبد الملك عن أبيه عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بهذا الحديث وزاد قال ابن جريج وبلغنى انه أخرجهم على كفه امثال الخردل (قال) اسحاق وأخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو في قوله وإذ أخذ ربك من بنى آدم قال أخذهم كما يؤخذ بالمشط وفي تفسير اسباط عن السدّى عن أصحابه أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن اناس من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم الآية قال لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فاخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى ومسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالى فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل) الآية فلذلك ليس أحد من ولد آدم الا وهو يعرف ان الله ربه ولا مشرك الا وهو يقول إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فذلك قوله عزوجل (واذأخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وذلك حين يقول (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) وذلك حين يقول (قل فلله الحجة البالغة

فلو شاء لهداكم أجمعين) قال يعنى يوم أخذ الميثاق * وقال اسحاق حدثنا وكيع حدثنا مضر عن ابن سليط قال قال أبو بكر رضى الله عنه خلق الله الخلق قبضتين فقال لمن في يمينه ادخلوا الجنة بسلام وقال لمن في يده الاخرى ادخلوا النار ولا أبالى وأخبرنا جرير عن الاعمش عن أبى ظبيان عن رجل من الانصار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الخلق قبض قبضتين بيده فقال لمن في يمينه أنتم أصحاب اليمين وقال لمن في اليد الاخرى أنتم أصحاب الشمال فذهبت الى يوم القيامة * وقال عبد الله بن وهب في كتاب القدر أخبرنى جرير بن حازم عن أيوب السختيانى عن أبى قلابة قال ان الله عز وجل لما خلق آدم أخرج ذريته ثم نثرهم في كفه ثم أفاضهم فالتى التى في يمينه عن يمينه والتى في يده الاخرى عن شماله ثم قال هؤلاء لهذه ولا أبالى وهؤلاء لهذه ولا أبالى وكتب أهل النار وماهم عاملون وأهل الجنة وماهم عاملون فطوى الكتاب ورفع القلم * وقال أبو داود ثنا مسدد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى صالح فذكره قال ابن وهب وأخبرنى عمرو بن الحرث وحيوة ابن سريج عن ابن أبى أسيد هكذا قال عن أبى فراس حدثه انه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الله عز وجل لما خلق آدم نفضه نفض المرود فاخرج من ظهره ذريته أمثال النغف فقبضهم قبضتين ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير * قال ابن وهب وأخبرنى يونس بن يزيد عن الاوزاعى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال من كان يزعم ان مع الله قاضيا أو رازقا أو يملك لنفسه ضرا أو نفعا أو موتا أو حياة أو نشورا لقى الله فأدحض حجته وأحرق لسانه وجعل صلاته وصيامه هباء وقطع به الاسباب وأكبه الله على وجهه في النار وقال ان الله خلق الخلق فاخذ منهم الميثاق وكان عرشه على الماء * وذكر أبو داود ثنا يحيى بن حبيب ثنا معتمر ثنا أبى عن أبى العالية في قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون) قال صاروا فريقين وقال لمن سود وجوههم وغيرهم أكفرتم بعد ايمانكم قال هو الايمان الذى كان حيث كانوا أمة واحدة مسلمين قال أبو داود وحدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا أبو نعامة السعدى قال كنا عند أبى عثمان النهدى فحمدنا الله عز وجل فذكرناه ودعوناه فقلت لأنا باول هذا الامر أشد فرحا منى بآخره فقال أبو عثمان ثبتك الله كنا عند سلمان فحمدنا الله عز وجل وذكرناه ودعوناه فقلت لانا باول هذا الامر أشد فرحا منى بآخره فقال سلمان ثبتك الله ان الله تبارك وتعالى لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج من ظهره ماهو ذارئ الى يوم القيامة فخلق الذكر والانثى والشقوة والسعادة والارزاق والآجال والالوان ومن علم السعادة فعل الخير ومجالس الخير ومن علم الشقاوة فعل الشر ومجالس الشر وقال أبو داود حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مسح ربك تعالى ظهر آدم فاخرج منه ماهو ذارئ الى يوم القيامة أخذ عهودهم ومواثيقهم قال سعيد فيرون ان القلم جف يومئذ * وقال الضحاك خرجوا كامثال الذر ثم أعادهم فهذه وغيرها تدل على ان الله سبحانه قدر أعمال بنى آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم وشقاوتهم عقيب خلق أبيهم وأراهم لابيهم آدم صورهم واشكالهم وحلاهم وهذا والله أعلم أمثالهم وصورهم * واما تفسير قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم الآية به ففيه مافيه وحديث عمر لو صح لم يكن تفسيرا للآية وبيان

ان

ان ذلك هو المراد بها فلا يدل الحديث عليه ولكن الآية دلت على ان هذا الاخذ من بنى آدم لا من آدم وانه من ظهورهم لا من ظهره وانهم ذريتهم أمة بعد أمة وانه إشهاد تقوم به الحجة له سبحانه فلا يقول الكافر يوم القيامة كنت غافلا عن هذا ولا يقول الولد أشرك أبى وتبعته فان مافطرهم الله عليه من الاقرار بربوبيته وانه ربهم وخالقهم وفاطرهم حجة عليهم ثم دل حديث عمر وغيره على أمر آخر لم تدل عليه الآية وهو القدر السابق والميثاق الاول وهو سبحانه لا يحتج عليهم بذلك وانما يحتج عليهم برسله وهو الذى دلت عليه الآية فتضمنت الآية والاحاديث اثبات القدر والشرع واقامة الحجة والايمان بالقدر فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم لما سئل عنها بما يحتاج العبد الى معرفته والاقرار به منهما وبالله التوفيق

الباب الثالث فى ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبى صلى الله عليه وسلم لآدم صلوات الله وسلامه عليهم

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم انت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقنى باربعين سنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فحج آدم موسى فحج آدم موسى وفي رواية كتب لك التوراة بيده وفي لفظ آخر تحاجّ آدم وموسى فحج آدم موسى فقال له موسى أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم أنت موسى الذى أعطاه الله علم كل شئ واصطفاه على الناس برسالته قال نعم قال أفتلومنى على أمر قدر على قبل أن اخلق *وفي لفظ آخر احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى فقال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض قال آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم هل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومنى على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى *وفي لفظ آخر احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت الذى أخرجتنا خطيئتك من الجنة وذكر الحديث متفق على صحته وهذا التقدير بعد التقدير الاول السابق بخلق السموات بخمسين ألف سنة *وقد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة كأبى على الجبائى ومن وافقه على ذلك وقال لو صح لبطلت نبوات الانبياء فان القدر اذا كان حجة للعاصى بطل الامر والنهى فان العاصى بترك الامر أو فعل النهى اذا صحت له الحجة بالقدر السابق ارتفع اللوم عنه وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته فان هذا حديث صحيح متفق على صحته لم تزل الامة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرنا بعد قرن وتقابله بالتصديق والتسليم ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاله وحكموا بصحته فما لأجهل الناس بالسنة ومن عرف بعداوتها وعداوة حملتها والشهادة عليهم بانهم مجسمة ومشبهة حشوية وهذا الشأن ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

التى تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة كما ردوا أحاديث الرؤية وأحاديث علو الله على خلقه وأحاديث صفاته القائمة به وأحاديث الشفاعة وأحاديث نزوله الى سمائه ونزوله الى الارض للفصل بين عباده وأحاديث تكلمه بالوحى كلاما يسمعه من شاء من خلقه حقيقة الى أمثال ذلك وكما ردت الخوارج والمعتزلة أحاديث خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وغيرها وكما ردت الرافضة أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة وكما ردت المعطلة أحاديث الصفات والافعال الاختيارية وكما ردت القدرية المجوسية أحاديث القضاء والقدر السابق وكل من أصل أصلا لم يؤصله الله ورسوله قاده قسرا الى رد السنة وتحريفها عن مواضعها فلذلك لم يؤصل حزب الله ورسوله أصلا غير ماجاء به الرسول فهو أصلهم الذى عليه يعولون وجنتهم التى اليها يرجعون * ثم اختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجه الحجة التى توجهت لآدم على موسى فقالت فرقة انما حجه لان آدم أبوه فحجه كما يحج الرجل ابنه وهذا الكلام لامحصل فيه البتة فان حجة الله يجب المصير اليها مع الاب كانت أو الابن أو العبد أو السيد ولو حج الرجل أباه بحق وجب المصير الى الحجة وقالت فرقة انما حجه لان الذنب كان في شريعة واللوم في شريعة وهذا من جنس ماقبله اذ لاتأثير لهذا في الحجة بوجه وهذه الامة تلوم الامم المخالفة لرسلها المتقدمة عليها وان كان لم تجمعهم شريعة واحدة ويقبل الله شهادتهم عليهم وان كانوا من غير أهل شريعتهم وقالت فرقة أخرى انما حجه لانه كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لاذنب له ولا يجوز لومه وهذا وان كان أقرب مما قبله فلا يصح لثلاثة أوجه أحدها ان آدم لم يذكر ذلك الوجه ولا جعله حجة على موسى ولم يقل أتلومنى على ذنب قد تبت منه الثانى ان موسى اعرف بالله سبحانه وبامره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه انه قد تاب على فاعله واجتباه بعده وهداه فان هذا لايجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلا عن كليم الرحمن الثالث ان هذا يستلزم الغاء ماعلق به النبى صلى الله عليه وسلم وجه الحجة واعتبار ماألغاه فلا يلتفت اليه وقالت فرقة أخرى انما حجه لانه لامه في غير دار التكليف ولو لامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه وهذا أيضا فاسد من وجهين أحدهما ان آدم لم يقل له لمتنى في غير دار التكليف وانما قال أتلومنى على أمر قدر على قبل أن أخلق فلم يتعرض للدار وانما احتج في القدر السابق الثانى ان الله سبحانه يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة وقالت فرقة أخرى انما حجه لان آدم شهد الحكم وجريانه على الخليقة وتفرد الرب سبحانه بربوبيته وانه لاتحرك ذرة الا بمشيئته وعلمه وانه لاراد لقضائه وقدره وانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن قالوا ومشاهدة العبد الحكم لايدع له استقباح سيئة لانه شهد نفسه عدما محضا والأحكام جارية عليه معروفة له وهو مقهور مربوب مدبر لاحيلة له ولا قوة له قالوا ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث وهو شر من مسلك القدرية في رده وهم انما ردوه ابطالا لهذا القول وردا على قائليه وأصابوا في ردهم عليهم وابطال قولهم واخطأوا في رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم ولم يبق للحدود معنى ولايلام جان على جنايته ولاظالم على ظلمه ولاينكر منكر أبدا ولهذا قال شيخ الملحدين ابن سينا في اشاراته العارف لاينكر منكرا لاستبصاره بسر الله تعالى في القدر وهذا كلام

منسلخ

منسلخ من الملل ومتابعة الرسل وأعرف خلق الله برسله وأنبياؤه وهم أعظم الناس انكارا للمنكر وانما أرسلوا لانكار المنكر فالعارف أعظم الناس انكارا للمنكر لبصرته بالامر والقدر فان الامر يوجب عليه الانكار والقدر يعينه عليه وينفذه له فيقوم في مقام اياك نعبد واياك نستعين وفي مقام فاعبده وتوكل عليه فنعبده بامره وقدره ونتوكل عليه في تنفيذ أمره بقدره فهذا حقيقة المعرفة وصاحب هذا المقام هو العارف بالله وعلى هذا أجمعت الرسل من أولهم الى خاتمهم وامامن يقول

أصبحت منفعلا لما يختاره منى ففعلى كله طاعات

ويقول انا وان عصيت أمره فقد أطعت ارادته ومشيئته ويقول العارف لاينكر منكرا لاستبصاره بسر الله في القدر فخارج عما عليه الرسل قاطبة وليس هو من اتباعهم وانماحكى الله سبحانه الاحتجاج في القدر عن المشركين اعداء الرسل فقال تعالى (سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا) الى قوله (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) وقال تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ) الى قوله (فهل على الرسول الا البلاغ المبين) وقال تعالى (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) وقال تعالى (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) فهذه أربع مواضع حكى فيها الاحتجاج بالقدر عن أعدائه وشيخهم وإمامهم في ذلك عدوه الاحقر ابليس حيث احتج عليه بقضائه فقال (رب بما أغويتنى لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين) فان قيل قد علم بالنصوص والمعقول صحة قولهم لوشاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولوشاء الرحمن ماعبدناهم فانه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وقد قال تعالى (ولوشاء ربك مافعلوه) وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فكيف أكذبهم ونفى عنهم العلم واثبت لهم الخرص فيما هم فيه صادقون وأهل السنة جميعاً يقولون لوشاء الله ماأشرك به مشرك ولا كفر به كافر ولا عصاه أحد من خلقه فكيف ينكر عليهم ماهم فيه صادقون (قيل) أنكر سبحانه عليهم ماهم فيه أكذب الكاذبين وأفجر الفاجرين ولم ينكر عليهم صدقا ولا حقا بل أنكر عليهم أبطل الباطل فانهم لم يذكروا ماذكروه إثباتا لقدره وربوبيته ووحدانيته وافتقارا اليه وتوكلا عليه واستعانة به ولو قالوه كذلك لكانوا مصيبين وإنما قالوه معارضين به لشرعه ودافعين به لأمره فعارضوا شرعه وأمره ودفعوه بقضائه وقدره ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر وأيضا فانهم احتجوا بمشيئته العامة وقدره على محبته لما شاءه ورضاه به واذنه فيه فجمعوا بين أنواع من الضلال معارضة الأمر بالقدر ودفعه به والاخبار عن الله أنه يحب ذلك منهم ويرضاه حيث شاءه وقضاه وان لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر وقدورثهم في هذا الضلال وتبعهم عليه طوائف من الناس ممن يدعى التحقيق والمعرفة أو يُدعى فيه ذلك وقالوا العارف اذا شاهد الحكم سقط عنه اللوم وقد وقع في كلام شيخ الاسلام أبى اسماعيل عبد الله بن محمد الانصارى مايوهم ذلك وقد أعاذه الله منه فانه قال في باب التوبة من منازل السائرين ولطائف التوبة ثلاثة أشياء * أولها أن تنظر في الجناية والقضية فتعرف مراد الله فيها إذ خلاك واتيانها فان الله تعالى إنما يخلى العبد والذنب لاحد معنيين أن يعرف عبرته في قضائه وبره في مستره وحلمه في إمهال راكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته * والثانى ليقيم على العبد حجة عدله فيعاقبه

على ذنبه بحجته * واللطيفة الثانية أن يعلم ان طلب البصير الصادق سيئته لم تبق له حسنة بحال لانه يسير بين مشاهدة المنة ويطالب عيب النفس والعمل * واللطيفة الثالثة أن مشاهدة العبد الحكم لم يدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة لصعوده من جميع المعانى الى معنى الحكم * فهذا الكلام الاخير ظاهره يبطل استحسان الحسن واستقباح القبيح والشرائع كلها مبناها على استحسان هذا واستقباح هذا بل مشاهدة الحكم تزيد البصير استحسانا للحسن واستقباحا للقبيح وكلما ازدادت معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأمره قوى استحسانه واستقباحه فانه يوافق في ذلك ربه ورسله ومقتضى الاسماء الحسنى والصفات العلى وقد كان شيخ الاسلام في ذلك موافقا للامر وغضبه لله ولحدوده ومحارمه ومقاماته في ذلك شهيرة عند الخاصة والعامة وكلامه المتقدم بين في رسوخ قدمه في استقباح ماقبحه الله واستحسان ماحسنه الله وهو كالمحكم فيه وهذا متشابه فيرد الى محكم كلامه والذى يليق به ماذكره شيخنا أبو العباس أحمد بن ابراهيم الواسطى في شرحه فذكر قاعدة في الفناء والاصطلام فقال الفناء عبارة عن اصطلام العبد لغلبة وجود الحق وقوة العلم به في العبد فيزيد بذلك يقينه به ومعرفته به وبصفاته سبحانه فيذهل بذلك كما يذهل الانسان في أمر عظيم دهمه فانه ربما غاب عن شعوره بما دهمه من الامور المهمة مثاله رجل وقف بين يدى سلطان عظيم قاهر من ملوك الارض فاذهله مايلاحظه من هيبته وسلطانه عن كثير مما يشعر به وهذا تقريب والامر فوق ذلك فكيف بمن اشهده الله عز وجل فردانيته حيث كان ولا شئ معه فرأى الاشياء مواتا لاقوام لها الا بقدرته فشهدها خيالا كالهباء بالنسبة الى وجود الحق تعالى وذلك في البصائر القلبية بالكشف الصحيح بعد التصفية والتدرب في القيام بأعباء الشريعة وحمل أثقالها والتخلق باخلاقها وصفى الله عبده من درنه ويكشف لقلبه فيرى حقائق الاشياء فمتى تجلت على العبد أنوار المشاهدة الحقيقية الروحية الدالة على عظمة الفردانية تلاشى الوجود الذى للعبد واضمحل كما يتلاشى الليل اذا اسفر عليه الصباح ويكون العبد في ذلك آكلا شاربا فلا يظهر عليه شئ مغاير لما إعتاده لكن يزداد إيمانه ويقينه حتى ربما غطى ايمانه عن قلبه كل شئ في أوقات سكره ويبقى وجوده كالخيال قائما بالعبودية في حضرة ذى الجلال وتعود عليه البصائر الصحيحة في معرفة الاشياء عند صحوه ثم يزول عنه عدم التميز ويقوى على حاله فيتصرف وذلك هو البقاء بحيث يتصرف في الاشياء ولايحجب عنه ماوجده من الايمان والايقان في حال البقاء بل يعود عليه شعوره الاول بوجود آخر يتولاه الله عز وجل مشهده فيه قيامه عليه بتدبيره ويصل الى مقام المراد بعد عبوره على مقام المريد فيصير به يسمع وبه ينطق كما جاء في الحديث الصحيح ووجه آخر وهو أن الفانى في حال فنائه قبل أن يبلغ الى مقام البقاء والصحو والتميز فيستتر من قلبه محل الزهد والصبر والورع لابمعنى أن تلك المقامات ذهبت وارتفع عنها العبد لكن بمعنى أن الشهود ستر محلها من القلب وانطوت واندرجت في ضمن ماوجده اندراج الحال النازل في الحال العالى فصارت فيما وجده الواجد من وجود الحق ضمنا وتبعاً وصار القلب مشتغلا بالحال الاعلى عن الحال الادنى بحيث لو فتش قلب العبد لوجد فيه الزهد والورع وحقائق الخوف والرجاء مستورا بامثال الجبال من الاحوال الوجودية التى يضيق القلب عن الاتساع لمجموعها وفي حال البقاء والصحو والتميز تعود عليه تلك المقامات بالله لابوجود نفسه اذا علمت ذلك انحل اشكال قوله إن مشاهدة العبد لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة

لصعوده الى معنى الحكم أي ان صفة حكم الله حشت بصيرته وملأتها فشهد قيام الله على الاشياء وتصرفه فيها وحكمه عليها فرأى الاشياء كلها منه صادرة عن نفاذ حكمه وتقديره وارادته القدرية فغاب بما لاحظ من الجمع عن التميز والفرق ويسمى هذا جمعا لأن العبد اجتمع نظره الى مولاه في كل حكم وقع في الكون وفي ملاحظة هذا الحكم الذى صدرت عنه التصرفات اجتمع قلبه ولضعف قلبه حين هذا الاجتماع لم يتسع للتميز الشرعى بين الحسن والقبيح بمعنى أنه انطوى حكم معرفته بالحسن والقبيح في طى هذه المعرفة الساترة له عن التميز لا بمعنى انه ارتفع عن قلبه حكم التحسين والتقبيح بل اندرج في مشهده وانطوى بحيث لو فتش لوجد حكم التحسين والتقبيح مستورا في طى مشهده ذلك وبالله التوفيق * وتلخيص ماذكره شيخنا رحمه الله أن للفعل وجهين وجه قائم بالرب تعالى وهو قضاؤه وقدره له وعلمه به والعبد له ملاحظتان ملاحظة للوجه الأول وملاحظة للوجه الثانى والكمال أن لا يغيب باحد الملاحظتين عن الاخرى بل يشهد قضاء الرب وقدره ومشيئته ويشهد مع ذلك فعله وجنايته وطاعته ومعصيته فيشهد الربوبية والعبودية فيجتمع في قلبه معنى قوله (لمن شاء منكم أن يستقيم) مع قوله (وماتشاؤن الا أن يشاء الله) وقوله (إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله) فمن الناس من يتسع قلبه لهذين الشهودين ومنهم من يضيق قلبه عن إجتماعهما بقوة الوارد عليه وضعف المحل فيغيب بشهود العبودية والكسب وجهة الطاعة والمعصية عن شهود الحكم القائم بالرب تعالى من غير إنكار له فلا يظهر عليه الا أثر الفعل وحكمه الشرعى وهذا لا يضره اذا كان الايمان بالحكم قائما في قلبه ومنهم من يغيب بشهود الحكم وسبقه وأولية الرب تعالى وسبقه للاشياء عن جهة عبوديته وكسبه وطاعته ومعصيته فيغيب بشهود الحكم عن المحكوم به فضلا عن صفته فاذا لم يشهد له فعلا فكيف يشهد كونه حسنا أو قبيحا وهذا أيضا لا يضره اذا كان علمه بحسن الفعل وقبحه قائما في قلبه وانما توارى عنه لاستيلاء شهود الحكم على قلبه وبالله التوفيق * فأين هذا من احتجاج أعداء الله بمشيئته وقدره على ابطال أمره ونهيه وعباد هؤلاء الكفرة يشهدون أفعالهم كلها طاعات لموافقتها المشيئة السابقة ولو أغضبهم غيرهم وقصر في حقوقهم لم يشهدوا فعله طاعة مع انه وافق فيه المشيئة فما احتج بالقدر على إبطال الامر والنهى الا من هو من أجهل الناس وأظلمهم وأتبعهم لهواه وتأمل قوله سبحانه بعد حكايته عن أعدائه واحتجاجهم بمشيئته وقدره على ابطال ما أمرهم به رسوله وأنه لولا محبته ورضاه به لما شاءه منهم (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فاخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه وبيان ماينفعهم ويضرهم وتمكنهم من الايمان بمعرفة أوامره ونواهيه وأعطاهم الاسماع والابصار والعقول فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه ثم قرر تمام الحجة بقوله (فلو شاء لهداكم أجمعين) فان هذا يتضمن انه المتفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه وانه لا رب غيره ولا إله سواه فكيف يعبدون معه إلهاً غيره فاثبات القدر والمشيئة من تمام حجته البالغة عليهم وان الامر كله لله وان كل شئ ماخلا الله باطل فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد فجعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك فكانت حجة الله هى البالغة وحجتهم هى الداحضة وبالله التوفيق * اذا عرفت هذا فموسى أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه وآدم

أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته بل إنما لام موسى آدم على المعصية التى نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم الى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المصيبة والمحنة التى نالت الذرية ولهذا قال له أخرجتنا ونفسك من الجنة وفي لفظ خيبتنا فاحتج آدم بالقدر على المصيبة وقال ان هذه المصيبة التى نالت الذرية بسبب خطيئتى كانت مكتوبة بقدره قبل خلقى والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب أى أتلومنى على مصيبة قدرت علي وعليكم قبل خلقى بكذا وكذا سنة هذا جواب شيخنا رحمه الله وقد يتوجه جواب آخر وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع فينفع اذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ماينتفع به الذاكر والسامع لانه لايدفع بالقدر أمرا ولا نهيا ولايبطل به شريعة بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة * يوضحه أن آدم قال لموسى اتلومنى على أن عملت عملا كان مكتوبا على قبل ان أخلق فاذا أذنب الرجل ذنبا ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن فانبه مؤنب عليه ولامه حسن منه ان يحتج بالقدر بعد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر على قبل ان اخلق فانه لم يدفع بالقدر حقا ولاذكره حجة له على باطل ولامحذور في الاحتجاج به وأما الموضع الذى يضر الاحتجاج به ففى الحال والمستقبل بان يرتكب فعلا محرما أو يترك واجبا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على اقامته عليه واصراره فيبطل بالاحتجاج به حقا ويرتكب باطلا كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا (لوشاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولوشاء الرحمن ماعبدناهم) فاحتجوا به مصوبين لماهم عليه وأنهم لم يندموا على فعله ولم يعزموا على تركه ولم يقروا بفساده فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود فاذالامه لائم بعد ذلك قال كان ما كان بقدر الله * ونكتة المسئلة ان اللوم اذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر واذا كان اللوم واقعا فالاحتجاج بالقدر باطل * فان قيل فقد احتج على بالقدر في ترك قيام الليل وأقره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الصحيح عن على ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال لهم ألا تصلون قال فقلت يارسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قلت له ذلك ولم يرجع الى شيئا ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) * قيل على لم يحتج بالقدر على ترك واجب ولافعل محرم وانما قال ان نفسه ونفس فاطمة بيد الله فاذا شاء ان يوقظهما ويبعث أنفسهما بعثهما وهذا موافق لقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة ناموا في الوادى ان الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء وهذا احتجاج صحيح صاحبه يعذر فيه فالنائم غير مفرط واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح وقد أرشد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذى ينفع العبد الاحتجاج به (فروى) مسلم في صحيحه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ماينفعك واستعن بالله ولاتعجز وان أصابك شئ فلاتقل لوانى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله ما شاء فعل فان لوتفتح عمل الشيطان فتضمن هذا الحديث الشريف أصولا عظيمة من أصول الايمان (أحدها) ان الله سبحانه موصوف بالمحبة وانه

يحب حقيقة (الثانى) انه يحب مقتضى أسمائه وصفاته ومايوافقها فهو القوى ويحب المؤمن القوى وهو وتر يحب الوتر وجميل يحب الجمال وعليم يحب العلماء ونظيف يحب النظافة ومؤمن يحب المؤمنين ومحسن يحب المحسنين وصابر يحب الصابرين وشاكر يحب الشاكرين* ومنها ان محبته للمؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم أكثر من بعض* ومنها ان سعادة الانسان في حرصه على ماينفعه في معاشه ومعاده والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع فاذا صادف ماينتفع به الحريص كان حرصه محمودا وكماله كله في مجموع هذين الامرين ان يكون حريصا وان يكون حرصه على ماينتفع به فان حرص على مالا ينفعه أو فعل ماينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب مافاته من ذلك فالخير كله في الحرص على ماينفع ولما كان حرص الانسان وفعله انما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره ان يستعين به ليجتمع له مقام إياك نعبد وإياك نستعين فان حرصه على ماينفعه عبادة لله ولا تتم الا بمعونته فأمره بان يعبده وان يستعين به ثم قال ولا تعجز فان العجز ينافي حرصه على ماينفعه وينافي استعانته بالله فالحريص على ماينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور الى ماهو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الامور بيده ومصدرها منه ومردها اليه فان فاته مالم يقدر له فله حالتان حالة عجز وهى مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز الى لو ولا فائدة في لو ههنا بل هى مفتاح اللوم والجزع والسخط والاسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه صلى الله تعالى عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا المفتاح وأمره بالحالة الثانية وهى النظر الى القدر وملاحظته وانه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التى توجب وجود المقدور واذا انتفت امتنع وجوده فلهذا قال فان غلبك أمر فلا تقل لو انى فعلت لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فارشده الى ماينفعه في الحالتين حالة حصول مطلوبه وحالة فواته فلهذا كان هذا الحديث مما لايستغنى عنه العبد أبدا بل هو أشد شئ اليه ضرورة وهو يتضمن اثبات القدر والكسب والاختيار والقيام والعبودية ظاهرا وباطنا في حالتى حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق

الباب الرابع فى ذكر التقدير الثالث والجنين فى بطن أمه وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر مايلقاه وذكر الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك

عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم ليجمع خلقه في بطن امه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أوسعيد فوالذى لا إله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها متفق عليه (وعن) حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول يارب اشقى أم سعيد فيكتبان فيقول أى رب أ ذكر أم أنثى

فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص رواه مسلم (وعن) عامر بن واثلة انه سمع عبدالله بن مسعود يقول الشقى من شقى في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فأتى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له حذيفة بن اسيد الغفارى فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقى رجل بغير عمل فقال له الرجل أتعجب من ذلك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقضى ربك مايشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقضى ربك مايشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ماأمر ولا ينقص (وفي) لفظ آخر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باذنى هاتين يقول ان النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك قال زهير بن معاوية أحسبه قال الذى يخلقها فيقول يارب أ ذكر أم أنثى فيجعله الله ذكرا أو أنثى ثم يقول يارب أسوىّ أم غير سوىّ فيجعله الله سويا أو غير سوى ثم يقول يارب مارزقه وما أجله وماخلقه ثم يجعله الله شقيا أو سعيدا وفي لفظ آخر إن ملكا موكلا بالرحم اذا أراد الله أن يخلق شيئا باذن الله ولبضع وأربعين ليلة ثم ذكر نحوه وهذا الحديث بطرقه انفرد به مسلم (وعن) أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل وكل بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة واذا أراد أن يقضى خلقا قال الملك أى رب ذكر أو أنثى شقى أو سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه متفق عليه (وقال) ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب أن سعيد بن عبد الرحمن بن هنيدة حدثهم أن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق النسمة قال ملك الارحام معها يارب أذكر أم أنثى فيقضى الله بأمره ثم يقول يارب شقى أم سعيد فيقضى الله أمره ثم يكتب بين عينيه ماهو لاق حتى النكبة ينكبها (قال) ابن وهب وأخبرنى عبدالله بن لهيعة عن بكر بن سوادة الجدمى عن أبى تميم الجيشانى عن ابى ذران النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت يعنى النطفة في الرحم أربعين أتى ملك النفس فعرج الى الرب فقال يارب عبدك أذكر أو أنثى فيقضى الله بما هو قاض أشقى أم سعيد فيكتب ماهو كائن وذكر بقية الحديث (وقال) ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن كعب بن علقمة عن عيسى عن هلال عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال اذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها ملك فاختلجها ثم عرج بها الى الله تعالى أخلق ياأحسن الخالقين فيقضى الله فيها بما يشاء من أمره ثم تدفع الى الملك فيسأل الملك عند ذلك فيقول يارب اسقط أم تم فيبين له ثم يقول يارب أواحد أم توأم فيبين له ثم يقول أقطع رزقه مع خلقه فيقضيهما جميعا فوالذى نفس محمد بيده لاينال الا ماقسم له يومئذ اذا أكل رزقه قبض (وقال) عبد الله بن أحمد أنا العلاء ثنا أبو الاشعث ثنا أبو عامر عن الزبير بن عبد الله حدثنى جعفر بن مصعب قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن عائشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله سبحانه حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول أى رب ماذا فيقول غلام أو جارية أو ماشاء أن يخلق في الرحم فيقول أى رب أشقى أم سعيد فيقول شقى أو سعيد فيقول أى رب ماأجله فيقول كذا وكذا فيقول ماخلقه ماخلائقه فيقول

كذا وكذا فما شيء الاوهو يخلق معه في الرحم (وفي المسند)من حديث اسماعيل بن عبيد الله وهو ابن أبي المهاجر أن ام الدرداء حدثته عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرغ الله عز وجل الى كل عبد من خمس من أجله ورزقه ومضجعه وأثره وشقى أم سعيد(وقال) ابن حميد ثنا يعقوب ابن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا وقعت النطفة في الرحم تلبث أربعة أشهر وعشرا ثم تنفخ فيها الروح ثم تلبث أربعين ليلة ثم يبعث اليها ملك فنقفها في نقرة القفا وكتب شقياً أوسعيدا وروى ابن أبي خيثمة ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال السعيد من سعد في بطن أمه رواه أبوداود في القدر عن عبد الرحمن عن حماد عن هشام بن حسان عن محمد به(وقال)أحمد بن عبد أنبأنا على بن عبد الله بن ميسر ثنا عبد الحميد بن بيان ثنا خالد بن عبد الله عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشقى من شقى في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه وقال سعيد عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال الشقى من شقى في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره وقال شعبة عن مخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال ان أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها فاتبعوا ولاتبتدعوا فان الشقى من شقى في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره وان شر الروايا روايا الكذب وشر الامور محدثاتها وكل ما هو آت قريب رواهن أبوداود في القدر وذكر الطبرى من رواية أبي اسحاق عن أبي عبدة عنه انه كان يجيء كل يوم خميس يقوم قائما لايجلس فيقول إنما هما اثنتان فاحسن الهدى هدى محمد وأصدق الحديث كتاب الله وشر الامور محدثاتها وكل محدث ضلالة ان الشقى من شقى في بطن أمه وان السعيد من وعظ بغيره الافلا يطولن عليكم الأمد ولايلهينكم الامل فان كل ماهو آت قريب وانما البعيد ماليس آتيا وان من شرار الناس بطال النهار جيفة الليل وان قتل المؤمن كفر وان سبابه فسوق ولايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الا إن شر الروايا روايا الكذب وانه لايصلح من الكذب جدولاهزل ولاان يعد الرجل صفيه ثم لاينجزه الاوان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الصادق يقال له صدق وبرّ وان الكاذب يقال له كذب وفجر وانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان العبد ليصدق فيكتب عند الله صدّيقا وانه ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا الاهل تدرون ماالعضه هى النميمة التى تفسد بين الناس وهذا متواتر عن عبد الله وبلغ معاوية أن الوباء اشتد بأهل دار فقال لو حولناهم عن مكانهم فقال له أبو الدرداء وكيف لك يامعاوية بأنفس قد حضرت آجالها فكأن معاوية وجد على أبي الدرداء فقال له كعب يامعاوية لاتجد على أخيك فان الله سبحانه لم يدع نفسا حين تستقر نطفتها في الرحم أربعين ليلة الا كتب خلقها وخاقها وأجلها ورزقها ثم لكل نفس ورقة خضراء معلقة بالعرش فاذا دنا أجلها خلقت تلك الورقة حتى تيبس ثم تسقط فاذا يبست سقطت تلك النفس وانقطع أجلها ورزقها ذكره أبوداود عن محمود بن خالد ثنا مروان ثنا معاوية بن سلام حدثنى أخى زيد بن سلام عن جده ابن سلام قال بلغ معاوية فذكره وقال أبوداود ثنا واصل بن عبد الاعلى ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقيمى عن الحكم عن مجاهد في قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في

عنقه قال مامن مولود يولد الا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وفي الصحيحين عن أبيّ بن كعب قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت توفي صبى من الانصار فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك ياعائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ولا يناقض هذا حديث سمرة بن جندب الذى رواه البخارى في صحيحه من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم أطفال المشركين حول ابراهيم الخليل في الروضة فان الاطفال منقسمون الى شقي وسعيد كالبالغين فالذى رآه حول ابراهيم السعداء من أطفال المسلمين والمشركين وأنكر على عائشة شهادتها للطفل المعين أنه عصفور من عصافير الجنة فاجتمعت هذه الاحاديث والآثار على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمه واختلفت في وقت هذا التقدير وهذا تقدير بعد التقدير الاول السابق على خلق السموات والارض وبعد التقدير الذى وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق أبيهم آدم ففى حديث ابن مسعود ان هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يوما من حصول النطفة في الرحم وحديث أنس غير مؤقت وأما حديث حذيفة بن أسيد فقد وقت فيه التقدير باربعين يوما وفي لفظ باربعين ليلة وفي لفظ ثنتين وأربعين ليلة وفي لفظ بثلاث وأربعين ليلة وهو حديث تفرد به مسلم ولم يروه البخارى وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين ولا تعارض بينهما بحمد الله وان الملك الموكل بالنطفة يكتب مايقدره الله سبحانه على رأس الاربعين الاولى حتى يأخذ في الطور الثانى وهو العلقة واما الملك الذى ينفخ فيه فانما ينفخها بعد الاربعين الثالثة فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته وهذا تقدير آخر غير التقدير الذى كتبه الملك الموكل بالنطفة ولهذا قال في حديث ابن مسعود ثم يرسل اليه الملك فيؤمر باربع كلمات وأما الملك الموكل بالنطفة فذاك راتب معها ينقلها باذن الله من حال الى حال فيقدر الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوما فهو تقدير بعد تقدير فاتفقت أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق بعضها بعضا ودلت كلها على إثبات القدر السابق ومراتب التقدير ومايؤتى أحد الا من غلط الفهم أو غلط في الرواية ومتى صحت الرواية وفهمت كما ينبغى تبين أن الامر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق وبالله التوفيق

الباب الخامس فى ذكر التقدير الرابع ليلة القدر

قال الله تعالى (حمٓ والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين) وهذه هى ليلة القدر قطعا لقوله تعالى (انا أنزلناه في ليلة القدر) ومن زعم انها ليلة النصف من شعبان فقد غلط قال سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليلة القدر ليلة الحكم وقال سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون باسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقال ابن علية ثنا ربيعة بن كلثوم قال قال رجل للحسن وأنا أسمع أرأيت ليلة القدر في كل رمضان هى قال نعم والله الذى لا إله الا هو

إنها لفى كل رمضان وانها لليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله كل أجل وعمل ورزق الى مثلها وذكر يوسف بن مهران عن ابن عباس قال يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر مايكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية انك لترى الرجل يمشى في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى وقال مقاتل يقدر الله في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده الى السنة القابلة وقال أبو عبد الرحمن السلمى يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر وهذا هو الصحيح ان القدر مصدر قدر الشئ يقدره قدرا فهي ليلة الحكم والتقدير وقالت طائفة ليلة القدر ليلة الشرف والعظمة من قولهم لفلان قدر في الناس فان أراد صاحب هذا القول ان لها قدرا وشرفا مع مايكون فيها من التقدير فقد أصاب وان أراد ان معنى القدر فيها هو الشرف والخطر فقد غلط ان الله سبحانه أخبر ان فيها يفرق أى يفصل الله ويبين ويبرم كل أمر حكيم

الباب السادس في التقدير الخامس اليومى

قال الله تعالى (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان) ذكر الحاكم في صحيحه من حديث أبى حمزة الثمالى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان مما خلق الله لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة ففى كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء فذلك قوله (كل يوم هو في شان) وقال مجاهد والكلبي وعبيد ابن عمير وأبو ميسرة وعطاء ومقاتل من شأنه انه يحيي ويميت ويرزق ويمنع وينصر ويعز ويذل ويفك عانيا ويشفى مريضا ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويتوب على قوم ويكشف كربا ويغفر ذنبا ويضع أقواما ويرفع آخرين دخل كلام بعضهم في بعض وقد ذكر الطبرانى في المعجم والسنة وعثمان بن سعيد الدارمى في كتاب الرد على المريسى عن عبد الله بن مسعود قال ان ربكم عزوجل ليس عنده ليل ولانهار نوّر السموات والارض نور وجهه وان مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتى عشرة ساعة فيعرض عليه أعمالكم فيها على مايكره فيغضبه ذلك وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم فيسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ثم ينفخ جبريل في القرن فلايبقى شئ الا سمع صوته فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن عزوجل رحمة فتلك ست ساعات ثم يؤتى بالارحام فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه (هو الذى يصوركم في الأرحام كيف يشاء) وقوله (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) فتلك تسع ساعات ثم يؤتى بالارزاق فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر كل يوم هو في شان) قال هذا شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى قال الطبرانى ثنا بشر بن موسى ثنا يحيي بن اسحاق أنا حماد بن سلمة عن أبى عبد السلام عن عبد الله أو عبيد الله ابن مكرز عن ابن مسعود فذكره وقال عثمان بن سعيد الدارمى ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد بن سلمة عن الزبير بن أبى عبد السلام عن أيوب بن عبيد الله الفهرى ان ابن مسعود قال ان ربكم ليس عنده ليل ولانهار فذكر الحديث الى قوله فيسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة فهذا تقدير يومى والذى قبله تقدير حولى والذى قبله تقدير عمرى عند تعلق النفس

به والذى قبله كذلك عند أول تخليقه وكونه مضغة والذى قبله تقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السموات والارض والذى قبله تقدير سابق على خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته وزيادة تعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه وقد قال تعالى (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وأكثر المفسرين على ان هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ فتستنسخ الملائكة مايكون من أعمال بنى آدم قبل أن يعملوها فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه فيثبت الله تعالى منه مافيه ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو وذكر ابن مردويه في تفسيره من طرق الى بقية عن أرطاة بن المنذر عن مجاهد عن ابن عمر يرفعه ان أول ماخلق الله القلم فاخذه بيمينه وكلتا يديه يمين فكتب الدنيا ومايكون فيها من عمل معمول من بر أو فجور رطب أويابس فأحصاه عند الذكر وقال اقرؤا إن شئتم (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) فهل تكون النسخة الا من شئ قد فرغ منه وقال آدم ثنا ورقاء عن عطاء بن السائب عن مقسم عن ابن عباس إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال تستنسخ الحفظة من أم الكتاب مايعمل بنو آدم فانما يعمل الانسان على مااستنسخ الملك من أم الكتاب وفي تفسير الاشجعى عن سفيان عن منصور عن مقسم عن ابن عباس قال كتب في الذكر عنده كل شئ هو كائن ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكته ينسخون من الذكر مايعمل العباد ثم قرأ (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وفي تفسير الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال هى أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية مايصيب الانسان في ذلك اليوم أو الليلة الذى يقتل والذى يغرق والذى يقع من فوق بيت والذى يتردّى من جبل والذى يقع والذى يحرق بالنار فيحفظوا عليه ذلك كله واذا كان الشئ صعدوا به الي السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبا في الذكر الحكيم

الباب السابع فى أن سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لايقتضى ترك الاعمال بل يقتضى الاجتهاد والحرص

يسبق الى أفهام كثير من الناس ان القضاء والقدر اذا كان قد سبق فلافائدة في الاعمال وان ماقضاه الرب سبحانه وقدره لابد من وقوعه فتوسط العمل لافائدة فيه وقد سبق ايراد هذا السؤال من الصحابة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاجابهم بما فيه الشفاء والهدى ففى الصحيحين عن علي بن أبى طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال مامنكم من أحد مامن نفس منفوسة الا كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية أوسعيدة فقال رجل يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير الى عمل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير الى عمل أهل الشقاوة فقال اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وفي بعض طرق البخارى افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن

كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير الى عمل أهل الشقاوة وعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يارسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم أفيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر رواه مسلم وعن عمران بن حصين قال قيل يارسول الله اعلم أهل الجنة من أهل النار فقال نعم قيل ففيم يعمل العاملون فقال كل ميسر لما خلق له متفق عليه وفي بعض طرق البخارى كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له ورواه الامام أحمد أطول من هذا فقال ثنا صفوان بن عيسى ثنا عروة بن ثابت عن يحيي بن عقيل عن أبي نعيم عن أبي الاسود الدؤلي قال غدوت على عمران بن حصين يوما من الايام فقال ان رجلا من جهينة أو مزينة أتى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم أومضى عليهم في قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم واتخذت عليهم الحجة قال بل شيء قضى عليهم قال فلم يعملون اذا يارسول الله قال من كان الله عز وجل خلقه لواحدة من المنزلتين يهيأه لعملها وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) وقال المحاملي ثنا أحمد بن المقدام ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبا سفيان يحدث عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أنه قال نزل فمنهم شقي وسعيد فقال عمر يانبي الله على م نعمل على أمر قد فرغ منه أم لم يفرغ منه قال لا على أمر قد فرغ منه قد جرت به الاقلام ولكن كل ميسر أما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فاتفقت هذه الاحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لايمنع العمل ولايوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت أشد اجتهادا مني الآن وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالاسباب فان العبد ينال ما قدر له بالسبب الذى أقدر عليه ومكن منه وهيء له فاذا أتى بالسبب أوصله الى القدر الذى سبق له في أم الكتاب وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى اليه وهذا كما اذا قدر له ان يكون من أعلم أهل زمانه فانه لاينال ذلك الا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه واذا قدر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك الا بالنكاح أو التسري والوطىء واذا قدر له أن يستغل من أرضه من المغل كذا وكذا لم ينله الا بالبذر وفعل أسباب الزرع واذا قدر الشبع والري فذلك موقوف على الاسباب المحصلة لذلك من الاكل والشرب واللبس وهذا شأن أمور المعاش والمعاد فمن عطل العمل اتكالا على القدر السابق فهو بمنزلة من عطل الاكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالا على ماقدر له وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الاسباب التى بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات فهكذا الاسباب التى بها مصالحهم الاخروية في معادهم فانه سبحانه رب الدنيا والآخرة وهو الحكيم بما نصبه من الاسباب في المعاش والمعاد وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة فهو مهيأ له ميسر له فاذا علم العبد ان مصالح آخرته مرتبطة بالاسباب الموصلة اليها كان أشد اجتهادا في فعلها من القيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه وقد فقه هذا كل الفقه من قال

ما كنت أشد اجتهادا مني الآن فان العبد اذا علم ان سلوك هذا الطريق يفضي به الى رياض مونقة وبساتين معجبة ومساكن طيبة ولذة ونعيم لا يشوبه نكد ولا تعب كان حرصه على سلوكها واجتهاده في السير فيها بحسب علمه بما يفضي اليه ولهذا قال ابو عثمان النهدي لسلمان لأنا باول هذا الامر أشد فرحا مني بآخره وذلك لأنه اذا كان قد سبق له من الله سابقة وهيأه ويسره للوصول اليها كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالاسباب التي تأتي بها فانها سبقت له من الله قبل الوسيلة منه وعلمها الله وشاءها وكتبها وقدرها وهيأ له أسبابها لتوصله اليها فالامر كله من فضله وجوده السابق فسبق له من الله سابقة السعادة ووسيلتها وغايتها فالمؤمن أشد فرحا بذلك من كون أمره مجعولا اليه كما قال بعض السلف والله ما احب أن يجعل أمرى الىّ إنه اذا كان بيد الله خيرا من أن يكون بيدى فالقدر السابق معين على الاعمال وما يحث عليها ومقتض لها لا أنه مناف لها وصادّ عنها وهذا موضع مزلة قدم من ثبتت قدمه فاز بالنعيم المقيم ومن زلت قدمه عنه هوى الى قرار الجحيم فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارشد الامة في القدر الي أمرين هما سببا السعادة الايمان بالاقدار فانه نظام التوحيد والاتيان بالاسباب التي توصل الى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع فأرشدهم الى نظام التوحيد والامر فابى المنحرفون الا القدح بانكاره في أصل التوحيد أو القدح باثباته في اصل الشرع ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والامر وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شديد الحرص على جمع هذين الامرين للامة وقد تقدم قوله إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان العاجز من لم يتسع للامرين وبالله التوفيق

الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

قد تقدمت الاحاديث بوقوع أهل السعادة في احدى القبضتين وكتابتهم باسمائهم وأسماء آبائهم في ديوان السعداء قبل خلقهم وفي صحيح الحاكم من حديث الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال المشركون فالملائكة وعيسى وعزيرا يعبدون من دون الله قال فنزلت (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وهذا اسناد صحيح وقال على بن المديني ثنا يحيي بن آدم ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال أخبرني ابو رزين عن ابي يحيي عن ابن عباس أنه قال آية لا يسأل الناس عنها لا أدرى اعرفوها فلم يسألوا عنها أو جهلوها فلا يسألون عنها فقيل له وما هى فقال لما نزلت (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) شق ذلك على قريش أو على أهل مكة وقالوا يشتم آلهتنا فجاء ابن الزبعرى فقال مالكم قالوا يشتم آلهتنا قال وما قال قالوا قال (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) قال ادعوه لي فلما دعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا محمد هذا شئ لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال لا بل لكل من عبد من دون الله قال فقال ابن الزبعرى خصمت ورب هذه البنية يعنى الكعبة ألست تزعم ان الملائكة عباد صالحون وان عيسى عبد صالح وان عزيرا عبد صالح وهذه بنو مليح تعبد الملائكة وهذه النصارى تعبد عيسى وهذه اليهود تعبد عزيرا قال فضج أهل مكة فانزل

الله عز وجل (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها) قال ونزلت (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون) قال هو الصحيح وهذا الايراد الذى أورده ابن الزبعرى لايرد على الآية فانه سبحانه قال انكم وماتعبدون من دون الله ولم يقل ومن تعبدون وما لما لايعقل فلا يدخل فيها الملائكة والمسيح وعزير وانما ذلك للاحجار ونحوها التى لاتعقل وايضا فان السورة مكية والخطاب فيها لعباد الاصنام فانه قال انكم وما تعبدون فلفظة انكم ولفظه ما تبطل سؤاله وهو رجل فصيح من العرب لايخفى عليه ذلك ولكن ايراده انما كان من جهة القياس والعموم المعنوى الذى يعم الحكم فيه بعموم علته أى ان كان كونه معبودا يوجب أن يكون حصب جهنم فهذا المعنى بعينه موجود في الملائكة وعزير والمسيح فاجيب بالفارق وذلك من وجوه* احدها ان الملائكة والمسيح وعزيرا ممن سبقت لهم من الله الحسنى فهم سعداء لم يفعلوا مايستوجبون به النار فلا يعذبون بعبادة غيرهم مع بغضهم ومعاداتهم لهم فالتسوية بينهم وبين الاصنام أقبح من التسوية بين البيع والربا والميتة والذكى وهذا شأن أهل الباطل وانما يسوون بين مافرق الشرع والعقل والفطرة بينه ويفرقون بين ماسوى الله ورسوله بينه* الفرق الثانى ان الاوثان حجارة غير مكلفة ولا ناطقة فاذا حصبت بها جهنم اهانة لها ولعابديها لم يكن في ذلك من لايستحق العذاب بخلاف الملائكة والمسيح وعزير فانهم أحياء ناطقون فلو حصبت بهم النار كان ذلك إيلاما وتعذيبا لهم * الثالث ان من عبد هؤلاء بزعمه فانه لم يعبدهم في الحقيقة فانهم لم يدعوا الى عبادتهم وانما عبد المشركون الشياطين وتوهموا ان العبادة لهؤلاء فانهم عبدوا بزعمهم من ادعى انه معبود مع الله وانه معه إله وقد برأ الله سبحانه ملائكته والمسيح وعزيرا من ذلك وانما ادعى ذلك الشياطين وهم بزعمهم يعتقدون أنهم يرضون بان يكونوا معبودين مع الله ولا يرضى بذلك الا الشياطين ولهذا قال سبحانه (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال تعالى (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) فما عبد غير الله الا الشيطان وهذه الاجوبة منتزعة من قوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) فتأمل الآية تجدها تلوح في صفحات ألفاظها وبالله التوفيق والمقصود ذكر الحسنى التى سبقت من الله لاهل السعادة قبل وجودهم وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبو عامر العقدى ثنا عروة بن ثابت الانصارى ثنا الزهرى عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ان عبد الرحمن ابن عوف مرض مرضا شديدا اغمى عليه فافاق فقال اغمى علىّ قالوا نعم قال انه أتانى رجلان غليظان فاخذا بيدى فقالا انطلق نحاكمك الى العزيز الامين فانطلقا بى فتلقاهما رجل وقال أين تريدان به قالا نحاكمه الى العزيز الامين فقال دعاه فان هذا ممن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه وقال عبد الله بن محمد البغوى ثنا داود بن رشيد ثنا ابن علية حدثنى محمد بن محمد القرشى عن عامر بن سعد قال اقبل سعد من ارض له فاذا الناس عكوف على رجل فاطلع فاذا هو يسب طلحة والزبير وعلياً فنهاه فكأنما زاده إغراء فقال ويلك تريدان تسب أقواماهم خير منك لتنتهين أو لأدعون عليك فقال كانما تخوفنى

نبي من الانبياء فانطلق فدخل دارا فتوضأ ودخل المسجد ثم قال اللهم ان كان هذا قد سب أقواما قد سبقت لهم منك حسنى اسخطك سبه اياهم فارني اليوم آية تكون للمؤمنين آية وقال تخرج بختية من دار بني فلان لا يردها شئ حتى تنتهي اليه ويتفرق الناس وتجمله بين قوائمها وتطأه حتى طفى قال فانا رأيت سعدا يتبعه الناس يقولون استجاب الله لك يا أبا اسحاق استجاب الله لك يا أبا اسحاق وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) أى الله سماكم من قبل القرآن وفي القرآن فسبقت تسمية الحق سبحانه لهم مسلمين قبل اسلامهم وقبل وجودهم وقال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وقال ابن عباس في رواية الوالبي عنه في قوله (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول وهذا لا يخالف قول من قال انه الاعمال الصالحة التي قدموها ولا قول من قال انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبق لهم من الله في الذكر الاول السعادة بأعمالهم على يد محمد صلى الله عليه وسلم فهو خير تقدم لهم من الله ثم قدمه لهم على يد رسوله ثم يقدمهم عليه يوم لقائه وقد قال تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وقد اختلف السلف في هذا الكتاب السابق فقال جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم لولا قضاء من الله سبق لكم يا أهل بدر في اللوح المحفوظ ان الغنائم حلال لكم لعاقبكم وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحدا الا بعد الحجة لعاقبكم وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر أنه مغفور لهم وإن عملوا ماشاؤا لعاقبهم وقال آخرون وهو الصواب لولا كتاب من الله سبق بهذا كله لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم والله أعلم

الباب التاسع في قوله تعالى إنا كل شئ خلقناه بقدر

قال سفيان عن زياد بن اسماعيل المخزومي ثنا محمد بن عباد بن جعفر ثنا أبو هريرة قال جاء مشركو قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاصمون في القدر فنزلت هذه الآية (ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر رواه مسلم وقد روى الدارقطني من حديث حبيب بن عمرو الانصارى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد اين خصماء الله وهم القدرية ولكن حبيب هذا قال الدارقطني مجهول والحديث مضطرب الاسناد ولا يثبت والمخاصمون في القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقدر فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر اقدارا وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الارزاق بقدر وقسم البلاء بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهى وقال الامام أحمد القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء فان انكار القدر انكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابها وتقديرها وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سلف الامة على تكفيرهم وسنذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله وفي تفسير علي بن أبي طلحة

عن

عن ابن عباس في قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال الذين يقولون إن الله على كل شيء قدير وهذا من فقه ابن عباس وعلمه بالتأويل ومعرفته بحقائق الاسماء والصفات فان أكثر أهل الكلام لايوفون هذه الجملة حقها ولو كانوا يقرون بها فمنكرو القدر وخلق أفعال العباد لايقرون بها على وجهها ومنكرو أفعال الرب القائمة به لايقرون بها على وجهها بل يصرحون انه لايقدر على فعل يقوم به ومن لايقر بان الله سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل مايشاء لايقر بان الله على كل شيء قدير ومن لايقر بان قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وانه سبحانه مقلب القلوب حقيقة وانه ان شاء يقيم القلب أقامه وان شاء ان يزيغه أزاغه لايقر بان الله على كل شيء قدير ومن لايقر بانه استوى على عرشه بعد أن خلق السموات والارض وانه ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا يقول من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وانه نزل الى الشجرة فكلم موسى كلمه منها وانه ينزل الى الارض قبل يوم القيامة حين تخلو من سكانها وانه يجيء يوم القيامة فيفصل بين عباده وانه يتجلى لهم يضحك وانه يريهم نفسه المقدسة وانه يضع رجله على النار فيضيق بها أهلها وينزوى بعضها الى بعض الى غير ذلك من شؤنه وأفعاله التى من لم يقر بها لم يقر بأنه على كل شيء قدير فيالها كلمة من حبر الامة وترجمان القرآن وقد كان ابن عباس شديدا على القدرية وكذلك الصحابة كما سنذكر ذلك ان شاء الله تعالى

الباب العاشر فى مراتب القضاء والقدر التى من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر

وهى أربع مراتب (المرتبة الاولى) علم الرب سبحانه بالاشياء قبل كونها (المرتبة الثانية) كتابته لها قبل كونها (المرتبة الثالثة) مشيئته لها (الرابعة) خلقه لها * فاما المرتبة الاولى وهى العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم الى خاتمهم واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الامة وخالفهم مجوس الامة وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها وقد قال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالاتعلمون) قال مجاهد علم من ابليس المعصية وخلقه لها وقال قتادة كان في علمه انه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة وقال ابن مسعود أعلم مالاتعلمون من ابليس وقال مجاهد أيضا علم من ابليس انه لايسجد لآدم وقال تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى أرض تموت إن الله عليم خبير) * وفي المسند من حديث لقيط بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يارسول الله ماعندك من علم الغيب فقال ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لايعلمها الا الله وأشار بيده فقلت ماهن قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولاتعلمونه وعلم المنى حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه وعلم مافي غد قد علم ماأنت طاعم ولاتعلمه وعلم يوم الغيث يشرق عليكم مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم الى قريب قال لقيط لن نعدم من رب يضحك خيرا وعلم يوم الساعة وقد تقدم حديث على المتفق على صحته مامنكم من أحد مامن نفس منفوسة الا وقد علم مكانها من الجنة أو النار وقال البزار حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي ثنا عبيدالله بن موسى ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن

أبى سعيد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أحسبه قال يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول ويقول المعتوه أى رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود أى رب لم أدرك العمل قال فيرفع لهم نار فيقال لهم ردوها أو قال أدخلوها فيردها من كان في علم الله سعيدا ان لو أدرك العمل قال ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا ان لو أدرك العمل فيقول تبارك وتعالى إياى عصيتم فكيف رسلى بالغيب وفي الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها قالوا يارسول الله أفرأيت من يموت منهم وهو صغير قال الله أعلم بما كانوا عاملين ومعنى الحديث الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا وقد قال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم) قال ابن عباس علم مايكون قبل أن يخلقه وقال أيضا على علم قد سبق عنده وقال أيضا يريد الامر الذى سبق له في أم الكتاب وقال سعيد ابن جبير ومقاتل على علمه فيه وقال أبو اسحاق أى على ماسبق في علمه انه ضال قبل أن يخلقه وهذا الذى ذكره جمهور المفسرين وقال الثعلبى على علم منه بعاقبة أمره قال وقيل على ماسبق في علمه انه ضال قبل أن يخلقه وكذلك ذكر البغوى وابو الفرج بن الجوزى قال على علمه السابق فيه انه لا يهتدى وذكر طائفة منهم المهدوى وغيره قولين في الآية هذا أحدهما قال المهدوى فأضله الله على علم علمه منه بانه لايستحقه قال وقيل على علم من عابد الصنم انه لا ينفع ولايضر وعلى الاول يكون على علم حال من الفاعل المعنى أضله الله عالما بأنه من أهل الضلال في سابق علمه وعلى الثانى حال من المفعول أى أضله الله في حال علم الكافر بانه ضال قلت وعلى الوجه الاول فالمعنى أضله الله عالما به وباقواله وما يناسبه ويليق به ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبعده وانه أهل للضلال وليس أهلا ان يهدى وانه لوهدى لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند من لايستحقه والرب تعالى حكيم إنما يضع الاشياء في محالها اللائقة بها فانتظمت الآية على هذا القول في إثبات القدر والحكمة التى لاجلها قدر عليه الضلال وذكر العلم إذ هو الكاشف المبين لحقائق الامور ووضع الشئ في مواضعه واعطاء الخير من يستحقه ومنعه من لايستحقه فان هذا لايحصل بدون العلم فهو سبحانه أضله على علمه باحواله التى تناسب ضلاله وتقتضيه وتستدعيه وهو سبحانه كثيرا مايذكر ذلك مع اخباره بانه أضل الكافر كما قال (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون) وقال تعالى (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ومايضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (والله لايهدى القوم الظالمين) (والله لايهدى القوم الفاسقين • ان الله لايهدى من هو كاذب كفار • ويضل الله الظالمين • كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب • كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار • كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) وقد أخبر سبحانه انه يفعل ذلك عقوبة لارباب هذه الجرائم وهذا إضلال ثان بعد الاضلال الاول كما قال تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) وقال تعالى (ومايشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال (واذ قال

موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين) وقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون) أى ان تركتم الاستجابة لله ورسوله عاقبكم بان يحول بينكم وبين قلوبكم فلا تقدرون على الاستجابة بعد ذلك ويشبه هذا ان لم يكن بعينه قوله (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا) الآية وفي موضع آخر (تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) وفي هذه الآية ثلاثة أقوال أحدها قال أبو اسحاق هذا اخبار عن قوم لايؤمنون كما قال عن نوح (انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) واحتج على هذا بقوله (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) قال وهذا يدل على انه قد طبع على قلوبهم وقال ابن عباس فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بما كذبوا يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم فآمنوا كرها وأقروا باللسان وأضمروا التكذيب وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم بعد هلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم قلت وهو نظير قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقال آخرون لما جاءتهم رسلهم بالآيات التى اقترحوها وطلبوها ماكانوا ليؤمنوا بعد رؤيتها ومعاينتها بما كذبوا به من قبل رؤيتها ومعاينتها فمنعهم تكذيبهم السابق بالحق لما عرفوه من الايمان به بعد ذلك وهذه عقوبة من رد الحق أو أعرض عنه فلم يقبله فانه يصرف عنه ويحال بينه وبينه ويقلب قلبه عنه فهذا إضلال العقوبة وهو من عدل الرب في عبده وأما الاضلال السابق الذى ضل به عن قبوله أولا والاهتداء به فهو اضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده انه لايصلح للهدى ولايليق به وان محله غير قابل له فالله أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه كما هو أعلم حيث يجعل رسالته فهو أعلم حيث يجعلها أصلا وميراثا وكما انه ليس كل محل أهلا لتحمل الرسالة عنه وأدائها الى الخلق فليس كل محل أهلا لقبولها والتصديق بها كما قال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) أى ابتلينا واختبرنا بعضهم ببعض فابتلى الرؤساء والسادة بالاتباع والموالى والضعفاء فاذا نظر الرئيس والمطاع الى المولى والضعيف إنفة وأنف ان يسلم وقال هذا يمن الله عليه بالهدى والسعادة دونى قال الله تعالى (أليس الله باعلم بالشاكرين) وهم الذين يعرفون النعمة وقدرها ويشكرون الله عليها بالاعتراف والذل والخضوع والعبودية فلو كانت قلوبكم مثل قلوبهم تعرفون قدر نعمتى وتشكرونى عليها وتذكرونى بها وتخضعون لى كخضوعهم وتحبونى كحبهم لمننت عليكم كما مننت عليهم ولكن لمننى ونعمى محال لاتليق الا بها ولاتحسن الا عندها ولهذا يقرن كثيرا بين التخصيص والعلم كقوله ههنا (أليس الله باعلم بالشاكرين) وقوله (اذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتى رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته) وقوله (وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون) أى سبحانه المتفرد بالخلق والاختيار مما خلق وهو الاصطفاء والاجتباء ولهذا كان الوقف التام عند قوله ويختار ثم نفى عنهم الاختيار الذى اقترحوه بارادتهم وان ذلك ليس اليهم بل الى الخلاق العليم الذى هو أعلم بمحال الاختيار ومواضعه لامن قال (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) فاخبر سبحانه انه لايبعث الرسل باختيارهم

وان البشر ليس لهم أن يختاروا على الله بل هو الذى يخلق مايشاء ويختار ثم نفى سبحانه أن تكون لهم الخيرة كما ليس لهم الخلق ومن زعم ان ما مفعول يختار فقد غلط اذ لو كان هذا هو المراد لكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان ولا يصح المعنى ما كان لهم الخيرة فيه وحذف العائد فان العائد ههنا مجرور بحرف لم يجر الموصول بمثله فلو حذف مع الحرف لم يكن عليه دليل فلا يجوز حذفه وكذلك لم يفهم معنى الآية من قال ان الاختيار ههنا هو الارادة كما يقوله المتكلمون انه سبحانه فاعل بالاختيار فان هذا الاصطلاح حادث منهم لا يحمل عليه كلام الله بل لفظ الاختيار في القرآن مطابق لمعناه في اللغة وهو اختيار الشيء على غيره وهو يقتضى ترجيح ذلك المختار وتخصيصه وتقديمه على غيره وهذا أمر أخص من مطلق الارادة والمشيئة قال في الصحاح الخيرة الاسم من قولك خار الله لك في هذا الامر والخيرة أيضا يقول محمد خيرة الله من خلقه وخيرة الله أيضا بالتسكين والاختيار الاصطفاء وكذلك التخيير والاستخارة طلب الخيرة يقال استخر الله يخر لك وخيرته بين الشيئين فوّضت اليه الاختيار انتهى فهذا هو الاختيار في اللغة وهو أخص مما اصطلح عليه أهل الكلام ومن هذا قوله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) وقوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) أى اختار منهم وبهذا يحصل جواب السؤال الذى تورده القدرية يقولون في الكفر والمعاصى هل هى واقعة باختيار الله أم بغير اختياره فان قلتم باختياره فكل مختار مرضى مصطفى محبوب فتكون مرضية محبوبة له وان قلتم بغير اختياره لم يكن بمشيئته واختياره وجوابه ان يقال ما تعنون بالاختيار العام في اصطلاح المتكلمين وهو المشيئة والارادة أم تعنون به الاختيار الخاص الواقع في القرآن والسنة وكلام العرب وان أردتم بالاختيار الاول فهى واقعة باختياره بهذا الاعتبار لكن لا يجوز أن يطلق ذلك عليها لما في لفظ الاختيار من معنى الاصطفاء والمحبة بل يقال واقعة بمشيئته وقدرته وان أردتم بالاختيار معناه في القرآن ولغة العرب فهى غير واقعة باختياره بهذا المعنى وان كانت واقعة بمشيئته فان قيل فهل تقولون انها واقعة بارادته أم لا تطلقون ذلك قيل لفظ الارادة في كتاب الله نوعان ارادة كونية شاملة لجميع المخلوقات كقوله (فعال لما يريد) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية) وقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) ونظائر ذلك وارادة دينية أمرية لا يجب وقوع مرادها كقوله (يريد الله بكم اليسر) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) فهى مرادة بالمعنى الاول غير مرادة بالمعنى الثانى وكذلك ان قيل هل هى واقعة باذنه أم لا والاذن أيضا نوعان كونى كقوله (وما هم بضارّين به من أحد الا باذن الله) ودينى أمرى كقوله (آلله أذن لكم) وقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) ولفظ الاختيار مشتق من الخير المخالف للشر ولما كان الاصل في الحى انه يريد ما ينفعه وما هو خير سميت الارادة اختيارا وهذا يتضمن ان الارادة لا ترجح نوعا على نوع الا لمرجح رجح ذلك النوع عند الفاعل والمقصود انه يذكر العلم عند التخصيصات كقوله تعالى (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) لا خلاف بين الناس ان المعنى على علم منا بانهم أهل الاختيار فالجملة في موضع نصب على الحال أى اخترناهم عالمين بهم وباحوالهم وما يقتضى اختيارهم من قبل خلقهم ذكر سبحانه اختيارهم وحكمته في اختياره اياهم وذكر علمه الدال على مواضع حكمته واختياره ومن هذا قوله سبحانه (ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) وأصح الاقوال في الآية ان المعنى من قبل نزول التوراة فانه سبحانه قال (ولقد آتينا موسى وهرون

الفرقان وضياء وذكرا للمتقين وقال (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) ثم قال ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل ذلك ولهذا قطعت قبل عن الاضافة وبنيت لان المضاف منوى معلوم وان كان غير مذكور في اللفظ وذكر سبحانه هؤلاء الثلاثة وهم أئمة الرسل وأكرم الخلق عليه محمد وابرهيم وموسى وقد قيل من قبل أى في حال صغره قبل البلوغ وليس في اللفظ مايدل على هذا والسياق انما يقتضى من قبل ما ذكر وقيل المعنى بقوله من قبل أى في سابق علمنا وليس في الآية أيضا ما يدل على ذلك ولاهو أمر مختص بابراهيم بل كل مؤمن فقد قدر الله هداه في سابق علمه والمقصود قوله وكنابه عالمين قال البغوى انه أهل للهداية والنبوة وقال أبو الفرج أى عالمين بانه موضع لايتاء الرشد وقال صاحب الكشاف المعنى علمه به انه علم منه أحوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قدرضيها وحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في حر من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف وهذا كقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله (ولقد اخترناهم على علم) ونظيره قوله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) وقريب منه قوله (ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين) حيث وضعنا هذا التخصيص في المحل الذى يليق به من الاماكن والاناسى

﴿فصل﴾ وهو سبحانه كما هو العليم الحكيم في اختياره من يختاره من خلقه واضلاله من يضله منهم فهو العليم الحكيم بما في أمره وشرعه من العواقب الحميدة والغايات العظيمة قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون) بين سبحانه ان ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصلحة والمنفعة لهم التى اقتضت ان يختاره ويأمرهم به وهم قد يكرهونه اما لعدم العلم واما لنفور الطبع فهذا علمه بما في عواقب أمره مما لايعلمونه وذلك علمه بما في اختياره من خلقه بما لا يعلمونه فهذه الآية تضمنت الحض على التزام أمر الله وان شق على النفوس وعلى الرضا بقضائه وان كرهته النفوس وفي حديث الاستخارة اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك فانك تقدر ولاأقدر وتعلم ولاأعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلمه شرا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضنى به * ولما كان العبد يحتاج في فعل ماينفعه في معاشه ومعاده الى علم مافيه من المصلحة وقدرة عليه وتيسره له وليس له من نفسه شيء من ذلك بل علمه ممن علم الانسان مالم يعلم وقدرته منه فان لم يقدره عليه والافهو عاجز وتيسيره منه فان لم ييسره عليه والافهو متعسر عليه بعد اقداره أرشده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى محض العبودية وهو جلب الخيرة من العالم بعواقب الامور وتفاصيلها وخيرها وشرها وطلب القدرة منه فانه ان لم يقدره والافهو عاجز وطلب فضله منه فان لم ييسره له ويهيئه له والافهو متعذر عليه ثم اذا اختاره له بعلمه وأعانه عليه بقدرته ويسره له من فضله فهو يحتاج الى أن يبقيه عليه ويديمه بالبركة التى يضعها فيه والبركة تتضمن ثبوته ونموه وهذا قدر زائد على إقداره عليه وتيسيره له ثم اذا فعل ذلك كله فهو محتاج الى أن يرضيه به فانه قد يهيئ له مايكرهه فيظل ساخطا ويكون قد خار الله له فيه قال عبد الله بن عمران الرجل ليستخير الله فيختار له فيسخط على ربه فلايلبث ان ينظر في العاقبة فاذا هو قد خار له وفي المسند من

حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله عز وجل ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله فالمقدور يكتنفه امران الاستخارة قبله والرضا بعده فمن توفيق الله لعبده واسعاده اياه ان يختار قبل وقوعه ويرضى بعد وقوعه ومن خذلانه له ان لا يستخيره قبل وقوعه ولا يرضى به بعد وقوعه وقال عمر بن الخطاب لا أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لاني لا أدرى الخير فيما أحب أو فيما أكره وقال الحسن لا تكرهوا النقمات الواقعة والبلايا الحادثة فلرب امر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثره فيه عطبك

﴿فصل﴾ ومما يناسب هذا قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) بين سبحانه حكمة ما كرهوه عام الحديبية من صد المشركين لهم حتى رجعوا ولم يعتمروا وبين لهم ان مطلوبهم يحصل بعد هذا فحصل في العام القابل وقال سبحانه فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وهو صلح الحديبية وهو أول الفتح المذكور في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا فان بسببه حصل من مصالح الدين والدنيا والنصر وظهور الاسلام و بطلان الكفر مالم يكونوا يرجونه قبل ذلك ودخل الناس بعضهم في بعض وتكلم المسلمون بكلمة الاسلام و براهينه وأدلته جهرة لا يخافون ودخل في ذلك الوقت في الاسلام قريب ممن دخل فيه الى ذلك الوقت وظهر لكل أحد بغى المشركين وعداوتهم وعنادهم وعلم الخاص والعام ان محمدا وأصحابه أولى الحق والهدى وان أعداءهم ليس بأيديهم الا العدوان والعناد فان البيت الحرام لم يصد عنه حاج ولا معتمر من زمن إبراهيم فتحققت العرب عناد قريش وعداوتهم وكان ذلك داعية لبشر كثير الى الاسلام وزاد عناد القوم وطغيانهم وذلك من أكبر العون على نفوسهم وزاد صبر المؤمنين واحتمالهم والتزامهم لحكم الله وطاعة رسوله وذلك من أعظم أسباب نصرهم الى غير ذلك من الامور التى علمها الله ولم يعلمها الصحابة ولهذا سماه فتحا وسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفتح هو قال نعم

﴿فصل﴾ ويشبه هذا قول يوسف الصديق (يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) فاخبر انه يلطف لما يريده فيأتى به بطرق خفية لا يعلمها الناس واسمه اللطيف يتضمن علمه بالاشياء الدقيقة وايصاله الرحمة بالطرق الخفية ومنه التلطف كما قال أهل الكهف (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا) فكان ظاهر ما امتحن به يوسف من مفارقة أبيه والقائه في السجن وبيعه رقيقا ثم مراودة التى هو في بيتها عن نفسه وكذبها عليه وسجنه محنا ومصائب وباطنها نعما وفتحا جعلها الله سببا لسعادته في الدنيا والآخرة * ومن هذا الباب ما يبتلى به عباده من المصائب ويأمرهم به من المكاره وينهاهم عنه من الشهوات هى طرق يوصلهم بها الى سعادتهم في العاجل والآجل وقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن فالقضاء كله خير لمن أعطى الشكر والصبر جالبا ماجلب

وكذلك مافعله بآدم وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله تعالى عليهم وسلم من الامور التي هي في الظاهر محن وابتلاء وهي في الباطن طرق خفية أدخلهم بها الى غاية كمالهم وسعادتهم فتأمل قصة موسى وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون للاطفال ووحيه الى أمه ان تلقيه في اليم وسوقه بلطفه الى دار عدوه الذى قدر هلاكه على يديه وهو يذبح الأطفال في طلبه فرباه في بيته وحجره على فراشه ثم قدر له سببا أخرجه من مصر وأوصله به الى موضع لاحكم لفرعون عليه ثم قدر له سبباً أوصله به الى النكاح والغنى بعد العزوبة والعيلة ثم ساقه الى بلد عدوه فاقام عليه بهحجته ثم أخرجه وقومه في صورة الهاربين الفارين منه وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم واهلاكهم وهم ينظرون وهذا كله مما يبين انه سبحانه يفعل مايفعله لما يريده من العواقب الحميدة والحكم العظيمة التى لاتدركها عقول الخلق مع ما في ضمنها من الرحمة التامة والنعمة السابغة والتعرف الى عباده باسمائه وصفاته فكم في أكل آدم من الشجرة التى نهى عنها واخراجه بسببها من الجنة من حكمة بالغة لا تهتدى العقول الى تفاصيلها وكذلك ماقدره لسيد ولده من الامور التى أوصله بها الى اشرف غاياته وأوصله بالطرق الخفية فيها الى أحمد العواقب وكذلك فعله بعباده وأوليائه يوصل اليهم نعمه ويسوقهم الى كمالهم وسعادتهم في الطرق الخفية التى لايهتدون الى معرفتها الا اذا لاحت لهم عواقبها وهذا أمر يضيق الجنان عن معرفة تفاصيله ويحصر اللسان عن التعبير عنه وأعرف خلق الله به أنبياؤه ورسله وأعرفهم به خاتمهم وأفضلهم وأمته في العلم به على مراتبهم ودرجاتهم ومنازلهم من العلم بالله وباسمائه وصفاته وهو سبحانه قد أحاط علما بذلك كله قبل السموات والارض وقدره وكتبه عنده ثم يأمر ملائكته بكتابة ذلك من الكتاب الاول قبل خلق العبد فيطابق حاله وشانه لما كتب في الكتاب ولما كتبته الملائكة لايزيد شيئا ولا ينقص مما كتبه سبحانه وأثبته عنده كان في علمه قبل ان يكتبه ثم كتبه كما في علمه ثم وجد كما كتبه قال تعالى (ألم تعلم ان الله يعلم مافي السموات والارض إن ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) والله سبحانه قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم وماهم عاملون وماهم اليه صائرون ثم أخرجهم الى هذه الدار ليظهر معلومه الذى علمه فيهم كما علمه وابتلاهم من الامر والنهى والخير والشر بما أظهر معلومه فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق ولم يكونوا يستحقون ذلك وهى في علمه قبل أن يعملوها فأرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه اعذارا اليهم واقامة للحجة عليهم لئلا يقولوا كيف تعاقبنا على علمك فينا وهذا لايدخل تحت كسبنا وقدرتنا فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم حصل العقاب على معلومه الذى أظهره الابتلاء والاختبار وكما ابتلاهم بأمره ونهيه ابتلاهم بما زين لهم من الدنيا وبما ركب فيهم من الشهوات فذلك ابتلاء بشرعه وأمره وهذا ابتلاء بقضائه وقدره وقال تعالى (إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وقال (هو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) فاخبر في هذه الآية انه خلق السموات والارض ليبتلى عباده بامره ونهيه وهذا من الحق الذى خلق به خلقه وأخبر في الآية التى قبلها انه خلق الموت والحياة ليبتليهم أيضا فاحياهم ليبتليهم بامره ونهيه وقدر عليهم الموت الذى ينالوا به عاقبة ذلك الابتلاء من الثواب والعقاب وان خبر في الآية الاولى انه زين لهم ماعلى الارض ليبتليهم به أيهم يؤثر ماعنده عليه وابتلا بعضهم ببعض

وابتلاهم بالنعم والمصائب فاظهر هذا الابتلاء علمه السابق فيهم موجودا عيانا بعد ان كان غيبا في علمه فابتلى أبوى الانس والجن كل منهما بالآخر فاظهر ابتلاء آدم ماعلمه منه وأظهر ابتلاء إبليس ما علمه منه فلهذا قال للملائكة (انى أعلم مالاتعلمون) واستمر هذا الابتلاء في الذرية الى يوم القيامة فابتلى الانبياء بأممهم وابتلى أممهم بهم وقال لعبده ورسوله وخليله إنى مبتليك ومبتل بك وقال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) وقال (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) وفي الحديث الصحيح ان ثلاثة أراد الله أن يبتليهم أبرص وأقرع وأعمى فاظهر الابتلاء حقائقهم التى كانت في علمه قبل أن يخلقهم فاما الأعمى فاعترف بانعام الله عليه وانه كان أعمى فقيرا فاعطاه الله البصر والغنى وبذل للسائل ماطلبه شكرا لله وأما الاقرع والابرص فكلاهما جحدا ماكان عليه قبل ذلك من سوء الحال والفقر وقال في الغنى انما أوتيته كابرا عن كابر وهذا حال أكثر الناس لايعترف بماكان عليه أولا من نقص أوجهل وفقر وذنوب وان الله سبحانه نقله من ذلك الى ضد ماكان عليه وأنعم بذلك عليه ولهذا ينبه سبحانه الانسان على مبدأ خلقه الضعيف من الماء المهين ثم نقله في اطباق خلقه وأطواره من حال الى حال حتى جعله بشرا سويا يسمع ويبصر ويقول وينطق ويبطش ويعلم فنسى مبدأه وأوله وكيف كان ولم يعترف بنعم ربه عليه كما قال تعالى (أيطمع كل أمرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون) وأنت اذا تأملت ارتباط احدى الجملتين بالاخرى وجدت تحتها كنزا عظيما من كنوز المعرفة والعلم فاشار سبحانه بمبدأ خلقه مما يعلمون من النطفة ومابعدها الى موضع الحجة والآية الدالة على وجوده ووحدانيته وكماله وتفرده بالربوبية والالهية وانه لايحسن به مع ذلك أن يتركهم سدى لايرسل اليهم رسولا ولاينزل عليهم كتابا وانه لايعجز مع ذلك أن يخلقهم بعد ما أماتهم خلقا جديدا ويبعثهم الى دار يوفيهم فيها أعمالهم من الخير والشر فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم يكذبون ويكذبون رسلى ويعدلون بى خلقى وهم يعلمون من أى شئ خلقتهم ويشبه هذا قوله (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) وهم كانوا مصدقين بانه خالقهم ولكن احتج عليهم بخلقه لهم على توحيده ومعرفته وصدق رسله فدعاهم منهم ومن خلقه الى الاقرار باسمائه وصفاته وتوحيده وصدق رسله والايمان بالمعاد وهو سبحانه يذكر عباده بنعمه عليهم ويدعوهم بها الى معرفته ومحبته وتصديق رسله والايمان بلقائه كما تضمنته سورة النعم وهى سورة النحل من قوله خلق الانسان من نطفة إلى قوله (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) فذكرهم باصول النعم وفروعها وعددها عليهم نعمة نعمة وأخبر انه أنعم بذلك عليهم ليسلموا له فتكمل نعمه عليهم بالاسلام الذى هو رأس النعم ثم أخبر عمن كفره ولم يشكر نعمه بقوله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال مجاهد المساكن والأنعام وسرابيل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه بان يقولوا هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم وقال عون بن عبد الله يقولون لولا فلان لكان كذا وكذا وقال الفراء وابن قتيبة يعرفون ان النعم من الله ولكن يقولون هذه بشفاعة آلهتنا وقالت طائفة النعمة ههنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وإنكارها جحدهم نبوته وهذا يروى عن مجاهد والسدّى وهذا أقرب الى حقيقة الانكار فانه إنكار لما هو أجل النعم أن تكون نعمة وأما على القول الاول والثانى والثالث فانهم لما أضافوا النعمة الى غير الله فقد أنكروا

نعمة الله بنسبتها الى غيره فان الذى قال انما كان هذا لآبائنا ورثناه كابرا عن كابر جاحداً لنعمة الله عليه غير معترف بها وهو كالابرص والاقرع اللذين ذكرهما الملك بنعم الله عليهما فانكرا وقالا انما ورثنا هذا كابرا عن كابر فقال ان كنتما كاذبين فصيركما الله الى ما كنتما وكونها موروثة عن الآباء أبلغ في انعام الله عليهم اذ أنعم بها على آبائهم ثم ورثهم إياها فتمتعوا هم وآباؤهم بنعمة وأما قول الآخرين لولا فلان لما كان كذا فيتضمن قطع اضافة النعمة الى من لولاه لم تكن وأضافتها الى من لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا وغايته أن تكون جزء من اجزاء السبب أجرى الله تعالى نعمته على يده والسبب لا يستقل بالايجاد وجعله سببا هو من نعم الله عليه وهو المنعم بتلك النعمة وهو المنعم بما جعله من أسبابها فالسبب والمسبب من انعامه وهو سبحانه قد ينعم بذلك السبب وقد ينعم بدونه فلا يكون له أثر وقد يسلبه تسببيته وقد يجعل لها معارضا يقاومها وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه فهو وحده المنعم على الحقيقة وأما قول القائل بشفاعة آلهتنا فتضمن الشرك مع اضافة النعمة الى غير وليها فالآلهة التى تعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عند الله وهى محضرة في الهوان والعذاب مع عابديها وأقرب الخلق الى الله وأحبهم اليه لا يشفع عنده الا من بعد إذنه لمن ارتضاه فالشفاعة باذنه من نعمه فهو المنعم بالشفاعة وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتأهيل المشفوع له اذ ليس كل أحد أهلا أن يشفع له فمن المنعم على الحقيقة سواه قال تعالى (ومابكم من نعمة فمن الله) فالعبد لا خروج له عن نعمته وفضله ومنته وإحسانه طرفة عين لا في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا ذم الله سبحانه من آتاه شيئا من نعمة فقال إنما اوتيته على علم عندى وفي الآية الاخرى (واذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم) وقال البغوى على علم من الله انى له أهل وقال مقاتل على خير علمه الله عندى وقال آخرون على علم من الله انى له أهل ومضمون هذا القول ان الله آتانيه على علمه بأنى أهله وقال آخرون بل العلم له نفسه ومعناه أوتيته على علم منى بوجوه المكاسب قاله قتادة وغيره وقيل المعنى قد علمت انى لما أوتيت هذا في الدنيا فلى عند الله منزلة وشرف وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف قال تعالى بل هى فتنة أى النعم التى أوتيها فتنة نختبره فيها ومحنة نمتحنه بها لا يدل على اصطفائه واجتبائه وانه محبوب لنا مقرب عندنا ولهذا قال في قصة قارون (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) فلو كان إعطاء المال والقوة والجاه يدل على رضاء الله سبحانه عمن آتاه ذلك وشرف قدره وعلو منزلته عنده لما أهلك من آتاه من ذلك أكثر مما آتى قارون فلما أهلكهم مع سعة هذا العطاء وبسطته علم ان عطاءه انما كان ابتلاء وفتنة لا محبة ورضا واصطفاء لهم على غيرهم ولهذا قال في الآية الاخرى بل هى فتنة أى النعمة فتنة لا كرامة ولكن أكثرهم لا يعلمون ثم أكد هذا المعنى بقوله (قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا) أى قد قال هذه المقالة الذين من قبلهم لما آتيناهم نعمنا قال ابن عباس كانوا قد بطروا نعمة الله اذ آتاهم الدنيا وفرحوا بها وطغوا وقالوا هذه كرامة من الله لنا وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون المعنى انهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا ولم يكن كذلك لانهم وقعوا في العذاب ولم يغن عنهم ما كسبوا شيئا وتبين أن تلك النعم لم تكن لكرامتهم علينا وهوان من منعناه إياها وقال أبو اسحاق معنى الآية ان قولهم انما آتانا الله ذلك لكرامتنا عليه وإنا أهله أحبط أعمالهم فكنى عن إحباط العمل بقوله (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ثم أبطل

سبحانه هذا الظن الكاذب منهم بقوله (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) والمقصود ان قوله على علم عندى إن أريد به علمه نفسه كان المعنى أوتيته على ماعندى من العلم والخبرة والمعرفة التى توصلت بها الى ذلك وحصلته بها وإن أريد به علم الله كان المعنى أوتيته على ما علم الله عندى من الخير والاستحقاق وإنى أهله وذلك من كرامتى عليه وقد يترجح هـذا القول بقوله أوتيته ولم يقل حصلته واكتسبته بعلمى ومعرفتى فدل على اعترافه بان غيره آتاه إياه ويدل عليه قوله تعالى (بل هى فتنة) أى محنة واختبار والمعنى انه لم يؤت هذا لكرامته علينا بل أوتيه امتحانا منا وابتلاء واختبارا هل يشكر فيه أم يكفر وأيضا فهذا يوافق قوله (فاما الانسان اذا ماابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن) فهو قد اعترف بان ربه هو الذى آتاه ذلك ولكن ظن انه لكرامته عليه فالآية على التقدير الاول تتضمن ذم من أضاف النعم الى نفسه وعلمه وقوته ولم يضفها الى فضل الله واحسانه وذلك محض الكفر بها فان رأس الشكر الاعتراف بالنعمة وانها من المنعم وحده فاذا أضيفت الى غيره كان جحدا لها فاذا قال أوتيته على ماعندى من العلم والخبرة التى حصلت بها ذلك فقد أضافها إلى نفسه وأعجب بها كما أضافها الى قدرته الذين قالوا من أشد منا قوة فهؤلاء اغتروا بقوتهم وهذا اغتر بعلمه فما أغنى عن هؤلاء قوتهم ولا عن هذا علمه وعلى التقدير الثانى يتضمن ذم من اعتقد أن انعام الله عليه لكونه أهلا ومستحقا لها فقد جعل سبب النعمة ماقام به من الصفات التى يستحق بها على الله أن ينعم عليه وان تلك النعمة جزاء له على احسانه وخيره فقد جعل سببها مااتصف به هو لا ما قام بربه من الجود والاحسان والفضل والمنة ولم يعلم ان ذلك ابتلاء واختبار له أيشكر أم يكفر ليس ذلك جزاء على ماهو منه ولو كان ذلك جزاء على عمله أوخير قام به فالله سبحانه هو المنعم عليه بذلك السبب فهو المنعم بالمسبب والجزاء والكل محض منته وفضله وجوده وليس للعبد من نفسه مثقال ذرة من الخير وعلى التقديرين فهو لم يضف النعمة الى الرب من كل وجه وان أضافها اليه من وجه دون وجه وهو سبحانه وحده هو المنعم من جميع الوجوه على الحقيقة بالنعم وأسبابها فأسبابها من نعمه على العبد وان حصلت بكسبه فكسبه من نعمه فكل نعمة فمن الله وحده حتى الشكر فانه نعمة وهى منه سبحانه فلايطيق أحد أن يشكره الا بنعمته وشكره نعمة منه عليه كما قال داود يارب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من نعمك علىّ تستوجب شكرا آخر فقال الآن شكرتنى ياداود ذكره الامام أحمد وذكر أيضا عن الحسن قال قال داود إلهى لو ان لكل شعرة من شعرى لسانين يذكرانك بالليل والنهار والدهر كله لماأدّوا مالك علىّ من حق نعمة واحدة (والمقصود) ان حال الشاكر ضد حال القائل إنما أوتيته على علم عندى ونظير ذلك قوله (لايسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) قال ابن عباس يريد من عندى وقال مقاتل يعنى انا أحق بهذا وقال مجاهد هذا بعملى وأنا محقوق به وقال الزجاج هذا واجب بعملى استحقيته فوصف الانسان بأقبح صفتين إن مسه الشر صار الى حال القانط ووجم وجوم الآيس فاذا مسه الخير نسي ان الله هو المنعم عليه المفضل بما أعطاه فبطر وظن انه هو المستحق لذلك ثم أضاف الى ذلك تكذيبه بالبعث فقال وماأظن الساعة قائمة ثم أضاف الى ذلك ظنه الكاذب انه إن بعث كان له عند الله الحسنى فلم يدع هذا للجهل والغرور موضعا

(فصل)

﴿فصل﴾ وفي قوله تعالى (وأضله الله على علم) قول آخر انه على علم الضال كما قيل على علم منه ان معبوده لاينفع ولايضر فيكون المعنى أضله الله مع علمه الذى تقوم به عليه الحجة لم يضله على جهل وعدم علم هذا يشبه قوله (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقوله (فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقوله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقوله (وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) وقول موسى لفرعون (لقد علمت ماأنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر) وقوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقوله (فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقوله (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) ونظائره كثيرة وعلى هذا التقدير فهو ضال عن سلوك طريق رشده وهو يراها عيانا كما في الحديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فان الضال عن الطريق قد يكون متبعا لهواه عالما بان الرشد والهدى في خلاف مايعمل ولما كان الهدى هو معرفة الحق والعمل به كان له ضدان الجهل وترك العمل به فالأول ضلال في العلم والثانى ضلال في القصد والعمل فقد وقع قوله على علم في قوله تعالى (ولقد اخترناهم على علم) وفي قوله وأضله الله على علم وفي قوله قال انما أوتيته على علم فالاول يرجع العلم فيه الى الله قولا واحدا والثانى والثالث فيهما قولان والراجح في قوله وأضله الله على علم أن يكون كالاول وهو قول عامة السلف والثالث فيه قولان محتملان وقد ذكر توجيههما والله أعلم والمقصود ذكر مراتب القضاء والقدر علما وكتابة ومشيئة وخلقا

الباب الحادى عشر في ذكر المرتبة الثانية وهى مرتبة الكتابة

وقد تقدم في أول الكتاب مادل على ذلك من نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة فنذكرها هنا بعض مالم نذكره قال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين) فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لاتختص بزبور داود والذكر أم الكتاب الذى عند الله والارض الدنيا وعباده الصالحون أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هذا أصح الاقوال في هذه الآية وهى علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أخبر بذلك بمكة وأهل الارض كلهم كفار أعداء له ولأصحابه والمشركون قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم وشتتوهم في أطراف الارض فاخبرهم ربهم تبارك وتعالى انه كتب في الذكر الاول انهم يرثون الارض من الكفار ثم كتب ذلك في الكتب التى أنزلها على رسله والكتاب قد أطلق عليه الذكر في قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ فهذا هو الذكر الذى كتب فيه ان الدنيا تصير لامة محمد صلى الله عليه وسلم والكتب المنزلة قد أطلق عليها الزبر في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر) أى أرسلناهم بالآيات الواضحات والكتب التى فيها الهدى والنور والذكر ههنا الكتابان اللذان أنزلا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما التوراة والانجيل والذكر في قوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) هو القرآن ففى هذه الآية علمه بما كان قبل كونه وكتابته له بعد علمه وقال تعالى (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم

وكل شئ أحصيناه في امام مبين) فجمع بين الكتابين الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم والكتاب المقارن لأعمالهم فاخبر انه يحييهم بعد ماأماتهم للبعث ويجازيهم باعمالهم ونبه بكتابته لها على ذلك قال نكتب ماقدموا من خير أوشر فعلوه في حياتهم وآثارهم ماسنوا من سنة خير أوشر فاقتدى بهم فيها بعد موتهم وقال ابن عباس في رواية عطاء آثارهم ماأثروا من خيرأوشر كقوله (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) (فان قلت) قد استفيد هذا من قوله قدموا فما أفاد قوله آثارهم على قوله (قلت) أفاد فائدة جليلة وهو انه سبحانه يكتب ماعملوه وماتولد من أعمالهم فيكون المتولد عنها كأنهم عملوه في الخير والشر وهو أثر أعمالهم فآثارهم هى آثار أعمالهم المتولدة عنها وهذا القول أعم من قول مقاتل وكأن مقاتلا أراد التمثيل والبيان على عادة السلف في تفسير اللفظة العامة بنوع أوفرد من أفراد مدلولها تقريبا وتمثيلا لاحصرا وإحاطة وقال أنس وابن عباس في رواية عكرمة نزلت هذه الآية في بنى سلمة أرادوا أن ينتقلوا الى قرب المسجد وكانت منازلهم بعيدة فلما نزلت قالوا بل نمكث مكاننا واحتج أرباب هذا القول بما في صحيح البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يابنى سلمة دياركم تكتب آثاركم وقد روى مسلم في صحيحه نحوه من حديث جابر وأنس وفي هذا القول نظر فان سورة يس مكية وقصة بنى سلمة بالمدينة الا أن يقال هذه الآية وحدها مدنية وأحسن من هذا أن تكون ذكرت عند هذه القصة ودلت عليها وذكروا بها عندها إمامن النبى صلى الله عليه وسلم واما من جبريل فاطلق على ذلك النزول ولعل هذا مراد من قال في نظائر ذلك نزلت مرتين والمقصود أن خطاهم الى المساجد من آثارهم التي يكتبها الله لهم قال عمر بن الخطاب لوكان الله سبحانه تاركا لابن آدم شيئا لترك ماعفت عليه الرياح من أثر وقال مسروق ما خطا رجل خطوة الاكتبت له حسنة أوسيئة والمقصود ان قوله (وكل شئ أحصيناه في امام مبين) وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر الذى كتب فيه كل شئ يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها والاحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظه لها والاحاطة بعددها وإثباتها فيه وقال تعالى (وما من دابة في الارض ولاطائر يطير بجناحيه الاأمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون) وقد اختلف في الكتاب ههنا هل هو القرآن أو اللوح المحفوظ على قولين فقالت طائفة المراد به القرآن وهذا من العام المراد به الخاص أى مافرطنا فيه من شئ يحتاجون الى ذكره وبيانه كقوله (ونزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شئ) ويجوز أن يكون من العام المراد به عمومه والمراد ان كل شئ ذكر فيه مجملا ومفصلا كما قال ابن مسعود وقد لعن الواصلة والمستوصلة مالي لاألعن من لعنه الله في كتابه فقالت امرأة لقد قرأت القرآن فما وجدته فقال ان كنت قرأتيه فقد وجدته قال تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقال الشافعى مانزل بأحد من المسلمين نازلة الاوفي كتاب الله سبيل الدلالة عليها وقالت طائفة المراد بالكتاب في الآية اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه كل شئ وهذا إحدى الروايتين عن ابن عباس وكان هذا القول أظهر في الآية والسياق يدل عليه فانه قال (ومامن دابة في الارض ولاطائر يطير بجناحيه الاأمم أمثالكم) وهذا يتضمن انها أمم أمثالنا في الخلق والرزق والاكل والتقدير الاول وانها لم تخلق سدى

بل هى معبدة مذللة قد قدر خلقها وأجلها ورزقها وماتصير اليه ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها ثم قال إلى ربهم يحشرون فذكر مبدأها ونهايتها وأدخل بين هاتين الحالتين قوله (مافرطنا في الكتاب من شئ) أى كلها قد كتبت وقدرت وأحصيت قبل أن توجد فلا يناسب هذا ذكر كتاب الامر والنهى وانما يناسب ذكر الكتاب الاول* ولمن نصر القول الاول أن يجيب عن هذا بان في ذكر القرآن ههنا الاخبار عن تضمنه لذكر ذلك والاخبار به فلم نفرط فيه من شئ بل أخبرنا كم بكل ما كان وما هو كائن اجمالا وتفصيلا ويرجحه أمر آخر وهو ان هذا ذكر عقيب قوله (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لايعلمون) فنبههم على أعظم الآيات وأدلها على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الكتاب الذى يتضمن بيان كل شئ ولم يفرط فيه من شئ ثم نبههم بانهم أمة من جملة الامم التى في السموات والارض وهذا يتضمن التعريف بوجود الخالق وكمال قدرته وعلمه وسعة ملكه وكثرة جنوده والامم التى لايحصيها غيره وهذا يتضمن انه لااله غيره ولا رب سواه وانه رب العالمين فهذا دليل على وحدانيته وصفات كماله من جهة خلقه وقدره وانزال الكتاب الذى لم يفرط فيه من شئ دليل من جهة أمره وكلامه فهذا استدلال بامره وذاك بخلقه ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين* وشهد لهذا أيضا قوله (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا إليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) ولمن نصر ان المراد بالكتاب اللوح المحفوظ أن يقول لما سألوا آية أخبرهم سبحانه بانه لم يترك انزالها لعدم قدرته على ذلك فانه قادر على ذلك وانما لم ينزلها لحكمته ورحمته بهم واحسانه اليهم اذلو أنزلها على وفق اقتراحهم لعوجلوا بالعقوبة ان لم يؤمنوا ثم ذكر مايدل على كمال قدرته بخلق الامم العظيمة التى لايحصى عددها الا هو فمن قدر على خلق هذه الامم مع اختلاف أجناسها وأنواعها وصفاتها وهيئاتها كيف يعجز عن إنزال آية ثم أخبر عن كمال قدرته وعلمه بان هؤلاء الامم قد أحصاهم وكتبهم وقدر أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم في كتاب لم يفرط فيه من شئ ثم يميتهم ثم يحشرهم اليه والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات عن النظر والاعتبار الذى يؤديهم الى معرفة ربوبيته ووحدانيته وصدق رسله ثم أخبر ان الآيات لاتستقل بالهدى ولو أنزلها على وفق اقتراح البشر بل الامر كله له من يشأ يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم فهو أظهر القولين والله أعلم وقال (حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) قال ابن عباس في اللوح المحفوظ المقرى عندنا قال مقاتل ان نسخته في أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ وأم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شئ أصله والقرآن كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) واجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث ان كل كائن الى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب وقد دل القرآن على ان الرب تعالى كتب في أم الكتاب مايفعله وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله وكلامه فتبت يدا أبى لهب في اللوح المحفوظ قبل وجود أبى لهب وقوله لدينا يجوز فيه أن تكون من صلة أم الكتاب أى انه في الكتاب الذى عندنا وهذا اختيار ابن عباس ويجوز أن يكون من صلة الخبر انه على حكيم عندنا ليس هو كما عند المكذبين به أى وان كذبتم به وكفرتم فهو عندنا في غاية الارتفاع والشرف

والاحكام وقال تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) قال سعيد بن جبير ومجاهد وعطية أى ماسبق لهم في الكتاب من الشقاوة والسعادة ثم قرأ عطية (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) والمعنى ان هؤلاء أدركهم ماكتب لهم من الشقاوة وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال يريد ماسبق عليهم في علمى في اللوح المحفوظ فالكتاب على هذا القول الكتاب الاول ونصيبهم ماكتب لهم من الشقاوة وأسبابها وقال ابن زيد والقرطبى والربيع بن أنس ينالهم ماكتب لهم من الارزاق والاعمال فاذا فنى نصيبهم واستكملوه جاءتهم رسلنا يتوفونهم ورجح بعضهم هذا القول لمكان حتى التى هى للغاية يعنى انهم يستوفون أرزاقهم وأعمارهم الى الموت ولمن نصر القول الاول أن يقول حتى في هذا الموضع هى التى تدخل على الجمل ويتصرف الكلام فيها الى الابتداء كما في كقوله * فياعجبا حتى كليب تسبنى * والصحيح ان نصيبهم من الكتاب يتناول الامرين فهو نصيبهم من الشقاوة ونصيبهم من الاعمال التى هى أسبابها ونصيبهم من الاعمار التى هى مدة اكتسابها ونصيبهم من الارزاق التى استعانوا بها على ذلك فعمت الآية هذا النصيب كله وذكر هؤلاء بعضه وهؤلاء بعضه هذا على القول الصحيح وان المراد ماسبق لهم في أم الكتاب وقالت طائفة المراد بالكتاب القرآن قال الزجاج معنى نصيبهم من الكتاب ما أخبر الله من جزائهم نحو قوله (فانذرتكم نارا تلظى) وقوله يسلكه عذابا صعدا) قال أرباب هذا القول وهذا هو الظاهر لانه ذكر عذابهم في القرآن في مواضع ثم أخبر انه ينالهم نصيبهم منه والصحيح القول الاول وهو نصيبهم الذى كتب لهم أن ينالوه قبل أن يخلقوا ولهذا القول وجه حسن وهو أن نصيب المؤمنين منه الرحمة والسعادة ونصيب هؤلاء منه العذاب والشقاء فنصيب كل فريق منه ما اختاروه لانفسهم وآثروه على غيره كما ان حظ المؤمنين منه كان الهدى والرحمة فحظ هؤلاء منه الضلال والخيبة فكان حظهم من هذه النعمة أن صارت نقمة وحسرة عليهم وقريب من هذا قوله (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) أى تجعلون حظكم من هذا الرزق الذى به حياتكم التكذيب به قال الحسن تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن انكم تكذبون قال وخسر عبد لايكون حظه من كتاب الله الا التكذيب به وقال تعالى (وكل شئ فعلوه في الزبر) قال عطاء ومقاتل كل شئ فعلوه مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ وروى حماد بن زيد عن داود بن أبى هند عن الشعبى وكل شئ فعلوه في الزبر قال كتب عليهم قبل أن يعملوه وقالت طائفة المعنى انه يحصى عليهم في كتب أعمالهم وجمع أبو اسحاق بين القولين فقال مكتوب عليهم قبل أن يفعلوه ومكتوب عليهم اذا فعلوه للجزاء وهذا أصح وبالله التوفيق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال مارأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه وفي الصحيح أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق الفرج ذلك كله ويكذبه وفي صحيح البخارى وغيره عن عمران بن حصين قال دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فاتاه ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يابنى تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا

مرتين ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذلم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يارسول الله قالوا جئنا لنسألك عن هذا الامر قال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ وخلق السموات والارض فنادى مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فاذا هي ينقطع دونها السراب فوالله لوددت انى كنت تركتها فالرب سبحانه كتب مايقوله ومايفعله ومايكون بقوله وفعله وكتب مقتضى أسمائه وصفاته وآثارها كما في الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى

الباب الثاني عشر

فى ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهى مرتبة المشيئة

وهذه المرتبة قد دل عليها اجماع الرسل من أولهم الى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان وليس في الوجود موجب ومقتض الامشيئة الله وحده فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذى لايقوم الا به والمسلمون من أولهم الى آخرهم مجمعون على انه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وان كان منهم في موضع آخر فجوزوا أن يكون في الوجود مالايشاء الله وان يشاء مالايكون وخالف الرسل كلهم واتباعهم من نفى مشيئة الله بالكلية ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختيارا أوجدبها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة واتباعهم والقرآن والسنة مملوآن بتكذيب الطائفتين فقوله تعالى (ولوشاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد) وقال تعالى (كذلك يفعل الله مايشاء) وقال (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولوشاء ربك ما فعلوه فذرهم ومايفترون) وقال (ولوشاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) وقال (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) وقال (ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) وقال (ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها) وقال (ولوشاء الله لانتصر منهم) وقال (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) وقال (فان يشأ الله يختم على قلبك) وقال (ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) وقال (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقال عن نوح انه قال لقومه (انما يأتيكم به الله ان شاء) وقال امام الحنفاء وأبو الانبياء لقومه (ولاأخاف ماتشركون به الاأن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شئ علما) وقال الذبيح له (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) وقال خطيب الانبياء شعيب (ومايكون لنا أن نعود فيها الاأن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا) وقال الصديق الكريم ابن الكريم ابن الكريم (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) وقال حموموسى (وماأريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) وقال كليم الرحمن للخضر (ستجدنى ان شاء الله صابراً ولاأعصى لك أمرا) وقال قوم موسى له (وانا ان شاء الله لمهتدون) وقال لسيد ولد آدم وأكرمهم عليه (ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الاأن يشاء الله) وقال (قل لاأملك لنفسى ضراً ولانفعا الاماشاء الله) وقال عن أهل

الجنة (خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) وعن أهل النار كذلك ليبين ان الامر راجع الى مشيئته ولوشاء لكان غيرذلك وقال(ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أوان يشأ يعذبكم) وقال (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وقال (ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر مايشاء) وقال(ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)وقال(يمحو الله مايشاء ويثبت)وقال(من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)وقال(وماأرسلنا من رسول الابلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم)وقال(ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقال(ولكن جعلناه نورانهدى به من نشاء من عبادنا)وقال(قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)وقال(قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولاأدراكم به) وقال(نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذاشئنا بدلنا امثالهم تبديلا)وقال(ومايذكرون الاأن يشاء الله)وفي الآية الاخرى(وماتشاؤن الاأن يشاء الله)فاخبرأن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم هذاوهذا وقال(قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء)وقال(والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم)وقال(ويعذب المنافقين ان شاء أويتوب عليهم)وقوله(يختص برحمته من يشاء)وقوله (ولكن الله يزكى من يشاء) وقوله (والله يضاعف لمن يشاء) وقوله (نصيب برحمتنا من نشاء)وقوله(نرفع درجات من نشاء)وقوله(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)وقوله(ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)وقوله(فننجى من نشاء)وقوله(فيبسطه في السماء كيف يشاء)وقوله(ان ربى لطيف لما يشاء) وقوله(يؤتى الحكمة من يشاء)وقوله(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم)وقوله(ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) وقوله(أن يشأ يسكن الريح) وقوله (لو نشاء لجعلناه حطاماء لو نشاء لجعلناه أجاجا) وقوله (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء)وقوله(ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء) وقوله(ولوشاء الله لأعنتكم)وقوله(الله يجتبي اليه من يشاء)وقوله عن كليمه موسى(ان هى الافتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتى الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم وهو سبحانه تارة يخبرأن كل مافي الكون بمشيئته وتارة ان مالم يشأ لم يكن وتارة انه لوشاء لكان خلاف الواقع وانه لوشاء لكان خلاف القدر الذى قدره وكتبه وانه لوشاء ماعصى وانه لوشاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة فتضمن ذلك ان الواقع بمشيئته وان مالم يقع فهو لعدم مشيئته وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين وكونه القيوم القائم بتدبير عباده فلا خلق ولارزق ولاعطاء ولامنع ولاقبض ولابسط ولا موت ولاحياة ولاإضلال ولاهدى ولاسعادة ولاشقاوة الابعد إذنه وكل ذلك بمشيئته وتكوينه اذلا مالك غيره ولامدبر سواه ولارب غيره قال تعالى(وربك يخلق مايشاء ويختار) وقال (ونقر في الارحام مانشاء)وقال(في أى صورة ماشاء ركبك)وقال(لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أويزوجهم ذكرانا وإناثاويجعل من يشاء عقيما)وقال (يهدى الله لنوره من يشاء)وتقدم في حديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم في شأن الجنين فيقضى ربك مايشاء ويكتب الملك وفي صحيح البخارى من حديث أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه مايشاء وفي صحيح البخارى من حديث على بن أبى طالب

حين طرقه النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة ليلا فقال الا تصليان فقال على انما أنفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا وفي صحيحه أيضا في قصة نومهم في الوادى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء وفي حديث ابن مسعود الذى في المسند وغيره في قصة رجوعهم من الحديبية ونومهم عن صلاة الصبح فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لوشاء لم تناموا عنها ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم فهكذا لمن نام ونسى وفي لفظ آخر ان الله سبحانه لوشاء أيقظنا ولكنه أراد أن يكون لمن بعدكم وفي مسند الامام أحمد عن طفيل بن سخيرة أخى عائشة لامها انه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال من أنتم قالوا نحن اليهود قال انكم أنتم القوم لولا انكم تزعمون ان عزيرا ابن الله فقالت اليهود وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد ثم مر برهط من النصارى فقال من أنتم قالوا نحن النصارى قال انكم أنتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وأنتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد فلما أصبح أخبر بها من أخبر ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أخبرت أحدا قال نعم فلما صلوا خطبهم فحمد الله واثنى عليه فقال ان طفيلا رأى رؤيا فاخبر بها من أخبر منكم وإنكم تقولون كلمة كان يمنعنى الحياء منكم زاد البيهقى فلا تقولوها ولكن قولوا ماشاء الله وحده لاشريك له وروى جعفر عن عون عن الاجلح عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال الرجل لرسول الله ماشاء الله وشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجعلتنى لله عدلا بل ماشاء الله وحده وروى سعيد عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان قال الشافعى في رواية الربيع عنه المشيئة ارادة الله قال الله عز وجل (وماتشاؤن الأأن يشاء الله) فأعلم الله خلقه ان المشيئة له دون خلقه وان مشيئتهم لاتكون الاأن يشاء الله فيقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله ثم شئت ولايقال ماشاء الله وشئت قال ويقال من يطع الله ورسوله فان الله تعبد العباد بان فرض عليهم طاعة رسوله فاذا أطيع رسول الله فقد أطيع الله بطاعة رسوله وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك وفي حديث النواس بن سمعان سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول مامن قلب الا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيما سلف من الامم قبلكم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وذكر الحديث وقال في آخره فذلك فضلى أوتيه من أشاء وفي صحيح البخارى مرفوعا مثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء وقال عبد الرزاق عن معمر عن همام هذا ماحدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى لايقل ابن آدم ياخيبة الدهر فانى أنا الدهر أرسل الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما قال الشافعى تأويله والله أعلم ان العرب كان شأنها

أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أوهرم أوتلف أوغير ذلك فيقولون انما
يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون أصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر فيجعلون الليل
والنهار يفعلان الأشياء فيذمون الدهر بانه الذي يفنيهم ويفعل بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاتسبوا الدهر على انه الذي يفنيكم والذي يفعل بكم هذه الاشياء فانكم اذا سببتم فاعل هذه الاشياء
فانما تسبون الله تبارك وتعالى فانه فاعل هذه الاشياء وفي حديث أنس يرفعه اطلبوا الخير دهركم
كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فان لله عز وجل سحائب من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده
وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال
كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال تبايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئا ولاتزنوا ولاتسرقوا فمن
وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك
شيئا فستره الله فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفرله وفيهما أيضا من حديث احتجاج الجنة والنار
قول الله للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء وللنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء وفيه أيضا من
حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لايقل أحدكم اللهم اغفرلي ان شئت وارحمني ان
شئت وأرزقني ان شئت ليعزم مسئلته انه يفعل مايشاء لامكره له وفي صحيح مسلم عنه يرفعه المؤمن
القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ماينفعك واستعن بالله
ولاتعجز وان أصابك شيء فلاتقل لواني فعلت كذاوكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فان لو تفتح عمل
الشيطان وفي حديث أبي ذر ياعبادي كلكم ضال الامن هديته الحديث وفي آخره ذلك باني جواد افعل
ماشاء عطائي كلام فاذا أردت شيئا فانما أقول له كن فيكون وفي حديث أنس بن مالك عن النبي صلى
الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولد فيقول ماشاء الله لاقوة الا بالله فيرى فيه
آية دون الموت وهذا الحديث الصحيح مشتق من قوله تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله
لاقوة الابالله) وفي حديث الشفاعة فاذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني وفي
حديث آخر أهل الجنة دخولا اليها فيسكت ماشاء الله أن يسكت وفيه قوله سبحانه لاأهزأ بك ولكني
على ماأشاء قدير والحديثان في الصحيحين وفيهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لكل
نبي دعوة فاريدان شاء الله ان أختبي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وقال لايدخل النار ان شاء الله من
أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد وقال اني لأطمع أن يكون حوضي ان شاء الله أوسع ما بين أيلة الى
كذا وقال في المدينة لايدخلها الطاعون ولا الدجال ان شاء الله وقال في زيارة المقابر وإنا ان شاء الله بكم
لاحقون وقال لما حاصر الطائف انا قافلون غدا ان شاء الله وقال لما قدم مكة منزلنا غدا ان شاء الله
بخيف بني كنانة وقال يوم بدر هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان ان شاء الله
وقال في بعض أسفاره انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم ثم انكم تأتون الماء غدا ان شاء الله وقال
للاعرابي الذي عاده من الحمى لابأس طهور ان شاء الله وأخبر عن سليمان بن داود انه قال لاطوفن
الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تاتي بفارس يقاتل في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم
يقل فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الذي نفس محمد
بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وقال من حلف فقال ان شاء الله فان

شاء مضى وان شاء رجع غير حنث وقال لاغزون قريشا ثم قال في الثالثة ان شاء الله وقال الامشمر للجنة فقالت الصحابة نحن المشمرون لها يارسول الله فقال قولوا ان شاء الله وقال تعالى (واذ كر ربك اذا نسيت) قال الحسن اذا نسيت ان تقول ان شاء الله وهذا هو الاستثناء الذى كان يجوزه ابن عباس متراخيا ويتأول عليه الآية لاالاستثناء في الاقرار واليمين والطلاق والعتاق وهذا من كمال علم ابن عباس وفقهه في القرآن وقد أجمع المسلمون على ان الحالف اذا استثنى في يمينه متصلا بها فقال لا فعلن كذا أولاأفعله ان شاء الله انه لايحنث اذا خالف ماحلف عليه لان من أصل أهل الاسلام انه لايكون شئ الا بمشيئة الله فاذا علق الحالف الفعل أو الترك بالمشيئة لم يحنث عند عدم المشيئة ولا تجب عليه الكفارة ولو ذهبنا نذكر كل حديث أو أثر جاء فيه لفظ المشيئة وتعليق فعل الرب بها لطال الكتاب جدا واما الارادة فورودها في نصوص القرآن والسنة معلوم أيضا كقوله (فعال لما يريد • فاراد ربك أن يبلغا أشدهما • واذا أردنا أن نهلك قرية • يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر • انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون • ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) وقول نوح (ولا ينفعكم نصحى ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) وقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله (واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) وأخبر انه اذا لم يرد تطهير قلوب عباده لم يكن لهم سبيل الى تطهيرها فقال (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وقال (وان الله يهدى من يريد• وان الله يحكم مايريد) وقال (مايريد • ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وقوله (فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعا) وقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وقوله (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوء أو أراد بكم رحمة) وقول صاحب يس (أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون وقوله (قل أرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته) وقوله (يريد الله أن لايجعل لهم حظا في الآخرة) وقوله (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) والنصوص النبوية في اثبات ارادة الله أكثر من ان تحصر كقوله من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين من يرد الله به خيرا يصب منه اذا أراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق اذا أراد الله رحمة امة قبض نبيها قبلها اذا أراد الله هلكة أمة عذبها ونبيها حى فأقر عينه بهلكها اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا اذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه توبته حتى يوافي يوم القيامة كأنه عير اذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له اليها حاجة اذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب الرفق اذا أراد الله بقوم عذابا أصاب من كان فيهم ثم بعثوا على بناتهم والآثار النبوية في ذلك أكثر من ان نستوعبها

﴿ فصل ﴾ وههنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علما وهو ان الله سبحانه له الخلق والامر وأمره سبحانه نوعان أمر كونى قدرى وأمر دينى

شرعى فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكونى وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه كله داخل تحت مشيئته كما خلق ابليس وهو يبغضه وخلق الشياطين والكفار والاعيان والافعال المسخوطة له وهو يبغضها فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله واما محبته ورضاه فتعلقة بامره الدينى وشرعه الذى شرعه على ألسنة رسله فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والانبياء والمؤمنين ومالم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الدينى ولم تتعلق به مشيئته وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصى تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الدينى ومالم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته فلفظ المشيئة كونى ولفظ المحبة دينى شرعى ولفظ الارادة ينقسم الى ارادة كونية فتكون هى المشيئة وارادة دينية فتكون هى المحبة اذا عرفت هذا فقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) وقوله (لا يحب الفساد) وقوله (ولا يريد بكم العسر) لايناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره فان المحبة غير المشيئة والامر غير الخلق ونظير هذا لفظ الامر فانه نوعان أمر تكوين وأمر تشريع والثانى قد يعصى ويخالف بخلاف الاول فقوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) لايناقض قوله (ان الله لايأمر بالفحشاء) ولا حاجة الى تكلف تقدير أمرنا مترفيها بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها بل الامر ههنا أمر تكوين وتقدير لاأمر تشريع لوجوه أحدها ان المستعمل في مثل هذا التركيب أن يكون مابعد الفاء هو المأمور به كما تقول أمرته فقام وأمرته فاكل كالوصرح بلفظة افعل كقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وهذا كما تقول دعوته فاقبل وقال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) الثانى ان الامر بالطاعة لايخص المترفين فلا يصح حمل الآية عليه بل تسقط فائدة ذكر المترفين فان جميع المبعوث اليهم مأمورون بالطاعة فلا يصح أن يكون أمر المترفين علة اهلاك جميعهم الثالث ان هذا النسق العجيب والتركيب البديع مقتض ترتب مابعد الفاء على ماقبلها ترتب المسبب على سببه والمعلول على علته ألا ترى ان الفسق علة حق القول عليهم وحق القول عليهم علة لتدميرهم فهكذا الامر سبب لفسقهم ومقتض له وذلك هو أمر التكوين لاالتشريع الرابع ان ارادته سبحانه لاهلاكهم انما كانت بعد معصيتهم ومخالفتهم لرسله فمعصيتهم ومخالفتهم قد تقدمت فأراد الله اهلاكهم فعاقبهم بان قدر عليهم الاعمال التى يتحتم معها هلاكهم فان قيل فمعصيتهم السابقة سبب لهلاكهم فما الفائدة في قوله (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) وقد تقدم الفسق منهم قيل المعصية السابقة وان كانت سببا للهلاك لكن يجوز تخلف الهلاك عنها ولا يتحتم كما هو عادة الرب تعالى المعلومة في خلقه انه لايتحتم هلاكهم بمعاصيهم فاذا أراد اهلاكهم ولابد احدث سببا آخر يتحتم معه الهلاك ألا ترى ان ثمود لم يهلكهم بكفرهم السابق حتى أخرج لهم الناقة فعقروها فأهلكوا حينئذ وقوم فرعون لم يهلكم بكفرهم السابق بموسى حتى أراهم الآيات المتتابعات واستحكم بغيهم وعنادهم فحينئذ اهلكوا وكذلك قوم لوط لما أراد هلاكهم أرسل الملائكة الى لوط في صورة الاضياف فقصدوهم بالفاحشة ونالوا من لوط وتواعدوه وكذلك سائر الامم اذا اراد الله هلاكها احدث لها بغيا وعدوانا يأخذها على أثره وهذه عادته مع عباده عموما وخصوصا فيعصيه العبد وهو يحلم عنه ولا يعاجله حتى اذا أراد أخذه قيض له عملا يأخذه به مضافا الى أعماله الاولى فيظن الظان انه أخذه بذلك العمل وحده وليس كذلك بل حق عليه القول بذلك وكان قبل ذلك

لم يحق عليه القول باعماله الاولى حيث عمل مايقتضى ثبوت الحق عليه ولكن لم يحكم به أحكم الحاكمين ولم يمض الحكم فاذا عمل بعد ذلك مايقرر غضب الرب عليه أمضى حكمه عليه وأنفذه قال تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقد كانوا قبل ذلك أغضبوه بمعصية رسوله ولكن لم يكن غضبه سبحانه قد استقر واستحكم عليهم اذكان بصدد أن يزول بإيمانهم فلما أيس من ايمانهم تقرر الغضب واستحكم فحلت العقوبة فهذا الموضع من أسرار القرآن وأسرار التقدير الالهى وفكر العبد فيه من أنفع الامور له فانه لايدرى أى المعاصى هى الموجبة التى يحتم عندها عقوبته فلايقال بعدها والله المستعان وسنعقد لهذا الفصل بابا في الفرق بين القضاء الكونى والدينى نشبع الكلام فيه ان شاء الله لشدة الحاجة اليه اذ المقصود في هذا الباب مشيئة الرب وانها الموجبة لكل موجود كما ان عدم مشيئته موجب لعدم وجود الشئ فهما الموجبتان ماشاء الله وجب وجوده ومالم يشاء وجب عدمه وامتناعه وهذا أمر يعم كل مقدور من الاعيان والافعال والحركات والسكنات فسبحانه أن يكون في مملكته مالايشاء أو أن يشاء شيئا فلا يكون وان كان فيها مالايحبه ولايرضاه وان كان يحب الشئ فلايكون لعدم مشيئته له ولوشاءه لوجد

الباب الثالث عشر فى ذكر المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهى مرتبة خلق الله سبحانه الاعمال وتكوينه وايجاده لها

وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم وعليه اتفقت الكتب الالهيه والفطر والعقول والاعتبار وخالف في ذلك مجوس الامة فاخرجت طاعات ملائكته وانبيائه ورسله وعباده المؤمنين وهى أشرف مافي العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته بل جعلوهم هم الخالقون لها ولاتعلق لها بمشيئته ولاتدخل تحت قدرته وكذلك قالوا فى جميع أفعال الحيوانات الاختيارية فعندهم انه سبحانه لايقدر أن يهدى ضالا ولايضل مهتديا ولايقدر أن يجعل المسلم مسلما والكافر كافرا والمصلى مصليا وانما ذلك بجعلهم أنفسهم كذلك لابجعله تعالى وقد نادى القرآن بل الكتب السماوية كلها والسنة وأدلة التوحيد والعقول على بطلان قولهم وصاح بهم أهل العلم والايمان من أقطار الارض وصنف حزب الاسلام وعصابة الرسول وعسكره التصانيف في الرد عليهم وهى اكثر من أن يحصيها الا الله ولم تزل أيدى السلف وائمة السنة في أقفيتهم ونواصيهم تحت أرجلهم إذكانوا يردون باطلهم بالحق المحض وبدعتهم بالسنة والسنة لايقوم لها شئ فكانوا معهم كالذمة مع المسلمين الى أن نبغت نابغة ردوا بدعتهم ببدعة تقابلها وقابلوا باطلهم بباطل من جنسه وقالوا العبد مجبور على أفعاله مقهور عليها لاتأثير له في وجودها البتة وهى واقعة بارادته واختياره وغلا غلاتهم فقالوا بل هى عين أفعال الله ولا ينسب الى العبد الاعلى المجاز والله سبحانه يلوم العبد ويعاقبه ويخلده في النار على مالم يكن للعبد فيه صنع ولا هو فعله بل هو محض فعل الله وهذا قول الجبرية وهو انلم يكن شرا من القدرية فليس هو بدونه في البطلان واجماع الرسل واتفاق الكتب الالهية وأدلة العقول والفطر والعيان يكذب هذا القول ويرده والطائفتان في عمى عن الحق القويم والصراط المستقيم ولما رأى القاضى وغيره بطلان هذا القول وتناقضه للشرائع والعدل والجبلة قالوا قدرة العبد وان لم تؤثر في وجود الفعل فهى مؤثرة في صفة من صفاته

وتلك الصفة تسمى كسبا وهى متعلق الامر والنهى والثواب والعقاب فان الحركة التى هى من طاعته والحركة التى هى من معصيته قد اشتركا في نفس الحركة وامتازت إحداهما عن الأخرى بالطاعة والمعصية فذات الحركة ووجودها واقع بقدرة الله وايجاده وكونها طاعة ومعصية واقع بقدرة العبد وتأثيره وهذا وان كان أقرب الي الصواب فالقائل به لم يوفه حقه فان كونها طاعة ومعصية هو موافقة الامر ومخالفته فهذه الموافقة والمخالفة إما أن تكون فعلا للعبد يتعلق بقدرته واختياره وان كان لم يكن للعبد اختيار ولا فعل ولا كسب البتة فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمرا معقولا ولهذا يقال محالات الكلام ثلاثة كسب الاشعرى وأحوال أبى هاشم وطفرة النظام ولما رأى طائفة فساد هذا قالوا المؤثر في وجود الفعل هو قدرة الرب على سبيل الاستقلال قالوا ولا يمتنع اجتماع المؤثرين على أثر واحد ولم يستوحش هؤلاء من القول بوقوع مفعول بين فاعلين ولا مقدور بين قادرين قالوا كما يمتنع وقوع معلوم بين عالمين ومراد بين مريدين ومحبوب بين محبوبين ومكروه بين مكروهين قالوا ونحن نشاهد قادرين مستقلين كل منهما يمكنه أن يستقل بالفعل يقع بينهما مفعول واحد يشتركان في فعله والتأثير فيه قالوا وليس معكم مايبطل هذا القول لكم ان اضافته الى أحدهما على سبيل الاستقلال يمنع اضافته الى الآخر واضافته اليهما وفي هذه الحجة اجمال لابد له من تفصيل فيجوز وقوع مفعول بين فاعلين لايستقل أحدهما به كالمتعاونين على الامر لايقدر عليه أحدهما وحده ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين يشتركان فيه كل منهما يستقل به على سبيل البدل وهذا ظاهر أيضا ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين يشتركان فيه وكل منهما يقدر عليه حال الانفراد كمحمول يحمله اثنان كل منهما يمكنه أن يستقل بحمله وحده وكل هذه الاقسام ممكنة بل واقعة بقي قسم واحد وهو مفعول بين فاعلين كل منهما فعله على سبيل الاستقلال فهذا محال فان استقلال كل منهما بفعله ينفي فعل الآخر له فاستقلالهما ينافي استقلالهما وأكثر الطوائف يقر بوقوع مقدور بين قادرين وان اختلفوا في كيفية وقوعه • فقالت طائفة الفعل يضاف الى قدرة الله سبحانه على وجه الاستقلال بالتأثير ويضاف الى قدرة العبد لكنها غير مستقلة فاذا انضمت قدرة الله الى قدرة العبد صارت قدرة العبد مؤثرة على سبيل الاستقلال بتوسط اعانة قدرة الله وجعل قدرة العبد مؤثرة والقائل بهذا لم يتخلص من الخطأ حيث زعم أن قدرة العبد مستقلة باعانة قدرة الله له فعاد الامر الى اجتماع مؤثرين على أثر واحد لكن قدرة أحدهما وتأثيره مستند الى قدرة الآخر وتأثيره وكأنه والله أعلم أراد أن قدرة الرب مستقلة بالتأثير في ايجاد الفعل وهذا قد قاله طائفة من العلماء وقائل هذا لم يتخلص من الخطأ حيث جعل قدرة العبد مستقلة بالتأثير في ايجاد المقدور وهذا باطل اذ غاية قدرة العبد أن تكون سببا بل جزأ من السبب والسبب لايستقل بحصول المسبب ولا يوجبه وليس في الوجود ما يوجب حصول المقدور الا مشيئة الله وحده وأصحاب هذا القول زعموا ان الله أعطى العبد قدرة وارادة وفوض اليه بهما الفعل والترك وخلاه ومايريد فهو يفعل ويترك بقدرته وارادته اللتين فوض اليه الفعل والترك بهما وقالت طائفة أخرى مقدور العبد هو عين مقدور الرب بشرط أن يفعله العبد اذا تركه الرب ولم يفعله لا على أنه يفعله والرب له فاعل لاستحالة خلق بين خالقين وهذا بعينه مذهب من يقول بوقوع مفعول بين فاعلين على سبيل وهذا مذهب كثير من القدرية منهم الشحام وغيره

وقالت

وقالت طائفة يجوز وقوع فعل بين فاعلين بنسبتين مختلفتين باحدهما يكون محدثا وبالأخرى يكون كاسبا وهذا مذهب النجار وضرار بن عمرو ومحمد بن عيسى بن حفص والفرق بين هذا المذهب ومذهب الاشعريين من وجهين أحدهما ان صاحب هذا المذهب يقول العبد فاعل حقيقة وان لم يكن محدثا مخترعا للفعل والاشعرى يقول العبد ليس بفاعل وان نسب اليه الفعل وانما الفاعل في الحقيقة هو الله فلا فاعل سواه الثانى أنهم يقولون الرب هو المحدث والعبد هو الفاعل وقالت فرقة بل أفعال العباد فعل لله على الحقيقة وفعل العبد على المجاز وهذا أحد قولي الاشعرى وقالت فرقة أخرى منهم القلانسى وأبو اسحاق في بعض كتبه انها فعل لله على الحقيقة وفعل الانسان على الحقيقة لا على معنى انه أحدثها بل على معنى انه كسب له وقالت طائفة أخرى وهم جهم واتباعه ان القادر على الحقيقة هو الله وحده وهو الفاعل حقا ومن سواه ليس بفاعل على الحقيقة ولا كاسب أصلا بل هو مضطر الى جميع مافيه من حركة وسكون وقول القائل قام وقعد وأكل وشرب مجاز بمنزلة مات وكبر ووقع وطلعت الشمس وغربت وهذا قول الجبرية الغلاة وقابله طائفة أخرى فقالوا العباد موجدون لافعالهم مخترعون لها بقدرهم وارادتهم والرب لايوصف بالقدرة على مقدور العبد ولا تدخل افعالهم تحت قدرته كما لايوصف العباد بمقدور الرب ولا تدخل أفعاله تحت قدرهم وهذا قول جمهور القدرية وكلهم متفقون على ان الله سبحانه غير فاعل لافعال العباد واختلفوا هل يوصف بانه مخترعها ومحدثها وانه قادر عليها وخالق لها فجمهورهم نفوا ذلك ومن يقرب منهم الى السنة أثبت كونها مقدورة لله وان الله سبحانه قادر على أعيانها وان العباد أحدثوها باقدار الله لهم على احداثها وليس معنى قدرة الله عليها عندهم انه قادر على فعلها هذا عندهم عين المحال بل قدرته عليها إقدارهم على احداثها فأنما أحدثوها بقدرته واقداره وتمكينه وهؤلاء أقرب القدرية الى السنة وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب وبعضهم أقرب الى الصواب وبعضهم أقرب الى الخطأ وأدلة كل منهم وحججه انما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الاخرى لا على ابطال ماأصابوا فيه فكل دليل صحيح للجبرية انما يدل على اثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته وانه لاخالق غيره وانه على كل شئ قدير لايستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفى أن يكون العبد قادرا مريدا فاعلا بمشيئته وقدرته وانه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به وانها فعل له لا لله وانها قائمة به لا بالله وكل دليل صحيح يقيمه القدرية فانما يدل على ان أفعال العباد فعل لهم قائم بهم واقع بقدرتهم ومشيئتهم وارادتهم وانهم مختارون لها غير مضطرين ولا مجبورين وليس معهم دليل صحيح ينفى أن يكون الله سبحانه قادراً على أفعالهم وهو الذى جعلهم فاعلين فادلة الجبرية متظافرة صحيحة على من نفى قدرة الرب سبحانه على كل شئ من الاعيان والافعال ونفى عموم مشيئته وخلقه لكل موجود وأثبت في الوجود شيئا بدون مشيئته وخلقه وأدلة القدرية متظافرة صحيحة على من نفى فعل العبد وقدرته ومشيئته واختياره وقال انه ليس بفاعل شيئا والله يعاقبه على مالم يفعله ولا له قدرة عليه بل هو مضطر اليه مجبور عليه وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الايمان لامع هؤلاء ولامع هؤلاء بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه الى بعض والقول

به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه ونفي باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة
أهله من هذا الوجه فهم حكام بين الطوائف لايتحيزون الى فئة منهم على الاطلاق ولايردون حق
طائفة من الطوائف ولا يقابلون بدعة ببدعة ولا يردون باطلا بباطل ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم
ويكفرونهم على أن لايعدلوا فيهم بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالاتهم بالعدل والله سبحانه
وتعالى أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف فقال(فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم
وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم)فأمره سبحانه أن يدعو الى دينه وكتابه
وأن يستقيم في نفسه كما أمره وأن لايتبع هوى أحد من الفرق وأن يؤمن بالحق جميعه لايؤمن
ببعضه دون بعض وأن يعدل بين أرباب المقالات والديانات وأنت اذا تأملت هذه الآية وجدت
أهل الكلام الباطل وأهل الاهواء والبدع من جميع الطوائف أبخس الناس منها حظا وأقلهم نصيبا
ووجدت حزب الله ورسوله وأنصار سنته هم أحق بها وأهلها وهم في هذه المسئلة وغيرها من المسائل
أسعد بالحق من جميع الطوائف فانهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الاعيان والافعال
ومشيئته العامة وينزهونه أن يكون في ملكه مالا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ويثبتون القدر
السابق وأن العباد يعملون على ماقدره الله وقضاه وفرغ منه وأنه لايشاؤن الا أن يشاء الله ولا
يفعلون الا من بعد مشيئته وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين
بوجه من الوجوه والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه فلا يتحرك ذرة فما فوقها الا
بمشيئته وعلمه وقدرته فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة الا بالله على الحقيقة اذ قالها غيرهم على المجاز
اذ العالم علويه وسفليه وكل حي يفعل فعلا فان فعله بقوة فيه على الفعل وهو في حول من ترك الى
فعل ومن فعل الى ترك ومن فعل الى فعل وذلك كله بالله تعالى لابالعبد ويؤمنون بان من يهده الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وانه هو الذي يجعل المسلم مسلما والكافر كافرا والمصلى مصليا
والمتحرك متحركا وهو الذي يسير عبده في البر والبحر وهو المسير والعبد السائر وهو المحرك والعبد
المتحرك وهو المقيم والعبد القائم وهو الهادى والعبد المهتدى وانه المطعم والعبد الطاعم وهو المحيي
المميت والعبد الذي يحيي ويموت ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وارادته واختياره وفعله حقيقة لامجازا
وهم متفقون على ان الفعل غير المفعول كما حكاه عنهم البغوى وغيره فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم
حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة والذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيئته
وتكوينه والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون
حقيقة وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم ومشيئته وفعله
بعد مشيئته فما يشاؤن الا أن يشاء الله وما يفعلون الا أن يشاء الله واذا وازنت بين هذا المذهب
وبين ماعداه من المذاهب وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ووجدت سائر المذاهب
خطوطا عن يمينه وعن شماله فقريب منه وبعيد وبين ذلك واذا أعطيت الفاتحة حقها وجدتها من
أولها الى آخرها منادية على ذلك دالة عليه صريحة فيه وان كان حمده لايقتضى غير ذلك وكذلك كمال
ربوبيته للعالمين لايقتضى غير ذلك فكيف يكون الحمد كله لمن لايقدر على مقدور أهل سماواته وأرضه
من الملائكة والجن والانس والطير والوحش بل يفعلون مالا يقدر عليه ولايشاءه ويشاء مالايفعله

كثير منهم فيشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء وهل يقتضى ذلك كمال حمده وهل يقتضيه كمال ربوبيته ثم قوله (اياك نعبد واياك نستعين) مبطل لقول الطائفتين المنحرفتين عن قصد السبيل فانه يتضمن اثبات فعل العبد وقيام العبادة به حقيقة فهو العابد على الحقيقة وان ذلك لا يحصل له الا باعانة رب العالمين عز وجل له فان لم يعنه ولم يقدره ولم يشأ له العبادة لم يتمكن منها ولم يوجد منه البتة فالفعل منه والاقدار والاعانة من الرب عز وجل ثم قوله (اهدنا الصراط المستقيم) يتضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها وهى بيده ان شاء أعطاها عبده وان شاء منعه اياها والهداية معرفة الحق والعمل به فمن لم يجعله الله تعالى عالما بالحق عاملا به لم يكن له سبيل الى الاهتداء فهو سبحانه المتفرد بالهداية الموجبة للاهتداء التى لا يتخلف عنها وهى جعل العبد مريدا للهدى محباله مؤثرا له عاملا به فهذه الهداية ليست الى ملك مقرب ولا نبي مرسل وهى التى قال سبحانه فيها (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) مع قوله تعالى (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) فهذه هداية الدعوة والتعليم والارشاد وهى التى هدى بها ثمود فاستحبوا العمى عليها وهى التى قال تعالى فيها (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فهداهم هدى البيان الذى تقوم به حجته عليهم ومنعهم الهداية الموجبة للاهتداء التى لا يضل من هداه بها فذاك عدله فيهم وهذا حكمته فاعطاهم ما تقوم به الحجة عليهم ومنعهم ما ليسوا له باهل ولا يليق بهم وسنذكر في الباب الذى بعد هذا ان شاء الله تعالى ذكر الهدى والضلال ومراتبهما واقسامهما فانه عليه مدار مسائل القدر والمقصود ذكر بعض ما يدل على اثبات هذه المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهى خلق الله تعالى لافعال المكلفين ودخولها تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه وكتابه قال تعالى (الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل) وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شئ من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته وليس مخصوصا بذاته وصفاته فانه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق وصفاته سبحانه داخلة في مسمى اسمه فان الله سبحانه اسم للاله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال والعالم قسمان أعيان وأفعال وهو الخالق لاعيانه وما يصدر عنها من الافعال كما انه العالم بتفاصيل ذلك فلا يخرج شئ منه عن علمه ولا عن قدرته ولا عن خلقه ومشيئته قالت القدرية نحن نقول ان الله خالق أفعال العباد لا على أنه محدثها ومخترعها لكن على معنى انه مقدرها فان الخلق التقدير كما قال تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال الشاعر

ولانت تفرى ماخلقت وبعـــض القوم يخلق ثم لا يفرى

أى لانت تمضى ما قدرته وتنفذه بعزمك وقدرتك وبعض القوم يقدر ثم لا قوة له ولا عزيمة على انفاذ ماقدره وامضائه فالله تعالى مقدر أفعال العباد وهم الذين أوجدوها وأحدثوها ، قال أهل السنة قدماؤكم ينكرون تقدير الله سبحانه لاعمال العباد البتة فلا يمكنهم أن يجيبوا بذلك ومن اعترف منكم بالتقدير فهو تقدير لا يرجع الى تأثير وانما هو مجرد العلم بها والخبر عنها وليس التقدير عندكم جعلها على قدر كذا وكذا فان هذا عندكم غير مقدور للرب ولا مصنوع له وانما هو صنع العبد واحداثه فرجع التقدير الى مجرد العلم والخبر وهذا لا يسمى خلقا في لغة أمة من الامم ولو كان هذا خلقا لكان من علم شيأ وتكلم به وأخبر عنه بذلك خالقا له فالتقدير الذى أثبتوه ان كان متضمنا للتأثير

في ايجاد الفعل فهو خلاف مذهبكم وان لم يتضمن تأثيرا في ايجاده فهو راجع الى محض العلم والخبر • قالت القدرية قوله الله خالق كل شيء من العام المراد به الخاص ولا سيما فانكم قلتم إن القرآن لم يدخل في هذا العموم وهو من أعظم الاشياء وأجلها فخصصنا منه أفعال العباد بالادلة الدالة على كونها فعلهم ومنعهم • قالت أهل السنة القرآن كلام الله سبحانه وكلامه صفة من صفاته وصفات الخالق وذاته لم تدخل في المخلوق فان الخالق غير المخلوق فليس ههنا تخصيصا البتة بل الله سبحانه بذاته وصفاته الخالق وكل ماعداه مخلوق وذلك عموم لاتخصيص فيه بوجه إذ ليس الا الخالق والمخلوق والله وحده الخالق وما سواه كله مخلوق واما الادلة الدالة على ان أفعال العباد صنع لهم وانما أفعالهم القائمة بهم وانهم هم الذين فعلوها فكلها حق نقول بموجبها ولكن لاينبغي أن تكون أفعالا لهم ومخلوقة مفعولة لله فان الفعل غير المفعول ولا نقول انها فعل لله والعبد مضطر مجبور عليها ولانقول انها فعل للعبد والله غير قادر عليها ولاجاعل للعبد فاعلا لها ولا نقول انها مخلوقة بين مخلوقين مستقلين بالايجاد والتأثير وهذه الاقوال كلها باطلة • قالت القدرية يعنى قوله تعالى الله خالق كل شيء مما لايقدر عليه غيره وأما افعال العباد التي يقدر عليها العباد فاضافتها اليهم ينفى اضافتها اليه والالزم وقوع مفعولين بين فاعلين وهو محال • قالت أهل السنة اضافتها اليهم فعلا وكسبا لاينفى اضافتها اليه سبحانه خلقا ومشيئة فهو سبحانه الذى شاءها وخلقها وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة فلو لم تكن مضافة الى مشيئته وقدرته وخلقه لاستحال وقوعها منهم إذ العباد اعجز واضعف من أن يفعلوا مالم يشأه الله ولم يقدرعليه ولا خلقه

﴿ فصل ﴾ ومما يدل على قدرته سبحانه على أفعالهم قوله (والله على كل شيء قدير) واعتراض القدرية على الاستدلال بذلك والجواب عنه نظير الاعتراض على قوله (الله خالق كل شيء) وجوابه ونزيده تقريرا ان أفعالهم أشياء ممكنة والله قادر على كل ممكن فهو الذى جعلهم فاعلين بقدرته ومشيئته ولوشاء لحال بينهم وبين الفعل مع سلامة آلة الفعل منهم كما قال تعالى (ولوشاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولوشاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد) وقال (ولوشاء ربك مافعلوه) وقال (ولوشاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) فهو سبحانه يحول بين المرء وقلبه وبين الانسان ونطقه وبين اليد وبطشها وبين الرجل ومشيها فكيف يظن به ظن السوء ويجعل له مثل السوء انه لايقدر على مايقدر عليه عباده ولاتدخل أفعالهم تحت قدرته تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون لقدرته علوا كبيرا نعم ولانظن به ظن السوء ونجعل له مثل السوء انه يعاقب عباده على مالم يفعلوه ولاقدرة لهم على فعله بل على مافعله هو دونهم واضطرهم اليه وجبرهم عليه وذلك بمنزلة عقوبة الزمن اذا لم يطر الى السماء وعقوبة أشل اليد على ترك الكتابة وعقوبة الاخرس على ترك الكلام فتعالى الله عن هذين المذهبين الباطلين المنحرفين عن سواء السبيل

﴿ فصل ﴾ ومن الدليل على خلق أعمال العباد قوله تعالى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم) فاخبر أنه هو الذى جعل السرابيل وهى الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لاتسمى سرابيل إلا أن بعد تحيلها

صنعة الآدميين وعملهم فاذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها صورتها ومادتها وهيآتها ونظير هذا قوله (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) فاخبر سبحانه ان البيوت المصنوعة المستقرة والمنتقلة مجعولة له وهى انما صارت بيوتا بالصنعة الادمية ونظيره قوله تعالى (وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) فاخبر سبحانه انه خالق الفلك المصنوع للعباد وأبعد من قال ان المراد بمثله هو الابل فانه اخراج المماثل حقيقة واعتبار لما هو بعيد عن المماثلة ونظير ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله انه قال لقومه أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون فان كانت مامصدرية كماقدره بعضهم فالاستدلال ظاهر وليس بقوى إذلاتناسب بين انكاره عليهم عبادة ماينحتونه بايديهم وبين اخبارهم بان الله خالق أعمالهم من عبادة تلك الالهة ونحتها وغير ذلك فالاولى أن تكون ماموصولة أي والله خلقكم وخلق آلهتكم التى عملتموها بايديكم فهى مخلوقة له لاآلهة شركاء معه فاخبر انه خلق معمولهم وقد حله عملهم وصنعهم ولايقال المراد مادته فان مادته غير معمولة لهم وانما يصير معمولا بعد عملهم

﴿فصل﴾ وقد أخبر سبحانه انه هو الذى جعل أئمة الخير يدعون الى الهدى وأئمة الشر يدعون الى النار فتلك الامامة والدعوة بجعله فهى مجعولة له وفعل لهم قال تعالى عن آل فرعون (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) وقال عن أئمة الهدى (وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا) فاخبر ان هذا وهذا بجعله مع كونه كسبا وفعلا للائمة ونظير ذلك قول الخليل ربنا واجعلنا مسلمين لك فاخبر الخليل انه سبحانه هو الذى يجعل المسلم مسلما وعند القدرية هو الذى جعل نفسه مسلما لاان الله جعله مسلما ولاجعله اماما يهدى بامره ولاجعل الآخر اماما يدعوا الى النار على الحقيقة بل هم الجاعلون لانفسهم كذلك حقيقة ونسبة هذا الجعل الى الله مجاز بمعنى التسمية أى سمنا مسلمين لك وكذلك جعلناهم أئمة أى سميناهم كذلك وهم جعلوا أنفسهم أئمة رشد وضلال فمنهم الحقيقة ومنه المجاز والتعبير

﴿فصل﴾ ومن ذلك اخباره سبحانه بانه هو الذى يلهم العبد فجوره وتقواه والالهام الالقاء في القلب لامجرد البيان والتعليم كما قاله طائفة من المفسرين اذلا يقال لمن بين لغيره شيئا وعلمه اياه انه قد ألهمه ذلك هذا لايعرف في اللغة البتة بل الصواب ماقاله ابن زيد قال جعل فيها فجورها وتقواها وعليه حديث عمران بن حصين ان رجلا من مزينة أوجهينة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت مايعمل الناس فيه ويكدحون أشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سابق أوفيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم قال بل شئ قضى عليهم ومضى قال ففيم العمل قال من خلقه الله لاحدى المنزلتين استعمله بعمل أهلها وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها) فقراءته هذه الآية عقيب إخباره بتقديم القضاء والقدر السابق يدل على ان المراد بالالهام استعمالها فيما سبق لها لامجرد تعريفها فان التعريف والبيان لايستلزم وقوع ماسبق به القضاء والقدر ومن فسر الآية من السلف بالتعليم والتعريف فمراده تعريف مستلزم لحصول ذلك لاتعريف مجرد عن الحصول فانه لايسمى الهاما وبالله التوفيق

﴿فصل﴾ ومن ذلك قوله تعالى (واسروا قولكم أواجهروا به انه عليم بذات الصدور الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وذات الصدور كلمة لمايشتمل عليه الصدر من الاعتقادات و لارادات

والحب والبغض أى صاحبة الصدور فانها لما كانت فيها قائمة بها نسبت اليها نسبة الصحبة والملازمة وقد اختلف في اعراب من خلق هو النصب أو الرفع فان كان مرفوعا فهو استدلال على علمه بذلك لخلقه له والتقدير انه يعلم ماتضمنته الصدور وكيف لايعلم الخالق ماخلقه وهذا الاستدلال في غاية الظهور والصحة فان الخلق يستلزم حياة الخالق وقدرته وعلمه ومشيئته وان كان منصوبا فالمعنى ألا يعلم مخلوقه وذكر لفظة من تغليبا ليتناول العلم العاقل وصفاته على التقديرين فالآية دالة على خلق ما في الصدور كما هى دالة على علمه سبحانه به وأيضا فانه سبحانه خلقه لما في الصدور دليلا على علمه بها فقال الايعلم من خلق أى كيف يخفى عليه مافي الصدور وهو الذى خلقه فلو كان ذلك غير مخلوق له ابطل الاستدلال به على العلم بخلقه سبحانه للشئ من أعظم الادلة على علمه به فاذا انتفى الخلق انتفى دليل العلم فلم يبق مايدل على علمه بما ينطوى عليه الصدر اذا كان غير خالق لذلك وهذا من أعظم الكفر برب العالمين وجحد لما اتفقت عليه الرسل من أولهم الى آخرهم وعلم بالضرورة انهم القوه الى الامم كما القوا اليهم انه إله واحد لاشريك له

﴿فصل﴾ ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله ابراهيم انه قال رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى وقوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وقوله تعالى (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية) وقوله حكاية عن زكريا انه قال عن ولده (واجعله رب رضيا) وقال في الطرف الآخر (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) وقال (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وهذه الاكنة والوقر هى شدة البغض والنفرة والاعراض التى لايستطيعون معها سمعا ولا عقلا والتحقيق ان هذا ناشئ عن الاكنة والوقر فهو موجب ذلك ومقتضاه فمن فسر الاكنة والوقر به فقد فسرهما بموجبهما ومقتضاهما وبكل حال فتلك النفرة والاعراض والبغض من أفعالهم وهى مجعولة لله سبحانه كما ان الرأفة والرحمة وميل الافئدة الى بيته هو من أفعالهم والله جاعله فهو الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها وارادتها واعتقاداتها فذلك كله مجعول مخلوق له وان كان العبد فاعلا له باختياره وارادته فان قيل هذا كله معارض بقوله تعالى (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) والبحيرة والسائبة انما صارت كذلك بجعل العباد لها فاخبر سبحانه أن ذلك لم يكن بجعله قيل) لاتعارض بحمد الله بين نصوص الكتاب بوجه ما والجعل ههنا جعل شرعى أمرى لاكونى قدرى فان الجعل في كتاب الله ينقسم الى هذه النوعين كما ينقسم اليهما الامر والاذن والقضاء والكتابة والتحريم كما سيأتى بيانه ان شاء الله فنفى سبحانه عن البحيرة والسائبة جعله الدينى الشرعى أى لم يشرع ذلك ولا أمر به ولكن الذين كفروا افتروا عليه الكذب وجعلوا ذلك دينا له بلا علم ومن ذلك قوله تعالى (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) فاخبر سبحانه ان هذه الفتنة الحاصلة بما ألقى الشيطان هى بجعله سبحانه وهذا جعل كونى قدرى ومن هذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الذى رواه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه اللهم اجعلنى لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مطواعا لك مخبتا اليك أواها منيبا فسأل ربه أن يجعله كذلك وهذه كلها أفعال اختيارية واقعة بارادة العبد واختياره وفي هذا الحديث وسدد لسانى وتسديد اللسان جعله ناطقا بالسداد من القول ومثله قوله في الحديث الآخر اللهم اجعلنى لك مخلصا ومثله قوله

اللهم

اللهم اجعلني أعظم شكرك وأكثر ذكرك واتبع نصيحتك واحفظ وصيتك ومثله قول المؤمنين ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا فالصبر وثبات الاقدام فعلان اختياريان ولكن التصبير والتثبيت فعل الرب تعالى وهو المسؤل والصبر والثبات فعلهم القائم بهم حقيقة ومثله قوله (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه) وقال ابن عباس والمفسرون بعده الهمني قال أبو اسحاق وتأويله في اللغة كفني عن الاشياء إلا عن شكر نعمتك ولهذا يقال في تفسير الموزع المولع ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موزعا بالسؤال أي مولعا به كأنه كف ومنع الا منه وقال في الصحاح وزعته أزعه وزعا كففته فاتزع عنه أي كف وأوزعته بالشيء أغريته به فاوزع به فهو موزع به واستوزعت الله شكره فاوزعني أي استلهمته فالهمني فقدر معنى اللفظة على معنى الهمني ذلك واجعلني مغرى به وكفني عما سواه وعند القدرية ان هذا غير مقدور للرب بل هو غير مقدور العبد

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى (واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) فتحبيبه سبحانه الايمان الى عباده المؤمنين هو القاء محبته في قلوبهم وهذا لايقدر عليه سواه واما تحبيب العبد الشيء الى غيره فانما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو الى محبته فاخبر سبحانه انه جعل في قلوب عباده المؤمنين الامرين حبه وحسنه الداعي الى حبه والقى في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان وان ذلك محض فضله ومنته عليهم حيث لم يكلهم الى أنفسهم بل تولى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين وتكريه ضده فجاد عليهم به فضلا منه ونعمة والله عليم بمواقع فضله ومن يصلح له ومن لا يصلح حكيم بجعله في مواضعه ومن ذلك قوله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم • واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) وتأليف القلوب جعل بعضها يألف بعضا ويميل اليه ويحبه وهو من أفعالها الاختيارية وقد أخبر سبحانه انه هو الذي فعل ذلك لاغيره ومن ذلك قوله (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) فاخبر سبحانه بفعلهم وهو الهم وبفعله وهو كفهم عما هموا به ولا يصح أن يقال انه سبحانه اشل أيديهم وأماتهم وأنزل عليهم عذابا حال بينهم وبين ماهموا به بل كف قدرهم وارادتهم مع سلامة حواسهم وبنيتهم وصحة آلات الفعل منهم وعند القدرية هذا محال بل هم الذين يكفون أنفسهم والقرآن صريح في ابطال قولهم ومثله قوله (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) فهذا كف أيدي الفريقين مع سلامتها وصحتها وهو بأن حال بينهم وبين الفعل فكف بعضهم عن بعض ومن ذلك قوله تعالى (ومابكم من نعمة فمن الله) والايمان والطاعة من أجل النعم بل هما أجل النعم على الاطلاق فهما منه سبحانه تعليما وارشادا والهاما وتوفيقا ومشيئة وخلقا ولا يصح أن يقال انها أمرا وبيانا فقط فان ذلك حاصل بالنسبة الى الكفار والعصاة فتكون نعمته على أكفر الخلق كنعمته على أهل الايمان والطاعة والبر منهم إذ نعمة البيان والارشاد مشتركة وهذا قول القدرية وقد صرح به كثير منهم ولم يجعلوا لله على العبد نعمة في مشيئته

وخلقه فعله وتوفيقه اياه حين فعله وهذا من قولهم الذى باينوا به جميع الرسل والكتب وطردوا ذلك حين لم يجعلوا لله على العبد منة في اعطائه الجزاء بل قالوا ذلك محض حقه الذى لامنة لله عليه فيه واحتجوا بقوله (لهم أجر غير ممنون) قالوا أى غير ممنون به عليهم إذ هو جزاء أعمالهم وأجورها قالوا والمنة تكدر النعمة والعطية ولم يدعوا هؤلاء للجهل بالله موضعا وقاسوا منته على منة المخلوق فانهم مشبهة في الافعال معطلة في الصفات وليست المنة في الحقيقة الا لله فهو المان بفضله وأهل سمواته وأهل أرضه في محض منته عليهم قال تعالى (يمنون عليك ان أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين) وقال تعالى لكليمه موسى (ولقد مننا عليك مرة أخرى) وقال ولقد مننا على موسى وهارون) وقال (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وعالة فاغناكم الله بى قالوا الله ورسوله أمن وقال الرسل لقومهم (ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) فمنه سبحانه محض احسانه وفضله ورحمته وماطاب عيش أهل الجنة فيها الا بمنته عليهم ولهذا قال أهلها وقد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم فاخبروا ان تعرفهم بربهم وحقه عليهم ان نجاهم من عذاب السموم بمحض منته عليهم وقد قال اعلم الخلق بالله وأحبهم اليه وأقربهم منه واطوعهم له لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدنى الله برحمة منه وفضل وقال ان الله لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم والاول في الصحيح والثانى في المسند والسنن وصححه الحاكم وغيره فاخبر سيد العالمين والعاملين انه لايدخل الجنة بعمله وقالت القدرية انهم يدخلونها باعمالهم لئلا يتكدر نعيمهم عليهم بمشيئة الله بل يكون ذلك النعيم عوضا وما رمى السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم القدرية عن قوس واحدة الا لعظم بدعهم ومنافاتها لما بعث الله به أنبياءه ورسله فلو أتى العباد بكل طاعة وكانت أنفاسهم كلها طاعات لله لكانوا في محض منته وفضله وكانت له المنة عليهم وكلما عظمت طاعة العبد كانت منة الله عليه أعظم فهو المان بفضله فمن أنكر منته فقد أنكر احسانه وأما قوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) فلم يختلف أهل العلم بالله ورسوله وكتابه ان معناه غير مقطوع ومنه ريب المنون وهو الموت لانه يقطع العمر

﴿فصل﴾ ومن ذلك قوله تعالى (وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وقوله (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وهذا الاغراء والالقاء محض فعله سبحانه والتعادى والتباغض أثره وهو محض فعلهم وأصل ضلال القدرية والجبرية من عدم اهتدائهم الى الفرق بين فعله سبحانه وفعل العبد فالجبرية جعلوا التعادى والتباغض فعل الرب دون المتعاديين والمتباغضين والقدرية جعلوا ذلك محض فعلهم الذى لاصنع لله فيه ولاقدرة ولامشيئة وأهل الصراط السوى جعلوا ذلك فعلهم وهو أثر فعل الله وقدرته ومشيئته كما قال تعالى (هو الذى يسيركم في البر والبحر) فالتسيير فعله والسير فعل العباد وهو أثر التسيير وكذلك الهدى والاضلال فعله والاهتداء والضلال أثر فعله وهما أفعالنا القائمة بنا فهو الهادى والعبد المهتدى وهو الذى يضل من يشاء والعبد الضال وهذا حقيقة وهذا

حقيقة والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكبتان

﴿فصل﴾ ومن ذلك قوله تعالى عن خليله ابراهيم انه قال (رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) فهاهنا أمران تجنيب عبادتها واجتنابه به فسأل الخليل ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها ليحصل منهم اجتنابها فالاجتناب فعلهم والتجنيب فعله ولا سبيل الى فعلهم الا بعد فعله ونظير ذلك قول يوسف الصديق (رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) وصرف كيدهن هو صرف دواعي قلوبهن ومكرهن بالسنتهن وأعمالهن وتلك أفعال اختيارية وهو سبحانه الصارف لها فالصرف فعله والانصراف أثر فعله وهو فعل النسوة ومن ذلك قوله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) فالتثبيت فعله والثبات فعل رسوله فهو سبحانه المثبت وعبده الثابت ومثله قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) فاخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين فعله فانه يفعل مايشاء واما الثبات والضلال فمحض أفعالهم ومن ذلك قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) فاخبرانه هو الذى قسى قلوبهم حتى صارت قاسية فالقساوة وصفها وفعلها وهى أثر فعله وهو جعلها قاسية وذلك أثر معاصيهم ونقضهم ميثاقهم وتركهم بعض ماذكروا به فالآية مبطلة لقول القدرية والجبرية

﴿فصل﴾ ومن ذلك قوله تعالى (فاخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) وهم انما خرجوا باختيارهم وقد أخبر انه هو الذى أخرجهم فالاخراج فعله حقيقة والخروج فعلهم حقيقة ولولا اخراجه لما خرجوا وهذا بخلاف قوله (والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) وقوله (هو الذى أخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر) وقوله (أخرجكم من بطون أمهاتكم) فان هذا اخراج لاصنع لهم فيه فانه بغير اختيارهم وارادتهم وأما قوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) فيحتمل أن يكون اخراجا بقدره ومشيئته فيكون من الاول ويحتمل أن يكون اخراجا يوجبه بأمره فلا يكون من هذا فيكون الاخراج في كتاب الله ثلاثة انواع أحدها اخراج الخارج باختياره ومشيئته والثانى اخراجه قهرا وكرها والثالث اخراجه أمرا وشرعا

﴿فصل﴾ وقد ظن طائفة من الناس ان من هذا الباب قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وجعلوا ذلك من أدلتهم على القدرية ولم يفهموا مراد الآية وليست من هذا الباب فان هذا خطاب لهم في وقعة بدر حيث أنزل الله سبحانه ملائكته فقتلوا أعداءه فلم يفرد المسلمون بقتلهم بل قتلهم الملائكة وأما رميه صلى الله عليه وسلم فمقدوره كان هو الحذف والالقاء واما ايصال مارمى به الى وجوه العدو مع البعد وايصال ذلك الى وجوه جميعهم فلم يكن من فعله ولكنه فعل الله وحده فالرمى يراد به الحذف والايصال فاثبت له الحذف بقوله إذ رميت ونفى عنه الايصال بقوله ومارميت

﴿فصل﴾ ومن ذلك قوله (وانه هو أضحك وأبكى) والضحك والبكاء فعلان اختياريان فهو سبحانه المضحك المبكى حقيقة والعبد هو الضاحك الباكى حقيقة وتأويل الآية بخلاف ذلك اخراج للكلام

عن ظاهره بغير موجب ولا منافاة بين ما يذكر من تلك التأويلات وبين ظاهره فان اضحاك الارض بالنبات وابكاء السماء بالمطر واضحاك العبد وابكاءه بخلق آلات الضحك والبكاء له لا ينافي حقيقة اللفظ وموضوعه ومعناه من انه جاعل الضحك والبكاء فيه بل الجميع حق

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا) ورؤية البرق أمر واقع باحساسهم فالاراءة فعله والرؤية فعلنا ولا يقال اراءة البرق خلقه فان خلقه لا يسمى اراءة ولا يستلزم رؤيتنا له بل اراءتنا له جعلنا نراه وذلك فعله سبحانه ومن ذلك قول الخضر لموسى (فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما) فبلوغ الاشد ليس من فعلهما واستخراج الكنز من أفعالهما الاختيارية وقد أخبر ان كليهما بارادته سبحانه ومن ذلك قوله تعالى عن السحرة (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) وليس اذنه ها هنا أمره وشرعه بل قضاؤه وقدره ومشيئته فهو إذا كونى قدرى لا دينى أمرى

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالي (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وكلمة التقوى هى الكلمة التى يتقى الله بها وأعلى أنواع هذه الكلمة هى قول لا اله الا الله ثم كل كلمة يتقى الله بها بعدها فهى من كلمة التقوى وقد أخبر سبحانه انه ألزمها عباده المؤمنين فجعلها لازمة لهم لا ينفكون عنها فبالزامه التزموها ولولا الزامه لهم اياها لما التزموها والتزامها فعل اختيارى تابع لارادتهم واختيارهم فهو الملزم وهم الملتزمون

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالي (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) وهذا تفسير الهلوع وهو شدة الحرص الذى يترتب عليه الجزع والمنع فاخبر سبحانه انه خلق الانسان كذلك وذلك صريح في أن هلعه مخلوق لله كما ان ذاته مخلوقة فالانسان بجملته ذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه مخلوق لله ليس فيه شئ خلق لله وشئ خلق لغيره بل الله خالق الانسان بجملته وأحواله كلها فالهلع فعله حقيقة والله خالق ذلك فيه حقيقة فليس الله سبحانه بهلوع ولا العبد هو الخالق لذلك

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى (وماكان لنفس أن يؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) واذنه هاهنا قضاؤه وقدره لا مجرد أمره وشرعه كذلك قال السلف في تفسير هذه الآية قال ابن المبارك عن الثورى بقضاء الله وقال محمد بن جرير يقول جل ذكره لنبيه ومالنفس خلقها من سبيل الى أن تصدقك الا أن يأذن لها في ذلك فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعيد الله ثم خلها فان هداها بيد خالقها وما قبل الآية وما بعدها لا يدل الا على ذلك فانه سبحانه قال (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وماكان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) أى لا تكفى دعوتك في حصول الايمان حتى يأذن الله لمن دعوته أن يؤمن ثم قال قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون قال ابن جرير يقول تعالى يا محمد قل لهؤلاء السائلينك الآيات على صحة ما تدعو اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاوثان انظروا أيها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقية ما ادعوكم اليه من توحيد الله من شمسها وقمرها واختلاف ليلها ونهارها ونزول الغيث بارزاق العباد من سحابها وفي الارض من جبالها وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها فان في ذلك لكم ان عقلتم وتدبرتم

عظة ومعتبرا ودلالة على ان ذلك من فعل من لايجوز أن يكون له في ملكه شريك ولاله على حفظه وتدبيره ظهير يغنيكم عما سواها من الآيات وما يغنى عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء وقضى عليهم في أم الكتاب انهم من أهل النار نهم لايؤمنون بشيء من ذلك ولايصدقون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قال ابن جرير وكل انسان ألزمناه ماقضى له انه عامله وما هو صائر اليه من شقاء أوسعادة بعمله في عنقه لايفارقه وهذا ماقاله الناس في الآية وهو ماطار له من الشقاء والسعادة وماطار عنه من العمل ثم ذكر عن ابن عباس قال طائره عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وزائل معه أينما زال وكذلك قال ابن جريج وقتادة ومجاهد هو عمله زاد مجاهد وما كتب له وقال قتادة أيضا سعادته وشقاوته بعمله قال ابن جرير فان قال قائل فكيف قال ألزمناه طائره في عنقه ان كان الامر على ماوصفت ولم يقل في يديه أورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد قيل ان العنق هى موضع السمات وموضع القلائد والاطوقة وغير ذلك مما يزين أو يشين فجرى كلام العرب بنسبة الاشياء اللازمة سائر الابدان الى الاعناق كما أضافوا جنايات أعضاء الابدان الى اليد فقالوا ذلك بما كسبت يداه وان كان الذى جره عليه لسانه أو فرجه فكذلك قوله (ألزمناه طائره في عنقه) وقال الفراء الطائر معناه عندهم العمل قال الازهرى والاصل في هذا ان الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصى فكتب ماعلمه منهم أجمعين وقضى بسعادة من علمه مطيعا وشقاوة من علمه عاصيا فطار لكل ماهو صائر اليه عند خلقه وانشائه وأما قوله في عنقه فقال أبو اسحاق انما يقال للشيء اللازم هذا في عنق فلان أى لزومه له كلزوم القلادة من بين مايلبس في العنق قال أبو على هذا مثل قولهم طوقتك كذا وقلدتك كذا أى صرفته نحوك وألزمتك اياه ومنه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق وقيل انما خص العنق لان عمله لايخلو اما أن يكون خيرا أوشرا وذلك مما يزين أو يشين كالحلى والغل فاضيف الى الاعناق قالت القدرية الزامه ذلك وسمه به وتعليمه بعلامة يعرف الملائكة انه سعيد أوشقى والخبر عنه لانه ألزمه العمل فجعله لازما له قال أهل السنة هذه طريقة لكم معروفة في تحريف الكلم عن مواضعه سلكتموها في الجسم والطبع والعقل وهذا لايعرفه أهل اللغة وهو خلاف حقيقة اللفظ وما فسره به اعلم الامة بالقرآن ولا يعرف ماقلتموه عن أحد من سلف الامة البتة ولافسر الآية غيركم به ولايصح حمل الآية عليه فان الخبر عنه بذلك والعلامة اعلم بها انما حصل بعد طائره اللازم له من عمله فلما لزمه ذلك الطائر ولم ينفك عنه أخبر عنه بذلك وصارت عليه علامة وسمة ونحن قد أريناكم أقوال أئمة الهدى وسلف الامة في الطائر فارونا قولكم عن واحد منهم قاله قبلكم وكل طائفة من أهل البدع تجر القرآن الى بدعها وضلالها وتفسره بمذاهبها وآرائها والقرآن برىء من ذلك وبالله التوفيق

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (ومايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لايؤمنون به) وقد وقع هذا المعنى في القرآن في موضعين هذا أحدهما والثانى في سورة الشعراء في قوله (ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في

قلوب المجرمين لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) قال ابن عباس سلك الشرك في قلوب المكذبين كما سلك الخرزة في الخيط وقال أبو اسحاق أى كما فعل بالمجرمين الذين استهزؤا بمن تقدم من الرسل كذلك سلك الضلال في قلوب المجرمين واختلفوا في مفسر الضمير في قوله نسلكه فقال ابن عباس سلكنا الشرك وهو قول الحسن وقال الزجاج وغيره هو الضلال وقال الربيع يعنى الاستهزاء وقال الفراء التكذيب وهذه الاقوال ترجع الى شئ واحد والتكذيب والاستهزاء والشرك كل ذلك فعلهم حقيقة وقد أخبر انه سبحانه هو الذى سلكه في قلوبهم وعندى في هذه الاقوال شئ فان الظاهر ان الضمير في قوله لايؤمنون به هو الضمير في قوله سلكناه فلا يصح أن يكون المعنى لايؤمنون بالشرك والتكذيب والاستهزاء فلا تصح تلك الاقوال الا باختلاف مفسر الضميرين والظاهر اتحاده فالذين لايؤمنون به هو الذى سلكه في قلوبهم وهو القرآن فان قيل فما معنى سلكه اياه في قلوبهم وهم ينكرونه قيل سلكه في قلوبهم بهذه الحال أى سلكناه غير مؤمنين به فدخل في قلوبهم مكذبا به كما دخل في قلوب المؤمنين مصدقا به وهذا مراد من قال ان الذى سلكه في قلوبهم هو التكذيب والضلال ولكن فسر الآية بالمعنى فانه اذا دخل في قلوبهم مكذبين به فقد دخل التكذيب والضلال في قلوبهم فان قيل فما معنى ادخاله في قلوبهم وهم لايؤمنون به قيل لتقوم عليهم بذلك حجة الله فدخل في قلوبهم وعلموا انه حق وكذبوا به فلم يدخل في قلوبهم دخول مصدق به مؤمن به مرضى به وتكذيبهم به بعد دخوله في قلوبهم أعظم كفرا من تكذيبهم به قبل أن يدخل في قلوبهم فان المكذب بالحق بعد معرفته له شر من المكذب به ولم يعرفه فتأمله فانه من فقه التفسير والله الموفق للصواب

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) فالارسال هاهنا ارسال كونى قدرى كارسال الرياح وليس بارسال دينى شرعى فهو ارسال تسليط بخلاف قوله في المؤمنين (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) فهذا السلطان المنفى عنه على المؤمنين هو الذى أرسل به جنده على الكافرين قال أبو اسحاق ومعنى الارسال ههنا التسليط تقول قد أرسلت فلانا على فلان اذا سلطته عليه كما قال (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) فاعلم ان من اتبعه هو مسلط عليه قلت ويشهد له قوله تعالى (انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقوله (تؤزهم أزا) فالأز في اللغة التحريك والتهييج ومنه يقال لغليان القدر الازيز لتحرك الماء عند الغليان وفي الحديث كان لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيز كازيز المرجل من البكاء وعبارات السلف تدور على هذا المعنى قال ابن عباس تغريهم اغراء وفي رواية أخرى عنه تسلهم سلا وفي رواية أخرى تحرضهم تحريضا وفي أخرى تزعجهم للمعاصى ازعاجا وفي أخرى توقدهم إيقادا أى كما يتحرك الماء بالوقد تحته قال أبو عبيدة الازيز الالهاب والحركة كالتهاب النار في الحطب يقال إزقدرك أى ألهب تحتها النار وائتزت القدر اذا اشتد غليانها وهذا اختيار الاخفش والتحقيق ان اللفظة تجمع المعنيين جميعا • قالت القدرية معنى أرسلنا الشياطين على الكافرين خلينا بينهم وبينها ليس معناه التسليط قال أبو على الارسال يستعمل بمعنى التخلية بين المرسل ومايريد فمعنى الآية خلينا بين الشياطين وبين الكافرين ولم يمنعهم منهم ولم يعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قال الواحدى والى هذا الوجه يذهب القدرية في معنى الآية قال وليس المعنى على

ماذهبوا اليه وقال أبواسحاق والمختار انهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم كما قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وقال (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم) وانما معنى الارسال التسليط قلت وهذا هو المفهوم من معنى الارسال كما في الحديث اذا أرسلت كلبك المعلم أى سلطته ولو خلى بينه وبين الصيد من غير ارسال منه لم يبح صيده وكذلك قوله (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أى سلطناها وسخرناها عليهم وكذلك قوله (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) وكذلك قوله (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) والتخلية بين المرسل وبين ماأرسل عليه من لوازم هذا المعنى ولا يتم التسليط الا به فاذا أرسل الشيء الذى من طبعه وشأنه ان تفعل فعلا ولم تمنعه من فعله فهذا هو التسليط ثم ان القدرية تناقضوا في هذا القول فانهم ان جوزوا منعهم منهم وعصمتهم واعاذتهم فقد نقضوا أصلهم فان منع المختار من فعله الاختيارى مع سلامة النية وصحة بنيته تدل على ان فعله وتركه مقدور للرب وهذا عين قول أهل السنة وان قالوا لايقدر على منعهم وعصمهم منهم واعاذتهم فقد جعلوا قدرتهم ومشيئتهم بفعل مالا يقدر الرب على المنع منه وهذا أبطل الباطل . ثم قالت القدرية تؤزهم أزا تأمرهم بالمعاصى أمرا وحكوا ذلك عن الضحاك وهذا لايلتفت اليه اذ لايقال لمن أمر غيره بشيء قد أزه ولا تساعد اللغة على ذلك ولو كان ذلك صحيحا لكان يؤز المؤمنين أيضا فانه يأمرهم بالمعاصى أكثر من أمر الكافرين فان الكافر سريع الطاعة والقبول من الشيطان فلا يحتاج من أمره مايحتاج اليه من أمر المؤمنين بل يأمر الكافر مرة ويأمر المؤمن مرات فلو كان الأز الأمر لم يكن له اختصاص بالكافرين

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) وقوله (أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ومن المعلوم أن الاعاذة من الشيطان الرجيم ليست باماتته ولا تعطيل آلات كيده وانما هى بان يعصم المستعيذ من أذاه له ويحول بينه وبين فعله الاختيارى له فدل على ان فعله مقدور له سبحانه انشاء سلطه على العبد وان شاء حال بينه وبينه وهذا على أصول القدرية باطل فلا يثبتون حقيقة الاعاذة وان أثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد وجعلوا الآية ردا على الجبرية والجبرية أثبتوا حقيقة الاعاذة ولم يثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد بل الاستعاذة فعل الرب حقيقة كما ان الاعاذة فعله وقد ضل الطائفتان عن الصراط المستقيم وأصابت كل طائفة منهما فيما أثبتته من الحق

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى (واصبر وما صبرك الا بالله) وقول هود وما توفيقى الا بالله ومعلوم ان الصبر والتوفيق فعل احتيارى للعبد وقد أخبر انه به لابالعبد وهذا لاينبغى أن يكون فعلا للعبد حقيقة ولهذا أمر به وهو لايأمر عبده بفعل نفسه سبحانه وانما يؤمر العبد بفعله هو ومع هذا فليس فعله واقعا به وانما هو بالخالق لكل شيء الذى ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن فالتصبير منه سبحانه وهو فعله والصبر هو القائم بالعبد وهو فعل العبد ولهذا أثنى على من يسأله أن يصبره فقال تعالى (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله) ففى الآية أربعة أدلة . أحدها قولهم أفرغ علينا صبرا والصبر فعلهم الاختيارى فسألوه ممن هو

بيده ومشيئته واذنه ان شاء أعطاهموه وان شاء منعهموه • الثاني قولهم وثبت أقدامنا وثبات الاقدام فعل اختياري ولكن التثبيت فعله والثبات فعلهم ولا سبيل الى فعلهم الا بعد فعله • الثالث قولهم (وانصرنا على القوم الكافرين) فسألوه النصر وذلك بان يقوى عزائمهم ويشجعهم ويصبرهم ويثبتهم ويلقي في قلوب أعداهم الخور والخوف والرعب فيحصل النصر وأيضا فان كون الانسان منصورا على غيره اماأن يكون بافعال الجوارح وهو واقع بقدرة العبد واختياره واما أن يكون بالحجة والبيان والعلم وذلك أيضا فعل العبد وقد أخبر سبحانه ان النصر بجملته من عنده وأثنى على من طلبه منه وعند القدرية لايدخل تحت مقدور الرب • الرابع قوله فهزموهم باذن الله واذنه هاهنا هو الاذن الكوني القدري أي بمشيئته وقضائه وقدره ليس هو الاذن الشرعي الذي بمعنى الامر فان ذلك لايستلزم الهزيمة بخلاف اذنه الكوني وأمره الكوني فان المأمور المكون لايتخلف عنه البتة

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) وفي الآية رد ظاهر على الطائفتين وابطال لقولهما فانه سبحانه أغفل قلب العبد عن ذكره فغفل هو فالاغفال فعل الله والغفلة فعل العبد ثم أخبر عن اتباعه هواه وذلك فعل العبد حقيقة والقدرية تحرف هذا النص وامثاله بالتسمية والعلم فيقولون معنى أغفلنا قلبه سميناه غافلا أو وجدناه غافلا أي علمناه كذلك وهذا من تحريفهم بل أغفلته مثل أقمته وأقعدته وأغنيته وأفقرته أي جعلته كذلك وأما أفعلته أو أوجدته كذلك كاحمدته وأجبنته وأبخلته وأعجزته فلا يقع في أفعال الله البتة انما يقع في أفعال العاجز أن يجعل جبانا وبخيلا وعاجزا فيكون معناه صادفته كذلك وهل يخطر بقلب الداعي اللهم اقدرني أو أوزعني وألهمني أي سمني واعلمني كذلك وهل هذا الا كذب عليه وعلى المدعو سبحانه والعقلاء يعلمون علما ضروريا ان الداعي انما سأل الله أن يخلق له ذلك ويشاءه له ويقدره عليه حتى القدري اذا غابت عنه بدعته وما تقلده عن أشياخه واسلافه وبقي وفطرته لم يخطر بقلبه سوى ذلك وأيضا فلا يمكن أن يكون العبد هو المغفل لنفسه عن الشيء فان اغفاله لنفسه عنه مشروط بشعوره به وذلك مضاد لغفلته عنه بخلاف اغفال الرب تعالى له فانه لايضاد علمه بما يغفل عنه العبد وبخلاف غفلة العبد فانها لاتكون الا مع عدم شعوره بالمغفول عنه وهذا ظاهر جدا فثبت ان الاغفال فعل الله بعبده والغفلة فعل العبد

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى اخبارا عن نبيه شعيب انه قال لقومه (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجينا الله منها ومايكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) وهذا يبطل تأويل القدرية المشيئة في مثل ذلك بمعنى الامر فقد علمت انه من الممتنع على الله ان يأمر بالدخول في ملة الكفر والشرك به ولكن استثنوا بمشيئته التي يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء ثم قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فرد الامر الي مشيئته وعلمه فان له سبحانه في خلقه علم محيط ومشيئته نافذة وراء مايعلمه الخلائق فامتناعنا من العود فيها هو مبلغ علومنا ومشيئتنا ولله علم آخر ومشيئة أخرى وراء علومنا ومشيئتنا فلذلك رد الامر اليه ومثله قول ابراهيم (ولا أخاف ماتشركون به الا أن يشاء الله ربي شيأ وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون) فاعادت الرسل بكمال معرفتها بالله أمورها الى مشيئة الرب وعلمه ولهذا أمر الله رسوله أن لايقول لشيء انه فاعله حتى يستثني بمشيئة الله فانه ان شاء فعله

وان شاء لم يفعله وقد تقدم تقرير هذا المعنى وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان اثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس الايمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده

الباب الرابع عشر

في الهدى والضلال ومراتبهما والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم

هذا المذهب هو قلب أبواب القدر ومسائله فان أفضل مايقدر الله لعبده وأجل مايقسمه له الهدى وأعظم مايبتليه به ويقدره عليه الضلال وكل نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال وقد اتفقت رسل الله من أولهم الى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على انه سبحانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء وانه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وان الهدى والاضلال بيده لابيد العبد وان العبد هو الضال أو المهتدى فالهداية والاضلال فعله سبحانه وقدره والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه ولا بد قبل الخوض في تقرير ذلك من ذكر مراتب الهدى والضلال في القرآن فاما مراتب الهدى فاربعة • احداها الهدى العام وهو هداية كل نفس الى مصالح معاشها ومايقيمها وهذا أعم مراتبه • المرتبة الثانية الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة الى مصالح العبد في معاده وهذا خاص بالمكلفين وهذه المرتبة أخص من المرتبة الاولى وأعم من الثالثة • المرتبة الثالثة الهداية المستلزمة للاهتداء وهى هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية وخلقه دواعى الهدى وارادته والقدرة عليه للعبد وهذه الهداية التى لايقدر عليها الا الله عز وجل • المرتبة الرابعة الهداية يوم المعاد الى طريق الجنة والنار

﴿ فصل ﴾ فاما المرتبة الاولى فقد قال سبحانه (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) فذكر سبحانه أربعة أمور عامة الخلق والتسوية والتقدير والهداية وجعل التسوية من تمام الخلق والهداية من تمام التقدير قال عطاء خلق فسوى أحسن ماخلقه وشاهده قوله تعالى (الذى أحسن كل شئ خلقه) فاحسان خلقه يتضمن تسويته وتناسب خلقه وأجزائه بحيث لم يحصل بينها تفاوت يخل بالتناسب والاعتدال فالخلق الايجاد والتسوية اتقانه واحسان خلقه وقال الكلبى خلق كل ذى روح فجمع خلقه وسواه باليدين والعينين والرجلين وقال مقاتل خلق لكل دابة مايصلح لها من الخلق وقال أبو اسحاق خلق الانسان مستويا وهذا تمثيل والا فالخلق والتسوية شامل للانسان وغيره قال تعالى (ونفس وما سواها) وقال (فسواهن سبع سموات) فالتسوية شاملة لجميع مخلوقاته (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) ومايوجد من التفاوت وعدم التسوية فهو راجع الى عدم اعطاء التسوية للمخلوق فان التسوية أمر وجودى تتعلق بالتأثير والابداع فما عدم منها فلعدم ارادة الخالق للتسوية وذلك أمر عدمى يكفى فيه عدم الابداع والتأثير فتأمل ذلك فانه يزيل عنك الاشكال في قوله (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) فالتفاوت حاصل بسبب عدم مشيئة التسوية كما ان الجهل والصمم والعمى والخرس والبكم يكفى فيها عدم مشيئة خلقها وايجادها وتمام هذا يأتى ان شاء الله في باب دخول الشر في القضاء عند قول النبى صلى الله عليه وسلم والشر ليس اليك والمقصود ان كل

مخلوق فقد سواه خالقه سبحانه في مرتبة خلقه وان فاتته التسوية من وجه آخر لم يخلق له
﴿ فصل ﴾ وأما التقدير والهداية فقال مقاتل قدر خلق الذكر والانثى فهدى الذكر للانثى كيف يأتيها وقال ابن عباس والكلبي وكذلك قال عطاء قدر من النسل ما أراد ثم هدى الذكر للانثى واختار هذا القول صاحب النظم فقال معنى هدى هداية الذكر لاتيان الانثى كيف يأتيها لان اتيان ذكران الحيوان لاناثه مختلف لاختلاف الصور والخلق والهيآت فلولا انه سبحانه جبل كل ذكر على معرفة كيف يأتى أنثى جنسه لما اهتدى لذلك وقال مقاتل أيضا هداه لمعيشته ومرعاه وقال السدى قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وقال الفراء التقدير فهدى وأضل فاكتفى من ذكر أحدهما بالآخر قلت الآية أعم من هذا كله وأضعف الاقوال فيها قول الفراء إذ المراد هاهنا الهداية العامة لمصالح الحيوان في معاشه ليس المراد هداية الايمان والضلال بمشيئته وهو نظير قوله (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فاعطاء الخلق ايجاده في الخارج والهداية التعليم والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه ويقيمه وما ذكر مجاهد فهو تمثيل منه لا تفسير مطابق للآية فان الآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقه وبهيمه طيره ودوابه فصيحه وأعجمه وكذلك قول من قال انه هداية الذكر لاتيان الانثى تمثيل أيضا وهو فرد واحد من أفراد الهداية التى لا يحصيها الا الله وكذلك قول من قال هداه للمرعى فان ذلك من الهداية فان الهداية الى التقام الثدى عند خروجه من بطن أمه والهداية الى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت والهداية الى قصد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه وهداية الطير والوحش والدواب الى الافعال العجيبة التى يعجز عنها الانسان كهداية النحل الى سلوك السبل التى فيها مراعيها على تباينها ثم عودها الى بيوتها من الشجر والجبال وما يغرس بنو آدم وأمر النحل في هدايتها من أعجب العجب وذلك أن لها أميرا ومدبرا وهو اليعسوب وهو أكبر جسما من جميع النحل وأحسن لونا وشكلا وأناث النحل تلد في إقبال الربيع وأكثر أولادها يكن اناثا واذا وقع فيها ذكر لم تدعه بينها بل اما أن تطرده واما أن تقتله الا طائفة يسيرة منها تكون حول الملك وذلك ان الذكر منها لا تعمل شيأ ولا تكسب ثم تجمع الامهات وفراخها عند الملك فيخرج بها الى المرعى من المروج والرياض والبساتين والمراتع في أقصد الطرق وأقربها فيجتنى منها كفايتها فيرجع بها الملك فاذا انتهوا الى الخلايا وقف على بابها ولم يدع ذكرا ولا نحلة غريبة تدخلها فاذا تكامل دخولها دخل بعدها وتواجدت النحل مقاعدها وأماكنها فيبتدئ الملك بالعمل كانه يعلمها اياه فيأخذ النحل في العمل ويتسارع اليه ويترك الملك العمل ويجلس ناحية بحيث يشاهد النحل فيأخذ النحل في ايجاد الشمع من لزوجات الاوراق والانوار ثم تقتسم النحل فرقا فمنها فرقة تلزم الملك ولا تفارقه ولا تعمل ولا تكسب وهم حاشية الملك من الذكورة ومنها فرقة تهيء الشمع وتصنعه والشمع هو ثفل العسل وفيه حلاوة كحلاوة التين وللنحل فيه عناية شديدة فوق عنايتها بالعسل فينظفه النحل ويصفيه ويخلصه مما يخالطه من أبوالها وغيرها وفرقة تبنى البيوت وفرقة تسقى الماء وتحمله على متونها وفرقة تكنس الخلايا وتنظفها من الاوساخ والجيف والزبل واذا رأت بينها نحلة مهينة بطالة قطعها وقتلها حتى لا تفسد عليهن بقية العمال وتعديهن ببطالتها ومهانتها وأول ما يبنى في الخلية مقعد الملك وبيته فيبنى له بيتا مربعا يشبه السرير والتخت فيجلس عليه ويستدير حوله

طائفة من النحل يشبه الامراء والخدم والخواص لايفارقنه ويجعل النحل بين يديه شيأ يشبه الحوض يصب فيه من العسل أصفى مايقدر عليه ويملأ منه الحوض يكون ذلك طعاما للملك وخواصه ثم يأخذن في ابتناء البيوت على خطوط متساوية كأنها سكك ومحال وتبني بيوتها مسدسة متساوية الاضلاع كأنها قرأت كتاب اقليدس حتى عرفت أوفق الاشكال لبيوتها لان المطلوب من بناء الدور هو الوثاقة والسعة والشكل المسدس دون سائر الاشكال اذا انضمت بعض اشكاله الى بعض صار شكلا مستديرا كاستدارة الرحى ولا يبقى فيه فروج ولا خلل ويشد بعضه بعضا حتى يصير طبقا واحدا محكما لايدخل بين بيوته رؤس الابر فتبارك الذى ألهمها أن تبنى بيوتها هذا البناء المحكم الذى يعجز البشر عن صنع مثله فعلمت انها محتاجة الى أن تبنى بيوتها من اشكال موصوفة بصفتين احداهما أن لايكون زواياها ضيقة حتى لايبقى الموضع الضيق معطلا الثانية أن تكون تلك البيوت مشكلة باشكال اذا انضم بعضها الى بعض وامتلأت العرصة منها فلا يبقى منها ضائعا ثم انها علمت ان الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط فان المثلثات والمربعات وان أمكن امتلاء العرصة منها الا ان زواياها ضيقة واما سائر الاشكال وان كانت زواياها واسعة الا انها لاتملئ العرصة منها بل يبقى فيما بينها فروج خالية ضائعة واما المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين فهداها سبحانه على بناء بيوتها على هذا الشكل من غير مسطر ولا آلة ولا مثال يحتذى عليه وأصنع بنى آدم لايقدر على بناء البيت المسدس الا بالآلات الكبيرة فتبارك الذى هداها ان تسلك سبل مراعيها على قوتها وتأتها ذللا لاتستعصى عليها ولا تضل عنها وان تجتنى أطيب مافي المرعى والطفه وأن تعود الى بيوتها الخالية فتصب فيها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فاذا فرغت من بناء البيوت خرجت خماصا تسيح سهلا وجبلا فاكلت من الحلاوات المرتفعة على رؤس الازهار وورق الاشجار فترجع بطانا وجعل سبحانه في أفواهها حرارة منضجة تنضج ماجنته فتعيده حلاوة ونضجا ثم تمجه في البيوت حتى اذا امتلأت ختمتها وسدت رؤسها بالشمع المصفى فاذا امتلأت تلك البيوت عمدت الى مكان آخر ان صادفته فاتخذت فيه بيوتا وفعلت كما فعلت في البيوت الاولى فاذا برد الهوى وأخلف المرعى وحيل بينها وبين الكسب لزمت بيوتها واغتذت بما ادخرته من العسل وهى في أيام الكسب والسعى تخرج بكرة وتسيح في المراتع وتستعمل كل فرقة منها بما يخصها من العمل فاذا أمست رجعت الى بيوتها واذا كان وقت رجوعها وقف على باب الخلية بواب منها ومعه أعوان فكل نحلة تريد الدخول يشمها البواب ويتفقدها فان وجد منها رائحة منكرة أو رأى بها لطخة من قذر منعها من الدخول وعزلها ناحية الى أن يدخل الجميع فيرجع الى المعزولات الممنوعات من الدخول فيتفقدهن ويكشف أحوالهن مرة ثانية فمن وجده قد وقع على شئ منتن أونجس قده نصفين ومن كانت جنايته خفيفة تركه خارج الخلية هذا دأب البواب كل عشية وأما الملك فلا يكثر الخروج من الخلية الا نادرا اذا اشتهى التنزه فيخرج ومعه أمراء النحل والخدم فيطوف في المروج والرياض والبساتين ساعة من النهار ثم يعود الى مكانه ومن عجيب أمره انه ربما لحقه أذى من النحل أومن صاحب الخلية أومن خدمه فيغضب ويخرج من الخلية ويتباعد عنها ويتبعه جميع النحل وتبقى الخلية خالية فاذا رأى صاحبها ذلك وخاف أن يأخذ النحل ويذهب بها الى مكان آخر احتال لاسترجاعه وطلب رضاه فيتعرف موضعه الذى صار اليه بالنحل فيعرفه

باجتماع النحل اليه فانها لا تفارقه وتجتمع عليه حتى تصير عليه عنقودا وهو اذا خرج غضبا جلس على مكان مرتفع من الشجرة وطافت به النحل وانضمت اليه حتى يصير كالكرة فيأخذ صاحب النحل رمحا أو قصبة طويلة ويشد على رأسه حزمة من النبات الطيب الرائحة العطر النظيف ويدنيه الى محل الملك ويكون معه إما مزهر أو يراع أو شيء من آلات الطرب فيحركه وقد أدنى اليه ذلك الحشيش فلا يزال كذلك الى أن يرضى الملك فاذا رضي وزال غضبه طفر ووقع على الضغث وتبعه خدمه وسائر النحل فيحمله صاحبه الى الخليه فينزل ويدخلها هو وجنوده ولا يقع النحل على جيفة ولا حيوان ولا طعام ومن عجيب أمرها أنها تقتل الملوك الظالمة المفسدة ولا تدين لطاعتها والنحل الصغار المجتمعة الخلق هي العسالة وهي تحاول مقاتلة الطوال القليلة النفع واخراجها ونفيها عن الخلايا واذا فعلت ذلك جاد العسل وتجتهد أن تقتل ما تريد قتله خارج الخلية صيانة للخليه عن جيفته ومنها صنف قليل النفع كبير الجسم وبينها وبين العسالة حرب فهي تقصدها وتقتلها وتفتح عليها بيوتها وتقصد هلاكها والعسالة شديدة التيقظ والتحفظ منها فاذا هجمت عليها في بيوتها حاولتها وألجأتها الى أبواب البيوت فتتلطخ بالعسل فلا تقدر على الطيران ولا يفلت منها الا الاكل طويل العمر فاذا انقضت الحرب وبرد القتال عادت الى القتلى فحملتها وألقتها خارج الخلية وقد ذكرنا ان الملك لا يخرج الا في الاحايين واذا خرج خرج في جموع من الفراخ والشبان واذا عزم على الخروج ظل قبل ذلك اليوم أو يومين يعلم الفراخ وينزلها منازلها ويرتبها فيخرج ويخرجن معه على ترتيب ونظام قد دبره معهن لا يخرجن عنه واذا تولدت عنده ذكران عرف أنهن يتطلبن الملك فيجعل كل واحد منهم على طائفة من الفراخ ولا يقتل ملك منها ملكا آخر لما في ذلك من فساد الرعية وهلاكها وتفرقها واذا رأى صاحب الخلية الملوك قد كثرت في الخلية وخاف من تفرق النحل بسببهم احتال عليهم وأخذ الملوك كلها الا واحدا ويحبس الباقي عنده في اناء ويدع عندهم من العسل ما يكفيهم حتى اذا حدث بالملك المنصوب حدث مرض أو موت أو كان مفسدا فقتلته النحل أخذ من هؤلاء المحبوسين واحدا وجعله مكانه لئلا يبقى النحل بلا ملك فيتشتت أمرها ومن عجيب أمرها ان الملك اذا خرج متنزها ومعه الامراء والجنود ربما لحقه إعياء فتحمله الفراخ وفي النحل كرام عمال لها سعي وهمة واجتهاد وفيها لئام كسالى قليلة النفع مؤثرة للبطالة فالكرام دائما تطردها وتنفيها عن الخلية ولا تساكنها خشية ان تعدي كرامها وتفسدها والنحل من ألطف الحيوان وانقاه ولذلك لا تلقي زبلها الا حين تطير وتكره النتن والروائح الخبيثة وابكارها وفراخها أحرس وأشد اجتهادا من الكبار وأقل لسعا وأجود عسلا ولسعها اذا لسعت أقل ضررا من لسع الكبار ولما كانت النحل من أنفع الحيوان وأبركه قد خصت من وحي الرب تعالى وهدايته بما لم يشركها فيه غيرها وكان الخارج من بطونها مادة الشفاء من الاسقام والنور الذي يضيء في الظلام بمنزلة الهداة من الانام كان أكثر الحيوان أعداء وكان أعداؤها من أقل الحيوان منفعة وبركة وهذه سنة الله في خلقه وهو العزيز الحكيم

﴿ فصل ﴾ وهذه النمل من اهدى الحيوانات وهدايتها من أعجب شيء فان النملة الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها وان بعدت عليها الطريق فاذا ظفرت به حملته وساقته في طرق معوجه بعيدة ذات صعود وهبوط في غاية من التوعر حتى تصل الى بيوتها فتخزن فيها أقواتها في وقت الامكان

فاذا خزنتها عمدت الى ماينبت منها ففلقته فلقتين لئلا ينبت فان كان ينبت مع فلقه باثنتين فلقته باربعة
فاذا أصابه بلل وخافت عليه العفن والفساد انتظرت به يوما ذا شمس فخرجت به فنشرته على أبواب بيوتها
ثم أعادته اليها ولا تتغذى منها نملة مما جمعه غيرها ويكفي في هداية النمل ماحكاه الله سبحانه في القرآن
عن النملة التي سمع سليمان كلامها وخطابها لاصحابها بقولها (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم
سليمان وجنوده وهم لايشعرون) فاستفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه من خاطبته ثم أتت بالاسم
المبهم ثم اتبعته بما يثبته من اسم الجنس ارادة للعموم ثم أمرتهم بان يدخلوا مساكنهم فيتحصنون من
العسكر ثم أخبرت عن سبب هذا الدخول وهو خشية أن يصيبهم معرة الجيش فيحطمهم سليمان
وجنوده ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لايشعرون بذلك وهذا من أعجب الهداية وتأمل كيف
عظم الله سبحانه شأن النمل بقوله (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون)
ثم قال (حتى اذا أتوا على وادي النمل) فاخبر أنهم باجمعهم مروا على ذلك الوادي ودل على ان ذلك
الوادي معروفا بالنمل كوادي السباع ونحوه ثم أخبر بما دل على شدة فطنة هذه النملة ودقة معرفتها
حيث أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم المختصة بهم فقد عرفت هي والنمل أن لكل طائفة منها مسكنا
لايدخل عليهم فيه سواهم ثم قالت لايحطمنكم سليمان وجنوده فجمعت بين اسمه وعينه وعرفته بهما
وعرفت جنوده وقائدها ثم قالت وهم لايشعرون فكأنها جمعت بين الاعتذار عن مضرة الجيش بكونهم
لايشعرون وبين لوم أمة النمل حيث لم يأخذوا حذرهم ويدخلوا مساكنهم ولذلك تبسم نبي الله
ضاحكا من قولها وانه لموضع تعجب وتبسم وقد روى الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عيينة عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النمل والنحلة والهدهد والصرد وفي الصحيح
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل نبي من الانبياء تحت شجرة فقرصته نملة فأمر
بجهازه فاخرج وأمر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله اليه أمن أجل أن قرصتك نملة أحرقت أمة من
الامم تسبح فهلا نملة واحدة وذكر هشام بن حسان ان أهل الاحنف بن قيس لقوا من النمل شدة
فامر الاحنف بكرسي فوضع عند تنورين فجلس عليه ثم تشهد ثم قال لتنتهن أوليحرقن عليكن ونفعل
ونفعل قال فذهبن وروى عوف بن أبي جميلة عن قسامة بن زهير قال قال أبو موسى الاشعري ان لكل
شيء سادة حتى للنمل سادة ومن عجيب هدايتها انها تعرف ربها بانه فوق سمواته على عرشه كما رواه
الامام أحمد في كتاب الزهد من حديث أبي هريرة يرفعه قال خرج نبي من الانبياء بالناس يستسقون
فاذاهم بنملة رافعة قوائمها الى السماء تدعو مستلقية على ظهرها فقال ارجعوا فقد كفيتم أو سقيتم
بغيركم ولهذا الاثر عدة طرق ورواه الطحاوي في التهذيب وغيره وقال الامام احمد حدثنا

بياض بالاصل

قال خرج سليمان بن داود يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها
الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ليس بنا غنا عن سقياك ورزقك فاما أن تسقينا وترزقنا
واما أن تهلكنا فقال ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ولقد حدثني ان نملة خرجت من بيتها فصادفت
شق جرادة فحاولت أن تحمله فلم تطق فذهبت وجاءت معها باعوان يحملنه معها قال فرفعت ذلك من
الارض فطافت في مكانه فلم تجده فانصرفوا وتركوها قال فوضعته فعادت تحاول حمله فلم تقدر فذهبت
وجاءت بهم فرفعته فطافت فلم تجده فانصرفوا قال فعلت ذلك مرارا فلما كان في المرة الاخرى استدار

النمل حلقة ووضعوها في وسطها وطوفوها عضوا عضوا قال شيخنا وقد حكيت له هذه الحكاية فقال هذه النمل فطرها الله سبحانه على قبح الكذب وعقوبة الكذاب والنمل من أحرص الحيوان ويضرب بحرصه المثل ويذكر ان سليمان صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حرص النملة وشدة ادخارها للغذاء استحضر نملة وسألها كم تأكل النملة من الطعام كل سنة قالت ثلاث حبات من الحنطة فامر بالقائها في قارورة وسد فم القارورة وجعل معها ثلاث حبات حنطة وتركها سنة بعد ماقالت ثم أمر بفتح القارورة عند فراغ السنة فوجد حبة ونصف حبة فقال أين زعمك أنت زعمت ان قوتك كل سنة ثلاث حبات فقالت نعم ولكن لما رأيتك مشغولا بمصالح أبناء جنسك حسبت الذي بقي من عمري فوجدته أكثر من المدة المضروبة فاقتصرت على نصف القوت واستبقيت نصفه استبقاء لنفسي فعجب سليمان من شدة حرصها وهذا من أعجب الهداية والعطية ومن حرصها أنها تكد طول الصيف وتجمع للشتاء علما منها باعواز الطلب في الشتاء وتعذر الكسب فيه وهي على ضعفها شديدة القوى فانها تحمل أضعاف أضعاف وزنها وتجره الى بيتها ومن عجيب أمرها انك اذا أخذت عضو كزبرة يابس فادنيته الى أنفك لم تشم له رائحة فاذا وضعته على الارض أقبلت النملة من مكان بعيد اليه فان عجزت عن حمله ذهبت وأتت معها بصف من النمل يحتملونه فكيف وجدت رائحة ذلك من جوف بيتها حتى أقبلت بسرعة اليه فهي تدرك بالشم من البعد مايدركه غيرها بالبصر أو بالسمع فتأتي من مكان بعيد الى موضع أكل فيه الانسان وبقي فيه فتات من الخبز أو غيره فتحمله وتذهب به وان كان أكبر منها فان عجزت عن حمله ذهبت الى جحرها وجاءت معها بطائفة من أصحابها فجاؤا كخيط أسود يتبع بعضهم بعضا حتى يتساعدوا على حمله ونقله وهي تأتي الى السنبلة فتشمها فان وجدتها حنطة قطعتها ومزقتها وحملتها وان وجدتها شعيرا فلاولها صدق الشم وبعد الهمة وشدة الحرص والجراءة على محاولة نقل ماهو أضعاف أضعاف وزنها وليس للنمل قائد ورئيس يدبرها كما يكون للنحل الا أن لها رائدا يطلب الرزق فاذا وقف عليه أخبر أصحابه فيخرجن مجتمعات وكل نملة تجتهد في صلاح العامة منها غير مختلسة من الحب شيأ لنفسها دون صواحباتها ومن عجيب أمرها ان الرجل اذا أراد أن يحترز من النمل لايسقط في عسل أو نحوه فانه يحفر حفيرة ويجعل حولها ماء أو يتخذ اناء كبيرا ويملأه ماء ثم يضع فيه ذلك الشئ فيأتي الذي يطيف به فلا يقدر عليه فيتسلق في الحائط ويمشي على السقف الى أن يحاذي ذلك الشئ فتلقي نفسها عليه وجربنا نحن ذلك وأحمى صانع مرة طوقا بالنار ورماه على الارض ليبرد واتفق ان اشتمل الطوق على نمل فتوجه في الجهات ليخرج فالحقه وهج النار فلزم المركز ووسط الطوق وكان ذلك مركزا له وهو أبعد مكان من المحيط

﴿ فصل ﴾ وهذا الهدهد من أهدى الحيوان وأبصره بمواضع الماء تحت الارض لايراه غيره ومن هدايته ماحكاه الله عنه في كتابه ان قال لنبي الله سليمان وقد فقده وتوعده فلما جاءه بدره بالعذر قبل أن ينذره سليمان بالعقوبة وخاطبه خطابا هيجه به على الاصغاء اليه والقبول منه فقال أحطت بما لم تحط به وفي ضمن هذا أني أتيتك بامر قد عرفته حق المعرفة بحيث أحطت به وهو خبر عظيم له شأن فلذلك قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين والنبأ هو الخبر الذي له شأن والنفوس متطلعة الى معرفته ثم وصفه بأنه نبأ يقين لاشك فيه ولاريب فهذه مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله بذلك النبأ استفرغت

قلب

قلب المخبر لتلقي الخبر وأوجبت له التشوف التام الى سماعه ومعرفته وهذا نوع من براعة الاستهلال
وخطاب التهييج ثم كشف عن حقيقة الخبر كشفا مؤكدا بادلة التأكيد فقال اني وجدت امرأة تملكهم
ثم أخبر عن شأن تلك الملكة وانها من اجل الملوك بحيث اوتيت من كل شيء يصلح ان تؤتاه الملوك
ثم زاد في تعظيم شأنها بذكر عرشها التي تجلس عليه وانه عرش عظيم ثم أخبره بما يدعوهم الى قصدهم
وغزوهم في عقر دارهم بعد دعوتهم الى الله فقال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
وحذف اداة العطف من هذه الجملة وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ماقبلها إيذانا بأنها هي المقصودة
وما قبلها توطئة لها ثم أخبر عن المغوى لهم الحامل لهم على ذلك وهو تزيين الشيطان لهم أعمالهم حتى
صدهم عن السبيل المستقيم وهو السجود لله وحده ثم أخبر ان ذلك الصد حال بينهم وبين الهداية
والسجود لله الذي لا ينبغي السجود الا له ثم ذكر من أفعاله سبحانه اخراج الخبء في السموات والارض
وهو المخبوء فيهما من المطر والنبات والمعادن وأنواع ماينزل من السماء ومايخرج من الارض وفي ذكر
الهدهد هذا الشأن من أفعال الرب تعالى بخصوصه اشعار بما خصه الله به من اخراج الماء المخبوء
تحت الارض قال صاحب الكشاف وفي اخراج الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته
الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا
يكاد يخفى على ذي الفراسة الناظر بنور الله مخايل كل شخص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه
وشمائله فما عمل آدمي عملا الا ألقى الله عليه رداء عمله

فصل وهذا الحمام من اعجب الحيوان هداية حتى قال الشافعي أعقل الطير الحمام وبرد الحمام
هي التي تحمل الرسائل والكتب وربما زادت قيمة الطير منها على قيمة المملوك والعبد فان الغرض
الذي يحصل به لا يحصل بمملوك ولا بحيوان غيره لانه يذهب ويرجع الى مكانه من مسيرة ألف فرسخ
فما دونها وتنهى الاخبار والاغراض والمقاصد التي تتعلق بها مهمات الممالك والدول والقيمون بأمرها
يعتنون بانسابها اعتناء عظيما فيفرقون بين ذكورها واناثها وقت السفاد وتنقل الذكور عن اناثها الى
غيرها والاناث عن ذكورها ويخافون عليها من فساد انسابها وحملها من غيرها ويتعرفون صحة طرقها
ومحلها لا يأمنون أن تفسد الانثى ذكرا من عرض الحمام فتعتريها الهجنة والقيمون بأمرها لا يحفظون
أرحام نسائهم ويحتاطون لها كما يحفظون أرحام حمامهم ويحتاطون لها والقيمون لهم في ذلك قواعد
وطرق يعتنون بها غاية الاعتناء بحيث اذا رأوا حماما ساقطا لم يخف عليهم حسبها ونسبها وبلدها ويعظمون
صاحب التجربة والمعرفة وتسمح أنفسهم بالجعل الوافر له ويختارون لحمل الكتب والرسائل الذكور
منها ويقولون هو أحن الى بيته لمكان أنثاه وهو أشد متنا وأقوى بدنا وأحسن اهتداء وطائفة منهم
يختار لذلك الاناث ويقولون الذكر اذا سافر وبعد عهده حن الى الاناث وتاقت نفسه اليهن فربما
رأى أنثى في طريقه ومجيئه فلا يصبر عنها فيترك المسير ومال الى قضاء وطره منها وهدايته على قدر
التعليم والتوطين والحمام موصوف باليمن والالف للناس ويحب الناس ويحبونه ويألف المكان ويثبت
على العهد والوفاء لصاحبه وان أساء اليه ويعود اليه من مسافات بعيدة وربما صد فترك وطنه عشر
حجج وهو ثابت على الوفاء حتى اذا وجد فرصة واستطاعة عاد اليه والحمام اذا أراد السفاد يلطف
للانثى غاية التلطف فيبدأ بنشر ذنبه وارخاء جناحه ثم يدنو من الانثى فيهدر لها ويقبلها ويزفها ويتنفش

ويرفع صدره ثم يعتريه ضرب من الوله والانثى في ذلك مرسلة جناحها وكتفها على الارض فاذا قضى حاجته منها ركبته الانثى وليس ذلك في شيء من الحيوان سواه واذا علم الذكر انه أودع رحم الانثى مايكون منه الولد يقدم هو والانثى بطلب القصب والحشيش وصغار العيدان فيعملان منه أفحوصة وينسجانها نسجا متداخلا في الوضع الذى يكون بقدر حيمان الحمامة ويجعلان حروفها شاخصة مرتفعة لئلا يتدحرج عنها البيض ويكون حصنا للحاضن ثم يتعاودان ذلك المكان ويتعاقبان الافحوص يسخنانه ويطيبانه وينفيان طباعه الاول ويحدثان فيه طبعا آخر مشتقا ومستخرجا من طباع ابدانهما ورائحتهما لكى تقع البيضة اذا وقعت في مكان هو أشبه المواضع بارحام الحمام ويكون على مقدار من الحر والبرد والرخاوة والصلابة ثم اذا ضربها المخاض بادرت الى ذلك المكان ووضعت فيه البيض فان أفزعها رعد قاصف رمت بالبيضة دون ذلك المكان الذى هيأته كالمرأة التى تسقط من الفزع فاذا وضعت البيض في ذلك المكان لم يزالا يتعاقبان الحضن حتى اذا بلغ الحضن مداه وانتهت أيامه انصدع عن الفرخ فاعاناه على خروجه فيبدآن أولا بنفخ الريح في حلقه حتى تتسع حوصلته علما منهما بان الحوصلة تضيق عن الغذاء فتتسع الحوصلة بعد التحامها وتنفتق بعد ارتتاقها ثم يعلمان ان الحوصلة وان كانت قد اتسعت شيأ فانها في أول الامر لاتحتمل الغذاء فيزقانه بلعابهما المختلط بالغذاء وفيه قوى الطعم ثم يعلمان ان طبع الحوصلة تضعف عن استمرار الغذاء وانها تحتاج الى دفع وتقوية لتكون لها بعض المتانة فيلقطان من الغيطان الحب اللين الرخو ويزقانه الفرخ ثم يزقانه بعد ذلك الحب الذى هو أقوى وأشد ولايزالان يزقانه بالحب والماء على تدريج بحسب قوة الفرخ وهو يطلب ذلك منهما حتى اذا علما انه قد أطاق اللقط منعاه بعض المنع ليحتاج الى اللقط ويعتاده واذا علما ان رئته قد قويت ونمت وانهما ان فطماه فطما تاما قوى على اللقط وتبلغ لنفسه ضرباه اذا سألهما الزق ومنعاه ثم تنزع تلك الرحمة العجيبة منهما وينسيان ذلك التعطف المتمكن حين يعلمان انه قد أطاق القيام بنفسه والتكسب ثم يبتدآن العمل ابتداء على ذلك النظام والحمام يشاكل الناس في أكثر طباعه ومذاهبه فان من اناثه أنثى لاتريد الا زوجها وفيه أخرى لاتريد لامس وأخرى لاتنال الا بعد الطلب الحثيث وأخرى تركب من أول وهلة وأول طلب وأخرى لها ذكر معروف بها وهى تمكن ذكرا آخر منها اذا غاب زوجها لم تمتنع ممن ركبها وأخرى تمكن من يغنيها عن زوجها وهو يراهما ويشاهدهما ولاتبالى بحضوره وأخرى تعمط الذكر وتدعوه الى نفسها وأنثى تركب أنثى وتساحقها وذكر يركب ذكرا ويسفه وكل حالة توجد في الناس ذكورهم واناثهم توجد في الحمام وفيها من لاتبيض وان باضت أفسدت البيضة كالمرأة التى لاتريد الولد كيلا يشغلها عن شأنها وفي أناث الحمام من اذا عرض لها ذكر أى ذكر كان أسرعت هاربة ولا تواتى غير زوجها البتة بمنزلة المرأة الحرة ومنها مايأخذ أنثى يتمتع بها ثم ينتقل عنها الى غيرها وكذلك الانثى توافق ذكرا آخر عن زوجها وتنتقل عنه وان كانوا جميعا في برج واحد ومنها مايتصالح على الانثى منها ذكران أو أكثر فتعايرهم كلهم حتى اذا غلب واحد منهم لرفيقه وقهره مالت اليه وأعرضت عن المغلوب وفي الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى حمامة تتبع حمامة فقال شيطان يتبع شيطانة ومنها مايزق فراخه خاصة ومنها مافيه شفقة ورحمة بالغة يزق فراخه وغيرها ومن عجيب هداها انها اذا حملت الرسائل سلكت الطرق البعيدة عن القرى ومواضع الناس لئلا يعرض لها من

يصدها ولا يرد مياههم بل يرد المياه التى لايردها الناس ومن هدايتها أيضا انه اذا رأى الناس في الهواء عرف أى صنف يريده وأى نوع من الانواع ضده فيخالف فعله ليسلم منه ومن هدايته انه في أول نهوضه يغفل ويمر بين النسر والعقاب وبين الرخم والبازى وبين الغراب والصقر فيعرف من يقصده ومن لايقصده وان رأى الشاهين فكأنه يرى السم الناقع وتأخذه حيرة كما يأخذ الشاة عند رؤية الذئب والحمار عند مشاهدة الأسد ومن هداية الحمام ان الذكر والانثى يتقاسمان أمر الفراخ فتكون الحضانة والتربية والكفالة على الانثى وجلب القوت والزق على الذكر فان الاب هو صاحب العيال والكاسب لهم والام هى التى تحبل وتلد وترضع ومن عجيب أمرها ماذكره الجاحظ ان رجلا كان له زوج حمام مقصوص وزوج طيار وللطيار فرخان قال ففتحت لهما في أعلى الغرفة كوة للدخول والخروج وزق فراخهما قال فحبسنى السلطان فجأة فاهتممت بشأن المقصوص غاية الاهتمام ولم أشك في موتهما لانهما لايقدران على الخروج من الكوة وليس عندهما مايأكلان ويشربان قال فلما خلى سبيلى لم يكن لى هم غيرهما ففتحت البيت فوجدت الفراخ قد كبرت ووجدت المقصوص على أحسن حال فعجبت فلم البث ان جاء الزوج الطيار فدنا الزوج المقصوص الى أفواههما يستطعمانهما كما يستطعم الفرخ فزقاهما فانظر الى هذه الهداية فان المقصوصين لما شاهدا تلطف الفراخ للابوين وكيف يستطعمانهما اذا اشتد بهما الجوع والعطش فعلا كفعل الفرخين فأدركتهما رحمة الطيارين فزقاهما كما يزقان فرخيهما ونظير ذلك ماذكره الجاحظ وغيره قال الجاحظ وهو أمر مشهور عندنا بالبصرة انه لما وقع الطاعون الجارف أتى على أهل دار فلم يشك أهل تلك المحلة انه لم يبق منهم أحد فعمدوا الى باب الدار فسدوه وكان قد بقى صبى صغير يرضع ولم يفطنوا له فلما كان بعد ذلك بمدة تحول اليها بعض ورثة القوم ففتح الباب فلما أفضى الى عرصة الدار اذا هو بصبى يلعب مع جراء كلبة قد كانت لاهل الدار فراعه ذلك فلم يلبث ان أقبلت كلبة قد كانت لاهل الدار فلما رآها الصبى حبا اليها فامكنته من أطبائها فمصها وذلك ان الصبى لما اشتد جوعه ورأى جراء الكلبة يرتضعون من أطباء الكلبة حبا اليها فعطفت عليه فلما سقته مرة أدامت له ذلك وأدام هو الطلب ولا يستبعد هذا وما هو أعجب منه فان الذى هدى المولود الى مص إبهامه ساعة يولد ثم هداه الى التقام حلمة ثدى لم يتقدم له به عادة كأنه قد قيل له هذه خزانة طعامك وشرابك التى كأنك لم تزل بها عارفا وفي هدايته للحيوان الى مصالحه ماهو أعجب من ذلك ومن ذلك ان الديك الشاب اذا لقى حبا لم يأكله حتى يفرقه فاذا هرم وشاخ أكله من غير تفريق كما قال المدائنى ان إياس بن معاوية مر بديك ينقر حبا ولايفرقه فقال ينبغى أن يكون هرما فان الديك الشاب يفرق الحب ليجتمع الدجاج حوله فتصيب منه والهرم قد فنيت رغبته فليس له همة الا نفسه قال اياس والديك يأخذ الحبة فهو يريها الدجاجة حتى يلقيها من فيه والهرم يبتلعها ولا يلقيها للدجاجة وذكر ابن الاعرابى قال أكلت حية بيض مكاء فجعل المكاء يصوت ويطير على رأسها ويدنو منها حتى اذا فتحت فاها وهمت به ألقى حسكة فاخذت بحلقها حتى ماتت وأنشد أبو عمرو الشيبانى في ذلك قول الاسدى

ان كنت أبصرتنى عيلا ومصطلما   فربما قتل المكاء ثعبانا

وهداية الحيوانات الى مصالح معاشها كالبحر حدث عنه ولا حرج ومن عجيب هدايتها ان الثعلب اذا

امتلأ من البراغيث أخذ صوفة بفمه ثم عمد الى ماء رقيق فنزل فيه قليلا قليلا حتى ترتفع البراغيث الى الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج ومن عجيب أمره ان ذئبا أكل أولاده وكان للذئب أولاد وهناك زبية فعمد الثعلب وألقى نفسه فيها وحفر فيها سردابا يخرج منه ثم عمد الى أولاد الذئب فقتلهم وجلس ناحية ينتظر الذئب فلما أقبل وعرف انها فعلته هرب قدامه وهو يتبعه فالقى نفسه في الزبية ثم خرج من السرداب فالقى الذئب نفسه وراءه فلم يجده ولم يطق الخروج فقتله أهل الناحية ومن عجيب أمره ان رجلا كان معه دجاجتان فاختفى له وخطف احداهما وفر ثم أعمل فكره في أخذ الاخرى فتراأى لصاحبها من بعيد وفي فمه شئ شبيه بالطائر وأطمعه في استعادتها بأن تركه وفر فظن الرجل انها الدجاجة فأسرع نحوها وخالفه الثعلب الى اختها فاخذها وذهب ومن عجيب أمره انه أتى الى جزيرة فيها طير فاعمل الحيلة كيف يأخذ منها شيأ فلم يطق فذهب وجاء بضغث من حشيش وألقاه في مجرى المـاء الذى نحو الطير ففزع منه فلما عرفت انه حشيش رجعت الى أماكنها فعاد لذلك مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى تواظب الطير على ذلك والفته فعمد الى جرزة أكبر من ذلك فدخل فيها وعبر الى الطير فلم يشك الطير انه من جنس ماقبله فلم تنفر منه فوثب على طائر منها وعدا به ومن عجيب أمر الذئب انه عرض لانسان يريد قتله فرأى معه قوسا وسهما فذهب وجاء بعظم رأس جمل في فيه وأقبل نحو الرجل فجعل الرجل كلما رماه بسهم اتقاه بذلك العظم حتى أعجزه وعاين نفاذ سهمه فصادف من استعان به على طرد الذئب ومن عجيب أمر القرد ماذكره البخارى في صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودى قال رأيت في الجاهلية قردا وقردة زنيا فاجتمع عليهما القرود فرجموهما حتى ماتا فهؤلاء القرود أقاموا حد الله حين عطله بنو آدم وهذه البقر يضرب ببلادتها المثل وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا بينا هو يسوق بقرة إذ ركبها فقالت لم أخلق لهذا فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال فاني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر ٠ وماهما ثم قال وبينا رجل يرعى غنما له اذ عدا الذئب على شاة منها فاستنقذها منه فقال الذئب هذه استنقذتها منى فمن لها يوم السبع يوم لاراعى لها غيرى. فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر ٠ وماهما ثم ٠ ومن هداية الحمار الذى هو من أبلد الحيوان ان الرجل يسير به ويأتى به الى منزله من البعد في ليلة مظلمة فيعرف المنزل فاذا خلى جاء اليه ويفرق بين الصوت الذى يستوقف به والصوت الذى يحث به على السير ٠ ومن عجيب أمر الفار انها اذا شربت من الزيت الذى في أعلا الجرة فنقص وعز عليها الوصول اليه ذهبت وحملت في أفواهها ماء وصبته في الجرة حتى يرتفع الزيت فتشربه والاطباء تزعم ان الحقنة أخذت من طائر طويل المنقار اذا تعسر عليه الذرق جاء الى البحر المالح وأخذ بمنقاره منه واحتقن به فيخرج الذرق بسرعة وهذا الثعلب اذا اشتد به الجوع انتفخ ورمى بنفسه في الصحراء كانه جيفة فتتداوله الطير فلا يظهر حركة ولا نفسا فلا تشك انه ميت حتى اذا نقر بمنقاره وثب عليها فضمها ضمة الموت وهذا ابن عرس والقنفذ اذا أكلا الافاعى والحيات عمدا الى الصتر النهرى فاكلاه كالترياق لذلك ومن عجيب أمر الثعلب انه اذا أصاب القنفذ قلبه لظهره لاجل شوكه فيجتمع القنفذ حتى يصير كبة شوك فيبول الثعلب على بطنه مابين مغرز عجبه الى فكيه فاذا أصابه البول اعتراه الاسر فانبسط فيسلخه الثعلب من بطنه ويأكل مسلوخه وكثير من العقلاء يتعلم من الحيوانات البهم أمورا تنفعه في معاشه وأخلاقه

وصناعته وحربه وحزمه وصبره وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس قال تعالى (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) قال أبو جعفر الباقر والله مااقتصر على تشبيههم بالانعام حتى جعلهم أضل سبيلا منها فمن هدى الانثى من السباع اذا وضعت ولدها ان ترفعه في الهواء أياما تهرب به من الذر والنمل لانها تضعه كقطعة من لحم فهى تخاف عليه الذر والنمل فلا تزال ترفعه وتضعه وتحوله من مكان الى مكان حتى يشتد وقال ابن الاعرابى قيل لشيخ من قريش من علمك هذا كله وانما يعرف مثله أصحاب التجارب والتكسب قال علمنى الله ماعلم الحمامة تقلب بيضها حتى تعطى الوجهين جميعا نصيبهما من حضانتها ولخوف طباع الارض على البيض اذا استمر على جانب واحد وقيل لآخر من علمك اللجاج في الحاجة والصبر عليها وان استعصت حتى تظفر بها قال من علم الخنفساء اذا صعدت في الحائط تسقط ثم تصعد ثم تسقط مرارا عديدة حتى تستمر صاعدة وقيل لآخر من علمك البكور في حوائجك أول النهار لاتخل به قال من علم الطير تغدو خماصا كل بكرة في طلب أقواتها على قربها وبعدها لاتسأم ذلك ولا تخاف مايعرض لها في الجو والارض وقيل لآخر من علمك السكون والتحفظ والتماوت حتى تظفر بأربك فاذا ظفرت به وثبت وثوب الاسد على فريسته فقال الذى علم السهر أن ترصد جحر الفأرة فلا تتحرك ولا تتلوى ولا تختاج كأنها ميتة حتى اذا برزت لها الفأرة وثبت عليها كالاسد وقيل لآخر من علمك الصبر والجلد والاحتمال وعدم السكون قال من علم أبا أيوب صبره على الاثقال والاحمال الثقيلة والمشي والتعب وغلظة الجمال وضربه فالثقل والكل على ظهره ومرارة الجوع والعطش في كبده وجهد التعب والمشقة ملأ جوارحه ولا يعدل به ذلك عن الصبر وقيل لآخر من علمك حسن الايثار والسماحة بالبذل قال من علم الديك يصادف الحبة في الارض وهو يحتاج اليها فلا يأكلها بل يستدعى الدجاج ويطلبهن طلبا حثيثا حتى تجيء الواحدة منهن فتلقطها وهو مسرور بذلك طيب النفس به واذا وضع له الحب الكثير فرقه هاهنا وهاهنا وان لم يكن هناك دجاج لان طبعه قد ألف البذل والجود فهو يرى من اللؤم أن يستبد وحده بالطعام وقيل لآخر من علمك هذا التحيل في طلب الرزق ووجوه تحصيله قال من علم الثعلب تلك الحيل التى يعجز العقلاء عن علمها وعملها وهى أكثر من أن تذكر ومن علم الاسد اذا مشى وخاف أن يقتفى أثره ويطلب عفى أثر مشيته بذنبه ومن علمه أن يأتى الى شبله في اليوم الثالث من وضعه فينفخ في منخريه لان اللبوة تضعه جروا كالميت فلا تزال تحرسه حتى يأتى أبوه فيفعل به ذلك ومن الهم كرام الاسود وأشرافها أن لاتأكل الا من فريستها واذا مر بفريسة غيره لم يدن منها ولو جهده الجوع ومن علم الاسد ان يخضع للببر ويذل له اذا اجتمعا حتى ينال منه له ومن عجيب أمره انه اذا استعصى عليه شيء من السباع دعا الاسد فاجابه اجابة المملوك لمالكه ثم أمره فربض بين يديه فيبول في أذنيه فاذا رأت السباع ذلك أذعنت له بالطاعة والخضوع ومن علم الثعلب اذا اشتد به الجوع أن يستلقى على ظهره ويختلس نفسه الى داخل بدنه حتى ينتفخ فيظن الظان انه ميتة فيقع عليه فيثب على من انقضى عمره منها ومن علمه اذا أصابه صدع أو جرح أن يأتى الى صبغ معروف فيأخذ منه ويضعه على جرحه كالمرهم ومن علم الدب اذا أصابه كلم أن يأتى الى نبت قد عرفه وجهله صاحب الحشائش فيتداوى به فيبرأ ومن علم الانثى من الفيلة اذا دناوقت ولادتها أن تأتى الى الماء فتلد فيه لانها دون

الحيوانات لاتلد الا قائمة لان أوصالها على خلاف أوصال الحيوان وهى عالية فتخاف أن تسقطه على الارض فينصدع أوينشق فتأتى ماء وسطا تضعه فيه يكون كالفراش اللين والوطاء الناعم ومن علم الذباب اذا سقط في مائع أن يتقى بالجناح الذى فيه الداء دون الآخر ومن علم الكلب اذا عاين الظباء أن يعرف المعتل من غيره والذكر من الانثى فيقصد الذكر مع علمه بان عدوه أشد وأبعد وثبة ويدع الانثى على نقصان عدوها لانه قد علم ان الذكر اذا عدا شوطا أوشوطين حقن ببوله وكل حيوان اذا اشتد فزعه فانه يدركه الحقن واذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو فيقل عدوه فيدركه الكلب وأما الانثى فتحذف بولها لسعة القبل وسهولة المخرج فيدوم عدوها ومن علمه انه اذا كسا الثلج الارض أن يتأمل الموضع الرقيق الذى قد انخسف فيعلم ان تحته جحر الارنب فينبشه ويصطادها علما منه بأن حرارة أنفاسها تذيب بعض الثلج فيرق ومن علم الذئب اذا نام أن يجعل النوم نوبا بين عينيه فينام باحداهما حتى اذا نعست الاخرى نام بها وفتح النائمة حتى قال بعض العرب

ينام باحدى مقلتيه ويتقى   باخرى المنايا فهو يقظان نائم

ومن علم العصفورة اذا سقط فرخها أن تستغيث فلايبقى عصفور بجوارها حتى يجيء فيطيرون حول الفرخ ويحركونه بافعالهم ويحدثون له قوة وهمة وحركة حتى يطير معهم قال بعض الصيادين ربما رأيت العصفور على الحائط فاومى بيدى كأنى أرميه فلا يطير وربما أهويت الى الارض كانى أتناول شيئا فلا يتحرك فان مسست بيدى أدنى حصاة أوحجر أونواة طار قبل أن تتمكن منها يدى ومن علم الحمامة اذا حملت أن تأخذ هى والاب في بناء العش وأن يقيما له حروفا تشبه الحائط ثم يسخناه ويحدثا فيه طبيعة أخرى ثم يقلبان البيض في الايام ومن قسم بينهما الحضانة والكد فاكثر ساعات الحضانة على الانثى وأكثر ساعات جلب القوت على الاب واذا خرج الفرخ علما ضيق حوصلته عن الطعام فنفخا فيه نفخا متداركا حتى تتسع حوصلته ثم يزقانه اللعاب أو شيئا قبل الطعام وهو كاللبا للطفل ثم يعلمان احتياج الحوصلة الى دباغ فيزقانه من أصل الحيطان من شيء بين الملح والتراب تندبغ به الحوصلة فاذا اندبغت زقاه الحب فاذا علما انه أطاق اللقط منعاه الزق على التدريج فاذا تكاملت قوته وسألهما الكفالة ضرباه ومن علمهما اذا ارادا السفاد أن يبتدئ الذكر بالدعاء فتتطارد له الانثى قليلا لتذيقه حلاوة المواصلة ثم تطيعه في نفسها ثم تمتنع بعض التمنع ليشتد طلبه وحبه ثم تتهادى وتتكسل وتريه معاطفها وتعرض محاسنها ثم يحدث بينهما من التغزل والعشق والتقبيل والرشف ماهو مشاهد بالعيان ومن علم المرسلة منها اذا سافرت ليلا أن تستدل ببطون الاودية ومجارى المياه والجبال ومهاب الريح ومطالع الشمس ومغربها فتستدل بذلك وبغيره اذا ضلت فاذا عرفت الطريق مرت كالريح ومن علم الليث وهو صنف من العناكب أن يلطأ بالارض ويجمع نفسه فيرى الذبابة انه لاه عنها ثم يثب عليها وثوب الفهد ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة وتجعل في أعلاها خيطا ثم تتعلق به فاذا تعرقلت البعوضة في الشبكة تدلت اليها فاصطادتها ومن علم الظبى انه لايدخل كناسه الا مستدبرا ليستقبل بعينيه مايخافه على نفسه وخشفه ومن علم السنور اذا رأى فأرة في السقف أن يرفع رأسه كالمشير اليها بالعود ثم يشير اليها بالرجوع وانما يريد أن يدهشها فتزلق فتسقط ومن علم اليربوع أن يحفر بيته في سفح الوادى حيث يرتفع عن مجرى السيل ليسلم من مدق الحافر ومجرى الماء ويعمقه ثم يتخذ في زواياه

أبوابا

أبوابا عديدة ويجعل بينها وبين وجه الارض حاجزا رقيقا فاذا أحس بالشر فتح بعضها بأيسر شئ وخرج منه ولما كان كثير النسيان لم يحفر بيته الا عند أكمة أو صخرة علامة له على البيت اذا ضل عنه ومن علم الفهد اذا سمن أن يتوارى لثقل الحركة عليه حتى يذهب ذلك السمن ثم يظهر ومن علم الايل اذا سقط قرنه أن يتوارى لان سلاحه قد ذهب فيسمن لذلك فاذا كمل نبات قرنه تعرض للشمس والريح وأكثر من الحركة ليشتد لحمه ويزول السمن المانع له من العدو وهذا باب واسع جدا ويكفي فيه قوله سبحانه (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون إخبارا عن أمر غير ممكن فعله وهو أن الكلاب أمة لا يمكن افناؤها لكثرتها في الارض فلو أمكن اعدامها من الارض لامرت بقتلها والثاني أن يكون مثل قوله امن أجل ان قرصتك نملة أحرقت أمة من الامم تسبح فهي أمة مخلوقة بحكمة ومصلحة فاعدامها وافناؤها يناقض ماخلقت لاجله والله أعلم بما أراد رسوله قال ابن عباس في رواية عطاء الا أمم أمثالكم يريد يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني ويحمدونني مثل قوله تعالى (وان من شئ الا يسبح بحمده) ومثل قوله (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات ومن في الارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) ويدل على هذا قوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) وقوله (ولله يسجد مافي السموات وما في الارض من دابة) ويدل عليه قوله تعالى (ياجبال أوبي معه والطير) ويدل عليه قوله (وأوحى ربك الى النحل) وقوله (قالت نملة ياأيها النمل) وقول سليمان (علمنا منطق الطير) وقال مجاهد أمم أمثالكم أصناف مصنفة تعرف بأسمائها وقال الزجاج أمم أمثالكم في انها تبعث وقال ابن قتيبة أمم أمثالكم في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك وقال سفيان بن عيينة مافي الارض آدمي الا وفيه شبه من البهائم فمنهم من يهتصر اهتصار الاسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقي اليها الطعام الطيب عافته فاذا قام الرجل عن رجيعه ولغت فيه فلذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها وان أخطأ رجل ترواه وحفظه قال الخطابي ماأحسن ماتأول سفيان هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة وذلك ان الكلام اذا لم يكن حكمه مطاوعا لظاهره وجب المصير الى باطنه وقد أخبر الله عن وجود المماثلة بين الانسان وبين كل طائر ودابة وذلك ممتنع من جهة الخلقة والصورة وعدم من جهة النطق والمعرفة فوجب أن يكون منصرفا الى المماثلة في الطباع والاخلاق واذا كان الامر كذلك فاعلم انك انما تعاشر البهائم والسباع فليكن حذرك منهم ومباعدتك اياهم على حسب ذلك انتهى كلامه والله سبحانه قد جعل بعض الدواب كسوبا محتالا وبعضها متوكلا غير محتال وبعض الحشرات يدخر لنفسه قوت سنته وبعضها يتكل على الثقة بان له في كل يوم قدر كفايته رزقا مضمونا وأمرا مقطوعا وبعضها يدخر وبعضها لا تكسب له وبعض الذكورة يعول ولده وبعضها لا يعرف ولده البتة وبعض الاناث تكفل ولدها لا تعدوه وبعضها تضع ولدها وتكفل ولد غيرها وبعضها لا تعرف ولدها اذا استغنى عنها وبعضها لا تزال تعرفه وتعطف عليه

وجعل بعض الحيوانات يتمها من قبل أمهاتها وبعضها يتمها من قبل آبائها وبعضها لا يلتمس الولد وبعضها يستفرغ الهم في طلبه وبعضها يعرف الاحسان ويشكره وبعضها ليس ذلك عنده شيئا وبعضها يؤثر على نفسه وبعضها اذا ظفر بما يكفي أمة من جنسه لم يدع أحدا يدنو منه وبعضها يحب السفاد ويكثر منه وبعضها لا يفعله في السنة الا مرة وبعضها يقتصر على أنثاه وبعضها لا يقف على أنثى ولو كانت أمه أو اخته وبعضها لا تمكن غير زوجها من نفسها وبعضها لا ترد يد لامس وبعضها يألف بني آدم ويأنس بهم وبعضها يستوحش منهم وينفر غاية النفار وبعضها لا يأكل الا الطيب وبعضها لا يأكل الا الخبائث وبعضها يجمع بين الامرين وبعضها لا يؤذى الا من بالغ في أذاها وبعضها يؤذى من لا يؤذيها وبعضها حقود لا تنسى الاساءة وبعضها لا يذكرها البتة وبعضها لا يغضب وبعضها يشتد غضبه فلا يزال يسترضى حتى يرضى وبعضها عنده علم ومعرفة بامور دقيقة لا يهتدى اليها أكثر الناس وبعضها لا معرفة له بشيء من ذلك البتة وبعضها يستقبح القبيح وينفر منه وبعضها الحسن والقبيح سواء عنده وبعضها يقبل التعليم بسرعة وبعضها مع الطول وبعضها لا يقبل ذلك بحال وهذا كله من أدل الدلائل على الخالق لها سبحانه وعلى إتقان صنعه وعجيب تدبيره ولطيف حكمته فان فيما أودعها من غرائب المعارف وغوامض الحيل وحسن التدبير والتأني لما تريده ما يستنطق الافواه بالتسبيح ويملأ القلوب من معرفته ومعرفة حكمته وقدرته وما يعلم به كل عاقل انه لم يخلق عبثا ولم يترك سدى وان له سبحانه في كل مخلوق حكمة باهرة وآية ظاهرة وبرهانا قاطعا يدل على انه رب كل شيء ومليكه وانه المنفرد بكل كمال دون خلقه وانه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم

﴿ فصل ﴾ فلنرجع الى ماسقنا الى هذا الموضع وهو الكلام على الهداية العامة التي هي قرينة الخلق في الدلالة على الرب تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته وتوحيده قال تعالى إخبارا عن فرعون انه قال (فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال مجاهد أعطى كل شيء خلقه لم يعط الانسان خلق البهائم ولا البهائم خلق الانسان وأقوال أكثر المفسرين تدور على هذا المعنى قال عطية ومقاتل أعطى كل شيء صورته وقال الحسن وقتادة أعطى كل شيء صلاحه والمعنى أعطاه من الخلق والتصوير ما يصلح به لما خلق له ثم هداه لما خلق له وهداه لما يصلحه في معيشته ومطعمه ومشربه ومنكحه وتقلبه وتصرفه هذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين فيكون نظير قوله (قدر فهدى) وقال الكلبي والسدّى أعطى الرجل المرأة والبعير الناقة والذكر الانثى من جنسه ولفظ السدى أعطى الذكر الانثى مثل خلقه ثم هدى الى الجماع وهذا القول اختيار ابن قتيبة والفراء قال الفراء اعطى الذكر من الناس امرأة مثله والشاة شاة والثور بقرة ثم الهم الذكر كيف يأتيها قال أبو اسحاق وهذا التفسير جائز لانا نرى الذكر من الحيوان يأتى الانثى ولم ير ذكرا قد أتى انثى قبله فالهمه الله ذلك وهداه اليه قال والقول الاول ينتظم هذا المعنى لانه اذا هداه لمصلحته فهذا داخل في المصلحة قلت أرباب هذا القول هضموا الآية معناها فان معناها أجل وأعظم مما ذكروه وقوله أعطى كل شيء يأبى هذا التفسير فان حمل كل شيء على ذكور الحيوان واناثه خاصة ممتنع لا وجه له وكيف يخرج من هذا اللفظ الملائكة والجن ومن لم يتزوج من بني آدم ومن لم يسافد من الحيوان وكيف يسمى الحيوان الذي يأتيه الذكر خلقا له واين نظير هذا في القرآن

وهو سبحانه لما أراد التعبير عن هذا المعنى الذي ذكروه ذكره بادل عبارة عليه وأوضحها فقال (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) فحمل قوله أعطى كل شيء خلقه على هـذا المعنى غير صحيح فتأمله وفي الآية قول آخر قاله الضحاك قال اعطى كل شيء خلقـه اعطى اليـد البطش والرجل المشى واللسان النطق والعين البصر والاذن السمع ومعنى هذا القول اعطى كل عضو من الاعضاء ماخلق له والخلق على هذا بمعنى المفعول أي اعطى كل عضو مخلوقه الذي خلقه له فان هذه المعانى كلها مخلوقة لله أودعها الاعضاء وهذا المعنى وان كان صحيحا في نفسـه لكن معنى الآية أعم والقول هو الاول وانه سبحانه أعطى كل شيء خلقه المختص به ثم هداه لمـا خلق له ولا خالق سواه سبحانه ولا هادى غيره فهذا الخلق وهذه الهداية من آيات الربوبية ووحدانيته فهذا وجه الاستدلال على عدو الله فرعون ولهذا لما علم فرعون انهذه حجة قاطعة لامطعن فيها بوجه من الوجوه عدل الى سؤال فاسد عن وارد فقال (فما بال القرون الاولى) أي فما للقرون الاولى لم تقر بهذا الرب ولم تعبده بل عبدت الاوثان والمعنى لوكان ماتقوله حقا لم يخف على القرون الاولى ولم يهملوه فاحتج عليه بمـا يشاهده هو وغيره من آثار ربوبية رب العالمين فعارضه عدو الله بكفر الكافرين به وشرك المشركين وهذا شأن كل مبطل ولهذا صار هذا ميزانا في ورثته يعارضون نصوص الانبياء باقوال الزنادقة والملاحدة وأفراخ الفلاسـفة والصابئة والسحرة ومبتدعة الامة وأهل الضلال منهم فاجابه موسى عن معارضـته باحسن جواب فقال (علمها عند ربى) أي أعمال تلك القرون وكفرهم وشركهم معلوم لربى قد أحصاه وحفظه وأودعه في كتاب فيجازيهم عليه يوم القيامة ولم يودعه في كتاب خشية النسيان والضلال فانه سبحانه لايضل ولا ينسى وعلى هذا فالكتاب هاهنا كتاب الاعمـال وقال الكلبي يعنى به اللوح المحفوظ وعلى هذا فهو كتاب القدر السابق والمعنى على هذا انه سبحانه قدعلم أعمالهم وكتبها عنده قبـل أن يعملوها فيكون هذا من تمام قوله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فتأمله

﴿فصـل﴾ وهو سبحانه في القرآن كثيرا مايجمع بين الخلق والهداية كقوله في أول سورة أنزلها على رسوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وقوله (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وقوله (ألم نجعل له عينين ولسانا وشـفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة) وقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصـيرا انا هديناه السـبيل اما شاكرا واما كفورا) وقوله (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة) الآيات ثم قال (أمن يهديكم في ظلمات الـبر والبحر) فالخلق اعطاء الوجود العينى الخارجى والهدى اعطاء الوجود العلمى الذهنى فهذا خلقه وهذا هداه وتعليمه

﴿فصـل﴾ المرتبة الثانية من مراتب الهداية هداية الارشاد والبيان للمكلفين وهـذه الهداية لاتستلزم حصول التوفيق واتباع الحق وان كانت شرطا فيه أوجزء سبب وذلك لايستلزم حصول المشروط والمسـبب بل قد يتخلف عنه المقتضى اما لعدم كمال السبب أو لوجود مانع ولهذا قال تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وقال (وما كان ليضـل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولا

بعد أن عرفوا الهدى فاعرضوا عنه فعماهم عنه بعد ان أراهموه وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها فانه يسلبه اياها بعد ان كانت نصيبه وحظه كما قال تعالى (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) وقال تعالى عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أى جحدوا بآياتنا بعد أن تيقنوا صحتها وقال (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين) وهذه الهداية هى التى أثبتها لرسوله حيث قال (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) ونفى عنه ملك الهداية الموجبة وهى هداية التوفيق والالهام بقوله (انك لا تهدى من أحببت) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت داعيا ومبلغا وليس الى من الهداية شئ وبعث ابليس مزينا ومغويا وليس اليه من الضلالة شئ قال تعالى (والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) فجمع سبحانه بين الهداء يتبين العامة والخاصة فعم بالدعوة حجة مشيئة وعدلا وخص بالهداية نعمة مشيئة وفضلا وهذه المرتبة أخص من التى قبلها فانها هداية تخص المكلفين وهى حجة الله على خلقه التى لا يعذب أحدا الا بعد إقامتها عليه قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين) وقال (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا في ضلال كبير) فان قيل كيف تقوم حجته عليهم وقد منعهم من الهدى وحال بينهم وبينه قيل حجته قائمة عليهم بتخليته بينهم وبين الهدى وبيان الرسل لهم واراءتهم الصراط المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عيانا وأقام لهم أسباب الهداية ظاهرا وباطنا ولم يحل بينهم وبين تلك الاسباب ومن حال بينه وبينها منهم بزوال عقل أو صغر لا تميز معه أو كونه بناحية من الارض لم تبلغه دعوة رسله فانه لا يعذبه حتى يقيم عليه حجته فلم يمنعهم من هذا الهدى ولم يحل بينهم وبينه نعم قطع عنهم توفيقه ولم يرد من نفسه اعانتهم والاقبال بقلوبهم اليه فلم يحل بينهم وبين ما هو مقدور لهم وان حال بينهم وبين ما لا يقدرون عليه وهو فعله ومشيئته وتوفيقه فهذا غير مقدور لهم وهو الذى منعوه وحيل بينهم وبينه فتأمل هذا الموضع واعرف قدره والله المستعان

﴿فصل﴾ المرتبة الثالثة من مراتب الهداية هداية التوفيق والالهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل وهذه المرتبة أخص من التى قبلها وهى التى ضل جهال القدرية بانكارها وصاح عليهم سلف الامة وأهل السنة منهم من نواحى الارض عصرا بعد عصر الى وقتنا هذا ولكن الجبرية ظلمتهم ولم تنصفهم كما ظلموا أنفسهم بانكار الاسباب والقوى وانكار فعل العبد وقدرته وأن يكون له تأثير في الفعل البتة فلم يهتدوا لقول هؤلاء بل زادهم ضلالا على ضلالهم وتمسكا بما هم عليه وهذا شأن المبطل اذا دعى مبطلا آخر الى ترك مذهبه لقوله ومذهبه الباطل كالنصرانى اذا دعى اليهودى الى التثليث وعبادة الصليب وان المسيح اله تام غير مخلوق الى أمثال ذلك من الباطل الذى هو عليه وهذه المرتبة تستلزم أمرين أحدهما فعل الرب تعالى وهو الهدى والثانى فعل العبد وهو الاهتداء وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادى والعبد المهتدى قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد) ولا سبيل الى وجود الاثر

الا بمؤثره التام فان لم يحصل فعله لم يحصــل فعل العبد ولهذا قال تعالى (ان تحرص على هداهم فان الله لايهدى من يضل) وهذا صريح في ان هذا الهدى ليس له صلى الله عليه وسلم ولو حرص عليه ولا الى أحد غير الله وان الله سبحانه اذا أضل عبدا لم يكن لأحد سبيل الى هدايته كما قال تعالى (من يضلل الله فلا هادى له) وقال تعالى (من يشأ الله يضــلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلاتذهب نفسك عليهم حسرات) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سـمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) وقال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وقال (أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) وقال (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصــعد في السماء) وقال أهل الجنة (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) ولم يريدوا ان بعض الهدى منه وبعضه منهم بل الهدى كله منه ولولا هدايته لهم لما اهتدوا وقال تعالى (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذو انتقام) وقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) وقال تعالى (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ومايعلم جنود ربك الا هو) وقال (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) وقال (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم) وأمر سبحانه عباده كلهم ان يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس وذلك يتضمن الهداية الى الصراط والهداية فيه كما ان الضلال نوعان ضلال عن الصراط فلا يهتدى اليه وضلال فيه فالاول ضلال عن معرفته والثانى ضلال عن تفاصـيله أو بعضها قال شـيخنا ولما كان العبد في كل حال مفتقرا الى هذه الهداية في جميع مايأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية فهو محتاج الى التوبة منها وأمور هدى الى أصـلها دون تفصيلها أو هدى اليها من وجه دون وجه فهو محتاج الى تمام الهداية فيها ليزداد هدى وأمور هو محتاج الى ان يحصل له من الهداية فيها في المستقبل مثل ماحصــل له في الماضى وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو محتاج الى الهداية وأمور لم يفعلها فهو محتاج الى فعلها على وجـه الهداية الى غـير ذلك من أنواع الهدايات فرض الله عليه ان يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله وهى الصلاة مرات متعددة في اليوم والليلة إنتهى كلامه ولا يتم المقصود الا بالهداية الى الطريق والهداية فيها فان العبد قد يهتدى الى طريق قصده وتنزيله عن غيرها ولا يهتدى الى تفاصيل سيره فيها وأوقات السير من غيره وزاد المسير وآفات الطريق ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) قال سبيلا وسنة وهذا التفسير يحتاج الى تفسير فالسـبيل الطريق وهى المنهاج والسـنة الشرعة وهى تفاصيل الطريق وحزوناته وكيفية المسير فيه وأوقات المسير وعلى هذا فقوله سبيلا وسنة يكون السبيل المنهاج

والسنة الشرعة فالمقدم في الآية للمؤخر في التفسير وفي لفظ آخر سنة وسبيلا فيكون المقدم للمقدم والمؤخر للتالي

﴿ فصل ﴾ ومن هذا إخباره سبحانه بانه طبع على قلوب الكافرين وختم عليها وانه أصمها عن الحق وأعمى أبصارها عنه كما قال تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) والوقف التام هنا ثم قال (وعلى أبصارهم غشاوة) كقوله (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال تعالى (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين. كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين. ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) وأخبر سبحانه ان على بعض القلوب أقفالا تمنعها من أن تنفتح لدخول الهدى اليها وقال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) فهذا الوقر والعمى حال بينهم وبين أن يكون لهم هدى وشفاء. وقال تعالى (انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأها الكوفيون وصد بضم الصاد حملا على زين وقال تعالى (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) وقال (والله لا يهدى القوم الظالمين) ومعلوم انه لم ينف هدى البيان والدلالة الذى تقوم به الحجة فانه حجته على عباده*والقدرية ترد هذا كله الى المتشابه وتجعله من متشابه القرآن وتتأوله على غير تأويله بل تتأوله بما يقطع ببطلانه وعدم ارادة المتكلم له كقول بعضهم المراد من ذلك تسمية الله العبد مهتديا وضالا فجعلوا هداه واضلاله مجرد تسمية العبد بذلك وهذا مما يعلم قطعا انه لا يصح حمل هذه الآيات عليه وأنت اذا تأملتها وجدتها لا تحتمل ماذكروه البتة وليس في لغة أمة من الامم فضلا عن أفصح اللغات وأكملها هداه بمعنى سماه مهتديا وأضله سماه ضالا وهل يصح أن يقال علمه اذا سماه عالما وفهمه اذا سماه فهما وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) فهل فهم أحد غير القدرية المحرّفة للقرآن من هذا ليس عليك تسميتهم مهتدين ولكن الله يسمى من يشاء مهتديا وهل فهم احد قط من قوله تعالى (انك لا تهدى من أحببت) لا تسميه مهتديا ولكن الله يسميه بهذا الاسم وهل فهم احد من قول الداعى اهدنا الصراط المستقيم وقوله اللهم اهدنى من عندك ونحوه اللهم سمنى مهتديا وهذا من جناية القدرية على القرآن ومعناه نظير جناية إخوانهم من الجهمية على نصوص الصفات وتحريفها عن مواضعها وفتحوا للزنادقة والملاحدة جنايتهم على نصوص المعاد وتأويلها بتأويلات ان لم تكن أقوى من تأويلاتهم لم تكن دونها وفتحوا للقرامطة والباطنية تأويل نصوص الأمر والنهى بنحو تأويلاتهم فتأويل التحريف الذى سلسلته هذه الطوائف أصل فساد الدنيا والدين وخراب العالم وسنفرد ان شاء الله كتابا نذكر فيه جناية المتأولين على الدنيا والدين وأنت اذا وازيت بين تأويلات القدرية والجهمية والرافضة لم تجد بينها وبين تأويلات الملاحدة والزنادقة من القرامطة الباطنية وأمثالهم كبير فرق والتأويل الباطل يتضمن تعطيل ماجاء به الرسول والكذب على المتكلم انه أراد ذلك المعنى فتضمن ابطال الحق وتحقيق الباطل ونسبة المتكلم الى مالا يليق به من التلبيس والالغاز مع القول عليه بلا علم انه أراد هذا المعنى فالمتأول عليه أن يبين صلاحية اللفظ للمعنى الذى ذكره أولا واستعمال المتكلم له في ذلك المعنى في أكثر

المواضع

المواضع حتى اذا استعمله فيما يحتمل غيره حمل على ماعهد منه استعماله فيه وعليه ان يقيم دليلا سالما عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته الى مجازه واستعارته والا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا تقبل • وتأويل بعضهم هذه النصوص على ان المراد بها هداية البيان والتعريف لا خلق الهدى في القلب فان الله سبحانه لايقدر على ذلك عند هذه الطائفة وهذا التأويل من أبطل الباطل فان الله سبحانه يخبر انه قسم هدايته للعبد قسمين قسما لايقدر عليه غيره وقسما مقدورا للعباد فقال في القسم المقدور للغير (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) وقال في غير المقدور للغير (انك لاتهدى من أحببت) وقال (من يضلل الله فلا هادى له) ومعلوم قطعا ان البيان والدلالة قد تحصل له ولا تنفى عنه وكذلك قوله (فان الله لايهدى من يضل) لايصح حمله على هداية الدعوة والبيان فان هذا يهدى وان أضله الله بالدعوة والبيان وكذا قوله (وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) هل يجوز حمله على معنى فمن يدعوه الى الهدى ويبين له ماتقوم به حجة الله عليه وكيف يصنع هؤلاء بالنصوص التي فيها انه سبحانه هو الذى أضلهم أيجوز لهم حملها على انه دعاهم الى الضلال فان قالوا ليس ذلك معناها وانما معناها الفاهم ووجدهم كذلك أو أعلم ملائكته ورسله بضلالهم أوجعل على قلوبهم علامة يعرف الملائكة بها انهم ضلال قيل هذا من جنس قولكم ان هداه سبحانه واضلاله بتسميتهم مهتدين وضالين فهذه أربع تحريفات لكم وهو انه سماهم بذلك وعلمهم بعلامة يعرفهم بها الملائكة وأخبر عنهم بذلك ووجدهم كذلك فالاخبار من جنس التسمية وقد بينا ان اللغة لاتحتمل ذلك وان النصوص اذا تأملها المتأمل وجدها أبعد شئ من هذا المعنى واما العلامة فياعجبا لفرقة التحريف وما جنت على القرآن والايمان ففى أى لغة وأى لسان يدل قوله تعالى (انك لاتهدى من احببت) على معنى انك لاتعلمه بعلامة ولكن الله هو الذى يعلمه بها وقوله (من يضلل الله فلا هادى له) من يعلمه الله بعلامة الضلال لم يعلمه غيره بعلامة الهدى وقوله (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) لعلمناها بعلامة الهدى الذى خلقته هى لنفسها وأعطته نفسها وفي أى لغة يفهم من قول الداعى اهدنا الصراط المستقيم علمنا بعلامة يعرف الملائكة بها انا مهتدون وقولهم ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا لاتعلمها بعلامة أهل الزيغ وقوله يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يامصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك وأمثال ذلك من النصوص ففى أى لغة وأى لسان يفهم من هذا علمنا بعلامة الثبات والتصريف على طاعتك وفي أى لغة يكون معنى قوله (وجعلنا قلوبهم قاسية) علمناها بعلامة القسوة أووجدناها كذلك نعم لو نزل القرآن بلغة القدرية والجهمية وأهل البدع لامكن حمله على ذلك أوكان الحق تبعا لاهوائهم وكانت نصوصه تبعا لبدع المبتدعين وآراء المتحيرين وأنت تجد جميع هذه الطوائف تنزل القرآن على مذاهبها وبدعها وآرائها فالقرآن عند الجهمية جهمى وعند المعتزلة معتزلى وعند القدرية قدرى وعند الرافضة رافضى وكذلك هو عند جميع أهل الباطل وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لايعلمون واما تحريفهم هذه النصوص وأمثالها بان المعنى ألفاهم ووجدهم ففى أى لسان وأى لغة وجدتم هديت الرجل اذا وجدته مهتديا وختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وجده كذلك وعلى هذا الافتراء محض على القرآن واللغة فان قالوا نحن لم نقل هذا في نحو ذلك وانما قلناه في نحو أضله الله أى وجده ضالا كما يقال أحمدت الرجل وأبخلته وأجبنته اذا

وجدته كذلك أو نسبته اليه فيقال لفرقة التحريف هذا انما ورد في ألفاظ معدودة نادرة والا فوضع هذا البناء على أنك فعلت ذلك به ولا سيما اذا كانت الهمزة للتعدية من الثلاثى كقام وأقمته وقعد وأقعدته وذهب وأذهبته وسمع وأسمعته ونام وأنمته وكذا ضل وأضله الله وأسعده وأشقاه وأعطاه وأخزاه وأماته وأحياه وأزاغ قلبه وأقامه الى طاعته وأيقظه من غفلته وأراه آياته وأنزله منزلا مباركا وأسكنه جنته الى أضعاف ذلك هل تجد فيها لفظا واحدا معناه انه وجده كذلك تعالى الله عما يقول المحرفون ثم انظر في كتاب فعل وافعل هل تظفر فيه بافعلته بمعنى وجدته مع سعة الباب الا في الحرفين أو الثلاثة نقلا عن أهل اللغة ثم انظر هل قال أحد من الاولين والآخرين من أهل اللغة ان العرب وضعت أضله الله وهداه وختم على سمعه وقلبه وأزاغ قلبه وصرفه عن طاعته ونحو ذلك لمعنى وجده كذلك ولما أراد سبحانه الابانة عن هذا المعنى قال (ووجدك ضالا فهدى) ولم يقل وأضلك وقال في حق من خالف الرسول وكفر بما جاء به وأضله على علم ولم يقل ووجده الله ضالا ثم أى توحيد وتمدح وتعريف للعباد ان الامر كله لله وبيده وانه ليس لاحد من أمره شئ في مجرد التسمية والعلامة ومصادفة الرب تعالى عباده كذلك ووجوده لهم على هذه الصفات من غير أن يكون له فيها صنع أو خلق أو مشيئة وهل يعجز البشر عن التسمية والمصادفة والوجود كذلك فأى مدح وأى ثناء يحسن على الرب تعالى بمجرد ذلك فأنتم واخوانكم من الجبرية لم تمدحوا الرب بما يستحق أن يمدح به ولم تثنوا عليه بأوصاف كماله ولم تقدروه حق قدره واتباع الرسول وحزبه وخاصته بريؤن منكم ومنهم في باطلكم وباطلهم وهم معكم ومعهم فيما عندكم من الحق لايتحيزون الى غير ما بينه الرسول وجاء به ولا يحرفون عنه نصرة لآراء الرجال المختلفة وأهوائهم المتشتة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال ابن مسعود علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة ان الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ويقرأ ثلاث آيات (اتقوا الله حق تقاته الآية اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) الآية قال الترمذى هذا حديث صحيح وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن خالد الحذاء عن عبد الاعلى عن عبد الله بن الحارث قال خطب عمر بن الخطاب بالجابية فحمد الله وأثنى عليه وعنده جاثليق يترجم له ما يقول فقال من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى فنفض جبينه كالمنكر لما يقول قال عمر ما يقول قالوا ياأمير المؤمنين يزعم ان الله لا يضل أحدا قال عمر كذبت أى عدو الله بل الله خلقك وقد أضلك ثم يدخلك النار أما والله لولا عهد لك لضربت عنقك ان الله عز وجل خلق اهل الجنة وماهم عاملون وخلق أهل النار وماهم عاملون فقال هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه قال فتفرق الناس وما يختلفون في القدر

﴿ فصل ﴾ المرتبة الرابعة من مراتب الهداية الهداية الى الجنة والنار يوم القيامة قال تعالى (أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) وقال تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم) فهذه هداية بعد قتلهم فقيل المعنى سيهديهم الى طريق الجنة ويصلح حالهم في الآخرة بارضاء خصومهم وقبول أعمالهم وقال ابن

عباس

عباس سيهديهم الى أرشد الامور ويعصمهم أيام حياتهم في الدنيا واستشكل هذا القول لانه أخبر عن المقتولين في سبيله بانهم سيهديهم واختاره الزجاج وقال يصلح بالهم في المعاش واحكام الدنيا قال وأراد به يجمع لهم خير الدنيا والآخرة وعلى هذا القول فلابد من حمل قوله قتلوا في سبيل الله على معنى يصح معه اثبات الهداية واصلاح البال

الباب الخامس عشر

في الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة والحائل بين الكافر وبين الايمان وان ذلك مجعول للرب تعالى

قال تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) وقال (ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) وقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال (لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقد دخل هذه الآيات ونحوها طائفتا القدرية والجبرية فحرفها القدرية بانواع من التحريف المبطل لمعانيها وما أريد منها وزعمت الجبرية ان الله أكرهها على ذلك وقهرها عليه وأجبرها من غير فعل منها ولا ارادة ولا اختيار ولا كسب البتة بل حال بينها وبين الهدى ابتداء من غير ذنب ولا سبب من العبد يقتضى ذلك بل أمره وحال مع أمره بينه وبين الهدى فلم ييسر اليه سبيلا ولا اعطاه عليه قدرة ولا مكنه منه بوجه وأراد بعضهم بل أحب له الضلال والكفر والمعاصي ورضيه منه فهدى أهل السنة والحديث واتباع الرسول لما اختلف فيه هاتان الطائفتان من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم • قالت القدرية لا يجوز حمل هذه الآيات على انه منعهم من الايمان وحال بينهم وبينه اذ يكون لهم الحجة على الله ويقولون كيف يأمرنا بامر ثم يحول بيننا وبينه ويعاقبنا عليه وقد منعنا من فعله وكيف يكلفنا بأمر لا قدرة لنا عليه وهل هذا الابمنابة من امر عبده بالدخول من باب ثم سد عليه الباب سدا محكما لا يمكنه الدخول معه البتة ثم عاقبه أشد العقوبة على عدم الدخول وبمنزلة من امره بالمشى الى مكان ثم قيده بقيد لا يتمكن معه نقل قدمه ثم أخذ يعاقبه على ترك المشى واذا كان هذا قبيحا في حق المخلوق الفقير المحتاج فكيف ينسب الى الرب تعالى مع كمال غناه وعلمه واحسانه ورحمته قالوا وقد كذب الله سبحانه الذين قالوا قلوبنا غلف وفي أكنة وانها قد طبع عليها وذمهم على هذا القول فكيف ينسب اليه تعالى ولكن القوم لما أعرضوا وتركوا الاهتداء بهداه الذى بعث به رسله حتى صار ذلك الاعراض والنفار كالالف والطبيعة والسجية أشبه حالهم حال من منع عن الشيء وصد عنه وصار هذا وقرا في آذانهم وختما على قلوبهم وغشاوة على أعينهم فلا يخلص اليها الهدى وانما أضاف الله تعالى ذلك اليه لان هذه الصفة قد صارت في تمكنها وقوة ثباتها كالخلقة التى خلق عليها العبد قالوا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا

يكسبون) وقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقال (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون) ولعمر الله ان الذى قاله هؤلاء حقه أكثر من باطله وصحيحه أكثر من سقيمه ولكن لم يوفوه حقه وعظموا الله من جهة واخلوا بتعظيمه من جهة فعظموه بتنزيهه عن الظلم وخلاف الحكمة واخلوا بتعظيمه من جهة التوحيد وكمال القدرة ونفوذ المشيئة والقرآن يدل على صحة ماقالوه في الران والطبع والختم من وجه وبطلانه من وجه واما صحته فانه سبحانه جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم واعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه كما قال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين) وقال (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) وقال (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وقد اعترف بعض القدرية بان ذلك خلق الله سبحانه ولكنه عقوبة على كفرهم واعراضهم السابق فانه سبحانه يعاقب على الضلال المقدور باضلال بعده ويثيب على الهدى بهدى بعده كما يعاقب على السيئة بسيئة مثلها ويثيب على الحسنة بحسنة مثلها وقال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر) ومن الفرقان الهدى الذى يفرق به بين الحق والباطل وقال في ضد ذلك (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) وقال (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وهذا الذى ذهب اليه هؤلاء حق والقرآن دل عليه وهو موجب العدل والله سبحانه ماض في العبد حكمه عدل في عبده قضاؤه فانه اذا دعى عبده الى معرفته ومحبته وذكره وشكره فأبى العبد الا اعراضا وكفرا قضى عليه بان اغفل قلبه عن ذكره وصده عن الايمان به وحال بين قلبه وبين قبول الهدى وذلك عدل منه فيه وتكون عقوبته بالختم والطبع والصد عن الايمان كعقوبته له بذلك في الآخرة مع دخول النار كما قال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالو الجحيم) فحجابه عنهم اضلال لهم وصد عن رؤيتهم وكمال معرفته كما عاقب قلوبهم في هذه الدار بصدها عن الايمان وكذلك عقوبته لهم بصدهم عن السجود له يوم القيامة مع الساجدين هو جزاء امتناعهم من السجود له في الدنيا وكذلك عماهم عن الهدى في الآخرة عقوبة لهم على عماهم فى الدنيا ولكن أسباب هذه الجرايم في الدنيا كانت مقدورة لهم واقعة باختيارهم وارادتهم وفعلهم فاذا وقعت عقوبات لم تكن مقدورة بل قضاء جار عليهم ماض عدل فيهم وقال تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ومن ههنا ينفتح للعبد باب واسع عظيم النفع جدا في قضاء الله المعصية والكفر والفسوق على العبد وان ذلك محض عدل فيه وليس المراد بالعدل مايقوله الجبرية انه الممكن فكل مايمكن فعله بالعبد فهو عندهم عدل والظلم هو الممتنع لذاته فهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب الكلام في الاسباب والحكم ولا المراد به ماتقوله القدرية النفاة انه انكار عموم قدرة الله ومشيئته على أفعال عباده وهدايتهم واضلالهم وعموم مشيئته لذلك وان الامر اليهم لااليه وتأمل قول النبى صلى الله عليه وسلم ماض في حكمك عدل في قضائك كيف ذكر العبد في القضاء مع الحكم النافذ وفي ذلك رد لقول الطائفتين القدرة والجبرية فان العدل الذى أثبته القدرية مناف للتوحيد معطل

لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته والعدل الذى أثبته الجبرية مناف للحكمة والرحمة وللحقيقة العدل والعدل الذى هو اسمه وصفته ونعته سبحانه خارج عن هذا وهذا ولم يعرفه الا الرسل واتباعهم ولهذا قال هود عليه الصلاة والسلام لقومه (انى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة الاهو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم) فاخبر عن عموم قدرته ونفوذ مشيئته وتصرفه في خلقه كيف شاء ثم أخبر انه في هذا التصرف والحكم على صراط مستقيم وقال أبو اسحاق أى هو سبحانه وان كانت قدرته تنالهم بما شاء فانه لايشاء الاالعدل وقال ابن الانبارى لما قال هو آخذ بناصيتها كان في معنى لايخرج من قبضته وانه قاهر بعظيم سلطانه لكل دابة فاتبع قوله ان ربى على صراط مستقيم قال وهذا نحو كلام العرب اذا وصفوا بحسن السيرة والعدل والانصاف قالوا فلان على طريقة حسنة وليس ثم طريق ثم ذكر وجها آخر فقال لما ذكر ان سلطانه قد قهر كل دابة أتبع هذا قوله ان ربى على صراط مستقيم أى لاتخفى عليه مشيئته ولايعدل عنه هارب فذكر الصراط المستقيم وهو يعنى به الطريق الذى لايكون لاحد مسلك الاعليه كما قال ان ربك لبالمرصاد. قلت فعلى هذا القول الاول يكون المراد انه في تصرفه في ملكه يتصرف بالعدل ومجازات المحسن باحسانه والمسئ باسائته ولايظلم مثقال ذرة ولا يعاقب أحدا بما لم يجنه ولايهضمه ثواب ماعمله ولايحمل عليه ذنب غيره ولايأخذ أحدا بجريرة أحد ولا يكلف نفسا مالاتطيقه فيكون من باب له الملك وله الحمد ومن باب ماض في حكمك عدل في قضاؤك ومن باب الحمد لله رب العالمين أى كما انه رب العالمين المتصرف فيهم بقدرته ومشيئته فهو المحمود على هذا التصرف وله الحمد على جميعه وعلى القول الثانى المراد به التهديد والوعيد وان مصير العباد اليه وطريقهم عليه لايفوته منهم أحد كما قال تعالى (قال هذا صراط على مستقيم) قال الفراء يقول مرجعهم الى فاجازيهم كقوله ان ربك لبالمرصاد قال وهذا كما تقول في الكلام طريقك على وأنا على طريقك لمن أوعدته وكذلك قال الكلبي والكسائى ومثل قوله وعلى الله قصد السبيل على احدى القولين في الآية وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه ومنها أى ومن السبيل ماهو جائر عن الحق ولوشاء لهداكم أجمعين فاخبر عن عموم مشيئته وان طريق الحق عليه موصلة اليه فمن سلكها فاليه يصل ومن عدل عنها فانه يضل عنه والمقصود ان هذه الايات تتضمن عدل الرب تعالى وتوحيده والله يتصرف في خلقه بملكه وحمده وعدله واحسانه فهو على صراط مستقيم في قوله وفعله وشرعه وقدره وثوابه وعقابه يقول الحق ويفعل العدل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فهذا العدل والتوحيد الذين دل عليهما القرآن لايتناقضان وأما توحيد أهل القدر والجبر وعدلهم فكل منهما يبطل الآخر ويناقضه

﴿فصل﴾ ومن سلك من القدرية هذه الطريق فقد توسط بين الطائفتين لكنه يلزمه الرجوع الى مثبتى القدر قطعا والاتناقض أبين تناقض فانه اذا زعم ان الضلال والطبع والختم والقفل والوقر وما يحول بين العبد وبين الايمان مخلوق لله وهو واقع بقدرته ومشيئته فقد أعطى ان أفعال العباد مخلوقة وانها واقعة بمشيئته فلا فرق بين الفعل الابتدائى والفعل الجزائى ان كان هذا مقدور الله واقعا بمشيئته والآخر كذلك وان لم يكن ذاك مقدورا ولايصح دخوله تحت المشيئة فهذا كذلك والتفريق بين النوعين تناقض محض وقد حكى هذا التفريق عن بعض القدرية أبو القاسم الانصارى في شرحه

الارشاد فقال واقد اعترف بعض القدرية بان الختم والطبع توابع غير انها عقوبات من الله لاصحاب الجرائم قال وممن صار الى هذا المذهب عبد الواحد بن زيد البصرى وبكر ابن أخته قال وسبيل المعاقبين بذلك سبيل المعاقبين بالنار وهؤلاء قد بقى عليهم درجة واحدة وقد تحيزوا الى أهل السنة والحديث

﴿ فصل ﴾ وقالت طائفة منهم الكافر هو الذى طبع على قلب نفسه في الحقيقة وختم على قلبه والشيطان أيضا فعل ذلك ولكن لما كان الله سبحانه هو الذى أقدر العبد والشيطان على ذلك نسب الفعل اليه لاقراره للفاعل على ذلك لانه هو الذى فعله . قال أهل السنة والعدل هذا الكلام فيه حق وباطل فلا يقبل مطلقا ولا يرد مطلقا فقولكم ان الله سبحانه أقدر الكافر والشيطان على الطبع والختم كلام باطل فانه لم يقدره الا على التزيين والوسوسة والدعوة الى الكفر ولم يقدره على خلق ذلك في قلب العبد البتة وهو أقل من ذلك وأعجز وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت داعيا ومبلغا وليس الى من الهداية شئ وخلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شئ فمقدور الشيطان أن يدعو العبد الى فعل الاسباب التى اذا فعلها ختم الله على قلبه وسمعه وطبع عليه كما يدعوه الى الاسباب التى اذا فعلها عاقبه الله بالنار فعقابه بالنار كعقابه بالختم والطبع وأسباب العقاب فعله وتزيينها وتحسينها فعل الشيطان والجميع مخلوق لله . واما ما في هذا الكلام من الحق فهو ان الله سبحانه اقدر العبد على الفعل الذى أوجب الطبع والختم على قلبه فلولا اقدار الله له على ذلك لم يفعله وهذا حق لكن القدرية لم توف هذا الموضع حقه وقالت أقدره قدرة تصلح للضدين فكان فعل أحدهما باختياره ومشيئته التى لا تدخل تحت مقدور الرب وان دخلت قدرته الصالحة لهما تحت مقدوره سبحانه فمشيئته واختياره وفعله غير واقع تحت مقدور الرب وهذا من ابطل الباطل فان كل ماسواه تعالى مخلوق له داخل تحت قدرته واقع بمشيئته ولو لم يشأ لم يكن . قلت القدرية لما أعرضوا عن التدبر ولم يصغوا الى التذكر وكان ذلك مقارنا لايراد الله سبحانه حجته عليهم أضيفت أفعالهم الى الله لان حدوثها انما اتفق عند ايراد الحجة عليهم . قال أهل السنة هذا من احل المحال أن يضيف الرب الى نفسه أمر الايضاف اليه البتة لمقارنته ماهو من فعله ومن المعلوم ان الضد يقارن الضد فالشر يقارن الخير والحق يقارن الباطل والصدق يقارن الكذب وهل يقال ان الله يحب الكفر والفسوق والعصيان لمقارنتها مايحبه من الايمان والطاعة وانه يحب ابليس لمقارنة وجوده لوجود الملائكة فان قيل قد ينسب الشئ الى الشئ لمقارنته له وان لم يكن له فيه تأثير كقوله تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون) ومعلوم ان السورة لم تحدث لهم زيادة رجس بل قارن زيادة رجسهم نزولها فنسب اليها قيل لم ينحصر الامر في هذين الامرين اللذين ذكرتموهما وهما احداث السورة الرجس والثانى مقارنته لنزولها بل ههنا أمر ثالث وهو ان السورة لما أنزلت اقتضى نزولها الايمان بها والتصديق والاذعان لأوامرها ونواهيها والعمل بما فيها فوطن المؤمنون أنفسهم على ذلك فازدادوا ايمانا بسببها فنسبت زيادة الايمان اليها اذ هى السبب في زيادته وكذب بها الكافرون وجحدوها وكذبوا من جاء بها ووطنوا أنفسهم على مخالفة ماتضمنته وانكاره فازدادوا بذلك رجسا فنسب اليها اذ كان نزولها ووصولها اليهم هو السبب في تلك

الزيادة فاين هذا من نسبة الافعال القبيحة عندكم التى لاتجوز نسبتها الى الله عند دعوتهم الى الايمان وتدبر آياته على ان افعالهم القبيحة لاتنسب الى الله سبحانه وانما هى منسوبة اليهم والمنسوب اليه سبحانه أفعاله الحسنة الجميلة المتضمنة للغايات المحمودة والحكم المطلوبة والختم والطبع والقفل والاضلال أفعال حسنة من الله وضعها في أليق المواضع بها اذ لايليق بذلك المحل الخبيث غيرها والشرك والكفر والمعاصى والظلم أفعالهم القبيحة التى لاتنسب الى الله فعلا وان نسبت اليه خلقا فخلقها غيرها والخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول والقضاء غير المقضى والقـدر غير المقدور وستمر بك هذه المسئلة مستوفاة انشاء الله في باب اجتماع الرضاء بالقضاء وسخط الكفر والفسوق والعصيان ان شاء الله • قالت القدرية لما بلغوا في الكفر الى حيث لم يبق طريق الى الايمان لهم الا بالقسر والالجاء ولم تقتض حكمته تعالى أن يقسرهم على الايمان لئلا تزول حكمة التكليف عبر عن ترك الالجاء والقسر بالختم والطبع إعلاما لهم بانهم انتهوا في الكفر والاعراض الى حيث لاينتهون عنه الا بالقسر وتلك الغاية في وصف لجاجهم وتمـاديهم في الكفر • قال أهل السنة هذا كلام باطل فانه سبحانه قادر على أن يخلق فيهم مشيئة الايمان وارادته ومحبته فيؤمنون بغير قسر ولا الجاء بل ايمان اختيار وطاعة كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) وايمان القسر والالجاء لايسمى ايمانا ولهذا يؤمن الناس كلهم يوم القيامة ولايسمى ذلك ايمانا لانه عن الجاء واضطرار قال تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وما يحصل للنفوس من المعرفة والتصديق بطريق الالجاء والاضطرار والقسر لايسمى هدى وكذلك قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فقولكم لم يبق طريق الى الايمان الا بالقسر باطل فانه بقى الى ايمانهم طريق لم يرهم الله اياه وهو مشيئته وتوفيقه والهامه وامالة قلوبهم الي الهدى واقامتها على الصراط المستقيم وذلك أمر لايعجز عنه رب كل شيء ومليكه بل هو القادر عليه كقدرته على خلقه ذواتهم وصفاتهم ودرائهم ولكن منعهم ذلك لحكمته وعدله فيهم وعدم استحقاقهم وأهليتهم لبذل ذلك لهم كما منع السفل خصائص العلو ومنع الحـار خصائص البارد ومنع الخبيث خصائص الطيب ولا يقال فلم فعل هذا فان ذلك من لوازم ملكه وربوبيته ومن مقتضيات أسمائه وصفاته وهل يليق بحكمته أن يسوى بين الطيب والخبيث والحسن والقبيح والجيد والردى ومن لوازم الربوبية خلق الزوجين وتنويع المخلوقات وأخلاقها • فقول القائل لم خلق الردى والخبيث واللئيم سؤال جاهل باسمائه وصفاته وملكه وربوبيته وهو سبحانه فرق بين خلقه أعظم تفريق وذلك من كمال قدرته وربوبيته فجعل منه مايقبل جميع الكمال الممكن ومنه مالا يقبل شيئا منه وبين ذلك درجات متفاوتة لايحصيها الا الخلاق العليم وهدى كل نفس الى حصول ماهى قابلة له والقابل والمقبول والقبول كله مفعوله ومخلوقه وأثر فعله وخلقه وهذا هو الذى ذهب عن الجبرية والقدرية ولم يهتدوا اليه وبالله التوفيق • قالت القدرية الختم والطبع هو شهادته سبحانه عليهم بانهم لايؤمنون وعلى اسماعهم وعلى قلوبهم • قال أهل السنة هذا هو قولكم بان الختم والطبع هو الاخبار عنهم بذلك وقد تقدم فساد هذا بما فيه كفاية وانه لايقال في لغة من لغات الامم لمن أخبر عن غيره بانه مطبوع على قلبه وان عليه ختما أنه قد طبع على قلبه وختم عليه بل هذا كذب على اللغات وعلى القرآن وكذلك قول من قال ان ختمه على قلوبهم اطلاعه على مافيها من الكفر وكذلك قول من قال انه احصاؤه

عليهم حتى يجازيهم به وقول من قال انه اعلامها بعلامه تعرفها بها الملائكة وقد بينا بطلان ذلك بما فيه كفاية • قالت القدرية لايلزم من الطبع والختم والقفل أن تكون مانعة من الايمان بل يجوز أن يجعل الله فيهم ذلك من غير أن يكون منعهم من الايمان بل يكون ذلك من جنس الغفلة والبلادة والغشا في البصر فيورث ذلك اعراضا عن الحق وتعاميا عنه ولو أنعم النظر وتفكر وتدبر لما آثر على الايمان غيره وهذا الذى قالوه يجوز أن يكون في أول الامر فاذا تمكن واستحكم من القلب ورسخ فيه امتنع معه الايمان ومع هذا فهو أثر فعله وإعراضه وغفلته وايثار شهوته وكبره على الحق والهدى فلما تمكن فيه واستحكم صار صفة راسخة وطبعا وختما وقفلا ورانا فكان مبداه غير حائل بينهم وبين الايمان والايمان ممكن معه لو شاؤا لآمنوا مع مبادى تلك الموانع فلما استحكمت لم يبق الى الايمان سبيل ونظير هذا ان العبد يستحسن مايهواه فيميل اليه بعض الميل ففي هذه الحال يمكن صرف الداعية له اذ الاسباب لم تستحكم فاذا استمر على ميله واستدعى أسبابه واستمكنت لم يمكنه صرف قلبه عن الهوى والمحبة فيطبع على قلبه ويختم عليه فلا يبقى فيه محل لغير مايهواه ويحبه وكان الانصراف مقدورا له في أول الامر فلما تمكنت أسبابه لم يبق مقدورا له كما قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

فلو انهم بادروا في مبدأ الامر الى مخالفة الاسباب الصادة عن الهدى لسهل عليهم ولما استعصى عليهم ولقدروا عليه ونظير ذلك المبادرة الى ازالة العلة قبل استحكام أسبابها ولزومها للبدن لزوما لاينفك منها فاذا استحكمت العلة وصارت كالجزء من البدن عز على الطبيب استنقاذ العليل منها ونظير ذلك المتوحل في حمأة فانه مالم يدخل تحتها فهو قادر على التخلص فاذا توسط معظمها عز عليه وعلى غيره انقاذه فمبادى الامور مقدورة للعبد فاذا استحكمت أسبابها وتمكنت لم يبق الأمر مقدورا له فتأمل هذا الموضع حق التأمل فانه من انفع الاشياء في باب القدر والله الموفق للصواب والله سبحانه جاعل ذلك كله وخالقه فيهم باسباب منهم وتلك الاسباب قدتكون أمورا عدمية يكفى فيها عدم مشيئة اضدادها فلا يشاء سبحانه أن يخلق للعبد أسباب الهدى فيبقى على العدم الاصلى وان أراد من عبده الهداية فهى لاتحصل حتى يريد من نفسه اعانته وتوفيقه فاذالم يرد سبحانه من نفسه ذلك لم تحصل الهداية

﴿ فصل ﴾ ومما ينبغى أن يعلم انه لايمتنع مع الطبع والختم والقفل حصول الايمان بأن يفك الذى ختم على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفل ذلك الختم والطابع والقفل ويهديه بعدضلاله ويعلمه بعد جهله ويرشده بعد غيه ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التى هى بيده حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والايمان وقرأ قارئ عند عمر بن الخطاب أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وعنده شاب فقال اللهم عليها أقفالها ومفاتيحها بيدك لايفتحها سواك فعرفها له عمر وزادته عنده خيرا وكان عمر يقول في دعائه اللهم ان كنت كتبتنى شقيا فامحنى واكتبنى سعيدا فانك تمحو ماتشاء وتثبت فالرب تعالى فعال لما يريد لاحجر عليه وقد ضل ههنا فريقان القدرية حيث زعمت ان ذلك ليس مقدورا للرب ولا يدخل تحت فعله اذ لو كان مقدورا له ومنعه العبد لناقض جوده ولطفه والجبرية حيث زعمت انه سبحانه اذا قدر قدرا أو علم

شيئا فانه لايغيره بعد هذا ولا يتصرف فيه بخلاف ماقدره وعلمه والطائفتان حجرت على من لايدخل تحت حجر احد اصلا وجميع خلقه تحت حجره شرعا وقدرا وهذه المسئلة من أكبر مسائل القدر وسيمر بك ان شاء الله في باب المحو والاثبات مايشفيك فيها والمقصود انه مع الطبع والختم والقفل لو تعرض العبد أمكنه فك ذلك الختم والطابع وفتح ذلك القفل يفتحه من بيده مفاتيح كل شيء وأسباب الفتح مقدورة للعبد غير ممتنعة عليه وان كان فك الختم وفتح القفل غير مقدور له كما ان شرب الدواء مقدور له وزوال العلة وحصول العافية غير مقدور فاذا استحكم به المرض وصار صفة لازمة له لم يكن له عذر في تعاطى ماالية من أسباب الشفاء وان كان غير مقدور له ولكن لما الف العلة وساكنها ولم يحب زوالها ولا آثر ضدها عليها مع معرفته بما بينها وبين ضدها من التفاوت فقد سد على نفسه باب الشفاء بالكلية والله سبحانه يهدى عبده اذا كان ضالا وهو يحسب انه على هدى فاذا تبين له الهدى لم يعدل عنه لمحبته وملائمته لنفسه فاذا عرف الهدى فلم يحبه ولم يرض به وآثر عليه الضلال مع تكرر تعريفه منفعة هذا وخيره ومضرة هذا وشره فقد سد على نفسه باب الهدى بالكلية فلو انه في هذه الحال تعرض وافتقر الى من بيده هداه وعلم انه ليس اليه هدى نفسه وانه ان لم يهده الله فهو ضال وسأل الله أن يقبل بقلبه وان يقيه شر نفسه وفقه وهداه بل لو علم الله منه كراهية لما هو عليه من الضلال وانه مرض قاتل ان لم يشفه منه أهلكه لكانت كراهته وبغضه اياه مع كونه مبتلى به من أسباب الشفاء والهداية ولكن من أعظم أسباب الشقاء والضلال محبته له ورضاه به وكراهته الهدى والحق فلو ان المطبوع على قلبه المختوم عليه كره ذلك ورغب الى الله في فك ذلك عنه وفعل مقدوره لكان هداه أقرب شيء اليه ولكن اذا استحكم الطبع والختم حال بينه وبين كراهة ذلك وسؤال الرب فكه وفتح قلبه

(فصل) فان قيل فاذا جوزتم أن يكون الطبع والختم والقفل عقوبة وجزاء على الجرائم والاعراض والكفر السابق على فعل الجرائم • قيل هذا موضع يغلط فيه أكثر الناس ويظنون بالله سبحانه خلاف موجب أسمائه وصفاته والقرآن من أوله الى آخره انما يدل على ان الطبع والختم والغشاوة لم يفعلها الرب سبحانه بعبده من أول وهلة حين أمره بالايمان أو بينه له وانما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والارشاد وتكرار الاعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك والاعراض والكفر الاول لم يكن مع ختم وطبع بل كان اختيارا فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية فتأمل هذا المعنى في قوله (ان الذين كفروا سواء عليهم أءنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) ومعلوم ان هذا ليس حكما يعم جميع الكفار بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كفارا قبل ذلك ولم يختم على قلوبهم وعلى اسماعهم فهذه الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار فعل الله بهم ذلك عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة كما عاقب بعضهم بالمسخ قردة وخنازير وبعضهم بالطمس على أعينهم فهو سبحانه يعاقب بالطمس على القلوب كما يعاقب بالطمس على الاعين وهو سبحانه قد يعاقب بالضلال عن الحق عقوبة دائمة مستمرة وقد يعاقب به الى وقت ثم يعافي عبده ويهديه كما يعاقب بالعذاب كذلك

(فصل) وههنا عدة أمور عاقب بها الكفار بمنعهم عن الايمان وهي الختم • والطبع • والاكنة • والغطاء • والغلاف • والحجاب • والوقر • والغشاوة • والران • والغل • والسد • والقفل • والصمم • والبكم والعمى • والصد • والصرف • والشد على القلب • والضلال • والاغفال • والمرض • وتقليب الافئدة • والحول بين المرء وقلبه • وازاغة القلوب • والخذلان • والاركاس • والتثبيط • والتزيين • وعدم ارادة هداهم وتطهيرهم • واماتة قلوبهم بعد خلق الحياة فيها فتبقى على الموت الاصلي • وامساك النور عنها فتبقى في الظلمة الاصلية • وجعل القلب قاسيا لاينطبع فيه مثال الهدى وصورته • وجعل الصدر ضيقا حرجا لايقبل الايمان • وهذه الامور منها مايرجع الى القلب كالختم والطبع والقفل والاكنة والاغفال والمرض ونحوها ومنها مايرجع الى رسوله الموصل اليه الهدى كالصمم والوقر ومنها مايرجع الى طليعته ورائده كالعمى والغشا ومنها مايرجع الى ترجمانه ورسوله المبلغ عنه كالبكم النطق وهو نتيجة البكم القلبي فاذا بكم القلب بكم اللسان ولاتصغ الى قول من يقول ان هذه مجازات واستعارات فانه قال بحسب مبلغه من العلم والفهم عن الله ورسوله وكان هذا القائل حقيقة القفل عنده أن يكون من حديد والختم أن يكون بشمع أوطين والمرض أن يكون حمى بنافض أو قوانج أوغيرهما من أمراض البدن والموت هو مفارقة الروح للبدن ليس الا والعمى ذهاب ضوء العين الذى تبصر به وهذه الفرقة من أغلظ الناس حجابا فان هذه الامور اذا أضيفت الى محالها كانت بحسب تلك المحال فنسبة قفل القلب الى القلب كنسبة قفل الباب اليه وكذلك الختم والطابع الذى عليه هو بالنسبة اليه كالختم والطابع الذى على الباب والصندوق ونحوهما وكذلك نسبة الصمم والعمى الى الاذن والعين وكذلك موته وحياته نظير موت البدن وحياته بل هذه الامور الزم للقلب منها للبدن فلوقيل انها حقيقة في ذلك مجاز في الاجسام المحسوسة لكان مثل قول هؤلاء وأقوى منه وكلاهما باطل فالعمى في الحقيقة والبكم والموت والقفل للقلب ثم قال تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور والمعنى انه معظم العمى وأصله وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم انما الربا في النسيئة وقوله انما الماء من الماء وقوله ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقوله ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين الذى لايجد مايغنيه ولايفطن له فيتصدق عليه وقوله ليس الشديد بالصرعه انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ولم يرد نفى الاسم عن هذه المسميات انما أراد أن هؤلاء اولى بهذه الاسماء وأحق ممن يسمونه بها فهكذا قوله لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور وقريب من هذا قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وعلى التقديرين فقد أثبت للقلب عمى حقيقة وهكذا جميع مانسب اليه ولما كان القلب ملك الاعضاء وهى جنوده وهو الذى يحركها ويستعملها والارادة والقوى والحركة الاختيارية تنبعث كانت هذه الامثال أصلا وللاعضاء تبعا فلنذكر هذه الامور مفصلة ومواقعها في القرآن فقد تقدم الختم قال الازهرى وأصله التغطية وختم البذر في الارض اذا غطاه قال أبواسحاق معنى ختم وطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشئ والاستيثاق منه فلا يدخله شئ كما قال تعالى أم على قلوب أقفالها وكذلك قوله طبع الله على قلوبهم قلت الختم والطبع يشتركان فيما ذكر ويفترقان في معنى آخر وهو ان الطبع ختم يصير سجية وطبيعة فهو تأثير لازم لا

يفارق وأما الاكنة ففي قوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه) وهي جمع كنان كعنان واعنة وأصله من الستر والتغطية ويقال كنه وأكنه وكنان بمعنى واحد بل بينهما فرق فاكنه اذا ستره واخفاه كقوله تعالى (أو أكننتم في أنفسكم) وكنه اذا صانه وحفظه كقوله بيض مكنون ويشتركان في الستر والكنان ماأكن الشئ وستره وهو كالغلاف وقد أقروا على أنفسهم بذلك فقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فذكروا غطاء القلب وهي الاكنة وغطاء الاذن وهو الوقر وغطاء العين وهو الحجاب والمعنى لانفقه كلامك ولا نسمعه ولا نراك والمعنى انا في ترك القبول منك بمنزلة من لايفقه ماتقول ولايراك قال ابن عباس قلوبنا في أكنة مثل الكنانة التي فيها السهام وقال مجاهد كجعبة النبل وقال مقاتل عليها غطاء فلانفقه ماتقول

﴿فصل﴾ وأما الغطاء فقال تعالى (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء من ذكرى وكانوا لايستطيعون سمعا) وهذا يتضمن معنيين أحدهما أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله وأدلة توحيده وعجائب قدرته والثاني ان أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره والاهتداء به وهذا الغطاء للقلب أولا ثم يسرى منه الى العين

﴿ فصل ﴾ وأما الغلاف فقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم) وقد اختلف في معنى قولهم قلوبنا غلف فقالت طائفة المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم فما بالها لاتفهم عنك ماأتيت به أولا تحتاج اليك وعلى هذا فيكون غلف جمع غلاف والصحيح قول أكثر المفسرين ان المعنى قلوبنا لاتفقه ولا تفهم ماتقول وعلى هذا فهو جمع أغلف كأحمر وحمر قال أبو عبيدة كل شئ في غلاف فهو اغلف كما يقال سيف أغلف وقوس أغلف ورجل أغلف غير مختون قال ابن عباس وقتادة ومجاهد على قلوبنا غشاوة فهي في أوعية فلا تعي ولا تفقه ماتقول وهذا هو الصواب في معنى الآية لتكرر نظائره في القرآن كقولهم (قلوبنا في أكنة) وقوله تعالى (كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) ونظائر ذلك وأما قول من قال هي أوعية للحكمة فليس في اللفظ مايدل عليه البتة وليس له في القرآن نظير يحمل عليه ولايقال مثل هذا اللفظ في مدح الانسان نفسه بالعلم والحكمة فاين وجدتم في الاستعمال قول القائل قلبي غلاف وقلوب المؤمنين العالمين غلف أى أوعية للعلم والغلاف قد يكون وعاء للجيد والردئ فلا يلزم من كون القلب غلافا أن يكون داخله العلم والحكمة وهذا ظاهر جداً فان قيل فالاضراب ببل على هذا القول الذى قويتموه مامعناه وأما على القول الآخر فظاهر أى ليست قلوبكم محلا للعلم والحكمة بل مطبوع عليها قيل وجه الاضراب في غاية الظهور وهو انهم احتجوا بان الله لم يفتح لهم الطريق الى فهم ماجاء به الرسول ومعرفته بل جعل قلوبهم داخلة في غلف فلاتفقهه فكيف تقوم به عليهم الحجة وكأنهم ادعوا ان قلوبهم خلقت في غلف فهم معذورون في عدم الايمان فأكذبهم الله وقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وفي الآية الاخرى (بل لعنهم الله بكفرهم) فاخبر سبحانه ان الطبع والابعاد عن توفيقه وفضله انما كان بكفرهم الذى اختاروه لانفسهم وآثروه على الايمان فعاقبهم عليه بالطبع واللعنة والمعنى لم نخلق قلوبهم غلفا لاتعي ولاتفقه ثم نأمرهم بالايمان وهم لايفهمونه ولا يفقهونه بل اكتسبوا أعمالا عاقبناهم عليها بالطبع على القلوب والختم عليها

﴿ فصل ﴾ وأما الحجاب ففي قوله تعالى حكاية عنهم (ومن بيننا وبينك حجاب) وقوله (فاذا قرأت

القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) على أصح القولين والمعنى جعلنا بين القرآن اذا قرأته وبينهم حجابا يحول بينهم وبين فهمه وتدبره والايمان به ويبينه قوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وهذه الثلاثة هى الثلاثة المذكورة في قوله (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) فأخبر سبحانه ان ذلك جعله فالحجاب يمنع رؤية الحق والأكنة تمنع من فهمه والوقر يمنع من سماعه وقال الكلبي الحجاب ههنا مانع يمنعهم من الوصول الى رسول الله بالاذى من الرعب ونحوه مما يصدهم عن الاقدام عليه ووصفه بكونه مستورا فقيل بمعنى ساتر وقيل على النسب أى ذو ستر والصحيح انه على بابه أى مستورا عن الابصار فلا يرى ومجىء مفعول بمعنى فاعل لايثبت والنسب في مفعول لم يشتق من فعله كمكان مهول أى ذى هول ورجل مرطوب أى ذى رطوبة فاما مفعول فهو جار على فعله فهو الذى وقع عليه الفعل كمضروب ومجروح ومستور

(فصل) واما الران فقد قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) قال أبو عبيدة غلب عليها والخمر ترين على عقل السكران والموت يرون على الميت فيذهب به ومن هذا حديث اسيفع جهينة وقول عمر فاصبح قدرين به أى غلب عليه واحاط به الرين وقال أبو معاذ النحوى الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب وقال الفراء كثرت الذنوب والمعاصى منهم فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وقال أبو اسحق ران غطى يقال ران على قلبه الذنب يرين رينا أى غشيه قال والرين كالغشاء يغشى القلب ومثله الغين قلت اخطأ أبو اسحاق فالغين ألطف شيء وارقه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وأما الرين والران فهو من أغلظ الحجب على القلب وأكثفها وقال مجاهد هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب وقال مقاتل غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة وفي سنن النسائى والترمذى من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان زادزيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى ذكر الله (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) قال الترمذى هذا حديث صحيح وقال عبد الله بن مسعود كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله فاخبر سبحانه ان ذنوبهم التى اكتسبوها أوجبت لهم رينا على قلوبهم فكان سبب الران منهم وهو خالق الله فيهم فهو خالق السبب ومسببه لكن السبب باختيار العبد والمسبب خارج عن قدرته واختياره

(فصل) وأما الغل فقال تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهى الي الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون) قال الفراء حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله وقال أبو عبيدة منعناهم عن الايمان بموانع ولما كان الغل مانعا للمغلول من التصرف والتقلب كان الغل الذى على القلب مانعا من الايمان فان قيل فالغل المانع من الايمان هو الذى في القلب فكيف ذكر الغل الذى في العنق قيل لما كان عادة الغل أن يوضع في العنق ناسب ذكر محله والمراد به القلب كقوله تعالى (وكل انسان ألزمناه

طائره في عنقه) ومن هذا قولهم اثمي في عنقك وهذا في عنقك ومن هذا قوله (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) شبه الامساك عن الانفاق باليد اذا غلت الى العنق ومن هذا قال الفراء انا جعلنا في أعناقهم أغلالا حبسناهم عن الانفاق قال أبو اسحاق وانما يقال للشئ اللازم هذا في عنق فلان أى لزومه كلزوم القلادة من بين مايلبس في العنق قال أبو على هذا مثل قولهم طوقتك كذا وقلدتك كذا ومنه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق قلت ومن هذا قولهم قلدت فلانا حكم كذا وكذا كانك جملته طوقا في عنقه وقد سمى الله التكاليف الشاقة اغلالا في قوله (ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم) فشبهها بالاغلال لشدتها وصعوبتها قال الحسن هى الشدائد التى كانت في العبادة كقطع أثر البول وقتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وتتبع العروق من اللحم وقال ابن قتيبة هى تحريم الله سبحانه عليهم كثيرا مما أطلقه لامة محمد صلى الله عليه وسلم وجعلها اغلالا لان التحريم يمنع كما يقبض الغل اليد وقوله فهى الى الاذقان قالت طائفة الضمير يعود الى الايدى وان لم تذكر لدلالة السياق عليها قالوا لان الغل يكون في العنق فتجمع اليه اليد ولذلك سمى جامعة وعلى هذا فالمعنى فأيديهم أوفأيمانهم مضمومة الى أذقانهم هذا قول الفراء والزجاج وقالت طائفة الضمير يرجع الي الاغلال وهذا هو الظاهر وقوله فهى الى الاذقان أى واصلة وملزوزة اليها فهو غل عريض قد أحاط بالعنق حتى وصل الى الذقن وقوله فهم مقمحون قال الفراء والزجاج المقمح هو الغاض بصره بعد رفع رأسه ومعنى الاقماح في اللغة رفع الرأس وغض البصر يقال أقمح البعير رأسه وقمح وقال الاصمعى بعير قامح اذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب قال الازهرى لما غلت أيديهم الى أعناقهم رفعت الاغلال اذقانهم ورؤسهم صعدا كالابل الرافعة رؤسها انتهى فان قيل فما وجه التشبيه بين هذا وبين حبس القلب عن الهدى والايمان قيل أحسن وجه وأبينه فان الغل اذا كان في العنق واليد مجموعة اليها منع اليد عن التصرف والبطش فاذا كان عريضا قد ملأ العنق ووصل الى الذقن منع الرأس من تصويبه وجعل صاحبه شاخص الرأس منتصبه لايستطيع له حركة ثم أكد هذا المعنى والحبس بقوله (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) قال ابن عباس منعهم من الهدى لما سبق في علمه والسد الذى جعل من بين أيديهم ومن خلفهم هو الذى سد عليهم طريق الهدى فاخبر سبحانه عن الموانع التى منعهم بها من الايمان عقوبة لهم ومثلها باحسن تمثيل وأبلغه وذلك حال قوم قد وضعت الاغلال العريضة الواصلة الى الاذقان في أعناقهم وضمت أيديهم اليها وجعلوا بين السدين لايستطيعون النفوذ من بينهما وأغشيت أبصارهم فهم لايرون شيئا واذا تأملت حال الكافر الذى عرف الحق وتبين له ثم جحده وكفر به وعاداه أعظم معاداة وجدت هذا المثل مطابقا له اتم مطابقة وانه قد حيل بينه وبين الايمان كما حيل بين هذا وبين التصرف والله المستعان

﴿فصل﴾ واما القفل فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) قال ابن عباس يريد على قلوب هؤلاء أقفال وقال مقاتل يعنى الطبع على القلب وكأن القلب بمنزلة الباب المرتج الذى قد ضرب عليه قفل فانه مالم يفتح القفل لايمكن فتح الباب والوصول الى ماوراءه وكذلك مالم يرفع الختم والقفل عن القلب لم يدخل الايمان والقرآن وتأمل تنكير القلب وتعريف الاقفال فان تنكير القلوب يتضمن

ارادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة ولوقال أم على القلوب أقفالها لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة وفي قوله أقفالها بالتعريف نوع تأكيد فانه لوقال أقفال لذهب الوهم الى مايعرف بهذا الاسم فلما أضافها الى القلوب علم ان المراد بها ماهو للقلب بمنزلة التقفل للباب فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التى لاتكون لغيرها والله أعلم

(فصـل) وأما الصمم والوقر ففى قوله تعالى (صم بكم عمى) وقوله (أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم) وقوله (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايعقلون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضـل وأولئك هم الغافلون) وقوله (والذين لايؤمنون بالآخرة في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) قال ابن عباس في آذانهم صمم عن استماع القرآن وهو عليهم عمى أعمى الله قلوبهم فلا يفقهون أولئك ينادون من مكان بعيد مثل البهيمة التى لاتفهم الادعاء ونداء وقال مجاهد بعيد من قلوبهم وقال الفراء تقول للرجـل الذى لايفهـم كذلك أنت تنادى من مكان بعيد قال وجاء في التفـسير كأنمـا ينادون من السماء فلا يسمعون انتهى والمعنى انهـم لايسمعون ولا يفهمون كما ان من دعى من مكان بعيد لم يسـمع ولم يفهم

(فصـل) وأما البكم فقال تعالى (صم بكم عمى) والبكم جمع أبكم وهو الذى لاينطق والبكم نوعان بكم القلب وبكم اللسان كما ان النطق نطقان نطق القلب ونطق اللسان وأشدهما بكم القلب كما ان عماه وصممه أشد من عمى العين وصمم الاذن فوصفهم سبحانه بانهم لايفقهون الحق ولاتنطق به السنتهم والعلم يدخل الى العبد من ثلاثة أبواب من سمعه وبصره وقلبه وقد سدت عليهم هذه الابواب الثلاثة فسد السمع بالصمم والبصر بالعمى والقلب بالبكم ونظيره قوله تعالى (لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها) وقد جمع سبحانه بين الثلاثة في قوله (وجعلنا لهـم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولاأبصارهم ولاأفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله) فاذا أراد سبحانه هداية عبد فتح قلبه وسمعه وبصره واذا أراد ضـلاله أصمه وأعماه وأبكمه وبالله التوفيق

(فصل) وأما الغشاوة فهو غطاء العين كما قال تعالى (وجعل على بصره غشاوة) وهذا الغطاء سرى اليها من غطاء القلب فان مافي القلب يظهر على العين من الخير والشر فالعين مرآة القلب تظهر مافيه وأنت اذا أبغضت رجلا بغضا شديدا أو أبغضت كلامه ومجالسته تجد على عينك غشاوة عند رؤيته ومخالطته فتلك أثر البغض والاعراض عنه وغلظت على الكفار عقوبة لهم على اعراضهم ونفورهم عن الرسول وجعل الغشاوة عليها يشعر بالاحاطة على ماتحته كالعمامة ولمـا عشوا عن ذكره الذى أنزله صار ذلك العشاء غشاوة على أعينهم فلا تبصر مواقع الهدى

(فصل) وأما الصد فقال تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأ أهل الكوفة على البناء للمفعول حملا على زين وقرأ الباقون وصد بفتح الصاد ويحتمل وجهين أحدهما اعرض فيكون لازما والثانى يكون صد غيره فيكون متعديًا والقراءتان كالآيتين لايتناقضان وأما الشد على القلب فنى قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن

سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما) فهذا الشد على القلب هو الصد والمنع ولهذا قال ابن عباس يريد امنعها والمعنى قسها واطبع عليها حتى لاتلين ولاتنشرح للايمان وهذا مطابق لما في التوراة ان الله سبحانه قال لموسى اذهب الى فرعون فاني ساقسى قلبه فلا يؤمن حتى تظهر آياتي وعجائبي بمصر وهذا الشد والتقسية من كمال عدل الرب سبحانه في أعدائه جعله عقوبة لهم على كفرهم واعراضهم كعقوبته لهم بالمصائب ولهذا كان محمودا عليه فهو حسن منه وأقبح شيء منهم فانه عدل منه وحكمة وهو ظلم منهم وسفه فالقضاء والقدر فعل عادل حكيم غنى عليم يضع الخير والشر في اليق المواضع بهما والمقضى المقدر يكون ظلما وجورا وسفها وهو فعل جاهل ظالم سفيه

(فصل) وأما الصرف فقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون) فاخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف وعن فعله فيهم وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره لانهم ليسوا اهلا له فالمحل غير صالح ولاقابل فان صلاحية المحل بشيئين حسن فهم وحسن قصد وهؤلاء قلوبهم لاتفقه وقصودهم سيئة وقد صرح سبحانه بهذا في قوله (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) فاخبر سبحانه عن عدم قابلية الايمان فيهم وانهم لاخير فيهم يدخل بسببه الى قلوبهم فلم يسمعهم سماع إفهام ينتفعون به وان سمعوه سماعا تقوم به عليهم حجته فسماع الفهم الذى سمعه به المؤمنون لم يحصل لهم ثم أخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعهم من الايمان لو اسمعهم هذا السماع الخاص وهو الكبر والتولى والاعراض فالاول مانع من الفهم والثانى مانع من الانقياد والاذعان فافهام سيئة وقصود ردية وهذه نسخة الضلال وعلم الشقاء كما ان نسخة الهدى وعلم السعادة فهم صحيح وقصد صالح والله المستعان وتأمل قوله سبحانه (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) كيف جعل هذه الجملة الثانية سواء كانت خبرا أو اعادة عقوبة لانصرافهم فعاقبهم عليه بصرف آخر غير الصرف الاول فان انصرافهم كان لعدم ارادته سبحانه ومشيئته لاقبالهم لانه لاصلاحية فيهم ولاقبول فلم ينلهم الاقبال والاذعان فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل والظلم عن القرآن فجازاهم على ذلك صرفا آخر غير الصرف الاول كما جازاهم على زيغ قلوبهم عن الهدى ازاغة غير الزيغ الاول كما قال (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وهكذا اذا أعرض العبد عن ربه سبحانه جازاه بان يعرض عنه فلا يمكنه من الاقبال عليه ولتكن قصة ابليس منك على ذكر تنتفع بها أتم انتفاع فانه لما عصى ربه تعالى ولم ينقد لامره واصر على ذلك عاقبه بان جعله داعيا الى كل معصية فعاقبه على معصيته الاولى بان جعله داعيا الى كل معصية وفروعها صغيرها وكبيرها وصار هذا الاعراض والكفر منه عقوبة لذلك الاعراض والكفر السابق فمن عقاب السيئة السيئة بعدها كما ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فان قيل فكيف يلتئم انكاره سبحانه عليهم الانصراف والاعراض عنه وقد قال تعالى (فانى يصرفون • وأنى يؤفكون وقال فما لهم عن التذكرة معرضين) فاذا كان هو الذى صرفهم وجعلهم معرضين ومأفوكين فكيف ينفى ذلك عليهم قيل هم دائرون بين عدله وحجته عليهم فمكنهم وفتح لهم الباب ونهج لهم الطريق وهيأ لهم الاسباب فارسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ودعاهم على السنة رسله وجعل لهم عقولا تميز بين الخير والشر والنافع والضار وأسباب

الردى وأسباب الفلاح وجعل لهم اسماعا وأبصارا فآثروا الهوى على التقوى واستحبوا العمى على الهدى وقالوا معصيتك آثر عندنا من طاعتك والشرك أحب الينا من توحيدك وعبادة سواك أنفع لنا في دنيانا من عبادتك فاعرضت قلوبهم عن ربهم وخالقهم ومليكهم وانصرفت عن طاعته ومحبته فهذا عدله فيهم وتلك حجته عليهم فهم سدوا على أنفسهم باب الهدى ارادة منهم واختيارا فسده عليهم اضطرارا فخلاهم وما اختاروا لانفسهم وولاهم ماتولوه ومكنهم فيما ارتضوه وأدخلهم من الباب الذى استبقوا اليه وأغلق عنهم الباب الذى تولوا عنه وهم معرضون فلا أقبح من فعلهم ولا أحسن من فعله ولو شاء لخلقهم على غير هذه الصفة ولأنشأهم على غير هذه النشأة ولكنه سبحانه خالق العلو والسفل والنور والظلمة والنافع والضار والطيب والخبيث والملائكة والشياطين والشاء والذباب ومعطيها آلاتها وصفاتها وقواها وأفعالها ومستعملها فيما خلقت له فبعضها بطباعها وبعضها بارادتها ومشيئتها وكل ذلك جار على وفق حكمته وهو موجب حمده ومقتضى كماله المقدس وملكه التام ولا نسبة لما علمه الخلق من ذلك الى ماخفى عليهم بوجه ما ان هو الا كنقرة عصفور من البحر

﴿ فصل ﴾ وأما الاغفال فقال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) سئل أبو العباس ثعلب عن قوله (أغفلنا قلبه عن ذكرنا) فقال جعلناه غافلا قال ويكون في الكلام أغفلته سميته غافلا ووجدته غافلا قلت الغفل الشئ الفارغ والارض الغفل التى لاعلامة بها والكتاب الغفل الذى لاشكل عليه فاغفلناه تركناه غفلا عن الذكر فارغا منه فهو ابقاء له على العدم الاصلى لانه سبحانه لم يشأ له الذكر فبقى غافلا فالغفلة وصفه والاغفال فعل الله فيه بمشيئته وعدم مشيئته لتذكره فكل منهما مقتض لغفلته فاذا لم يشأ له التذكر لم يتذكر واذا شاء غفلته امتنع منه الذكر فان قيل فهل تضاف الغفلة والكفر والاعراض ونحوها الى عدم مشيئة الرب اضدادها أم الى مشيئته لوقوعها قيل القرآن قد نطق بهذا وبهذا قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) . وقال (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ ومن يرد أن يضله) فان قيل فكيف يكون عدم السبب المقتضى موجبا للاثر قيل الاثر ان كان وجوديا فلا بدله من مؤثر وجودى واما العدم فيكفى فيه عدم سببه وموجبه فيبقى على العدم الاصلى فاذا أضيف اليه كان من باب اضافة الشئ الى دليله فعدم السبب دليل على عدم المسبب واذا سمى موجبا ومقتضيا بهذا الاعتبار فلا مشاحة في ذلك واما أن يكون العدم أثرا ومؤثرا فلا وهذا الاغفال ترتب عليه اتباع هواه وتفريطه في أمره قال مجاهد كان أمره فرطا أى ضياعا وقال قتادة أضاع أكبر الضيعة وقال السدى هلاكا وقال أبو الهيثم أمر فرط أى متهاون به مضيع والتفريط تقديم العجز قال أبو اسحاق من قدم العجز في أمر اضاعه وأهلكه قال الليث الفرط الامر الذى يفرط فيه يقول كل أمر فلان فرط قال الفراء فرطا متروكا يفرط فيما لاينبغى التفريط فيه واتبع مالا ينبغى اتباعه وغفل عما لايحسن الغفلة عنه

﴿ فصل ﴾ وأما المرض فقال تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض) وقال (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا) ومرض القلب خروج عن صحته واعتداله فان صحته أن يكون عارفا بالحق محبا له مؤثرا له على غيره فمرضه اما بالشك فيه واما بايثار غيره عليه فمرض

المنافقين مرض شك وريب ومرض العصاة مرض غي وشهوة وقد سمى الله سبحانه كلا منهما مرضا قال ابن الانبارى أصل المرض في اللغة الفساد مرض فلان فسد جسمه وتغيرت حاله ومرضت بالمرض تغيرت وفسدت قالت ليلى الاخيلية

اذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها

وقال آخر

ألم تر أن الارض أضحت مريضة لفقد الحسين والبلاد اقشعرت

والمرض يدور على أربعة أشياء فساد وضعف ونقصان وظلمة ومنه مرض الرجل في الامر اذا ضعف فيه ولم يبالغ وعين مريضة النظر أى فاترة ضعيفة وريح مريضة اذا هب هبوبها كما قال

* راحت لاربعك الرياح مريضة *

أى لينة ضعيفة حتى لايعفى أثرها وقال ابن الاعرابى أصل المرض النقصان ومنه بدن مريض أى ناقص القوة وقلب مريض ناقص الدين ومرض في حاجتى اذا نقصت حركته وقال الازهرى عن المنذرى عن بعض أصحابه المرض اظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها قال والمرض الظلمة وأنشد

وليلة مرضت من كل ناحية فما يضيء لها شمس ولا قمر

هذا أصله في اللغة ثم الشك والجهل والحيرة والضلال وارادة الغي وشهوة الفجور في القلب تعود الى هذه الامور الاربعة فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض فيعاقبه الله بزيادة المرض لايثاره أسبابه وتعاطيه لها

﴿ فصل ﴾ وأما تقليب الافئدة فقال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وهذا عطف على انها اذا جاءت لايؤمنون أى نحول بينهم وبين الايمان ولو جاءتهم تلك الآية فلا يؤمنون واختلف في قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة فقال كثير من المفسرين المعنى نحول بينهم وبين الايمان لو جاءتهم الآية كما حلنا بينهم وبين الايمان أول مرة قال ابن عباس في رواية عطاء عنه ونقلب أفئدتهم وأبصارهم حتى يرجعوا الى ماسبق عليهم من علمى قال وهذا كقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقال آخرون المعنى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتركهم الايمان به أول مرة فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم وهذا معنى حسن فان كاف التشبيه تتضمن نوعا من التعليل كقوله (وأحسن كما أحسن الله اليك) وقوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكرونى أذكركم) والذى حسن اجتماع التعليل والتشبيه الاعلام بان الجزاء من جنس العمل في الخير والشر والتقليب تحويل الشيء من وجه الى وجه وكان الواجب من مقتضى إنزال الآية ووصولهم اليها كما سألوا أن يؤمنوا اذا جاءتهم لانهم رأوها عيانا وعرفوا أدلتها وتحققوا صدقها فاذا لم يؤمنوا كان ذلك تقليبا لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذى ينبغى أن تكون عليه وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك وروى الترمذى من حديث أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يامقلب

القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يارسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء قال هذا حديث حسن وروى حماد عن أيوب وهشام ويعلى بن زياد عن الحسن قال قالت عائشة رضى الله تعالى عنها دعوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يدعو بها يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يارسول الله دعوة كثيرا ماتدعو بها قال انه ليس من عبد الا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فاذا شاء أن يقيمه اقامه واذا شاء أن يزيغه ازاغه وقوله (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) قال ابن عباس أخذلهم وأدعهم في ضلالهم يتمادون

﴿ فصل ﴾ واما ازاغة القلوب فقال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقال عن عباده المؤمنين انهم سألوه ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وأصل الزيغ الميل ومنه زاغت الشمس اذامالت فازاغة القلب امالته وزيغه ميله عن الهدى الى الضلال والزيغ يوصف به القلب والبصر كما قال تعالى (واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر) وقال قتادة ومقاتل شخصت فرقا وهذا تقريب للمعنى فان الشخوص غير الزيغ وهو أن يفتح عينيه ينظر الى الشئ فلا يطرق ومنه شخص بصر الميت ولما مالت الابصار عن كل شئ فلم تنظر الا الى هؤلاء الذين أقبلوا اليهم من كل جانب اشتغلت عن النظر الى شئ آخر فمالت عنه وشخصت بالنظر الى الاحزاب وقال الكلبي مالت أبصارهم الا من النظر اليهم وقال الفراء زاغت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها متحيرة تنظر اليه قلت القلب اذا امتلأ رعبا شغله ذلك عن ملاحظة ماسوى المخوف فزاغ البصر عن الوقوع عليه وهو مقابله

﴿ فصل ﴾ وأما الخذلان فقال تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) وأصل الخذلان الترك والتخلية ويقال للبقرة والشاة اذا تخلفت مع ولدها في المرعى وتركت صواحباتها خذول قال محمد بن اسحاق في هذه الآية ان ينصرك الله فلا غالب لك من الناس ولن يضرك خذلان من خذلك وأن يخذلك فلن ينصرك الناس أى لاتترك أمرى للناس وارفض الناس لامرى والخذلان أن يخلى الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكله اليها والتوفيق ضده أن لايدعه ونفسه ولا يكله اليها بل يصنع له ويلطف به ويعينه ويدفع عنه ويكلأه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه فمن خلى بينه وبين نفسه فقد هلك كل الهلاك ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام لااله الا أنت برحمتك أستغيث اصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا الى أحد من خلقك فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه ابليس فان تولاه الله لم يظفر به عدوه وان خذله وأعرض عنه افترسه الشيطان كما يفترس الذئب الشاة فان قيل فما ذنب الشاة اذا خلى الراعى بين الذئب وبينها وهل يمكنها أن تقوى على الذئب وتنجو منه قيل لعمر الله ان الشيطان ذئب الانسان كما قاله الصادق المصدوق ولكن لم يجعل الله لهذا الذئب اللعين على هذه الشاة سلطانا مع ضعفها فاذا أعطت بيدها وسالمت الذئب ودعاها فلبت دعوته وأجابت أمره ولم تخالف بل أقبلت نحوه سريعة مطيعة وفارقت حمى الراعى الذى ليس للذئاب عليه سبيل ودخلت في محل الذئاب الذى من دخله كان صيدا لهم فهل الذئب كل الذئب الا الشاة فكيف والراعى يحذرها ويخوفها وينذرها وقد أراها مصارع الشاء التى انفردت عن الراعى ودخلت وادى

الذئاب قال أحمد بن مروان المالكي في كتاب المجالسة سمعت ابن أبي الدنيا يقول ان الله سبحانه من العلوم مالا يحصى يعطى كل واحد من ذلك مالا يعطى غيره لقد حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سعيد القطان ثنا عبيد الله بن بكر السهمي عن أبيه ان قوما كانوا في سفر فكان فيهم رجل يمر بالطائر فيقول أتدرون ماتقول هؤلاء فيقولون لا فيقول تقول كذا وكذا فيحيلنا على شئ لاندرى أصادق فيه هو ام كاذب الى ان مروا على غنم وفيها شاة قد تخلفت على سخلة لها فجعلت تحنو عنقها اليها وتثغو فقال أتدرون ماتقول هذه الشاة قلنا لا قال تقول للسخلة الحقى لايأكلك الذئب كما أكل أخاك عام أول في هذا المكان قال فانتهينا الى الراعي فقلنا له ولدت هذه الشاة قبل عامك هذا قال نعم ولدت سخلة عام أول فأكلها الذئب بهذا المكان ثم أتينا على قوم فيهم ظعينة على جمل لها وهو يرغو ويحنو عنقه اليها فقال أتدرون مايقول هذا البعير قلنا لا قال فانه يلعن راكبته ويزعم انها رحلته على مخيط وهو في سنامه قال فانتهينا اليهم فقلنا ياهؤلاء ان صاحبنا هذا يزعم ان هذا البعير يلعن راكبته ويزعم انها رحلته على مخيط وانه في سنامه قال فأناخوا البعير وحطوا عنه فاذا هو كما قال فهذه شاة قد حذرت سخلتها من الذئب مرة فحذرت وقد حذر الله سبحانه ابن آدم من ذئبه مرة بعد مرة وهو يأبى الا أن يستجيب له اذا دعاه ويبيت معه ويصبح (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم)

﴿ فصل ﴾ وأما الاركاس فقال تعالى (فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) قال الفراء أركسهم ردهم الى الكفر وقال أبو عبيدة يقال ركست الشئ وأركسته لغتان اذا رددته والركس قلب الشئ على رأسه أورد أوله على آخره والارتكاس الارتداد قال أمية

فاركسوا في حميم النار انهم — كانوا عصاة وقالوا الافك والزورا

ومن هذا يقال للروث الركس لانه رد الى حال النجاسة ولهذا المعنى سمى رجيعا والركس والنكس والمركوس والمنكوس بمعنى واحد قال الزجاج اركسهم نكسهم وردهم والمعنى انه ردهم الى حكم الكفار من الذل والصغار واخبر سبحانه عن حكمه وقضائه فيهم وعدله وان كان اركاسه كان بسبب كسبهم واعمالهم كما قال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فهذا توحيده وهذا عدله لاما تقوله القدرية المعطلة من ان التوحيد انكار الصفات والعدل والتكذيب بالقدر

﴿ فصل ﴾ واما التثبيط فقال تعالى (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) والتثبيط ردّ الانسان عن الشئ الذي يفعله قال ابن عباس يريد خذلهم وكسلهم عن الخروج وقال في رواية أخرى حبسهم قال مقاتل وأوحى الى قلوبهم اقعدوا مع القاعدين وقد بين سبحانه حكمته في هذا التثبيط والخذلان قبل وبعد فقال (انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) فلما تركوا الايمان به وبلقائه وارتابوا بما لاريب فيه ولم يريدوا الخروج في طاعة الله ولم يستعدوا له ولا اخذوا أهبة ذلك كره سبحانه انبعاث من هذا شأنه فان من لم يرفع به وبرسوله أو كتابه رأسا ولم يقبل هديته التى أهداها اليه على يد أحب

خالقه اليه وأكرمهم عليه ولم يعرف قدر هذه النعمة ولا شكرها بل بدلها كفرا فان طاعة هذا وخروجه مع رسوله يكرهه الله سبحانه فثبطه لئلا يقع مايكره من خروجه وأوحى الى قلبه قدرا وكونا أن يقعد مع القاعدين ثم اخبر سبحانه عن الحكمة التى تتعلق بالمؤمنين في تثبيط هؤلاء عنهم فقال (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولأوضعوا) والخبال الفساد والاضطراب فلو خرجوا مع المؤمنين لافسدوا عليهم امرهم فاوقعوا بينهم الاضطراب والاختلاف قال ابن عباس مازادوكم الا خبالا عجزا وجبنا يعنى يجبنوهم عن لقاء العدو بتهويل امرهم وتعظيمهم في صدورهم ثم قال ولا وضعوا خلالكم أى اسرعوا في الدخول بينكم للتفريق والافساد قال ابن عباس يريد ضعفوا شجاعتكم يعنى بالتفريق بينهم لتفرق الكلمة فيجبنوا عن العدو وقال الحسن لاوضعوا خلالكم بالنميمة لافساد ذات البين وقال الكلبي ساروا بينكم يبغونكم العيب قال لبيد

أرانا موضعين لحتم غيب ... وسحر بالطعام وبالشراب

أى مسرعين ومنه قول عمر بن أبى ربيعة

تبالهن بالعرفان لما عرفننى ... وقلن امرؤ باغ أكل واوضعا

أى اسرع حتى كلت مطيته (يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) قال قتادة وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم وقال ابن اسحاق وفيكم قوم اهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم ومعناه على هذا القول وفيكم اهل سمع وطاعة لهم لو صحبهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم قلت فتضمن سماعين معنى مستجيبين وقال مجاهد وابن زيد والكلبي المعنى وفيكم عيون لهم ينقلون اليهم مايسمعون منكم أى جواسيس والقول هو الاول كما قال تعالى سماعون للكذب اى قابلون له ولم يكن في المؤمنين جواسيس للمنافقين فان المنافقين كانوا مختلطين بالمؤمنين ينزلون معهم ويرحلون ويصلون معهم ويجالسونهم ولم يكونوا متحيزين عنهم قد أرسلوا فيهم العيون ينقلون اليهم أخبارهم فان هذا انما يفعله من انحاز عن طائفة ولم يخالطها وأرصد بينهم عيونا له فالقول قول قتادة وابن اسحاق والله اعلم فان قيل انبعاثهم الى طاعته طاعة له فكيف يكرهها واذا كان سبحانه يكرهها فهو يحب ضدها لامحالة إذ كراهة أحد الضدين تستلزم محبة الضد الآخر فيكون قعودهم محبوبا له فكيف يعاقبهم عليه قيل هذا سؤال له شأن وهو من أكبر الاسئلة في هذا الباب وأجوبة الطوائف على حسب أصولهم فالجبرية تجيب عنه بان أفعاله لاتعلل بالحكم والمصالح وكل ممكن فهو جائز عليه ويجوز أن يعذبهم على فعل مايحبه ويرضاه وترك مايبغضه ويسخطه والجميع بالنسبة اليه سواء وهذه الفرقة قد سدت على نفسها باب الحكمة والتعليل والقدرية تجيب عنه على أصولها بانه سبحانه لم يثبطهم حقيقة ولم يمنعهم بل هم منعوا أنفسهم وثبطوها عن الخروج وفعلوا مالا يريد ولما كان في خروجهم المفسدة التى ذكرها الله سبحانه التى في نفوسهم كراهة الخروج مع رسوله قالوا وجعل سبحانه القاء كراهة الانبعاث في قلوبهم كراهة مشيئة من غير أن يكره هو سبحانه انبعاثهم فانه أمرهم به قالوا وكيف يأمرهم بما يكرهه ولا يخفى على من نور الله بصيرته فساد هذين الجوابين وبعدهما من دلالة القرآن فالجواب الصحيح انه سبحانه أمرهم بالخروج طاعة له ولامره واتباعا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصرة له وللمؤمنين وأحب ذلك منهم ورضيه لهم دينا وعلم سبحانه ان خروجهم لو خرجوا لم يقع على هذا

الوجه بل يكون خروجهم خروج خذلان لرسوله وللمؤمنين فكان خروجا يتضمن خلاف مايحبه ويرضاه ويستلزم وقوع مايكرهه ويبغضه فكان مكروها له من هذا الوجه ومحبوبا له من الوجه الذي خرج عليه اولياؤه وهو يعلم انه لايقع منهم الا على الوجه المكروه اليه فكرهه وعاقبهم على ترك الخروج الذي يحبه ويرضاه لاعلى ترك الخروج الذي يبغضه ويسخطه وعلى هذا فليس الخروج الذي كرهه منهم طاعة حتى لو فعلوه لم يثبهم عليه ولم يرضه منهم وهذا الخروج المكروه له ضدان أحدهما الخروج المرضي المحبوب وهذا الضد هو الذي يحبه والثاني التخلف عن رسوله والقعود عن الغزو معه وهذا الضد يبغضه ويكرهه أيضا وكراهته للخروج على الوجه الذي كانوا يخرجون عليه لاينافي كراهته لهذا الضد فنقول للسائل قعودهم مبغوض له ولكن ههنا أمران مكروهان له سبحانه وأحدهما أكره له من الآخر لانه أعظم مفسدة فان قعودهم مكروه له وخروجهم على الوجه الذي ذكره أكره اليه ولم يكن لهم بدّ من أحد المكروهين اليه سبحانه فدفع المكروه الاعلى بالمكروه الادنى فان مفسدة قعودهم عنه أصغر من مفسدة خروجهم معه فان مفسدة قعودهم تختص بهم ومفسدة خروجهم تعود على المؤمنين فتأمل هذا الموضع فان قلت فهلا وفقهم للخروج الذي يحبه ويرضاه وهو الذي خرج عليه المؤمنون قلت قد تقدم جواب مثل هذا السؤال مرارا وان حكمته سبحانه تأبى أن يضع التوفيق في غير محله وعند غير أهله فالله أعلم حيث يجعل هداه وتوفيقه وفضله وليس كل محل يصلح لذلك ووضع الشيء في غير محله لايليق بحكمته فان قلت وعلى ذلك فهلا جعل المحال كلها صالحة قلت يأباه كمال ربوبيته وملكه وظهور آثار أسمائه وصفاته في الخلق والامر وهو سبحانه لو فعل ذلك لكان محبوبا له فانه يحب أن يذكر ويشكر ويطاع ويوحد ويعبد ولكن كان ذلك يستلزم فوات ماهو أحب اليه من استواء اقدام الخلائق في الطاعة والايمان وهو محبته لجهاد أعدائه والانتقام منهم واظهار قدر أوليائه وشرفهم وتخصيصهم بفضله وبذل نفوسهم له في معاداة من عاداه وظهور عزته وقدرته وسطوته وشدة أخذه وأليم عقابه واضعاف اضعاف هذه الحكم التي لاسبيل للخلق ولو تناهوا في العلم والمعرفة الى الاحاطة بها ونسبة ماعقلوه منها الى ماخفي عليهم كنقرة عصفور في بحر

﴿ فصل ﴾ واما التزيين فقال تعالى (وكذلك زينا لكل أمة عملهم) وقال (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقال (وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون) فاضاف التزيين اليه منه سبحانه خلقا ومشيئة وحذف فاعله تارة ونسبه الى سببه ومن أجراه على يده تارة وهذا التزيين سبحانه حسن اذ هو ابتلاء واختبار بعيد ليتميز المطيع منهم من العاصي والمؤمن من الكافر كما قال تعالى (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وهو من الشيطان قبيح وأيضا فتزيينه سبحانه للعبد عمله السيء عقوبة منه له على اعراضه عن توحيده وعبوديته وايثار سيء العمل على حسنه فانه لابدّ أن يعرفه سبحانه السيء من الحسن فاذا آثر القبيح واختاره وأحبه ورضيه لنفسه زينه سبحانه له وأعماه عن رؤية قبحه بعد ان رآه قبيحا وكل ظالم وفاجر وفاسق لابد أن يريه الله تعالى ظلمه وفجوره وفسقه قبيحا فاذا تمادى عليه ارتفعت رؤية قبحه من قلبه فربما رآه حسنا عقوبة له فانه انما يكشف له عن قبحه بالنور الذي في قلبه وهو حجة الله عليه فاذا تمادى في غيه وظلمه ذهب

ذلك النور فلم ير قبحه في ظلمات الجهل والفسوق والظلم ومع هذا فحجة الله قائمة عليه بالرسالة وبالتعريف الاول فتزيين الرب تعالى عدل وعقوبته حكمة وتزيين الشيطان إغواء وظلم وهو السبب الخارج عن العبد والسبب الداخل فيه حبه وبغضه واعراضه والرب سبحانه خالق الجميع والجميع واقع بمشيئته وقدرته ولو شاء لهدى خلقه أجمعين والمعصوم من عصمه الله والمخذول من خذله الله ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين

﴿ فصل ﴾ واما عدم مشيئته سبحانه وارادته فكما قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها، ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) وعدم مشيئته للشيء مستلزم لعدم وجوده كما ان مشيئته تستلزم وجوده فما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده وقد أخبر سبحانه ان العباد لايشاؤن الا بعد مشيئته ولا يفعلون شيئا الا بعد مشيئته فقال (وماتشاؤن الا أن يشاء الله) وقال (ومايذكرون الا أن يشاء الله) فان قيل فهل يكون الفعل مقدورا للعبد في حال عدم مشيئة الله له أن يفعله قيل ان أريد بكونه مقدورا سلامة آلة العبد التى يتمكن بها من الفعل وصحة أعضائه ووجود قواه وتمكينه من أسباب الفعل وتهيئة طريق فعله وفتح الطريق له فنعم هو مقدور بهذا الاعتبار وان أريد بكونه مقدورا القدرة المقارنة للفعل وهى الموجبة له التى اذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل فليس بمقدور بهذا الاعتبار وتقرير ذلك ان القدرة نوعان قدرة مصححة وهى قدرة الأسباب والشروط وسلامة الآلة وهى مناط التكليف وهذه متقدمة على الفعل غير موجبة له وقدرة مقارنة للفعل مستلزمة له لايتخلف الفعل عنها وهذه ليست شرطا في التكليف فلا يتوقف صحته وحسنه عليها فايمان من لم يشأ الله ايمانه وطاعة من لم يشأ طاعته مقدور بالاعتبار الاول غير مقدور بالاعتبار الثانى وبهذا التحقيق تزول الشبهة في تكليف مالايطاق كما يأتى بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى فاذا قيل هل خلق لمن علم انه لايؤمن قدرة على الايمان أم لم يخلق له قدرة قيل خلق له قدرة مصححة متقدمة على الفعل هى مناط الامر والنهى ولم يخلق له قدرة موجبة للفعل مستلزمة له لايتخلف عنها فهذه فضله يؤتيه من يشاء وتلك عدله التى تقوم بها حجته على عبده فان قيل فهل يمكنه الفعل ولم يخلق له هذه القدرة قيل هذا هو السؤال السابق بعينه وقد عرفت جوابه وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾ واما اماتة قلوبهم ففي قوله (انك لاتسمع الموتى) وقوله (أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقوله (لينذر من كان حيا) وقوله (وما أنت بمسمع من في القبور) فوصف الكافر بانه ميت وانه بمنزلة أصحاب القبور وذلك ان القلب الحى هو الذى يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره فاذا مات القلب لم يبق فيه احساس ولا تمييز بين الحق والباطل ولا ارادة للحق وكراهة للباطل بمنزلة الجسد الميت الذى لايحس بلذة الطعام والشراب وألم فقدهما وكذلك وصف سبحانه كتابه ووحيه بانه روح لحصول حياة القلب به فيكون القلب حيا ويزداد حياة بروح الوحى فيحصل له حياة على حياة ونور على نور نور الوحى على نور الفطرة قال (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) فجعله روحا لما يحصل

به من الحياة ونور الما يحصل به من الهدى والاضاءة وذلك نور وحياة زائدة على نور الفطرة وحياتها فهو نور على نور وحياة على حياة ولهذا يضرب سبحانه لمن عدم ذلك مثلا بمستوقد النار التى ذهب عنه ضوؤها وبصاحب الصيب الذى كان حظه منه الصواعق والظلمات والرعد والبرق فلا استنار بما أوقد من النار ولاحيي بما في الصيب من الماء ولذلك ضرب هذين المثلين في سورة الرعد لمن استجاب له فحصل على الحياة والنور ولمن لم يستجب له وكان حظه الموت والظلمة فاخبر عمن أمسك عنه نوره بانه في الظلمة ليس له من نفسه نور فقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضئ ولولم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) ثم ذكر من أمسك عنه هذا النور ولم يجعله له فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أوكظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم التى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله وقال تعالى (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وهذه الظلمات ضد الانوار التى يتقلب فيها المؤمن فان نور الايمان في قلبه ومدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور ومشيته في الناس نور وكلامه نور ومصيره الى نور والكافر بالضد* ولما كان النور من أسمائه الحسنى وصفاته كان دينه نورا ورسوله نورا وكلامه نورا وداره نورا يتلألأ والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ويجرى على السنتهم ويظهر على وجوههم وكذلك لما كان الايمان واسمه المؤمن لم يعطه الاأحب خلقه اليه وكذلك الاحسان صفته وهو المحسن ويحب المحسنين وهو صابر يحب الصابرين شاكر يحب الشاكرين عفو يحب أهل العفو حيى يحب أهل الحياء ستير يحب أهل الستر قوى يحب أهل القوة من المؤمنين عليم يحب أهل العلم من عباده جواد يحب أهل الجود جميل يحب المتجملين بر يحب الابرار رحيم يحب الرحماء عدل يحب أهل العدل رشيد يحب أهل الرشد وهو الذى جعل من يحبه من خلقه كذلك وأعطاه من هذه الصفات ماشاء وأمسكها عمن يبغضه وجعله على أضدادها فهذا عدله وذاك فضله والله ذوالفضل العظيم

﴿فصل﴾ وأما جعله القلب قاسيا فقال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) والقسوة الشدة والصلابة في كل شئ يقال حجر قاس وأرض قاسية لاتنبت شيئا قال ابن عباس قاسية عن الايمان وقال الحسن طبع عليها والقلوب ثلاثة قلب قاس وهو اليابس الصلب الذى لايقبل صورة الحق ولاتنطبع فيه وضده القلب اللين المتماسك وهو السليم من المرض الذى يقبل صورة الحق بلينه ويحفظه بتماسكه بخلاف المريض الذى لايحفظ ماينطبع فيه لميعانه ورخاوته كالمائع الذى اذا طبعت فيه الشئ قبل صورته بما فيه من اللين ولكن رخاوته تمنعه من حفظها فخير القلوب القلب الصلب الصافي اللين فهو يرى الحق بصفائه ويقبله بلينه

ويحفظه بصلابته وفي المسند وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم القلوب آنية الله في أرضه فاحبها اليه أصلبها وأرقها وأصفاها وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب في قوله (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) فذكر القلب المريض وهو الضعيف المنحل الذى لاتثبت فيه صورة الحق والقلب القاسى اليابس الذى لايقبلها ولاتنطبع فيه فهذان القلبان شقيان معذبان ثم ذكر القلب المخبت المطمئن اليه وهو الذى ينتفع بالقرآن ويزكوبه قال الكلبى فتخبت له قلوبهم فترق للقرآن قلوبهم وقد بين سبحانه حقيقة الاخبات ووصف المخبتين في قوله (وبشر المخبتين الذين اذاذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ماأصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) فذكر للمخبتين أربع علامات وجل قلوبهم عند ذكره والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة وصبرهم على أقداره واتيانهم بالصلاة قائمة الاركان ظاهرا وباطنا واحسانهم الى عباده بالانفاق مما آتاهم وهذا انما يتأتى للقلب المخبت قال ابن عباس المخبتين المتواضعين وقال مجاهد المطمئنين الى الله وقال الأخفش الخاشعين وقال ابن جرير الخاضعين قال الزجاج اشتقاقه من الخبت وهو المنخفض من الارض وكل مخبت متواضع فالاخبات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله * فان قيل فاذا كان معناه التواضع والخشوع فكيف عدى بالى في قوله (واخبتوا الى ربهم) قيل ضمن معنى أنابوا واطمأنوا وتابوا وهذه عبارات السلف في هذا الموضع والمقصود ان القلب المخبت ضد القاسى والمريض وهو سبحانه الذى جعل بعض القلوب مخبتا اليه وبعضها قاسيا وجعل للقسوة آثارا وللاخبات آثارا فمن آثار القسوة تحريف الكلم عن مواضعه وذلك من سوء الفهم وسوء القصد وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب ومنها نسيان ماذكر به وهو ترك ماأمر به علما وعملا ومن آثار الاخبات وجل القلوب لذكره سبحانه والصبر على اقداره والاخلاص في عبوديته والاحسان الى خلقه

﴿فصل﴾ وأما تضييق الصدر وجعله حرجا لايقبل الايمان فقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) والحرج هو الشديد الضيق في قول أهل اللغة جميعهم يقال رجل حرج وحرج أى ضيق الصدر قال الشاعر * لاحرج الصدر ولاعنيف * وقال عبيد بن عمير قرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هنا أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ماالحرجة فيكم قالوا الوادى الكثير الشجر الذى لاطريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر وقرأ عمر بن الخطاب الآية فقال ايتونى رجلا من كنانة واجعلوه راعيا فأتوه به فقال عمر يافتى ما الحرجة فيكم فقال الشجرة تحدق بها الاشجار الكثيرة فلاتصل اليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك قلب الكافر لايصل اليه شئ من الخير قال ابن عباس يجعل صدره ضيقا حرجا اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه وان ذكر شئ من عبادة الاصنام ارتاح الى ذلك ولما كان القلب محلا للمعرفة والعلم والمحبة والانابة وكانت هذه الاشياء انما تدخل في القلب اذا اتسع لها فاذا أراد الله هداية عبد وسع صدره وشرحه فدخلت فيه وسكنته واذا أراد ضلاله ضيق صدره وأحرجه فلم يجد محلا يدخل فيه فيعدل عنه ولايساكنه وكل اناء فارغ اذا دخل فيه الشئ ضاق به وكلما أفرغت فيه الشئ ضاق الاالقلب اللين فكلما أفرغ فيه الايمان والعلم اتسع وانفسح

وهذا من آيات قدرة الرب تعالى وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فما علامة ذلك يارسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله فشرح الصدر من أعظم أسباب الهدى وتضييقه من أسباب الضلال كما ان شرحه من أجل النعم وتضييقه من أعظم النقم فالمؤمن منشرح الصدر منفسحه في هذه الدار على ماناله من مكروهها واذا قوى الايمان وخالطت بشاشته القلوب كان على مكارهها اشرح صدرا منه على شهواتها ومحابها فاذا فارقها كان انفساح روحه والشرح الحاصل له بفراقها أعظم بكثير كحال من خرج من سجن ضيق الى فضاء واسع موافق له فانها سجن المؤمن فاذا بعثه الله يوم القيامة رأى من انشراح صدره وسعته مالانسبة لما قبله اليه فشرح الصدر كما انه سبب الهداية فهو أصل كل نعمة وأساس كل خير وقد سأل كليم الرحمن موسى بن عمران ربه أن يشرح له صدره لما علم انه لايتمكن من تبليغ رسالته والقيام باعبائها الااذا شرح له صدره وقد عدد سبحانه من نعمه على خاتم أنبيائه ورسله شرح صدره له وأخبر عن اتباعه انه شرح صدورهم للاسلام * فان قلت فما الاسباب التى تشرح الصدور والتى تضيقه قلت السبب الذى يشرح الصدر النور الذى يقذفه الله فيه فاذا دخله ذلك النور اتسع بحسب قوة النور وضعفه واذا فقد ذلك النور أظلم وتضايق * فان قلت فهل يمكن اكتساب هذا النور أم هو وهبى قلت هو وهبى وكسبي واكتسابه أيضا مجرد موهبة من الله تعالى فالامر كله لله والحمد كله له والخير كله بيديه وليس مع العبد من نفسه شئ البتة بل الله واهب الاسباب ومسبباتها وجاعلها أسبابا ومانحها من يشاء ومانعها من يشاء اذا أراد بعبده خيرا وفقه لاستفراغ وسعه وبذل جهده في الرغبة والرهبة اليه فانهما مادتا التوفيق فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق * فان قلت فالرغبة والرهبة بيده لابيد العبد قلت نعم والله وهما مجرد فضله ومنته وانما يجعلهما في المحل الذى يليق بهما ويحبسهما عمن لايصلح لهما فان قلت فما ذنب من لايصلح قلت أكبر ذنوبه انه لايصلح لأن صلاحيته بما اختاره لنفسه وآثره واحبه من الضلال والغى على بصيرة من أمره فآثر هواه على حق ربه ومرضاته واستحب العمى على الهدى وكان كفر المنعم عليه بصنوف النعم وجحدا لهيئته والشرك به والسعى في مساخطه أحب اليه من شكره وتوحيده والسعى في مرضاته فهذا من عدم صلاحيته لتوفيق خالقه ومالكه وأى ذنب فوق هذا فاذا أمسك الحكم العدل توفيقه عمن هذا شأنه كان قد عدل فيه وانسدت عليه أبواب الهداية وطرق الرشاد فاظلم قلبه فضاق عن دخول الاسلام والايمان فيه فلو جاءته كل آية لم تزده الاضلالا وكفرا واذا تأمل من شرح الله صدره للاسلام والايمان هذه الآية وماتضمنته من أسرار التوحيد والقدر والعدل وعظمة شأن الربوبية صار لقلبه عبودية أخرى ومعرفة خاصة وعلم انه عبد من كل وجه وبكل اعتبار وان الرب تعالى رب كل شئ ومليكه من الاعيان والصفات والافعال والامر كله بيده والحمد كله له وأزمة الامور بيده ومرجعها كلها اليه ولهذه الآية شأن فوق عقولنا وأجل من أفهامنا وأعظم مماقال فيها المتكلمون الذين ظلموها معناها وأنفسهم كانوا يظلمون تالله لقد غلظ عنها حجابهم وكثفت عنها أفهامهم ومنعتهم من الوصول الى المراد بها أصولهم التى أصلوها وقواعدهم التى أسسوها فانها تضمنت اثبات التوحيد والعدل الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه والعدل الذى يقوله معطلو الصفات ونفاة القدر

وتضمنت اثبات الحكمة والقدرة والشرع والقدر والسبب والحكم والذنب والعقوبة ففتحت للقلب الصحيح بابا واسعا من معرفة الرب تعالى باسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله وحكمته في شرعه وقدره وعدله في عقابه وفضله في ثوابه وتضمنت كمال توحيده وربوبيته وقيوميته وإلهيته وان مصادر الامور كلها عن محض ارادته ومردّها الى كمال حكمته وان المهدى من خصه الله بهدايته وشرح صدره لدينه وشريعته وان الضال من جعل صدره ضيقا حرجا عن معرفته ومحبته كأنما يتصاعد في السماء وليس ذلك في قدرته وان ذلك عدل في عقوبته لمن لم يقدره حق قدره وجحد كمال ربوبيته وكفر بنعمته وآثر عبادة الشيطان على عبوديته فسد عليه باب توفيقه وهدايته وفتح عليه أبواب غيه وضلاله فضاق صدره وقسا قلبه وتعطلت من عبودية ربها جوارحه وامتلأت بالظلمة جوانحه والذنب له حيث أعرض عن الايمان واستبدل به الكفر والفسوق والعصيان ورضى بموالاة الشيطان وهانت عليه معاداة الرحمن فلا يحدث نفسه بالرجوع الى مولاه ولا يعزم يوما على اقلاعه عن هواه قد ضادّ الله في أمره بحب مايبغضه وبغض مايحبه ويوالى من يعاديه ويعادى من يواليه يغضب اذا رضى الرب ويرضى اذا غضب هذا وهو يتقلب في احسانه ويسكن في داره ويتغذى برزقه ويتقوى على معاصيه بنعمه فمن أعدل منه سبحانه عما يصفه به الجاهلون والظالمون اذا جعل الوحى على أمثال هذا من الذين لايؤمنون

﴿فصل﴾ واذا شرح الله صدر عبده بنوره الذى يقذفه في قلبه اراه في ضوء ذلك النور حقائق الاسماء والصفات التى تضل فيها معرفة العبد اذ لايمكن أن يعرفها العبد على ماهى عليه في نفس الامر وأراه في ضوء ذلك النور حقائق الايمان وحقائق العبودية وما يصححها ومايفسدها وتفاوت معرفة الاسماء والصفات والايمان والاخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم في هذا النور قال تعالى (أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقال (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) فيكشف لقلب المؤمن في ضوء ذلك النور عن حقيقة المثل الاعلى مستويا على عرش الايمان في قلب العبد المؤمن فيشهد بقلبه ربا عظيما قاهرا قادرا أكبر من كل شئ في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله السموات السبع قبضة إحدى يديه والارضون السبع قبضة اليد الاخرى يمسك السموات على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك فالسموات السبع في كفه كخردلة في كف العبد يحيط ولايحاط به ويحصر خلقه ولايحصرونه ويدركهم ولايدركونه لوان الناس من لدن آدم الى آخر الخلق قاموا صفا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ثم يشهده في علمه فوق كل عليم وفي قدرته فوق كل قدير وفي جوده فوق كل جواد وفي رحمته فوق كل رحيم وفي جماله فوق كل جميل حتى لوكان جمال الخلائق كلهم على شخص واحد منهم ثم أعطى الخلق كلهم مثل ذلك الجمال لكانت نسبته الى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف الى ضوء الشمس ولواجتمعت قوى الخلائق على شخص واحد منهم ثم أعطى كل منهم مثل تلك القوة لكانت نسبتها الى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة الى حملة العرش ولوكان جودهم على رجل واحد وكل الخلائق على ذلك الجود لكانت نسبته الى جوده دون نسبة قطرة الى

البحر وكذلك علم الخلائق اذا نسب الى علمه كان كنقرة عصفور من البحر وكذلك سائر صفاته كحياته وسمعه وبصره وارادته فلو فرض البحر المحيط بالارض مدادا تحيط به سبعة ابحر وجميع أشجار الارض شيئا بعد شيء اقلام لفنى ذلك المداد والاقلام ولاتفنى كلماته ولاتنفد فهو أكبر في علمه من كل عالم وفي قدرته من كل قادر وفي جوده من كل جواد وفي غناه من كل غنى وفي علوه من كل عال وفي رحمته من كل رحيم استوى على عرشه واستولى على خلقه متفرد بتدبير مملكته فلاقبض ولابسط ولامنع ولاهدى ولاضلال ولاسعادة ولاشقاوة ولاموت ولاحياة ولانفع ولاضر الابيده لامالك غيره ولامدبر سواه لايستقل أحد معه بملك مثقال ذرة في السموات والارض ولاله شركة في ملكها ولايحتاج الى وزير ولاظهير ولامعين ولايغيب فيخلفه غيره ولايعيي فيعينه سواه ولايتقدم أحد بالشفاعة بين يديه الامن بعد اذنه لمن شاء وفيمن شاء فهو أول مشاهد المعرفة ثم يترقى منه الى مشهد فوقه لايتم الابه وهو مشهد الالهية فيشهده سبحانه متجليا في كماله بأمره ونهيه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه وفضله في ثوابه فيشهد ربا قيوما متكلما آمرا ناهيا يحب ويبغض ويرضى ويغضب قد أرسل رسله وأنزل كتبه وأقام على عباده الحجة البالغة وأتم عليهم نعمته السابغة يهدى من يشاء منه نعمة وفضلا ويضل من يشاء حكمة منه وعدلا ينزل اليهم أوامره وتعرض عليه أعمالهم لم يخلقهم عبثا ولم يتركهم سدى بل أمره جار عليهم في حركاتهم وسكناتهم وظواهرهم وبواطنهم فلله عليهم حكم وأمر في كل تحريكة وتسكينة ولحظة ولفظة وينكشف له في هذا النور عدله وحكمته ورحمته ولطفه واحسانه وبره في شرعه واحكامه وانها أحكام رب رحيم محسن لطيف حكيم قد بهرت حكمته العقول وأقرت بها الفطر وشهدت لمنزلها بالوحدانية ولمن جاء بها بالرسالة والنبوة وينكشف له في ضوء ذلك النور اثبات صفات الكمال وتنزيهه سبحانه عن النقص والمثال وان كل كمال في الوجود فمعطيه وخالقه أحق به وأولى وكل نقص وعيب فهو سبحانه منزه متعال عنه وينكشف له في ضوء هذا النور حقائق المعاد واليوم الآخر وما أخبر به الرسول عنه حتى كأنه يشاهده عيانا وكأنه يخبر عن الله واسمائه وصفاته وامره ونهيه ووعده ووعيده إخبار من كأنه قد رأى وعاين وشاهد ما أخبر به فمن أراد سبحانه هدايته شرح صدره لهذا فاتسع له وانفسح ومن أراد ضلالته جعل صدره من ذلك في ضيق وحرج لايجد فيه مسلكا ولامنفذا والله الموفق المعين وهذا الباب يكفى اللبيب في معرفة القدر والحكمة ويطلعه على العدل والتوحيد الذى تضمنهما قوله (شهد الله أنه لاإله الاهو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لاإله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عندالله الاسلام) .

الباب السادس عشر

فيما جاء في السنة من تفرد الرب تعالى بخلق اعمال العباد كما هو منفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم

قال البخارى في كتاب خلق أفعال العباد حدثنا على بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبومالك

عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يصنع كل صانع وصنعته قال البخاري وتلا بعضهم عند ذلك (والله خلقكم وما تعملون) حدثنا محمد أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة نحوه موقوفا عليه وأما استشهاد بعضهم بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) بحمل ما على المصدر أى خلقكم وأعمالكم فالظاهر خلاف هذا وانها موصولة أى خلقكم وخلق الاصنام التي تعملونها فهو يدل على خلق أعمالهم من جهة اللزوم فان الصنم اسم للآلة التي حل فيها العمل المخصوص فاذا كان مخلوقا لله كان خلقه متناولا لمادته وصورته قال البخاري وحدثنا عمرو بن محمد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن طاووس عن ابن عمر كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك قال البخاري وحدثني اسماعيل قال حدثني مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ورواه مسلم في صحيحه عن طاووس وقال سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس قال البخاري وقال ليث عن طاووس عن ابن عباس (انا كل شيء خلقناه بقدر) حتى العجز والكيس قال البخاري سمعت عبيد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول مازلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة قال البخاري حركاتهم وأصواتهم واكسابهم وكتابتهم مخلوقة وقال جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انه استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فيسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمى حاجته قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فقوله اذا هم أحدكم بالامر صريح في أنه الفعل الاختياري المتعلق بارادة العبد واذا علم ذلك فقوله استقدرك بقدرتك أى أسألك أن تقدرني على فعله بقدرتك ومعلوم انه لم يسئل القدرة المصححة التي هي سلامة الاعضاء وصحة البنية وانما سأل القدرة التي توجب الفعل فعلم انها مقدورة لله ومخلوقة له وأكد ذلك بقوله فانك تقدر ولا أقدر أى تقدر أن تجعلني قادرا فاعلا ولا أقدر أن أجعل نفسي كذلك وكذلك قوله تعلم ولا أعلم أى حقيقة العلم بعواقب الامور ومآلها والنافع منها والضار عندك وليس عندي وقوله يسره لي أو اصرفه عني فانه طلب من الله تيسيره ان كان له فيه مصلحة وصرفه عنه ان كان فيه مفسدة وهذا التيسير و الصرف متضمن القاء داعية الفعل في القلب أو القاء داعية الترك فيه ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل وداعية الترك امتنع الفعل وعند القدرية ترجيح فاعلية العبد على الترك منه ليس للرب فيه صنع ولا تأثير فطلب هذا التيسير منه لا معنى له عندهم فان تيسير الاسباب التي لا قدرة للعبد عليها موجود ولم يسأله العبد وقوله ثم رضني به يدل على ان حصول الرضا وهو فعل اختياري من أفعال القلوب أمر مقدور للرب تعالى وهو الذي يجعل نفسه راضيا وقوله فاصرفه عني واصرفني عنه صريح في أنه سبحانه هو الذي يصرف عبده عن فعله الاختياري اذا شاء صرفه عنه كما قال تعالى في حق يوسف الصديق (كذلك لنصرف عنه

السوء

السوء والفحشاء) وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعي القلب وميله اليهما فينصرفان عنه بصرف دواعيهما وقوله وأقدرلي الخير حيث كان يعم الخير المقدور للعبد من طاعته وغير المقدور له فعلم ان فعل العبد للطاعة والخير أمر مقدور لله ان لم يقدره الله لعبده لم يقع من العبد ففي هذا الحديث الشفاء في مسألة القدر وأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الداعي بهان يقدم بين يدي هذا الدعاء ركعتين عبودية منه بين يدي نجواه وان يكونا من غير الفريضة ليتجرد فعلهما لهذا الغرض المطلوب ولما كان الفعل الاختياري متوقفا على العلم والقدرة والارادة لايحصل الابها توسل الداعي الى الله بعلمه وقدرته وارادته التي يؤتيه بها من فضله وأكد هذا المعنى بتجرده وبراءته من ذلك فقال انك تعلم ولاأعلم وتقدر ولاأقدر وأمر الداعي أن يعلق التيسير بالخير والصرف بالشر وهو علم الله سبحانه تحقيقا للتفويض اليه واعترافا بجهل العبد بعواقب الامور كما اعترف بعجزه ففي هذا الدعاء اعطاء العبودية حقها واعطاء الربوبية حقها وبالله المستعان • وفي الترمذي وغيره من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ماقضيت انك تقضي ولايقضى عليك انه لايذل من واليت تباركت وتعاليت • فقوله أهدني سؤال للهداية المطلقة التي لايتخلف عنها الاهتداء وعند القدرية ان الرب سبحانه وتعالى عن قولهم لايقدر على هذه الهداية وانما يقدر على هداية البيان والدلالة المشتركة بين المؤمنين والكفار وقوله فيمن هديت فيه فوائد أحدها أنه سؤال له أن يدخله في جملة المهديين وزمرتهم ورفقتهم الثانية توسل اليه باحسانه وانعامه أي ياربي قد هديت من عبادك بشرا كثيرا فضلا منك واحسانا فاحسن الي كما أحسنت اليهم كما يقول الرجل للملك اجعلني من جملة من أغنيته وأعطيته وأحسنت اليه الثالثة ان ماحصل لاولئك من الهدى لم يكن منهم ولابانفسهم وانما كان منك فانت الذي هديتهم وقوله وعافني فيمن عافيت انما يسأل ربه العافية المطلقة وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان والغفلة والاعراض وفعل مالايحبه وترك مايحبه فهذا حقيقة العافية ولهذا ماسئل الرب شيئا أحب اليه من العافية لانها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه وقوله وتولني فيمن توليت سؤال للتولي الكامل ليس المراد به مافعله بالكافرين من خلق القدرة وسلامة الآلة وبيان الطريق فان كان هذا هو ولايته للمؤمنين فهو ولي الكفار كما هو ولي المؤمنين وهو سبحانه يتولى أولياءه بامور لاتوجد في حق الكفار من توفيقهم والهامهم وجعلهم مهديين مطيعين ويدل عليه قوله انه لايذل من واليت فانه منصور عزيز غالب بسبب توليك له وفي هذا تنبيه على أن من حصل له ذل في الناس فهو بنقصان مافاته من من تولى الله والافمع الولاية الكاملة ينتفي الذل كله ولوسلط عليه بالاذى من في أقطارها فهو العزيز غير الذليل وقوله وقني شر ماقضيت يتضمن ان الشر بقضائه فانه هو الذي يقي منه وفي المسند وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل يامعاذ والله اني لاحبك فلاتنس أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وهذه أفعال اختيارية وقد سأل الله أن يعينه على فعلها وهذا الطلب لامعنى له عند القدرية فان الاعانة عندهم الاقدار والتمكين وازاحة الاعذار وسلامة الآلة وهذا حاصل للسائل وللكفار أيضا والاعانة التي سألها أن يجعله ذاكرا شاكرا محسنا لعبادته كما في حديث ابن

عباس عنه صلى الله عليه وسلم في دعائه المشهور رب أعنى ولاتعن علىّ وانصرنى ولاتنصر علىّ وامكرلي ولاتمكر علىّ واهدنى ويسر الهدى لي وانصرنى على من بغى علىّ رب اجعلنى لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مطواعا لك مخبتا اليك اواها منيبا رب تقبل توبتى واغسل حوبتى واجب دعوتى وثبت حجتى واهد قلبى وسدد لسانى واسلل سخيمة صدرى رواه الامام أحمد في المسند وفيه أحد وعشرون دليلا فتأملها وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد انقضاء صلاته لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد وكان يقول ذلك الدعاء عند اعتداله من الركوع ففى هذا نفى الشريك عنه بكل اعتبار واثبات عموم الملك له بكل اعتبار واثبات عموم الحمد واثبات عموم القدرة وان الله سبحانه اذا أعطى عبدا فلامانع له واذا منعه فلا معطى له • وعند القدرية ان العبد قد يمنع من أعطى الله ويعطى من منعه فانه يفعل باختياره عطاء ومنعا لم يشأه الله ولم يجعله معطيا مانعا فيتصور أن يكون لمن أعطى مانع ولمن منع معط وفي الصحيح ان رجلا سأله أن يدله على عمل يدخل به الجنة فقال انه ليسير على من يسره الله عليه فدل على ان التيسير الصادر من قبله سبحانه يوجب اليسر في العمل وعدم التيسير يستلزم عدم العمل لانه ملزومه والملزوم ينتفى لانتفاء لازمه والتيسير بمعنى التمكين وخلق الفعل وازاحة الاعذار وسلامة الاعضاء حاصل للمؤمن والكافر والتيسير المذكور في الحديث أمر آخر وراء ذلك وبالله التوفيق والتيسير وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لابى موسى الا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة وتلقيها بالقبول وهى شافية كافية في اثبات القدر وابطال قول القدرية وفي بعض الحديث اذا قالها العبد قال الله أسلم عبدى واستسلم وفي بعضه فوض الى عبدى قال بعض المنتسبين للقدر لما كانت القدرة بالنسبة الى الفعل والى الترك بحصول الدواعى على التسوية ومادام الامر كذلك امتنع صدور الفعل فاذا رجح جانب الفعل على الترك بحصول الدواعى وازالة الصوارف حصل الفعل وهذه القوة هى المشار اليها بقولنا لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وشأن الكلمة أعظم مما قال فان العالم العلوى والسفلى له تحول من حال الى حال وذلك التحول لايقع الا بقوة يقع بها التحول فكذلك الحول وتلك القوة قائمة بالله وحده ليست بالتحويل فيدخل في هذا كل حركة في العالم العلوى والسفلى وكل قوة على تلك الحركة سواء كانت الحركة قسرية أو ارادية أو طبيعية وسواء كانت من الوسط أو الى الوسط أو على الوسط وسواء كانت في الكم أو الكيف أو في الاين كحركة النبات وحركة الطبيعة وحركة الحيوان وحركة الفلك وحركة النفس والقلب والقوة على هذه الحركات التى هى حول فلاحول ولاقوة الا بالله ولما كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذى يخفى على أكثر الناس وكان هذا شأن هذه الكلمة كانت كنزا من كنوز الجنة فأوتيها النبى صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أزمة الامور بيديه وفوض أمره اليه وفي المسند والسنن عن أبى الديلمى قال أتيت أبىّ بن كعب فقلت في نفسى شئ من القدر فحدثنى بشئ لعل الله يذهبه عنى من قلبى فقال ان الله لوعذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهبا ماقبله الله

منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولومت على غير ذلك كنت من أهل النار قال فاتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكل منهم حدثني بمثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه وله شأن عظيم وهو دال على ان من تكلم به أعرف الخلق بالله وأعظمهم له توحيدا وأكثرهم له تعظيما وفيه الشفاء التام في باب العدل والتوحيد فانه لايزال يجول في نفوس كثير من الناس كيف يجتمع القضاء والقدر والامر والنهى وكيف يجتمع العدل والعقاب على المقضى المقدر الذى لابد للعبد من فعله ثم سلك كل طائفة في هذا المقام واديا وطريقا فسلك الجبرية وادى الجبر وطريق المشيئة المحضة الذى يرجح مثلا على مثل من غير اعتبار علة ولا غاية ولا حكمة قالوا وكل ممكن عدل والظلم هو الممتنع لذاته فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لكان متصرفا في ملكه والظلم تصرف القادر في غير ملكه وذلك مستحيل عليه سبحانه قالوا ولما كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم تكن الاعمال سببا للنجاة فكانت رحمته للعباد هى المستقلة بنجاتهم فكانت رحمته خيرا من أعمالهم وهؤلاء راعوا جانب الملك وعطلوا جانب الحمد والله سبحانه له الملك وله الحمد وسلكت القدرية وادى العدل والحكمه ولم يوفوه حقه وعطلوا جانب التوحيد وحاروا في هذا الحديث ولم يدروا ما وجهه وربما قابله كثير منهم بالتكذيب والرده وان الرسول لم يقل ذلك قالوا وأى ظلم يكون أعظم من تعذيب من استنفذ أوقات عمره كلها واستفرغ قواه في طاعته وفعل مايحبه ولم يعصه طرفة عين وكان يعمل بامره دائما فكيف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ان تعذيب هذا يكون عدلا لاظلما قالوا ولايقال ان حقه عليهم وماينبغى له أعظم من طاعاتهم فلا تقع تلك الطاعات في مقابلة نعمه وحقوقه فلو عذبهم لعذبهم بحقه عليهم لانهم اذا فعلوا مقدورهم من طاعته لم يكلفوا بغيره فكيف يعذبون على ترك مالاقدرة لهم عليه وهل ذلك الا بمنزلة بعذيبهم على كونهم لم يخلقوا السموات والارض ونحو ذلك مما لايدخل تحت مقدورهم قالوا فلا وجه لهذا الحديث الارده أوتأويله وحمله على معنى يصح وهو انه لو أراد تعذيبهم جعلهم أمة واحدة على الكفر فلو عذبهم في هذه الحال لكان غير ظالم لهم وهو لم يقل لو عذبهم مع كونهم مطيعين له عابدين له لعذبهم وهو غير ظالم لهم ثم أخبر انه لو عمهم بالرحمة لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ثم أخبر انه لايقبل من العبد عمل حتى يؤمن بالقدر والقدر هو علم الله بالكائنات وحكمه فيها ووقفت طائفه أخرى في وادى الحيرة بين القدر والامر والثواب والعقاب فتارة يغلب عليهم شهود القدر فيغيبون به عن الامر وتارة يغلب عليهم شهود الامر فيغيبون عن القدر وتارة يبقون في حيرة وعمى وهذا كله انما سببه الاصول الفاسدة والقواعد الباطلة التى بنوا عليها ولوجمعوا بين الملك والحمد والربوبية والالهية والحكمة والقدرة وأثبتوا له الكمال المطلق ووصفوه بالقدرة التامة الشاملة والمشيئة العامة النافذة التى لايوجد كائن الابعد وجودها والحكمة البالغة التى ظهرت في كل موجود لعلموا حقيقة الامر وزالت عنهم الحيرة ودخلوا الى الله سبحانه من باب أوسع من السموات السبع وعرفوا انه لايليق بكماله المقدس الاما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله وان ماخالفه ظنون كاذبة وأوهام باطلة تولدت بين أفكار باطلة وآراء مظلمة فنقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة الابالله * الرب تبارك اسمه وتعالى جده ولااله

غيره هو المنعم على الحقيقة بصنوف النعم التي لا يحصيها أهل سمواته وأرضه فايجادهم نعمة منه وجعلهم أحياء ناطقين نعمة منه واعطاؤهم الاسماع والابصار والعقول نعمة منه وادرار الارزاق عليهم على اختلاف أنواعها وأصنافها نعمة منه وتعريفهم نفسه باسمائه وصفاته وأفعاله نعمة منه واجراء ذكره على ألسنتهم ومحبته ومعرفته على قلوبهم نعمة منه وحفظهم بعد ايجادهم نعمة منه وقيامه بمصالحهم دقيقها وجليلها نعمة منه وهدايتهم الى أسباب مصالحهم ومعايشهم نعمة منه وذكر نعمه على سبيل التفصيل لا سبيل اليه ولا قدرة للبشر عليه ويكفي ان النفس من أدنى نعمه التي لا يكادون يعدونها وهو اربعة وعشرون الف نفس في كل يوم وليلة فلله على العبد في النفس خاصة أربعة وعشرون الف نعمة كل يوم وليلة دع ماعدا ذلك من أصناف نعمه على العبد ولكل نعمة من هذه النعم حق من الشكر يستدعيه ويقتضيه فاذا وزعت طاعات العبد كلها على هذه النعم لم يخرج قسط كل نعمة منها الاجزء يسير جدا لا نسبة له الى قدر تلك النعمة بوجه من الوجوه قال أنس بن مالك ينشر للعبد يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه ذنوبه وديوان فيه العمل الصالح فيأمر الله تعالى أصغر نعمة من نعمه فتقوم فتستوعب عمله كله ثم تقول أى رب وعزتك وجلالك ما استوفيت ثمنى وقد بقيت الذنوب والنعم فاذا أراد الله بعبد خيرا قال ابن آدم ضعفت حسناتك وتجاوزت عن سيآتك ووهبت لك نعمى فيما بيني وبينك وفي صحيح الحاكم حديث صاحب الرمانة الذى عبد الله خمسمائة سنة يأكل كل يوم رمانة تخرج له من شجرة ثم يقوم الى صلاته فسأل ربه وقت الاجل أن يقبضه ساجدا وان لا يجعل للارض عليه سبيلا حتى يبعث وهو ساجد فاذا كان يوم القيامة وقف بين يدى الرب فيقول تعالى ادخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول رب بل بعملى فيقول الرب جل جلاله قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتؤخذ نعمة البصر بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول ادخلوا عبدى النار فيجر الى النار فينادى رب برحمتك رب برحمتك ادخلنى الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول ياعبدى من خلقك ولم تكن شيئا فيقول أنت يارب فيقول من قواك على عبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يارب فيقول من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل يوم رمانة وانما تخرج مرة في السنة وسألتنى ان اقبضك ساجدا ففعلت ذلك بك فيقول أنت يارب فيقول الله فذلك برحمتى وبرحمتى أدخلك الجنة رواه من طريق يحيي بن بكير حدثنا الليث بن سعد عن سليمان بن هرم عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والاسناد صحيح ومعناه صحيح لاريب فيه فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لن ينجو أحد منكم بعمله وفي لفظ لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل فقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه لا ينجى أحدا عمله من الاولين ولا من الآخرين الا أن يرحمه ربه سبحانه فتكون رحمته خيرا له من عمله لان رحمته تنجيه وعمله لا ينجيه فعلم انه سبحانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم ببعض حقه عليهم ومما يوضحه انه كلما كملت نعمة الله على العبد عظم حقه عليه وكان مايطالب به من الشكر أكثر مما يطالب من دونه فيكون حق الله عليه أعظم وأعماله لا تفى بحقه عليه وهذا انما يعرفه حق المعرفة من عرف الله وعرف نفسه هذا كله لو لم يحصل للعبد من الغفلة والاعراض والذنوب مايكون في قبالة طاعاته فكيف اذا حصل له من ذلك مايوازى طاعاته أو يزيد عليها فان من حق الله على عبده ان يعبده لا يشرك به

شيئا

شيئا وان يذكره ولاينساه وان يشكره ولايكفره وان يرضى به ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وليس الرضا بذلك مجرد اطلاق هذا اللفظ وحاله وارادته وتكذبه وتخالفه فكيف يرضى به ربا من يسخط مايقضيه له اذالم يكن موافقا لارادته وهواه فيظل ساخطا به متبرما يرضى وربه غضبان ويغضب وربه راض فهذا انما رضى من ربه حظا لم يرض بالله ربا وكيف يدعى الرضا بالاسلام دينا من ينبذ أصوله خلف ظهره اذا خالفت بدعته وهواه وفروعه وراءه اذالم يوافق غرضه وشهوته وكيف يصح الرضا بمحمد رسولا من لم يحكمه على ظاهره وباطنه ويتلق أصول دينه وفروعه من مشكاته وحده • كيف يرضى به رسولا من يترك ماجاء به لقول غيره ولايترك قول غيره لقوله ولايحكمه ويحتج بقوله الا اذا وافق تقليده ومذهبه فاذا خالفه لم يلتفت الى قوله والمقصود ان من حقه سبحانه على كل أحد من عبيده أن يرضى به ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وان يكون حبه كله لله وبغضه في الله وقوله لله وتركه لله وان يذكره ولاينساه ويطيعه ولا يعصيه ويشكره ولايكفره واذا قام بذلك كله كانت نعم الله عليه أكثر من عمله بل ذلك نفسه من نعم الله عليه حيث وفقه له ويسره وأعانه عليه وجعله من أهله واختصه به على غيره فهو يستدعى شكرا آخر عليه ولاسبيل له الى القيام بما يجب لله من الشكر أبدا فنعم الله تطالبه بالشكر وأعماله لاتقابلها وذنوبه وغفلته وتقصيره قد تستنفد عمله فديوان النعم وديوان الذنوب يستنفدان طاعاته كلها هذا وأعمال العبد مستحقة عليه بمقتضى كونه عبدا مملوكا مستعملا فيما يأمره به سيده فنفسه مملوكة وأعماله مستحقة بموجب العبودية فليس له شئ من أعماله كما انه ليس له ذرة من نفسه فلاهو مالك لنفسه ولالصفاته ولالأعماله ولالما بيده من المال في الحقيقة بل كل ذلك مملوك عليه مستحق عليه لمالكه أعظم استحقاقا من سيد اشترى عبدا بخالص ماله ثم قال اعمل وأدالى فليس لك في نفسك ولافي كسبك شئ فلو عمل هذا العبد من الاعمال ماعمل فان ذلك كله مستحق عليه لسيده وحق من حقوقه عليه فكيف بالمنعم المالك على الحقيقة الذى لاتعد نعمه وحقوقه على عبده ولايمكن أن تقابلها طاعاته بوجه فلوعذبه سبحانه لعذبه وهو غير ظالم له واذا رحمه فرحمته خيرله من أعماله ولاتكون أعماله ثمنا لرحمته البتة فلولا فضل الله ورحمته ومغفرته ماهنا أحدا عيش البتة ولاعرف خالقه ولا ذكره ولاآمن به ولا أطاعه فكما ان وجود العبد محض وجوده وفضله ومنته عليه وهو المحمود على ايجاده فتوابع وجوده كلها كذلك ليس للعبد منها شئ كما ليس له في وجوده شئ فالحمد كله لله والفضل كله له والانعام كله له والحق له على جميع خلقه ومن لم ينظر في حقه عليه وتقصيره وعجزه عن القيام به فهو من أجهل الخلق بربه وبنفسه ولا تنفعه طاعاته ولايسمع دعاؤه قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا جرير بن حازم عن وهب قال بلغنى ان نبى الله موسى مر برجل يدعو ويتضرع فقال يارب ارحمه فانى قد رحمته فاوحى الله تعالى اليه لودعانى حتى ينقطع فؤاده مااستجبت له حتى ينظر في حقى عليه والعبد يسير الى الله سبحانه بين مشاهدة منته عليه ونعمه وحقوقه وبين رؤية عيب نفسه وعمله وتفريطه واضاعته فهو يعلم ان ربه لوعذبه أشد العذاب لكان قد عدل فيه وان أقضيته كلها عدل فيه وان مافيه من الخير فمجرد فضله ومنته وصدقته عليه ولهذا كان في حديث سيدالاستغفار أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فلا يرى نفسه الامقصرا مذنبا ولايرى ربه الامحسنا

متفضلا وقد قسم الله خلقه الى قسمين لاثالث لهما تائبين وظالمين فقال (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وكذلك جعلهم قسمين معذبين وتائبين فمن لم يتب فهو معذب ولا بد قال تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وأمر جميع المؤمنين من أولهم الى آخرهم بالتوبة ولا يستثنى من ذلك أحد وعلق فلاحهم بها قال تعالى (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وعدد سبحانه من جملة نعمه على خير خلقه وأكرمهم عليه وأطوعهم له وأخشاهم له ان تاب عليه وعلى خواص اتباعه فقال (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) ثم كرر توبته عليهم فقال (ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم) وقدم توبته عليهم على توبة الثلاثة الذين خلفوا واخبر سبحانه ان الجنة التي وعدها أهلها في التوراة والانجيل انها يدخلها التائبون فذكر عموم التائبين أولا ثم خص النبي والمهاجرين والانصار بها ثم خص الثلاثة الذين خلفوا فعلم بذلك احتياج جميع الخلق الى توبته عليهم ومغفرته لهم وعفوه عنهم وقد قال تعالى لسيد ولد آدم وأحب خلقه اليه عفا الله عنك فهذا خبر منه وهو أصدق القائلين أو دعاء لرسوله بعفوه عنه وهو طلب من نفسه وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده أقرب ما يكون من ربه أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال لاطوع نساء الامة وأفضلهن وخيرهن الصديقة بنت الصديق وقد قالت له يارسول الله لئن وافقت ليلة القدر فما أدعو به قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني قال الترمذي حديث حسن صحيح وهو سبحانه لمحبته للعفو والتوبة خلق خلقه على صفات وهيئات وأحوال تقتضي توبتهم اليه واستغفارهم وطلبهم عفوه ومغفرته وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم والله تعالى يحب التوابين والتوبة من أحب الطاعات اليه ويكفي في محبتها شدة فرحه بها كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في الفلاة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى ادركه العطش ثم قال أرجع الى المكان الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير يرفعه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل حمل زاده ومزاده على بعير ثم سار حتى كان بفلاة فأدركته القائلة فنزل فقال تحت شجرة فغلبته عينه وانسل بعيره فاستيقظ فسعى شرفا فلم ير شيئا ثم سعى شرفا ثانيا ثم سعى شرفا ثالثا فلم ير شيئا فأقبل حتى أتى الى مكانه الذي قال فيه فبينا هو قاعد فيه اذ جاء بعيره يمشي حتى وضع خطامه في يده فالله أشد فرحا بتوبة العبد من هذا حين وجد بعيره فتأمل محبته سبحانه لهذه الطاعة التي هي أصل الطاعات وأساسها فان من زعم أن أحدا من الناس يستغني عنها ولا حاجة

به اليها فقد جهل حق الربوبية ومرتبة العبودية وينتقص بمن أغناه بزعمه عن التوبة من حيث زعم أنه معظم له اذ عطله عن هذه الطاعة العظيمة التى هى من أجل الطاعات والقربة الشريفة التى هى من أجل القربات وقال لست من أهل هذه الطاعة ولا حاجة بك اليها فلاقدر الله حق قدره ولاقدر العبد حق قدره وقد جعل بعض عباده غنيا عن مغفرة الله وعفوه وتوبته اليه وزعم أنه لايحتاج الى ربه في ذلك وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب عن أحدكم من رجل كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع وقد يئس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح وأكمل الخلق أكملهم توبة وأكثرهم استغفارا وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولما سمع أبو هريرة هذا من النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول مارواه الامام أحمد في كتاب الزهد عنه انى لاستغفر الله في اليوم والليلة اثنى عشر ألف مرة بقدر ديتى ثم ساقه من طريق آخر وقال بقدر ذنبه وقال عبدالله ابن الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبى هريرة قال ماجلست الى أحد أكثر استغفارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرجل وما جلست الى أحد أكثر استغفارا من أبى هريرة وفي صحيح مسلم عن الاغر المزنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي السنن والمسند من حديث ابن عمر قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل ثنا يونس عن حميد بن هلال عن أبى بردة قال جلست الى شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الكوفة فحدثنى قال سمعت رسول الله أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس توبوا الى الله عز وجل واستغفروه فانى أتوب الى الله واستغفره كل يوم مائة مرة قال الامام أحمد وثنا يحيى عن شعبة ثنا عمرو بن مرة قال سمعت أبا بردة قال سمعت الاغر يحدث ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياأيها الناس توبوا الى ربكم عز وجل فانى أتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال أحمد ثنا يزيد أنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدى عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في أول الصلاة عند الاستفتاح بعد التكبير اللهم أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى انه لايغفر الذنوب الا أنت واهدنى لاحسن الاخلاق لايهدى لاحسنها الا أنت لبيك وسعديك والخير في يديك وأنا بك واليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك رواه مسلم وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول في دعائه اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد وكان يقول هذا سرا لم يعلم به من خلفه حتى سأله عنه أبو هريرة وروى عنه على بن أبى طالب انه كان اذا استفتح الصلاة قال لااله الا أنت ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفر لى انه لايغفر

الذنوب الا أنت وفي الصحيحين انه كان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن أبى أوفي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملأ السموات وملأ الارض وملأ ماشئت من شئ بعد اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد اللهم طهرنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الوسخ وفي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده اللهم اغفر لى ذنبي كله دقه وجله أوله وآخره علانيته وسره وفي مسند الامام أحمد انه كان يقول في صلاته اللهم اغفر لى ووسع على في ذاتى وبارك لى فيما رزقتنى وفي صحيح مسلم عن فروة بن نوفل قال قلت لعائشة حدثينى بشئ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به في صلاته قالت نعم كان يقول اللهم انى أعوذ بك من شر ماعملت ومن شر مالم أعلم وكان يقول بين السجدتين اللهم اغفر لى وارحمنى واجبرنى واهدنى وارزقنى وكان يقول في قيامه الى الصلاة بالليل اللهم لك الحمد الحديث وفيه فاغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لااله الا أنت وفي الصحيحين عن أبى موسى الاشعرى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافي في أمرى وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير *وحقيقة الامر ان العبد فقير الى الله من كل وجه وبكل اعتبار فهو فقير اليه من جهة ربوبيته له واحسانه اليه وقيامه بمصالحه وتدبيره له وفقير اليه من جهة إلهيته وكونه معبوده وإلهه ومحبوبه الاعظم الذى لاصلاح له ولافلاح ولا نعيم ولا سرور الا بان يكون أحب شئ اليه فيكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله ووالده وولده ومن الخلق كلهم وفقير اليه من جهة معافاته له من أنواع البلاء فانه ان لم يعافيه منها هلك ببعضها وفقير اليه من جهة عفوه عنه ومغفرته له فان لم يعف عن العبد ويغفر له فلا سبيل الى النجاة فما نجى أحد الا بعفو الله ولا دخل الجنة الا برحمة الله وكثير من الناس ينظر الى نفس مايتاب منه فيراه نقصا ولا ينظر الى كمال الغاية الحاصلة بالتوبة وان العبد بعد التوبة النصوح خير منه قبل الذنب ولا ينظر الى كمال الربوبية وتفرد الرب بالكمال وحده وان لوازم البشرية لاينفك منها البشر وان التوبة غاية كل أحد من ولد آدم وكماله كما كانت هى غايته وكماله فليس للعبد كمال بدون التوبة البتة كما أنه ليس له انفكاك عن سببها فانه سبحانه هو المتفرد المستأثر بالغنى والحمد من كل وجه وبكل اعتبار والعبد هو الفقير المحتاج اليه المضطر اليه بكل وجه وبكل اعتبار فرحمته للعبد خير له من عمله فان عمله لايستقل بنجاته ولا سعادته ولو وكل الى عمله لم ينج به البتة فهذا بعض مايتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لوعذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم * ومما يوضحه ان شكره سبحانه مستحق عليهم بجهة ربوبيته لهم وكونهم عبيده ومماليكه وذلك يوجب عليهم أن يعرفوه ويعظموه ويوحدوه ويتقربوا اليه تقرب العبد المحب الذى يتقلب في نعمه ولا غناء به عنه طرفة عين فهو يدأب في التقرب اليه بجهده ويستفرغ في ذلك وسعه وطاقته ولا يعدل بسواه في شئ من الاشياء ويؤثر رضا سيده على ارادته وهواه بل لاهوى له ولا ارادة الا فيما يريد سيده ويحبه وهذا يستلزم علوما وأعمالا وارادات وعزائم لايعارضها غيرها ولا يبقى له معها التفات الى

غيره بوجه ومعلوم ان مايطيع عليه البشر لايفي بذلك وما يستحقه الرب تعالى لذاته وانه أهل أن يعبد أعظم مما يستحقه لاحسانه فهو المستحق لنهاية العبادة والخضوع والذل لذاته ولاحسانه وانعامه وفي بعض الآثار لولم أخلق جنة ولا نارا لكنت أهلا أن أعبد ولهذا يقول أعبد خلقه له يوم القيامة وهم الملائكة سبحانك ماعبدناك حق عبادتك فمن كرمه وجوده ورحمته ان رضى من عباده بدون اليسير مما ينبغى ان يعبد به ويستحقه لذاته واحسانه فلا نسبة للواقع منهم الى مايستحقه بوجه من الوجوه فلا يسعهم الا عفوه وتجاوزه وهو سبحانه أعلم بعباده منهم بأنفسهم فلو عذبهم لعذبهم بما يعلمه منهم وان لم يحيطوا به علما ولو عذبهم قبل أن يرسل رسله اليهم على أعمالهم لم يكن ظالما لهم كما أنه سبحانه لم يظلمهم بمقته لهم قبل ارسال رسوله على كفرهم وشركهم وقبائحهم فانه سبحانه نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب ولكن أوجب على نفسه اذ كتب عليها الرحمة أنه لايعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه برسالته وسر المسئلة انه لماكان شكر المنعم على قدره وعلى قدر نعمه ولا يقوم بذلك أحد كان حقه سبحانه على كل أحد وله المطالبة به وان لم يغفر له ويرحمه والا عذبه فحاجتهم الى مغفرته ورحمته وعفوه كحاجتهم الى حفظه وكلاءته ورزقه فان لم يحفظهم هلكوا وان لم يرزقهم هلكوا وان لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا وخسروا ولهذا قال أبوهم آدم وأمهم حواء (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا شأن ولده من بعده وقد قال موسى كليمه سبحانه (رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى) وقال (سبحانك تبت اليك وأنا اول المؤمنين) وقال (رب اغفر لى ولاخى وادخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) وقال (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وقال خليله ابراهيم (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وقال (الذى خلقنى فهو يهدين) الى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين وقال أول رسله الى أهل الارض رب انى أعوذ بك ان أسألك ماليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين وقال لاكرم خلقه عليه وأحبهم اليه (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وقال (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) الى قوله واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما وقال (انا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) وقد تقدم حديث ابن عباس في دعائه صلى الله عليه وسلم رب أعنى ولا تعن على وفيه رب تقبل توبتى واغسل حوبتى الحديث وقد أخبر سبحانه عن أعبد البشر داود انه استغفر ربه وخر راكعا وأناب وقال تعالى (فغفرنا له ذلك) وقال عن نبيه سليمان (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب) وقال عن نبيه يونس انه ناداه في الظلمات (لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) وقال صديق الامة وخيرها وأبرها وأتقاها لله بعد رسوله يارسول الله علمنى دعاء أدعو به في صلاتى فقال قل اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كبيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم فاستفتح الخبر عن نفسه باداة التوكيد التى تقتضى تقرير مابعدها ثم ثنى بالاخبار عن ظلمه لنفسه ثم وصف ذلك الظلم بكونه ظلما كبيرا ثم طلب من ربه ان يغفر له مغفرة من عنده أى لايبلغها

علمه ولا سعيه بل هى محض منتــه واحسانه وأكبر من عمله فاذا كان هذا شأن من وزن بالامة فرجح بهم فكيف بمن دونه

الباب السابع عشر

فى الكسب والجبر ومعناهما لغة واصطلاحا واطلاقهما نفيا واثباتا

وما دل عليــه السمع والعقل من ذلك * أما الكسب فاصله في اللغة الجمع قاله الجوهرى وهو طلب الرزق يقال كسبت شيئا واكتسبته بمعنى وكسبت أهلى خيرا وكسبت الرجل مالا فكسبه وهذا مما جاء على فعلته ففعل والكواسب الجوارح وتكسب تكلف الكسب انتهى والكسب قد وقع في القرآن على ثلاثة أوجه أحدها عقد القلب وعزمه كقوله تعالى (لايؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أى بما عزمتم عليه وقصدتموه وقال الزجاج أى يؤاخذكم بعزمكم على أن لاتبروا وأن لاتتقوا وان تعتلوا في ذلك بانكم حلفتم وكانه التفت الى لفظ المؤاخذة وانها تقتضى تعذيبا فجعل كسب قلوبهم عزمهم على ترك البر والتقوى لمكان اليمين والقول الاول أضح وهو قول جمهور أهل التفسير فانه قابل به لغو اليمين وهو أن لايقصد اليمين فكسب القلب المقابل للغو اليمين هو عقده وعزمه كما قال في الآية الاخرى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) فتعقيد الايمان هو كسب القلب (الوجه الثانى) من الكسب كسب المال من التجارة قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض) فالاول للتجار والثانى للزراع (الوجه الثالث) من الكسب السعى والعمل كقوله تعالى (لايكلف الله نفسا الاوسعها لها ما كسبت وعليها مااكتسبت) وقوله (بما كنتم تكسبون. وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت) فهذا كله للعمل واختلف الناس في الكسب والاكتساب هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق فقالت طائفة معناهما واحد قال أبو الحسن على بن أحمد وهو الصحيح عند أهل اللغة ولا فرق بينهما قال ذو الرمة

* ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب * وقال الآخرون الاكتساب أخص من الكسب لان الكسب ينقسم الى كسبه لنفسه ولغيره ولا يقال يكتسب قال الحطيئة

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر هداك مليك الناس ياعمر.

قلت والاكتساب افتعال وهو يســتدعي اهتماما وتعملا واجتهادا وأما الكسب فيصح نسبته بادنى شئ ففى جانب الفضل جعل لها مالها فيه أدنى سعى وفي جانب العدل لم يجعل عليها الا مالها فيه اجتهاد واهتمام وأما الجبر فيرجع في اللغة الى ثلاثة أصول أحدها أن يغنى الرجل من فقر أو يجبر عظمه من كسر وهذا من الاصلاح وهذا الاصل يستعمل لازما ومتعديا يقول جبرت العظم وجبر وقد جمع العجاج بينهما في قوله * قد جبر الدين الاله فجبر * الاصــل الثانى الاكراه والقهر واكثر مايستعمل هذا على افعل يقال اجــبرته على كذا اذا اكرهته عليه ولا يكاد يجىء جــبرته عليه الا قليلا والاصل الثالث من العز والامتناع ومنه نخلة جبارة قال الجوهرى والجبار من النخل ماطال وفات اليد قال الاعشى

طريق وجبار رواء اصوله عليه ابابيل من الطير تنعب

وقال الاخفش في قوله تعالى ان فيها قوما جبارين قال أراد الطول والقوة والعظم ذهب في هذا الى الجبار من النخل وهو الطويل الذى فات الايدى ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل قال قتادة كانت لهم أجسام وخلق عجيبة ليست لغيرهم وقيل الجبار ههنا من جبره على الامر اذا أكرهه عليه قال الازهرى وهى لغة معروفة وكثير من الحجازيين يقولونها وكان الشافعى رحمه الله يقول جبره السلطان ويجوز أن يكون الجبار من أجبره على الامر اذا أكرهه قال الفراء لم أسمع فعالا من أفعل الا في حرفين وهما جبار من أجبر ودراك من أدرك وهذا اختيار الزجاج قال الجبار من الناس العاتى الذى يجبر الناس على مايريد وأما الجبار من أسماء الرب تعالى فقد فسره بانه الذى يجبر الكسير ويغنى الفقير والرب سبحانه كذلك ولكن ليس هذا معنى اسمه الجبار ولهذا قرنه باسمه المتكبر وانما هو الجبروت وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة فالجبار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك والعظيم والقهار قال ابن عباس في قوله تعالى الجبار المتكبر هو العظيم وجبروت الله عظمته والجبار من أسماء الملوك والجبر الملك والجبابرة الملوك قال الشاعر * وأنعم صباحا أيها الجبر * أى أيها الملك وقال السدى هو الذى يجبر الناس ويقهرهم على مايريد وعلى هذا فالجبار معناه القهار وقال محمد بن كعب انما سمى الجبار لانه جبر الخلق على ماأراد والخلق أدق شأنا من أن يعصوا ربهم طرفة عين الا بمشيئته قال الزجاج الجبار الذى جبر الخلق على ماأراد وقال ابن الانبارى الجبار في صفة الرب سبحانه الذى لاينال ومنه قولهم نخلة جبارة اذا فاتت يد المتناول فالجبار في صفة الرب سبحانه ترجع الى ثلاثة معان الملك والقهر والعلو فان النخلة اذا طالت وارتفعت وفاتت الايدى سميت جبارة ولهذا جعل سبحانه اسمه الجبار مقرونا بالعزيز والمتكبر وكل واحد من هذه الاسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين وهذه الاسماء الثلاثة نظير الاسماء الثلاثة وهى الخالق البارئ المصور فالجبار المتكبر يجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم العزيز كما ان البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق فالجبار من أوصافه يرجع الى كمال القدرة والعزة والملك ولهذا كان من أسمائه الحسنى وأما المخلوق فاتصافه بالجبار ذم له ونقص كما قال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وما أنت عليهم بجبار أى مساط تقهرهم وتكرههم على الايمان وفي الترمذى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس

﴿ فصل ﴾ اذا عرف هذا فلفظ الكسب تطلقه القدرية على معنى والجبرية على معنى وأهل السنة والحديث على معنى فكسب القدرية هو وقوع الفعل عندهم بايجاد العبد واحداثه ومشيئته من غير أن يكون الله شاءه أو أوجده وكسب الجبرية لفظ لامعنى له ولا حاصل تحته وقد اختلفت عباراتهم فيه وضربوا له الامثال وأطالوا فيه المقال فقال القاضى الكسب ماوجدوا عليه قدرة محدثة وقيل انه المتعلق بالقادر على غير جهة الحدوث وقيل انه المقدور بالقدرة الحادثة قالوا ولسنا نريد بقولنا ماوجدوا عليه قدرة محدثة انها قدرة على وجوده فان القادر على وجوده هو الله وحده وانما نعنى بذلك ان للكسب تعلقا بالقدرة الحادثة لامن باب الحدوث والوجود وقال الاسفرائينى حقيقة الخالق من الخالق وقوعه بقدرته من حيث صح انفراده به وحقيقة الفعل وقوعه بقدرته وحقيقة

الكسب من المكتسب ووقوعه بقدرته مع انفراده به ويختص القديم تعالى بالخلق ويشترك القديم والمحدث في الفعل ويختص المحدث بالكسب قلت مراده ان اطلاق لفظ الخلق لايجوز الا على الله وحده واطلاق لفظ الكسب يختص بالمحدث واطلاق لفظ الفعل يصح على الرب سبحانه والعبد وقال أيضا كل فعل يقع على التعاون كان كسبا من المستعين قلت يريد ان الخالق يستقل بالخلق والايجاد والكاسب انما يقع منه الفعل على جهة المعاونة والمشاركة منه ومن غيره لايمكنه أن يستقل بايجاد شئ البتة وقال آخرون قدرة المكتسب تتعلق بمقدوره على وجه ما وقدرة الخالق تتعلق به من جميع الوجوه قالوا وليس كون الفعل كسبا من حقائقه التى تخصه بل هو معنى طرأ عليه كما يقول منازعونا من المعتزلة ان هذه الحركة لطف وهذا الفعل لطف وصيغة أفعل تصير أمرا بالارادة لانها حدثت بالارادة واعتقاد الشئ على ماهو به يصير علما بسكون النفس اليه لانه يحدث كذلك به والاشياء قد تقترن في الوجود فتتغير أوصافها وأحكامها قالوا فالحركة اذا صادفت المتحرك بها على وجه مخصوص تسمى سباحة مثلا ولطما ومشيا ورقصا وقال الاشعرى وابن الباقلانى الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما ولخص بعض متأخريهم هذه العبارات بان قال الكسب عبارة عن الاقتران العادى بين القدرة المحدثة والفعل فان الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وارادته لابهما فهذا الاقتران هو الكسب ولهذا قال كثير من العقلاء ان هذا من محالات الكلام وانه شقيق أحوال أبى هاشم وطفرة النظام والمعنى القائم بالنفس الذى يسميه القائلون به كلاما وشئ من ذلك غير معقول ولا متصور والذى استقر عليه قول الاشعرى ان القدرة الحادثة لاتؤثر في مقدورها ولم يقع المقدور ولاصفة من صفاته بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه وتابعه على ذلك عامة أصحابه والقاضى أبو بكر يوافقه مرة ومرة يقول القدرة الحادثة لاتؤثر في اثبات الذات واحداثها ولكنها تقتضى صفة للمقدور زائدة على ذاته تكون حالا له ثم تارة يقول تلك الصفة التى هى من أثر القدرة الحادثة مقدورة لله تعالى ولم يمتنع من اثبات هذا المقدور بين قادرين على هذا الوجه وقد اضطربت آراء اتباع الاشعرى في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكره كله أبو القاسم سليمان بن ناصر الانصارى في شرح الارشاد وذكر اختلاف طرائقهم واضطرابهم فيه ثم قال وقد قال الاستاذ في المختصر قول أهل الحق في الكسب لايرجع الى اثبات قدرة للعبد عليه كما يقال انه معلوم له الا ان الامام ادعى على الاستاذ انه أثبت للقدرة الحادثة أثرا في الحدوث فانه لما نفى الاحوال وأثبت للقدرة الحادثة أثرا فلا يعقل الجمع بينهما الا أن يكون الاثر في الحدوث ثم ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب وهو قريب من مذهب المعتزلة والخلاف بينه وبينهم فيه في الاسم قال وهذه العقدة التى تورط الاصحاب فيها في الكسب شبيهة بالعقدة التى وقعت بين الائمة في القراءة والمقروء قال وما ذكره الامام في النظامية له وجه غير انه مما انفرد باطلاقه ولكل ناظر نظره والله يرحمنا واياه قلت الذى قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعرى وابن الباقلانى ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال قد تقرر عند كل حاظ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه يطالب عباده

باعمالهم في حياتهم ودواعيهم اليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها في مآلهم وتبين بالنصوص التى لاتتعرض للتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم به ومكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت اتلو الآى المتضمنة لهذه المعانى لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اللبيب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحثاث والزواجر عن الفواحش الموبقات وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء عما يتوجه على المردة العتاة من الحساب والعقاب وسوء المنقلب والمآب وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتم وأبيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس على حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب فى ان أفعال العباد واقعة على حسب ايثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله ففى المصير اليه انه لاأثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لاأثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا واذا طولب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال لله أن يفعل مايشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه المعترضون لايسئل عما يفعل وهم يسئلون قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق أريد بها باطل نعم يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته طالب عباده بما أخبر أنهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا على مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لاأثر للقدرة الحادثة في مقدورها كما لاأثر للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بافعاله عنده كوجه مطالبته بان يثبت في نفسه ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه ابطال الشرع ورد ماجاء به النبيون فاذا لزم المصير بان القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها واستحال اطلاق القول بان العبد خالق أعماله فان فيه الخروج عما درج عليه سلف الامة واقتحام ورطات الضلال ولا سبيل الى المصير الى وقوع فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين اذ الواحد لاينقسم فان وقع بقدرة الله استقل بها وأسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدرة الله تعالى فان الفعل الواحد لابعض له وهذه مهواة لايسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين أن يدعى الاستبداد وبين أن يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال دعوة المرسلين وبين أن يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام بجملتها باطلة ولا ينجى من هذه الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان قائلا لو قال العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب سبحانه خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأديرت الاقسام المتقدمة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا ثم قال فنقول قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا ولكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة فعلا للعبد وانما هى صفته وهى ملك لله وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله تعالى العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا أوقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله

من حيث انه وقع بفعل الله ولو اهتدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا استبدادا بالاختراع وانفرادا بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا وتبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فانا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الاله سبحانه قلنا أحدث الله تعالى القدرة في العبد على اقدار أحاط بها علمه وهيأ أسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فاحدث فيه دواع مستحثة وخيرة وارادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التى اخترعها العبد على ماعلم وأراد فاختيارهم واتصافهم بالاقتداء والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلما وقضاء وخلقا من حيث انه نتيجة ماانفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيأ أسباب وقوعه ومن هدى لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب مأمور منهى وفعله تقدير لله من أدلة خلق مقضى ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لايملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فاذا أذن له في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزو الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذى لاغطاء دونه ولامراء فيه لمن وعاه حق وعيه وأما الفرقة الضالة فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا الى انه اذا عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره له فكان العبد على هذا الرأى الفاسد مزاحما لربه في التدبير موقعا ماأراد ايقاعه شاء الرب أو كره* فان قيل على ماذا تحملون آيات الطبع والختم والاضلال في القرآن وهى متضمنة اضطرار الرب سبحانه للاشقياء الى ضلالتهم* قلنا اذا أباح الله حل هذا الاشكال والجواب عن هذا السؤال لم يبق على ذوى البصائر بعده غموض فنقول أولا من أنبأ الله سبحانه عن الطبع على قلوبهم كانوا مخاطبين بالايمان مطالبين بالاسلام والتزام الاحكام مطالبة تكليف ودعاء مع وصفهم بالتمكن والاقتدار والايثار كما سبق تقريره ومن اعتقد انهم كانوا ممنوعين مأمورين مصدودين قهرا مدعوين فالتكليف عنده اذا بمثابة مالوشد من الرجل يداه ورجلاه رباطا وألقى في البحر ثم قيل له لاتبتل وهذا أمر لايحمل شرائع الرسل عليه الاعائب بنفسه مجترئ على ربه ولا فرق عند هذا القائل بين أمر التسخير والتكوين في قوله (كونوا قردة خاسئين) وقوله (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وبين أمر التكليف فاذا بطل ذلك فالوجه في الكلام على هذه الآى وقد غوى في حقائقها أكثر الفرق أن يقول اذا أراد الله بعبد خيرا أكمل عقله وأتم بصيرته ثم صرف عنه العوائق والدوافع وأزاح عنه الموانع ووفق له قرناء الخير وسهل له سبله وقطع عنه الملهيات واسباب الغفلات وقيض له مايقربه الى القربات فيوافيها ثم يعتادها ويمرن عليها واذا أراد الله بعبده شرا قدر له مايبعده عن الخير ويقصيه وهيأ له أسباب تماديه في الغى وحبب اليه التشوف الى الشهوات وعرضه للآفات وكلما غلبت عليه دواعى النفس خنست دواعى الخير ثم يستمر على الشرور على مر الدهور ويأتى مهاويها ويتعاون عليه الوسواس ونزغات الشيطان ونزفات النفس الامارة بالسوء فتنسج الغفلة على قلبه غشاوة بقضاء الله وقدره فذلكم الطبع والختم والاكنة وأنا أضرب في ذلك مثلا فاقول لو فرضنا شابا حديث العهد بحلمه لم تهذبه المذاهب ولم تحنكه التجارب وهو على نهاية في غلمته وشهوته وقد استمكن من بلغة من الحطام

وخص بسحة من الجمال ولم يقم عليه قوّام يزعه عن ورطات الردى ويمنعه عن الارتباك في شبكات الهوى ووافاه أخدان الفساد وهو في غلواء شبابه يحدث نفسه بالبقاء أمدا بعيدا ثما أقرب من هذا وصفه من خلع العـذار والبدار الى شيم الاشرار وهو مع ذلك كله مؤثر مختار ليس مجـبرا على المعاصى والزلات ولا مصدودا عن الطاعات ومعه من العقل مايستوجب به اللائمة اذا عصى فمن هذا سبيله لايستحيل في العقل تكليفه فانه ليس ممنوعا ولكن ان سبق له من الله سوء القضاء فهو صائر الى حكم الله الجزم وقضائه الفصل محجوج بحجة الله الا أن يتغمده الله برحمته وهو أرحم الراحمين وهـذا الذى ذكرته بين في معانى الآيات لايتمارى فيه موفق قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أراد أنهم استمروا على المخالفات وأصروا بانتهاك الحرمات فقست قلوبهم وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فقد جمعت بين تفويض الأمور كلها نفعها وضرها خيرها وشرها الى الاله جلت قدرته وبين اثبات حقائق التكليف وتقرير قواعد الشرع على الوجه المعقول ألست في هـذا أهدى سبيلا وأقوم قيلا ممن يقدر الطبع منعا والختم صدا ودفعا ثم ينفى التكاليف بزعمه وقد افترق الخلق في هـذا المقام فرقا فذهب ذاهبون الى أن المخذولين ممنوعون مدفوعون لااقتدار لهم على اجابة دعاة الحق وهم مع ذلك ملزمون وهذا خطب جسيم وأمر عظيم وهو طعن في الشرائع وابطال للدعوات وقد قال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) وقال لابليس (ما منعك أن تسجد) نعوذ بالله من سوء النظر في مواقع الخطر وذهب طوائف من الضـلال الى ان العبد يعصى والرب لما يأتى به كاره فهذا خبط في الاحكام الالهية ومزاحمة في الربوبية ولو لم يرد الرب من الفجار ماعلمه منهـم في أزليته لمـا فطرهم مع علمه بهم كيف وقد أكمل قواهم وأمدهم بالعدد والعدد والعتاد وسهل لهم طريق الحيد عن السداد * فان قيل فعل ذلك بهم ليطيعوه * قلنا أنى يستقيم ذلك وقد علم أنهم يعصونه ويهلكون أنفسهم ويهلكون أولياءه وأنبياءه ويشقون شقاوة لايسعدون بها أبدا ولو علم سيد عن وحى أواخبار نبى انه لو أمد عبده بالمـال لطغى وأبق وقطع الطريق فامده بالمال زاعما انه يريد منه ابتناء القناطر والمساجد وهو مع ذلك يقول أعلم انه لايفعل ذلك قطعا فهذا السيد مفسد عبده وليس مصلحا له باتفاق من أرباب الالباب فقد زاغت الفئتان وضلت الفرقتان واعترضت احداهما على القواعد الشرعية وزاحمت الاخرى أحكام الربوبية واقتصد الموفقون فقالوا مراد الله من عباده ماعلم انهم اليه يصـيرون ولكنه لم يسلبهم قدرتهم ولم يمنعهم مراشدهم فقرت الشريعة في نصابها وجرت العقيدة في الاحكام الالهية على صوابها * فان قيل كيف يريد الحكيم السفه فقد أوضحنا ان الافعال متساوية في حق من لاينتفع ولا يتضرر ولكن اذا أخبر انه مكلف مطالب عباده مزيح عللهم فقوله الحق وكلامه الصدق وأقرب أمر يعارضون به ان الحكيم منا اذا رأى جواريه وعبيده يمرج بعضهم في بعض وهم على محارمهم بمرأى منه ومسمع فلا يحسن تركهم على ماهم عليه والرب سبحانه يطلع على سوء أفعالهم ويستدرجهم من حيث لايعلمون ثم قال قد أطلقت أنفاسى ولكن لو وجدت في اقتباس هـذا العلم من يسرد لى هذا الفصل لكان وحق القائم على كل نفس بما كسبت أحب الىّ من ملك الدنيا بحذافيرها اطول امدها انتهى كلامه بلفظه وهذا توسط حسن بين الفريقين وقد انكره عليه عامة اصحابه منهم الانصارى شارح الارشاد وغـيره وقالوا هو اقرب من مذهب

المعتزلة ولا يرجع الخلاف بينه وبينهم الا الى الاسم فقط وان هذا مما انفرد به ولكن بقي عليه فيه امور منها انه نفى كراهة الله لما قدره من المعاصى بناء على اصله ان كل مراد له فهو محبوب له وانه اذا كان قد قدر الكفر والفسوق والعصيان فهو يريده ويحبه ولا يكرهه وان كانت قدرة العبد واختياره مؤثرة في ايجاد الفعل عنده باقدار الرب سبحانه وقد اصاب في هذا واجاد ولكن القول بان الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يكرهه اذا كان واقعا قول في غاية البطلان وهو مخالف لصريح العقل والنقل والذى قاده الى ذلك قوله ان المحبة هى الارادة والمشيئة وان كل ماشاءه فقد اراده واحبه ومن لم يفرق بين المشيئة والمحبة لزمه احد امرين باطلين لابدله من التزامه اما القول بأن الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والعصيان او القول بانه ماشاء ذلك ولا قدره ولا قضاه وقد قال بكل من المتلازمين طائفة قالت طائفة لايحبها ولا يرضاها فما شاءها ولا قضاها وقالت طائفة هي واقعة بمشيئته وارادته فهو يحبها ويرضاها فاشترك الطائفتان في هذا الاصل وتباينا في لازمه وقد انكر الله سبحانه على من احتج على محبته بمشيئته في ثلاثة مواضع من كتابه في سورة الانعام والنحل والزخرف فقال تعالى (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ماشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون) وكذلك حكى عنهم في النحل ثم قال (كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) وقال في الزخرف (وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) فاحتجوا على محبته لشركهم ورضاه به بكونه اقرهم عليه وانه لولا محبته له ورضاه به لما شاءه منهم وعارضوا بذلك امره ونهيه ودعوة الرسل قالوا كيف يأمر بالشيء قد شاء منا خلافه وكيف يكره منا شيئا قد شاء وقوعه ولو كرهه لم يمكنا منه ولحال بيننا وبينه فكذبهم سبحانه في ذلك واخبر ان هذا تكذيب منهم ارسله وان رسله متفقون على انه سبحانه يكره شركهم ويبغضه ويمقته وانه لولا بغضه وكراهته لما اذاق المشركين بالله عذابه فانه لايعذب عبده على مايحبه ثم طالبهم بالعلم على صحة مذهبهم بان الله اذن فيه وانه يحبه ويرضى به ومجرد اقراره لهم قدرا لايدل على ذلك عند احد من العقلاء والا كان الظلم والفواحش والسعى في الارض بالفساد والبغى محبوبا له مرضيا ثم اخبر سبحانه ان مستندهم في ذلك انما هو الظن وهو اكذب الحديث وانهم لذلك كانوا اهل الخرص والكذب ثم اخبر سبحانه ان له الحجة عليهم من جهتين احداهما ماركبه فيهم من العقول التى يفرقون بها بين الحسن والقبيح والباطل والاسماع والابصار التى هى آلة ادراك الحق والتى يفرق بها بينه وبين الباطل والثانية ارسال رسله وانزال كتبه وتمكينهم من الايمان والاسلام ولم يؤاخذهم بأحد الامرين بل بمجموعهما لكمال عدله وقطعا لعذرهم من جميع الوجوه ولذلك سمى حجته عليهم بالغة اى قد بلغت غاية البيان واقصاه بحيث لم يبق معها مقال لقائل ولا عذر لمعتذر ومن اعتذر اليه سبحانه بعذر صحيح قبله ثم ختم الآية بقوله (فلو شاء لهداكم اجمعين) وانه لايكون شيء الا بمشيئته وهذا من تمام حجته البالغة فانه اذا امتنع الشيء لعدم مشيئته لزم وجوده عند مشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن كان هذا من أعظم أدلة التوحيد ومن أبين أدلة بطلان ما أنتم عليه من الشرك واتخاذ الانداد من دونه فما احتججتم به من المشيئة على ماأنتم عليه من الشرك هو من

أظهر الادلة على بطلانه وفساده فلو أنهم ذكروا القدر والمشيئة توحيدا له وافتقارا والتجاء اليه وبراءة من الحول والقوة الا به ورغبة اليه أن يقيلهم مما لو شاء أن لايقع منهم لما وقع لنفعهم ذلك ولفتح لهم باب الهداية ولكن ذكروه معارضين به أمره ومبطلين به دعوة الرسل فما ازدادوا به الا ضلالا والمقصود انه سبحانه قد فرق بين حجته ومشيئته وقد حكى أبو الحسن الاشعرى في مقالاته اتفاق أهل السنة والحديث على ذلك والذى حكى عنه ابن فورك في كتاب تجريده لمقالاته انه كان يفرق بين ذلك قال وكان لايفرق بين الود والحب والارادة والمشيئة والرضا وكان لايقول ان شيئا منها يخص بعض المرادات دون بعض بل كان يقول ان كل واحد منها بمعنى صاحبه على جهة التقييد الذى يزول معه الابهام وهو ان المؤمن محبوب لله ان يكون مؤمنا من أهل الخير كما علم والكافر أيضا مراد أن يكون كافرا كما علم من أهل الشر ويحب أن يكون ذلك كذلك كما علم وكذلك كان يقول في الرضا والاصطفاء والاختيار ويقيد اللفظ بذلك حتى لايتوهم فيه الخطأ انتهى والذى عليه أهل الحديث والسنة قاطبة والفقهاء كلهم وجمهور المتكلمين والصوفية انه سبحانه يكره بعض الاعيان والافعال والصفات وان كانت واقعة بمشيئته فهو يبغضها ويمقتها كما يبغض ذات ابليس وذوات جنوده ويبغض أعمالهم ولا يحب ذلك وان وجد بمشيئته قال الله تعالى (والله لايحب الفساد) وقال (والله لايحب الظالمين) وقال (ان الله لايحب كل مختال فخور) وقال (لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) وقال (ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين) وقال (أن تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) فهذا اخبار عن عدم محبته لهذه الامور ورضاه بها بعد وقوعها فهذا صريح في ابطال قول من تأول النصوص على أنه لايحبها ممن لم تقع منه ويحبها اذا وقعت فهو يحبها ممن وقعت منه ولا يحبها ممن لم تقع منه وهذا من أعظم الباطل والكذب على الله بل هو سبحانه يكرهها ويبغضها قبل وقوعها وحال وقوعها وبعد وقوعها فانها قبائح وخبائث والله منزه عن محبة القبيح والخبيث بل هو أكره شئ اليه قال الله تعالى (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وقد أخبر سبحانه أنه يكره طاعات المنافقين ولاجل ذلك يثبطهم عنها فكيف يحب نفاقهم ويرضاه ويكون أهله محبوبين له مصطفين عنده مرضيين ومن هذا الاصل الباطل نشأ قولهم باستواء الافعال بالنسبة الى الرب سبحانه وانها لاتنقسم في نفسها الى حسن وقبيح فلا فرق بالنسبة اليه سبحانه بين الشكر والكفر ولذلك قالوا لايجب شكره على نعمه عقلا فمن هذا الاصل قالوا ان مشيئته هى عين محبته وان كل ماشاءه فهو محبوب له ومرضى له ومصطفى ومختار فلم يمكنهم بعد تأصل هذا الاصل أن يقولوا انه يبغض الاعيان والافعال التى خلقها ويحب بعضها بل كل مافعله وخلقه فهو محبوب له والمكروه المبغوض مالم يشأه ولم يخلقه وانما أصلوا هذا الاصل محافظة منهم على القدر فحثوا به على الشرع والقدر والتزموا لاجله لوازم شوشوا بها على القدر والحكمة وكابروا لاجلها صريح العقل وسووا بين أقبح القبائح وأحسن الحسنات في نفس الامر وقالوا هما سواء لافرق بينهما الا بمجرد الامر والنهى فالكذب عندهم والظلم والبغى والعدوان مساو للصدق والعدل والاحسان في نفس الامر ليس في هذا مايقتضى حسنه ولا في هذا مايقتضى قبحه وجعلوا هذا المذهب شعارا لاهل السنة والقول بخلافه قول أهل البدع من المعتزلة وغيرهم ولعمر الله انه لمن أبطل الاقوال وأشدها منافاة

للعقل والشرع والفطرة الله التى فطر عليها خلقه وقد بينا بطلانه من أكثر من خمسين وجها في كتاب المفتاح والمقصود انه لما انضم القول به الى القول بانه سبحانه لايحب شيئا ويبغض شيئا بل كل موجود فهو محبوب له وكل معدوم فهو مكروه له وانضم الى هذين الآخرين انكار الحكم والغايات المطلوبة في أفعاله سبحانه وانه لايفعل شيئا لمعنى البتة وانضم الى ذلك انكار الاسباب وانه لايفعل شيئا بشيء وانكار القوى والطبائع والغرائز وأن تكون أسبابا أو يكون لها أثر انسد عليهم باب الصواب في مسائل القدر والتزموا لهذه الاصول الباطلة لوازم هى أظهر بطلانا وفسادا وهى من أدل شيء على فساد هذه الاصول وبطلانها فان فساد اللازم من فساد ملزومه فان قيل الكراهة والمحبة ترجع الى المنافرة والملائمة للطبع وذلك محال في حق من لايوصف بطبع ولا منافرة ولا ملائمة قيل قد دلت النصوص التى لاتدفع على وصفه تعالى بالمحبة والكراهة فتبيينكم حقائق مادلت عليه بالتعبير عنها بملائمة الطبع ومنافرته باطل وهو كنفي كل مبطل حقائق أسمائه وصفاته بالتعبير عنها بعبارات اصطلاحية توصل بها الى نفي ماوصف به نفسه كتسمية الجهمية المعطلة صفاته اعراضا ثم توصلوا بهذه التسمية الى نفيها وسموا أفعاله القائمة به حوادث ثم توصلوا بهذه التسمية الى نفيها وقالوا لاتحله الحوادث كما قالت المعطلة لاتقوم به الاعراض وسموا علوه على خلقه واستواءه على عرشه وكونه قاهرا فوق عباده تحيزا وتجسما ثم توصلوا بنفي ذلك الى نفي علوه عن خلقه واستوائه على عرشه وسموا ماأخبر به عن نفسه من الوجه واليدين والاصبع جوارح واعضاء ثم نفوا ماأثبته لنفسه بتسميتهم له بغير تلك الاسماء ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بهامن سلطان ان تتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى فتوصلوا بالتشبيه والتجسيم والتركيب والحوادث والاعراض والتحيزالى تعطيل صفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله وأخلوا تلك الاسماء من معانيها وعطلوها من حقائقها فيقال لمن نفى محبته وكراهته لاستلزامهما ميل الطبع ونفرته ماالفرق بينك وبين من نفى كونه مريدا لاستلزام الارادة حركة النفس الى جلب ماينفعها ودفع مايضرها ونفى سمعه وبصره لاستلزام ذلك تأثر السمع والبصر بالمسموع والمبصر وانطباع صورة المرئى في الرائى وحمل الهواء الصوت المسموع الى اذن السامع ومن نفى علمه لاستلزامه انطباع صورة المعلوم في النفس الناطقة ونفى غضبه ورضاه لاستلزام ذلك حركة القلب وانفعاله بما يرد عليه من المؤلم والسار ونفى كلامه لاستلزام الكلام محلا يقوم به ويظهر منه من شفة ولسان ولهوات ولما لم يمكن أحدا أقر بوجود رب العالمين طرد ذلك وقع في التناقض ولا بد فانه أى شيء أثبته لزمه فيه ماالزم كمن اثبت مانفاه هو من غير فرق البتة ولهذا قال الامام احمد وغيره من ائمة السنة لانزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين والمقصود انا لانجحد محبته تعالى لما يحبه وكراهته لما يكرهه لتسمية النفاة ذلك ملائمة ومنافرة وينبغى التفطن لهذا الموضع فانه من اعظم اصول الضلال فلا نسمى العرش حيزا ولا نسمى الاستواء تحيزا ولا نسمى الصفات اعراضا ولا الافعال حوادث ولا الوجه واليدين والاصابع جوارح واعضاء ولا اثبات صفات كماله التى وصف بها نفسه تجسيما وتشبيها فنجنى جنايتين عظيمتين جناية على اللفظ وجناية على المعنى فنبدل الاسم ونعطل معناه ونظير هذا تسمية خلقه سبحانه لافعال عباده وقضائه السابق جبرا ولذلك أنكر أئمة السنة كالاوزاعى

وسفيان الثورى وعبد الرحمن بن مهدى والامام أحمد وغيرهم هذا اللفظ قال الاوزاعى والزبيدى ليس في الكتاب والسنة لفظ جبر وانما جاءت السنة بلفظ الجبل كما في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والاناة فقال أخلقين تخلقت بهما أم جبلت عليهما فقال بل جبلت عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على مايحب فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله جبله على الحلم والاناة وهما من الافعال الاختيارية وان كانا خلقين قائمين بالعبد فان من الاخلاق ماهو كسبي ومنها ما لا يدخل تحت الكسب والنوعان قد جبل الله العبد عليهما وهو سبحانه يحب ماجبل عبده عليه من محاسن الاخلاق ويكره ماجبله عليه من مساويها فكلاهما بجبله وهذا محبوب له وهذا مكروه كما ان جبريل صلوات الله عليه مخلوق له وابليس عليه لعائن الله مخلوق له وجبريل محبوب له مصطفى عنده وابليس أبغض خلقه اليه ومما يوضح ذلك ان لفظ الجبر لفظ مجمل فانه يقال اجبر الاب ابنته على النكاح وجبر الحاكم الرجل على البيع ومعنى هذا الجبر أكرهه عليه ليس معناه انه جعله محبا لذلك راضيا به مختارا له والله تعالى اذا خلق فعل العبد جعله محبا له مختارا لايقاعه راضيا به كارها لعدمه فاطلاق لفظ الجبر على ذلك فاسد لفظا ومعنى فان الله سبحانه أجل وأعز من أن يجبر عبده بذلك المعنى وانما يجبر العاجز عن أن يجعل غيره فاعلا بارادته ومحبته ورضاه وأما من جعل فعل العبد مريدا محبا مؤثرا لما يفعله فكيف يقال انه جبره عليه فهو سبحانه أجل وأعظم وأقدر من أن يجبر عبده ويكرهه على فعل يشاؤه منه بل اذا شاء من عبده أن يفعل فعلا جعله قادرا عليه مريدا له محبا مختارا لايقاعه وهو أيضا قادر على أن يجعله فاعلا له باختياره مع كراهته له وبغضه ونفرته عنه فكل مايقع من العباد بارادتهم ومشيئاتهم فهو سبحانه الذى جعلهم فاعلين له سواء أحبوه أو أبغضوه وكرهوه وهو سبحانه لم يجبرهم في النوعين كما يجبر غيره من لايقدر على جعله فاعلا بارادته ومشيئته نعم نحن لا ننكر استعمال لفظ الجبر فيما هو أعم من ذلك بحيث يتناول من قهر غيره وقدر على جعله فاعلا لما يشاء فعله وتاركا لما لا يشاء فعله فانه سبحانه المحدث لارادته له وقدرته عليه قال محمد بن كعب القرظى في اسم الجبار انه سبحانه هو الذى جبر العباد على ماأراد وفي الدعاء المعروف عن على رضى الله عنه اللهم داحى المدحوات وبارىء المسموكات جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها فالجبر بهذا المعنى معناه القهر والقدرة وانه سبحانه قادر على أن يفعل بعبده ماشاء واذا شاء منه شيئا وقع ولا بدوان لم يشأ لم يكن ليس كالعاجز الذى يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء والفرق بين هذا الجبر وجبر المخلوق لغيره من وجوه * أحدها ان المخلوق لاقدرة له على جعل الغير مريدا للفعل محبا له والرب تعالى قادر على جعل عبده كذلك * الثانى ان المخلوق قد يجبر غيره اجبارا يكون به ظالما معتديا عليه والرب أعدل من ذلك فانه لايظلم أحدا من خلقه بل مشيئته نافذة فيهم بالعدل والاحسان بل عدله فيهم من احسانه اليهم كما سنبينه ان شاء الله تعالى * الثالث ان المخلوق يكون في جبره لغيره سفيها أو عائبا أو جاهلا والرب تعالى اذا جبر عبده على أمر من الامور كان له في ذلك من الحكمة والعدل والاحسان والرحمة ماهو محمود عليه بجميع وجوه الحمد * الرابع ان المخلوق يجبر غيره لحاجته الى ماجبره عليه ولانتفاعه بذلك وهذا لانه فقير بالذات وأما الرب تعالى فهو الغنى بذاته الذى كل ماسواه محتاج اليه وليس به حاجة الى أحد * الخامس ان المخلوق يجبر غيره

لنقصه فيجبره ليحصل له الكمال بما أجبره عليه والرب تعالى له الكمال المطلق من جميع الوجوه وكماله من لوازم ذاته لم يستفده من خلقه بل هو الذى أعطاهم من الكمال مايليق بهم فالمخلوق يجبر غيره ليتكمل والرب تعالى منزه عن كل نقص فكماله المقدس ينفي الجبر* السادس ان المخلوق يجبر غيره على فعل يعينه به على غرضه لعجزه عن التوصل اليه الا بمعاونته له فصار الفعل من هذا والقهر والاكراه من هذا محصلا لغرض المكره كما أن المعين لغيره باختياره شريك له في الفعل والرب تعالى غنى عما سواه بكل وجه فيستحيل في حقه الجبر* السابع ان المجبور على مالا يريد فعله يجد من نفسه فرقا ضروريا بينه وبين مايريد فعله باختياره ومحبته فالتسوية بين الامرين تسوية بين ماعلم بالحس والاضطرار الفرق بينهما وهو كالتسوية بين حركة المرتعش وحركة الكاتب وهذا من أبطل الباطل * الثامن ان الله سبحانه قد فطر العباد على أن المجبور المكره على الفعل معذور لايستحق الذم والعقوبة ويقولون قد أكره على كذا وجبره السلطان عليه وكما انهم مفطورون على هذا فهم مفطورون ايضا على ذم من فعل القبائح باختياره وشريعته سبحانه موافقة لفطرته في ذلك فمن سوى بين الامرين فقد خرج عن موجب الشرع والعقل والفطرة * التاسع ان من أمر غيره بمصلحة المأمور وماهو محتاج اليه ولا سعادة له ولا فلاح الا به لايقال جبره على ذلك وانما يقال نصحه وأرشده ونفعه وهداه ونحو ذلك وقد لايختار المأمور المنهى ذلك فيجبره الناصح له على ذلك من له ولاية الاجبار وهذا جبر الحق وهو جائز بل واقع في شرع الرب وقدره وحكمته ورحمته واحسانه لاتمنع هذا الجبر*العاشر ان الرب ليس كمثله شئ في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فجعله العبد فاعلا لقدرته ومشيئته واختياره أمر يختص به تبارك وتعالى والمخلوق لايقدر أن يجعل غيره فاعلا الا باكراهه له على ذلك فان لم يكرهه لم يقدر على غير الدعاء والامر بالفعل وذلك لايصير العبد فاعلا فالمخلوق هو يجبر غيره على الفعل ويكرهه عليه فنسبة ذلك الى الرب تشبيه له في أفعاله بالمخلوق الذى لايجعل غيره فاعلا الا بجبره له واكراهه فكمال قدرته تعالى وكمال علمه وكمال مشيئته وكمال عدله واحسانه وكمال غناه وكمال ملكه وكمال حجته على عبده تنفي الجبر

﴿ فصل ﴾ فالطوائف كلها متفقة على الكسب ومختلفون في حقيقته فقالت القدرية هو احداث العبد لفعله بقدرته ومشيئته استقلالا وليس للرب صنع فيه ولا هو خالق فعله ولا مكونه ولا مريدا له وقالت الجبرية الكسب اقتران الفعل بالقدرة الحادثة من غير ان يكون لها فيه أمر وكلا الطائفتين فرق بين الخلق والكسب ثم اختلفوا فيما وقع به الفرق فقال الاشعرى في عامة كتبه معنى الكسب ان يكون الفعل بقدرة محدثة فمن وقع منه الفعل بقدرة قديمة فهو فاعل خالق ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب وقال قائلون من يفعل بغير آلة ولا جارحة فهو خالق ومن يحتاج في فعله الى الآلات والجوارح فهو مكتسب وهذا قول الاسكافي وطوائف من المعتزلة قال واختلفوا هل يقال ان الانسان فاعل على الحقيقة فقالت المعتزلة كلها الا الناشى ان الانسان فاعل محدث ومخترع ومنشئ على الحقيقة دون المجاز وقال الناشى الانسان لايفعل في الحقيقة ولا يحدث في الحقيقة وكان يقول ان البارئ أحدث كسب الانسان قال فلزمه محدث لامحدث في الحقيقة ومفعول لافاعل في الحقيقة قلت وجه الزامه ذلك انه قد أعطى ان الانسان غير فاعل

لفعله وفعله مفعول وليس هو فعلا لله ولا فعلا للعبد فلزمه مفعول من غير فاعل ولعمر الله ان هذا الالزام لازم لابي الحسن وللجبرية فان عندهم الانسان ليس بفاعل حقيقة والفاعل هو الله وأفعال الانسان قائمة لم تقم بالله فاذا لم يكن الانسان فاعلها مع قيامها به فكيف يكون الله سبحانه هو فاعلها ولو كان فاعلها لعادت أحكامها عليه واشتقت له منها أسماء وذلك مستحيل على الله فيلزمك أن تكون أفعالا لا فاعل لها فان العبد ليس بفاعل عندك ولو كان الرب فاعلا لها لاشتقت له منها أسماء وعاد حكمها عليه * فان قيل فما تقولون أنتم في هذا المقام * قلنا لانقول بواحد من القولين بل نقول هي أفعال للعباد حقيقة ومفعولة للرب فالفعل عندنا غير المفعول وهو اجماع من أهل السنة حكاه الحسين بن مسعود البغوي وغيره فالعبد فعلها حقيقة والله خالقه وخالق مافعل به من القدرة والارادة وخالق فاعليته وسر المسئلة ان العبد فاعل منفعل باعتبارين هل هو منفعل في فاعليته فربه تعالى هو الذي جعله فاعلا بقدرته ومشيئته وأقدره على الفعل وأحدث له المشيئة التي يفعل بها قال الاشعري وكثير من أهل الاثبات يقولون ان الانسان فاعل في الحقيقة بمعنى مكتسب ويمنعون أنه محدث قلت هؤلاء وقفوا عند ألفاظ الكتاب والسنة فانهما مملوآن من نسبة الافعال الى العبد باسمها العام وأسمائها الخاصة فالاسم العام كقوله تعالى تعملون تفعلون تكسبون والاسماء الخاصة يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤمنون ويخافون ويتوبون ويجاهدون وأما لفظ الاحداث فلم يجئ الا في الذم كقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله من أحدث حدثا او آوى محدثا فهذا ليس بمعنى الفعل والكسب وكذلك قول عبد الله بن مغفل لابنه اياك والحدث في الاسلام ولا يمتنع اطلاقه على فعل الخير مع التقييد قال بعض السلف اذا احدث الله لك نعمة فاحدث لها شكرا واذا احدثت ذنبا فاحدث له توبة ومنه قوله هل احدثت توبة واحدث للذنب استغفارا ولا يلزم من ذلك اطلاق اسم المحدث عليه والاحداث على فعله قال الاشعري وبلغني ان بعضهم اطلق في الانسان انه محدث في الحقيقة بمعنى مكتسب قلت ههنا الفاظ وهي فاعل وعامل ومكتسب وكاسب وصانع ومحدث وجاعل ومؤثر ومنشئ وموجد وخالق وبارئ ومصور وقادر ومريد وهذه الالفاظ ثلاثة اقسام قسم لم يطلق الا على الرب سبحانه كالبارئ والبديع والمبدع وقسم لايطلق الا على العبد كالكاسب والمكتسب وقسم وقع اطلاقه على الرب والعبد كاسم صانع وفاعل وعامل ومنشئ ومريد وقادر واما الخالق والمصور فان استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا الا على الرب كقوله الخالق البارئ المصور وان استعملا مقيدين اطلقا على العبد كما يقال لمن قدر شيئا في نفسه انه خلقه قال

ولانت تفرى ماخلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لايفرى

أي لك قدرة تمضي وتنفذ بها ماقدرته في نفسك وغيرك يقدر أشياء وهو عاجز عن انفاذها وامضائها وبهذا الاعتبار صح اطلاق خالق على العبد في قوله تعالى (فتبارك الله احسن الخالقين) أي أحسن المصورين والمقدرين والعرب تقول قدرت الاديم وخلقته اذا قسته لتقطع منه مزادة أوقربة ونحوها قال مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين وقال الليث رجل خالق أي صانع وهن الخالقات للنساء وقال مقاتل يقول تعالى هو أحسن خلقا من الذين يخلقون التماثيل وغيرها التي لايتحرك منها شئ وأما البارئ فلا يصح اطلاقه الا عليه سبحانه فانه الذي برأ الخليقة وأوجدها بعد عدمها

والعبد لاتتعلق قدرته بذلك اذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ماأوجده الرب تعالى وبراه وتغييرها من حال الى حال على وجه مخصوص لاتتعداه قدرته وليس من هذا بريت القلم لانه معتل لامهموز ولا برأت من المرض لانه فعل لازم غير متعد وكذلك مبدع الشئ وبديعه لايصح اطلاقه الا على الرب كقوله بديع السموات والارض والابداع ايجاد المبدع على غير مثال سبق والعبد يسمى مبتدعا لكونه أحدث قولا لم تمض به سنة ثم يقال لمن اتبعه عليه مبتدع أيضا وأما لفظ الموجد فلم يقع في أسمائه سبحانه وان كان هو الموجد على الحقيقة ووقع في أسمائه الواجد وهو بمعنى الغنى الذى له الوجد وأما الموجد فهو مفعل من أوجد وله معنيان أحدهما أن يجعل الشئ موجوداوهو تعدية وجده وأوجده قال الجوهرى وجد الشئ عن عدم فهو موجد مثل حم فهو محموم وأوجده الله ولا يقال وجده والمعنى الثانى أوجده جعل له جدة وغنى وهذا يتعدى الى مفعولين قال في الصحاح أوجده الله مطلوبه أى أظفره به وأوجده أى أغناه قلت وهذا يحتمل أمرين أحدهما أن يكون من باب حذف أحد المفعولين أى أوجده مالا وغنى وان يكون من باب صيره واجدا مثل أغناه وأفقره اذا صيره غنيا وفقيرا فعلى التقدير الاول يكون تعديه وجد مالا وغنى وأوجده الله اياه وعلى الثانى يكون تعديه وجد وجدا اذا استغنى ومصدر هذا الوجد بالضم والفتح والكسر قال تعالى (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) فغير ممتنع أن يطلق على من يفعل بالقدرة المحدثة انه أوجد مقدوره كما يطلق عليه انه فعله وعمله وصنعه وأحدثه لاعلى سبيل الاستقلال وكذلك لفظ المؤثر لم يرد اطلاقه في أسماء الرب وقد وقع اطلاق الاثر والتأثير على فعل العبد قال تعالى (انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم) قال ابن عباس ماأثروا من خير أو شر فسمي ذلك آثارا لحصوله بتأثيرهم ومن العجب ان المتكلمين يمتنعون من اطلاق التأثير والمؤثر على من أطلق عليه في القرآن والسنة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة دياركم تكتب آثاركم أى الزموا دياركم ويخصونه بمن لم يقع اطلاقه عليه في كتاب ولا سنة وان استعمل في حقه الايثار والاستئثار كما قال أخو يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وفي الاثر اذا استأثر الله بشئ فاله عنه وقال الناظم

استأثر الله بالثناء وبالحمـ * ـد وولى الملامة الرجلا

ولما كان التأثير تفعيلا من أثرت في كذا تأثيرا فانا مؤثر لم يمتنع اطلاقه على العبد قال في الصحاح التأثير ابقاء الاثر في الشئ وأما لفظ الصانع فلم يرد في أسماء الرب سبحانه ولا يمكن ورودها فان الصانع من صنع شيئا عدلا كان او ظلما سفها او حكمة جائزا او غير جائز وما انقسم مسماه الى مدح وذم لم يجئ اسمه المطلق في الاسماء الحسنى كالفاعل والعامل والصانع والمريد والمتكلم لانقسام معانى هذه الاسماء الى محمود ومذموم بخلاف العالم والقادر والحى والسميع والبصير وقد سمى النبى صلى الله عليه وسلم العبد صانعا قال البخارى حدثنا على بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربعى بن خراش عن حذيفة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يصنع كل صانع وصنعته وقد أطلق سبحانه على فعله اسم الصنع فقال صنع الله الذى أتقن كل شئ وهو منصوب على المصدر لان قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) يدل على الصنعة وقيل هو نصب على المفعولية أى انظروا صنع الله فعلى الاول يكون صنع الله مصدرا بمعنى الفعل وعلى الثانى يكون

بمعنى المصنوع المفعول فانه الذي يمكن وقوع النظر والرؤية عليه وأما الانشاء فانما وقع اطلاقه عليه سبحانه فعلا كقوله (وينشئ السحاب الثقال) وقوله (فأنشأنا لكم به جنات) وقوله (وننشئكم فيما لاتعلمون) وهو كثير ولم يرد لفظ المنشئ وأما العبد فيطلق عليه الانشاء باعتبار آخر وهو شروعه في الفعل وابتداؤه له يقول أنشأ يحدثنا وانشأ السير فهو منشئ لذلك وهذا انشاء مقيدوانشاء الرب انشاء مطلق وهذه اللفظة تدور على معنى الابتداء أنشأه الله أى ابتدأ خلقه وأنشأ يفعل كذا ابتدأ وفلان ينشئ الاحاديث أى يبتدئ وضعها والناشئ أول ماينشأ من السحاب قال الجوهرى وناشئة الليل أول ساعاته قلت هذا قد قاله غير واحد من السلف ان ناشئة الليل أوله التى منها ينشأ الليل والصحيح انها لاتختص بالساعة الاولى بل هى ساعاته ناشئة بعد ناشئة كلما انقضت ساعة نشأت بعدها أخرى وقال أبو عبيدة ناشئة الليل ساعاته وآناؤه ناشئة بعد ناشئة قال الزجاج ناشئة الليل كلما نشأ منه أى حدث منه فهو ناشئة قال ابن قتيبة هى آناء الليل وساعاته مأخوذة من نشأت تنشأ نشأ أى ابتدأت وأقبلت شيئا بعدشئ وأنشأهاالله فنشأت والمعنى ان ساعات الليل الناشئة وقول صاحب الصحاح منقول عن كثير من السلف قال على بن الحسين ناشئة الليل مابين المغرب الى العشاء وهذا قول أنس وثابت وسعيدبن جبير والضحاك والحكم واختيار الكسائى قالوا ناشئة الليل أوله وهؤلاء راعوا معنى الاولية في الناشـئة وفيها قول ثالث ان الليل كله ناشئة وهذا قول عكرمـة وأبى مجلز ومجاهد والسدى وابن الزبير وابن عباس في رواية قال ابن أبى مليكة سألت ابن الزبير وابن عباس عن ناشئة الليل فقالا الليل كله ناشئة فهذه أقوال من جعل ناشئة الليل زمانا وأما من جعلها فعلا ينشأ بالليل فالناشئة عندهم اسم لما يفعل بالليل من القيام وهذا قول ابن مسعود ومعاوية بن قرة وجماعة قالوا ناشئة الليل قيام الليل وقال آخرون منهم عائشة انما يكون القيام ناشئة اذا تقدمه نوم قالت عائشة ناشئة الليل القيام بعد النوم وهذا قول ابن الاعرابى قال اذا نمت من أول الليل نومة ثم قمت فتلك النشأة ومنه ناشئة الليل فعلى قول الاولين ناشئة الليل بمعنى من اضافة نوع الى جنسه أى ناشئة منه وعلى قول هؤلاء اضافة بمعنى في أى طاعة ناشئة فيه والمقصود ان الانشاء ابتداء سواء تقدمه مثله كالنشأة الثانية أو لم يتقدمـه كالنشأة الاولى وأما الجعل فقد أطلق على الله سبحانه بمعنيين أحدهما الايجاد والخلق والثانى التصيير فالاول يتعدى الى مفعول كقوله وجعلنا الظلمات والنور والثانى أكثر مايتعدى الى مفعولين كقوله (انا جعلناه قرآنا عربيا) وأطلق على العبد بالمعنى الثانى خاصة كقوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) وغالب مايستعمل في حق العبـد في جعل التسمية والاعتقاد حيث لايكون له صنع في المجعول كقوله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) وقوله (قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) وهذا يتعدى الى واحـد وهو جعل اعتقاد وتسمية وأما الفعل والعمل فاطلاقه على العبـد كثير لبئس ماكانوا يفعلون لبئس ماكانوا يعملون بما كنتم تعملون وأطلقه على نفسـه فعلا واسما فالاول كقوله (ويفعل الله مايشاء) والثانى كقوله (فعال لمايريد) وقوله (وكنا فاعلين) في موضعين من كتابه أحدهما قوله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) والثانى قوله (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) فتأمل قوله كنا فاعلين في هذين الموضعين

المتضمنين للصنع العجيب الخارج عن العادة كيف تجده كالدليل على ماأخبر به وانه لايستعصى على الفاعل حقيقة أى شأننا الفعل كما لايخفى الجهر والاسرار بالقول على من شأنه العلم والخبرة ولا تصعب المغفرة على من شأنه ان يغفر الذنوب ولا الرزق على من شأنه ان يرزق العباد وقد وقع الزجاج على هذا المعنى بعينه فقال وكنا فاعلين قادرين على فعل مانشاء

الباب الثامن عشر

فى فعل وافعل في القضاء والقدر والكسب وذكر الفعل والانفعال

ينبغى الاعتناء بكشف هذا الباب وتحقيق معناه فبذلك ينحل عن العبد أنواع من ضلالات القدرية والجبرية حيث لم يعطوا هذا الباب حقه من العرفان * اعلم ان الرب سبحانه فاعل غير منفعل والعبد فاعل منفعل وهو في فاعليته منفعل للفاعل الذى لاينفعل بوجه فالجبرية شهدت كونه منفعلا يجرى عليه الحكم بمنزلة الآلة والمحل وجعلوا حركته بمنزلة حركات الاشجار ولم يجعلوه فاعلا الا على سبيل المجاز فقام وقعد وأكل وشرب وصلى وصام عندهم بمنزلة مرض وألم ومات ونحو ذلك مماهو فيه منفعل محض والقدرية شهدت كونه فاعلا محضا غير منفعل في فعله وكل من الطائفتين نظر بعين عوراء وأهل العلم والاعتدال أعطوا كلا المقامين حقه ولم يبطلوا أحد الامرين بالآخر فاستقام لهم نظرهم ومناظرتهم واستقر عندهم الشرع والقدر في نصابه ومهدوا وقوع الثواب والعقاب على من هو أولى به فأثبتوا نطق العبد حقيقة وانطاق الله له حقيقة قال تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) فالانطاق فعل الله الذى لايجوز تعطيله والنطق فعل العبد الذى لايمكن انكاره كما قال تعالى (فورب السماء والارض انه لحق مثل ماأنكم تنطقون) فعلم ان كونهم ينطقون هو أمر حقيقى حتى شبه به في تحقيق كون ماأخبر به وان هذا حقيقة لامجاز ومن جعل اضافة نطق العبد اليه مجازا لم يكن ناطقا عنده حقيقة فلا يكون التشبيه بنطقه محققا لما أخبر به فتأمله ونظير هذا قوله تعالى (وانه هو أضحك وأبكى) فهو المضحك المبكى حقيقة والعبد الضاحك الباكى حقيقة كما قال تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وقال (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون) فلولا المنطق الذى أنطق والمضحك المبكى الذى أضحك وأبكى لم يوجد ناطق ولا ضاحك ولا باك فاذا أحب عبدا أنطقه بما يحب وأثابه عليه واذا أبغضه أنطقه بما يكرهه فعاقبه عليه وهو الذى أنطق هذا وهذا وأجرى مايحب على لسان هذا وما يكره على لسان هذا كما انه أجرى على قلب هذا ماأضحكه وعلى قلب هذا ماأبكاه وكذلك قوله تعالى (هوالذى يسيركم في البر والبحر) وقوله (قل سيروا في الارض) فالتسيير فعله حقيقة والسير فعل العبد حقيقة فالتسيير فعل محض والسير فعل وانفعال ومن هذا قوله تعالى ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾ فهو سبحانه المزوج ورسوله المتزوج وكذلك قوله ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ فهو المزوج وهم المتزوجون وقد جمع سبحانه بين الامرين في قوله ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ فالازاغة فعله والزيغ فعلهم فان قيل أنتم قررتم انه لم يقع منهم الفعل الا بعد فعله وانه لولا انطاقه لهم واضحاكه وابكاؤه لما نطقوا ولا ضحكوا ولا بكوا وقد دلت هذه الآية على ان فعله بعد فعلهم وانه أزاغ قلوبهم بعد ان

زاغوا وهذا يدل على ان ازاغة قلوبهم هو حكمه عليها بالزيغ لاجعلها زائغة وكذلك قوله أنطقنا الله المراد جعل لنا آلة النطق وأضحك وأبكى جعل لهم آلة الضحك والبكاء قيل أما الازاغة المترتبة على زيغهم فهى ازاغة أخرى غير الازاغة التى زاغوا بها أولا عقوبة لهم على زيغهم والرب تعالى يعاقب على السيئة بمثلها كما يثيب على الحسنة بمثلها فحدث لهم زيغ آخر غير الزيغ الاول فهم زاغوا أولا فجازاهم الله بازاغة فوق زيغهم * فان قيل فالزيغ الاول من فعلهم وهو مخلوق لله فيهم على غير وجه الجزاء والا تسلسل الامر * قيل بل الزيغ الاول وقع جزاء لهم وعقوبة على تركهم الايمان والتصديق لما جاءهم من الهدى وهذا الترك امر عدمى لايستدعى فاعلا فان تأثير الفاعل انما هو في الوجود لافي العدم * فان قيل فهذا الترك العدمى له سبب اولاسبب له * قيل سببه عدم سبب ضده فبقى على العدم الاصلى ويشبه هذا قوله ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ عاقبهم على نسيانهم له بان انساهم انفسهم فنسوا مصالحها ان يفعلوها وعيوبها ان يصلحوها وحظوظها ان يتناولوها ومن اعظم مصالحها وانفع حظوظها ذكرها لربها وفاطرها وهى لانعيم لها ولا سرور ولا فلاح ولا صلاح الا بذكره وحبه وطاعته والاقبال عليه والاعراض عما سواه فأنساهم ذلك لما نسوه واحدث لهم هذا النسيان نسيانا آخر وهذا ضد حال الذين ذكروه ولم ينسوه فذكرهم مصالح نفوسهم ففعلوها وأوقفهم على عيوبها فاصلحوها وعرفهم حظوظها العالية فبادروا اليها فجازى اولئك على نسيانهم بان انساهم الايمان ومحبته وذكره وشكره فلما خلت قلوبهم من ذلك لم يجدوا عن ضده محيصا وهذا يبين لك كمال عدله سبحانه في تقدير الكفر والذنوب عليها واذا كان قضاؤه عليها بالكفر والذنوب عدلا منه عليها فقضاؤه عليها بالعقوبة اعدل واعدل فهو سبحانه ماض في عبده حكمه عدل فيه قضاؤه وله فيها قضاآن قضاء السبب وقضاء المسبب وكلاهما عدل فيه فانه لما ترك ذكره وترك فعل مايحبه عاقبه بنسيان نفسه فاحدث له هذا النسيان ارتكاب مايبغضه ويسخطه بقضائه الذى هو عدل فترتب له على هذا الفعل والترك عقوبات وآلام لم يكن له منها بد بل هى مترتبة عليه ترتب المسببات على اسبابها فهو عدل محض من الرب تعالى فعدل في العبد اولا وآخرا فهو محسن في عدله محبوب عليه محمود فيه يحمده من عدل فيه طوعا وكرها قال الحسن لقد دخلوا النار وان حمده لفى قلوبهم ماوجدوا عليه سبيلا وسنزيد هذا الموضع بسطا وبيانا في باب دخول الشر في القضاء الالهى ان شاء الله اذ المقصود ههنا بيان كون العبد فاعلا منفعلا والفرق في هذا الباب بين فعل وافعل وان الله سبحانه افعل والعبد فعل فهو الذى اقام العبد واضله واماته والعبد هو الذى قام وضل ومات واما قولكم ان معنى انطقه واضحكه وابكاه جعل له آلة ينطق بها ويضحك ويبكى فاعطاؤه الآلة وحدها لايكفى في صدق الفعل بانه انطقه واضحكه فلو ان رجلا صمت يوما كاملا فحلف حالف ان الله انطقه لكان كاذبا حانثا ولو دعوت كافرين الى الاسلام فنطق احدهما بكلمة الشهادة وسكت الآخر لم يقل احد قط ان الله قد انطق الساكت كما انطق المتكلم وكلاهما قد اعطى آلة النطق ومتعلق الامر والنهى والثواب والعقاب الفعل لاالافعال * فان قيل هل تطردون هذا في جميع افعال العبد من كفره وزناه وسرقته فتقولون ان الله افعله وهو الذى فعل ام تخصون ذلك ببعض الافعال فيظهر تناقضكم * قيل ههنا امران امر لغوى وامر معنوى فاما اللغوى فان ذلك لايطرد في لغة

العرب لا يقولون أزنى الله الرجل وأسرقه وأشربه وأقتله اذا جعله يزني ويسرق ويشرب ويقتل وان كان في لغتها أقامه وأقعده وأنطقه وأضحكه وأبكاه وأضله وقد يأتى هذا مضاعفا كفهمه وعلمه وسيره وقال تعالى (ففهمناها سليمان) فالتفهيم منه سبحانه والفهم من نبيه سليمان وكذلك قوله (وعلمناه من لدنا علما) فالتعليم منه سبحانه وكذلك التسيير والسير والتعلم من العبد فهذا المعنى ثابت في جميع الافعال فهو سبحانه هو الذى جعل العبد فاعلا كما قال (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) فهو سبحانه الذى جعل أئمة الهدى يهدون بأمره وجعل أئمة الضلال والبدع يدعون الى النار فامتناع اطلاق أكلمه فتكلم لا يمنع من اطلاق أنطقه فنطق وكذلك امتناع اطلاق أهداه بأمره وادعاه الى النار لايمنع من اطلاق جعله يهدى بأمره ويدعو الى النار* فان قيل ومع ذلك كله هل تقولون ان الله سبحانه هو الذى جعل الزانيين يزنيان وهو الذى جمع بينهما على الفعل وساق أحدهما الى صاحبه * قيل أصل بلاء أكثر الناس من جهة الالفاظ المجملة التى تشتمل على حق وباطل فيطلقها من يريد حقها فينكرها من يريد باطلها فيرد عليه من يريد حقها وهذا باب اذا تأمله الذكي الفطن رأى منه عجائب وخلصه من ورطات تورط فيها أكثر الطوائف فالجعل المضاف الى الله سبحانه يراد به الجعل الذى يحبه ويرضاه والجعل الذى قدره وقضاه قال الله (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) فهذا نفى لجعله الشرعى الدينى أى ماشرع ذلك ولا أمر به ولا أحبه ورضيه وقال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) فهذا جعل كونى قدرى اى قدرنا ذلك وقضيناه وجعل العبد اماما يدعو الى النار ابلغ من جعله يزني ويسرق ويقتل وجعله كذلك ايضا لفظ مجمل يراد به انه جبره واكرهه عليه واضطره اليه وهذا محال في حق الرب تعالى وكماله المقدس يأبى ذلك وصفات كماله تمنع منه كما تقدم ويراد به انه مكنه من ذلك واقدره عليه من غير ان يضطره اليه ولا اكرهه ولا اجبره فهذا حق *فان قيل هذا كله عدول عن المقصود فمن احدث معصية واوجدها وابرزها من العدم الى الوجود *قيل الفاعل لها هو الذى اوجدها واحدثها وابرزها من العدم الى الوجود باقدار الله له على ذلك وتمكينه منه من غير إلجاء له ولا اضطرار منه الى فعلها *فان قيل فمن الذى خلقها اذاً *قيل لكم ومن الذى فعلها فان قلتم الرب سبحانه هو الفاعل للفسوق والعصيان اكذبكم العقل والفطرة وكتب الله المنزلة واجماع رسله واثبات حمده وصفات كماله فان فعله سبحانه كله خير وتعالى ان يفعل شرا بوجه من الوجوه فالشر ليس اليه والخير هو الذى اليه ولا يفعل الا خيرا ولا يريد الا خيرا ولو شاء لفعل غير ذلك ولكنه تعالى تنزه عن فعل مالا ينبغى وارادته ومشيئته كما هو منزه عن الوصف به والتسمية به *وان قلتم العبد هو الذى فعلها بما خلق فيه من الارادة والمشيئة * قيل فالله سبحانه خالق افعال العباد كلها بهذا الاعتبار ولو سلك الجبرى مع القدرى هذا المسلك لاستراح معه واراحه وكذلك القدرى معه ولكن انحرف الفريقان عن سواء السبيل كما قال

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فان قيل فهل يمكنه الامتناع منها وقد خلقت فيه نفسها او اسبابها الموجبة لها وخالق السبب الموجب خالق لمسببه وموجبه قيل هذا السؤال يورد على وجهين أحدهما ان يراد به انه يصير مضطرا اليها

ملجأ

ملجأ الى فعلها بخلقها أوخلق أسبابها بحيث لايبقى له اختيار في نفسه ولاارادة وتبقى حركته قسرية لاارادية الثانى انه هل لاختياره وارادته وقدرته تأثير فيهاأوالتأثير لقدرة الرب ومشيئته فقط وذلك هو السبب الموجب للفعل فان أوردتموه على الوجه الاول فجوابه انه يمكنه أن يفعل وان لايفعل ولايصير مضطرا ملجأ بخلقها فيه ولابخلق أسبابها ودواعيها فانها انما خلقت فيه على وجه يمكنه فعلها وتركها ولولم يمكنه الترك لزم اجتماع النقيضين وان يكون مريدا غير مريد فاعلا غير فاعل ملجأ غير ملجأ وان أوردتموه على الوجه الثانى فجوابه ان لارادته واختياره وقدرته أثرا فيها وهى السبب الذى خلقها الله به في العبد فقولكم انه لايمكنه الترك مع الاعتراف بكونه متمكنا من الفعل جمع بين النقيضين فانه اذا تمكن من الفعل كان الفعل اختياريا ان شاء فعله وان شاء لم يفعله فكيف يصح أن يقال لايمكنه ترك الفعل الاختيارى الممكن هذا خلف من القول وحقيقة الامر انه يمكنه الترك لوأراده لكنه لايريده فصار لازما بالارادة الجازمه*فان قيل فهذا يكفي في كونه مجبورا عليه*قيل هذا من أدل شئ على بطلان الجبر فانه انما لزم بارادته المنافية للجبر ولوكان وجوب الفعل بالارادة يقتضى الجبر لكان الرب تعالى وتقدس مجبورا على أفعاله لوجوبها بارادته ومشيئته وذلك محال * فان قيل الفرق ان ارادة الرب تعالى من نفسه لم يجعله غيره مريدا والعبد ارادته من ربه اذهى مخلوقة له فانه هو الذى جعله مريدا*قيل هذا موضع اضطرب فيه الناس فسلكت فيه القدرية واديا وسلكت الجبرية واديا فقالت القدرية العبدهو الذى يحدث ارادته وليست مخلوقة لله والله مكنه من احداث ارادته بان خلقه كذلك وقالت الجبرية بل الله هو الذى يحدث ارادات العبد شيئا بعد شئ فاحداث الارادات فيه كاحداث لونه وطوله وقصره وسواده وبياضه ممالاصنع له فيه البتة فلو أراد ان لايريد لما أمكنه ذلك وكان كما لوأراد أن يكون طوله وقصره ولونه على غير ماهو عليه فهو مضطر الى الارادة وكل ارادة من اراداته فهى متوقفة على مشيئة الرب لها بخصوصها فهى مرادة له سبحانه كما هى معلومة مقدورة فلزمهم القول بالجبر من هذه الجهة ومن جهة نفيهم أن يكون لارادة العبد وقدرته أثر في الفعل *فان قيل فاى واد تسلكونه غيرهذين الواديين واى طريق تمرون فيها سوى هذين الطريقين*قيل نعم ههنا طريقة ثالثة لم يسلكها الفريقان ولم يهتد اليها الطائفتان ولوحكمت كل طائفة مامعها من الحق والتزمت لوازمه وطردته لساقها الى هذه الطريق ولأوقعها على المحجة المستقيمة فنقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة الابالله*العبد بجملته مخلوق لله جسمه وروحه وصفاته وأفعاله وأحواله فهو مخلوق من جميع الوجوه وخلق على نشأة وصفة يتمكن بها من احداث ارادته وأفعاله وتلك النشأة بمشيئة الله وقدرته وتكوينه فهو الذى خلقه وكونه كذلك وهو لم يجعل نفسه كذلك بل خالقه وباريه جعله محدثا لارادته وأفعاله وبذلك أمره ونهاه وأقام عليه حجته وعرضه للثواب والعقاب فامره بماهو متمكن من احداثه ونهاه عما هو متمكن من تركه ورتب ثوابه وعقابه على هذه الافعال والتروك التى مكنه منها وأقدره عليها وناطها به وفطر خلقه على مدحه وذمه عليها مؤمنهم وكافرهم المقر بالشرائع منهم والجاحد لها فكان مريدا شائيا بمشيئة الله له ولولا مشيئة الله أن يكون شائيا لكان أعجز وأضعف من أن يجعل نفسه شائيا فالرب سبحانه أعطاه مشيئة وقدرة وارادة وعرفه ماينفعه ومايضره وأمره أن يجرى مشيئته وارادته

وقدرته في الطريق التي يصل بها الى غاية صلاحه فاجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرسا يركبها وأوقفه على طريق نجاة وهلكة وقال أجرها في هـذه الطريق فعدل بها الى الطريق الاخرى واجراها فيها فغلبته بقوة رأسها وشدة سيرها وعز عليه ردها عن جهة جريها وحيل بينه وبين ادارتها الى ورائها مع اختيارها وارادتها فلو قلت كان ردها عن طريقها ممكنا له مقدورا أصبت وان قلت لم يبق في هذه الحال بيـده من أمرها شئ ولاهو متمكن أصبت بل قد حال بينه وبين ردها من يحول بين المرء وقلبه ومن يقلب أفئدة المعاندين وأبصارهم واذا أردت فهم هذا على الحقيقة فتأمل حال من عرضت له صورة بارعة الجمال فدعاه حسنها الى محبتها فنهاه عقله وذكره مافي ذلك من التلف والعطب واراه مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه فعاد يعاود النظر مرة مرة ويحث نفسه على التعلق وقوة الارادة ويحرض على أسباب المحبة ويدنى الوقود من النار حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها ورمت بشررها وقد أحاطت به طلب الخلاص قال له القلب هيهات لات حين مناص وانشده

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما اسـتقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجـة ... فلما تمكن منها غرق

فكان الترك أولا مقدوراله لما لم يوجد السبب التام والارادة الحازمة الموجبة للفعل فلما تمكن الداعى واستحكمت الارادة قال المحب لعاذله

ياعاذلى والامر في يده ... هلاعذلت وفي يدى الامر

فكان أول الامر ارادة واختيارا ومحبة ووسطه اضطرارا وآخره عقوبة وبلاء ومثل هذا برجل ركب فرسا لايملكه راكبه ولايتمكن من رده واجراه في طريق ينتهى به الى موضع هلاك فكان الامر اليه قبل ركوبها فلما توسطت به الميدان خرج الامر عن يده فلماوصلت به الى الغاية حصل على الهلاك ويشبه هذا حال السكران الذى قد زال عقـله اذا جنى عليه في حال سكره لم يكن معذورا لتعاطيه السبب اختيارا فلم يكن معذورا بما ترتب عليه اضطرارا وهذا مأخذ من أوقع طلاقه من الائمة ولهذا قالوا اذا زال عقله بسبب يعذر فيه لم يقع طلاقه فجعلوا وقوع الطلاق عليه من تمام عقوبته والذين لم يوقعوا الطلاق قولهم افقه كما أفتى به عثمان بن عفان ولم يعلم له في الصحابة مخالف ورجع عليه الامام أحمد واستقر عليه قوله فان الطلاق ماكان عن وطر والسكران لاوطر له في الطلاق وقد حكم النبى صلى الله عليه وسلم بعدم وقوع الطلاق في حال الغلاق والسكر من الغلاق كما ان الاكراه والجنون من الغلاق بل قد نص الامام أحمـد وأبوعبيد وأبوداود على ان الغضب اغـلاق وفسر به الامام أحمد الحديث في رواية أبى طالب وهذا يدل على ان مذهبه ان طلاق الغضبان لايقع وهذا هو الصحيح الذى يفتى به اذاكان الغضب شديدا قد أغلق عليه قصده فانه يصـير بمنزلة السكران والمكره بل قد يكونان أحسن حالا منه فان العبد في حال شدة غضبه يصدر منه مالايصدر من السكران من الاقوال والافعال وقد أخبر الله سبحانه انه لايجيب دعاءه على نفسه وولده في هذه الحال ولوأجابه لقضى اليه أجله وقد عذر سبحانه من اشـتد به الفرح بوجود راحلته في الارض المهلكة بعدما يأس منها فقال اللهم أنت عبـدى وأنا ربك ولم يجعله بذلك كافرا لانه أخطأ بهذا القول من شدة الفرح فكمال

رحمته واحسانه وجوده يقتضي ان لايؤاخذ من اشتد غضبه بدعائه على نفسه وأهله وولده ولا بطلاقه لزوجته وأما اذا زال عقله بالغضب فلم يعقل مايقول فان الامة متفقة على انه لايقع طلاقه ولا عتقه ولا يكفر بما يجرى على لسانه من كلمة الكفر

الباب التاسع عشر

في ذكر مناظرة جرت بين جبرى وسنى جمعهما مجلس مذاكرة

قال الجبرى القول بالجبر لازم لصحة التوحيد ولا يستقيم التوحيد الا به لانا ان لم نقل بالجبر اثبتنا فاعلا للحوادث مع الله ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وهذا شرك ظاهر لايخلص منه الا القول بالجبر قال السنى بل القول بالجبر مناف للتوحيد ومع منافاته للتوحيد فهو مناف للشرائع ودعوة الرسل والثواب والعقاب فلو صح الجبر لبطلت الشرائع وبطل الامر والنهى ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب قال الجبرى ليس من العجب دعواك منافاة الجبر للامر والنهى والثواب والعقاب فان هذا لم يزل يقال وانما العجب دعواك منافاته للتوحيد وهو من أقوى أدلة التوحيد فكيف يكون المصور للشئ المقوى له منافيا له قال السنى منافاته للتوحيد من أظهر الامور ولعلها أظهر من منافاته الامر والنهى وبيان ذلك ان أصل عقد التوحيد واثباته هو شهادة ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله والجبر ينافي الكلمتين فان الاله هو المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال وهو الذى تأله القلوب وتصمد اليه بالحب والخوف والرجاء فالتوحيد الذى جاءت به الرسل هو افراد الرب بالتأله الذى هو كمال الذل والخضوع والانقياد له مع كمال المحبة والانابة وبذل الجهد في طاعته ومرضاته وايثار محابه ومراده الدينى على محبة العبد ومراده فهذا أصل دعوة الرسل واليه دعوا الامم وهو التوحيد الذى لايقبل الله من أحد دينا سواه لامن الاولين ولا من الآخرين وهو الذى أمر به رسله وأنزل به كتبه ودعا اليه عباده ووضع لهم دار الثواب والعقاب لاجله وشرع الشرائع لتكميله وتحصيله وكان من قولك أيها الجبرى ان العبد لاقدرة له على هذا البتة ولا أثر له فيه ولا هو فعله وأمره بهذا أمر له بما لايطيق بل أمر له بايجاد فعل الرب وان الرب سبحانه أمره بذلك واجبره على ضده وحال بينه وبين ما أمره به ومنعه منه وصده عنه ولم يجعل له اليه سبيلا بوجه من الوجوه مع قولك انه لايحب ولا يحب فلا تتأله القلوب بالمحبة والود والشوق والطلب وارادة وجهه والتوحيد معنى ينتظم من اثبات الالهية واثبات العبودية فرفعت معنى الالهية بانكار كونه محبوبا مودودا تتنافس القلوب في محبته وارادة وجهه والشوق الى لقائه ورفعت حقيقة العبودية بانكار كون العبد فاعلا وعابدا ومحبا فان هذا كله مجاز لاحقيقة له عندك فضاع التوحيد بين الجبر وانكار محبته وارادة وجهه لاسيما والوصف الذى وصفته به منفر للقلوب عنه حائل بينها وبين محبته فانك وصفته بانه يأمر عبده بما لاقدرة له على فعله وينهاه عما لايقدر على تركه بل يأمره بفعله هو سبحانه وينهاه عن فعله هو سبحانه ثم يعاقبه أشد العقوبة على مالم يفعله البتة بل يعاقبه على أفعاله هو سبحانه وصرحت بان عقوبته على ترك ما أمره وفعل مانهاه بمنزلة عقوبته على ترك طيرانه الى السماء وترك تحويله للجبال عن اماكنها ونقله مياه البحار عن مواضعها وبمنزلة عقوبته له على مالا صنع له فيه من لونه وطوله وقصره وصرحت بانه يجوز عليه ان يعذب أشد العذاب لمن لم يعصه طرفة عين وان حكمته ورحمته

لاتمنع ذلك بل هو جائز عليه ولولا خبره عن نفسه بانه لايفعل ذلك لم تنزهه عنه وقلت ان تكليفه عباده بما كلفهم به بمنزلة تكليف الاعمى للكتابة والزمن للطيران فبغضت الرب الى من دعوته الى هذا الاعتقاد ونفرته عنه وزعمت انك تقرر بذلك توحيده وقد قلعت شجرة التوحيد من أصلها وأما منافاة الجبر للشرائع فامر ظاهر لاخفاء به فان مبنى الشرائع على الامر والنهى وأمر الآمر لغيره بفعل نفسه لابفعل المأمور ونهيه عن فعله لافعل المنهى عبث ظاهر فان متعلق الامر والنهى فعل العبد وطاعته ومعصيته فمن لافعل له كيف يتصور ان يوقعه بطاعة أو معصية واذا ارتفعت حقيقة الطاعة والمعصية ارتفعت حقيقة الثواب والعقاب وكان مايفعله الله بعباده يوم القيامة من النعيم والعذاب أحكاما جارية عليهم بمحض المشيئة والقدرة لانها باسباب طاعاتهم ومعاصيهم بل ههنا أمر آخر وهو ان الجبر مناف للخلق كما هو مناف للامر فان الله سبحانه له الخلق والأمر وما قامت السموات الابعدله فالخلق قام بعدله وبعدله ظهر كما ان الامر بعدله وبعدله وجد فالعدل سبب وجود الخلق والامر وغايته فهو علة الفاعلية الغائية والجبر لايجامع العدل ولايجامع الشرع والتوحيد قال الجبرى لقد نطقت أيها السني بعظيم وفهت بكبير وناقضت بين متوافقين وخالفت بين متلازمين فان أدلة العقول والشرع المنقول قائمة على الجبر ومادل عليه العقل والنقل كيف ينافي موجب العقل والشرع فاسمع الآن الدليل الباهر والبرهان القاهر على الجبر ثم نتبعه بامثال فنقول صدور الفعل عند حصول القدرة والداعى اما أن يكون واجبا أولا يكون واجبا فان كان واجبا كان فعل العبد اضطراريا وذلك عين الجبر لان حصول القدرة والداعى ليس بالعبد والالزم التسلسل وهو ظاهر واذا كان كذلك فعند حصولهما يكون واجبا وعند عدم حصولهما يكون الفعل ممتنعا فكان الجبر لازما لامحالة وأما ان لم يكن حصول الفعل عند حصول القدرة والداعى واجبا فاما أن يتوقف رجحان الفعل على رجحان الترك على مرجح أولا يتوقف فان توقف كان حصول ذلك الفعل عند حصول المرجح واجبا والاعاد الكلام ولزم التسلسل واذا كان واجبا كان اضطراريا وهو عين الجبر وان لم يتوقف على مرجح كان جائز الوقوع وجائز العدم فوقوعه بغير مرجح يستلزم حصول الأثر بلامؤثر وذلك محال * فان قلت المرجح هو ارادة العبد * قلت لك ارادة العبد حادثة والكلام في حدوثها كالكلام في حدوث المراد بها ويلزم التسلسل قال السنى هذا أحد سهم في كنانتك وهو بحمد الله سهم لاريش له ولانصل مع عوجه وعدم استقامته وأنا استفسرك عما في هذه الحجة من الالفاظ المجملة المستعملة على حق وباطل وابين فسادها فما تعنى بقولك ان كان الفعل عند القدرة والداعى واجبا كان فعل العبد اضطراريا وهو عين الجبر أتعنى به ان يكون مع القدرة والداعى بمنزلة حركة المرتعش وحركة من نفضته الحمى وحركة من رمى به من مكان عال فهو يتحرك في نزوله اضطرارا منه أم تعنى به ان الفعل عند اجتماع القدرة والداعى يكون لازم الوقوع بالقدرة فان أردت بكونه اضطراريا المعنى الاول كذبتك العقول والفطر والحس والعيان فان الله فطر عباده على التفريق بين حركة من رمى به من شاهق فهو يتحرك الى أسفل وبين حركة من يرقى في الجبل الى علوه وبين حركة المرتعش وبين حركة المصفق وبين حركة الزانى والسارق والمجاهد والمصلى وحركة المكتوف الذى قد أوثق رباطا وجر على الارض فمن سوى بين الحركتين فقد خلع ربقة العقل والفطرة

والشرعة من عنقه وان أردت المعنى الثاني وهو كون الفعل لازم الوجود عند القدرة والداعي كان لازم الوجود وهذا لافائدة فيه وكونه لازما وواجبا بهذا المعنى لاينافي كونه مختارا مراداله مقدورا له غير مكره عليه ولا مجبور فهذا الوجوب واللزوم لاينافي الاختيار ثم نقول لوصحت هذه الحجة لزم أن يكون الرب سبحانه مضطرا على أفعاله مجبورا عليها بمعنى ماذكرت من مقدماتها وانه سبحانه يفعل بقدرته ومشيئته وماذكرت من وجوب الفعل عند القدرة والداعي وامتناعه عندعدمهماثابت في حقه سبحانه وقد اعترف أصحابك بهذاالالزام وأجابوا عنه بمالايجدى شيئا قال ابن الخطيب عقيب ذكر هذه الشبهة فان قلت هذا ينفي كونه فاعلا مختارا قلت الفرق ان ارادة العبد محدثة فافتقرت الى ارادة يحدثها الله دفعا للتسلسل وارادة البارى قديمة فلم تفتقر الى ارادة أخرى ورد هذا الفرق صاحب التحصيل فقال ولقائل ان يقول هذا لايدفع التقسيم المذكور قلت فان التقسيم متردد بين لزوم الفعل عند الداعي وامتناعه عند عدمه وهذا التقسيم ثابت في حق الغائب والشاهد وكون ارادة الرب سبحانه قديمة من لوازم ذاته لافاعل لها لا يمنع هذا الترديد والتقسيم فان عند تعلقها بالمراد يلزم وقوعه وعندعدم تعلقها به يمتنع وقوعه وهذا اللزوم والامتناع لايخرجه سبحانه عن كونه فاعلا مختارا ثم نقول هذا المعنى لايسمى جبرا ولااضطرارا فان حقيقة الجبر ماحصل باكراه غير الفاعل له على الفعل وحمله على ايقاعه بغير رضاه واختياره والرب سبحانه هو الخالق للارادة والمحبة والرضا في قلب العبد فلا يسمى ذلك جبرا لالغةولاعقلاولاشرعا ومن العجب احتجاجك بالقدرة والداعي على ان الفعل الواقع بهما اضطرارى من العبد والفعل عندكم لم يقع بهما ولاهو فعل العبد بوجه وانما هو عين فعل الله وذلك لايتوقف على قدرة من العبد ولاداع منه ولاهناك ترجيح له عند وجودهما ولاعدم ترجيح عند عدمهما بل نسبة الفعل الى القدرة والداعي كنسبته الى عدمهما فالفعل عندك غير فعل الله فلا ترجيح هناك من العبد ولامرجح ولاتأثير ولاأثر قال السني وقد أجابك اخوانك من القدرية عن هذه الحجة باجوبة أخرى فقال أبوهاشم وأصحابه لايتوقف فعل القادر على الداعي بل يكفي في فعله مجرد قدرته قالوا فقولك عند حصول الداعي اماأن يجب الفعل أولايجب عندنا لايجب الفعل بالداعي ولايتوقف عليه ولايمكنك أيها الجبرى الرد على هؤلاء فان الداعي عندك لاتأثيرله في الفعل البتة ولاهو متوقف عليه ولاعلى القدرة فان القدرة الحادثة عندك لاتؤثر في مقدورها فكيف يؤثر الداعي في الفعل فهذه الحجة لاتتوجه على أصولك البتة وغايتها الزام خصومك بها على أصولهم وقال أبو الحسين البصرى وأصحابه يتوقف الفعل على الداعي ثم قال أبو الحسين اذا تجرد الداعي وجب وقوع الفعل ولايخرج بهذا الوجوب عن كونه اختياريا وقال محمود الخوارزمي صاحبه لاينتهي بهذا الداعي الى حد الوجوب بل يكون وجوده أولى قالوا فنجيبك عن هذه الشبهة على الرأيين جميعا أما على رأى أبى هاشم فنقول صدور احدى الحركتين عنه دون الاخرى لايحتاج الى مرجح بل من شأن القادر أن يوقع الفعل من غير مرجح لجانب وجوده على عدمه قالوا ولا استبعاد في العقل في وجود مخلوق متمكن من الفعل بدلا عن الترك وبالضد من غير مرجح كما ان النائم والساهي يتحركان من غير داع وارادة فان قلتم بل هناك داع وارادة لايذكرها النائم والناسي كان ذلك مكابرة قلت وأصحاب هذا القول يقولون ان

القادر هو الذي يفعل مع جواز ان لايفعل وأصحاب القول الاول يقولون بل يفعل مع وجوب ان يفعل ومحمود الخوارزمي توسط بين المذهبين وقال بل يفعل مع أولوية ان يفعل ولاينتهي الترجيح الى حد الوجوب فالاقوال خمسة أحدها ان الفعل موقوف على الداعي فاذا انضمت القدرة اليه وجب الفعل بمجموع الامرين وهذا قول جمهور العقلاء ولم يصنع ابن الخطيب شيئا في نسبته له الى الفلاسفة وأبي الحسين البصري من المعتزلة الثاني ان الفعل يجب بقدرة الله وقدرة العبد وهذا قول من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في مقدوره مع قدرة الله على عين مقدور العبد وهذا قول أبي اسحق واختيار الجويني في النظامية الثالث قول من يقول يجب بقدرة الله فقط وهذا قول الاشعري والقاضي أبي بكر ثم اختلفا فقال القاضي كونه فعلا واقع بقدرة الله وكونه صلاة أو حجا أو زنا أو سرقة واقع بقدرة العبد فتأثير قدرة الله في ذات الفعل وتأثير قدرة العبد في صفة الفعل وقال الاشعري أصل الفعل ووصفه واقعان بقدرة الله ولاتأثير لقدرة العبد في هذا ولا هذا الرابع قول من يقول لايجب الفعل من القادر البتة بل القادر هو الذي يفعل مع جواز ان لايفعل فلا ينتهي فعل القادر المختار الى الوجوب أصلا وهذا قول ابي هاشم وأصحابه الخامس ان يكون عند الداعي أولى بالوقوع ولاينتهي الى حد الوجوب وهذا قول الخوارزمي وقد سلم أبوالحسين ان الفعل يجب مع الداعي وسلم ان الداعي مخلوق لله وقال ان العبد مستقل بايجاد فعله قال والعلم بذلك ضروري قال ابن الخطيب وهذا غلو منه في القدر وقوله انه يتوقف على الداعي والداعي خلق لله غلو في الجبر فجمع بين القدر والجبر مع غلوه فيهما ولم ينصفه فليس ما ذهب اليه غلو في قدر ولاجبر فان توقف الفعل على الداعي ووجوبه عنده بقدرة العبد ليس جبرا فضلا أن يكون غلوا فيه وكون العبد محدثا لفعله ضرورة بما خلقه الله فيه من القدرة والاختيار ليس قولا بمذهب القدرية فضلا عن كونه غلوا فيه

﴿ فصل ﴾ قال الجبري اذا كان الداعي ليس من أفعالنا وهو علم القادر ان في ذلك الفعل مصلحة له وذلك أمر مركوز في طبيعته التي خلق عليها وذلك مفعول لله فيه والفعل واجب عنده فلا معنى للجبر الا هذا * قال له السني أخوك القدري يجيبك عن هذا بان ذلك الداعي قد يكون جهلا وغلطا وهذه أمور يحدثها الانسان في نفسه فيفعل على حسب مايتوهم ان فيه مصلحته صادفها أو لم يصادفها فالداعي لاينحصر في العلم خاصة * قال الجبري لايساوي هذا الجواب شيئا فان العطشان مثلا يدعوه الداعي الى شرب الماء لعلمه بنفعه وشهوته وميله الى شربه وذلك العلم وتلك الشهوة والميل الى الشرب من فعل الله فيجب على القدري أن يترك مذهبه صاغرا داخرا ويعترف بان ذلك الفعل مضاف الى من خلق فيه الداعي المقتضي * قال القدري ذلك الداعي وان كان من فعل الله الا أنه جار مجرى فعل المكلف لانه قادر على أن يبطل أثره بان يستحضر صارفا عن الشرب مثل أن يحجم عن الشراب تجربة هل يقدر على مخالفة الداعي أم لا فاحجامه لاجل التجربة أثر داع ثان هو الصارف يعارض الداعي فالحي قادر على تحصيله وقادر على ابقاء الداعي الاول بحاله فابقاؤه الداعي الاول بحاله واعراضه عن احضار المعارض له أمر لولاه ماحصل الشرب فمن هذا الوجه كان الشرب فعلا له لانه قادر على تحصيل الاسباب المختلفة التي تصدر عنها الآثار ويصير هذا

كمن شاهد انسانا في نار متأججة وهو قادر على اطفائها عنه من غير مشقة ولا مانع فانه ان لم يطفها
استحق الذم وان كان الاحراق من أثر النار وقد أجاب ابن أبي الحديد بجواب آخر فقال ويمكن
أن يقال اذا تجرد الداعي كما ذكرتم في صورة العطشان فان التكليف بالفعل والترك يسقط لانه يصير
أسوأ حالا من الملجأ وهذا من أفسد الاجوبة على أصول جميع الفرق فان مقتضى التكليف قائم
فكيف يسقط مع حضور الفعل والقدرة وهذا قسم رابع من الذين رفع عنهم التكليف أثبته هذا
القدري زائدا على الثلاثة الذين رفع عنهم القلم وهـذا خرق منه لاجماع الامة المعلوم بالضرورة ولو
سقط التكليف عند تجرد الداعي لكان كل من تجرد داعيه الى فعل ما أمر به قد سقط عنه التكليف
وهذا القول أقبح من القول بتكليف مالا يطاق ولهذا كان القائلون به أكثر من هذا القائل وقولهم
يحكى ويناظر عليه * قال الجبري اذا كان الداعي من الله وهو سبب الفعل والفعل واجب عنده كان
خالق الفعل هو خالق الداعي أي خالق السبب * قال السني هذا حق فان الداعي مخلوق لله في العبد
وهو سبب الفعل والفعل يضاف الى الفاعل لانه صدر منـه ووقع بقدرته ومشيئته واختياره وذلك
لايمنع اضافته بطريق العموم الى من هو خالق كل شئ وهو على كل شئ قدير وأيضا فالداعي ليس
هو المؤثر بل هو شرط في تأثير القادر في مقدوره وكون الشرط ليس من العبد لايخرجه عن كونه
فاعلا وغاية قدرة العبد وارادته الجازمة ان يكون شرطا أو جزء سبب والفعل موقوف على شروط
وأسباب لاصنع للعبد فيها البتة وأسهل الافعال رفع العين لرؤية الشئ فهب ان فتح العين فعل العبد
الا أنه لايستقل بالادراك فان تمام الادراك موقوف على خلق الدرك وكونه قابلا للرؤية وخلق آلة
الادراك وسلامتها وصرف الموانع عنها فما تتوقف عليه الرؤية من الاسباب والشروط التي لاتدخل
تحت مقدور العبد أضعاف أضعاف مايقدر عليه من تقليب حدقته نحو المرئي فكيف يقول عاقل ان
جزء السبب أو الشرط موجب مستقل لوجود الفعل وهذا الموضع مما ضل فيه الفريقان حيث زعمت
القدرية انه موجب للفعل وزعمت الجبرية انه لاأثر له فيه فخالفت الطائفتان صريح المعقول والمنقول
وخرجت عن السمع والعقل والتحقيق ان قدرة العبد وارادته ودواعيه جزء من أجزاء السبب التام
الذي يجب به الفعل فمن زعم ان العبد مستقل بالفعل مع ان أكثر أسبابه ليست اليه فقد خرج عن
موجب العقل والشرع فهب ان دواعي حركة الضرب منك مستقلا بها فهل سلامة الآلة منك وهل
وجود المحل المنفعل وقبوله منك وهل خلق الفضاء بينك وبين المضروب وخلوه عن المانع منك
وهل امساك قدرته عن مضاربتك وغلبك منك وهل القوة التي في اليـد والرباطات والاتصالات
التي بين عظامها وشد أسرها منك ومن زعم انه لاأثر للعبد بوجه ما في الفعل وان وجود قـدرته
وارادته وعدمهما بالنسـبة الى الفعل على السواء فقد كابر العقل والحس * قال الجـبري ان انتهت
سلسلة الترـجيحات الى مرجح من العبد فذلك المرجح ممكن لامحالة فان ترجح بلا مرجح انسد
عليكم باب اثبات الصانع اذا جوزتم رجحان أحـد طرفي الممكن وان توقف على مرجح آخر لزم
التسلسل فلا بد من انتهائه الى مرجح من الله لاصنع للعبد فيه قال السني اما اخوانك القدرية فانهم
يقولون القادر المختار يحدث ارادته وداعيتـه بلا مرجح من غيره قالوا والفطرة شاهدة بذلك فانا
لانفعل مالم نرد ولا نريد مالم نعلم ان في الفعل منفعة لها أو دفع مضرة ولا نجد لهذه الارادة ارادة

أحدثها ولا لعلمنا بان ذلك نافع علما آخر أحدثه فالمرجح هو ماخلق عليه العبد وفطر عليه من صفاته القائمة به فالله سبحانه أنشأ العبد نشأة يتحرك فيها بالطبع فحركته بالارادة والمشيئة من لوازم نشئه وكونه حيوانا فارادته وميله من لوازم كونه حيا فافعال العبد الخاصة به هي الدواعي والارادات لاغير وما يقع بها من الافعال شبيه بالفعل المتولد من حيث كان المتولد سببا وهذه الافعال صادرة عن الدواعي التي عرفها العبد ابتداء من غير واسطة فاشتراكهما في ان كل واحد منهما مستند الى فعل خاص بالعبد فهما متماثلان من هذه الجهة قال السني وهذا جواب باطل بأبطل منه ورد فاسد بأفسد منه ومعاذ الله والله أكبر وأجل وأعظم وأعز أن يكون في عبده شئ غير مخلوق له ولا هو داخل تحت قدرته ومشيئته فما قدر الله حق قدره من زعم ذلك ولاعرفه حق معرفته ولاعظمه حق تعظيمه بل العبد جسمه وروحه وصفاته وأفعاله ودواعيه وكل ذرة فيه مخلوق لله خلقا تصرف به في عبده وقد بينا ان قدرته وارادته ودواعيه جزء من أجزاء سبب الفعل غير مستقل بايجاده ومع ذلك فهذا الجزء مخلوق لله فيه فهو عبد مخلوق من كل وجه وبكل اعتبار وفقره الى خالقه وبارئه من لوازم ذاته وقلبه بيد خالقه وبين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء فيجعله مريدا لما شاء وقوعه منه كارها لما لم يشأ وقوعه فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ونعم والله سلسلة المرجحات تنتهى الى أمر الله الكونى ومشيئته النافذة التي لاسبيل لمخلوق الى الخروج عنها ولكن الجبر لفظ مجمل يراد به حق وباطل كما تقدم فان أردتم به ان العبد مضطر في أفعاله وحركته في الصعود في السلم كحركته في وقوعه منه فهذا مكابرة للعقول والفطر وان أردتم به انه لاحول له ولا قوة الا بربه وفاطره فنعم لاحول ولا قوة الا بالله وهي كلمة عامة لاتخصيص فيها بوجه ما فالقوة والقدرة والحول بالله فلا قدرة له ولا فعل الا بالله فلا ننكر هذا ولا نجحده لتسمية القدرى له جبرا فليس الشأن في الاسماء ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان فلا نترك لهذه الاسماء مقتضى العقل والايمان والمحذور كل المحذور ان نقول ان الله يعذب عبده على مالا صنع له فيه ولا قدرة له عليه ولا تأثير له في فعله بوجه ما بل يعذبه على فعله هو سبحانه وعلى حركته اذا سقط من علو الى سفل نعم لايمتنع أن يعذبه على ذلك اذا كان قد تعاطى أسبابه بارادته ومحبته كما يعاقب السكران على ماجناه في حال سكره لتفريطه وعدوانه بارتكاب السبب وكما يعاقب العاشق الذى غلب على صبره وعقله وخرج الامر عن يده لتفريطه السابق بتعاطى أسباب العشق وكما يعاقب الذى آل به اعراضه وبغضه للحق الى ان صار طبعا وقفلا ورينا على قلبه فخرج الامر عن يده وحيل بينه وبين الهدى فيعاقبه على مالم يبق له قدرة عليه ولا ارادة بل هو ممنوع منه وعقوبته عليه عدل محض لاظلم فيه بوجه ما * فان قيل فهل يصير في هذه الحال مكلفا وقد حيل بينه وبين ما أمر به وصد عنه ومنع منه أم يزول التكليف * قيل ستقف على الجواب الشافي ان شاء الله عن هذا السؤال في باب القول في تكليف مالا يطاق قريبا فانه سؤال جيد اذ المقصود ههنا الكلام في الجبر وما في لفظه من الاجمال وما في معناه من الهدى والضلال

﴿ فصل ﴾ قال الجبرى اذا صدر من العبد حركة معينة فاما أن تكون مقدورة للرب وحده أو العبد وحده أو للرب والعبد او لا للرب ولا للعبد وهذا القسم الاخير باطل قطعا والاقسام

الثلاثة قد قال بكل واحد منها طائفة فان كانت مقدورة للرب وحده فهو الذي يقوله وذلك عين الجبر وان كانت مقدورة للعبد وحده فذلك اخراج لبعض الاشياء عن قدرة الرب تعالى فلا يكون على كل شئ قدير ويكون العبد المخلوق الضعيف قادرا على مالم يقدر عليه خالقه وفاطره وهذا هو الذي فارقت به القدرية للتوحيد وضاهت به المجوس وان كانت مقدورة للرب والعبد لزمت الشركة ووقوع مفعول بين فاعلين ومقدور بين قادرين وأثر بين مؤثرين وذلك محال لان المؤثرين اذا اجتمعا استقلالا على اثر واحد فهو غنى عن كل منهما بكل منهما فيكون محتاجا اليهما مستغنيا عنهما قال السني قد افترق الناس في هذا المقام فرقا شتى ففرقة قالت انما تقع الحركة بقدرة الله وحده لابقدرة العبد وتأثير قدرة العبد في كونها طاعة او معصية فقدرة الرب وحده اقتضت وجودها وقدرة العبد اقتضت صفتها * وهذا قول القاضي ابي بكر ومن اتبعه ولعمر الله انه لغير شاف ولا كاف فان صفة الحركة ان كان اثرا وجوديا فقد اثرت قدرته في امر موجود فلا يمتنع تأثيرها في نفس الحركة وان كان صفتها أمرا عدميا كان متعلق قدرته عدما لاوجودا وذلك ممتنع اذ اثر القدرة لايكون عدما صرفا وفرقة اخرى قالت بل الفعل وصفته واقع بمحض قدرة الله وحده ولا تأثير لقدرة العبد في هذا ولا هذا وهذا قول الاشعري ومن اتبعه وفرقة قالت بل المؤثر قدرة العبد وحده دون قدرة الرب ثم انقسمت هذه الفرقة الى فرقتين فرقة قالت ان قدرة العبد هي المؤثرة مع كون الرب قادرا على الحركة وقالت ان مقدورات العباد مقدورة لله تعالى وهذا قول ابي الحسين البصري واتباعه الحسينية وفرقة قالت ان قدرة العبد هي المؤثرة والله سبحانه غير قادر على مقدور وهذا قول المشايخية اتباع ابي علي وابي هاشم وليس عند ابن الخطيب وجمهور المتكلمين غير هذه الاقوال التي لاتشفي عليلا ولا تروي غليلا وليس عند اربابها الا مناقضة بعضهم بعضا *وقد اجاب بعض اصحاب ابي الحسين عن هذا السؤال انه وان كان يقول بمقدور بين قادرين فله ان يقول في هذا المقام ان كان الدليل الذي ذكرته دليلا صحيحا على استحالة اجتماعهما على فعل واحد فانما يدل على استحالته على فعلهما على سبيل الجمع ولا يستحيل على سبيل البدل كما يستحيل حصول جوهرين في مكان واحد ولا يستحيل حصولهما فيه على البدل وهذا جواب باطل قطعا فان مضمونه ان أحدهما لايقدر عليه الا اذا تركه الآخر فحال تلبس العبد بالفعل بقدرته وارادته ان كان مقدورا لله فهو القول بمقدور بين قادرين وان لم يكن مقدورا له لزم اخراج بعض الممكنات عن قدرته * فان قلت هو قادر عليه بشرط أن لايقدر عليه العبد * قيل لك فهذا تصريح منك بانه في حال قدرة العبد عليه لايقدر عليه الرب فلا ينفعك القول بانه قادر عليه على البدل وأيضا فان قدر عليه بشرط ان لايقدر عليه العبد فاذا قدر العبد عليه انتفت قدرة الرب لانتفاء شرطها وهذا مما صاح به عليكم أهل التوحيد من أقطار الارض ورموكم به عن قوس واحدة وانما صانعتم به أهل السنة مصانعة والا فحقيقة هذا القول ان العبد يقدر على مالا يقدر عليه الرب وحكاية هذا الرأي الباطل كافية في فساده * فان قلت كما لايمتنع معلوم واحد بين عالمين ومراد واحد بين مريدين * قيل هذا من أفسد القياس لان المعلوم لايتأثر بالعالم والمراد لايتأثر بالمريد فيصح الاشتراك في المعلوم والمراد كما يصح الاشتراك في المرئي والمسموع وأما المقدور فيجوز اشتراك القادرين فيه بالقدرة المصححة

وهى صحة وقوعه من كل واحد منهما وصحة التأثير من أحدهما لاتنافي صحته من الآخر اما اشتراكهما فيه بالقدرة الموجبة المقارنة لمقدورها فهو عين المحال الا أن يراد الاشتراك على البدل فيكون تأثير أحدهما فيه شرطا في تأثير الآخر ولما تفطن أبو الحسين لهذا قال لست أقول ان اضافته الى أحدهما هى اضافته الى الآخر كما ان الشئ الواحد يكون معلوما لعالمين ويمتنع ان يكون علم احدهما به هو علم الآخر فهكذا اقول في المقدور بين قادرين ليست قدرة احدهما عليه هى قدرة الآخر والمفعول بين فاعلين ليس فعل احدهما فيه هو فعل الآخر وانما معنى قولى هذا انه فعل لهذا وتأثير له انه لقدرته وداعيته وجد وليس معنى كونه وجد لقدرة هذا وداعيته هو معنى كونه وجد لقدرة الآخر وداعيته قال وليس يمتنع في العقل اضافة شئ واحد الى شيئين لكنه يمتنع ان يكون اضافته الى احدهما هى عين اضافته الى الآخر * وهذا لايجدى عنه شيئا فان التقسيم المذكور دائر فيه ونحن نقول قد دل الدليل على شمول قدرة الرب سبحانه لكل ممكن من الذوات والصفات والافعال وانه لايخرج شئ عن مقدوره البتة ودل الدليل ايضا على ان العبد فاعل لفعله بقدرته وارادته وانه فعل له حقيقة يمدح ويذم به عقلا وعرفا وشرعا وفطرة فطر الله عليها العباد حتى الحيوان البهيم ودل الدليل على استحالة مفعول واحد بالعين بين فاعلين مستقلين واثر واحد بين مؤثرين فيه على سبيل الاستقلال ودل الدليل ايضا على استحالة وقوع حادث لامحدث له ورجحان راجح لامرجح له * وهذه امور كتبها الله سبحانه في العقول وحجج العقل لاتتناقض ولا تتعارض ولا يجوز ان يضرب بعضها ببعض بل يقال بها كلها ويذهب الى موجبها فانها يصدق بعضها بعضا وانما يعارض بينهما من ضعفت بصيرته وان كثر كلامه وكثرت شكوكه والعلم أمر آخر وراء الشكوك والاشكالات ولهذا تناقض الخصوم * وهذا رأس مال المتكلمين والقول الحق لم ينحصر في هذه الاقوال التى حكوها في المسئلة * والصواب ان يقال تقع الحركة بقدرة العبد وارادته التى جعلها الله فيه فالله سبحانه اذا اراد فعل العبد خلق له القدرة والداعى الى فعله فيضاف الفعل الى قدرة العبد اضافة السبب الى مسببه ويضاف الى قدرة الرب اضافة المخلوق الى الخالق فلا يمتنع وقوع مقدور بين قادرين قدرة احدهما اثر لقدرة الآخر وهى جزء سبب وقدرة القادر الآخر مستقلة بالتأثير والتعبير عن هذا المعنى بمقدور بين قادرين تعبير فاسد وتلبيس فانه يوهم انهما متكافئان في القدرة كما تقول هذا الثوب بين هذين الرجلين وهذه الدار بين هذين الشريكين وانما المقدور واقع بالقدرة الحادثة وقوع المسبب بسببه والسبب والمسبب والفاعل والآلة كله أثر القدرة القديمة ولا نعطل قدرة الرب سبحانه عن شمولها وكمالها وتناولها لكل ممكن ولا نعطل قدرة الرب التى هى سبب عما جعلها الله سببا له ومؤثرة فيه وليس في الوجود شئ مستقل بالتأثير سوى مشيئة الرب سبحانه وقدرته وكل ماسواه مخلوق له وهو أثر قدرته ومشيئته ومن أنكر ذلك لزمه اثبات خالق سوى الله أوالقول بوجود مخلوق لاخالق له فان فعل العبد ان لم يكن مخلوقا لله كان مخلوقا للعبد اما استقلالا واما على سبيل الشركة واما ان يقع بغير خالق ولامخلص عن هذه الاقسام لمنكر دخول الافعال تحت قدرة الرب ومشيئته وخلقه واذا عرف هذا فنقول الفعل وقع بقدرة الرب خلقا وتكوينا كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه وبقدرة العبد سببا ومباشرة والله خالق الفعل

والعبد

والعبد فعله وباشره والقدرة الحادثة وأثرها واقعان بقدرة الرب ومشيئته

﴿فصل﴾ قال الجبري لو كان العبد فاعلا لافعاله لكان عالما بتفاصيلها لانه يمكن أن يكون الفعل أزيد مما فعله أوانقص فوقوعه على ذلك الوجه مشروط بالعلم بتفصيله ومعلوم ان النائم والغافل قد يفعل الفعل ولايشعر بكيفية ولاقدرة وأيضا فالمتحرك يقطع المسافة ولاشعور له بتفاصيل الحركة ولااجزاء المسافة ومحرك أصبعه محرك لاجزائها ولايشعر بعدد اجزائها ولابعدد احيازها والمتنفس يتنفس باختياره ولايشعر في الغالب بنفسه فضلا عن أن يشعر بكميته وكيفيته ومبدئه ونهايته والغافل قد يتكلم بالكلمة ويفعل الفعل باختياره ثم بعد فراغه منه يعلم انه لم يكن قاصدا له فنحن نعلم علما ضروريا من أنفسنا عدم علمنا بوجود أكثر حركاتنا وسكناتنا في حالة المشي والقيام والقعود ولوأردنا فصل كل جزء من أجزاء حركاتنا في حالة اسراعنا بالمشي والحركة والاحاطة به لم يمكنا ذلك بل ونعلم ذلك من حال أكمل العقلاء فما الظن بالحيوانات العجم في مشيها وطيرانها وسباحتها حتى الذر والبعوض وهذا مشاهد في السكران ومن اشتد به الغضب ولهذا قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) فدل على أن السكران يصدر منه أقوال لايعلم بها فكيف يكون هو المحدث لتلك الاقوال وهو لايشعر بها والارادة فرع الشعور ولهذا أفتى الصحابة بانه لايقع طلاق السكران نزلوا حركة لسانه منزلة تحريك غيره له بغير ارادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لاطلاق في الاغلاق لان الاغلاق يمنع العلم والارادة فكيف يكون التطليق فعله وهو غير عالم به ولامريد له وأيضا فقد قال جمهور الفقهاء ان الناسي غير مكلف لان فعله لايدخل تحت الاختيار ففعله غير مضاف اليه مع انه وقع باختياره وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى بعينه في قوله من أكل أوشرب ناسيا فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه فاضاف فعله الى الله لااليه فلم يكن له فعل في الاكل والشرب فلم يفطر به قال السني هذا موضع تفصيل لايليق به الاجمال فنقول مايصدر من العبد من الافعال ينقسم أقساما متعددة بحسب قدرته وعلمه وداعيته وارادته فتارة يكون ملجأ الى الفعل لاارادة له فيه بوجه ما كمن أمسكت يده وضرب بها غيره أوأمسكت أصبعه وقلع بها عين غيره فهذا فعله بمنزلة حركات الاشجار بالريح ولهذا لايترتب عليه حكم البتة ولايمدح عليه ولايذم ولايثاب ولايعاقب وهذا لايسمى فاعلا عقلا ولاشرعا ولاعرفا وتارة يكون مكرها على أن يفعل فهذا فعله يضاف اليه وليس كالملجأ الذي لافعل له واختلف الناس هل يقال انه فعل باختياره وانه مختار مافعله أولايطلق عليه ذلك على قولين والتحقيق ان النزاع لفظي فانه فعل بارادة هو محمول عليها مكره عليها فهو مكره مختار مكره على ان يفعل بارادته مريد ليفعل ماأكره عليه فان أريد بالمختار من يفعل بارادته وان كان كارها للفعل فالمكره مختار وأيضا فهو مختار ليفعل ماأكره لتخلصه به مما هو أكره اليه من الفعل فلما عرض له مكروهان أحدهما أكره اليه من الآخر اختار ايسرهما دفعا لاشقهما ولهذا يقتل قصاصا اذا قتل عند الجمهور والملجأ لايقتل باتفاق الناس ومما يوضح هذا ان المكره على التكلم لايتأتى منه التكلم الا باختياره وارادته ولهذا أوقع طلاقه وعتاقه بعض العلماء والجمهور قالوا لايقع لان الله جعل كلام المكره على كلمة الكفر لغو لايترتب عليه أثره لانه وان قصد التكلم باللفظ دفعا عن نفسه فلم يقصد معناه وموجبه حتى قال بعض الفقهاء لوقصد الطلاق بقلبه مع الاكراه لم

يقع طلاقه لان قوله هدر ولغو عند الشارع فوجوده كعدمه في حكمه فبقي مجرد القصد وهو غير موجب للطلاق وهذا ضعيف فان الشارع انما الغى قول المكره اذا تجرد عن القصد وكان قلبه مطمئنا بضده فاما اذا قارن اللفظ القصد واطمأن القلب بموجبه فانه لا يعذر * فان قيل فما تقولون فيمن ظن ان الاكراه لا يمنع وقوع الطلاق فقصده جاهلا بان الاكراه مانع من وقوعه * قيل هذا لا يقع طلاقه لانه لما ظن ان الاكراه على الطلاق يوجب وقوعه اذا تكلم به كان حكم قصده حكم لفظه فانه انما قصده دفعا عن نفسه لما علم انه لا يتخلص الا به ولم يظن ان الكلمة بدون القصد لغوا ودهش عن ذلك ولا وطر له في الطلاق فهذا لا يقع بخلاف الاول فانه لما أكره على الطلاق نشأله قصد طلاقها اذ لا غرض له ان يقيم مع امرأة أكره على طلاقها وان كان لولم يكره لم يبتدى طلاقها والمقصود ان المكره مريد لفعله غير ملجأ اليه

﴿فصل﴾ وأما افعال النائم فلا ريب في وقوع الفعل القليل منه والكلام المفيد واختلف الناس هل تلك الافعال مقدورة له أو مكتسبة أو ضرورية بعد اتفاقهم على انها غير داخلة تحت التكليف فقالت المعتزلة وبعض الاشعرية هي مقدورة له والنوم لا يضاد القدرة وان كان يضاد العلم وغيره من الادراكات وذهب أبو اسحاق وغيره الى ان ذلك الفعل غير مقدور له وأن النوم يضاد القدرة كما يضاد العلم وذهب القاضي أبو بكر وكثير من الاشعرية الى ان فعل النائم لا يقطع بكونه مكتسبا ولا بكونه ضروريا وكل من الامرين ممكن قال أصحاب القدرة كان النائم قادرا في يقظته وقدرته باقية والنوم لا ينافيها فوجب استصحاب حكمها قالوا وأيضا فالنائم اذا انتبه فهو على ماكان عليه في نومه ولا يتجدد أمر وراء زوال النوم وهو قادر بعد الانتباه وزوال النوم غير موجب للاقتدار ولا وجوده نافيا للقدرة قالوا وأيضا قد يوجد من النائم مالو وجد منه في حال اليقظة لكان واقعا على حسب الداعي والاختيار والنوم وان نافي القصد فلا ينافي القدرة قال النافون للقدرة قولكم النوم لا ينافي القدرة دعوى كاذبة فان النائم منفعل محض متأثر صرف ولهذا لا يمتنع ممن يؤثر فيه وقولكم لم يتجدد له أمر غير زوال النوم فالتجدد زوال المانع من القدرة فعاد الى ماكان عليه كمن أوثق غيره رباطا ومنعه من الحركة فاذا حل رباطه تجدد زوال المانع قالوا نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم وحركة المرتعش والمفلوج وماذاك الا أن حركته مقدورة له وحركة المرتعش غير مقدورة له والتحقيق ان حركة النائم ضرورية له غير مكتسبة وكما فرقنا في حق المستيقظ بين حركة ارتعاشه وحركة تصفيقه كذلك نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم وحركة المستيقظ

﴿فصل﴾ وأما زائل العقل بجنون أو سكر فليست أفعاله اضطرارية كافعال الملجأ ولا اختيارية بمنزلة أفعال العاقل العالم بما يفعله بل هي قسم آخر من الاضطرارية وهي جارية مجرى أفعال الحيوان وفعل الصبي الذي لا تمييز له بل لكل واحد من هؤلاء داعية الى الفعل يتصورها وله ارادة يقصد بها وقدرة ينفذ بها وان كان داعيه نوع آخر غير داعي العاقل العالم بما يفعله فلا بد أن يتصور مافي الفعل من الغرض ثم يريده ويفعله وهذه أفعال طبيعية واقعة بالداعي والارادة والقدرة والدواعي والارادات تختلف ولهذا لا يكلف أحد هؤلاء بالفعل فافعاله لا تدخل تحت التكليف وليست كافعال الملجأ ولا المكره وهي مضافة اليهم مباشرة والى خالق ذواتهم وصفاتهم خلقا فهي مفعولة وأفعال

لم والساهي الذي يفعل الفعل مع غفلته وذهوله فهو انما يفعله بقدرته اذ لو كان عاجزا لما تأتى منه الفعل وله ارادة لكنه غافل عنها فالارادة شئ والشعور بها شئ آخر فالعبد قد يكون له ارادة وهو ذاهل عن شعوره بها لاشتغال محل التصور منه بامر آخر منعه من الشعور بالارادة فعملت عملها وهي غير مشعور بها وان كان لابد من الشعور عند كل جزء من أجزائه وبالله التوفيق وبالجملة فالفعل الاختياري يستلزم الشعور بالفعل في الجملة وأما الشعور به على التفصيل فلا يستلزمه

﴿ فصل ﴾ قال الجبري ضلال الكافر وجهله عند القدري مخلوق له موجود بايجاده اختيارا وهذا ممتنع فانه لو كان كذلك لكان قاصدا له اذ القصد من لوازم الفعل اختيارا واللازم ممتنع فان عاقلا لا يريد لنفسه الضلال والجهل فلا يكون فاعلا له اختيارا * قال السني عجبا لك أيها الجبري تنزه العبد أن يكون فاعلا للكفر والجهل والظلم ثم تجعل ذلك كله فعل الله سبحانه ومن العجب قولك ان العاقل لا يقصد لنفسه الكفر والجهل وأنت ترى كثيرا من الناس يقصد لنفسه ذلك عنادا وبغيا وحسدا مع علمه بان الرشد والحق في خلافه فيطيع دواعي هواه وغيه وجهله ويخالف داعي رشده وهداه ويسلك طريق الضلال ويتنكب عن طريق الهدى وهو يراهما جميعا * قال أصدق القائلين (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين)* وقال تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وقال تعالى عن قوم فرعون (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال تعالى (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقال تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) وقال (بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) وقال (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء) وهذا في القرآن كثير يبين سبحانه فيه اختيارهم الضلال والكفر عمدا على علم هذا وكم من قاصد أمرا يظن انه رشد وهو ضلال وغي

﴿ فصل ﴾ قال الجبري لو جاز تأثير قدرة العبد في القول بالايجاد لجاز تأثيرها في ايجاد كل موجود لان الوجود قضية واحدة مشتركة بين الموجودات الممكنة وان اختلفت محاله وجهاته ويلزم من صحة تأثير القدرة في بعضه صحة تأثيرها في جميعه لاتحاد المتعلق وان ما ثبت لاحد المثلين ثبت للآخر وأيضا فالمصحح للتأثير هو الامكان ويلزم من الاشتراك في المصحح للتأثير الاشتراك في الصحة ومعلوم قطعا ان قدرة العبد لا تتعلق بايجاد الاجسام وأكثر الاعراض انما تتعلق ببعض الاعراض القائمة لمحل قدرته * قال السني لقد كشف الله عوار مذهب يكون اثباته مستندا الى مثل هذه الخرافات التي حاصلها انه يلزم من صحة قدرة العبد على قلع حصاة من الارض صحة قدرته على قلع الجبل ومن امكان حمله لرطل امكان حمله لمائة ألف رطل ومن ايجاده للفعل القائم به من الاكل والشرب والصلاة وغيرها صحة ايجاده لخالق السموات والارض وما بينهما وهل سمع في الهذيان

باسمج من هذا واغث منه واشتراك الموجودات في مسمى الوجود الكلي العام لايلزم منه ان ماجاز على موجود ماجاز على كل موجود وهذا أسمج من الاول وأبين فسادا ولا يلزم من ذلك تماثل البعوضة والفيل وتماثل الاجسام والاعراض ومن يجعل من الجبرية للقدرة الحادثة تعلقا بالفعل العبد يعترف بالفرق ويقول قدرته تتعلق ببعض الاعراض ولا تتعلق بالاجسام ولا بكل الاعراض فان احتج على ابطال التأثير بهذه الشبهة الغثة ألزم بها بعينها في عموم تعلق قدرته بكل موجود

﴿ فصل ﴾ قال الجبرى دليل التوحيد ينفى كون العبد فاعلا وأن يكون لقدرته تأثير في فعله وتقريره بدليل التمانع * قال السنى دليل التوحيد انما ينفي وجود رب ثان ويدل على انه لارب الا هو سبحانه ولا يدل على امتناع وجود مخلوق له قدرة وارادة مخلوقة يحدث بها وهو وقدرته وارادته وفعله مخلوق لله فهو بعد طول مقدماته واعتراف فضلائكم بالعجز عن تقريره وذكر مافي مقدماته من منع ومعارضة انما ينفي وجود قادرين متكافئين قدرة كل واحد منهما من لوازم ذاته ليست مستفادة من الآخر وهو دليل صحيح في نفسه وان عجزتم عن تقريره ولكن ليس فيه ماينفي ان تكون قدرة العبد وارادته سببا لوجود مقدوره وتأثيرها فيه تأثير الاسباب في مسبباتها فلا للتوحيد قررتم بدليل التمانع ولا للجبر وقد كفانا أفضل متأخريكم بيان تنافي هذا الدليل من المنوع والمعارضات * قال الجبرى دعنا من هذا كله أليس في القول بتأثير قدرة العبد في مقدوره مع الاعتراف بان الله سبحانه قادر على مقدور العبد الزام وقوع المقدور الواحد بين القادرين والدليل ينفيه * قال السنى ماتعنى بقولك يلزم وقوع مقدور بين قادرين أتعنى به قادرين مستقلين متكافئين أم تعنى به قادرين تكون قدرة أحدهما مستفادة من الآخر فان عنيت الاول منعت الملازمة وان عنيت الثاني منع انتفاء اللازم ومثبتو الكسب يجيبون عن هذا بانه لايمتنع وقوع مقدور بين قادرين لقدرة أحدهما تأثير في ايجاده ولقدرة الآخر تأثير في صفته كما يقوله القاضى أبو بكر ومن تبعه والاشعرى يجيب عنه على أصله بان الفعل وقع بين قادرين لاتأثير لقدرة أحدهما في المقدور بل تعلق قدرته بمقدورها كتعلق العلم بمعلومه وانما الممتنع عنده وقوع مقدور بين قادرين مؤثرين وهذا الاعتذار لايخرج عن الجبر وان زخرفت له العبارات * وأجاب عنه الحسينية بما حكيناه انه لايمتنع مقدور بين قادرين على سبيل البدل ويمتنع على سبيل الجمع وقد تقدم فساده وأجاب عنه المشايخية بانه مقدور للعبد وليس مقدورا للرب وهذا أبطل الاجوبة وأفسدها والقائلون به يقولون ان الله سبحانه عن افكهم يريد الشئ فلا يكون ويكون الشئ بغير ارادته ومشيئته فيريد مالا يكون ويكون مالا يريد وكفى بهذا بطلانا وفسادا * قال الجبرى الفعل عند المرجح التام واجب والمرجح ليس من العبد والا لزم التسلسل فهو من الرب فاذا وجب الفعل عنده فهو الجبر بعينه * قال السنى قد تقدم هذا الدليل وبيان مافيه وحيث أعدتموه بهذه العبارة الوجيزة المختصرة فنحن نذكر الاجوبة عنه كذلك قولكم لابد من مرجح يرجح الفعل على الترك أو بالعكس مسلم قولكم المرجح ان كان من العبد لزم التسلسل وان كان من الرب لزم الجبر جوابه ماالمانع أن يكون من فعل العبد ولا يلزم التسلسل بان يكون من فعله على وجه لايكون الترك ممكنا له حينئذ ولا يلزم من سلب الاختيار عنه في فعل المرجح سلبه عنه مطلقا ثم ماالمانع أن يكون المرجح من فعل الله ولا يلزم الجبر فانكم ان

عنيتم بالجبر انه غير مختار للفعل ولا مريد له لم يلزم الجبر بهذا الاعتبار لان الرب سبحانه جعل المرجح اختيار العبد ومشيئته فانتفى الجبر وان عنيتم بالجبر انه وجد لا بايجاد العبد لم يلزم الجبر أيضا بهذا الاعتبار وان عنيتم انه يجب عند وجود المرجح وانه لابد منه فنحن لا ننفى الجبر بهذا الاعتبار وتسمية ذلك جبرا اصطلاح يختص بكم وهو اصطلاح فاسد فان فعل الرب سبحانه يجب عند وجود مرجحه التام ولا يكون ذلك جبرا بالنسبة اليه سبحانه ثم هذا لازم على من أثبت الكسب منكم فنقول له في الكسب ماقاله في أصل الفعل سواء ومن لم يثبت الكسب لزم ذلك في فعل الرب كما تقدم فان قلتم الفرق ان صدور الفعل عن القادر موقوف على الارادة وارادة العبد محدثة فافتقرت الى محدث فان كان ذلك المحدث هو العبد لزم التسلسل فوجب انتهاء جميع الارادات الى ارادة ضرورية يخلقها الله في القلب ابتداء ويلزم منه الجبر بخلاف ارادة الرب سبحانه فانها قديمة مستغنية عن ارادة أخرى فلا تسلسل قيل لكم لايجدى هذا عليكم في دفع الالزام فان الارادة القديمة اما أن يصح معها الفعل بدلا عن الترك وبالعكس أولا فان كان الاول فلا بد لاحد الطرفين من مرجح والكلام في ذلك المرجح كالكلام في الاول ويلزم التسلسل وان كان الثانى لزم الجبر * قال الجبرى معتمدى في الجبر على حرف لاخلاص لكم منه الا بالزام الجبر وهو ان العبد لو كان فاعلا لفعله لكان محدثا له ولو كان محدثا له لكان خالقا له والشرع والعقل ينفيه قال تعالى (يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لااله الا هو فأنى تؤفكون) * قال السنى قد دل العقل والشرع والحس على ان العبد فاعل له وانه يستحق عليه الذم واللعن كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى حمارا قد وسم في وجهه فقال ألم أنه عن هذا لعن الله من فعل هذا وقال تعالى (ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث) وقال (هل تجزون الا ماكنتم تعملون) وقال (ووفيت كل نفس ماعملت) وهذا في القرآن أكثر من أن يذكر والحس شاهد به فلا تقبل شبهة تقام على خلافه ويكون حكم تلك الشبهة حكم القدح في الضروريات فلا يلتفت اليه ولا يجب على العالم حل كل شبهة تعرض لكل أحد فان هذا لا آخر له فقولكم لو كان فاعلا لفعله لكان محدثا له ان أردتم بكونه محدثا صدور الفعل منه اتحد اللازم والملزوم وصار حقيقة قولكم لو كان فاعلا لكان فاعلا وان أردتم بكونه محدثا كونه خالقا سألناكم ماتعنون بكونه خالقا هل تعنون به كونه فاعلا أم تعنون به أمرا آخر فان أردتم الاول كان اللازم فيه عين الملزوم وان أردتم أمرا آخر غير كونه فاعلا فبينوه * فان قلتم نعنى به كونه موجدا للفعل من العدم الى الوجود * قيل هذا معنى كونه فاعلا فما الدليل على احالة هذا المعنى فسموه ماشئتم احداثا أو ايجادا أو خلقا فليس الشأن في التسميات وليس الممتنع الا أن يكون مستقلا بالايجاد وهذا غير لازم لكونه فاعلا فانا قد بينا ان غاية قدرة العبد وارادته ودواعيه وحركته أن تكون جزء سبب وما توقف عليه الفعل من الاسباب التى لاتدخل تحت قدرته أكثر من الجزء الذى اليه بأضعاف مضاعفة والفعل لايتم الابها * فان قيل فهذا الجبر بعينه * قيل ذلك السبب الذى أعنى به من القدرة والارادة هو الذى أخرجه من الجبر وأدخله في الاختيار وكون ذلك السبب من خالقه وفاطره ومنشيه هو الذى أخرجه من الشرك والتعطيل وأدخله في باب التوحيد فالاول

أدخله في باب العدل والثاني أدخله في باب التوحيد ولم يكن ممن نقض التوحيد بالعدل ولا ممن نقض العدل بالتوحيد فهؤلاء جنوا على التوحيد وهؤلاء جنوا على العدل وهدى الله أهل السنة للتوحيد والعدل والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

الباب العشرون

في ذكر مناظرة بين قدرى سني

قال القدرى قد أضاف الله الاعمال الى العباد بانواع الاضافة العامة والخاصة فاضافها اليهم بالاستطاعة تارة كقوله (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات) وبالمشيئة تارة كقوله لمن شاء منكم أن يستقيم وبالارادة تارة كقول الخضر فاردت ان أعيبها وبالفعل والكسب والصنع كقوله يفعلون يعملون بما كنتم تكسبون لبئس ما كانوا يصنعون وأما بالاضافة الخاصة فكاضافة الصلاة والصيام والحج والطهارة والزنا والسرقة والقتل والكذب والكفر والفسوق وسائر أفعالهم اليهم وهذه الاضافة تمتنع اضافتها اليه كما ان اضافة أفعاله تعالى تمتنع اضافتها اليهم فلا تجوز اضافة أفعالهم اليه سبحانه دونهم ولا اليه معهم فهى اذا مضافة اليهم دونه قال السني هذا الكلام مشتمل على حق وباطل أما قولك انه اضاف الافعال اليهم فحق لاريب فيه وهذا حجة لك على خصومك من الجبرية وهم يجيبونك بان هذا الاسناد لاحقيقة له وانما هو نسبة مجازية صححها قيام الافعال بهم كما يقال جرى الماء وبرد وسخن ومات زيد ونحن نساعدك على بطلان هذا الجواب ومنافاته للعقول والشرائع والفطر ولكن قولك هذه الاضافة تمنع اضافتها اليه سبحانه كلام فيه اجمال وتلبيس فان أردت بمنع الاضافة اليه منع قيامها به ووصفه بها وجريان أحكامها عليه واشتقاق الاسماء منها له فنعم هى غير مضافة اليه بشيء من هذه الاعتبارات والوجوه وان أردت بعدم اضافتها اليه عدم اضافتها الى علمه بها وقدرته عليها ومشيئته العامة وخلقه فهذا باطل فانها معلومة له سبحانه مقدورة له مخلوقة واضافتها اليهم لاتمنع هذه الاضافة كالاموال فانها مخلوقة له سبحانه وهى ملكه حقيقة قد أضافها اليهم فالاعمال والاموال خلقه وملكه وهو سبحانه يضيفها الى عبيده وهو الذى جعلهم مالكيها وعامليها فصحت النسبتان وحصول الاموال بكسبهم وارادتهم كحصول الاعمال وهو الذى خلق الاموال وكاسبيها والاعمال وعامليها فاموالهم وأعمالهم ملكه وبيده كما ان اسماعهم وأبصارهم وأنفسهم ملكه وبيده فهو الذى جعلهم يسمعون ويبصرون ويعملون فاعطاهم حاسة السمع والبصر وقوة السمع والبصر وفعل الاسماع والابصار وأعطاهم آلة العمل وقوة العمل ونفس العمل فنسبة قوة العمل الى اليد والكلام الى اللسان كنسبة قوة السمع الى الاذن والبصر الى العين ونسبة الرؤية والاستماع اختيارا الى محلهما كنسبة الكلام والبطش الى محلهما وان كانوا هم الذين خلقوا لانفسهم الرؤية والسمع فهل خلقوا محالهما وقوى المحل والاسباب الكثيرة التى تصلح معها الرؤية والسمع أم الكل خلق من هو خالق كل شيء وهو الواحد القهار قال القدرى لو كان الله سبحانه هو الفاعل لافعالهم لاشتقت له منها الاسماء وكان أولى باسمائها منهم اذ لا يعقل الناس على اختلاف لغاتهم وعاداتهم ودياناتهم قائما الامن فعل القيام وآكلا الامن فعل الاكل وسارقا الامن فعل السرقة وهكذا جميع الافعال لازمها ومتعديها

فقلبتم

فقلبتم أتم الامر وقلبتم الحقائق فقلتم من فعل هـذه الافعال حقيقة لايشتق له منها اسم وانما يشتق منها الاسماء لمن لم يفعلها ولم يحدثها وهذا خلاف المعقول واللغات وماتتعارفه الامم قال السني هذا انما يلزم اخوانك وخصومك الجبرية القائلين بان العبد لم يفعل شيئا البتة وأما من قال العبد فاعل لفعله حقيقة والله خالقه وخالق آلات فعله الظاهرة والباطنة فانه انما يشتق الاسماء لمن فعل تلك الافعال فهو القائم والقاعد والمصلي والسارق والزاني حقيقة فان الفعل اذا قام بالفاعل عاد حكمه اليه ولم يعد الى غيره واشتق له منه اسم ولم يشتق لمن لم يقم به فههنا أربعة أمور أمران معنويان في النفي والاثبات وأمران لفظيان فيهما فلما قام الاكل والشرب والزنا والسرقة بالعبد عادت أحكام هـذه الافعال اليه واشتقت له منها الاسماء وامتنع عود أحكامها الى الرب واشتقاق أسمائها له ولكن من أين يمنع هذا أن تكون معلومة للرب سبحانه مقدورة له مكونة له واقعة من العباد بقدرة ربهم وتكوينه قال القدري لو كان خالقا لها لزمته هذه الامور قال السني هذا باطل ودعوى كاذبة فانه سبحانه لايشتق له اسم مما خلقه في غيره ولايعود حكمه عليه وانما يشتق الاسم لمن قام به ذلك فانه سبحانه خالق الألوان والطعوم والروائح والحركات في محالها ولم يشتق له منها اسم ولاعادت أحكامها اليه ومعنى عود الحكم الى المحل الاخبار عنه بانه يقوم ويقعد ويأكل ويشرب قال السني ومن ههنا علم ضلال المعتزلة الذين يقولون ان القرآن مخلوقا خلقه الله في محل ثم اشتق له اسم المتكلم باعتبار خلقه له وعاد حكمه اليه فاخبر عنه انه تكلم به ومعلوم ان الله سبحانه خالق صـفات الاجسام واعراضها وقواها فكيف جاز أن يشتق له اسم مما خلقه من الكلام في غيره ولم يشتق له اسم مما خلقه من الصـفات والاعراض في غيره فانت أيها القدري نقضت أصولك بعضها ببعض وأفسدت قولك في مسـئلة الكلام بقولك في مسـئلة القدر وقولك في القدر بقولك في الكلام فجعلته متكلما بكلام قائم بغيره وأبطلت أن يكون فاعل الفـعل قائما بغيره فان كنت أصبت في مسألة الكلام فقد نقضت أصلك في القدر وان أصبت في هذا الاصل لزم خطأك في مسألة الكلام فانت مخطئ على التقديرين قال القدري فما تقول أنت في هذا المقام قال السني لاتناقض في هذا ولافي هذا بل اصفه سبحانه بما قام به وامتنع من وصفه بما لم يقم قال القدري فالآن حمي الوطيس فانت والمسـلمون وسائر الخلق تسمونه تعالى خالقا ورازقا ومميتا والخلق والرزق والموت قائم بالمخـلوق والمرزوق والميت اذلو قام ذلك بالرب سبحانه فالخلق اما قديم واما حادث فان كان قديما لزم قدم المخلوق لانه نسبة بين الخالق والمخلوق ويلزم من كونها قديمة قدم المصحح لها وان كان حادثا لزم قيام الحوادث به وافتقر ذلك الخلق الى خلق آخر فلزم التسلسـل فثبت ان الخلق غير قائم به سبحانه وقد اشـتق له منه اسم قال السني أي لازم من هذه اللوازم التزمه المرء كان خيرا من أن ينفي صفة الخالقية عن الرب سبحانه فان حقيقة هذا القول انه غير خالق فان اثبات خالق بلا خلق اثبات اسم لامعنى له وهو كاثبات سميع لاسمع له وبصير لابصر له ومتكلم وقادر لا كلام له ولاقدرة فتعطيل الرب سبحانه عن فعله القائم به كتعطيله عن صـفاته القائمة به والتعطيل انواع تعطيل المصنوع عن الصانع وهو تعطيل الدهرية والزنادقة وتعطيل الصانع عن صـفات كماله ونعوت جلاله وهو تعطيل الجهمية نفاة الصـفات وتعطيله عن أفعاله وهو أيضا تعطيل الجهمية وهـم أبنائه ودب فيمن عداهم من الطوائف فقالوا لايقوم بذاته فعل لان الفعل

حادث وليس محلا للحوادث كما قال اخوانهم لاتقوم بذاته صفة لان الصفة عرض وليس محلا للاعراض فلو التزم الملتزم أى قول التزمه كان خيرا من تعطيل صفات الرب وأفعاله فالمشبهة ضلالهم وبدعتهم خير من المعطلة ومعطلة الصفات خير من معطلة الذات وان كان التعطيلان متلازمين لاستحالة وجود ذات قائمة بنفسها لاتوصف بصفة فوجود هذه محال في الذهن وفي الخارج ومعطلة الافعال خير من معطلة الصفات فان هؤلاء نفوا صفة الفعل واخوانهم نفوا صفات الذات وأهل السمع والعقل وحزب الرسول والفرقة الناجية برآء من تعطيل هؤلاء كلهم فانهم أثبتوا الذات والصفات والافعال وحقائق الاسماء الحسنى اذجعلها المعطلة مجازا لاحقيقة له فشر هذه الفرق لخيرها الفداء والمقصود انه أى قول لزمه الملتزم كان خيرا من نفي الخلق وتعطيل هذه الصفة عن الله واذا عرض على العقل السليم مفعول لافاعل له ومفعول لافاعل لفعله لم يجد بين الامرين فرقا في الاحالة فمفعول بلا فعل كمفعول بلا فاعل لافرق بينهما البتة فليعرض العاقل على نفسه القول بتسلسل الحوادث والقول بقيام الافعال بذات الرب سبحانه والقول بوجود مخلوق حادث عن خلق قديم قائم بذات الرب سبحانه والقول بوجود مفعول بلا فعل ولينظر أى هذه الاقوال أبعد عن العقل والسمع وأيها أقرب اليهما ونحن نذكر أجوبة الطوائف عن هذا السؤال فقالت طائفة يختار من هذا التقسيم والترديد كون الخلق والتكوين قديما قائما بذات الرب سبحانه ولا يلزمنا قدم المخلوق المكون كما نقول نحن وأنتم ان الارادة قديمة ولا يلزم من قدمها قدم المراد وكل ماأجبتم به في صورة الالزام فهو جوابنا بعينه في مسألة المكون وهذا جواب سديد وهو جواب جمهور الحنفية والصوفية واتباع الائمة فان قلتم انما لايلزم من قدم الارادة قدم المراد لانها تتعلق بوجود المراد في وقته فهو يريد كون الشئ في ذلك الوقت واما تكوينه وخلقه قبل وجوده فمحال قيل لكم لسنا نقول انه كونه قبل وقت كونه بل التكوين القديم اقتضى كونه في وقته كما اقتضت الارادة القديمة كونه في وقته فان قلتم كيف يعقل تكوين ولا مكون قيل كما عقلتم ارادة ولا مراد فان قلتم المريد قد يريد الشئ قبل كونه ولا يكونه قبل كونه قيل كلامنا في الارادة المستلزمة لوجوده في الارادة التى لاتستلزم المراد وارادة الرب سبحانه ومشيئته تستلزم وجود مراده وكذلك التكوين يوضحه ان التكوين هو اجتماع القدرة والارادة وكلمة التكوين وذلك كله قديم ولم يلزم منه قدم المكون قالوا واذا عرضنا هذا على العقول السليمة وعرضنا عليها مفعولا بلا فعل بادرت الى قبول ذاك وانكار هذا فهذا جواب هؤلاء وقالت الكرامية بل نختار من هذا الترديد كون التكوين حادثا وقولكم يلزم من ذلك قيام الحوادث بذات الرب سبحانه فالتكوين هو فعله وهو قائم به وكانكم قلتم يلزم من قيام فعله به قيامه به وسميتم أفعاله حوادث وتوسلتم بهذه التسمية الى تعطيلها كما سمى اخوانكم صفاته اعراضا وتوسلوا بهذه التسمية الى نفيها عنه وكما سموا علوه على مخلوقاته واستواءه على عرشه تحيزا وتوسلوا بهذه الى نفيه وكما سموا وجهه الاعلى ويديه جوارح وتوسلوا بذلك الى نفيها قالوا ونحن لاننكر أفعال خالق السموات والارض وما بينهما وكلامه وتكليمه ونزوله الى السماء واستواءه على عرشه ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده وندائه لانبيائه ورسله وملائكته وفعله ماشاء بتسميتكم لهذا كله حوادث ومن أنكر ذلك فقد أنكر كونه

رب العالمين فانه لايتقرر في العقول والفطر كونه ربا للعالمين الا بان يثبت له الافعال الاختيارية وذات لاتفعل ليست مستحقة للربوبية ولا للالهية فالاجلال من هـذا الاجلال واجب والتنزيه عن هذا التنزيه متعين فتنزيه الرب سبحانه عن قيام الافعال به تنزيه له عن الربوبية وملكه قالوا ولنا على صحة هذه المسألة أكثر من ألف دليل من القرآن والسنة والعقول وقد اعترف أفضل متأخريكم بفساد شبهكم كلها على انكار هذه وذكرها شبهة شبهة وأفسدها والتزم بها جميع الطوائف حتى الفلاسفة الذين هم أبعد الطوائف من اثبات الصفات والافعال قالوا ولا يمكن اثبات حدوث العالم وكون الرب خالقا ومتكلما وسامعا ومبصرا ومجيبا للـدعوات ومدبرا للمخلوقات وقادرا ومريدا الا القول بانه فعال وان أفعاله قائمة به فاذا بطل أن يكون له فعل وان تقوم بذاته الامور المتجددة بطل هذا كله

﴿ فصـل ﴾ وقد أجاب عن هذا عبد العزيز بن يحيى الكناني في حيـدته فقال في سؤاله للمريسي بأى شئ حدثت الاشياء فقال له أحدثها الله بقدرته التي لم تزل فقلت له أحدثها بقدرته كما ذكرت أو ليس تقول انه لم يزل قادرا قال بلى قلت فتقول انه لم يزل يفعل قال لاأقول هـذا قلت فلا بد ان نلزمك أن تقول انه خلق بالفعل الذى كان بالقدرة لان القدرة صفة ثم قال عبد العزيز لم أقل لم يزل الخالق يخلق ولم يزل الفاعل يفعل وانما الفعل صفة والله يقدر عليه ولا يمنعه منه مانع فاثبت عبد العزيز فعلا مقدورا لله هو صفة ليس من المخلوقات وانه به خلق المخلوقات وهذا صريح في ان مذهبه كمذهب السلف وأهـل الحديث لان الخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول كما حكاه البغوى اجماعا لاهل السنة وقد صرح عبد العزيز ان فعله سبحانه القائم به وانه خلق به المخلوقات كما صرح به البخارى في آخر صحيحه وفي كتاب خلق الافعال قال في صحيحه باب ماجاء في تخليق السموات والارض وغـيرها من الخلائق وفعل الرب وأمره فالرب سبحانه بصفاته وفعـله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غـير مخلوق وماكان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون فصرح امام السـنة ان صفة التخليق هى فعل الرب وأمره وانه خالق بفعله وكلامه وجميع جند الرسول وحزبه مع محمد بن اسماعيل في هذا والقرآن مملوء من الدلالة عليه كما دل عليـه العقل والفطرة قال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهـم) ثم أجاب نفسـه بقوله (بلى وهو الخلاق العليم) فاخبر انه قادر على نفس فعله وهو أن يخلق فنفس أن يخلق فعل له وهو قادر عليـه ومن يقول لافعل له وان الفعل هو عين المفعول يقول لايقدر على فعل يقوم به البتة بل لايقدر الا على المفعول المباين له الحادث بغير فعل منه سبحانه وهذا أبلغ في الاحالة من حدوثه بغير قدرة بل هو في الاحالة كحدوثه بغـير فاعل فان المفعول يدل على قدرة الفاعل باللزوم العقلى ويدل على فعـله الذى وجد به بالتضمن فاذا سلبت دلالتـه التضمنية كان سلب دلالته اللزومية أسهل ودلالة المفعول على فاعله وفعله دلالة واحدة وهى أظهر بكثير من دلالته على قدرته وارادته وذكر قدرة الرب سبحانه على أفعاله وتكوينه في القرآن كثير كقوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم وأن يبعث هو نفس فعله والعذاب هو مفعوله المباين له وكذلك قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) فاحياء الموتى نفس فعـله وحياتهـم مفعوله المباين له وكلاهما مقـدور له وقال تعالى (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) فتسوية البنان فعله واستواؤها

مفعوله ومنكرو الافعال يقولون ان الرب سبحانه يقدر على المفعولات المباينة له ولا يقدر على فعل يقوم بنفسه لالازم ولا متعدو أهل السنة يقولون الرب سبحانه يقدر على هذا وعلى هذا وهو سبحانه له الخلق والامر فالجهمية أنكرت خلقه وأمره وقالوا خلقه نفس مخلوقه وأمره مخلوق من مخلوقاته فلا خلق ولا أمر ومن أثبت له الكلام القائم بذاته ونفى أن يكون له فعل فقد أثبت الامر دون الخلق ولم يقل أحد بقيام أفعاله به ونفى صفة الكلام عنه فيثبت الامر دون الخلق وأهل السنة يثبتون له تعالى ماأثبته لنفسه من الخلق والامر فالخلق فعله والامر قوله وهو سبحانه يقول ويفعل وأجابت طائفة أخرى من أهل السنة والحديث عن هذا بالتزام التسلسل وقالوا ليس في العقل ولا في الشرع ماينفي دوام فاعلية الرب سبحانه وتعاقب أفعاله شيئا قبل شيء الى غير غاية كما تتعاقب شيئا بعد شيء الى غير غاية فلم تزل أفعالا قالوا والفعل صفة كمال ومن يفعل أكمل ممن لايفعل قالوا ولا يقتضي صريح العقل الا هذا ومن زعم ان الفعل كان ممتنعا عليه سبحانه في مدد غير مقدرة لانهاية لها ولا يقدر أن يفعل ثم انقلب الفعل من الاستحالة الذاتية الى الامكان الذاتي من غير حدوث سبب ولا تغير في الفاعل فقد نادى على عقله بين الانام قالوا واذا كان هذا في العقول جاز أن ينقلب العالم من العدم الى الوجود من غير فاعل وان امتنع هذا في بداية العقول فكذلك نجد امكان الفعل وانقلابه من الامتناع الذاتي الى الامكان الذاتي بلا سبب واما أن يكون هذا ممكنا وذاك ممتنعا فليس في العقول مايقضي بذلك قالوا والتسلسل لفظ مجمل لم يرد بنفيه ولا اثباته كتاب ناطق ولا سنة متبعة فيجب مراعاة لفظه وهو ينقسم الى واجب وممتنع وممكن كالتسلسل في المؤثر محال ممتنع لذاته وهو أن يكون مؤثرين كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله لاالى غاية والتسلسل الواجب مادل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الابد وانه كلما انقضى لاهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لانفاد له وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرق الازل وان كل فعل مسبوق بفعل آخر فهذا واجب في كلامه فانه لم يزل متكلما اذا شاء ولم تحدث له صفة الكلام في وقت وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته فان كل حي فعال والفرق بين الحي والميت بالفعل ولهذا قال غير واحد من السلف الحي الفعال * وقال عثمان بن سعيد كل حي فعال ولم يكن ربنا سبحانه قط في وقت من الاوقات المحققة أو المقدرة معطلا عن كماله من الكلام والارادة والفعل وأما التسلسل الممكن فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف كما يتسلسل في طرف الابد فانه اذا لم يزل حيا قادرا مريدا متكلما وذلك من لوازم ذاته فالفعل ممكن له بوجوب هذه الصفات له وأن يفعل أكمل من أن لايفعل ولا يلزم من هذا انه لم يزل الخلق معه فانه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدم لاأول له فلكل مخلوق أول والخالق سبحانه لاأول له فهو وحده الخالق وكل ماسواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن قالوا وكل قول سوى هذا فصريح العقل يرده ويقضي ببطلانه وكل من اعترف بان الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل لزمه أحد الامرين لابدله منهما اما أن يقول بان الفعل لم يزل ممكنا واما أن يقول لم يزل واقعا والا تناقض تناقضا بينا حيث زعم ان الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل والفعل محال ممتنع لذاته لو أراده لم يمكن وجوده بل فرض ارادته عنده محال وهو مقدور له وهذا قول ينقض بعضه بعضا وأجابت طائفة أخرى بالجواب المركب على جميع التقادير فقالوا

تسلسل

تسلسل الآثار اما أن يكون ممكنا أو ممتنعا فان كان ممكنا فلا محذور في التزامه وان كان ممتنعا لم يلزم من بطلانه بطلان الفعل الذى لايكون المخلوق الا به فانا نعلم أن المفعول المنفصل لايكون الا بفعل والمخلوق لايكون الا بخلق قبل العلم بجواز التسلسل وبطلانه * ولهذا كثير من الطوائف يقولون الخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول مع قولهم ببطلان التسلسل مثل كثير من اتباع الائمة الاربعة وكثير من أهل الحديث والصوفية والمتكلمين ثم من هؤلاء من يقول الخلق الذى هو التكوين صفة كالارادة ومنهم من يقول بل هى حادثة بعد ان لم تكن كالكلام والارادة وهى قائمة به سبحانه وهم الكرامية ومن وافقهم أثبتوا حدوثها وقيامها بذاته وأبطلوا دوامها فرارا من القول بحوادث لاأول لها وكلا الفريقين لايقول ان ذلك التكوين والخلق مخلوق بل يقول ان المخلوق وجد به كما وجد بالقدرة قالوا فاذا كان القول بالتسلسل لازما لكل من قال ان الرب تعالى لم يزل قادرا على الخلق يمكنه أن يفعل بلا ممانع فهو لازم لك كما ألزمته لخصومك فلا ينفردون بجوابه دونك واما ماألزموك به من وجود مفعول بلا فعل ومخلوق بلا خلق فهو لازم لك وحدك قالوا ونحن انما قلنا الفعل صفة قائمة به سبحانه وهو قادر عليه لايمنعه منه مانع والفعل القائم به ليس هو المخلوق المنفصل عنه فلا يلزم أن يكون معه مخلوقا في الازل الا اذا ثبت ان الفعل اللازم يستلزم الفعل المتعدى وان المتعدى يستلزم دوام نوع المفعولات ودوام نوعها يستلزم أن يكون معه سبحانه في الازل شئ منها وهذه الامور لاسبيل لك ولا لغيرك الى الاستدلال على ثبوتها كلها وحينئذ فنقول أى لازم لزم من اثبات فعله كان القول به خيرا من نفى الفعل وتعطيله فان ثبت قيام فعله به من غير قيام الحوادث به كما يقوله كثير من الناس بطل قولكم وان لزم من اثبات فعله قيام الامور الاختيارية به والقول بانها مفتتحة ولها أول فهو خير من قولكم كما تقوله الكرامية وان لزم تسلسلها وعدم أوليتها في الافعال اللازمة فهو خير من قولكم وان لزم تسلسل الآثار وكونه سبحانه لم يزل خالقا كما دل عليه النص والعقل فهو خير من قولكم ولو قدر انه يلزم ان الخلق لم يزل مع الله قديما بقدمه كان خيرا من قولكم مع ان هذا لايلزم ولم يقل به أحد من أهل الاسلام بل ولا أهل الملل فكلهم متفقون على ان الله وحده الخالق وكل ماسواه مخلوق موجود بعد عدمه وليس معه غيره من المخلوقات يكون وجوده مساويا لوجوده فما لزم بعد هذا من اثبات خلقه وأمره وصفات كماله ونعوت جلاله وكونه رب العالمين وأن كماله المقدس من لوازم ذاته فانا به قائلون وله ملتزمون كما أنا ملتزمون لكل مالزم من كونه حيا عليما قديرا سميعا بصيرا متكلما آمرا ناهيا فوق عرشه بائن من خلقه يراه المؤمنون بأبصارهم عيانا في الجنة وفي عرصات القيامة ويكلمهم ويكلمونه فان هذا حق ولازم الحق مثله وما لم يلزم من اثبات ذلك من الباطل الذى تتخيله خفافيش العقول فنحن له منكرون وعن القول به عادلون وبالله التوفيق * قال القدرى كون العبد موجدا لافعاله وهو الفاعل لها من أجلى الضروريات والبديهيات فان كل عاقل يعلم من نفسه انه فاعل لما يصدر منه من الافعال الواقعة على وفق قصده وداعيته بخلاف حركة المرتعش والمجرور على وجهه وهذا لايتمارى فيه العاقل ولا يقبل التشكيك والقدح في ذلك والاستدلال على خلافه استدلال على بطلان ماعلمت صحته بالضرورة فلا يكون مقبولا * قال السنى قد اجابك خصومك من الجبرية عن هذا بان العاقل يعلم من نفسه وقوع الفعل مقارنا لقدرته

ولا يعلم من نفسه انه واقع بقدرته والفرق بين الامرين ظاهر ولو كان وقوعه بقدرته هو المعلوم بالضرورة لما خالف فيه جمع عظيم من العقلاء يستحيل عليهم الاطباق على جحد الضروريات وهذا الجواب مما لايشفي عليلا ولا يروي غليلا وهو عبارات لاحاصل تحتها فان كل عاقل يجد من نفسه وقوع الفعل بقدرته وارادته وداعيته فان ذلك هو المؤثر في الفعل ويجد تفرقة ضرورية بين مقارنة القدرة والداعية للفعل ومقارنة طوله ولونه وشمه وغير ذلك من صفاته للفعل ونسبة ذلك كله عند الجبرى الى الفعل نسبة واحدة والله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند القدرة والداعى لابهما وانما اقترن الداعي والقدرة بالفعل اقترانا مجردا ومعلوم ان هذا قدح في الضروريات ولا ريب ان من نظر الى تصرفات العقلاء ومعاملاتهم مع بعضهم بعضا وجدهم يطلبون الفعل من غيرهم طلب عالم بالاضطرار ان المطلوب منه الفعل هو المحصل له الواقع بقدرته وارادته ولذلك يتلطفون لوقوع الفعل منه بكل لطيفة ويحتالون عليه بكل حيلة فيعطونه تارة ويزجرونه تارة ويخوفونه تارة ويتوصلون الى اخراج الفعل منه بأنواع الرغبة والرهبة ويقولون قد فعل فلان كذا فمالك لاتفعل كما فعل وهذا أمر مشاهد بالحس والضرورة فالعقلاء ساكنو الانفس الى ان الفعل من العبد يقع وبه يحصل ولو حرك أحدهم أصبعه فشتمت المحرك لها لغضب وشتمك وقال كيف تشتمنى ولم يقل لم تشتم ربى وهذا أوضح من أن يضرب له الامثال أو يبسط فيه المقال وما يعرض في ذلك من الشبه جار مجرى السفسطة وقد فطر الله العقلاء على ذم فاعل الاساءة ومدح فاعل الاحسان وهذا يدل على انهم مفطورون على العلم بانه فاعل لان الذم فرع عليه ويستحيل أن يكون الفرع معلوما باضطرار والاصل ليس كذلك والعقلاء قاطبة يعلمون ان الكاتب مثلا يكتب اذا أراد ويمسك اذا أراد وكذلك البانى والصانع وانه اذا عجزت قدرته أوعدمت ارادته بطل فعله فان عادت اليه القدرة والارادة عاد الفعل وقولك لو كان ذلك أمرا ضروريا لاشترك العقلاء فيه جوابك انه لايجب الاشتراك في الضروريات فكثير من العقلاء يخالفون كثيرا من الضروريات لدخول شبهة عليهم ولا سيما اذا تواطؤا عليها وتناقلوها كمخالفة الفلاسفة في الالهيات بيسير من الضروريات وهم جمع كثير من العقلاء وهؤلاء النصارى يقولون مايعلم فساده بضرورة العقل وهم يناظرون عليه وينصرونه وهؤلاء الرافضة يزعمون أن أبا بكر وعمر لم يؤمنا بالله ورسوله طرفة عين ولم يزالا عدوين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مترصدين لقتله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام عليا على رؤس جميع الصحابة وهم ينظرون اليه جهرة وقال هذا وصيى وولى العهد من بعدى فكلكم له تسمعون وأطبقوا على كتمان هذا النص وعصيانه وهؤلاء الجهمية ومن قال بقولهم يقولون مايخالف صريح العقل من وجود مفعول بلا فعل ومخلوق بلا خلق وهؤلاء الفلاسفة وهم المدلون بعقولهم يثبتون ذواتا قائمة بأنفسهم خارج الذهن ليست في العالم ولا خارجة عن العالم ولا متصلة به ولا منفصلة عنه ولا مباينة له ولا محايثة وهو مايعلم بصريح العقل فساده وهؤلاء طائفة الاتحادية تزعم أن الله هو هذا الوجود وان التعدد والتكثير فيه وهم محض وهؤلاء منكرو الاسباب يزعمون أنه لاحرارة في النار يحرق بها ولا رطوبة في الماء يروى بها وليس في الاجسام أصلا لاقوى ولا طبائع ولا في العالم شئ يكون سببا لشئ آخر البتة وان لم تكن هذه الامور جحدا للضروريات فليس في العالم من جحد الضروريات وان كانت جحدا

للضروريات

للضروريات بطل قولكم ان جمعا من العقلاء لايتفقون على ذلك والاقوال التى يجحد بها المتكلمون الضروريات أضعاف أضعاف ماذكرناه فهم أجحد الناس لما يعلم بضرورة العقل وكيف يصح في عقل سليم سميع لاسمع له بصير لابصر له حى لاحياة له أم كيف يصح عند ذى عقل مرئى يرى بالابصار عيانا لافوق الرائى ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا عن يساره ولا خلفه ولا امامه أم كيف يصح عند ذى عقل اثبات كلام قديم أزلى لو كان البحر يمده من بعده سبعة أبحر وجميع أشجار الارض على اختلافها وكبرها وصغرها أقلام يكتب به انفدت البحار وفنيت الاقلام ولم يفن ذلك الكلام ومع هذا فهو معنى واحد لاجزء له ولا ينقسم وهو والنهى فيه عين الامر والنفى فيه عين الاثبات والخبر فيه عين الاستخبار والتوراة فيه عين الانجيل وعين القرآن وذلك كله أمر واحد انما يختلف بمسمياته ونسبه وقد أطبق على هذا جمع عظيم من العقلاء وكفروا من خالفهم فيه واستحلوا منهم ماحرمه الله وهؤلاء الجهمية يقولون ان للعالم صانعا قائما بذاته ليس في العالم ولا هو خارج العالم ولا فوق العالم ولا تحته ولا خلفه ولا امامه ولا عن يمينه ولا عن يسرته ولا هو مباين له ولا محايث له فوصفوا واجب الوجود بصفة ممتنع الوجود وكفروا من خالفهم في ذلك واستحلوا دمه وقالوا مايعلم فساده بصريح العقل ولو ذهبنا نذكر ماجحد فيه أكثر الطوائف الضروريات لطال الكتاب جدا وهؤلاء النصارى قد طبقت شرق الارض وغربها وهم من أعظم الناس جحدا للضروريات وهؤلاء الفلاسفة هم أهل المعقولات وهم من أكثر الناس جحدا للضروريات فاتفاق طائفة من الطوائف على المقالة لايدل على مخالفتها لصريح العقل وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾ قال القدرى قال الله سبحانه (ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وعند الجبرى ان الكل فعل الله وليس من العبد شئ * قال الجبرى في الكلام استفهام مقدر تقديره أفمن نفسك فهو انكار لا اثبات وقرأها بعضهم فمن نفسك بفتح الميم ورفع نفسك أى من أنت حتى تفعلها قال ولا بد من تأويل الآية والا ناقض قوله في الآية التى قبلها (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله) فاخبر ان الحسنات والسيئات جميعا من عنده لامن عند العبد * قال السنى أخطأتما جميعا في فهم الآية أقبح الخطأ ومنشأ غلطكما ان الحسنات والسيئات في الآية المراد بها الطاعات والمعاصى التى هى فعل العبد الاختيارى وهذا وهم محض في الآيه وانما المراد بها النعم والمصائب ولفظ الحسنات والسيئات في كتاب الله يراد به هذا تارة وهذا تارة فقوله تعالى (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقوله (ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) وقوله (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) وقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) وقوله (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) وقوله (ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) المراد في هذا كله النعم والمصائب وأما قوله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) وقوله (ان الحسنات يذهبن السيئات) وقوله (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) والمراد به في هذا كله الاعمال المأمور بها والمنهى عنها وهو سبحانه انما قال ماأصابك ولم يقل ماأصبت وما كسبت فما يفعله العبد يقال فيه

ماأصبت وكسبت وعملت كقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) وكقوله (من يعمل سوأ يجز به ومن يكسب خطيئة أو اثما) وقول المذنب التائب يارسول الله أصبت ذنبا فأقم على كتاب الله ولا يقال في هذا أصابك ذنب وأصابتك سيئة وما يفعل به بغير اختياره يقال فيه أصابك كقوله (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله (وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) وقوله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها) فجمع الله في الآية بين ماأصابوا بفعلهم وكسبهم وما أصابهم مما ليس فعلا لهم وقوله (ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وقوله (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) وقوله (فأصابتكم مصيبة الموت) فقوله (ماأصابك من حسنة) هو من هذا القسم الذى يصيبه العبد لاباختياره وهذا اجماع من السلف في تفسير هذه الآية * قال أبو العالية وان تصبكم حسنة هذا في السراء وان تصبهم سيئة هذا في الضراء * قال السدى الحسنة الخصب تنتج مواشيهم وانعامهم ويحسن حالهم فتلد نساؤهم الغلمان قالوا هذا من عند الله وان تصبهم سيئة قال الضر في أموالهم تشاءموا بمحمد وقالوا هذه من عنده قالوا بتركنا ديننا واتباعنا محمدا أصابنا ماأصابنا فانزل الله سبحانه ردا عليهم قل كل من عند الله الحسنة والسيئة وقال الوالبى عن ابن عباس ماأصابك من حسنة فمن الله قال مافتح الله عليك يوم بدر وقال أيضا هو الغنيمة والفتح والسيئة ماأصابه يوم أحد شج في وجهه وكسرت رباعيته وقال اما الحسنة فانعم الله بها عليك وأما السيئة فابتلاك بها وقال أيضا ماأصابك من نكبة فبذنبك وأنا قدرت ذلك عليك ذكر ذلك كله ابن أبى حاتم وفي تفسير أبى صالح عن ابن عباس ان تصبك حسنة الخصب وان تصبك سيئة الجدب والبلاء وقال ابن قتيبة في هذه الآية الحسنة النعمة والسيئة البلية فان قيل فقد حكى أبوالفرج بن الجوزى عن أبى العالية انه فسر الحسنة والسيئة في هذه الآية بالطاعة والمعصية وهو من أعلم التابعين فالجواب انه لم يذكر بذلك اسنادا ولا نعلم صحته عن أبى العالية وقد ذكر ابن أبى حاتم باسناده عن أبى العالية ماتقدم حكايته ان ذلك في السراء والضراء وهذا هو المعروف عن أبى العالية ولم يذكر ابن أبى حاتم عنه غيره وهو الذى حكاه ابن قتيبة عنه وقد يقال ان المعنيين جميعا مرادان باعتباران مايوفقه الله من الطاعات فهو نعمة في حقه أصابته من الله كما قال ومابكم من نعمة فمن الله فهذا يدخل فيه نعم الدين والدنيا ومايقع منه من المعصية فهو مصيبة أصابته من الله وان كان سببها منه والذى يوضح ذلك أن الله سبحانه اذا جعل السيئة هى الجزاء على المعصية من نفس العبد بقوله وماأصابك من سيئة فمن نفسك فالعمل الذى أوجب الجزاء أولى أن يكون من نفسه فلا منافاة بين أن تكون سيئة العمل من نفسه وسيئة الجزاء من نفسه ولاينافي ذلك ان يكون الجميع من الله قضاء وقدرا ولكن هو من الله عدل وحكمة ومصلحة وحسن ومن العبد سيئة وقبيح وقد روى عن ابن عباس انه كان يقرأها وما أصابك من سيئة فمن نفسك وانا قدرتها عليك وهذه القراءة زيادة بيان والافقد دل قوله قبل ذلك قل كل من عند الله على القضاء السابق والقدر النافذ والمعاصى قد تكون بعضها عقوبة بعض فيكون لله على المعصية عقوبتان عقوبة بمعصية تتولد منها وتكون الاولى سببا فيها وعقوبة بمؤلم يكون جزاءها كما في الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة

ولايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقا واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار ولايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقد ذكر الله سبحانه في غير موضع من كتابه ان الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الحسنة الاولى وان المعصية قد تكون عقوبة للمعصية الاولى فالاول كقوله تعالى ولوانهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما وقال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وأما قوله (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم) فيحتمل أن لايكون من هذا وتكون الهداية في الآخرة الى طريق الجنة فانه رتب هذا الجزاء على قتلهم ويحتمل أن يكون منه ويكون قوله سيهديهم ويصلح بالهم اخبارا منه سبحانه عما يفعله بهؤلاء الذين قتلوا في سبيله قبل ان قتلوا وأتى به بصيغة المستقبل اعلاما منه بانه يجدد له كل وقت نوعا من انواع الهداية واصلاح البال شيئا بعد شئ فان قلت فكيف يكون ذلك المستقبل خبرا عن الذين قتلوا قلت الخبر قوله فان يضل أعمالهم أى انه لايبطلها عليهم ولايترهم اياها هذا بعد ان قتلوا ثم أخبر سبحانه خبرا مستأنفا عنهم انه سيهديهم ويصلح بالهم لما علم انهم سيقتلون في سبيله وانهم بذلوا أنفسهم له فلهم جزاآن جزاء في الدنيا بالهداية على الجهاد وجزاء في الآخرة بدخول الجنة فيرد السامع كل جملة الى وقتها لظهور المعنى وعدم التباسه وهو في القرآن كثير والله أعلم وقال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) وقال (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) وقال (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) وقال (وان تطيعوه تهتدوا) وقال (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن) فضمن التمام معنى الانعام فعداه بعلى أى انعاما منا على الذى أحسن وهذا جزاء على الطاعات بالطاعات وأما الجزاء بالمعاصى على المعاصى فكقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقوله (ولاتكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم) وقوله (ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقوله (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقوله (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون) وقوله (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) وهو كثير في القرآن وعلى هذا فيكون النوعان من السيئات أعنى المصائب والمعايب من نفس الانسان وكلاهما بقدر الله فشر النفس هو الذى أوجب هذا وهذا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته المعروفة ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فشر النفس نوعان صفة وعمل والعمل ينشأ عن الصفة والصفة تتأكد وتقوى بالعمل فكل منهما يمد الآخر وسيئات الاعمال نوعان قد فسرهما الحديث أحدهما مساويها وقبائحها فتكون الاضافة فيه من النوع الى جنسه وهى اضافة بمعنى من أى السيئات من أعمالنا والثانى انها مايسوء العامل مما يعود عليه من عقوبة عمله فيكون من اضافة المسبب الى سببه وتكون الاضافة على معنى اللام وقد يرجح الاول بانه يكون قد استعاذ من الصفة والعمل الناشئ عنها وذلك يتضمن الاستعاذة من الجزاء السيئ

المترتب على ذلك فتضمنت الاستعاذة ثلاثة أمور الاستعاذة من العذاب ومن سببه الذى هو العمل ومن سبب العمل الذى هو الصفة وقد يرجح الثانى ان شر النفس يعم النوعين كما تقدم فسيئات الاعمال مايسوء من جزائها ونبه بقوله سيئات أعمالنا على ان الذى يسوء من الجزاء انما هو بسبب الاعمال الارادية لامن الصفات التى ليست من أعمالنا ولما كانت تلك الصفة شرا استعاذ منها وأدخلها في شر النفس وقال الصديق رضى الله تعالى عنه للنبى صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء ادعو به في صلاتى قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا إله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسى سوأ أوأجره الى مسلم قله اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعك * ولما كان الشر له مصدر يبتدى منه وغاية ينتهى اليها وكان مصدرها امامن نفس الانسان واما من الشيطان وغايته ان يعود على صاحبه أوعلى أخيه المسلم تضمن الدعاءهذه المراتب الاربعة باوجز لفظ وأوضحه وأبينه

﴿فصل﴾ قال السنى فليس لك أيها القدرى أن تحتج بالآية التى نحن فيها لمذهبك لوجوه أحدها انك تقول فعل العبد حسنة كان أوسيئة هو منه لامن الله بل الله سبحانه قد أعطى كل واحد من الاستطاعة مايفعل به الحسنات والسيئات ولكن هذا احدث من عند نفسه ارادة فعل بها الحسنات وهذا احدث ارادة فعل بها السيئات وليست واحدة من الارادتين من احداث الرب سبحانه البتة ولاأوجبتها مشيئته والآية قد فرقت بين الحسنة والسيئة وأنتم لاتفرقون بينهما فان الله عندكم لم يشاء هذا ولاهذا قال القدرى اضافة السيئة الى نفس العبد لكونه هو الذى أحدثها وأوجدها وأضاف الحسنة اليه سبحانه لكونه هو الذى أمر بهاوشرعها قال السنى الله سبحانه أضاف الى العبد ما أصابه من سيئة وأضاف الى نفسه ماأصاب العبد من حسنة ومعلوم ان الذى أصاب العبد هو الذى قام به والامر لم يقم بالعبد وانما قام به المأمور وهو الذى أصابه فالذى أصابه لاتصح اضافته الى الرب عندكم والمضاف الى الرب لم يقم بالعبد فعلم ان الذى أصابه من هذا وهذا أمر قائم به فلو كان المراد به الافعال الاختيارية من الطاعات والمعاصى لاستوت الاضافة ولم يصح الفرق وان افترقا فى كون أحدهما مأمورابه والآخر منهيا عنه على ان النهى أيضا من الله كما ان الامر منه فلو كانت الاضافة لاجل الامر لاستوى المأمور والمنهى في الاضافة لان هذا مطلوب ايجاده وهذا مطلوب اعدامه قال القدرى اناأجوز تعلق الطاعة والمعصية بمشيئة الرب سبحانه واحداثه على وجه الجزاء لاعلى سبيل الابتداء وذلك ان الله سبحانه يعاقب عبده بما شاء ويثيبه فكما يعاقبه بخلق الجزاء الذى يسوءه وخلق الثواب الذي يسره ولذلك يحسن أن يعاقبه بخلق المعصية وخلق الطاعة فان هذا يكون عدلا منه واما ان يخلق فيه الكفر والمعصيه ابتداء بلا سبب فمعاذ الله من ذلك قال السنى هذا توسط حسن جدا لايأباه العقل ولا الشرع ولكن من ابتدأ الاول وليس هو عندك مقدورا لله ولا واقعا بمشيئته فقد أثبت في ملكه مالايقدر عليه وادخلت فيه مالايشاء ونقضت أصلك كله فانك أصلت ان فعل العبد الاختيارى قدرة العبد عليه واختياره له ومشيئته تمنع قدرة الرب عليه ومشيئته له وهذا الاصل لافرق فيه بين الابتدائى والجزائى قال القدرى فالقرآن قد فرق بين النوعين وجعل الكفر والفسوق الثانى جزاء على الاول فعلم ان الاول من العبد قطعا والالم يستقم

جعل أحدهما عقوبة على الآخر وقد صرح بذلك في قوله (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) فاضاف نقض الميثاق اليهم وتقسية القلوب اليه فالاول سبب منهم والثانى جزاء منه سبحانه قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فاضاف عدم الايمان أولا اليهم اذهو السبب وتقليب القلوب وتركهم في طغيانهم هو الجزاء ومثله قوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) والآيات التى سمعتموها آنفا انما تدل على هذا قال السنى نعم هذا حق لكن ليس فيه اخراج السبب عن كونه مقدورا للرب سبحانه واقعا بمشيئته ولوشاء لحال بين العبد وبينه ووفقه لضده فهى البقية التى بقيت عليك من القدر كما ان انكار اثبات الاسباب واقتضائها لمسبباتها وترتبها عليها هى البقية التى بقيت على الجبرى في المسئلة أيضا وكلاكما مصيب من وجه مخطئ من وجه ولوتخلص كل منكما من البقية التى بقيت عليه لوجدتما روح الوفاق واصطلحتما على الحق وبالله التوفيق قال القدرى فما تقول انت أيها السنى في العقل الاول اذا لم يكن جزاء فما وجهه وأنت ممن يقول بالحكمة والتعليل وتنزه الرب سبحانه عن الظلم الذى هو ظلم لامايقوله الجبرى انه الجمع بين النقيضين قال السنى لايلزمنى في هذا المقام بيان ذلك فانى لم أنتصب له انما انتصبت لابطال احتجاجك بالآية لمذهبك الباطل وقد وفيت به ولله في ذلك حكم وغايات محمودة لاتبلغها عقول العقلاء ومباحث الاذكياء فالله سبحانه انما يضع فضله وتوفيقه وامداده في المحل الذى يصلح له ومالايصلح له من المحال يدعه غفلا فارغا من الهدى والتوفيق فيجرى مع طبعه الذى خلق عليه ولوعلم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولوأسمعهم لتولوا وهم معرضون قال القدرى فاذا كان الله سبحانه قد أحدث فيهم تلك الارادة والمشيئة المستلزمة لوجود الفعل كان ذلك ايجادا منه سبحانه لذلك فيهم كما أوجد الهدى والايمان في أهله قال السنى هذا معترك النزال وتفرق طرق العالم والله سبحانه أعطى العبد مشيئة وقدرة وارادة تصلح لهذا ولهذا ثم أمد أهل الفضل بامور وجودية زائدة على ذلك المشترك أوجب له الهداية والايمان وأمسك ذلك الامداد عمن علم انه لايصلح له ولايليق به فانصرفت قوى ارادته ومشيئته الى ضده اختيارا منه ومحبة لاكرها واضطرارا قال القدرى فهل كان يمكنه ارادة مالم يعن عليه ولم يوفق له بامداد زائد على خلق الارادة قال السنى ان أردت بالامكان انه يمكنه فعله لوأراده فنعم هو ممكن بهذا الاعتبار مقدور له وان أردت به انه ممكن وقوعه بدون مشيئة الرب واذنه فليس يمكن فانه ماشاء الله كان ووجب وجوده ومالم يشأ لم يكن وامتنع وجوده قال القدرى فقد سلمت حينئذ انه غير ممكن للعبد اذا لم يشأ الله منه ان يفعله فصار غير مقدور للعبد فقد عوقب على ترك ما لايقدر على فعله قال السنى عدم ارادة الله سبحانه للعبد ومشيئته ان يفعل لايوجب كون الفعل غير مقدور له فانه سبحانه لايريد من نفسه ان يعينه عليه مع كونه اقدره عليه ولايلزم من اقداره عليه وقوعه حتى توجد منه اعانة أخرى فانتفاء تلك الاعانة لايخرج الفعل عن كونه مقدورا للعبد فانه قد يكون قادرا على الفعل لكن يتركه كسلا وتهاونا وايثاراً لفعل ضده فلايصرف الله عنه ترك الواقع ولا يوجب عدم صرفه كونه عاجزا عن الفعل فان الله سبحانه يعلم انه قادر عليه بالقدرة التى أقدره بها ويعلم انه لايريده مع كونه قادرا عليه فهو سبحانه مريد له ومنه الفعل ولا يريد من نفسه اعانته وتوفيقه وقطع هذه الاعانة والتوفيق لايخرج الفعل عن كونه مقدورا له وان جعلته غير مراد وسر

المسئلة الفرق بين تعلق الارادة بفعل العبد وتعلقها بفعله هو سبحانه بعده فمن لم يحط معرفة بهذا الفرق لم يكشف له حجاب المسئلة قال الجبرى اما أن تقول ان الله علم ان العبد لايفعل أولم يعلم ذلك والثانى محال واذا كان قد علم انه لايفعله صار الفعل ممتنعا قطعا اذلو فعله لانقلب العلم القديم جهلا قال السنى هذه حجة باطلة من وجوه أحدها ان هذا بعينه يقال فيما علم الله انه لايفعله وهو مقدور له فانه لاينفع البتة مع كونه مقدوراله فما كان جوابك عن ذلك فهو جوابنا لك وثانيها ان الله سبحانه يعلم الامور على ماهى عليه فهو يعلم انه لايفعله لعدم ارادته له لالعدم قدرته عليه وثالثها ان العلم كاشف لاموجب وانما الموجب مشيئة الرب والعلم يكشف حقائق المعلومات * عدنا الى الكلام على الآية التى احتج بها القدرى وبيان انه لاحجة فيها من ثلاثة أوجه أحدها انه قال ماأصابك ولم يقل ماأصبت الثانى ان المراد بالحسنة والسيئة النعمة والمصيبة الثالث انه قال (قل كل من عند الله) فالانسان هو فاعل السيآت ويستحق عليها العقاب والله هو المنعم عليه بالحسنات عملا وجزاء والعادل فيه بالسيآت قضاء وجزاء ولوكان العمل الصالح من نفس العبد كما كان السيء من نفسه لكان الامران كلاهما من نفسه والله سبحانه قد فرق بين النوعين وفي الحديث الصحيح الالهى ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

﴿ فصل ﴾ قال الجبرى أول الآية محكم وهو قوله كل من عند الله وآخرها متشابه وهو قوله ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك قال القدرى آخرها محكم وأولها متشابه قال السنى أخطأتما جميعا بل كلاهما محكم مبين وانما أتيتما من قلة الفهم في القرآن وتدبره فليس بين اللفظين تناقض لافي المعنى ولافي العبارة فانه سبحانه وتعالى ذكر عن هؤلاء الناكلين عن الجهاد انهم ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا لرسوله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك أى بسبب ماأمرتنا به من دينك وتركنا ماكنا عليه أصابتنا هذه السيآت لانك أمرتنا بما أوجبها فالسيآت ههنا هى المصائب والاعمال التى ظنوا انها سبب المصائب هى التى أمروا بها وقولهم في السيئة التى تصيبهم هذه من عندك تتناول مصائب الجهاد التى حصلت لهم من الهزيمة والجراح وقتل من قتل منهم وتتناول مصائب الرزق على وجه التطير والتشاؤم أى أصابنا هذا بسبب دينك كما قال تعالى عن قوم فرعون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه أى اذا جاءهم مايسرون به ويتنعمون به من النعم قالوا نحن أهل ذلك ومستحقوه وان أصابهم مايسوءهم قالوا هذا بسبب ماجاء به موسى وقال أهل القرية للمرسلين اناتطيرنا بكم وقال قوم صالح له عليه الصلاة والسلام اطيرنا بك وبمن معك وكانوا يقولون لماينالهم من سبب الحرب هذا منك لانك أمرتنا بالاعمال الموجبة له وللمصائب الحاصلة من غير جهة العدو وهذا أيضا منك أى بسبب مفارقتنا لدينا ودين آبائنا والدخول في طاعتك وهذه حال كل من جعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سببا لشر أصابه من السماء أو من الارض وهؤلاء كثير في الناس وهم الاقلون عند الله تعالى قدرا الارذلون عنده ومعلوم انهم لم يقولوا هذه من عندك بمعنى أحدثتها ومن فهم هذا تبين له ان قوله تعالى (ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) لايناقض قوله تعالى قل كل من عند الله بل هذا تحقيق له فانه سبحانه

بين

بين ان النعم والمصائب كلها من عنده فهو الخالق لها المقدر لها المبتلى خلقه بها فهى من عنده ليس بعضها من عنده وبعضها خلقا لغيره فكيف يضاف بعضها الى الرسول صلى الله عليه وسلم وبعضها الى الله تعالى ومعلوم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدثها فلم يبق الاظهم انه سبب لحصولها اما في الجملة كحال أهل التطير واما في الواقعة المعينة كحال اللائمين له في الجهاد فابطل الله سبحانه ذلك الوهم الكاذب والظن الباطل وبين ان ماجاء به لايوجب الشر البتة بل الخير كله فما جاء صلى الله عليه وسلم به والشر بسبب أعمالهم وذنوبهم كما قال الرسل عليهم السلام لاهل القرية طائركم معكم ولا يناقض هذا قول صالح عليه السلام لقومه طائركم عند الله وقوله تعالى عن قوم فرعون (وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله) بل هاتان النسبتان نظير هاتين النسبتين في هذه الآية وهى نسبة السيئة الى نفس العبد ونسبة الحسنة والسيئة الى أنهما من عند الله عز وجل فتأمل اتفاق القرآن وتصديق بعضه بعضا فحيث جعل الطائر معهم والسيئة من نفس العبد فهو على جهة السبب والموجب أى الشر والشؤم الذى أصابكم هو منكم ومعكم فان أسبابه قائمة بكم كما تقول شرك منك وشؤمك فيك يراد به العمل وطائرك معك وحيث جعل ذلك كله من عنده فهو لانه الخالق له المجازى به عدلا وحكمة فالطائر يراد به العمل وجزاءه فالمضاف الى العبد العمل والمضاف الى الرب الجزاء فطائركم معكم طائر العمل وطائركم عند الله الجزاء فما جاءت به الرسل ليس سببا لشئ من المصائب ولا تكون طاعة الله ورسوله سببا لمصيبة قط بل طاعة الله ورسوله لاتوجب الا خيرا في الدنيا والآخرة ولكن قد يصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم وتقصيرهم في طاعة الله ورسوله كما لحقهم يوم أحد ويوم حنين وكذلك ماامتحنوا به من الضراء وأذى الكفار لهم ليس هو بسبب نفس ايمانهم ولا هو موجبه وانما امتحنوا به ليخلص مافيهم من الشر فامتحنوا بذلك كما يمتحن الذهب بالنار ليخلص من غشه والنفوس فيها ماهو من مقتضى طبعها فالامتحان يمحص المؤمن من ذلك الذى هو من موجبات طبعه كما قال تعالى (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) وقال (وليبتلى الله مافي صدوركم) فطاعة الله ورسوله لاتجلب الا خيرا ومعصيته لاتجلب الا شرا * ولهذا قال سبحانه فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا فانهم لو فقهوا الحديث لعلموا انه ليس في الحديث الذى أنزله الله على رسوله مايوجب شرا البتة ولعلموا انه سبب كل خير ولو فقهوا لعلموا ان العقول والفطر تشهد بان مصالح المعاش والمعاد متعلقة بما جاء به الرسول فلو فقهوا القرآن علموا انه أمرهم بكل خير ونهاهم عن كل شر وهذا مما يبين ان ماأمر الله به يعلم حسنه بالعقل وانه كله مصلحة ورحمة ومنفعة واحسان بخلاف مايقوله كثير من أهل الكلام الباطل انه سبحانه يأمر العباد بما لامصلحة لهم فيه بل يأمرهم بما فيه مضرة لهم وقول هؤلاء تصديق وتقرير لقول المتطيرين بالرسل

﴿ فصل ﴾ ومما يوضح الامر في ذلك انه سبحانه لما قال (ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) عقب ذلك بقوله (وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) وذلك يتضمن أشياء منها تنبيه أمته على أن رسوله الذى شهد له بالرسالة اذا أصابه مايكره فمن نفسه فما الظن بغيره ومنها ان حجة الله قد قامت عليهم بارساله فاذا أصابهم سبحانه بما يسوءهم لم يكن ظالما لهم في ذلك لانه قد أرسل رسوله اليهم يعلمهم بما فيه مصالحهم وما يجلبها لهم وما فيه مضرتهم وما يجلبها لهم

فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ومنها أنه سبحانه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات الدالة على صدقه وانه رسوله حقا فلا يضره جحد هؤلاء الجاهلين الظالمين المتطيرين به لرسالته ومن شهد له رب السموات والارض ومنها انهم أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتها حجة على ابطال رسالته فشهد له بالرسالة وأخبر ان شهادته كافية فكان في ضمن ذلك ابطال قولهم ان المصائب من عند الرسول صلى الله عليه وسلم واثبات أنها من عند أنفسهم بطريق الاولى ومنها ابطال قول الجهمية المجبرة ومن وافقهم في قولهم ان الله قد يعذب العباد بلا ذنب ومنها ابطال قول القدرية الذين يقولون ان أسباب الحسنات والسيئات ليست من الله بل هى من العبد ومنها ذم من لم يتدبر القرآن ولم يفقهه وان اعراضه عن تدبره وفقهه يوجب له من الضلال والشقاء بحسب اعراضه ومنها اثبات الاسباب وابطال قول من ينفيها ولا يرى لها ارتباطا بمسبباتها ومنها ان الخير كله من الله والشر كله من النفس فان الشر هو الذنوب وعقوبتها والذنوب من النفس وعقوباتها مترتبة عليها والله هو الذى قدر ذلك وقضاه وكل من عنده قضاء وقدرا وان كانت نفس العبد سببه بخلاف الخير والحسنات فان سببها مجرد فضل الله ومنه وتوفيقه كما تقدم تقريره ومنها أنه سبحانه لما رد قولهم ان الحسنة من الله والسيئة من رسوله وأبطله بقوله (قل كل من عند الله) رفع وهم من توهم ان نفسه لاتأثير لها في السيئة ولا هى منها أصلا بقوله (ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك) وخاطبه بهذا تنبيها لغيره كما تقدم ومنها أنه قال في الرد عليهم (قل كل من عند الله) ولم يقل من الله لما جمع بين الحسنات والسيئات والحسنة مضافة الى الله من كل وجه والسيئة انما تضاف اليه قضاء وقدرا وخلقا وأنه خالقها كما هو خالق الحسنة فلهذا قال (قل كل من عند الله) وهو سبحانه انما خلقها لحكمة فلا تضاف اليه من جهة كونها سيئة بل من جهة ماتضمنته من الحكمة والعدل والحمد وتضاف الى النفس كونها سيئة ولما ذكر الحسنة مفردة عن السيئة قال (ماأصابك من حسنة فمن الله) ولم يقل من عند الله فالخير منه وأنه موجب أسمائه وصفاته والشر الذى هو بالنسبة الى العبد شر من عنده سبحانه فانه مخلوق له عدلا منه وحكمة ثم قال (وماأصابك من سيئة فمن نفسك) ولم يقل من عندك لان النفس طبيعتها ومقتضاها ذلك فهو من نفسها والجميع من عند الله فالسيئة من نفس الانسان بلا ريب والحسنة من الله بلا ريب وكلاهما من عنده سبحانه قضاء وقدرا وخلقا ففرق بين مامن الله وبين مامن عنده والشر لايضاف الى الله ارادة ولا محبة ولا فعلا ولا وصفا ولا اسما فانه لايريد الا الخير ولا يحب الا الخير ولا يفعل شرا ولا يوصف به ولا يسمى باسمه وسنذكر في باب دخول الشر في القضاء الالهى وجه نسبته الى قضائه وقدره ان شاء الله

﴿ فصل ﴾ وقد اختلف في كاف الخطاب في قوله (ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) هل هى لرسول الله أو هى لكل واحد من الآدميين * فقال ابن عباس في رواية الوالبى عنه الحسنة مافتح الله عليه يوم بدر من الغنيمة والفتح والسيئة ماأصابه يوم أحد ان شج في وجهه وكسرت رباعيته * وقالت طائفة بل المراد جنس ابن آدم كقوله (ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم) روى سعيد عن قتادة (ماأصابك من سيئة فمن نفسك) قال عقوبة ياابن آدم بذنبك

ورجحت طائفة القول الاول * واحتجوا بقوله(وأرسلناك للناس رسولا) قالوا وأيضا فانه لم يتقدم ذكر الانسان ولا خطابه وانما تقدم ذكر الطائفة قالوا ماحكاه الله عنهم فلو كانوا هم المرادين لقال ماأصابهم أوماأصابكم على طريق الالتفات قالواوهذا من باب السبب لانه اذاكان سيدولد آدم وهكذا حكمه فكيف بغيره ورجحت طائفة القول الآخر * واحتجت بان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم لايصدر عنهمايوجبأن تصيبهبه سيئة قالوا والخطاب وان كان له في الصورة فالمراد به الامة كقوله (ياأيها النبي اذا طلقتم النساء) قالوا ولماكان أول الآية خطابا له أجرى الخطاب جميعه على وجه واحد فافرده في الثانى والمراد به الجميع والمعنى وما أصابكم من سيئة فمن أنفسكم فالاول له والثانى لامته ولهذا لما أفرد اصابة السيئة قال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم توليتم مدبرين) ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فاخبر ان الهزيمة بذنوبهم واعجابهم وان النصر بما أنزله على رسوله وأيده به اذ لم يكن منهمن سبب الهزيمة ماكان منه وجمعت طائفة ثالثة بين القولين وقالوا صورة الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد العموم كقوله (ياأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) ثم قال (واتبع مايوحى اليك من ربك) ثم قال (وتوكل على الله) وكقوله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وقوله (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) قالوا وهذا الخطاب نوعان نوع يختص لفظه به لكن يتناول غيره بطريق الاولى كقوله (ياأيها النبى لم تحرم ماأحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك) ثم قال (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) ونوع يكون الخطاب له وللامة فافرده بالخطاب لكونه هو المواجه بالوحى وهوالاصل فيه والمبلغ للامة والسفير بينهم وبين الله وهذا معنى قول كثير من المفسرين الخطاب له والمراد غيره ولم يريدوا بذلك أنه لم يخاطب بذلك أصلا ولم يرد به البتة بل المراد انه لماكان امام الخلائق ومقدمهم ومتبوعهم أفرد بالخطاب وتبعته الامة في حكمه كما يقول السلطان لمقدم العساكر أخرج غدا وأنزل بمكان كذا واحمل على العدو وقت كذا قالوا فقوله (ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) خطاب له وجميع الامة داخلون في ذلك بطريق الاولى بخلاف قوله (وأرسلناك للناس رسولا) فان هذا له خاصة قالوا وهذه الشرطية لاتستلزم الوقوع بل تربط الجزاء بالشرط وأما وقوع الشرط والجزاء فلا يدل عليه فهو مقدر في حقه محقق في حق غيره والله أعلم * قال القدرى اذا كانت الطاعات والمعاصى مقدرة والنعم والمصائب مقدرة فلم فرق سبحانه بين الحسنات التى هى النعم والسيآت التى هى المصائب فجعل هذه منه سبحانه وهذهمن نفس الانسان والجميع مقدر * قال السنى بينهمافروق الفرق الاول ان نعم الله واحسانه الى عباده يقع بلا كسب منهم أصلا بل الرب سبحانه ينعم عليهم بالعافية والرزق والنصر وارسال الرسل وانزال الكتب وأسباب الهداية فيفعل ذلك من لم يكن منه سبب يقتضيه وينشئ للجنة خلقا يسكنهم اياها بغير سبب منهم ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة بلا عمل وأما العقاب فلا يعاقب أحدا الا بعمله * الفرق الثانى ان عمل الحسنات من احسان الله

ومنه وتفضله عليه بالهداية والايمان كما قال أهل الجنة ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ فخلق الرب سبحانه لهم الحياة والسمع والبصر والعقول والافئدة وارسال الرسل وتبليغهم البلاغ الذى اهتدوا به والهامهم الايمان وتحبيبه اليهم وتزيينه في قلوبهم وتكريه ضده اليهم كل ذلك من نعمه كما قال تعالى ﴿ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾ فجميع مايتقلب فيه العالم من خير الدنيا والآخرة هو نعمة محضة بلا سبب سابق يوجب ذلك لهم ومن غير حول وقوة منهم الا به وهو خالقهم وخالق أعمالهم الصالحة وخالق جزائها وهذا كله منه سبحانه بخلاف الشر فانه لايكون الا بذنوب العبد وذنبه من نفسه واذا تدبر العبد هذا علم ان ماهو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر ربه على ذلك فزاده من فضله عملا صالحا ونعما يفيضها عليه واذا علم ان الشر لايحصل له الا من نفسه وبذنوبه استغفر ربه وتاب فزال عنه سبب الشر فيكون دائما شاكرا مستغفرا فلا يزال الخير يتضاعف له والشر يندفع عنه كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الحمد لله فيشكر الله ثم يقول نستعينه ونستغفره نستعينه على طاعته ونستغفره من معصيته ونحمده على فضله واحسانه ثم قال ونعوذ بالله من شرور أنفسنا لما استغفره من الذنوب الماضية استعاذ به من الذنوب التى لم تقع بعد ثم قال ومن سيئات أعمالنا فهذه استعاذة من عقوبتها كما تقدم ثم قال من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له فهذه شهادة للرب بانه المتصرف في خلقه بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء فاذا هدى عبدا لم يضله أحد واذا أضله لم يهده أحد وفي ذلك اثبات ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وقضائه وقدره الذى هو عقد نظام التوحيد وأساسه وكل هذا مقدمة بين يدى قوله وأشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فان الشهادتين انما تتحققان بحمد الله واستعانته واستغفاره واللجأ اليه والايمان باقداره والمقصود أنه سبحانه فرق بين الحسنات والسيئات بعد ان جمع بينهما في قوله كل من عند الله فجمع بينهما الجمع الذى لايتم الايمان الا به وهو اجتماعهما في قضائه وقدره ومشيئته وخلقه ثم فرق بينهما الفرق الذى ينتفعون به وهو ان هذا الخير والحسنة نعمة منه فاشكروه عليه يزدكم من فضله ونعمه وهذا الشر والسيئة بذنوبكم فاستغفروه يرفعه عنكم وأصله من شرور أنفسكم فاستعيذوا به يخلصكم منها ولا يتم ذلك الا بالايمان بالله وحده وهو الذى يهدى ويضل وهو الايمان بالقدر فادخلوا عليه من بابه فان أزمة الامور بيده فاذا فعلتم ذلك صدق منكم شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله فهذه الخطبة العظيمة عقد نظام الاسلام والايمان فلو اقتصر لهم على الجمع دون الفرق أعرض العاصى والمذنب عن ذم نفسه والتوبة من ذنوبه والاستعاذة من شرها وقام في قلبه شاهد الاحتجاج على ربه بالقدر وتلك حجة داحضة تبع الاشقياء فيها ابليس وهى لاتزيد صاحبها الا شقاء وعذابا كما زادت ابليس طردا وبعدا عن ربه وكما زادت المشركين ضلالا وشقاء حين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا وكما تزيد الذى يقول يوم القيامة لو أن الله هدانى لكنت من المتقين حسرة وعذابا ولو اقتصر لهم على الفرق دون الجمع لغابوا به في التوحيد والايمان بالقدر واللجأ الى الله في الهداية والتوفيق والاستعاذة به من شر النفس وسيئات العمل والافتقار التام الى اعانته وفضله وكان في الجمع والفرق

بيان حق العبودية وسيأتى تمام هذا الكلام على هذا الموضع العظيم القدر ان شاء الله باثبات اجتماع القدر والشرع وافتراقهما * الفرق الثالث ان الحسنة يضاعفها الله سبحانه وينميها ويكتبها للعبد بادنى سعى ويثيب على الهم بها والسيئة لايؤاخذ على الهم بها ولا يضاعفها ويبطلها بالتوبة والحسنة الماحية والمصائب المكفرة فكانت الحسنة أولى بالاضافة اليه تعالى والسيئة أولى بالاضافة الى النفس * الفرق الرابع ان الحسنة التى هى الطاعة والنعمة يحبها ويرضاها فهو سبحانه يحب أن يطاع ويحب أن ينعم ويحسن ويجود وان قدر المعصية وأراد المنع فالطاعة أحب اليه والبذل والعطاء آثر عنده فكان اضافة نوعى الحسنة له واضافة نوعى السيئة الى النفس أولى ولهذا تأدب العارفون من عباده بهذا الادب فأضافوا اليه النعم والخيرات وأضافوا الشرور الى محالها كما قال امام الحنفاء الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه * وقال الخضر أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان أعيبها ثم قال وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما * وقال مؤمنو الجن وانا لاندرى أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا * الفرق الخامس ان الحسنة مضافة اليه لانه أحسن بها من كل وجه وبكل اعتبار كما تقدم فما من وجه من وجوهها الا وهو يقتضى الاضافة اليه وأما السيئة فهو سبحانه انما قدرها وقضاها لحكمته وهى باعتبار تلك الحكمة من احسانه فان الرب سبحانه لايفعل سوأ قط كما لايوصف به ولا يسمى باسمه بل فعله كله حسن وخير وحكمة كما قال تعالى بيده الخير وقال أعرف الخلق به والشر ليس اليك فهو لايخلق شرا محضا من كل وجه بل كل ماخلقه ففى خلقه مصلحة وحكمة وان كان في بعضه شر جزئى اضافي وأما الشر الكلى المطلق من كل وجه فهو تعالى منزه عنه وليس اليه *الفرق السادس ان مايحصل للانسان من الحسنات التى يعملها فهى أمور وجودية متعلقة بمشيئة الرب وقدره ورحمته وحكمته وليست أمورا عدمية تضاف الى غير الله بل هى كلها أمور وجودية وكل موجود حادث والله محدثه وخالقه وذلك ان الحسنات اما فعل مأمور أو ترك محظور والترك أمر وجودى فترك الانسان لما نهى عنه ومعرفته بانه ذنب قبيح وبانه سبب العذاب فبغضه له وكراهته له ومنع نفسه اذا هويته وطلبته منه أمور وجودية كما أن معرفته بالحسنات كالعدل والصدق حسنة وفعله لها أمر وجودى والانسان انما يثاب على ترك السيئات اذا تركها على وجه الكراهة لها والامتناع عنها وكف النفس عنها قال تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) وقال (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) * وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقد جعل صلى الله عليه وسلم البغض في الله من أوثق عرى الايمان وهو أصل الترك وجعل المنع لله من كمال الايمان وهو أصل الترك فقال من أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقال من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وجعل انكار المنكر بالقلب من مراتب الايمان

وهو بغضه وكراهته المستلزم لتركه فلم يكن الترك من الايمـان الا بهذه الكراهة والبغض والامتناع والمنع لله وكذلك براءة الخليل وقومه من المشركين ومعبودهم ليست تركا محضا بل تركا صادرا عن بغض ومعاداة وكراهة هي أمور وجودية هي عبودية للقلب يترتب عليها خلو الجوارح من العمل كما أن التصديق والارادة والمحبة للطاعة من عبودية القلب يترتب عليها آثارها في الجوارح وهذا الحب والبغض تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وهو اثبات تأله القلب لله ومحبته ونفي تألهه لغيره وكراهته فلا يكفي أن يعبد الله ويحبه ويتوكل عليه وينيب اليه ويخافه ويرجوه حتى يترك عبادة غيره والتوكل عليه والانابة اليه وخوفه ورجاه ويبغض ذلك وهذه كلها أمور وجودية وهي الحسنات التي يثيب الله عليها وأما مجرد عدم السيئات من غير أن يعرف أنها سيئة ولا يكرهها بقلبه ويكف نفسه عنها بل يكون تركها لعدم خطورها بقلبه ولا يثاب على هذا الترك فهذا تكون السيآت في حقه بمنزلتها في حق الطفل والنائم لكن قد يثاب على اعتقاد تحريمها وان لم يكن له اليها داعية البتة فالترك ثلاثة أقسام قسم يثاب عليه وقسم يعاقب عليه وقسم لا يثاب ولا يعاقب فالاول ترك العالم بتحريمها الكاف نفسه عنها لله مع قدرته عليها والثاني كترك من يتركها لغير الله لا لله فهذا يعاقب على تركه لغير الله كما يعاقب على فعله لغير الله فان ذلك الترك والامتناع فعل من أفعال القلب فاذا عبد به غير الله استحق العقوبة * والثالث كترك من لم يخطر على قلبه علما ولا محبة ولا كراهة بل بمنزلة ترك النائم والطفل * فان قيل كيف يعاقب على ترك المعصية حياء من الخلق وابقاء على جاهه بينهم وخوفا منهم أن يتسلطوا عليه والله سبحانه لا يذم على ذلك ولا يمنع منه * قيل لا ريب أنه لا يعاقب على ذلك وانما يعاقب على تقربه الى الناس بالترك ومرا آتهم به وانه تركها خوفا من الله ومراقبة وهو في الباطن بخلاف ذلك فالفرق بين ترك يتقرب به اليهم ومرا آتهم به وترك يكون مصدره الحياء منهم وخوف أذاهم له وسقوطه من أعينهم فهذا لا يعاقب عليه بل قد يثاب عليه اذا كان له فيه غرض يحبه الله من حفظ مقام الدعوة الى الله وقبولهم منـه ونحو ذلك وقد تنازع الناس في الترك هل هو أمر وجودي أم عدمي والاكثرون على أنه وجودي * وقال أبو هاشم وأتباعه هو عدمي وان المأمور يعاقب على مجرد عدم الفعل لا على ترك يقوم بقلبه وهؤلاء رتبوا الذم والعقاب على العـدم المحض والاكثرون يقولون انمـا يثاب من ترك المحظور على ترك وجودي يقوم بنفسـه ويعاقب تارك المأمور على ترك وجودي يقوم بنفسه وهو امتناعه وكفه نفسه عن فعل ما أمر به اذا تبين هذا فالحسنات التي يثاب عليها كلها وجودية فهو سبحانه الذي حبب الايمان والطاعة الى العبد وزينه في قلبه وكره اليه اضدادها وأما السيآت فمنشأها من الجهل والظلم فان العبد لا يفعل القبيح الا لعدم علمه بكونه قبيحا أو لهواه وشهوته مع علمه بقبحه فالاول جهل والثاني ظلم ولا يترك حسنة الا لجهله بكونها حسنة أو لرغبته في ضدها لموافقته هواه وغرضه وفي الحقيقة فالسيآت كلها ترجع الى الجهل والا فلو كان علمه تاما برجحان ضررها لم يفعلها فان هذا خاصة الفعل فانه اذا علم ان القاءه بنفسه من مكان عال يضره لم يقدم عليه وكذلك ابنه تحت حائط مائل والقاؤه نفسه في ماء يغرق فيه وأكله طعاما مسموما لا يفعله لعلمه التام بمضرته الراجحة بل هذه فطرة فطر الله عليها الحيوان بهيمه وناطقه ومن لم يعلم ان ذلك يضره كالطفل والمجنون والسكران الذي انتهى سكره فقد يفعله وأما من أقدم على ما يضره مع علمه

بما

بما فيه من الضرر فلا بد أن يقوم بقلبه ان منفعته له راجحة ولا بد من رجحان المنفعة عنده اما في الظن واما في المظنون ولو جزم راكب البحر بانه يغرق ويذهب ماله لم يركب أبدا بل لابد من رجحان الانتفاع في ظنه وان أخطأ في ذلك وكذلك الذنوب والمعاصى فلو جزم السارق بانه يؤخذ ويقطع لم يقدم على السرقة بل يظن انه يسلم ويظفر بالمال وكذلك القاتل والشارب والزانى فلو جزم طالب الذنب بانه يحصل له الضرر الراجح لم يفعله بل اما أن لايكون جازما بتحريمه أو لايجزم بعقوبته بل يرجو العفو والمغفرة وأن يتوب ويأتى بحسنات تمحو أثره وقد يغفل عن هذا كله بقوة وارادة الشهوة واستيلاء سلطانها على قلبه بحيث تغيبه عن مطالعة مضرة الذنب والغفلة من اضداد العلم كالغفلة والشهوة أصل الشر كله قال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وينبغى أن يعلم ان الهوى وحده لايستقل بفساد السيئات الا مع الجهل والافصاحب الهوى لو جزم بان ارتكاب هواه يضره ولا بد ضررا راجحا لانصرفت نفسه عن طاعته له بالطبع فان الله سبحانه جعل في النفس حبا لماينفعها وبغضا لما يضرها فلا تفعل مع حضور عقلها ماتجزم بانه يضرها ضررا راجحا ولهذا يوصف تارك ذلك بالعقل والحجى واللب فالبلاء مركب من تزيين الشيطان وجهل النفس فانه يزين لها السيئات ويريها أنها في صور المنافع واللذات والطيبات ويغفلها عن مطالعتها لمضرتها فتولد من بين هذا التزيين وهذا الاغفال والانساء لها ارادة وشهوة ثم يمدها بأنواع التزيين فلا يزال يقوى حتى يصير عزما جازما يقترن به الفعل كما زين للابوين الاكل من الشجرة وأغفلهما عن مطالعة مضرة المعصية فالتزيين هو سبب ايثار الخير والشر كما قال تعالى وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وقال أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال في تزيين الخير (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) وقال في تزيين النوعين كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وتزيين الخير والهدى بواسطة الملائكة والمؤمنين وتزيين الشر والضلال بواسطة الشياطين من الجن والانس كما قال تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم وحقيقة الامر ان التزيين انما يغتر به الجاهل لانه يلبس له الباطل والضار المؤذى صورة الحق والنافع الملائم فاصل البلاء كله من الجهل وعدم العلم ولهذا قال الصحابة كل من عصى الله فهو جاهل وقال تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) وقال (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) قال أبو العالية سألت أصحاب محمد عن قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وقال قتادة اجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ماعصى الله به فهو جهالة عمدا كان أولم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقال مجاهد من شيخ أوشاب فهو بجهالة وقال من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن خطيئته وقال هو وعطاء الجهالة العمد وقال مجاهد من عمل سوأ خطأ أو عمدا فهو جاهل حتى ينزع منه ذكر هذه الآثار ابن أبى حاتم ثم قال وروى عن قتادة وعمرو بن مرة والثورى نحو ذلك خطأ أو عمدا وروى عن مجاهد والضحاك ليس من جهالته أن لايعلم حلالا ولا

حراما ولكن من جهالته حين دخل فيه وقال عكرمة الدماء كلها جهالة ومما يبين ذلك قوله انما يخشى الله من عباده العلماء وكل من خشيه فاطاعه بفعل أوامره وترك نواهيه فهو عالم كما قال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) وقال رجل للشعبي أيها العالم فقال لسنا بعلماء انما العالم من يخشى الله وقال ابن مسعود وكفى بخشية الله علما وبالاغترار بالله جهلا وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء يقتضى الحصر من الطرفين ان لايخشاه الا العلماء ولايكون عالما الا من يخشاه فلايخشاه الا عالم ومامن عالم الا وهو يخشاه فاذا انتفى العلم انتفت الخشية واذا انتفت الخشية دلت على انتفاء العلم لكن وقع الغلط في مسمى العلم اللازم للخشية حيث يظن انه يحصل بدونها وهذا ممتنع فانه ليس في الطبيعة ان لايخشى النار والاسد والعدو من هو عالم بها مواجه لها وانه لايخشى الموت من التى نفسه من شاهق ونحو ذلك فامنه في هذه المواطن دليل عدم علمه وأحسن أحواله أن يكون معه ظن لايصل الى رتبة العلم اليقينى فان قيل فهذا ينتقض عليكم بمعصية ابليس فانها كانت عن علم لاعن جهل وبقوله وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة وقال عن قوم فرعون وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال (وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر) وقال (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) يعنى القرآن أو محمدا صلى الله عليه وسلم وقال (ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) وقال فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والجحود انكار الحق بعد معرفته وهذا كثير في القرآن قيل حجج الله لاتتناقض بل كلها حق يصدق بعضها بعضا واذا كان سبحانه قد أثبت الجهالة لمن عمل السوء وقد أقر به وبرسالته وبانه حرم ذلك وتوعد عليه بالعقاب ومع ذلك يحكم عليه بالجهالة التى لاجلها عمل السوء فكيف بمن أشرك به وكفر بآياته وعادى رسله أليس ذلك أجهل الجاهلين وقد سمى تعالى اعداءه جاهلين بعد اقامة الحجة عليهم فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فامره بالاعراض عنهم بعد ان أقام عليهم الحجة وعلموا انه صادق وقال (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) فالجاهلون هنا الكفار الذين علموا انه رسول الله فهذا العلم لاينافي الحكم على صاحبه بالجهل بل يثبت له العلم وينافي عنه في موضع واحد كما قال تعالى عن السحرة من من اليهود ولقد علموا لمن شتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فاثبت لهم العلم الذى تقوم به عليهم الحجة ونفى عنهم العلم النافع الموجب لترك الضار وهذا نكتة المسئلة وسر الجواب مما دخل النار الاعالم ولادخلها الاجاهل وهذا العلم لايجتمع مع الجهل في الرجل الواحد يوضحه ان الهوى والغفلة والاعراض تصد عن كماله واستحضاره ومعرفة موجبه على التفصيل وتقيم لصاحبه شبها وتأويلات تعارضه فلا يزال المقتضى يضعف والعارض يعمل عمله حتى كأنه لم يكن ويصير صاحبه بمنزلة الجاهل من كل وجه فلو علم ابليس ان تركه للسجود لآدم يبلغ به ما بلغ وانه يوجب له أعظم العقوبة وتيقن ذلك لم يتركه ولكن حال الله بينه وبين هذا العلم ليقضى أمره

وينفذ

وينفذ قضاؤه وقدره ولوظن آدم وحواء انهما اذا أكلا من الشجرة خرجا من الجنة وجرى عليهما ماجرى ماقرباها ولوعلم اعداء الرسل تفاصيل مايجرى عليهم ومايصيبهم يوم القيامة وجزموا بذلك لما عادوهم قال تعالى عن قوم فرعون ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر﴾ وقال ﴿وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب﴾ وقال عن المنافقين وقدشاهدوا آيات الرسول وبراهين صدقه عيانا وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون وقال ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وقال في قلوبهم مرض وهو الشك ولوكان هذا لعدم العلم الذى تقوم به الحجة عليهم لما كانو في الدرك الاسفل من النار بل هذا بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم الذى لم ينفعهم فالعلم يضعف قطعا بالغفلة والاعراض واتباع الهوى وايثار الشهوات وهذه الامور توجب شبهات وتأويلات تضاده فتأمل هذا الموضع حق التأمل فانه من اسرار القدر والشرع والعدل فالعلم يراد به العلم التام المستلزم لاثره ويراد به المقتضى وان لم يتم بوجود شروطه وانتفاء موانعه فالثانى يجامع الجهل دون الاول فتبين ان أصل السيآت الجهل وعدم العلم وان كان كذلك فعدم العلم ليس أمرا وجوديا بل هو لعدم السمع والبصر والقدرة والارادة والعدم ليس شيأ حتى يستدعى فاعلا مؤثرا فيه بل يكفى فيه عدم مشيئة ضده وعدم السبب الموجب لضده والعدم المحض لايضاف الى الله فانه شر والشر ليس اليه فاذا انتفى هذا الجازم عن العبد ونفسه بطبعها متحركة مريدة وذلك من لوازم شأنها تحركت بمقتضى الطبع والشهوة وغلب ذلك فيها على داعى العلم والمعرفة فوقعت في أسباب الشر ولابد

﴿فصل﴾ والله سبحانه قد أنعم على عباده من جملة احسانه ونعمه بامرين هما أصل السعادة أحدهما ان خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها كما ثبت ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وشبه ذلك بخروج البهيمة صحيحة سالمة حتى يجدعها صاحبها وثبت عنه انه قال يقول الله تعالى انى خلقت عبادى حنفاء فاتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ماحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا فاذا تركت النفس وفطرتها لم تؤثر على محبة باريها وفاطرها وعبادته وحده شيئا ولم تشرك به ولم تجحد كمال ربوبيته وكان أحب شئ اليها وأطوع شئ لها وآثر شئ عندها ولكن يعدها من يقترن بها من شياطين الجن والانس بتزيينه واغوائه حتى ينغمس موجبا وحكمها الامر الثانى انه سبحانه هدى الناس هداية عامة بما أودعه فيهم من المعرفة ومكنهم من أسبابها وبما أنزل اليهم من الكتب وأرسل اليهم من الرسل وعلمهم مالم يكونوا يعلمونه ففى كل نفس مايقتضى معرفتها بالحق ومحبتها له وقد هدى الله كل عبد الى أنواع من العلم يمكنه التوصل بها الى سعادة الآخرة وجعل في فطرته محبة لذلك لكن قد يعرض العبد عن طلب علم ماينفعه فلا يريده ولايعرفه وكونه لايريد ذلك ولايعرفه أمر عدمى فلا يضاف الى الرب لاهذا ولاهذا فانه من هذه الحيثية شر والذى يضاف الى الرب علمه به وقضاؤه له بعدم مشيئته لضده وابقائه على العدم الاصلى وهو من هذه الجهة خير فان العلم بالشر خير من الجهل به وعدم رفعه باثبات ضده اذا كان مقتضى الحكمة كان خيرا وان كان شرا بالنسبة الى محله وسيأتى تمام تقرير هذا في باب دخول الشر في القضاء الالهى ان شاء الله سبحانه

﴿فصل﴾ وههنا حياة أخرى غير الحياة الطبيعية الحيوانية نسبتها الى القلب كنسبة حياة

البدن يحدث لمد عبده بتلك الحياة اثمرت له من محبته واجلاله وتعظيمه والحياء منه ومراقبته وطاعته مثل ما تثمر حياة البدن له من التصرف والفعل وسعادة النفس ونجاتها وفلاحها بهذه الحياة وهى حياة دائمة سرمدية لاتنقطع ومتى فقدت هذه الحياة واعتاضت عنها بحياتها الطبيعية الحيوانية كانت ضالة معذبة شقية ولم تسترح راحة الاموات ولم تعش عيش الاحياء كما قال تعالى (سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولايحيى) فان الجزاء من جنس العمل فانه في الدنيا لما لم يحى الحياة النافعة الحقيقية التى خلق لها بل كانت حياته من جنس حياة البهائم ولم يكن ميتا عديم الاحساس كانت حياته في الآخرة كذلك فان مقصود الحياة حصول ماينتفع به ويلتذ به والحى لابد له من لذة أوألم فاذا لم تحصل له اللذة لم يحصل له مقصود الحياة كمن هو حى في الدنيا وبه أمراض عظيمة تحول بينه وبين التنعم بما يتنعم به الاصحاء فهو يختار الموت ويتمناه ولايحصل له فلاهو مع الاحياء ولامع الاموات اذا عرف هذا فالشر من لوازم هذه الحياة وعدمها شر وهو ليس بشئ حتى يكون مخلوقا والله خالق كل شئ فاذا أمسك عن عبد هذه الحياة كان امساكها خيرا بالنسبة اليه سبحانه وان كان شرا بالاضافة الى العبد لفوات مايلتذ ويتنعم به فالسيآت من طبيعة النفس ولم يمد بهذه الحياة التى تحول بينها وبينها فصار الشر كله من النفس والخير كله من الله والجميع بقضائه وقدره وحكمته وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾ قال القدرى ونحن نعترف بهذا جميعه ونقر بان الله خلق الانسان مريدا ولكن جعله على خلقة يريد بها وهو مريد بالقوة والقبول أى خلقه قابلا لان يريد هذا وهذا وأما كونه مريدا لهذا المعنى فليس ذلك بخلق الله ولكنه هو الذى أحدثه بنفسه ليس هو من احداث الله قال الجبرى هذه الارادة حادثة فلابدلها من محدث فالمحدث لها اما أن يكون نفس الانسان أومخلوق خارج عنها أوربها وفاطرها وخالقها والقسمان الاولان محال فتعين الثالث أما المقدمة الاولى فظاهرة اذ المحدث اما النفس واما أمر خارج عنها والخارج عنها اما الخالق أوالمخلوق وأما المقدمة الثانية فبيانها ان النفس لايصح أن تكون هى المحدثة لارادتها فانها اما ان تحدثها بارادة أوبغير ارادة وكلاهما ممتنع فانها لوتوقف احداثها على ارادة أخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل الى غير نهاية فلاتوجد ارادة حتى يتقدمها ارادات لاتتناهى وان لم يتوقف احداثها على ارادة منها بطل ان تكون هى المؤثرة في احداثها اذوقوع الحادث بلا ارادة من الفاعل المختار محال واذا بطل أن تكون محدثة للارادة بارادة وان يحدثها بغير ارادة تعين ان يكون المحدث لتلك الارادة أمرا خارجا عنها فحينئذ اما أن يكون مخلوقا أويكون هو الخالق سبحانه والاول محال لان ذلك المحدث ان كان غير مريد لم يمكنه جعل الانسان مريدا وان كان مريدا فالكلام في ارادته كالكلام في ارادة الانسان سواء فتعين أن يكون المحدث لتلك الارادة هو الخالق لكل شئ الذى ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن قال القدرى قد اختلفت طرق أصحابنا في الجواب عن هذا الالزام فقال الجاحظ العبد يحدث أفعاله بغير ارادة منه بل بمجرد قدرته وعلمه بما في الفعل من الملائمة فاذا علم موافقة الفعل له وهو قادر عليه أحدثه بقدرته وعلمه وأنكر توقفه على ارادة محدثة وأنكر حقيقة الارادة في الشاهد ولم ينكر الميل والشهوة ولكن لايتوقف احداث عليها فان الانسان قد يفعل مالايشتهيه ولايميل اليه وخالفه جميع

الاصحاب وأثبتوا الارادة الحادثة ثم اختلفوا في سبب حدوثها فقال طائفة منهم كون النفس مريدة أمر ذاتي لها وما بالذات لا يعلل ولا يطلب سبب وجوده وطريقة التعليل تسلك مالم يمنع منها مانع واختصاص الذات بالصفة الذاتية لا تعلل فهكذا اختصاص النفس بكونها مريدة هو أمر ذاتي لها وبذلك كانت نفسا فقول القائل لم أردت كذا وما الذى أوجب لها ارادته كقوله لم كانت نفسا وكقوله لم كانت النار محرقة أو متحركة ولم كان الماء مائعا سيالا ولم كان الهواء خفيفا فكون النفس مريدة متحركة بالارادة هو معنى كونها نفسا فهو بمنزلة قول القائل لم كانت نفسا وحركتها بمنزلة حركة الفلك فهى خلقت هكذا وقالت طائفة أخرى بل الله سبحانه أحدث فيها الارادة والارادة صالحة للضدين فخلق فيها ارادة تصلح للخير والشر فآثرت هى أحدهما على الآخر بشهوتها وميلها فاعطاها قدرة صالحة للضدين وارادة صالحة لهما فكانت القدرة والارادة من احداثه سبحانه واختيارها أحد المقدورين المرادين من قبلها فهى التى رجحته قالوا والقادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بغير مرجح كالعطشان اذا قدم له قدحان متساويان من كل وجه والهارب اذا عن له طريقان كذلك فانه يرجح أحدهما بلا مرجح فالله سبحانه أحدث فيه ارادة الفعل ولكن الارادة لا توجب المراد فاحدثها فيه امتحانا له وابتلاء واقدره على خلافها وأمره بمخالفتها ولا ريب انه قادر على مخالفتها فلا يلزم من كونها مخلوقة لله حاصلة باحداثه وجوب الفعل عندها وقال أبو الحسين البصرى ان الفعل يتوقف على الداعى والقدرة وهما من الله خلقا فيه وعندهما يجب وجود الفعل باختيار العبد وداعيه فيكون هو المحدث له بما فيه من الدواعى والقدرة فهذه طرق أصحابنا في الجواب عما ذكرتم قال السنى لم تخلصوا بذلك من الالزام ولم تبينوا به بطلان حجتهم المذكورة فلا منعتم مقدماتها وبينتم فسادها ولا عارضتموها بما هو أقوى منها كما أنهم لم يتخلصوا من الزامكم ولم يبينوا بطلان دليلكم وكان غاية ما عندكم وعندهم المعارضة وبيان كل منكم تناقض الآخر وهذا لا يفيد نصرة الحق وابطال الباطل بل يفيد بيان خطأكم وخطأهم وعدولكم واياهم عن منهج الصواب فنقول وبالله التوفيق مع كل منكما صواب من وجه وخطأ من وجه فاما صواب الجبرى فمن جهة اسناده الحوادث كلها الى مشيئة الله وخلقه وقضائه وقدره والقدرى خالف الضرورة في ذلك فان كون العبد مريدا فاعلا بعد ان لم يكن أمر حادث فاما أن يكون له محدث واما أن لا يكون فان لم يكن له محدث لزم حدوث الحوادث بلا محدث وان كان له محدث فاما أن يكون هو العبد أو الله سبحانه أو غيرهما فان كان هو العبد فالقول في احداثه لتلك الفاعلية كالقول في احداث سببها ويلزم التسلسل وهو باطل ههنا بالاتفاق لان العبد كائن بعد ان لم يكن فيمتنع أن تقوم به حوادث لا أول لها وان كان غير الله فالقول فيه كالقول في العبد فتعين أن يكون الله هو الخالق المكون لارادة العبد وقدرته واحداثه وفعله وهذه مقدمات يقينية لا يمكن القدح فيها فمن قال ان ارادة العبد واحداثه حصل بغير سبب اقتضى حدوث ذلك والعبد أحدث ذلك وحاله عند احداثه كما كان قبله بل خص أحد الوقتين بالاحداث من غير سبب اقتضى تخصيصه وانه صار مريدا فاعلا محدثا بعد ان لم يكن كذلك من غير من جعله كذلك فقد قال ما لا يعقل بل يخالف صريح العقل وقال بحدوث حوادث بلا محدث وقولكم ان الارادة لا تعلل كلام باطل لا حقيقة له فان الارادة أمر حادث فلا بد له من محدث ونظير هذا المحال قولكم في فعل الرب سبحانه أنه بواسطة ارادة يحدثها

لا في محل من غير سبب اقتضى حدوثها يكون مريداً بها للمخلوقات فارتكبتم ثلاث محالات حدوث حادث بلا ارادة من الفاعل وحدوث حادث بلا سبب حادث وقيام الصفة بنفسها لا في محل وادعيتم مع ذلك انكم أرباب العقول والنظر فاى معقول أفسد من هذا وأى نظر أعمى منه وان شئت قلت كون العبد مريدا أمر ممكن والممكن لا يترجح وجوده على عدمه الا لمرجح تام والمرجح التام اما من العبد واما من مخلوق آخر واما من الله سبحانه والقسمان الاولان باطلان فتعين الثالث كما تقدم فهذه الحجة لا يمكن دفعها ولا يمكن دفع العلم الضروري باستناد أفعالنا الاختيارية الى ارادتنا وقدرتنا وانا اذا أردنا الحركة يمنة لم تقع يسرة وبالعكس فهذه الحجة لا يمكن دفعها والجمع بين الحجتين هو الحق فان الله سبحانه خالق ارادة العبد وقدرته وجاعلهما سببا لاحداثه الفعل فالعبد محدث لفعله بارادته واختياره وقدرته حقيقة وخالق السبب خالق للمسبب ولو لم يشأ سبحانه وجود فعله لما خلق له السبب الموجد له فقال الفريقان للسني كيف يكون الرب تعالى محدثا لها والعبد أيضا *قال السني احداث الله سبحانه لها بمعنى أنه خلقها منفصلة عنه قائمة بمحلها وهو العبد فجعل العبد فاعلا لها بما أحدث فيه من القدرة والمشيئة واحداث العبد لها بمعنى أنها قامت به وحدثت بارادته وقدرته وكل من الاحداثين مستلزم للآخر ولكن جهة الاضافة مختلفة فما أحدثه الرب سبحانه من ذلك فهو مباين له قائم بالمخلوق مفعول له لا فعل وما أحدثه العبد فهو فعل له قائم به يعود اليه حكمه ويشتق له منه اسمه وقد أضاف الله سبحانه كثيرا من الحوادث اليه وأضافها الى بعض مخلوقاته كقوله الله يتوفي الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها *وقال قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال توفته رسلنا وقال اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب وقال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا * وقال وأنزل الله عليك الكتاب وقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال (فأخذهم العذاب وأخذتهم الصيحة وقال (وكلا أخذنا بذنبه فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) وهذا كثير فأضاف هذه الافعال الى نفسه اذهى واقعة بخلقه ومشيئته وقضائه وأضافها الى أسبابها اذ هو الذى جعلها أسبابا لحصولها بين الاضافتين ولا تناقض بين السببين واذا كان كذلك تبين ان اضافة الفعل الاختيارى الى الحيوان بطريق التسبب وقيامه به ووقوعه بارادته لا ينافي اضافته الى الرب سبحانه خلقا ومشيئة وقدرا ونظيره قوله تعالى (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) وقال لنوح فاحمل فيها من كل زوجين اثنين فالرب سبحانه هو الذى حملهم فيها باذنه وأمره ومشيئته ونوح حملهم بفعله ومباشرته

﴿ فصل ﴾ وأما قول الجاحظ ان العبد يحدث أفعاله الاختيارية من غير ارادة منه بل بمجرد القدرة والداعي فان أراد نفي ارادة العبد وجحد هذه الصفة عنه فمكابرة لا تنكر من طوائف هم أكثر الناس مكابرة وجحدا للمعلوم بالضرورة فلا أرخص من ذلك عندهم وان أراد أن الارادة أمر عدمى وهو كونه غير مغلوب ولا ملجأ فيقال هذا العدم من لوازم الارادة لا أنه نفسها وكون الارادة أمرا عدميا مكابرة أخرى وهى بمنزلة قول القائل القدرة أمر عدمى لانها بمعنى عدم العجز والكلام عدمى لانه عدم الخرس والسمع والبصر عدمى لانهما عدم الصمم والعمى. وأما قوله ان الفعل يقع بمجرد القدرة وعلم الفاعل بما فيه من الملائمة فمكابرة ثالثة فان العبد يجد من نفسه قدرة

على الفعل وعالما بمصلحته ولا يفعله لعدم ارادته له لما في فعله من فوات محبوب له أو حصول مكروه اليه فلا يوجب القدرة والعلم وقوع الفعل مالم تقارنهما الارادة .

﴿ فصل ﴾ وأما قول الآخر ان كون النفس مريدة أمر ذاتى لها فلا تعلل الى آخره كلام في غاية البطلان فهب أنا لا نطلب علة كونها مريدة فكونها كذلك هو مخلوق فيها أم غير مخلوق وهى التي جعلت نفسها كذلك أم فاطرها وخالقها هو الذى جعلها كذلك واذا كان سبحانه هو الذى أنشأها بجميع صفاتها وطبيعتها وهيآتها فكونها مريدة هو وصف لها وخالقها خالق لاوصافها فهو خالق لصفة المريدية فيها فاذا كانت تلك الصفة سببا للفعل وخالق السبب خالق للمسبب والمسبب واقع بقدرته ومشيئته وتكوينه وهذا مما لا ينكره الا مكابر معاند

﴿ فصل ﴾ وأما قول الطائفة الاخرى ان الله سبحانه خلق فيه ارادة صالحة للضدين فاختار أحدهما على الآخر ولا ريب ان الامر كذلك ولكن وقوع أحد الضدين باختياره وايثاره له وداعيه اليه لا يخرجه عن كونه مخلوقا للرب سبحانه مقدورا له مقدرا على العبد واقعا بقضاء الرب وقدره وانه لو شاء لصرف داعية العبد وارادته عنه الى ضده فهذه هى البقية التي بقيت على هذه الفرقة من انكار القدر فلو ضموها الى قولهم لاصابوا كل الاصابة ولكانوا أسعد بالحق في هذه المسئلة من سائر الطوائف وتحقيق ذلك ان الله سبحانه بعدله وحكمته أعطى العبد قدرة وارادة يتمكن بها من جلب ماينفعه ودفع مايضره فأعانه بأسباب ظاهرة وباطنة ومن جملة تلك الاسباب القدرة والارادة وعرفه طريق الخير والشر ونهج له الطريق وأعانه بارسال رسله وانزال كتبه وقرن به ملائكته وأزال عنه كل علة يحتج بها عليه ثم فطرهم سبحانه على ارادة ماينفعهم وكراهة مايؤذيهم ويضرهم كما فطر على ذلك الحيوان البهيم ثم كان كثير مما ينفعهم لا علم لهم به على التفصيل والذى يعلمونه من المنافع أمر مشترك بينهم وبين الحيوانات وثم أمور عظيمة هى أنفع شئ لهم لا صلاح لهم ولا فلاح ولا سعادة الا بمعرفتها وطلبها وفعلها ولا سبيل لهم الى ذلك الا بوحى منه وتعريف خاص فأرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه فعرفهم ماهو الأنفع لهم وما فيه سعادتهم وفلاحهم فصادفتهم الرسل مشتغلين باضدادها قد ألفوها وساكنوها وجرت عليها عوائدهم حين ألفتها الطباع فأخبرتهم الرسل انها أضر شئ عليهم وانها من أعظم أسباب ألمهم وفوات أربهم وسرورهم فنهضت الارادة طالبة للسعادة والفلاح إذ الدعوة الى ذلك محركة للقلوب والاسماع والابصار الى الاستجابة فقام داعى الطبع والالف والعادة في وجه ذلك الداعى معارضا له يعد النفس ويمنيها ويرغبها ويزين لها ماألفته واعتادته لكونه ملائما له وهو نقد عاجل وراحة مؤثرة ولذة مطلوبة ولهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر وداعى الفلاح يدعو الى أمر آجل في دار غير هذه الدار لا ينال الا بمفارقة ملاذها وطيباتها ومسراتها وتجرع مرارتها والتعرض لآفاتها وايثار الغير لمحبوباتها ومشتهياتها يقول خذ ماتراه ودع ماسمعت به فقامت الارادة بين الداعيين تصغى الى هذا مرة والى هذا مرة فههنا معركة الحرب ومحل المحنة فقتيل وأسير وفائز بالظفر والغنيمة فاذا شاء الله سبحانه رحمة عبد جذب قوى ارادته وعزيمته الى ماينفعه ويحييه الحياة الطيبة فأوحى الى ملائكته أن ثبتوا عبدى واصرفوا همته وارادته الى مرضاتى وطاعتى كما قال تعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا)

*وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) واذا أراد خذلان عبد أمسك عنه تأييده وتثبيته وخلى بينه وبين نفسه ولم يكن بذلك ضالا له لانه قد أعطاه قدرة وارادة وعرفه الخير والشر وحذر طريق الهلاك وعرفه بها وحضه على سلوك طريق النجاة وعرفه بها ثم تركه وما اختار لنفسه وولاه ماتولى فاذا وجد شرا فلا يلومن الا نفسه * قال القدرى فتلك الارادة المعينة المستلزمة للفعل المعين ان كانت باحداث العبد فهو قولنا وان كانت باحداث الرب سبحانه فهو قول الجبرى وان كانت بغير محدث لزم المحال * قال السنى لاتفتقر كل ارادة من العبد الى مشيئة خاصة من الله توجب حدوثها بل يكفى في ذلك المشيئة العامة لجعله مريدا فان الارادة هى حركة النفس والله سبحانه شاء أن تكون متحركة وأما أن تكون كل حركة تستدعى مشيئة مفردة فلا وهذا كما أنه سبحانه شاء أن يكون الحى متنفسا ولا يفتقر كل نفس من أنفاسه الى مشيئة خاصة وكذلك شاء أن يكون هذا الماء بجملته جاريا ولا تفتقر كل قطرة منه الى مشيئة خاصة يجرى بها الماء وكذلك مشيئته لحركات الافلاك وهبوب الرياح ونزول الغيث وكذلك خطرات القلوب ووساوس النفس وكذلك مشيئته أن يكون العبد متكلما لايستلزم أن يكون كل حرف بمشيئته غير مشيئة الحرف الآخر واذا تبين ذلك فهو سبحانه شاء أن يكون عبده شائيا مريدا وتلك الارادة والمشيئة صالحة للضدين فاذا شاء أن يهدى عبدا صرف داعيه ومشيئته وارادته الى معاشه ومعاده واذا شاء أن يضله تركه ونفسه وتخلى عنه والنفس متحركة بطبعها لابد لها من مراد محبوب هو مألوهها ومعبودها فان لم يكن الله وحده هو معبودها ومرادها والا كان غيره لها معبودا ومرادا ولا بد فان حركتها ومحبتها من لوازم ذاتها فان لم تحب ربها وفاطرها وتعبده أحبت غيره وعبدته وان لم تتعلق ارادتها بما ينفعها في معادها تعلقت بما يضرها فيه ولا بد فلا تعطيل في طبيعتها وهكذا خلقت * فان قلت فأين مشيئة الله لهداها وضلالها * قلت اذا شاء اضلالها تركها ودواعيها وخلى بينها وبين ماتختاره واذا شاء هداها جذب دواعيها وارادتها اليه وصرف عنها موانع القبول فيمدها على القدر المشترك بينها وبين سائر النفوس بامداد وجودى ويصرف عنها الموانع التى خلى بينها وبين غيرها فيها وهذا بمشيئته وقدرته فلم يخرج شئ من الموجودات عن مشيئته وقدرته وتكوينه البتة لكن يكون مايشاء بأسباب وحكم ولو أن الجبرية أثبتت الاسباب والحكم لانحلت عنها عقد هذه المسئلة ولو أن القدرية سحبت ذيل المشيئة والقدر والخلق على جميع الكائنات مع اثبات الحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب سبحانه لانحلت عنها عقدها وبالله التوفيق

الباب الحادى والعشرون

في تنزيه القضاء الالهى عن الشر

قال الله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير) فصدر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله وانه هو

سبحانه

سبحانه هو الذى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء لاغيره فالاول تفرده بالملك والثانى تفرده بالتصرف فيه وانه سبحانه هو الذى يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه وان الخير كله بيديه ليس لاحد معه منه شئ ثم ختمها بقوله انك على كل شئ قدير فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته وتضمنت ان هـذه التصرفات كلها بيده وانها كلها خير فسلبه الملك عمن يشاء واذلاله من يشاء خير وان كان شرا بالنسبة الى المسلوب الذليل فان هـذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة لاتخرج عن ذلك وهذا كله خير يحمد عليه الرب ويثنى عليه به كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر وانه ليس اليه كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثنى على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك أنا بك واليك تباركت وتعاليت فتبارك وتعالى عن نسبة الشر اليه بل كل ما نسب اليه فهو خير والشر انما صار شرا لانقطاع نسبته واضافته اليه فلو أضيف اليه لم يكن شرا كما سيأتى بيانه وهو سبحانه خالق الخير والشر فالشر في بعض مخلوقاته لافي خلقه وفعله وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذى حقيقتـه وضع الشئ في غـير موضعه كما تقدم فلا يضع الاشياء الا في مواضعها اللائقة بها وذلك خير كله والشر وضع الشئ في غير محله فاذا وضع في محله لم يكن شرا فعلم ان الشر ليس اليه وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك فان منها القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر فالقدوس المنزه من كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لايليق به وهذا قول أهل اللغة وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة ومنه بيت المقدس لانه مكان يتطهر فيه من الذنوب ومن أمه لايريد الا الصـلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه ومنـه سميت الجنة حظيرة القدس لطهارتها من آفات الدنيا ومنه سمى جبريل روح القـدس لانه طاهر من كل عيب ومنه قول الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقيل المعنى ونقدس أنفسنا لك فعدى باللام وهذا ليس بشئ والصواب ان المعنى نقدسك وننزهك عما لايليق بك هذا قول جمهور أهل التفسير * وقال ابن جرير ونقدس لك ننسبك الى ماهو من صفاتك من الطهارة من الادناس ومما أضاف اليك أهل الكفر بك قال وقال بعضهم نعظمك ونمجدك قاله أبو صالح * وقال مجاهـد نعظمك ونكبرك انتهى وقال بعضهم ننزهك عن السوء فلا ننسبه اليك واللام فيه على حدها في قوله ردف لكم لان المعنى تنزيه الله لاتنزيه نفوسهم لاجله قلت ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم نسبح بحمدك فان التسبيح تنزيه الله سبحانه عن كل سوء * قال ميمون بن مهران سبحان الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من السوء وقال ابن عباس هى تنزيه لله من كل سوء وأصل اللفظة من المباعـدة من قولهم سبحت في الارض اذا تباعدت فيها ومنه كل في فلك يسبحون فمن أثنى على الله ونزهه عن السوء فقد سبحه ويقال سبح الله وسبح له وقدسه وقدس له وكذلك اسمه السلام فانه الذى سلم من العيوب والنقائص ووصفه بالسـلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم فسلم سبحانه من ارادة الظلم والشر ومن التسمية به ومن فعله ومن نسبته اليه فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص المسلم لخلقه من الظلم ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بانها سلام والجنة بانها دار السلام وتحية أهلها السلام وأثنى على أوليائه بالقول السلام

كل ذلك السالم من العيوب وكذلك الكبير من أسمائه والمتكبر * قال قتادة وغيره هو الذى تكبر
عن السوء وقال أيضا الذى تكبر عن السيآت وقال مقاتل المتعظم عن كل سوء * وقال أبو اسحق
الذى يكبر عن ظلم عباده وكذلك اسمه العزيز الذى له العزة التامة ومن تمام عزته براءته عن كل
سوء وشر وعيب فان ذلك ينافي العزة التامة وكذلك اسمه العلى الذى علا عن كل عيب وسوء
ونقص ومن كمال علوه أن لايكون فوقه شئ بل يكون فوق كل شئ وكذلك اسمه الحميد وهو الذى
له الحمد كله فكمال حمده يوجب أن لاينسب اليه شر ولا سوء ولا نقص لافي أسمائه ولا في أفعاله
ولا في صفاته فاسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم اليه مع أنه سبحانه الخالق لكل شئ
فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم والعبد اذا فعل القبيح المنهى عنه كان قد فعل الشر
والسوء والرب سبحانه هو الذى جعله فاعلا لذلك وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب فجعله
فاعلا خير والمفعول شر قبيح فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشئ موضعه لماله في ذلك من الحكمة
البالغة التى يحمد عليها فهو خير وحكمة ومصلحة وان كان وقوعه من العبد عيبا ونقصا وشرا وهذا
أمر معقول في الشاهد فان الصانع الخبير اذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور واللبنة الناقصة
فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه كان ذلك منه عدلا وصوابا يمدح به وان كان في المحل عوج
ونقص وعيب يذم به المحل ومن وضع الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها كان ذلك حكمة وعدلا
وصوابا وانما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها فمن وضع العمامة على الرأس والنعل في الرجل
والكحل في العين والزبالة في الكناسة فقد وضع الشئ موضعه ولم يظلم النعل والزبالة اذ هذا محلهما
ومن أسمائه سبحانه العدل والحكيم الذى لايضع الشئ الا في موضعه فهو المحسن الجواد الحكيم
العدل في كل ماخلقه وفي كل ماوضعه في محله وهيأه له وهو سبحانه له الخلق والامر فكما أنه في
أمره لايأمر الا بأرجح الامرين ويأمر بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها واذا
تعارض أمران رجح أحسنهما وأصلحهما وليس في الشريعة أمر يفعل الاووجوده للمأمور خير
من عدمه ولا نهى عن فعل الا وعدمه خير من وجوده فان قلت فاذا كان وجوده خيرا من عدمه
فكيف لايشاء وجوده فاذا كان عدمه خيرا من وجوده فكيف يشاء وجوده فالمشيئة العامة تنقض
عليك هذه القاعدة الكلية قلت لاتنقضها لان وجوده وان كان خيرا من عدمه فقد يستلزم وجوده
فوات محبوب له هو أحب اليه من وقوع هذا المأمور من هذا المعنى وعدم المنهى وان كان خيرا
من وجوده فقد يكون وجوده وسيلة وسببا الى ماهو أحب اليه من عدمه وسيأتى تمام تقرير ذلك
في باب اجتماع القدر والشرع وافتراقهما ان شاء الله والرب سبحانه اذا أمر بشئ فقد أحبه ورضيه
وأراده وبينه وهو لايحب شيأ الا ووجوده خير من عدمه وما نهى عنه فقد أبغضه وكرهه وهو
لايبغض شيأ الا وعدمه خير من وجوده هذا بالنظر الى ذات هذا وهذا وأما باعتبار افضائه الى
مايحب ويكره فله حكم آخر ولهذا أمر سبحانه عباده ان يأخذوا بأحسن ماأنزل اليهم فالاحسن
هو المأمور به وهو خير من المنهى عنه واذا كانت هذه سنته في أمره وشرعه فهكذا سنته في خلقه
وقضائه وقدره فما أراد أن يخلقه أو يفعله كان أن يخلقه ويفعله خيرا من أن لايخلقه ولا يفعله
وبالعكس وما كان عدمه خيرا من وجوده فوجوده شر وهو لا يفعله بل هو منزه عنه والشر ليس

اليه * فان قلت فلم خلقه وهو شر * قلت خلقه له وفعله خير لاشر فان الخلق والفعل قائم به سبحانه والشر يستحيل قيامه به واتصافه به وما كان في المخلوق من شر فلعدم اضافته ونسبته اليه والفعل والخلق يضاف اليه فكان خيرا والذى شاءه كله خير والذى لم يشأ وجوده بقى على العدم الاصلى وهو الشر فان الشر كله عدم وان سببه جهل وهو عدم العلم أو ظلم وهو عدم العدل وما يترتب على ذلك من الآلام فهو من عدم استعداد المحل وقبوله لاسباب الخيرات واللذات * فان قلت كثير من الناس يطلق القول بان الخير كله من الوجود ولوازمه والشر كله من العدم ولوازمه والوجود خير والشر المحض لايكون الا عدما * قلت هذا اللفظ فيه اجمال فان أريد به ان كل ماخلقه الله وأوجده ففيه الخير ووجوده خير من عدمه ومالم يخلقه ولم يشأه فهو المعدوم الباقى على عدمه ولا خير فيه اذ لو كان فيه خير لفعله فانه بيده الخير فهذا صحيح فالشر العدمى هو عدم الخير وان أريد ان كل مايلزم الوجود فهو خير وكل مايلزم العدم فهوشر فليس بصحيح فان الوجود قد يلزمه شر مرجوح والعدم قد يلزمه خير راجح مثال الاول النار والمطر والحر والبرد والثلج ووجود الحيوانات فان هذا موجود ويلزمه شر جزئى مغمور بالنسبة الى مافي وجود ذلك من الخير وكذلك المأمور به قد يلزمه من الالم والمشقة ماهو شر جزئى مغمور بالنسبة الى مافيه من الخير

﴿فصل﴾ وتحقيق الامر أن الشر نوعان شر محض حقيقى من كل وجه وشر نسبى اضافي من وجه دون وجه فالاول لايدخل في الوجود اذ لو دخل في الوجود لم يكن شرا محضا والثانى هو الذى يدخل في الوجود فالامور التى يقال هى شرور اما أن تكون أمورا عدمية أو أمورا وجودية فان كانت عدمية فانها اما أن تكون عدما لامور ضرورية للشئ في وجوده أو ضرورية له في دوام وجوده وبقائه أو ضرورية له في كماله واما أن تكون غير ضرورية له في وجوده ولا بقائه ولا كماله وان كان وجودها خيرا من عدمها فهذه أربعة أقسام فالاول كالاحساس والحركة والنفس للحيوان والثانى كقوة الاغتذاء والنمو للحيوان المغتذى النامى والثالث كصحته وسمعه وبصره وقوته والرابع كالعلم بدقائق المعلومات التى العلم بها خير من الجهل وليست ضرورية له وأما الامور الوجودية فوجود كل مايضاد الحياة والبقاء والكمال كالامراض وأسبابها والآلام وأسبابها والموانع الوجودية التى تمنع حصول الخير ووصوله الى المحل القابل له المستعد لحصوله كالمواد الردية المانعة من وصول الغذاء الى أعضاء البدن وانتفاعها به وكالعقائد الباطلة والارادات الفاسدة المانعة لحصول أضدادها للقلب اذا عرف هذا فالشر بالذات هو عدم ما هو ضرورى للشئ في وجوده أو بقائه أو كماله ولهذا العدم لوازم من شر أيضا فان عدم العلم والعدل يلزمهما من الجهل والظلم ماهو شرور وجودية وعدم الصحة والاعتدال يلزمهما من الالم والضرر ماهو شر وجودى وأما عدم الامور المستغنى عنها كعدم الغنى المفرط والعلوم التى لايضر الجهل بها فليس بشر في الحقيقة ولا وجودها سببا للشر فان العلم منه حيث هو علم والغنى منه حيث هو غنى لم يوضع سببا للشر وانما يترتب الشر من عدم صفة تقتضى الخير كعدم العفة والصبر والعدل في حق الغنى فيحصل الشر له في غناه بعدم هذه الصفات وكذلك عدم الحكمة ووضع الشئ موضعه وعدم ارادة الحكمة في حق صاحب العلم يوجب ترتب الشر له على ذلك فظهر ان الشر لم يترتب الاعلى عدم والا فالموجود من حيث وجوده لايكون شرا ولا سببا للشر فالامور الوجودية ليست شرورا

بالذات بل بالعرض من حيث انها تتضمن عدم أمور ضرورية أونافعة فانك لاتجد شيأ من الافعال التى هى شر الاوهى كمال بالنسبة الى أمور وجهة الشر فيه بالنسبة الى أمور أخر مثال ذلك ان الظلم يصدر عن قوة تطلب الغلبة والقهر وهى القوة الغضبية التى كمالها بالغلبة ولهذا خلقت فليس في ترتب أثرها عليها شر من حيث وجوده بل الشر عدم ترتب أثرها عليها البتة فتكون ضعيفة عاجزة مقهورة وانما الشر الوجودى الحاصل شر اضافي بالنسبة الى المظلوم بفوات نفسه أوماله أوتصرفه وبالنسبة الى الظالم لا من حيث الغلبة والاستيلاء ولكن من حيث وضع الغلبة والقهر والاستيلاء في غير موضعه فعدل به من محله الى غير محله ولو استعمل قوة الغضب في قهر المؤذى الباغى من الحيوانات الناطقة والبهيمة لكان ذلك خيرا ولكن عدل به الى غير محله فوضع القهر والغلبة موضع العدل والنصفة ووضع الغلظة موضع الرحمة فلم يكن الشر في وجود هذه القوة ولافي ترتب أثرها عليها من حيث هما كذلك بل في اجرائها في غير مجراها ومثال ذلك ماء جار في نهر الى أرض يسقيها وينفعها فكماله في جريانه حتى يصل اليها فاذا عدل به عن مجراه وطريقه الى أرض يضرها ويخرب دورها كان الشر في العدول به عما أعدله وعدم وصوله اليه فهكذا الارادة والغضب أعين بهما العبد ليتوصل بهما الى حصول ماينفعه وقهر مايؤذيه ويهلكه فاذا استعملا في ذلك فهو كمالها وهو خير واذا صرفا عن ذلك الى استعمال هذه القوة في غير محلها وهذه في غير محلها صار ذلك شرا اضافيا نسبيا وكذلك النار كمالها في احراقها فاذا احرقت ماينبغى احراقه فهو خير وان صادفت مالاينبغى احراقه فافسدته فهو شر اضافي بالنسبة الى المحل المعين وكذلك القتل مثلا هو استعمال الآلة القطاعة في تفريق اتصال البدن فقوة الانسان على استعمال الآلة خير وكون الآلة قابلة للتأثير خير وكون المحل قابلا لذلك خير وانما الشر نسبى اضافي وهو وضع هذا التأثير في غير موضعه والعدول به عن المحل المؤذى الى غيره وهذا بالنسبة الى الفاعل واما بالنسبة الى المفعول فهو شر اضافي أيضا وهو ماحصل له من التألم وفاته من الحياة وقد يكون ذلك خيراله من جهة أخرى وخيرالغيره وكذلك الوطء فان قوة الفاعل وقبول المحل كمال ولكن الشر في العدول به عن المحل الذى يليق به الى محل لايحسن ولايليق وهكذا حركة اللسان وحركات الجوارح كلها جارية على هذا المجرى فظهر ان دخول الشر في الامور الوجودية انما هو بالنسبة والاضافة لانها من حيث وجودها وذواتها شر وكذلك السجود ليس هو شرا من حيث ذاته ووجوده فاذا أضيف الى غير الله كان شرا بهذه النسبة والاضافة وكذلك كل ماوجوده كفر وشرك انما كان شرا باضافته الى ماجعله كذلك كتعظيم الاصنام فالتعظيم من حيث هو تعظيم لايمدح ولايذم الاباعتبار متعلقه فاذا كان تعظيما لله وكتابه ودينه ورسوله كان خيرا محضا وان كان تعظيما للصنم وللشيطان فاضافته الى هذا المحل جعلته شرا كما ان اضافة السجود الى غير الله جعلته كذلك

﴿ فصل ﴾ ومما ينبغى أن يعلم ان الاشياء المكونة من موادها شيأ فشيأ كالنبات والحيوان امان يعرض لها النقص الذى هو شر في ابتدائها أوبعد تكونها فالاول هو بان يعرض لمادتها من الاسباب ما يجعلها ردية المزاج ناقصة الاستعداد فيقع الشر فيها والنقص في خلقها بذلك السبب وليس ذلك بان الفاعل حرمه وأذهب عنه أمرا وجوديابه كماله بل لان المنفعل لم يقبل الكمال والتمام وعدم قبوله

أمر عدمى ليس بالفاعل واما الذى بالفاعل فهو الخير الوجودى الذى يتقبل به كماله وتمامه ونقصه والشر الذى حصل فيه هو من عدم امداده بسبب الكمال فبقى على العدم الاصلى وبهذا يفهم سر قوله تعالى (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) فان ماخلقه فهو أمر وجودى به كمال المخلوق وتمامه وأما عيبه ونقصه فمن عدم قبوله وعدم القبول ليس أمرا مخلوقا يتعلق بفعل الفاعل فالخلق الوجودى ليس فيه تفاوت والتفاوت انما حصل بسبب هذا الخلق فان الخالق سبحانه لم يخلق له استعدادا فحصل التفاوت فيه من عدم الخلق لامن نفس الخلق فتأمله والذى الى الرب سبحانه هو الخلق وأما العدم فليس هو بفاعل له فاذا لم يكمل في الرحم مادة الجنين في مايقتضى كماله وسلامة أعضائه واعتدالها حصل فيه التفاوت وكذلك النبات

﴿فصل﴾ وأما الثانى وهو ان الشر الحاصل بعد تكونه وايجاده فهو نوعان أيضا أحدهما أن يقطع عنه الامداد الذى به كماله بعد وجوده كما يقطع عن النبات امداده بالسقى وعن الحيوان امداده بالغذاء فهو شر مضاف الى العدم أيضا وهو عدم مايكمل به الثانى حصول مضاد مناف وهو نوعان أحدهما قيام مانع في المحل يمنع تأثير الاسباب الصالحة فيه كما تقوم بالبدن اخلاط ردية تمنع تأثير الغذاء فيه وانتفاعه به وكما تقوم بالقلب ارادات واعتقادات فاسدة تمنع انتفاعه بالهدى والعلم فهذا الشر وان كان وجوديا وأسبابه وجودية فهو أيضا من عدم القوة والارادة التى يدفع بها ذلك المانع فلو وجدت قوة وارادة تدفعه لم يتأثر المحل به مثاله ان غلبة الاخلاط واستيلائها من عدم القوة المنضجة لها أو القوة الدافعة لما يحتاج الى خروج وكذلك استيلاء الارادات الفاسدة لضعف قوة العفة والصبر واستيلاء الاعتقادات الباطلة لعدم العلم المطابق لمعلومه فكل شر ونقص فانما حصل لعدم سبب ضده وعدم سبب ضده ليس فاعلا له بل يكفى فيه بقاؤه على العدم الاصلى الثانى مانع من خارج كالبرد الشديد والحرق والغرق ونحو ذلك مما يصيب الحيوان والنبات فيحدث فيه الفساد فهذا لاريب انه شر وجودى مستند الى سبب وجودى ولكنه شر نسبى اضافي وهو خير من وجه آخر فان وجود ذلك الحر والبرد والماء يترتب عليه مصالح وخيرات كلية هذا الشر بالنسبة اليها جزئى فتعطيل تلك الاسباب لتفويت هذا الشر الجزئى يتضمن شرا أكثر منه وهو فوات تلك الخيرات الحاصلة بها فان مايحصل بالشمس والريح والمطر والثلج والحر والبرد من مصالح الخلق أضعاف أضعاف مايحصل بذلك من مفاسد جزئية هى في جنب تلك المصالح كقطرة في بحر هذا لوكان شرها حقيقيا فكيف وهى خير من وجه وشر من وجه وان لم يعلم جهة الخير فيها كثير من الناس فما قدرها الرب سبحانه سدى ولاخلقها باطلا وعند هذا فيقال الوجود اما أن يكون خيرا من كل وجه أو شرا من كل وجه أو خيرا من وجه شرا من وجه وهذا على ثلاثة أقسام قسم خيره راجح على شره وعكسه وقسم مستو خيره وشره واما أن لايكون فيه خير ولاشر فهذه ستة أقسام ولامزيد عليها فبعضها واقع وبعضها غير واقع فاما القسم الاول وهو الخير المحض من كل وجه الذى لاشر فيه بوجه ما فهو أشرف الموجودات على الاطلاق وأكملها وأجلها وكل كمال وخير فيها فهو مستفاد من خيره وكماله في نفسه وهى تستمد منه وهو لايستمد منها وهى فقيرة اليه وهو غنى عنها كل منها يسأله كماله فالملائكة تسأله ما لا حياة لها الا به واعانته على ذكره وشكره وحسن

عبادته وتنفيذ أوامره والقيام بما جعل اليهم من مصالح العالم العلوى والسفلى وتسأله أن يغفر لبنى آدم والرسل تسأله أن يعينهم على أداء رسالاته وتبليغها وأن ينصرهم على اعدائهم وغير ذلك من مصالحهم في معاشهم ومعادهم وبنو آدم كلهم يسألونه مصالحهم على تنوعها واختلافها والحيوان كله يسأله رزقه وغذاءه وقوته وما يقيمه ويسأله الدفع عنه والشجر والنبات يسأله غذاءه وما يكمل به والكون كله يسأله امداده بقاله وحاله (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان) فأكف جميع العالم ممتدة اليه بالطلب والسؤال ويده مبسوطة لهم بالعطاء والنوال يمينه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وعطاؤه وخيره مبذول للابرار والفجار له كل كمال ومنه كل خير له الحمد كله وله الثناء كله وبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله تبارك اسمه وتباركت أوصافه وتباركت أفعاله وتباركت ذاته فالبركة كلها له ومنه لا يتعاظمه خير سئله ولا تنقص خزائنه على كثرة عطائه وبذله فلو صور كل كمال في العالم صورة واحدة ثم كان العالم كله على تلك الصورة لكان نسبة ذلك الى كماله وجلاله وجماله دون نسبة سراج ضعيف الى عين الشمس

﴿فصل﴾ وأما الاقسام الخمسة الباقية فلا يدخل منها في الوجود الا ما كانت المصلحة والحكمة والخير في ايجاده أكثر من المفسدة والاقسام الاربعة لا تدخل في الوجود أما الشر المحض الذى لا خير فيه فذاك ليس له حقيقة بل هو العدم المحض * فان قيل فابليس شر محض والكفر والشرك كذلك وقد دخلوا في الوجود فأى خير في ابليس وفي وجود الكفر * قيل في خلق ابليس من الحكم والمصالح والخيرات التى ترتبت على وجوده ما لا يعلمه الا الله كما سننبه على بعضه فالله سبحانه لم يخلقه عبثا ولا قصد بخلقه اضرار عباده وهلاكهم فكم لله في خلقه من حكمة باهرة وحجة قاهرة وآية ظاهرة ونعمة سابغة وهو وان كان للاديان والايمان كالسموم للابدان ففى ايجاد السموم من المصالح والحكم ما هو خير من تفويتها وأما الذى لا خير فيه ولا شر فلا يدخل أيضا في الوجود فانه عبث فتعالى الله عنه واذا امتنع وجود هذا القسم في الوجود فدخول ما الشر في ايجاده أغلب من الخير أولى بالامتناع ومن تأمل هذا الوجود علم ان الخير فيه غالب وان الامراض وان كثرت فالصحة أكثر منها واللذات أكثر من الآلام والعافية أعظم من البلاء والغرق والحرق والهدم ونحوها وان كثرت فالسلامة أكثر ولو لم يوجد هذا القسم الذى خيره غالب لاجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب وفوات الخير الغالب شر غالب ومثال ذلك النار فان في وجودها منافع كثيرة وفيها مفاسد لكن اذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة الى مصالحها وكذلك المطر والرياح والحر والبرد وبالجملة فعناصر هذا العالم السفلى خيرها ممتزج بشرها ولكن خيرها غالب وأما العالم العلوى فبرىء من ذلك * فان قيل فهلا خلق الخالق الحكيم هذه خالية من الشر بحيث تكون خيرات محضة فان قلتم اقتضت الحكمة خلق هذا العالم ممتزجا فيه اللذة بالالم والخير بالشر فقد كان يمكن خلقه على حالة لا يكون فيه شر كالعالم العلوى سلمنا ان وجود ما الخير فيه أغلب من الشر أولى من عدمه فأى خير ومصلحة في وجود رأس الشر كله ومنبعه وقدوة أهله فيه ابليس وأى خير في ابقائه الى آخر الدهر وأى خير يغلب في نشأة يكون فيها تسعة وتسعون الى النار وواحد في الجنة وأى خير غالب حصل باخراج الابوين من الجنة حتى جرى على الاولاد ما جرى ولو داما في الجنة لارتفع

الشر

الشر بالكلية واذا كان قد خلقهم لعبادته فكيف اقتضت حكمته ان صرف اليهم عنا ووفق لها الاقل من الناس وأى خير يغلب في خلق الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغي وأى خير في ايلام غير المكلفين كالاطفال والمجانين فان قلتم فائدته التعويض انقض عليكم بايلام البهائم ثم وأى خير في خلق الدجال وتمكينه من الظهور والافتتان به واذ قد اقتضت الحكمة ذلك فاى خير حصل في تمكينه من اظهار تلك الخوارق والعجائب وأى خير في السحر ومايترتب عليه من المفاسد والمضار وأى خير في الباس الخلق شيعا واذاقة بعضهم بأس بعض وأى خير في خلق السموم وذات السموم والحيوانات العادية المؤذية بطبعها وأى خير في خراب هذه البنية بعد خلقها في أحسن تقويم وردها الى ارذل العمر بعد استقامتها وصلاحها وكذلك خراب هذا الدار ومحو أثرها فان كان وجود ذلك خيرا غالبا فابطاله ابطال للخير الغالب دع هذا كله فاى خير راجح أومرجوح في النار وهى دار الشر الاعظم والبلاء الاكبر ولا خلاص لكم عن هذه الاسئلة الا بسد باب الحكم والتعليل واسناد الكون الى محض المشيئة أوالقول بالايجاب الذاتى وان الرب لايفعل باختياره ومشيئته وهذه الاسئلة انما ترد على من يقول بالفاعل المختار فلهذا لجأ القائلون الى انكار التعليل جملة فاختاروا أحد المذهبين وتحيزوا الى احدى الفئتين والا فكيف تجمعون بين القول بالحكمة والتعليل وبين هذه الامور فالجواب بعد أن نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر بل في تحقيق هذه الكلمات الجواب الشافي ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق وما خلقنا السموات والارض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لااله الاهو رب العرش الكريم الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم مافي السموات ومافي الارض وان الله بكل شئ عليم صنع الله الذى أتقن كل شئ وأحسن كل شئ خلقه ماترى في خلق الرحمن من تفاوت بل هو في غاية التناسب واقع على أكمل الوجوه وأقربها الى حصول الغايات المحمودة والحكم المطلوبة فلم يكن تحصل تلك الحكم والغايات التى انفرد الله سبحانه بعلمها على التفصيل وأطلع من شاء من عباده على أيسر اليسير منها الا بهذه الاسباب والبدايات وقد سأله الملائكة المقربون عن جنس هذه الاسئلة وأصلها فقال انى أعلم مالاتعلمون وأقروا له بكمال العلم والحكمة وانه في جميع أفعاله على صراط مستقيم وقالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ولما ظهر لهم بعض حكمته فيما سألوا عنه وأنهم لم يكونوا يعلمون قال (ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون)

﴿ فصل ﴾ ونحن نذكر أصولا مهمة نبين بها جواب هذه الاسئلة وقد اعترف كثير من المتكلمين ممن له نظر في الفلسفة والكلام انه لايمكن الجواب عنها الا بالتزام القول بالموجب بالذات أوالقول بابطال الحكمة والتعليل وانه سبحانه لايفعل شيئا لشئ ولايأمر بشئ لحكمة ولاجعل شيئا من الاشياء سببا لغيره وماثم الامشيئة محضة وقدرة ترجح مثلا على مثل بلاسبب ولاعلة وانه لايقال

في فعله لم ولا كيف ولا لاى سبب وحكمة ولاهو معلل بالمصالح قال الرازى في مباحثه فان قيل فلم لم يخلق الخالق هذه الاشياء عرية عن كل الشرور فنقول لانه لو جعلها كذلك لكان هذا هو القسم الاول وذلك مما خرج عنه يعنى كان ذلك هو القسم الذى هو خير محض لاشر فيه قال وبقى في الفعل قسم آخر وهو الذى يكون خيره غالبا على شره وقد بينا ان الاولى بهذا القسم أن يكون موجودا قال وهذا الجواب لايعجبنى لان لقائل ان يقول ان جميع هذه الخيرات والشرور انما توجد باختيار الله سبحانه وارادته فالاحتراق الحاصل عقيب النار ليس موجبا عن النار بل الله اختار خلقه عقيب مماسة النار واذا كان حصول الاحتراق عقيب مماسة النار باختيار الله وارادته فكان يمكنه أن يختار خاق الاحراق عند مايكون خيرا ولايختار خلقه عند مايكون شرا ولاخلاص عن هذه المطالبة الابيان كونه فاعلا بالذات لابالقصد والاختيار ويرجع حاصل الكلام في هذه المسألة الى مسألة القدم والحدوث فانظر كيف اعترف بانه لاخلاص عن هذه الاسئلة الابتكذيب جميع الرسل من أولهم الى آخرهم وابطال جميع الكتب المنزلة من عندالله ومخالفة صريح العقل في ان خالق العالم سبحانه مريد مختار ماشاء كان بمشيئته ومالم يشأ لم يكن لعدم مشيئته وانه ليس في الكون شئ حاصل بدون مشيئته البتة فاقر على نفسه انه لاخلاص له في تلك الاسئلة الابالتزام طريقة اعداء الرسل والملل القائلين بان الله لم يخلق السموات والارض في ستة أيام ولا أوجد العالم بعد عدمه ولايفنيه بعد ايجاده وصدور ما صدر عنه بغير اختياره ومشيئته فلم يكن مختارا مريدا للعالم وليس عنده الاهذا القول أوقول الجبرية منكرى الاسباب والحكم والتعليل أوقول المعتزلة الذين أثبتوا حكمة لاترجع الى الفاعل وأوجبوا رعاية مصالح شبهوا فيها الخالق بالمخلوق وجعلوا له بعقولهم شريعة أوجبوا عليه فيها وحرموا وحجروا عليه فالاقوال الثلاثة تتردد في صدره وتتقاذف به امواجها تقاذف السفينة اذا لعبت بها الرياح الشديدة والعاقل لايرضى لنفسه بواحد من هذه الاقوال لمنافاتها العقل والنقل والفطرة والقول الحق في هذه الاقوال كيوم الجمعة في الايام أضل الله عنه أهل الكتابين قبل هذه الامة وهداهم اليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الجمعة أضل الله عنها من كان قبلنا فاليوم لنا وغدا لليهود وبعدغد للنصارى ونحن هكذا نقول بحمد الله ومنه القول الوسط الصواب لنا وانكار الفاعل بالمشيئة والاختيار لاعداء الرسل وانكار الحكمة والمصلحة والتعليل والاسباب للجهمية والجبرية وانكار عموم القدرة والمشيئة العائدة الى الرب سبحانه من محبته وكراهته وموجب حمده ومقتضى أسمائه وصفاته ومعانيها وآثارها للقدرية المجوسية ونحن نبرأ الى الله من هذه الاقوال وقائلها الامن حق تتضمنه مقالة كل فرقة منهم فنحن به قائلون واليه منقادون وله ذاهبون

﴿فصل﴾ الاصل الاول اثبات عموم علمه سبحانه واحاطته بكل معلوم وانه لاتخفى عليه خافية ولايعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض بل قد أحاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا والخلاف في هذا الاصل مع فرقتين احداهما أعداء الرسل كلهم وهم الذين ينفون علمه بالجزئيات وحاصل قولهم انه لايعلم موجودا البتة فان كل موجود جزئى معين فاذا لم يعلم الجزئيات لم يكن عالما بشئ من العالم العلوى والسفلى والفرقة الثانية غلاة القدرية الذين اتفق السلف على كفرهم وحكموا بقتلهم الذين يقولون لايعلم أعمال العباد حتى يعملوها ولم يعلمها قبل ذلك ولا كتبها ولاقدرها فضلا

عن أن يكون شاءها وكونها وقول هؤلاء معلوم البطلان بالضرورة من أديان جميع المرسلين وكتب الله المنزلة وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم مملوء بتكذيبهم وابطال قولهم واثبات عموم علمه الذى لايشاركه فيه خلقه ولايحيطون بشيء منه الابما شاء أن يطلعهم عليه ويعلمهم به وماأخفاه عنهم ولم يطلعهم عليه لانسبة لما عرفوه اليه الادون نسبة قطرة واحدة الى البحار كلها كما قال الخضر لموسى وهما أعلم أهل الارض حينئذ مانقص علمى وعلمك من علم الله الا كمانقص هذا العصفور من البحر ويكفى ان مايتكلم به من علمه لوقدر ان البحر يمده من بعده سبعة أبحر مداد وأشجار الارض كلها من أول الدهر الى آخره أقلام يكتب به مايتكلم به ممايعلمه لنفدت البحار وفنيت الاقلام ولم تنفد كلماته فنسبة علوم الخلائق الى علمه سبحانه كنسبة قدرتهم الى قدرته وغناهم الى غناه وحكمتهم الى حكمته واذا كان أعلم الخلق به على الاطلاق يقول لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ويقول في دعاء الاستخارة فانك تقدر ولاأقدر وتعلم ولاأعلم وأنت علام الغيوب ويقول سبحانه للملائكة انى أعلم مالاتعلمون ويقول سبحانه لاعلم الامم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ويقول لاهل الكتاب وماأوتيتم من العلم الاقليلا وتقول رسله يوم القيامة حين يسألهم ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب وهذا هو الادب المطابق للحق في نفس الامر فان علومهم وعلوم الخلائق تضمحل وتتلاشى في علمه سبحانه كما يضمحل ضوء السراج الضعيف في عين الشمس فمن أظلم الظلم وأبين الجهل وأقبح القبيح وأعظم القحة والجراءة أن يعترض من لانسبة لعلمه الى علوم الناس التى لانسبة لها الى علوم الرسل التى لانسبة لها الى علم رب العالمين عليه ويقدح في حكمته ويظن أن الصواب والاولى أن يكون غير ماجرى به قلمه وسبق به علمه وأن يكون الامر بخلاف ذلك فسبحان الله رب العالمين تنزيها لربوبيته وإلهيته وعظمته وجلاله عمالايليق به من كل مانسبه اليه الجاهلون الظالمون فسبحان الله كلمة يحاشى الله بها عن كل مايخالف كماله من سوء ونقص وعيب فهو المنزه التنزيه التام من كل وجه وبكل اعتبار عن كل نقص متوهم واثبات عموم حمده وكماله وتمامه ينفى ذلك واتصافه بصفات الالهية التى لاتكون لغيره وكونه أكبر من كل شيء في ذاته وأوصافه وأفعاله ينفى ذلك لمن رسخت معرفته في معنى سبحان الله والحمد لله ولااله الاالله والله أكبر وسافر قلبه في منازلها وتلقى معانيها من مشكاة النبوة لامن مشكاة الفلسفة والكلام الباطل وآراء المتكلمين فهذا أصل يجب التمسك به في هذا المقام وان يعلم أن عقول العالمين ومعارفهم وعلومهم وحكمهم تقصر عن الاحاطة بتفاصيل حكمة الرب سبحانه في أصغر مخلوقاته * الاصل الثانى انه سبحانه حى حقيقة وحياته أكمل الحياة وأتمها وهى حياة تستلزم جميع صفات الكمال ونفى أضدادها من جميع الوجوه ومن لوازم الحياة الفعل الاختيارى فان كل حى فعال وصدور الفعل عن الحى بحسب كمال حياته ونقصها وكل من كانت حياته أكمل من غيره كان فعله أقوى وأكمل وكذلك قدرته ولذلك كان الرب سبحانه على كل شيء قدير وهو فعال لما يريد وقد ذكر البخارى في كتاب خلق الافعال عن نعيم بن حماد انه قال الحى هو الفعال وكل حى فعال فلافرق بين الحى والميت الا بالفعل والشعور واذا كانت الحياة مستلزمة للفعل وهو الاصل الثالث فالفعل

الذي لا يعقل الناس سواه هو الفعل الاختياري الارادي الحاصل بقدرة الفاعل وارادته ومشيئته وما يصدر عن الذات من غير شعور قدرة منها ولا ارادة لا يسميه أحد من العقلاء فعلا وان كان أثرا من آثارها ومتولدا عنها كتأثير النار في الاحراق والماء في الاغراق والشمس في الحرارة فهذه آثار صادرة عن هذه الاجسام وليست أفعالا لها وان كانت بقوى وطبائع جعلها الله فيها فالفعل والعمل من الحي العالم لا يقع الا بمشيئته وقدرته وكون الرب سبحانه حيا فاعلا مختارا مريدا مما اتفقت عليه الرسل والكتب ودل عليه العقل والفطرة وشهدت به الموجودات ناطقها وصامتها جمادها وحيوانها علويها وسفليها فمن أنكر فعل الرب الواقع بمشيئته واختياره وفعله فقد جحد ربه وفاطره وأنكر أن يكون للعالم رب * الاصل الرابع انه سبحانه ربط الاسباب بمسبباتها شرعا وقدرا وجعل الاسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي وأمره الكوني القدري ومحل ملكه وتصرفه فانكار الاسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات وقدح في العقول والفطر ومكابرة للحس وجحد للشرع والجزاء فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والاوامر والنواهي والحل والحرمة كل ذلك مرتبطا بالإسباب قائما بها بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه بل الموجودات كلها أسباب ومسببات والشرع كله أسباب ومسببات والمقادير أسباب ومسببات والقدر جار عليها متصرف فيها فالاسباب محل الشرع والقدر والقرآن مملوء من اثبات الاسباب كقوله بما كنتم تعلمون بما كنتم تكسبون ذلك بما قدمت يداك بما كسبت أيديكم كلوا واشربوا بما أسلفتم في الايام الخالية جزاء وفاقا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف الى قوله وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وقوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية وقوله فبما رحمة من الله لنت لهم وقوله ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله وقوله ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وقوله ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم وقوله (فعصوا رسول ربهم فاخذهم أخذة رابية) وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين فعصى فرعون الرسول فاخذناه أخذا وبيلا فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين وقوله (وأنزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد) وقوله (حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات) وقوله (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم الآية) وقوله (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا) وكل موضع رتب فيه الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف افاد كونه سببا له كقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) وقوله (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وقوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين) وقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) وهذا أكثر من أن يستوعب وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية

الشرط والجزاء وهو أكثر من أن يستوعب كقوله (ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) وقوله (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف أفاد التسبب وقد تقدم وكل موضع تقدم ذكرت فيه الباء تعليلا لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب وكل موضع صرح فيه بان كذا جزاء لكذا أفاد التسبيب فان العلة الغائية علة للعلة الفاعلية ولو تتبعنا مايفيد اثبات الاسباب من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر ولهذا قال من قال من أهل العلم تكلم قوم في انكار الاسباب فاضحكوا ذوى العقول على عقولهم وظنوا انهم بذلك ينصرون التوحيد فشابهوا المعطلة الذين أنكروا صفات الرب ونعوت كماله وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لملائكته وعباده وظنوا انهم بذلك ينصرون التوحيد فما أفادهم الا تكذيب الله ورسله وتنزيهه عن كل كمال ووصفه بصفات المعدوم والمستحيل ونظير من نزه الله في أفعاله وان يقوم به فعل البتة وظن انه ينصر بذلك حدوث العالم وكونه مخلوقا بعد ان لم يكن وقد أنكر أصل الفعل والخلق جملة ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد ايهام الناس ان التوحيد لايتم الابانكار الاسباب فاذا رأى العقلاء انه لا يمكن اثبات توحيد الرب سبحانه الابابطال الاسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به وأنت لاتجد كتابا من الكتب أعظم اثباتا للاسباب من القرآن ويالله العجب اذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذى جعل هذا سببا لهذا والاسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته منقادة لحكمه ان شاء أن يبطل سببية الشئ أبطلها كما أبطل احراق النار على خليله ابراهيم واغراق الماء على كليمه وقومه وان شاء أقام لتلك الاسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها وان شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا فأى قدح يوجب ذلك في التوحيد وأى شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه ولكن ضعفاء العقول اذا سمعوا ان النار لاتحرق والماء لايغرق والخبز لايشبع والسيف لايقطع ولا تأثير لشئ من ذلك البتة ولا هو سبب لهذا الاثر وليس فيه قوة وانما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا لكذا قالت هذا هو التوحيد وافراد الرب بالخلق والتأثير ولم يدر هذا القائل ان هذا اساءة ظن بالتوحيد وتسليط لاعداء الرسل على ماجاؤا به كما تراه عيانا في كتبهم ينفرون به الناس عن الايمان ولا ريب ان الصديق الجاهل قد يضر مالا يضره العدو العاقل قال تعالى عن ذى القرنين (وآتيناه من كل شئ سببا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس علما قال قتادة وابن زيد وابن جريج والضحاك علما تسبب به الى مايريد وكذلك قال اسحق علما يوصله الى حيث يريد وقال المبرد وكل ماوصل شيأ بشئ فهو سبب وقال كثير من المفسرين آتيناه من كل مابالخلق اليه حاجة علما ومعونة له وقد سمى الله سبحانه الطريق سببا في قوله فاتبع سببا قال مجاهد طريقا وقيل السبب الثانى هو الاول أى اتبع سببا من تلك الاسباب التى أوتيها مما يوصله الى مقصوده وسمى سبحانه أبواب السماء أسبابا اذ منها يدخل الى السماء قال تعالى عن فرعون (لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات) أى أبوابها التى أدخل منها اليها وقال زهير

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

وسمى الحبل سببا لايصاله الى المقصود قال تعالى (فليمدد بسبب الى السماء) قال بعض أهل اللغة السبب من الحبال القوى الطويل قال ولا يدعى الحبل سببا حتى يصعد به وينزل ثم قيل لكل شئ وصلت به الى موضع أو حاجة تريدها سبب يقال مابيني وبين فلان سبب أى أصرة رحم أو عاطفة مودة وقد سمى تعالى وصل الناس بينهم أسبابا وهى التى يتسببون بها الى قضاء حوائجهم بعضهم من بعض قال تعالى (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب) يعنى الواصلات التى كانت بينهم في الدنيا وقال ابن عباس وأصحابه يعنى أسباب المودة الواصلات التى كانت بينهم في الدنيا وقال ابن زيد هى الاعمال التى كانوا يؤملون أن يصلوا بها الى ثواب الله وقيل هى الارحام التى كانوا يتعاطفون بها وبالجملة فسمى الله سبحانه ذلك كله أسبابا لانها كانت يتوصل بها الى مسبباتها وهذا كله عند نفاة الاسباب مجاز لاحقيقة له وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾ الاصل الخامس أنه سبحانه حكيم لايفعل شيأ عبثا ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هى الغاية المقصودة بالفعل بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لاجلها فعل كما هى ناشئة عن أسباب بها فعل وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لاتكاد تحصى ولا سبيل الى استيعاب أفرادها فنذكر بعض أنواعها * النوع الاول التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله (حكمة بالغة) وقوله (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) وقوله (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) والحكمة هى العلم النافع والعمل الصالح وسمى حكمة لان العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا الى غايتهما وكذلك لايكون الكلام حكمة حتى يكون موصلا الى الغايات المحمودة والمطالب النافعة فيكون مرشدا الى العلم النافع والعمل الصالح فتحصل الغاية المطلوبة فاذا كان المتكلم به لم يقصد مصلحة المخاطبين ولا هداهم ولا ايصالهم الى سعادتهم ودلالتهم على أسبابها وموانعها ولا كان ذلك هو الغاية المقصودة المطلوبة ولا تكلم لاجلها ولا أرسل الرسل وأنزل الكتب لاجلها ولا نصب الثواب والعقاب لاجلها لم يكن حكيما ولا كلامه حكمة فضلا عن أن تكون بالغة * النوع الثانى اخباره انه فعل كذا لكذا وانه أمر بكذا لكذا كقوله (ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات وما في الارض) وقوله (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) وقال (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات وما في الارض وأن الله بكل شئ عليم) وقوله (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراد الله) وقوله (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لايقدرون على شئ من فضل الله) وقوله (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) وقوله (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) أى ليتمكنوا بهذا الحفظ والرصد من تبليغ رسالاته فيعلم الله ذلك واقعا وقوله (وينزل من السماء ماء ليطهركم به وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وقوله (ويبطل الباطل) وقوله (وما جعله الله ولتطمئن قلوبكم به) وقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) وقوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب

ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وقوله هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولو الالباب) وقوله (ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) وقوله (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) وقوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) وهذا في القرآن فان قيل اللام في هذا كله لام العاقبة كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وقوله (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) وقوله (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) وقوله (ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حى عن بينة) وقوله (ولتصغى اليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون) فان مابعد اللام في هذا ليس هو الغاية المطلوبة ولكن لما كان الفعل منتهيا اليه وكان عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل وهى في الحقيقة لام العاقبة * فالجواب من وجهين * أحدهما ان لام العاقبة انما تكون في حق من هو جاهل أو هو عاجز عن دفعها فالاول كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) والثانى كقول الشاعر

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب

وأما من هو بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير فيستحيل في حقه دخول هذه اللام وانما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة * الجواب الثانى افراد كل موضع من تلك المواضع بالجواب أما قوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) فهو تعليل لقضاء الله سبحانه بالتقاطه وتقديره له فان التقاطهم له انما كان بقضائه وقدره فهو سبحانه قدر ذلك وقضى به ليكون لهم عدوا وحزنا وذكر فعلهم دون قضائه لانه أبلغ في كونه حزنا لهم وحسرة عليهم فان من اختار أخذ مايكون هلاكه على يديه اذا أصيب به كان أعظم لحزنه وغمه وحسرته من أن لايكون فيه صنع ولا اختيار فانه سبحانه أراد أن يظهر لفرعون وقومه ولغيرهم من خلقه كمال قدرته وعلمه وحكمته الباهرة وان هذا الذى يذبح فرعون الابناء في طلبه هو الذى يتولى تربيته في حجره وبيته باختياره وارادته ويكون في قبضته وتحت تصرفه فذكر فعلهم به في هذا أبلغ وأعجب من أن يذكر القضاء والقدر وقد أعلمنا سبحانه ان أفعال عباده كلها واقعة بقضائه وقدره وأما قوله تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) فلا ريب ان هذا تعليل لفعله المذكور وهو امتحان بعض خلقه ببعض كما امتحن السادات والاشراف بالعبيد والضعفاء والموالى فاذا نظر الشريف والسيد الى العبد والضعيف والمسكين قد أسلم أنف وحمى أن يسلم معه أو بعده ويقول هذا يسبقنى الى الخير والفلاح وأتخلف أنا فلو كان ذلك خيرا وسعادة ماسبقنا هؤلاء اليه فهذا القول منهم هو بعض الحكم والغاية المطلوبة بهذا الامتحان فان هذا القول دال على اباء واستكبار وترك الانقياد للحق بعد المعرفة التامة به وهذا وان كان علة فهو مطلوب لغيره والعلل الغائية تارة تطلب لنفسها وتارة تطلب لغيرها فتكون وسيلة الى مطلوب لنفسه وقول هؤلاء ماقالوه وما يترتب عليه هذا القول موجب لآثار مطلوبة للفاعل من اظهار عدله وحكمته وعزه وقهره وسلطانه وعطائه من يستحق

عطاءه ويحسن وضعه عنده ومنعه من يستحق المنع ولا يليق به غيره ولهذا قال تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون المنعم عليهم فيما من عليهم من بين من لا يعرفها ولا يشكر ربه عليها وكانت فتنة بعضهم ببعض لحصول هذا التمييز الذى ترتب عليه شكر هؤلاء وكفر هؤلاء

﴿ فصل ﴾ وأما قوله (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) فهى على بابها وهى لام الحكمة والتعليل أخبر الله سبحانه أنه جعل ماألقاه الشيطان في أمنية الرسول محنة واختبارا لعباده فافتتن به فريقان وهم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وعلم المؤمنون ان القرآن والرسول حق وان القاء الشيطان باطل فآمنوا بذلك وأخبتت له قلوبهم فهذه غاية مطلوبة مقصودة بهذا القضاء والقدر والله سبحانه جعل القلوب على ثلاثة أقسام مريضة وقاسية ومخبتة وذلك لانها اماأن تكون يابسة جامدة لاتلين للحق اعترافا واذعانا أو لاتكون كذلك فالاول حال القلوب القاسية الحجرية التى لاتقبل مايبث فيها ولا ينطبع فيها الحق ولا ترتسم فيها العلوم النافعة ولا تلين لاعطاء الاعمال الصالحة وأما النوع الثانى فلا يخلو اما أن يكون الحق ثابتا فيه لايزول عنه لقوته مع لينه أو يكون ثابتا مع ضعف وانحلال والثانى هو القلب المريض والاول هو الصحيح المخبت وهو جمع الصلابة والصفاء واللين فيبصر الحق بصفائه ويشتد فيه بصلابته ويرحم الخلق بلينه كما في أثر مروى القلوب آنية الله في أرضه فأحبها الى الله أصلبها وأرقها وأصفاها كما قال تعالى في أصحاب هذه القلوب (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فهذا وصف منه للمؤمنين الذين عرفوا الايمان بصفاء قلوبهم واشتدوا على الكفار بصلابتها وتراحموا فيما بينهم بلينها وذلك ان القلب عضو من أعضاء البدن وهو أشرف أعضائه وملكها المطاع وكل عضو كاليد مثلا اماأن تكون جامدة ويابسة لاتلتوى ولا تبطش أو تبطش بضعف فذلك مثل القلب القاسى أو تكون مريضة ضعيفة عاجزة لضعفها ومرضها فذلك مثل الذى فيه مرض أو تكون باطشة بقوة ولين فذلك مثل القلب العليم الرحيم فبالعلم خرج عن المرض الذى ينشأ من الشهوة والشبهة وبالرحمة خرج عن القسوة ولهذا وصف سبحانه من عدا أصحاب القلوب المريضة والقاسية بالعلم والايمان والاخبات فتأمل ظهور حكمته سبحانه في أصحاب هذه القلوب وهم كل الامة فاخبر ان الذين أوتوا العلم علموا أنه الحق من ربهم كما أخبر أنهم في المتشابه يقولون آمنا به كل من عند ربنا وكلا الوصفين موضع شبهة فكان حظهم منه الايمان وحظ أرباب القلوب المنحرفة عن الصحة الافتتان ولهذا جعل سبحانه احكام آياته في مقابلة مايلقى الشيطان بازاء الآيات المحكمات في مقابلة المتشابهات فالاحكام ههنا بمنزلة انزال المحكمات هناك ونسخ مايلقى الشيطان ههنا في مقابلة رد المتشابه الى المحكم هناك والنسخ ههنا رفع ماألقاه الشيطان لارفع ماشرعه الرب سبحانه وللنسخ معنى آخر وهو النسخ من افهام المخاطبين مافهموه مما لم يرده ولا دل اللفظ عليه وان أوهمه كما أطلق الصحابة النسخ على قوله (وان تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) قالوا نسختها قوله (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) الآية فهذا نسخ من الفهم لانسخ للحكم الثابت فان المحاسبة لاتستلزم العقاب في الآخرة ولا في الدنيا أيضا ولهذا عمهم بالمحاسبة ثم اخبر بعدها أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فتهم

المؤاخذة

المؤاخذة التى هى المعاقبة من الآية تحميل لهـا فوق وسعها فرفع هذا المعنى من فهمه بقوله (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) الى آخرها فهذا رفع لفهم غير المراد من القاء الملك وذاك رفع لما ألقاه غير الملك في اسماعهم أو في التمنى وللنسخ معنى ثالث عند الصحابة والتابعين وهو ترك الظاهر اما بتخصيص عام أو بتقييد مطلق وهذا كثير في كلامهم جدا وله معنى رابع وهو الذى يعرفه المتأخرون وعليـه اصطلحوا وهو رفع الحكم بجملته بعد ثبوته بدليل رافع له فهذه أربعـة معان للنسخ والاحكام له ثلاثة معان * أحدها الاحكام الذى في مقابلة المتشابه كقوله (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) والثانى الاحكام في مقابلة نسخ مايلقى الشيطان كقوله فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته وهذه الاحكام يعم جميع آياته وهو اثباتها وتقريرها وبيانها ومنـه قوله (كتاب أحكمت آياته) * الثالث احكام في مقابلة الآيات المنسوخة كما يقوله السلف كثيرا هذه الآية محكمة غير منسوخة وذلك لان الاحكام تارة يكون في التنزيل فيكون في مقابلة مايلقيه الشيطان في أمنيته مايلقيه المبلغ أو في سمع المبلغ فالحكم هنا هو المنزل من عند الله أحكمه الله أى فصله من اشتباهه بغير المنزل وفصل منه ماليس منه بابطاله وتارة يكون في ابقاء المنزل واستمراره فلا ينسخ بعد ثبوته وتارة يكون في معنى المنزل وتأويله وهو تمييز المعنى المقصود من غـيره حتى لايشتبه به والمقصود ان قوله ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض هى لام التعليل على بابها وهذا الاختبار والامتحان مظهر لمختلف القلوب الثلاثة فالقاسية والمريضة ظهر خبؤها من الشك والكفر والمخبتة ظهر خبؤها من الايمان والهدى وزيادة محبته وزيادة بغض الكفر والشرك والنفرة عنـه وهذا من أعظم حكمة هذا الالقاء

﴿ فصل ﴾ وأما اللام في قوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فلام التعليل على بابها فانها مذكورة في بيان حكمته في جمع أوليائه وأعدائه على غير ميعاد ونصرة أوليائه مع قلتهم ورقتهم وضعف عددهم وعدتهـم على أصحاب الشوكة والعدد والحد والحديد الذى لايتوهم بشر أنهم ينصرون عليهم فكانت تلك آية من أعظم آيات الرب سبحانه صدق بها رسوله وكتابه ليهلك بعدها من اختار لنفسه الكفر والعناد عن بينة فلا يكون له على الله حجة ويحيى من حى بالايمـان بالله ورسوله عن بينة فلا يبقى عنده شك ولا ريب وهذا من أعظم الحكم ونظير هذا قوله (ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين)

﴿ فصل ﴾ وأما اللام في قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة فهى على بابها للتعليل فانها ان كانت تعليـلا لفعل العدو وهو ايحاء بعضهم الى بعض فظاهر وعلى هذا فيكون عطفا على قوله غرورا فانه مفعول لاجله أى ليغروهم بهذا الوحى ولتصغى اليه أفئدة من يلقى اليه فيرضاه ويعمل بموجبه فيكون سبحانه قد أخبر بمقصودهم من الايحاء المذكور وهو أربعة أمور غرور من يوحون اليه واصغاء أفئدتهم اليهم ومحبتهم لذلك وانفعالهم عنده بالاقتراف وان كان ذلك تعليلا لجعله سبحانه لكل نبى عدوا فيكون هذا الحكم من جملة الغايات والحكم المطلوبة بهذا الجعل وهى غاية وحكمة مقصودة لغيرها لانها مفضية الى أمور هى محبوبة مطلوبة للرب سبحانه وفواتها يستلزم فوات ماهو أحب اليه من حصولها وعلى التقدين فاللام لام التعليل والحكمة

﴿ فصل ﴾ النوع الثالث الاتيان بكى الصريحة في التعليل كقوله تعالى ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم فعلل سبحانه تسمية الفىء بين هذه الاصناف كى لايتداوله الاغنياء دون الفقراء والاقوياء دون الضعفاء وقوله سبحانه (ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فأخبر سبحانه انه قدر مايصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن يبرأ الانفس أو المصيبة أو الارض أو المجموع وهو الاحسن ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وانه يسير عليه وحكمته البالغة التى منها أن لايحزن عباده على مافاتهم اذا علموا ان المصيبة فيه بقدره وكتابته ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفائت فلم يأسوا عليه ولم يفرحوا بالحاصل لعلمهم ان المصيبة مقدرة في كل ماعلى الارض فكيف يفرح بشئ قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه ولما كانت المصيبة تتضمن فوات محبوب أو خوف فواته أو حصول مكروه أو خوف حصوله نبه بالاسى على الفائت على مفارقة المحبوب بعد حصوله وعلى فوته حيث لم يحصل ونبه بعدم الفرح به اذا وجد على توطين النفس لمفارقته قبل وقوعها وعلى الصبر على مرارتها بعد الوقوع وهذه هى أنواع المصائب فاذا تيقن العبد انها مكتوبة مقدرة وان ماأصابه منها لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه هانت عليه وخف حملها وأنزلها منزلة الحر والبرد

﴿ فصل ﴾ النوع الرابع ذكر المفعول له وهو علة للفعل المعلل به كقوله (وأنزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة) ونصب ذلك على المفعول له أحسن من غيره كما صرح به في قوله لتبين للناس مانزل اليهم وفي قوله (ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) فاتمام النعمة هو الرحمة وقوله (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين) وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى لاجل الذكر كما قال (فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) وقوله فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا أى للاعذار والانذار وقوله (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) فهذا كله مفعول لاجله وقوله (انا صببنا الماء صبا) الى قوله (متاعا لكم ولأنعامكم) والمتاع واقع موقع التمتيع كما يقع السلام موقع التسليم والعطاء موضع الاعطاء وأما قوله (يريكم البرق خوفا وطمعا) فيحتمل أن يكون من ذلك أى اخافة لكم واطماعا وهو أحسن ويحتمل أن يكون معمول فعل محذوف أى فيرونهما خوفا وطمعا فيكونان حالا وقوله (أو لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) الى قوله (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) أى لاجل التبصرة والذكرى والفرق بينهما ان التبصرة توجب العلم والمعرفة والذكرى توجب الانابة والانقياد وبهما تتم الهداية

﴿ فصل ﴾ النوع الخامس الاتيان بان والفعل المستقبل بعدها تعليلا لما قبله كقوله (أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وقوله أن تقول نفس ياحسرتا وقوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ونظائره وفي ذلك طريقان أحدهما للكوفيين والمعنى لئلا تقولوا ولئلا تقول نفس والثانى للبصريين ان المفعول له محذوف أى كراهة أن تقولوا أو حذار أن تقولوا فان قيل كيف يستقيم الطريقان في قوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فانك ان

قدرت

قدرت لئلا تضل احداهما لم يستقم العطف فتذكر احداهما عليه وان قدرت حذار أن تضل احداهما لم يستقم العطف أيضا وان قدرت ارادة أن تضل لم تصح أيضا * قيل هذا من الكلام الذى ظهور معناه مزيل للاشكال فان المقصود اذكار احداهما الاخرى اذا ضلت ونسيت فلما كان الضلال سببا للاذكار جعل موضع العلة كما تقول أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فادعمه بها فانما أعددتها للدعم لا للميل وأعددت هذا الدواء ان أمرض فأتداوى به ونحوه وهذا قول سيبويه والبصريين قال أهل الكوفة تقديره كى تذكر احداهما الاخرى ان ضلت فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله ففتحت أن قال الفراء ومثله قوله ليعجبنى أن يسأل السائل فيعطى معناه ليعجبنى أن يعطى السائل ان سأل لانه انما يعجبه الاعطاء لا السؤال ومن ذلك قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فذكر سبحانه من حكم أخذ الميثاق عليهم أن لا يحتجوا يوم القيامة بغفلتهم عن هذا الامر ولا بتقليد الاسلاف ومنه قوله وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت فالضمير في به القرآن وأن تبسل فى محل نصب على أنه مفعول له أى حذار أن تسلم نفس الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء عملها

(فصل) النوع السادس ذكر ماهو من صرائح التعليل وهو من أجل كقوله من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقد ظنت طائفة ان قوله من أجل ذلك تعليل لقوله فأصبح من النادمين أى من أجل قتله لاخيه وهذا ليس بشئ لانه يشوش صحة النظم وتقل الفائدة بذكره ويذهب شأن التعليل بذلك للكتابة المذكورة وتعظيم شأن القتل حين جعل علة لهذه الكتابة فتأمله * فان قلت كيف يكون قتل أحد بنى آدم للآخر علة لحكمه على أمة أخرى بذلك الحكم واذا كان علة فكيف كان قاتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم * قلت الرب سبحانه يجعل أقضيته واقداره عللا وأسبابا لشرعه وأمره فجعل حكمه الكونى القدرى علة لحكمه الدينى الامرى وذلك ان القتل عنده لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد فخم أمره وعظم شأنه وجعل اثمه أعظم من اثم غيره ونزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الانفس كلها ولا يلزم من التشبيه أن يكون المشبه بمنزلة المشبه به من كل الوجوه فاذا كان قاتل الانفس كلها يصلى النار وقاتل النفس الواحدة يصلاها صح تشبيهه به كما يأثم من شرب قطرة واحدة من الخمر ومن شرب عدة قناطير وان اختلف مقدار الاثم وكذلك من زنى مرة واحدة وآخر زنا مرارا كثيرة كلاهما آثم وان اختلف قدر الاثم وهذا معنى قول مجاهد من قتل نفسا واحدة يصلى النار بقتلها كما يصلاها من قتل الناس جميعا وعلى هذا فالتشبيه في أصل العذاب لا في وصفه وان شئت قلت التشبيه في أصل العقوبة الدنيوية وقدرها فانه لا يختلف بقلة القتل وكثرته كما لو شرب قطرة فان حده حد من شرب راوية ومن زنى بامرأة واحدة حده حد من زنى بألف وهذا تأويل الحسن وابن زيد قالا يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ولك أن تجعل التشبيه في الاذى والغم الواصل الى المؤمنين بقتل الواحد منهم فقد جعلهم كلهم خصماءه وأوصل اليهم من الاذى والغم مايشبه القتل وهذا تأويل ابن الانبارى وفي الآية تأويلات أخر

﴿فصل﴾ النوع السابع التعليل بلعل وهى في كلام الله سبحانه للتعليل مجردة عن معنى الترجى فانها انما يقارنها معنى الترجى اذا كانت من المخلوق واما في حق من لا يصح عليه الترجى فهى للتعليل المحض كقوله أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فقيل هو تعليل لقوله أعبدوا ربكم وقيل تعليل لقوله خلقكم والصواب انه تعليل للامرين لشرعه وخلقه ومنه قوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقوله (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقوله (لعلكم تذكرون لعله يذكر أو يخشى) فامل في هذا كله قد اخلصت للتعليل والرجاء الذى فيها متعلق بالمخاطبين

﴿فصل﴾ النوع الثامن ذكر الحكم الكونى والشرعى عقيب الوصف المناسب له وتارة يذكر بان وتارة يقرن بالفاء وتارة يذكر مجردا فالاول كقوله (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبناله ووهبناله يحيى وأصلحناله زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) وقوله (ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين) وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وقوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين) والثانى كقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والثالث كقوله ان المتقين في جنات وعيون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم وهذا في التنزيل يزيد على عدة آلاف موضع بل القرآن مملوء منه فان قيل هذا انما يفيد كون تلك الافعال أسبابا لما رتب عليها لا يقتضى اثبات التعليل في فعل الرب وأمره فاين هذا من هذا قيل لما جعل الرب سبحانه هذه الاوصاف عللا لهذه الاحكام وأسبابا لها دل ذلك على انه حكم بها شرعا وقدرا لاجل تلك الاوصاف وانه لم يحكم بها لغير علة ولا حكمة ولهذا كان كل من نفى التعليل والحكم نفى الاسباب ولم يجعل لحكم الرب الكونى والدينى سببا ولا حكمة هى العلة الغائية وهؤلاء ينفون الاسباب والحكم ومن تأمل شرع الرب وقدره وجزاءه جزم جزما ضروريا ببطلان قول النفاة والله سبحانه قد رتب الاحكام على أسبابها وعللها وبين ذلك خبرا وحسا وفطرة وعقلا ولو ذكرنا ذلك على التفصيل لقام منه عدة أسفار

﴿فصل﴾ النوع التاسع تعليله سبحانه عدم الحكم القدرى والشرعى بوجود المانع منه كقوله (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير) وقوله وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون أى آيات الاقتراح لا الآيات الدالة على صدق الرسل التى يقيمها هو سبحانه ابتداء وقوله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى) وقوله (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) فاخبر سبحانه عن المانع الذى منع من انزال الملك عيانا بحيث يشاهدونه وان حكمته وعنايته بخلقه منعت من ذلك فانه لو أنزل الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا لعوجلوا

بالعقوبة

بالعقوبة ولم ينظروا وأيضا فانه جعل الرسول بشرا ليمكنهم التلقي عنه والرجوع اليه ولو جعله ملكا فاما أن يدعه على هيئة الملائكة أو يجعله على هيئة البشر والاول يمنعهم من التلقي عنه والثاني لايحصل مقصودهم اذ كانوا يقولون هو بشر لاملك وقال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الاأن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لوكان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) فاخبر سبحانه عن المانع من انزال الملائكة وهو انه لم يجعل الارض مسكنا لهم ولايستقرون فيها مطمئنين بل يكون نزولهم لينفذوا أوامر الرب سبحانه ثم يعرجون اليه ومن هذا قوله (وما منعنا أن نرسل بالآيات الاأن كذب بها الاولون) فاخبر سبحانه عن حكمته في الامتناع من ارسال رسله بآيات الاقتراح والتشهي وهي انها لاتوجب الايمان فقد سألها الاولون فلما أوتوها كذبوا بها فاهلكوا فليس لهم مصلحة في الارسال بها بل حكمته سبحانه تابى ذلك كل الاباء ثم نبه على ماأصاب ثمود من ذلك فانهم اقترحوا الناقة فلما أعطوا ماسألوا ظلموا ولم يؤمنوا فكان في اجابتهم الى ماسألوا هلاكهم واستئصالهم ثم قال (ومانرسل بالآيات الاتخويفا) أي لاجل التخويف فهو منصوب نصب المفعول لاجله قال قتادة أن الله يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يعتبون أو يذكرون أو يرجعون وهذا يعم آياته التي تكون مع الرسل والتي تقع بعدهم في كل زمان فانه سبحانه لايزال يحدث لعباده من الآيات مايخوفهم بها ويذكرهم بها ومن ذلك قوله (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لايعلمون) أي لايعلمون حكمته تعالى ومصلحة عباده في الامتناع من انزال الآيات التي يقترحها الناس على الانبياء وليس المراد ان أكثر الناس لايعلمون ان الله قادر فانه لم ينازع في قدرة الله أحد من المقرين بوجوده سبحانه ولكن حكمته في ذلك لايعلمها أكثر الناس

(فصل) النوع العاشر اخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره كقوله (الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) وقوله (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا) الى قوله (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا) وقوله (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا) وقوله (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم) وقوله (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قوله (متاعا لكم ولانعامكم) وقوله (ومن آياته ان جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) وقوله (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) وقوله (الله الذي سخر البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) الى أضعاف أضعاف ذلك في القرآن مما يفيد من له أدنى تأمل القطع بانه سبحانه فعل ذلك للحكم والمصالح التي ذكرها وغيرها مما لم يذكره وقوله (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال

بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقوله (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) وقوله (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) فهل يستقيم ذلك ويصح فيمن لا يفعل لحكمة ولا لمصلحة ولا لغاية هي مقصودة بالفعل ومعلوم بالضرورة ان هذا الاثبات وهذا النفي متقابلان أعظم التقابل

﴿ فصل ﴾ النوع الحادى عشر انكاره سبحانه على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة كقوله (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا) وقوله (أيحسب الانسان أن يترك سدى) وقوله (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق) والحق هو الحكم والغايات المحمودة التى لاجلها خلق ذلك كله وهو أنواع كثيرة منها أن يعرف الله تعالى باسمائه وصفاته وأفعاله وآياته ومنها أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر ويطاع ومنها أن يأمر وينهى ويشرع الشرائع ومنها أن يدبر الامر ويبرم القضاء ويتصرف في المملكة بانواع التصرفات ومنها أن يثيب ويعاقب فيجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته فيوجد أثر عدله وفضله موجودا مشهودا فيحمد على ذلك ويشكر ومنها أن يعلم خلقه انه لا إله غيره ولا رب سواه ومنها أن يصدق الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيهينه ومنها ظهور آثار أسمائه وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهنى والخارجى فيعلم عباده ذلك علما مطابقا لما في الواقع ومنها شهادة مخلوقاته كلها بانه وحده ربها وفاطرها ومليكها وانه وحده إلهها ومعبودها ومنها ظهور أثر كماله المقدس فان الخلق والصنع لازم كماله فانه حى قدير ومن كان كذلك لم يكن الا فاعلا مختارا ومنها أن يظهر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذى يليق به ومجيئه على الوجه الذى تشهد العقول والفطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة ومنها أنه سبحانه يحب أن يجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح ولا بد من لوازم ذلك خلقا وشرعا ومنها أنه يحب أن يثنى عليه ويمدح ويمجد ويسبح ويعظم ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته وإلهيته الى غير ذلك من الحكم التى تضمنها الخلق فخلق مخلوقاته بسبب الحق ولاجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهو في نفسه حق فمصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أثنى على عباده المؤمنين حيث نزهوه عن ايجاد الخلق لا لشيء ولا لغاية فقال تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) وأخبر ان هذا ظن أعدائه لا ظن أوليائه فقال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) وكيف يتوهم انه عرفه من يقول انه لم يخلق لحكمة مطلوبة له ولا أمر لحكمة ولا نهى لحكمة وانما يصدر الخلق والامر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا لغاية مقصودة وهل هذا الا انكار لحقيقة حمده بل الخلق والامر انما قام بالحكم والغايات فهما مظهران بحمده وحكمته فانكار الحكمة انكار لحقيقة خلقه وأمره فان الذى أثبته المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب ويتعالى عن نسبته اليه فانهم أثبتوا خلقا وأمرا لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة بل يجوز عندهم أو يقع أن يأمر بما لا مصلحة للمكلف فيه البتة وينهى عما فيه مصلحة والجميع بالنسبة اليه سواء ويجوز

عندهم

عندهم أن يأمر بكل مانهى عنه وينهى عن جميع ماأمر به ولافرق بين هذا وهذا الا لمجرد الامر والنهى ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه طرفة عين بل أفنى عمره في طاعته وشكره وذكره وينعم على من لم يطعه طرفة عين بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور فلا سبيل الى أن يعرف خلاف ذلك منه الا بخبر الرسول والا فهو جائز عليه وهذا من أقبح الظن وأسوئه بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور بل هذا هو عين الظلم الذى يتعالى الله عنه والعجب العجاب أن كثيرا من أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ويزعمون ان اثباتها تجسيم وتشبيه ولاينزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون انه عدل وحق وان التوحيد عندهم لايتم الابه كما لايتم الابانكار استوائه على عرشه وعلوه فوق سمواته وتكلمه وتكليمه وصفات كماله فلايتم التوحيد عند هذه الطائفة الابهذا النفى وذلك الاثبات والله ولي التوفيق

(فصل) النوع الثانى عشر انكاره سبحانه أن يسوى بين المختلفين أو يفرق بين المتماثلين وان حكمته وعدله يأبى ذلك اما الاول فكقوله (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) فاخبر ان هذا حكم باطل جائر يستحيل نسبته اليه كما يستحيل نسبة الفقر والحاجة والظلم اليه ومنكرو الحكمة والتعليل يجوزون نسبة ذلك اليه بل يقولون بوقوعه وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) فجعل سبحانه ذلك حكما سيئا يتعالى ويتقدس عن أن يجوز عليه فضلا عن أن ينسب اليه بل أبلغ من هذا انه أنكر على من حسب أن يدخل الجنة بغير امتحان له وتكليف يبين به صبره وشكره وان حكمته تأبى ذلك كما قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) وقال (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولاالمؤمنين وليجة) فانكر عليهم هذا الظن والحسبان لمخالفته لحكمته وأما الثانى وهو أن لايفرق بين المتماثلين فكقوله (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وقوله (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقوله (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) وقوله (فاستجاب لهم ربهم انى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أوأنثى بعضكم من بعض) وقوله (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) وقوله (أكفاركم خير من أولائكم) وقوله (دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) وقوله (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلا) وقوله (سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقوله (سنة الله التى قد خلت من قبل) فسنته سبحانه عادته المعلومة في أوليائه وأعدائه باكرام هؤلاء واعزازهم ونصرتهم واهانة أولئك واذلالهم وكبتهم وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) والقرآن مملوء من هذا يخبر تعالى ان حكم الشئ في حكمته وعدله حكم نظيره ومماثله وضد حكم مضاده ومخالفه وكل نوع من هذه

الانواع لو استوعبناه لجاء كتابا مفردا

﴿ فصل ﴾ النوع الثالث عشر أمره سبحانه بتدبر كلامه والتفكر فيه وفي أوامره ونواهيه وزواجره ولولا ماتضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي هي محل الفكر لما كان للتفكر فيه معنى وانما دعاهم الى التفكر والتدبر ليطلعهم ذلك على حكمته البالغة وما فيه من الغايات والمصالح المحمودة التي توجب لمن عرفها اقراره بانه تنزيل من حكيم حميد فلو كان الحق مايقوله النفاة وان مرجع ذلك وتصوره مجرد القدرة والمشيئة التي يجوز عليها تأييد الكاذب بالمعجزة ونصره واعلائه واهانة الحق واذلاله وكسره لما كان في التدبر والتفكر ما يدلهم على صدق رسله ويقيم عليهم حجته وكان غاية مادعوا اليه القدر المحض وذلك مشترك بين الصادق والكاذب والبر والفاجر فهؤلاء بانكارهم الحكمة والتعليل سدوا على نفوسهم باب الايمان والهدى وفتحوا عليهم باب المكابرة وجحد الضروريات فان مافي خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والامر والغايات الحميدة أمر تشهد به الفطر والعقول ولا ينكره سليم الفطرة وهم لاينكرون ذلك وانما يقولون وقع بطريق الاتفاق لابالقصد كما تسقط خشبة عظيمة فيتفق عبور حيوان مؤذ تحتها فتهلكه ولا ريب ان هذا ينفي حمد الرب سبحانه على حصول هذه المنافع والحكم لانها لم تحصل بقصده وارادته بل بطريق الاتفاق الذي لايحمد عليه صاحبه ولا يثنى عليه بل هو عندهم بمثابة مالو رمى رجل درهما لالغرض ولا لفائدة بل لمجرد قدرته ومشيئته على طرحه فاتفق أن وقع في يد محتاج انتفع به فهذا من شأن الحكم والمصالح عند المنكرين

﴿ فصل ﴾ النوع الرابع عشر اخباره عن صدور الخلق والامر عن حكمته وعلمه فيذكر هذين الاسمين عند ذكر مصدر خلقه وشرعه تنبيها على أنهما انما صدرا عن حكمة مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام لقوله (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) وقوله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) فذكره العزة المتضمنة لكمال القدرة والتصرف والحكمة المتضمنة لكمال الحمد والعلم وقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) وسمع بعض الاعراب قارئا يقرأها والله غفور رحيم فقال ليس هذا كلام الله فقال أتكذب بالقرآن فقال لا ولكن لايحسن هذا فرجع القارئ الى خطئه فقال عزيز حكيم فقال صدقت واذا تأملت ختم الآيات بالاسماء والصفات وجدت كلامه مختتماً بذكر الصفة التي يقتضيها ذلك المقام حتى كأنها ذكرت دليلا عليه وموجبة له وهذا كقوله (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) أى فان مغفرتك لهم مصدر عن عزة هي كمال القدرة لاعن عجز وجهل وقوله (ذلك تقدير العزيز العليم) في عدة مواضع من القرآن يذكر ذلك عقيب ذكره الاجرام العلوية وما تضمنه من فلق الاصباح وجعل الليل مسكنا واجراء الشمس والقمر بحساب لا يعدوانه وتزيين السماء الدنيا بالنجوم وحراستها وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه ليس أمرا اتفاقيا لايمدح به فاعله ولا يثنى عليه به كسائر الامور الاتفاقية ومن هذا ختمه سبحانه قصص الانبياء وأممهم في سورة الشعراء عقيب كل قصة (وان ربك لهو العزيز الرحيم) فان ماحكم به لرسله واتباعهم ولاعدائهم صادر عن عزة ورحمة فوضع الرحمة في محلها وانتقم من أعدائه بعزته ونجى رسله وأتباعهم برحمته والحكمة

الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود وهى غاية الفعل لا أنها أمر اتفاقى

﴿ فصل ﴾ النوع الخامس عشر اخباره بان حكمه أحسن الاحكام وتقديره أحسن التقادير ولولا مطابقته للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة لما كان كذلك اذ لو كان حسنه لكونه مقدورا معلوما كما يقوله النفاة لكان هو وضده سواء فانه بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير فكان كل معلوم مقدور أحسن الاحكام وأحسن التقادير وهذا ممتنع قال تعالى ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن فجعل هـذا أن يختار لهم دينا سواه ويرتضى دينا غيره كما يمتنع عليـه العيب والظلم وقال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) وقال (اننى من المسلمين) وقال (فقدرنا فنعم القادرون) وقال (فتبارك الله أحسن الخالقين) فلا أحسن من تقديره وخلقه لوقوعه على الوجه الذى اقتضته حكمته ورحمته وعلمه وقال تعالى (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) ولولا مجيئـه على أكمل الوجوه وحسنها ومطابقتها للغايات المحمودة والحكم المطلوبة لكان كله متفاوتا أو كان عدم تفاوته أمرا اتفاقيا لايحمد فاعله لانه لم يرده ولم يقصده وانما اتفق ان صار كذلك

﴿ فصـل ﴾ النوع السابع عشر اخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه أحدهما قوله حاكيا عن نبيه هود (انى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مسـتقيم) والثانى قوله (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لايأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) قال أبو اسحاق أخبر أنه وان كانت قدرته تنالهم بما شاء فهو لايشاء الا العدل قال ابن الانبارى لما قال الا هو آخذ بناصيتها كان في معنى لاتخرج عن قبضـته قاهر بعظيم سلطانه كل دابة فاتبع ذلك قوله (ان ربى على صراط مستقيم) أى انه على الحق قال وهذا نحو كلام العرب اذا وصفوا رجلا حسن السيرة والعدل والانصاف قالوا فلان طريقه حسنة وليس ثم طريق وذكر في معنى الآية أقوال أخر هى من لوازم هذا المعنى وآثاره كقول بعضهم ان ربى يدل على صراط مستقيم فدلالته على الصراط من موجبات كونه في نفسه على صراط مستقيم فان تلك الدلالة والتعريف من تمام رحمته واحسانه وعدله وحكمته وقال بعضهم معناه لايخفى عليـه شئ ولا يعـدل عنـه هارب وقال بعضهم المعنى لامسلك لاحد ولا طريق له الا عليه كقوله (ان ربك لبالمرصاد) وهذا المعنى حق ولكن كونه هو المراد بالآية ليس بالبين فان الناس كلهم لايسلكون الصراط المستقيم حتى يقال أنهم يصـلون سلوكه اليه ولما أراد سبحانه هـذا المعنى قال الينا مرجعهم ان الينا ايابهم ان ربك لبالمرصاد وان الى ربك المنتهى وأما وصفه سبحانه بانه على صراط مسـتقيم فهو كونه يقول الحق ويفعل الصواب فكلماته صدق وعدل كله صواب وخير والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فلا يقول الا مايحمد عليه لكونه حقا وعدلا وصدقا وحكمة في نفسه وهذا معروف في كلام العرب قال جرير يمدح عمر بن عبـد العزيز

أمير المؤمنين على صراط   اذا اعوج الموارد مستقيم

واذا عرف هذا فمن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لايفعل شيأ الا بحكمة يحمد عليها وغاية هى

أولى بالارادة من غيرها فلا تخرج أفعاله عن الحكمة والمصلحة والاحسان والرحمة والعدل والصواب كما لاتخرج أقواله عن العدل والصدق

﴿ فصل ﴾ النوع السابع عشر حمده سبحانه لنفسه على جميع مايفعله وأمره عباده بحمده وهذا لما في أفعاله من الغايات والعواقب الحميدة التي يستحق فاعلها الحمد فهو يحمد على نفس الفعل وعلى قصد الغاية الحميدة به وعلى حصولها فههنا ثلاث أمور ومنكرو الحكم والتعليل ليس عندهم محمود على قصد الغاية ولا على حصولها اذ قصدها عندهم مستحيل عليه وحصولها عندهم أمر اتفاقى غير مقصود كما صرحوا به فلا يحمد على مالا يجوز قصده ولا على حصوله فلم يبق الانفس الفعل ومعلوم ان الفاعل لايحمد على فعله ان لم يكن له فيه غاية مطلوبة هى أولى به من عدمها والا فمجرد الفعل الصادر عن الفاعل اذا لم يكن له غاية يقصده بها لايحمد عليه بل وقوع هذا الفعل من القادر المختار الحكيم محال ولا يقع الفعل على هذا الوجه الا من عائب والله منزه من العيب فحمده سبحانه من أعظم الادلة على كمال حكمته وقصده بما فعل يقع خلقه والاحسان اليهم ورحمتهم واتمام نعمته عليهم وغير ذلك من الحكم والغايات التى تعطيلها تعطيل لحقيقة حمده

﴿ فصل ﴾ النوع الثامن عشر اخباره بانعامه على خلقه واحسانه اليهم وانه خلق لهم مافي السموات وما في الارض وأعطاهم الاسماع والابصار والافئدة ليتم نعمته عليهم ومعلوم ان المنعم المحسن لايكون كذلك ولا يستحق هذا الاسم حتى يقصد الانعام على غيره والاحسان اليه فلو لم يفعل سبحانه لغرض الانعام والاحسان لم يكن منعما في الحقيقة ولا محسنا اذ يستحيل أن يكون كذلك من لم يقصد الانعام والاحسان وهذا غنى عن التقرير يوضحه أنه سبحانه حيث ذكر انعامه واحسانه فانما يذكره مقرونا بالحكم والمصالح والمنافع التى خلق الخلق وشرع الشرائع لاجلها كقوله في آخر سورة النحل والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فهذا في الخلق وقال في الشرع في أمره باستقبال الكعبة ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشون ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون وقال في أمره بالوضوء والتيمم مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون فجعل تمام نعمته في أن خلق ماخلق للاحسان وأمر بما أمر لذلك

﴿ فصل ﴾ النوع التاسع عشر اتصافه بالرحمة وانه أرحم الراحمين وان رحمته وسعت كل شئ وذلك لايتحقق الا بان تقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم وبما أمرهم به فلولم تكن أوامره لاجل الرحمة والحكمة والمصلحة وارادة الاحسان اليهم لما كان رحمة ولو حصلت بها الرحمة لكانت اتفاقية لامقصودة وذلك لايوجب أن يكون الآمر سبحانه أرحم الراحمين فتعطيل حكمته والغاية المقصودة التى لاجلها يفعل انكار لرحمته في الحقيقة وتعطيل لها وكان شيخ هذا المذهب جهم بن صفوان يقف على الجذامى ويشاهد ماهم فيه من البلايا ويقول أرحم الراحمين يفعل مثل هذا يعنى أنه ليس ثم رحمة في الحقيقة وان الامر راجع الى محض المشيئة الخالية عن الحكمة والرحمة ولا حكمة

عنده ولا رحمة فان الرحمة لاتعقل الا من فعل من يفعل الشيء لرحمة غيره ونفعه والاحسان اليه فاذا لم يفعل لغرض ولا غاية ولا حكمة لم يفعل الرحمة والاحسان

﴿ فصل ﴾ النوع العشرون جوابه سبحانه لمن سأل عن التخصيص والتميز الواقع في أفعاله بانه لحكمة يعلمها هو سبحانه وان كان السائل لايعلمها كما أجاب الملائكة لما قال لهم (انى جاعل في الارض خليفة) فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فأجابهم بقوله (انى أعلم مالا تعلمون) ولو كان فعله مجردا عن الحكم والغايات والمصالح لكان الملائكة أعلم به ان سألوا هذا السؤال ولم يصح جوابهم بتفرده بعلم مالا يعلمونه من الحكم والمصلحة التى في خلق هذه الخليفة ولهذا كان سؤالهم انما وقع عن وجه الحكمة لم يكن اعتراضا على الرب تعالى ولو قدر أنه على وجه الاعتراض فهو دليل على علمهم أنه لايفعل شيأ الا لحكمة فلما رأوا ان خلق هذا الخليفة مناف للحكمة في الظاهر سألوه عن ذلك ومن هذا قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته فاجابهم بان حكمته وعلمه يأبى أن يضع رسالاته في غير محلها وعند غير أهلها ولوكان الامر راجعا الى محض المشيئة لم يكن في هذا جوابا بل كان الجواب ان أفعاله لاتعلل وهو يرجح مثلا على مثل بغير مرجح والامر عائد الى مجرد القدرة كما يقوله المنكرون وكذلك قوله (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) فلما سألوا عن التخصيص بمشيئة الله وأنكروا ذلك أجيبوا بان الله أعلم بمن يصلح لمشيئته وهو أهل لها وهم الشاكرون الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون عليها المنعم فهؤلاء يصلحون لمشيئته ولوكان الامر عائدا الى محض المشيئة لم يحسن هذا الجواب ولهذا يذكر سبحانه صفة العلم حيث يذكر التخصيص والتفضيل بينهما على انه انما حصل بعلمه سبحانه بما في التخصيص المفصل مما يقتضى تخصيصه وتفضيله وهو الذى جعله أهلا لذلك كما قال تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين) فذكر علمه عقيب ذكر تخصيصه سليمان بتسخير الريح له وتخصيصه الارض المذكورة بالبركة ومنه قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم) فذكر صفة العلم التى اقتضت تخصيص هذا المكان وهذا الزمان بامر اختصا به دون سائر الامكنة والازمنة ومن ذلك قوله سبحانه (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما) فاخبر أنه وضع هذه الكلمة عند أهلها ومن هم أحق بها وأنه أعلم بمن يستحقها من غيرهم فهل هذا وصف من يخص بمحض المشيئة لابسبب وغاية

﴿ فصل ﴾ النوع الحادى والعشرون اخباره سبحانه عن تركه بعض مقدوره لما يستلزمه من المفسدة وان المصلحة في تركه ولو كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم يكن ذلك علة للحكم كقوله تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ولوعلم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولوأسمعهم لتولوا وهم معرضون) فعلل سبحانه عدم اسماعهم السماع الذى ينتفعون به وهو سماع الفهم بانهم لاخير فيهم يحسن معه أن يسمعهم وبان فيهم مانعا آخر يمنع من الانتفاع بالمسموع لو سمعوه وهو الكبر

والاعراض فالاول من باب تعليل عدم الحكم بعدم مايقتضيه والثانى من باب تعليله بوجود مانعه وهذا انما يصح ممن يأمر وينهى ويفعل للحكم والمصالح وأما من يجرد فعله عن ذلك فانه لايضاف عدم الحكم الالى مجرد مسببه فقط ومن هذا تنزيهه نفسه عن كثير مما يقدر عليه فلايفعله لمنافاته لحكمته وحمده كقوله تعالى (ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) وقوله (وماكان الله ليعذبهم وهم يستغفرون) وقوله (وما كان الله ليضل قوما بعد اذهداهم حتى يبين لهم مايتقون) وقوله (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وقوله (وماكان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا) فنزه نفسه عن هذه الافعال لانه لايليق بكماله وينافي حكمته وحمده وعند النفاة أنها ليست مماينزه الرب عنه لانهامقدورة له وهو انما ينزه عما لايقدر عليه ولكن علمنا انها لاتقع لعدم مسببه لها لالقبحها في نفسها

﴿فصل﴾ النوع الثانى والعشرون ان تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفعل اماأن يكون لعدم علم الفاعل بها أوتفاصلها وهذا محال في حق من هو بكل شئ عليم واما لعجزه عن تحصيلها وهذا ممتنع في حق من هو على كل شئ قدير وامالعدم ارادته ومشيئته الاحسان الى غيره وايصال النفع اليه وهذا مستحيل في حق أرحم الراحمين ومن احسانه من لوازم ذاته فلا يكون الامحسنا منعما منانا واما لمانع يمنع من ارادتها وقصدها وهذا مستحيل في حق من لايمنعه مانع عن فعل ما يريد واما لاستلزامها نقصا ومنافاتها كمالا وهذا باطل بل هو قلب للحقائق وعكس للفطر ومناقضة لقضايا العقول فان من يفعل لحكمة وغاية مطلوبة يحمد عليها أكمل ممن يفعل لالشئ البتة كما ان من يخلق أكمل ممن لايخلق ومن يعلم أكمل ممن لايعلم ومن يتكلم أكمل ممن لايتكلم ومن يقدر ويريد أكمل ممن لايتصف بذلك وهذا مركوز في الفطر مستقر في العقول فنفى حكمته بمنزلة نفى هذه الاوصاف عنه وذلك يستلزم وصفه باضدادها وهى أنقص النقائص ولهذا صرح كثير من النفاة كالجوينى والرازى بانه لم يقم على نفى النقائص عن الله دليل عقلى الا مستندالنفى السمع والاجماع وحينئذ فيقال لهؤلاء ان لم يكن في اثبات الحكمة نقص لم يجز نفيها وان كانت نقصا فاين في السمع أوفي الاجماع نفى هذا النقص وجمهور الامة يثبت حكمته سبحانه والغايات المحمودة في أفعاله فليس مع النفاة سمع ولاعقل ولااجماع بل السمع والعقل والاجماع والفطرة تشهد ببطلان قولهم والله الموفق للصواب وجماع ذلك ان كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته وعدله ورحمته وقدرته واحسانه وحمده ومجده وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه لالحكمة ولالغاية مطلوبة وجميع اسمائه الحسنى تنفى ذلك وتشهد ببطلانه وانما نبهنا على بعض طرق القرآن والافالادلة التى تضمنها اثبات ذلك اضعاف أضعاف ماذكرنا وبالله التوفيق

﴿فصل﴾ وكيف يتوهم ذوفطرة صحيحة خلاف ذلك وهذا الوجود شاهد بحكمته وعنايته بخلقه أتم عناية وما في مخلوقاته من الحكم والمصالح والمنافع والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة أعظم من أن يحيط به وصف أويحصره عقل ويكفى الانسان فكره في نفسه وخلقه وأعضائه ومنافعها وقواه وصفاته وهيآته فانه لواستنفد عمره لم يحط علما بجميع ماتضمنه خلقه من الحكم والمنافع على التفصيل والعالم كله علويه وسفليه بهذه المثابة ولكن لشدة ظهور الحكمة ووضوحها وجد الجاحد

السبيل الى انكارها وهذا شأن النفوس الجاهلة الظالمة كما أنكرت وجود الصانع تعالى مع فرط ظهور آياته ودلائل ربوبيته بحيث استوعبت كل موجود ومع هذا فسمحت بالمكابرة في انكاره وهكذا أدلة علوه سبحانه فوق مخلوقاته مع شدة ظهورها وكثرتها سمحت نفوس الجهمية بانكارها وهكذا سواها كصدق أنبيائه ورسله ولا سيما خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه فان أدلة صدقه في الوضوح للعقول كالشمس في دلالتها على النهار ومع هذا فلم يأنف الجاحدون والمكابرون من الانكار وهكذا أدلة ثبوت صفات الكمال لمعطى الكمال هى من أظهر الاشياء وأوضحها وقد أنكرها من أنكرها ولا يستنكر هذا فانك تجد الرجل منغمسا في النعم وقد أحاطت به من كل جانب وهو يشكى حاله ويسخط مما هو فيه وربما أنكر النعمة فضلال النفوس وغيها لا حد له تنتهى اليه ولاسيما النفوس الجاهلة الظالمة ومن أعجب العجب ان تسمح نفس بانكار الحكم والعلل الغائية والمصالح التى تضمنتها هذه الشريعة الكاملة التى هى من أدل الدلائل على صدق من جاء بها وأنه رسول الله حقا ولو لم يأت بمعجزة سواها لكانت كافية شافية فان ما تضمنته من الحكم والمصالح والغايات الحميدة والعواقب السديدة شاهدة بان الذى شرعها وأنزلها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وشهود ذلك في تضاعيفها ومضمونها كشهود الحكم والمصالح والمنافع في المخلوقات العلوية والسفلية وما بينهما من الحيوان والنبات والعناصر والآثار التى بها انتظام مصالح المعاش فكيف يرضى أحد لنفسه انكار ذلك وجحده وان تجمل واستحى من العقلاء قال ذلك أمر اتفاقى غير مقصود بالامر والخلق وسبحان الله كيف يستجيز أحد أن يظن برب العالمين وأحكم الحاكمين أنه يعذب كثيرا من خلقه أشد العذاب الابدى لغير غاية ولا حكمة ولا سبب وانما هو محض مشيئة مجردة عن الحكمة والسبب فلا سبب هناك ولا حكمة ولا غاية وهل هذا الامن أسوأ الظن بالرب تعالى وكيف يستجيز أن يظن بربه أنه أمر ونهى وأباح وحرم وأحب وكره وشرع الشرائع وأمر بالحدود لا لحكمة ولا مصلحة يقصدها بل ماثم الا مشيئة محضة رجحت مثلا على مثل بغير مرجح وأى رحمة تكون في هذه الشريعة وكيف يكون المبعوث بها رحمة مهداة للعالمين لو كان الامر كما يقول النفاة وهل يكون الامر والنهى الا عقوبة وكلفة وعبثا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولو ذهبنا نذكر مايطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهاننا ونقص عقولنا ومعارفنا وتلاشيها وتلاشى علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشى ضوء السراج في عين الشمس وهذا تقريب والا فالامر فوق ذلك وهل ابطاله الحكم والمناسبات والاوصاف التى شرعت الاحكام لاجلها الا ابطال للشرع جملة وهل يمكن فقيها على وجه الارض أن يتكلم في الفقه مع اعتقاده بطلان الحكمة والمناسبة والتعليل وقصد الشارع بالاحكام مصالح العباد وجناية هذا القول على الشرائع من أعظم الجنايات فان العقلاء لا يمكنهم انكار الاسباب والحكم والمصالح والعلل الغائية فاذا رأوا ان هذا لا يمكن القول به مع موافقة الشرائع ولا يمكنهم رفعه عن نفوسهم خلوا الشرائع وراء ظهورهم وأساؤا بها الظن وقالوا لا يمكننا الجمع بينها وبين عقولنا ولا سبيل لنا الى الخروج عن عقولنا ورأوا ان القول بالفاعل المختار لا يمكن الامع نفى الاسباب والحكم والقوى والطبائع ولا سبيل الى نفيها فنفوا الفاعل وأولئك لم يمكنهم القول بنفى الفاعل المختار ورأوا انه لا يمكنهم اثباته مع اثبات الاسباب والحكم والقوى

والعلل فنفوها وبين الطائفتين بعد المشرقين ولاتستهن بامر هذه المسئلة فان شأنها أعظم وخطرها أجل وفروعها كثيرة ومن فروعها أنهم لما تكلموا فيما يحدثه الله تعالى من المطر والنبات والحيوان والحر والبرد والليل والنهار والاهلال والابدار والكسوف والاستسرار وحوادث الجو وحوادث الارض انقسموا قسمين وصاروا طائفتين فطائفة جعلت الموجب لذلك مجرد مارأوه علة وسببا من الحركات الفلكية والقوى الطبيعية والنفوس والعقول فليس عندهم لذلك فاعل مختار مريد وقابلهم طائفة من المتكلمين فلم يسببوا لذلك سببا الامجرد المشيئة والقدرة وان الفاعل المختار يرجح مثلا على مثل بلامرجح ولاسبب ولاحكمة ولاغاية يفعل لاجلها ونفوا الاسباب والقوى والطبائع والقرائن والحكم والغايات حتى يقول من أثبت الجوهر الفرد منهم أن الفلك والرحا ونحوهما ممايدور متفكك دائما عند الدوران والقادر المختار يعيده كل وقت كما كان وان الالوان والمقادير والاشكال والصفات تعدم على تعاقب الآنات والقادر المختار يعيدها كل وقت وان ملوحة ماء البحر كل لحظة تعدم وتذهب ويعيدها القادر المختار كل ذلك بلا سبب ولا حكمة ولا علة غائية ورأوا انهم لايمكنهم التخلص من قول الفلاسفة أعداء الرسل الابذلك ورأى أعداء الرسل أنهم لايمكنهم الدخول في الشريعة الابالتزام أصول هؤلاء ولم يهتد الطائفتان للحق الذى لايجوز غيره وهو انه سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته وارادته ويفعل مايفعله باسباب وحكم وغايات محمودة وقد أودع العالم من القوى والطبائع والغرائز والاسباب والمسببات مابه قام الخلق والامر وهذا قول جمهور أهل الاسلام وأكثر طوائف النظار وهو قول الفقهاء قاطبة الامن خلى الفقه ناحية وتكلم باصول النفاة فعادى فقهه أصول دينه

الباب الثانى والعشرون
في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل وذكر الاجوبة عنها

قالت النفاة قد اجلبتم علينا بما استطعتم من خيل الادلة ورجلها فاسمعوا الآن ما يبطله ثم اجيبوا عنه ان أمكنكم الجواب فنقول ما قاله أفضل متأخريهم محمد بن عمر الرازى كل من فعل فعلا لاجل تحصيل مصلحة أولدفع مفسدة فان كان تحصيل تلك المصلحة أولى من عدم تحصيلها كان ذلك الفاعل قد استفاد بذلك الفعل تحصيل ذلك ومن كان كذلك كان ناقصا بذاته مستكملا بغيره وهو في حق الله محال وان كان تحصيلها وعدمه بالنسبة اليه سواء فمع ذلك لايحصل الرجحان فامتنع تحصيلها ثم أورد سؤالا وهو لا يقال حصولها واللاحصولها بالنسبة اليه وان كان على التساوى الأان حصولها للعبد أولى من عدم حصولها له فلاجل هذه الاولوية العائدة الى العبد يرجح الله سبحانه الوجود على العدم ثم أجاب بانا نقول تحصيل تلك المصلحة وعدم تحصيلها له اما أن يكونا متساويين بالنسبة الى الله أولا يستويان وحينئذ يعود التقسيم المذكور قال المثبتون الجواب عن هذه الشبهة من وجوه أحدها أن قولك أن كل من فعل لغرض يكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره ماتعنى بقولك انه يكون ناقصا بذاته أتعنى به أنه يكون عادما لشئ من الكمال الذى لايجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد أم تعنى به أن يكون عادما لما ليس كمالا قبل وجوده أم تعنى به معنى ثالثا

فان عنيت الاول فالدعوى باطلة فانه لايلزم من فعله لغرض حصوله أولى من عدمه أن يكون عادما لشئ من الكمال الواجب قبل حدوث المراد فانه يمتنع أن يكون كمالا قبل حصوله وان عنيت الثانى لم يكن عدمه نقصا فان الغرض ليس كمالا قبل وجوده وما ليس بكمال في وقت لايكون عدمه نقصا فيه فما كان قبل وجوده عدمه أولى من وجوده وبعد وجوده وجوده أولى من عدمه لم يكن عدمه قبل وجوده نقصا ولاوجوده بعد عدمه نقصا بل الكمال عدمه قبل وقت وجوده ووجوده وقت وجوده واذا كان كذلك فالحكم المطلوبة والغايات من هذا النوع وجودها وقت وجودها هو الكمال وعدمها حينئذ نقص وعدمها وقت عدمها كمال ووجودها حينئذ نقص وعلى هذا فالنافي هو الذى نسب النقص الى الله لاالمثبت وان عنيت به أمرا ثالثا فلابد من بيانه حتى ننظر فيه الجواب الثانى ان قولك يلزم أن يكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره أتعنى به أن الحكمة التى يجب وجودها انما حصلت له من شئ خارج عنه أم تعنى أن تلك الحكمة نفسها غيرله وهو مستكمل بها فان عنيت الاول فهو باطل فانه لارب غيره ولاخالق سواه ولم يستفد سبحانه من غيره كمالا بوجه من الوجوه بل العالم كله انما استفاد الكمال الذى فيه منه سبحانه وهو لم يستفد كماله من غيره كما لم يستفد وجوده من غيره وان عنيت الثانى فتلك الحكمة صفته سبحانه وصفاته ليست غيرا له فان حكمته قائمة به وهو الحكيم الذى له الحكمة كما أنه العليم الذى له العلم والسميع الذى له السمع والبصير الذى له البصر فثبوت حكمته لايستلزم استكماله بغير منفصل عنه كما ان كماله سبحانه بصفاته وهو لم يستفدها من غيره الجواب الثالث انه سبحانه اذا كان انما يفعل لاجل أمر هو أحب اليه من عدمه كان اللازم من ذلك حصول مراده الذى يحبه وفعل لاجله وهذا غاية الكمال وعدمه هو النقص فان من كان قادرا على تحصيل مايحبه وفعله في الوقت الذى يحب على الوجه الذى يحب فهو الكامل حقا لامن لامحبوب له أوله محبوب لايقدر على فعله الجواب الرابع أن يقال أنت ذكرت في كتبك أنه لم يقم على نفى النقص عن الله دليل عقلى وأتبعت في ذلك الجوينى وغيره وقلتم انما ينفى النقص عنه عزوجل بالسمع وهو الاجماع فلم تنفوه عن الله عز وجل بالعقول ولا بنص منقول عن الرسول بل بما ذكرتموه من الاجماع وحينئذ فانما ينفى بالاجماع ماانعقد الاجماع على نفيه والفعل بحكمة لم ينعقد الاجماع على نفيه فلم تجمع الامة على انتفاء التعليل لافعال الله فاذا سميت أنت ذلك نقصا لم تكن هذه التسمية موجبة لانعقاد الاجماع على نفيها فان قلت أهل الاجماع أجمعوا على نفى النقص وهذا نقص قيل نعم الامة مجمعة على ذلك ولكن الشأن في هذا الوصف المعنى أهو نقص فيكون قد أجمعت على نفيه فهذا أول المسئلة والقائلون باثباته ليس هو عندهم نقصا بل هو عين الكمال ونفيه عين النقص وحينئذ فنقول في الجواب الخامس ان اثبات الحكمة كمال كما تقدم تقريره ونفيه نقص والامة مجمعة على انتفاء النقص عن الله بل العلم بانتفائه عن الله تعالى من اعلى العلوم الضرورية المستقرة في فطر الخلق فلوكانت أفعاله معطلة عن الحكم والغايات المحمودة لزم النقص وهو محال ولزوم النقص من انتفاء الحكم أظهر في العقول والفطر والعلوم الضرورية والنظرية من لزوم النقص من اثبات ذلك وحينئذ فنقول في الجواب السادس النقص اما أن يكون جائزا أوممتنعا فان كان جائزا بطل دليلك وان كان ممتنعا بطل دليلك أيضا فبطل الدليل على التقديرين الجواب السابع ان النقص منتف عن الله عز

وجل عقلا كما هو منتف عنه سمعا والعقل والنقل يوجب اتصافه بصفات الكمال والنقص هو ما يضاد صفات الكمال فالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والحياة صفات كمال وأضدادها نقص فوجب تنزيهه عنها لمنافاتها لكماله وأما حصول مايحبه الرب تعالى في الوقت الذى يحبه فانما يكون كمالا اذا حصل على الوجه الذى يحبه فعدمه قبل ذلك ليس نقصا اذ كان لايحب وجوده قبل ذلك الجواب الثامن أن يقال الكمال الذى يستحقه سبحانه وتعالى هو الكمال الممكن أو الممتنع فالاول مسلم والثاني باطل قطعا فلم قلت ان وجود الحادث في غير وقته الذى وجد فيه ممكن بل وجود الحادث في الازل ممتنع فعدمه لا يكون نقصا الجواب التاسع ان عدم الممتنع لايكون كمالا فان الممتنع ليس بشئ في الخارج وماليس بشئ لايكون عدمه نقصا فانه ان كان في المقدور مالايحدث الا شيأ بعد شئ كان وجوده في الازل ممتنعا فلا يكون عدمه نقصا وانما يكون الكمال وجوده حين يمكن وجوده * الجواب العاشر أن يقال انه تعالى أحدث أشياء بعد ان لم يكن محدثا لها كالحوادث المشهودة حتى أن القائلين بكون الفلك قديما عن علة موجبة يقرون بذلك ويقولون أنه يحدث الحوادث بواسطته وحينئذ فنقول هذا الاحداث اما أن يكون صفة كمال واما أن لايكون فان كان صفة كمال فقد كان فاقدا لها قبل ذلك وان لم يكن صفة كمال فقد اتصف بالنقص فان قلت نحن نقول بانه ليس صفة كمال ولا نقص قيل فهلا قلتم ذلك في التعليل وأيضا فهذا محال في حق الرب تعالى فان كل مايفعله يستحق عليه الحمد وكل مايقوم من صفاته فهو صفة كمال وضده نقص وقد ينازع النظار في الفاعلية هل هى صفة كمال أم لا وجمهور المسلمين من جميع الفرق يقولون هى صفة كمال وقالت طائفة ليست صفة كمال ولا نقص وهو قول أكثر الاشعرية فاذا التزم له هذا القول قيل له الجواب من وجهين أحدهما ان من المعلوم تصريح العقل ان من يخلق أكمل ممن لايخلق كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون) وهذا استفهام انكار يتضمن الانكار على من سوى بين الامرين يعلم ان أحدهما أكمل من الآخر قطعا ولا ريب أن تفضيل من يخلق على من لايخلق في الفطر والعقول كتفضيل من يعلم على من لايعلم ومن يقدر على من لايقدر ومن يسمع ويبصر على من لايسمع ولا يبصر ولما كان هذا مستقرا في فطر بنى آدم جعله الله تعالى من آلة توحيده وحججه على عباده قال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لايأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وقال تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) وقال تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات) وقال تعالى (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون) فمن سوى بين صفة الخالقية وعدمها فلم يجعل وجودها كمالا ولا عدمها نقصا فقد أبطل حجج الله وأدلة توحيده وسوى بين ماجعل بينهما أعظم التفاوت وحينئذ فنقول في الجواب الحادى عشر اذا كان الامر كما ذكرتم فلم لايجوز أن يفعل لحكمة يكون وجودها وعدمها بالنسبة اليه سواء كما أنه عندكم لم يحدث مايحدثه مع كون الاحداث والخلق وعدمه بالنسبة اليه سواء مع ان هذه ارادة لاتعقل في

الشاهد فقولوا مثل ذلك في الحكمة وان ذلك لايعقل لاسيما والفعل عندكم هو المفعول المنفصل فجوزوا أيضا أن يفعل لحكمة منفصلة وأنتم انما فتم ذلك فرارا من قيام الحوادث به ومن التسلسل فكذلك قولوا بنظير ذلك في الحكمة والذى يلزم أولئك فهو نظير مايلزمكم سواء * الجواب الثانى عشر أن يقال العقل الصريح يقضى بان من لاحكمة لفعله ولا غاية يقصدها به أولى بالنقص ممن يفعل لحكمة كانت معدومة ثم صارت موجودة في الوقت الذى اقتضت حكمته احداث الفعل فيه فكيف يسوغ لعاقل ان يقول فعله للحكمة يستلزم النقص وفعله لالحكمة لانقص فيه * الجواب الثالث عشر ان هؤلاء النفاة يقولون أنه سبحانه يفعل مايشاء من غير اعتبار حكمة فيجوزون عليه كل ممكن حتى الامر بالشرك والكذب والظلم والفواحش والنهى عن التوحيد والصدق والعدل والعقاب وحينئذ فنقول اذا جازت عليه هذه المرادات وليس في ارادتها نقص وهذا مراد فلا نقص فيه فقولهم من فعل شيأ لشئ كان ناقصا بدونه قضية كلية ممنوعة العموم وعمومها أولى بالمنع من قول القائل من أكرم أهل الجهل والظلم والفساد وأهان أهل العلم والعدل والبر كان سفيها جائرا وهذا عند النفاة جائز على الله ولم يكن به سفيها جائرا وكذلك قول القائل من أرسل اماءه وعبيده يفجر بعضهم ببعض ويقتل بعضهم بعضا وهو قادر على أن يكفهم كان سفيها والله قد فعل ذلك ولم يدخل في عموم هذه القضية فكذا القضية الكلية التى ادعوا ثبوتها في محل النزاع أولى أن تكون باطلة منتقضة * الجواب الرابع عشر أنه لوسلم لهم انه مستكمل بامر حادث لكان هذا من الحوادث المرادات وكل ماهو حادث مراد عندهم فليس بقبيح فان القبيح عندهم ليس الا المخالفة الامر والنهى والله ليس فوقه آمر ولاناه فلاينزه عندهم عن شئ من الممكنات البتة الا ما أخبر بانه لايكون فانهم ينزهونه عن كونه لمخالفة حكمته والقبيح عندهم هو الممتنع الذى لايدخل تحت القدرة ومادخل تحت القدرة لم يكن قبيحا ولامستلزما نقصا عندهم وجماع ذلك بالجواب الخامس عشر انه مامن محذور يلزم من تجويز فعله لحكمة الا والمحاذير التى يلزم من كونه يفعل لالحكمة أعظم امتناعا فان كانت تلك المحاذير غير ممتنعة كانت محاذير اثبات الحكمة أولى بعدم الامتناع وان كانت محاذير اثبات الحكمة ممتنعة فمحاذير نفيها أولى بالامتناع * الجواب السادس عشر ان فعل الحى العالم الاختيارى لالغاية ولالغرض يدعوه الى فعله لايعقل بل هو من الممتنعات ولهذا لايصدر الامن مجنون أونائم أوزائل العقل فان الحكمة والعلة الغائية هى التى تجعل المريد مريدا فانه اذا علم بمصلحة الفعل ونفعه وغايته انبعثت ارادته اليه فاذا لم يعلم في الفعل مصلحة ولا كان له فيه غرض صحيح ولاداع يدعوه اليه فلايقع منه الاعلى سبيل العبث هذا الذى لايعقل العقلاء سواه وحينئذ فنفى الحكمة والعلة والغاية عن فعل أحكم الحاكمين نفى لفعله الاختيارى في الحقيقة وذلك أنقص النقص وقد تقدم تقرير ذلك وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾ قال نفاة الحكمة هب ان الحجة بطلت فلايلزم من بطلان دليل بطلان الحكم فنحن نذكر حجة غيرها فنقول لوكان فعله تعالى معللا بعلة فتلك العلة ان كانت قديمة لزم من قدمها قدم الفعل وهو محال وان كانت محدثة افتقر كونه موجدا لتلك العلة الى علة أخرى وهو محال وهذا معنى قول القائل علة كل شئ صنعه ولاعلة لصنعه قالوا ونحن نقرر هذه الحجة تقريرا

أبسط من هذا فنقول لوكان فعله تعالى لحكمة فتلك الحكمة اماقديمة أومحدثة فان كانت قديمة فاما أن يلزم من قدمها قدم الفعل أولايلزم فان لزم فهو محال وان لميلزم القدم والفعل موجود بدونها فالحكمة غير حاصلة من ذلك الفعل لحصوله دونها ومالايكون الحكمة متوقفة على حصوله لايكون متوقفا عليها وهو المطلوب وان كانت الحكمة حادثة بحدوث الفعل فاما أن تفتقر الى فاعل أولا تفتقر الى فاعل فان لمتفتقر لزم حدوث من غير فاعل وهو محال وان افتقرت الى فاعل فذلك الفاعل اما أن يكون هو الله أوغيره لايجوز أن يكون غيره لانه لاخالق الاالله وان كان هو الله فاما أن يكون له في فعله غرض أولاغرض له فيه فان كان الاول فالكلام فيه كالكلام في الاول ويلزم التسلسل وان كان الثانى فقد خلا فعله عن الغرض وهو المطلوب فان قلت فعله لذلك الغرض لغرض هو نفسه فما خلا عن غرض ولميلزم التسلسل قلنا فيلزم مثله في كل مفعول مخلوق وهو أن يكون الغرض منه هو نفسه من غير حاجة الى غرض آخر وهو المطلوب فهذه حجة باهرة وافية بالغرض قال أهل الحكمة بل هى حجة داحضة باطلة من وجوه والجواب عنها من وجوه الجواب الاول أن نقول لايخلو امأن يمكن أن يكون الفعل قديم العين أوقديم النوع أولايمكن واحد منهما فان أمكن أن يكون قديم العين أوالنوع أمكن في الحكمة التى يكون الفعل لاجلها أن تكون كذلك وان لميمكن أن يكون الفعل قديم العين ولاالنوع فيقال اذا كان فعله حادث العين أوالنوع كانت الحكمة كذلك فالحكمة يحذى بها حذو الفعل فماجاز عليه جاز عليها ومامتنع عليه امتنع عليها الجواب الثانى ان من قال انه خالق مكون في الازل لمالميكن بعد قال قولي هذا كقول من قال هو مريد في الازل لمالميكن بعد فقولي بقدم كونه فاعلا كقول هؤلاء بقدم كونه مريدا وعلى هذا فيمكننى أن أقول بقدم الحكمة التى يخلق ويريد لاجلها ولايلزم من قدم الحكمة قدم الفعل كمالم يلزم من قدم الارادة قدم المراد وكمالم يلزم من قدم صفة التكوين قدم المكون فقولي في قدم الحكمة مع حدوث الفعل التى فعل لاجلها كقولكم في قدم الارادة والتكوين سواء ومالزمنى لزمكم مثله وجوابكم هو جوابى بعينه ولايمتنع ذلك على أصول طائفة من الطوائف فان من قال من الفلاسفة ان فعله قديم للمفعول المعنى يقول ان الحكمة قديمة ومن قال بحدوث أعيان الفعل ودوام نوعه يقول ذلك في الحكمة سواء ومن قال بحدوث نوع الفعل وقيامه بالرب قال ذلك في الحكمة أيضا كمايقوله كثير من النظار فلا يمتنع على أصل طائفة من الطوائف اثبات الحكمة في فعله سبحانه الجواب الثالث قولك يفتقر كونه محدثا لتلك العلة الى علة أخرى ممنوع فان هذا انما يلزم ان لوقيل كل حادث فلا بدله من علة ونحن لانقول هذا بل نقول يفعله لحكمة ومعلوم ان المفعول لاجله مراد للفاعل محبوب له والمراد المحبوب تارة يكون مرادا لنفسه وتارة يكون مرادا لغيره والمراد لغيره لابد أن ينتهى الى المراد لنفسه قطعا للتسلسل وهذا كما نقوله في خلقه بالاسباب أنه يخلق كذا بسبب كذا وكذا بسبب كذا حتى ينتهى الامر الى أسباب لاسبب لها سوى مشيئة الرب فكذلك يخلق لحكمة وتلك الحكمة لحكمة حتى ينتهى الامر الى حكمة لاحكمة فوقها الجواب الرابع ان النفاة يقولون كل مخلوق فهو مراد لنفسه لالغيره وحينئذ فلا يمتنع أن يكون بعض المخلوقات مرادا لغيره وينتهى الامر الى مراد لنفسه بل هذا أولى بالجواز من جعل كل مخلوق مرادا لنفسه وكذلك في الامر يكون مرادا لغيره حتى

ينتهى

ينتهى الى أمر مراد لنفسه الجواب الخامس أن يقال غاية ما ذكرتم انه يستلزم التسلسل ولكن أى نوعى التسلسل هو اللازم التسلسل الممتنع أوالجائز فان عنيتم الاول منع اللزوم وان عنيتم الثانى منع انتفاء اللازم فان التسلسل في الآثار المستقبلة ممكن بل واجب وفي الآثار الماضية فيه قولان للناس والتسلسل في العلل والفاعلين محال باتفاق العقلاء بان يكون لهذا الفاعل فاعل قبله وكذلك ما قبله الى غيرنهاية وأما أن يكون الفاعل الواحد القديم الابدى لم يزل يفعل ولايزال فهذا غير ممتنع اذا عرف هذا فالحكمة التى لاجلها يفعل الفعل تكون حاصلة بعده فاذا كان بعدها حكمة أخرى فغاية ذلك أن يلزم حوادث لانهاية لها وهذا جائز بل واجب باتفاق المسلمين ولم ينازع الابعض أهل البدع من الجهمية والمعتزلة فان قيل فيلزم من هذا ان لاتحصل الغاية المطلوبة أبدا قيل بل اللازم أن لاتزال الغاية المطلوبة حاصلة دائما وهذا أمر معقول في الشاهد فان الواحد من الناس يفعل الشئ لحكمة يحصل بها محبوبه ثم يلزم من حصول محبوبه محبوب آخر يفعل لاجله وهلم جرا حتى لو تصور دوامه أبدا لكانت هذه حاله وكماله لم تزل محبوباته تحصل شيئا بعد شئ وهذا هو الكمال الذى يريده مع غناه التام الكامل عن كل ماسواه وفقر ماسواه اليه من جميع الوجوه وهل الكمال الاذلك وفواته هوالنقص وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة والاحسان فرحمته واحسانه من لوازم ذاته فلايكون الارحيما محسنا وهو سبحانه انما أمر العباد بما يحبه ويرضاه واراد لهم من احسانه ورحمته مايحبه ويرضاه لكن فرق بين مايريد هو سبحانه أن يخلقه ويفعله لما يحصل به من الحكمة التى يحبها فهذا يفعله سبحانه ولابد من وجوده وبين ما يريد من العباد أن يفعلوه ويأمرهم بفعله ويحب أن يقع منهم ولا يشاء خلقه وتكوينه ففرق بين مايريد خلقه وما يأمر به ولايريد خلقه فان الفرق بين مايريد الفاعل أن يفعله وما يريد من المأمور أن يفعله فرق واضح والله سبحانه له الخلق والامر فالخلق فعله والامر قوله ومتعلقه أفعال عباده وهو سبحانه قد يأمر عبده ويريد من نفسه أن يعين عبده على فعل ماأمره لتحصل حكمته ومحبته من ذلك المأمور به وقد يأمره ولايريد من نفسه اعانته على فعل المأمور لما له من الحكمة الثابتة في هذا الامر وهذا الترك يأمره لئلا يكون له عليه حجة ولئلا يقول ماجاءنى من نذير ولوأمرتنى لبادرت الى طاعتك ولم يرد من نفسه اعانته لان محله غير قابل لهذه النعمة والحكمة التامة تقتضى أن لاتوضع النعم عند غير أهلها وان لاتمنع من أهلها قال تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال (أليس الله باعلم بالشاكرين) وقال (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) ولايقال فهلا سوى بين خلقه في جعلهم كلهم أهلا لذلك فان هذا ممكن له ولأن يقال فهلاسوى بين صورهم وأشكالهم وأعمارهم وارزاقهم ومعاشهم وهذا وان كان ممكنا فالذى وقع من التفاوت بينهم هو مقتضى حكمته البالغة وملكه التام وربوبيته فاقتضت حكمته ان سوى بينهم في الامر وفاوت بينهم في الاعانة عليه كما فاوت بينهم في العلوم والقدر والغنى والحسن والفصاحة وغير ذلك والتخصيصات الواقعة في ملكه لاتناقض حكمته بل هى من أدل شئ على كمال حكمته ولولاها لم يظهر فضله ومنه قال تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) فضلا من الله ونعمة والله عليم بمن يصلح لهذه النعمة حكيم في وضعها عند أهلها ومنعها غير أهلها وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا

اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب أن لايقدرون على شئ من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)وقالت الرسل لقومهم (ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) وقال تعالى (وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) الآية وفي حديث مثل المؤمنين واليهود والنصارى قال تعالى لاهل الكتاب هل ظلمتكم من حقكم من شئ قالوا لاقال فهو فضلى أوتيه من أشاء وقال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) أى يعلم أين يضع فضله ومن يصلح له ممن لايصلح بل يمنعه غير أهله ولايضعه عند غير أهله وهذا كثير في القرآن يذكر ان تخصيصه هو فضله ورحمته فلو ساوى بين الخلائق لم يعرف قدر فضله ونعمته ورحمته فهذا بعض ما في تخصيصه من الحكمة وفي كتاب الزهد للامام أحمد أن موسى قال يارب هلا سويت بين عبادك قال انى أحببت أن أشكر فمواضع التحصل ومواقع الفصل التى يقدح بها نفاة الحكمة هى من أدل شئ على كمال حكمته سبحانه ووضعه للفضل مواضعه وجعله عند أهله الذين هم أحق به واولى من غيرهم وهو الذى جعلهم كذلك بحكمته وعلمه وعزته وملكه فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ولايجب بل لايمكن المشاركة في حكمته بل ماحصل للخلائق كلهم من العلم بها كنقرة عصفور في البحر المحيط وأى نقص في دوام حكمته شيأ بعد شئ كما تدوم ارادته وكلامه وأفعاله واحسانه وجوده وانعامه وهل الكمال الافي هذا التسلسل فماذا نفر النفاة منه أنفرهم ان يقال لم يزل ولايزال حيا عليما قديرا حكيما متكلما محسنا جوادا ملكا موصوفا بكل كمال غنيا عن كل ماسواه لاتنفد كلماته ولاتتناهى حكمته ولاتعجز قدرته ولايبيد ملكه ولاتنقطع ارادته ومشيئته بل لم يزل ولايزال له الخلق والامر والحكمة والحكم وهل النقص الاسلب ذلك عنه والله الموفق بفضله واعانته الجواب السادس ان الرب تبارك وتعالى اذا خلق شيأ فلا بد من وجود لوازمه ولابد من عدم أضداده فوجود الملزوم بدون لازمه محال ووجود الضد مع ضده ممتنع والمحال الممتنع ليس بشئ ولايتصور العقل وجوده في الخارج واذا كان هذا التسلسل الجائز من لوازم خلقه وحكمته لم يكن في القول محذور بل كان المحذور في نفيه توضيحه الجواب السابع انه لم يقم دليل عقلى ولاسمعى على امتناع دوام أفعال الرب في الماضى والمستقبل أصلا وكل أدلة النفاة من أولها الى آخرها باطلة وقد كفى مؤنة ابطالها الرازى والآمدى في أكثر كتبهما وغيرهما واما اثبات الحكمة فقد قام على صحته العقل والسمع والفطرة وسائر أنواع الادلة مما تقدمت الاشارة الى بعض

ذلك فكيف يقدح في هـذا المعلوم الصحيح بذلك النفى الذى لم يقم على صحته دليـل البتة الجواب الثامن أن التسلسل اما أن يكون ممكنا أو ممتنعا فان كان ممكنا بطل استدلالكم وان كان ممتنعا أمكن أن يقال في دفعه تنتهى المرادات الى مراد لنفســه لا لغيره وينقطع التسلسل الجواب التاسع أن يقال ما المانع أن تكون الفاعلية معللة بعلة قديمة قولكم يلزم من قدمها قدم المعلول ينتقض عليكم بالارادة فانها قديمة ولم يلزم من قـدمها قدم المراد فان قلتم الارادة القـديمة تعلقت بالمراد الحادث في وقت حـدوثه واقتضت وجوده حينئذ فهلا قلتم ان الحكمة القـديمة تعلقت بالمراد وقت حدوثه كما قلتم في الارادة فان قلتم شأن الارادة التخصيص قيـل لكم وكذلك الحكمة شأنها تخصيص الشئ بزمانه ومكانه وصفته فالتخصيص مصـدره الحكمة والارادة والعلم والقدرة فان لزم من قدم الحكمة قدم الفعل لزم من قدم الارادة قدمه وان لم يلزم ذلك لم يلزم هذا الجواب العاشر أن يقال اولم يكن فعله لحكمة وغاية مطلوبة لم يكن مريدا فان المريد لا يعقل كونه مريدا الا اذا كان يريد لغرض وحكمة فاذا انتفت الحكمة والغرض انتفت الارادة ويلزم من انتفاء الارادة أن يكون موجبا بالذات وهو علة تامة في الازل لمعلوله فيلزم أن يقارنه جميع معلوله ولا يتأخر فيلزم من ذلك قدم الحوادث المشهودة وانما لزم ذلك من انتفاء الحكمة والغرض المستلزمة لنفى الارادة المستلزمة للايـجاب الذاتى المستلزم لقدم الحوادث وتقرير هذا وبسطه في غير هذا الموضع

﴿ فصل ﴾ قال نفاة الحكمة جميع الاغراض يرجع حاصلها الى شيئين تحصيل اللذة والسرور ودفع الالم والحزن والغم والله سبحانه قادر على تحصيـل هذين المطلوبين ابتداء من غير شئ من الوسائط ومن كان قادرا على تحصيـل المطلوب ابتداء بغير واسطة كان توسله الى تحصيله بالوسائط عبثا وهو على الله محال قال أصحاب الحكمة عن هذه الشبهة أجوبة الجواب الاول أن يقال لا ريب ان الله على كل شئ قدير لكن لا يلزم اذا كان الشئ مقدورا ممكنا أن تكون الحكمة المطلوبة لوجوده يمكن تحصيلها مع عدمه فان الموقوف على الشئ يمتنع حصوله بدونه كما يمتنع حصول الابن بكونه ابنا بدون الاب فان وجود الملزوم بدون لازمـه محال والجمع بين الضدين محال ولا يقال فيلزم العجز لان المحال ليس بشئ فلا تتعلق به القدرة والله على كل شئ قدير فلا يخرج ممكن عن قدرته البتـة * الجواب الثانى ان دعوى كون توسط أحد الامرين اذا كان شرطا أو سببا له عبث دعوى كاذبة باطلة فان العبث هو الذى لا فائدة فيه وأما توسط الشرط أو السبب أو المادة التى يحدث فيها ما يحدثه فليس بعبث توضيحه * الجواب الثالث ان حصول الاعراض والصـفات التى يحدثها الله سبحانه في موادها شروط لحصول تلك المواد ولا يتصور وجودها بدونها فتوسطها أمر ضرورى لا بد منـه فينقلب عليكم دليلكم ونقول هـل يقدر سـبحانه على ايجاد تلك الحوادث بدون توسط موادها الحاملة لها أو لا يمكن فان قلتم يمكن ذلك كان توسطها عبثا وان قلتم لا يقدر كان تعجيزا فان قلتم هذا فرض مستحيل والمحال ليس بشئ قيل صدقتم وهذا جوابنا بعينه * الجواب الرابع أن يقال اذا كان في خلق تلك الوسائط حكم أخرى تحصل بخلقها للفاعل وفي خلقها مصالح ومنافع لتلك الوسائط لم يكن توسطها عبثا ولم تكن الحكمة حاصـلة بعدمها كما أنه سبحانه اذا جعل رزق بعض خلقه في التجارات مثـلا فاقتضى ذلك ان تخليق الصانع الى من يحتاج فينتفع هؤلاء بالصانع وهؤلاء بالثمن

كان في ذلك مصلحة هؤلاء وهؤلاء واذا تأملت الوجود رأيته قائما بذلك شاهدا على منكرى الحكمة فكم لله سبحانه في احداث تلك الوسائط من حكم ومصالح ومنافع للعباد لو بطلت تلك الوسائط لفاتت تلك الحكم والمصالح * الجواب الخامس قولك يلزم العبث وهو على الله محال فيقال ان كان العبث عليه محالا لزم أن لايفعل ولا يأمر الا لمصلحة وحكمة فبطل قولك بقولك وان لم يكن العبث عليه محالا بطلت هذه الحجة فيتحقق بطلانها على التقديرين * الجواب السادس أن يقال ماالمانع أن يفعل سبحانه أشياء معللة وأشياء غير معللة بل مرادة لذاتها واذا جاز هذا جاز أن يقال ان هذه الوسائط غير معللة ولا يمكنك نفى هذا القسم الا بان تقول ان شيأ من أفعاله غير معلل البتة وأنت انما نفيت هذا بلزوم العبث في توسط تلك الامور ولا يلزم من انتفاء التعليل في بعض الافعال انتفاؤه في الجميع فانه لايجب أن يكون كل شيء لعلة فانت نفيت جواز التعليل وغاية هذه الحجة لو صحت أن تدل على أنه لايجب في كل شيء أن يكون لعلة فلم يثبت الحكم والدليل وهذا كما يقول الفقهاء مع قولهم بالتعليل ان من الاحكام مايفيد غير معلل فهلا قلت في الخلق كقولهم في الامر وهذا انما هو بطريق الالزام والا فالحق ان جميع أفعاله وشرعه لها حكم وغايات لاجلها شرع وفعل وان لم يعلمها الخلق على التفصيل فلا يلزم من عدم علمهم بها انتفاؤها في نفسها * الجواب السادس ان غاية هذه الشبهة أن يكون سبحانه قادرا على تحصيل تلك الحكم بدون تلك الوسائط كما هو قادر على تحصيلها بها واذا كان الامران مقدوران له لم يكن العدول عن أحد المقدورين الى الآخر عبثا الا اذا كان المقدور الآخر مساويا لهذا من كل وجه ولا يمكن عاقلا أن يقول أن تعطيل تلك الوسائط وعدمها مساو من كل وجه لوجودها وهذا من أعظم البهت وأبطل الباطل وهو يتضمن القدح في الحس والعقل والشرع كما هو قدح في الحكمة فان من جعل وجود الرسل وعدمهم سواء ووجود الشمس والقمر والنجوم والمطر والنبات والحيوان وعدمها سواء ووجود هذه الوسائط جميعها وعدمها سواء فلم يدع للمكابرة موضعا * الجواب السابع قولك جميع الاغراض يرجع حاصلها الى شيئين تحصيل اللذة ودفع الهم والحزن أتريد به الغرض الذى يفعل لاجلها الحيوان أو الحكمة التى يفعل الله سبحانه لاجلها أم تريد به ماهو أعم من ذلك فان أردت الاول لم تفدك شيأ وان أردت الثانى أو الثالث كانت دعوى مجردة لا برهان عليها فان حكمة الرب تعالى فوق تحصيل اللذة ودفع الغم والحزن فانه يتعالى عن ذلك بل ليس كمثل حكمته شيء كما أنه موصوف بالارادة وليست كارادة الحيوان فان الحيوان يريد مايريده ليجلب له منفعة أو يدفع به عنه مضرة وكذلك غضبه ليس مشابها لغضب خلقه فان غضب المخلوق هو غليان دم قلبه طلبا للانتقام والله يتعالى عن ذلك وكذلك سائر صفاته فكما أنه ليس كمثله شيء في ارادته ورضاه وغضبه ورحمته وسائر صفاته فهكذا حكمته سبحانه لاتماثل حكمة المخلوقين بل هى أجل وأعلى من أن يقال أنها تحصيل لذة أو دفع حزن فالمخلوق لنقصه يحتاج أن يفعل ذلك لان مصالحه لاتتم الا به والله سبحانه غنى بذاته عن كل ماسواه لايستفيد من خلقه كمالا بل خلقهم يستفيدون كمالهم منه * الجواب الثامن أن يقال قد دل الوحى مع العقل على أنه سبحانه يحب ويبغض أما الوحى فالقرآن مملوء من ذلك وأما العقل فما نشاهد في العالم من اكرام أوليائه وأهل طاعته واهانة أعدائه وأهل معصيته شاهد لمحبته لهؤلاء ورضاه

عنهم وبغضه لهؤلاء وسخطه عليهم ومعلوم قطعا ان من يحب ويبغض أكمل محبة وبغض وهو قادر على تحصيل محابه فان حكمته فيما يفعله ويتركه أتم حكمة وأكملها فهو يفعل مايفعله لانه يوصل الى محابه ويترك مايتركه لانه لايحبه واذا فعل مايكرهه لم يفعله الا لافضائه الى مايحب وان كان مكروها في نفسه فان أردت باللذة والسرور والهم والحزن الحب والبغض فالرب تعالى يحب ويبغض لم يلزم من كونه يفعل لحكمة ان يتصف بذلك * الجواب التاسع أنه سبحانه اذا كان قادرا على تحصيل ذلك بدون الوسائط وهو قادر على تحصيله بها كان فعل النوعين أكمل وأبلغ في القدرة وأعظم في ملكه وربوبيته من كونه لايفعل الا باحد النوعين والرب تعالى تتنوع أفعاله لكمال قدرته وحكمته وربوبيته فهو سبحانه قادر على تحصيل تلك الحكمة بواسطة احداث مخلوق منفصل وبدون احداثه بل بما يقوم به من أفعاله اللازمة وكلماته وثنائه على نفسه وحمده لنفسه فمحبوبه يحصل بهذا وهذا وذلك أكمل ممن لايحصل محبوبه الا باحد النوعين * الجواب العاشر أن الرب سبحانه كامل في أوصافه وأسمائه وأفعاله فلا بد من ظهور آثارها في العالم فانه محسن ويستحيل وجود الاحسان بدون من يحسن اليه وزراق فلا بد من وجود من يرزقه وغفار وحليم وجواد ولطيف بعباده ومنان ووهاب وقابض وباسط وخافض ورافع ومعز ومذل وهذه الاسماء تقتضي متعلقات تتعلق بها وآثارا تتحقق بها فلم يكن بد من وجود متعلقاتها والا تعطلت تلك الاوصاف وبطلت تلك الاسماء فتوسط تلك الآثار لابد منه في تحقق معاني تلك الاسماء والصفات فكيف يقال أنه عبث لافائدة فيه وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾ قال نفاة الحكمة لو وجب أن يكون خلقه وأمره معللا بحكمة وغرض لكان خلق الله العالم في وقت معين دون ماقبله ودون مابعده معللا برعاية غرض ومصلحة ثم تلك المصلحة والغرض اما أن يقال كان حاصلا قبل ذلك الوقت أو لم يكن حاصلا قبله فان كان ما لاجله أوجد الله العالم في ذلك الوقت حاصلا قبل أن أوجده فيلزم أن يقال أنه كان موجدا له قبل ان لم يكن موجدا له وذلك محال وان قلنا ان ذلك الغرض والمصلحة لم يكن حاصلا قبل ذلك الوقت وانما حدث في ذلك الوقت فنقول حصول ذلك الغرض في ذلك الوقت اما أن يكون مفتقرا الى المحدث أو لا يفتقر فان لم يفتقر فقد حدث الشيء لاعن موجد ومحدث وهو محال وان افتقر الى محدث فان افتقر تخصص احداث ذلك الغرض بذلك الوقت الى غرض آخر عاد التقسيم الاول فيه ولزم التسلسل وان لم يفتقر الى رعاية غرض آخر فحينئذ تكون موجدية الله سبحانه وخالقيته غنية عن الاغراض والمصالح وهذا هو المطلوب قالوا وهذه الحجة كما أنها قائمة في اختصاص العالم بذلك الوقت المعين فهي قائمة في اختصاص كل حادث من الحوادث بوقته المعين وملخصها ان احداث الحادث في وقته ان كان لغرض فان كان ذلك الغرض حاصلا قبله لزم حدوثه قبل حدوثه والا افتقر الى الاحداث فاحداثه ان كان لغرض تسلسل والا ثبت المطلوب قال أهل الحكمة هذه الحجة بعينها مذكورة في ضمن الحجة الثانية التي تقدمت وكانكم يعجبكم التشنيع بكره الباطل وجميع ماأجبناكم به هناك فهو الجواب ههنا بعينه فغاية هذا أنه تسلسل في الآثار لافي المؤثرات وتسلسل في الحوادث المستقبلة وذلك جائز بل واجب باتفاق المسلمين سوى قول جهم والعلاف وغاية الامر أن يكون في الحوادث

مايراد لنفسه وفيها مايراد لغيره والحكمة المطلوبة لنفسها لاتفتقر الى أخرى تراد لاجلها وان هذا الدليل او صحت مقدماته وهيهات فانما يدل على ان أفعاله تعالى لايجب تعليلها ولا يلزم من ذلك أن لايجوز تعليلها فنفي الوجوب شئ ونفي الجواز شئ فهب أنا سلمنا الاول فاين دليل الثاني وغايتها أنها تدل على عدم تعليل بعض الحوادث لا على عدم تعليل جميعها وبالجملة فما تقدم هناك مغزاها عن الاطالة في الاجوبة وسر المسئلة ان دوام فاعليته في المستقبل متفق عليه والسلف على دوامها في الماضي وانما خالف في ذلك كثير من أهل الكلام

﴿ فصل ﴾ قال نفاة الحكمة قد قام الدليل على أنه سبحانه خالق كل شئ فاى حكمة أو مصلحة في خلق الكفر والفسوق والعصيان وأى حكمة في خلق من علم أنه يكفر ويفسق ويظلم ويفسد الدنيا والدين وأى حكمة في خلق كثير من الجمادات التي وجودها وعدمها سواء وكذلك كثير من الاشجار والنبات والمعادن المعطلة والحيوانات المهملة بل العادية المؤذية وأى حكمة في خلق السموم والاشياء المضرة وأى حكمة في خلق ابليس والشياطين وان كان في خلقهم حكمة فاى حكمة في بقائه الى آخر الدهر واماتة الرسل والانبياء وأى حكمة في اخراج آدم وحواء من الجنة وتعريض الذرية لهذا البلاء العظيم وقد أمكن أن يكونوا في أعظم العافية وأى حكمة في ايلام الحيوانات وان كان في ايلام المكلفين منها حكمة فما الحكمة في ايلام غير المكلف كالبهائم والاطفال والمجانين وأى حكمة له في خلقه خلقا يعذبهم بأنواع العذاب الدائم الذي لاينقطع وأى حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب قتلا وأسرا وعقوبة واستعبادا وأى حكمة في تكليف الثقلين وتعريضهما بالتكليف لانواع المشاق والعذاب قالوا ونحن والعقلاء نعلم علما ضروريا ان خلود أهل النار فيها فعل الله ونعلم ضرورة أنه لافائدة في ذلك تعود اليه ولا الى المعذبين ولا الى غيرهم قالوا ويكفينا في ذلك مناظرة الاشعري لابي هاشم [٣] الجبائي حين سأله عن ثلاثة اخوة مات أحدهم مسلما قبل البلوغ وبلغ الآخران فمات أحدهما مسلما والآخر كافرا فاجتمعوا عند رب العالمين فبلغ المسلم البالغ المرتبة العلية بعمله واسلامه فقال أخوه يارب هلا رفعتني الى منزلة أخي المسلم فقال انه عمل أعمالا لم تعملها فقال يارب فهلا أحييتني حتى أعمل مثل عمله قال علمت ان موتك صغيرا خير لك اذ لو بلغت لكفرت فصاح الاخ الثالث من اطباق الجحيم وقال يارب فهلا أمتني صغيرا قبل البلوغ كما فعلت بأخي فما جوابه قال فانقطع الشيخ ولم يذكر جوابا قال نفاة الحكمة وهذا قاطع في المسئلة لاغبار عليه وقال تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) وقال (لله مافي السموات وما في الارض وان تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولا يسئل عما يفعل) فرد الامر الى محض مشيئته وأخبر ان صدور الاشياء كلها عنها وقالوا وأصل ضلال الخلق هو طلب تعليل أفعال الرب كما قال شيخ الاسلام في تائيته

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة * هو الخوض في فعل الاله بعلة

فانهم لما طلبوا علة أفعاله فاعجزهم العلم بها افترقوا بعد ذلك فطائفة ردت الامر الى الطبيعة والافلاك التزمت مكابرة الحس والعقل وقالوا ان خلود أهل النار في النار أنفع لهم وأصلح

[٣] الذي في كتب الكلام ان المناظرة كانت بين أبي الحسن وشيخه أبي علي الجبائي

من كونهم في الجنة وان ابقاء ابليس يغوى الخلق ويضلهم أنفع لهم من اماتته وان اماتة الانبياء أصلح للامم من ابقائهم بينهم وان تعذيب الاطفال خير لهم من رحمتهم الى غير ذلك من المحالات التى قادهم اليها الخوض في تعليل أفعال من لا يسئل عما يفعل فلذلك قلنا ان الصواب القول بعدم التعليل وتخلصنا من الحبائل والاشراك التى وقعتم فيها قال أهل الحكمة ليست هذه الاسئلة والاعتراضات التى قد جئتم بها في حكمة أحكم الحاكمين بأقوى من الاسئلة والاعتراضات التى قدح بها أهل الالحاد في وجوده سبحانه وقد أقاموا أربعين شبهة تنفى وجوده وكذلك اعتراضات المكذبين لرسله وقد حكيتم أنتم عنهم ثمانين اعتراضا وكذلك الاعتراضات التى قدح بها المعطلة في اثبات صفات كماله قد علمتم شأنها وكبرها وكذلك الاعتراضات التى نفى بها الجهمية علوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لعباده وقد علمتم الاعتراضات التى اعترض بها أهل الفلسفة على كونه خالقا للعالم في ستة أيام وعلى كونه يقيم الناس من قبورهم ويبعثهم الى دار السعادة أوالشقاء ويبدل هذاالعالم ويأتى بغيره واعتراضات هؤلاء وأسئلتهم أضعاف اعتراضات نفاة الحكمة وغايات أفعاله المقصودة وكذلك اعتراضات نفاة القدر واسئلتهم الى غير ذلك وقد اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن أقام في هذا العالم لكل حق جاحدا ولكل صواب معاندا كما أقام لكل نعمة حاسدا ولكل شر رائدا وهذا من تمام حكمته الباهرة وقدرته القاهرة ليتم عليه كلمته وينفذ فيهم مشيئته ويظهر فيهم حكمته ويقضى بينهم بحكمه ويفاضل بينهم بعلمه ويظهر فيهم آثار صفاته العليا وأسمائه الحسنى ويتبين لاوليائه وأعدائه يوم القيامة انه لم يخل بالحكمة ولم يخلق خلقه عبثا ولا يتركهم سدا وانه لم يخلق السموات والارض ومابينهما باطلا وان له الحمد التام الكامل على جميع ماخلقه وقدره وقضاه وعلى ماأمر به ونهى عنه وعلى ثوابه وعقابه وانه لم يضع من ذلك شيأ الافي محله الذى لايليق به سواه قال تعالى (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) واذا تبين لاهل الموقف ونفذ فيهم قضاؤه الفصل وحكمه العدل نطق الكون أجمعه بحمده كما قال تعالى (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) وجواب هذه الاسئلة من وجوه أحدها أن الحكمة انما تتعلق بالحدوث والوجود والكفر والشرور وأنواع المعاصى راجعة الى مخالفة نهى الله ورسوله وترك ماأمر به وليس ذلك من متعلق الايجاد في شئ ونحن انما التزمنا ان مافعله الله وأوجده فله فيه حكمة وغاية مطلوبة وأما ماتركه سبحانه ولم يفعله فانه وان كان انما تركه لحكمة في ذلك فلم يدخل في كلامنا فلا يرد علينا وقد قيل ان الشر ليس اليه بوجه فانه عدم الخير وأسبابه والعدم ليس بشئ كاسمه فاذا قلنا ان أفعال الرب تعالى واقعة بحكمة وغاية محمودة لم يرد علينا تركه يوضحه الجواب الثانى وهو انه سبحانه قد يترك مالوخلقه لكان في خلقه له حكمة فيتركه لعدم محبته لوجوده أو لكون وجوده يضاد ما هو أحب أولاستلزام وجوده فوات محبوب له آخر وعلى هذا فتكون حكمته في عدم خلقه أرجح من حكمته في خلقه والجمع بين الضدين مستحيل فرجح سبحانه أعلى الحكمتين بتفويت أدناهما وهذا غاية الحكمة نخلقه وأمره مبنى على تحصيل المصالح الخالصة أوالراجحة بتفويت المرجوحة التى لايمكن الجمع بينها وبين تلك الراجحة وعلى دفع المفاسد

الخالصة أو الراجحة وان وجدت المفاسد المرجوحة التي لا يمكن الجمع بين عدمها وعدم تلك الراجحة وخلاف هذا هو خلاف الحكمة والصواب الجواب الثالث أن يقال غاية ذلك انتفاء الحكمة في هذا النوع من المقدورات فيلزم من ذلك انتفاؤها في جميع خلقه وحكمه فهب ان هذا النوع لاحكمة فيه فمن أين يستلزم ذلك نفي الحكمة والغرض في كل شيء كيف وفيه من الحكم والغايات المحمودة ماهو معلوم لأهل البصائر الراسخين في العلم كما سننبه على ذلك منه ان شاء الله * الجواب الرابع انا لم ندع حكمة يجب أو يمكن اطلاع الخلق على تفاصيلها فان حكمة الله أعظم وأجل من من ذلك فما المانع من اشتمال ماذكرتم من الصور وغيرها على الحكم حجة ينفرد الله بعلمها كما قال للملائكة وقد سألوه عن ذلك اني أعلم مالا تعلمون فمن يقول بلزوم الحكمة لافعاله وأحكامه مطلقا لايوجب مشاركة خلقه له في العلم بها * الجواب الخامس ان الله سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وله في جميع ماذكرتم وغيره حكمة ليست من جنس الحكمة التي للمخلوقين كما ان فعله ليس مماثلا فعلهم ولا قدرته وارادته ومشيئته ومحبته ورضاه وغضبه مماثلا لصفات المخلوقين * الجواب السادس ان الحكمة تابعة للعلم والقدرة فمن كان أعلم وأقدر كانت أفعاله أحكم وأكمل والرب منفرد بكمال العلم والقدرة فحكمته بحسب علمه وقدرته كما تقدم تقريره فحكمته متعلقة بكل ماتعلق به علمه وقدرته * الجواب السابع ان الادلة القاطعة قد قامت على أنه حكيم في أفعاله وأحكامه فيجب القول بموجبها وعدم العلم بحكمته في الصور المذكورة لايكون مسوغا لمخالفة تلك الادلة القاطعة لاسيما وعدم العلم بالشيء لايستلزم العلم بعدمه * الجواب الثامن ان كماله المقدس يمنع خلو هذه الصور التي تقصيتم عن الحكمة وكماله أيضا يأبى اطلاع خلقه على جميع حكمته فحكمته تمنع اطلاع خلقه على جميع حكمته بل الواحد منا لو أطلع غيره على جميع شأنه وأمره عد سفيها جاهلا وشأن الرب أعظم من أن يطلع كل واحد من خلقه على تفاصيل حكمته * الجواب التاسع انكم اما أن تعترفوا بان له حكمة في شيء من خلقه وأمره أو تنكروا أن يكون له في شيء من خلقه وأمره حكمة فان أنكرتم ذلك وما هو من الظالمين ببعيد كذبتم جميع كتب الله ورسله والعقل والفطرة والحس وكذبتم عقولكم قبل تكذيب العقلاء فان جحد حكمة الله الباهرة في خلقه وأمره بمنزلة جحد الشمس والقمر والليل والنهار وغير مستنكر لكثير من الطوائف أهل الكلام المكابرة في جحد الضروريات وان أقررتم بحكمته في بعض خلقه وأمره قيل لكم فاي الامرين أولى به وجود تلك الحكمة أم عدمها فان قلتم عدمها أولى من وجودها كان هذا غاية الكذب والبهت والمحال وان قلتم وجودها أكمل قيل فهل هو قادر على تحصيلها في جميع خلقه وأحكامه أم غير قادر فان قلتم غير قادر جئتم بالعظيمة في العقل والدين وانسلختم من عقولكم وأذهانكم وان قلتم بل هو قادر على ذلك قيل فاذا كان قادرا على شيء وهو كمال في نفسه ووجوده خير من عدمه وهو أولى به فكيف يجوز نفيه عنه فان قلتم انما نفيناه لانا لم نطلع على حقيقته قيل صدقتم والله سائلكم في جميع ماتنفونه عن الله انما مستندكم في نفيه عدم الاطلاع على حقيقته ولم تكتفوا بقبول قول الرسل فصرتم الى النفي * الجواب العاشر ان العقلاء قاطبة متفقون على ان الفاعل اذا فعل أفعالا ظهرت فيها حكمته ووقعت على أتم الوجوه وأوفقها للمصالح المقصودة بها ثم اذا رأوا أفعاله قد تكررت كذلك ثم جاءهم من أفعاله مالا يعلمون وجه حكمته فيه لم يسعهم غير التسليم

لما عرفوا من حكمته واستقر في عقولهم منها وردوا منها ماجهلوه الى محكم ماعلموه هكذا نجد أرباب
كل صناعة مع استاذهم حتى ان النفاة يسلكون هذا المسلك بعينه مع أئمتهم وشيوخهم فاذا جاءهم
اشكال على قواعد أئمتهم ومذاهبهم قالوا هم أعلم منا وهم فوقنا فى كل علم ومعرفة وحكمة ونحن
معهم كالصبي مع معلمه وأستاذه فهلا سلكوا هذا السبيل مع ربهم وخالقهم الذى بهرت حكمته العقول
وكان نسبتها الى حكمته أولى من نسبة عين الخفاش الى جرم الشمس ولو أن العالم الفاضل المبرز في
علوم كثيرة أعرض على من لايشاركه في صنعته ولا هو من أهلها وقدح في أوضاعها لخرج عن
موجب العقل والعلم وعد ذلك نقصا وسفها فكيف بأحكم الحاكمين وأعلم العالمين وأقدر القادرين
* الجواب الحادى عشر ان الحكمة انما تم بخلق المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار والعلو والسفل
والطيب والخبيث والخفيف والثقيل والحلو والمر والبرد والالم واللذة والحياة والموت والداء والدواء
فخلق هذه المتقابلات هو محل ظهور الحكمة الباهرة ومحل ظهور القدرة القاهرة والمشيئة النافذة
والملك الكامل التام فتوهم تعطيل خلق هذه المتضادات تعطيل لمقتضيات تلك الصفات وأحكامها
وآثارها وذلك عين المحال فان لكل صفة من الصفات العليا حكما ومقتضيات وأثرا هو مظهر كمالها وان
كانت كاملة في نفسها لكن ظهور آثارها وأحكامها من كمالها فلا يجوز تعطيله فان صفة القادر تستدعى
مقدورا وصفة الخالق تستدعى مخلوقا وصفة الوهاب الرازق المعطى المانع الضار النافع المقدم المؤخر
المعز المذل العفو الرؤف تستدعى آثارها وأحكامها فلو عطلت تلك الصفات عن المخلوق المرزوق
المغفور له المرحوم المعفو عنه لم يظهر كمالها وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها فلو كان الخلق
كلهم مطيعون عابدون حامدون لتعطل أثر كثير من الصفات العلى والاسماء الحسنى وكيف كان يظهر
أثر صفة العفو والمغفرة والصفح والتجاوز والانتقام والعز والقهر والعدل والحكمة التى تنزل الاشياء
منازلها وتضعها مواضعها فلو كان الخلق كلهم أمة واحدة لفاتت الحكم والآيات والعبر والغايات
المحمودة في خلقهم على هذا الوجه وفات كمال الملك والتصرف فان الملك اذا اقتصر تصرفه على
مقدور واحد من مقدوراته فاما أن يكون عاجزا عن غيره فيتركه عجزا أو جاهلا بما في تصرفه
في غيره من المصلحة فيتركه جهلا وأما أقدر القادرين وأعلم العالمين وأحكم الحاكمين فتصرفه في
مملكته لايقف على مقدور واحد لان ذلك نقص في ملكه فالكمال كل الكمال في العطاء والمنع
والخفض والرفع والثواب والعقاب والاكرام والاهانة والاعزاز والاذلال والتقديم والتأخير والضر
والنفع وتخصيص هذا على هذا وايثار هذا على هذا ولو فعل هذا كله بنوع واحد متماثل الافراد
لكان ذلك منافيا لحكمته وحكمته تأباه كل الاباء فانه لايفرق بين متماثلين ولا يسوى بين مختلفين
وقد عاب على من يفعل ذلك وأنكر على من نسبه اليه والقرآن مملوء من عيبه على من يفعل ذلك
فكيف يجعل له العبيد مايكرهون ويضربون له مثل السوء وقد فطر الله عباده على انكار ذلك من
بعضهم على بعض وطعنهم على من يفعله وكيف يعيب الرب سبحانه من عباده شيأ ويتصف به وهو
سبحانه انما عابه لانه نقص فهو أولى أن يتنزه عنه واذا كان لابد من ظهور آثار الاسماء والصفات
ولا يمكن ظهور آثارها الا في المتقابلات والمتضادات لم يكن في الحكمة بد من ايجادها اذ لو فقدت
لتعطلت الاحكام بتلك الصفات وهو محال يوضحه الوجه الثانى عشر ان من أسمائه الاسماء المزدوجة

كالمعز المذل والخافض الرافع والقابض الباسط والمعطى المانع ومن صفاته الصفات المتقابلة كالرضا والسخط والحب والبغض والعفو والانتقام وهذه صفات كمال والالم يتصف بها ولم يتسم باسمائهما واذا كانت صفات كمال فاما أن يتعطل مقتضاها وموجبها وذلك يستلزم تعطيلها في أنفسها واما أن تتعلق بغير محلها الذى يليق بأحكامها وذلك نقص وعيب يتعالى عنه فيتعين تعلقها بمحالها التى تليق بها وهذا وحده كاف في الجواب لمن كان له فقه في باب الاسماء والصفات ولا غيره يغيره يوضحه الوجه الثالث عشر ان من أسمائه الملك ومعنى الملك الحقيقى ثابت له سبحانه بكل وجه وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال اذ من المحال ثبوت الملك الحقيقى التام لمن ليس له حياة ولا قدرة ولا ارادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختيارى يقوم به وكيف يوصف بالملك من لايأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعطى ولا يمنع ولا يعز ويذل ويهين ويكرم وينعم وينتقم ويخفض ويرفع ويرسل الرسل الى أقطار مملكته ويتقدم الى عبيده بأوامره ونواهيه فأى ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك وهذا يبين ان المعطلين لاسمائه وصفاته جعلوا مماليكه أكمل منه ويأنف أحدهم أن يقال في أميره وملكه مايقوله هو في ربه فصفة ملكية الحق مستلزمة لوجود مالا يتم التصرف الا به والكل منه سبحانه فلم يتوقف كمال ملكه على غيره فان كل ماسواه مسند اليه متوقف في وجوده على مشيئته وخلقه يوضحه الوجه الرابع عشر ان كمال ملكه بان يكون مقارنا بحمده فله الملك وله الحمد والناس في هذا المقام ثلاث فرق فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد وهذا مذهب من أثبت له القدر والحكمة وحقائق الاسماء والصفات ونزهه عن النقائص ومشابهة المخلوقات ويوحشك في هذا المقام جميع الطوائف غير أهل السنة الذين لم يتحيزوا الى نحلة ولا مقالة ولا متبوع من أهل الكلام الفرقة الثانية الذين أثبتوا له الملك وعطلوا حقيقة الحمد وهم الجبرية نفاة الحكمة والتعليل القائلين بانه يجوز عليه كل ممكن ولا ينزه عن فعل قبيح بل كل ممكن فانه لايقبح منه وانما القبيح المستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين فيجوز عليه تعذيب ملائكته وأنبيائه ورسله وأهل طاعته واكرام ابليس وجنوده وجعلهم فوق أوليائه في النعيم المقيم أبدا ولا سبيل لنا الى العلم باستحالة ذلك الا من نفى الخلف في خبره فقط فيجوز أن يأمر بشيئته ومشيئة أنبيائه والسجود للاصنام وبالكذب والفجور وسفك ونهب الاموال وينهى عن البر والصدق والاحسان والعفاف ولا فرق في نفس الامر بين ماأمر به ونهى عنه الا التحكم بمحض المشيئة وانه أمر بهذا ونهى عن هذا من غير أن يكون فيما أمر به صفة حسن تقتضى محبته والامر به ولا فيما نهى عنه صفة قبح تقتضى كراهته والنهى عنه فهؤلاء عطلوا حمده في الحقيقة وأثبتوا له ملكا بلا حمد مع أنهم في الحقيقة لم يثبتوا له ملكا فانهم جعلوه معطلا في الازل والابد لايقوم به فعل البتة وكثير منهم عطله عن صفات الكمال التى لا يتحقق كونه ملكا وربا وإلها الا بها فلاملك أثبتوا ولا حمد الفرقة الثالثة أثبتوا له نوعا من الحمد وعطلوا كمال ملكه وهم القدرية الذين أثبتوا نوعا من الحكمة ونفوا لاجلها كمال قدرته فحافظوا على نوع من الحمد عطلوا له كمال الملك وفي الحقيقة لم يثبتوا لاهذا ولا هذا فان الحكمة التى أثبتوها جعلوها راجعة الى المخلوق لايعود اليه سبحانه حكمها والملك الذى أثبتوه فانهم في الحقيقة انما قرروا نفيه لنفى قيام الصفات التى لايكون ملكا حقا الا بها ونفى قيام الافعال

الاختيارية فلم يقم به عندهم وصف ولا فعل ولا له ارادة ولا كلام ولا سمع ولا بصر ولا فعل ولا له حب ولا بغض معطل عن حقيقة الملك والحمد والمقصود ان عموم ملكه يستلزم اثبات القدر وأن لايكون في ملكه شيء بغير مشيئته فالله أكبر من ذلك وأجل وعموم حمده يستلزم أن لايكون في خلقه وأمره مالا حكمة فيه ولا غاية محمودة يفعل لاجلها ويأمر لاجلها فالله أكبر وأجل من ذلك يوضحه الوجه الخامس عشر ان مجرد الفعل من غير قصد ولا حكمة ولا مصلحة يقصده الفاعل لاجلها لايكون متعلقا للحمد فلا يحمد عليه حتى لو حصلت به مصلحة من غير قصد الفاعل لحصولها لم يستحق الحمد عليها كما تقدم تقريره بل الذي يقصد الفعل لمصلحة وحكمة وغاية محمودة وهو عاجز عن تنفيذ مراده أحق بالحمد من قادر لايفعل لحكمة ولا لمصلحة ولا لقصد الاحسان هذا المستقر في فطر الخلق والرب سبحانه حمده قد ملأ السموات والارض وما بينهما وما بعد ذلك فملأ العالم العلوى والسفلى والدنيا والآخرة ووسع حمده ماوسع علمه فله الحمد التام على جميع خلقه ولا حكم يحكم الا بحمده ولا قامت السموات والارض الا بحمده ولا يتحول شيء في العالم العلوى والسفلى من حال الى حال الا بحمده ولادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار الا بحمده كما قال الحسن رحمة الله عليه لقد دخل أهل النار النار وان حمده لفى قلوبهم ماوجدوا عليه سبيلا وهو سبحانه انما أنزل الكتاب بحمده وأرسل الرسل بحمده وأمات خلقه بحمده ويحييهم بحمده ولهذا حمد نفسه على ربوبيته الشاملة لذلك كله فالحمد لله رب العالمين وحمد نفسه على انزال كتبه فالحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب وحمد نفسه على خلق السموات والارض الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وحمد نفسه على كمال ملكه الحمد لله الذى له مافي السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير فحمد ملأ الزمان والمكان والاعيان وعم الاقوال كلها فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وكيف لايحمد على خلقه كله وهو الذى أحسن كل شيء خلقه وعلى صنعه وقد أتقنه صنع الله الذى أتقن كل شيء وعلى أمره وكله حكمة ورحمة وعدل ومصلحة وعلى نهيه وكل مانهى عنه شر وفساد وعلى ثوابه وكله رحمة واحسان وعلى عقابه وكله عدل وحق فلله الحمد كله وله الملك كله وبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله والمقصود أنه كلما كان الفاعل أعظم حكمة كان أعظم حمدا واذا عدم الحكمة ولم يقصدها بفعله وأمره عدم الحمد الوجه السادس عشر أنه سبحانه يجب أن يشكر ويجب أن يشكر عقلا وشرعا وفطرة فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب وكيف لايجب على العباد حمده وتوحيده ومحبته وذكر آلائه واحسانه وتعظيمه وتكبيره والخضوع له والتحدث بنعمته والاقرار بها بجميع طرق الوجوب فالشكر أحب شيء اليه وأعظم ثوابا وانه خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وذلك يستلزم خلق الاسباب التى يكون الشكر بها أكمل ومن جملتها ان فاوت بين عباده في صفاتهم الظاهرة والباطنة في خلقهم واخلاقهم وأديانهم وأرزاقهم ومعايشهم وآجالهم فاذا رأى المعافي المبتلى والغنى الفقير والمؤمن الكافر عظم شكره لله وعرف قدر نعمته عليه وما خصه به وفضله به على غيره فازداد شكرا وخضوعا واعترافا بالنعمة *وفي أثر ذكره الامام أحمد في الزهد أن موسى قال يارب هلا سويت بين عبادك قال انى أحببت أن أشكر فان قيل فقد كان

من الممكن أن يسوى بينهم في النعم ويسوى بينهم في الشكر كما فعل بالملائكة قيل لو فعل ذلك لكان الحاصل من الشكر نوع آخر غير النوع الحاصل منه على هذا الوجه والشكر الواقع على التفضيل والتخصيص أعلى وأفضل من غيره ولهذا كان شكر الملائكة وخضوعهم وذلهم لعظمته وجلاله بعد ان شاهدوا من ابليس ماجرى له ومن هاروت وماروت ماشاهدوه أعلى وأكمل مما كان قبله وهذه حكمة الرب ولهذا كان شكر الانبياء وأتباعهم بعد أن عاينوا هلاك أعدائهم وانتقام الرب منهم وما أنزل بهم من بأسه أعلى وأكمل وكذلك شكر أهل الجنة في الجنة وهم يشاهدون أعداءه المكذبين لرسله المشركين به في ذلك العذاب فلا ريب ان شكرهم حينئذ ورضاهم ومحبتهم لربهم أكمل وأعظم مما لو قدر اشتراك جميع الخلق في النعيم فالمحبة الحاصلة من أوليائه له والرضا والشكر وهم يشاهدون بين جنسهم في ضد ذلك من كل وجه أكمل وأتم *فالضد يظهر حسنه الضد* *وبضدها تتبين الاشياء* ولولا خلق القبيح لما عرفت فضيلة الجمال والحسن ولولا خلق الظلام لما عرفت فضيلة النور ولولا خلق أنواع البلاء لما عرف قدر العافية ولولا الجحيم لما عرف قدر الجنة ولو جعل الله سبحانه النهار سرمدا لما عرف قدره ولو جعل الليل سرمدا لما عرف قدره وأعرف الناس بقدر النعمة من ذاق البلاء وأعرفهم بقدر الفقر من قاسى مرائر الفقر والحاجة ولو كان الناس كلهم على صورة واحدة من الجمال لما عرف قدر الجمال وكذلك لو كانوا كلهم مؤمنين لما عرف قدر الايمان والنعمة به فتبارك من له في خلقه وأمره الحكم البوالغ والنعم السوابغ يوضحه الوجه السابع عشر أنه سبحانه يجب أن يعبد بأنواع العبودية ومن أعلاها وأجلها عبودية الموالاة فيه والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه والجهاد في سبيله وبذل مهج النفوس في مرضاته ومعارضة أعدائه وهذا النوع هو ذروة سنام العبودية وأعلى مراتبها وهو أحب أنواعها اليه وهو موقوف على مالا يحصل بدونه من خلق الارواح التي تواليه وتشكره وتؤمن به والارواح التى تعاديه وتكفر به ويسلط بعضها على بعض لتحصل بذلك محابه على أتم الوجوه وتقرب أولياءه اليه لجهاد أعدائه ومعارضتهم فيه واذلالهم وكبتهم ومخالفة سبيلهم فتعلو كلمته ودعوته على كلمة الباطل ودعوته ويتبين بذلك شرف علوها وظهورها ولو لم يكن للباطل والكفر والشرك وجود فعلى أى شئ كانت كلمته ودعوته تعلو فان العلو أمر لشئ يستلزم غالبا مايعلى عليه وعلو الشئ على نفسه محال والوقوف على الشئ لايحصل بدونه يوضحه الوجه الثامن عشر أن من عبوديته العتق والصدقة والايثار والمواساة والعفو والصفح والصبر وكظم الغيظ واحتمال المكاره ونحو ذلك مما لايتم الا بوجود متعلقه وأسبابه فلولا لم تحصل عبودية العتق فالرق من أثر الكفر ولولا الظلم والاساءة والعدوان لم تحصل عبودية الصبر والمغفرة وكظم الغيظ ولولا الفقر والحاجة لم تحصل عبودية الصدقة والايثار والمواساة فلو سوى بين خلقه جميعهم لتعطلت هذه العبوديات التى هى أحب شئ اليه ولاجلها خلق الجن والانس ولاجلها شرع الشرائع وأنزل الكتب وأرسل الرسل وخلق الدنيا والآخرة وكما أن ذلك من صفات كماله فلو لم يقدر الاسباب التي يحصل بها ذلك لغاب هذا الكمال وتعطلت أحكام تلك الصفات كما مر توضيحه الوجه التاسع عشر أنه سبحانه يفرح بتوبة عبده اذا تاب اليه أعظم فرح يقدر أو يخطر ببال أو يدور في خلد وحصول هذا الفرح موقوف على التوبة الموقوفة على وجود مايتاب منه

ومما

وما يتوقف عليه الشيء لا يوجد بدونه فان وجود الملزوم بدون لازمه محال ولا ريب ان وجود الفرح أكمل من عدمه فمن تمام الحكمة تقدير أسبابه ولوازمه وقد نبه أعلم الخلق بالله على هذا المعنى بعينه حيث يقول في الحديث الصحيح لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم فلو لم يقدر الذنوب والمعاصي فلمن يغفر وعلى من يتوب وعمن يعفو ويسقط حقه ويظهر فضله وجوده وحلمه وكرمه وهو واسع المغفرة فكيف يعطل هذه الصفة أم كيف يتحقق بدون مايغفر ومن يغفر له ومن يتوب وما يتاب عنه فلو لم يكن في تقدير الذنوب والمعاصي والمخالفات الا هذا وحده لكفى به حكمة وغاية محمودة فكيف والحكم والمصالح والغايات المحمودة التي في ضمن هذا التقدير فوق مايخطر بالبال وكان بعض العباد يدعو في طوافه اللهم اعصمني من المعاصي ويكرر ذلك فقيل له في المنام أنت سألتني العصمة وعبادي يسألوني العصمة فاذا عصمتكم من الذنوب فلمن أغفر وعلى من أتوب وعمن أعفو ولو لم تكن التوبة أحب الاشياء اليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه يوضحه الوجه العشرون أنه قد يترتب على خلق من يكفر به ويشرك به ويعاديه من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة مالم يكن يحصل بدون ذلك فلولا كفر قوم نوح لما ظهرت آية الطوفان وبقيت يتحدث بها الناس على ممر الزمان ولولا كفر عاد لما ظهرت آية الريح العقيم التي دمرت مامرت عليه ولولا كفر قوم صالح لما ظهرت آية اهلاكهم بالصيحة ولولا كفر فرعون لما ظهرت تلك الآيات والعجائب يتحدث بها الامم أمة بعد أمة واهتدى من شاء الله فهلك بها من هلك عن بينة وحى بها من حى عن بينة وظهر بها فضل الله وعدله وحكمته وآيات رسله وصدقهم فمعارضة الرسل وكسر حججهم ودحضها والجواب عنها واهلاك الله لهم من أعظم أدلة صدقهم وبراهينه ولولا مجيء المشركين بالحد والحديد والعدد والشوكة يوم بدر لما حصلت تلك الآية العظيمة التي يترتب عليها من الايمان والهدى والخير مالم يكن حاصلا مع عدمها وقد بينا أن الموقوف على الشيء لا يوجد بدونه ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع فلله كم عمرت قصة بدر من ربع أصبح آهلا بالايمان وقد فتحت لاولى النهى من باب وصلوا منه الى الهدى والايقان وكم حصل بها من محبوب للرحمن وغيظ للشيطان وتلك المفسدة التي حصلت في ضمنها للكفار مغمورة جدا بالنسبة الى مصالحها وحكمها وهي كمفسدة المطر اذا قطع المسافر وبل الثياب وخرب بعض البيوت بالنسبة الى مصلحة العامة وتأمل ماحصل بالطوفان وغرق آل فرعون للامم من الهدى والايمان الذي غمر مفسدة من هلك به حتى تلاشت في جنب مصلحته وحكمته فكم لله من حكمة في آياته التي ابتلى بها أعداءه وأكرم فيها أولياءه وكم له فيها من آية وحجة وتبصرة وتذكرة ولهذا أمر سبحانه رسوله أن يذكر بها أمته فقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فذكرهم بأيامه وانعامه ونجاتهم من عدوهم واهلاكهم وهم ينظرون فحصل بذلك من ذكره وشكره ومحبته وتعظيمه واجلاله ماتلاشت فيه مفسدة اهلاك الابناء وذبحهم واضمحلت فانهم صاروا الى النعيم وخلصوا من مفسدة العبودية لفرعون اذا كبروا وسومهم له سوء العذاب وكان الالم الذي

ذاقه الابوان عند الذبح أيسر من الآلام التي كانوا تجرعوها باستعباد فرعون وقومه لهم بكثير فحظي بذلك الآباء والابناء وأراد سبحانه أن يرى عباده ماهو من أعظم آياته وهو أن يربى هذا المولود الذي ذبح فرعون ماشاء الله من الاولاد في طلبه في حجر فرعون وفي بيته وعلى فراشه فكم في ضمن هذه الآية من حكمة ومصلحة ورحمة وهداية وتبصرة وهي موقوفة على لوازمها وأسبابها ولم تكن لتوجد بدونها فانه ممتنع فمصلحة تلك الآية وحكمتها غمرت مفسدة ذبح الابناء وجعلتها كان لم تكن وكذلك الآيات التي أظهرها سبحانه على يد الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم والعجائب والحكم والمصالح والفوائد التي في تلك القصة التي تزيد على الالف لم تكن لتحصل بدون ذلك السبب الذي كان فيه مفسدة حزونة يعقوب ويوسف ثم انقلبت تلك المفسدة مصالح اضمحلت في جنبها تلك المفسدة بالكلية وصارت سببا لاعظم المصالح في حقه وحق يوسف وحق الاخوة وحق امرأة العزيز وحق أهل مصر وحق المؤمنين الى يوم القيامة فكم جنى أهل المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ورسله من هذه القصة من ثمرة وكم استفادوا بها من علم وحكمة وتبصرة وكذلك المفسدة التي حصلت لايوب من مس الشيطان له بنصب وعذاب اضمحلت وتلاشت في جنب المصلحة والمنفعة التي حصلت له ولغيره عند مفارقة البلاء وتبدله بالنعماء بل كان ذلك السبب المكروه هو الطريق الموصل اليها والشجرة التي جنيت ثمار تلك النعم منها وكذلك الاسباب التي أوصلت خليل الرحمن الى ان صارت النار عليه بردا وسلاما من كفر قومه وشركهم وتكسيره أصنامهم وغضبهم لها وايقاد النيران العظيمة له والقائه فيها بالمنجنيق حتى وقع في روضة خضراء في وسط النار وصارت آية وحجة وعبرة ودلالة للامم قرنا بعد قرن فكم لله سبحانه في ضمن هذه الآية من حكمة بالغة ونعمة سابغة ورحمة وحجة وبينة لو تعطلت تلك الاسباب لتعطلت هذه الحكم والمصالح والآيات وحكمته وكماله المقدس يأبى ذلك وحصول الشيء بدون لازمه ممتنع وكم بين ماوقع من المفاسد الجزئية في هذه القصة وبين جعل صاحبها اماما للحنفاء الى يوم القيامة وهل تلك المفاسد الجزئية الا دون مفسدة الحر والبرد والمطر والثلج بالنسبة الى مصالحها بكثير ولكن الانسان كما قال الله تعالى ظلوم جهول ظلوم لنفسه جهول بربه وعظمته وجلاله وحكمته واتقان صنعه وكم بين اخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة على تلك الحال ودخوله اليها ذلك الدخول الذي لم يفرح به بشر حبورا لله وقد اكتنفه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله والمهاجرون والانصار قد أحدقوا به والملائكة من فوقهم والوحي من الله ينزل عليه وقد أدخله حرمه ذلك الدخول فاين مفسدة ذلك الاخراج الذي كان كأن لم يكن ولولا معارضة السحرة لموسى بالقاء العصي والحبال حتى أخذوا أعين الناس واسترهبوهم لما ظهرت آية عصا موسى حتى ابتلعت عصيهم وحبالهم ولهذا أمرهم موسى أن يلقوا أولا ثم يلقي هو بعدهم ومن تمام ظهور آيات الرب تعالى وكمال اقتداره وحكمته أن يخلق مثل جبريل صلوات الله وسلامه عليه الذي هو أطيب الارواح العلوية وأزكاها وأطهرها وأشرفها وهو السفير في كل خير وهدى وايمان وصلاح ويخلق مقابله مثل روح اللعين ابليس الذي هو أخبث الارواح وأنجسها وشرها وهو الداعي الى كل شر وأصله ومادته وكذلك من تمام قدرته وحكمته ان خلق الضياء والظلام والارض والسماء والجنة والنار

وسدرة

وسدرة المنتهى وشجرة الزقوم وليلة القدر وليلة الوباء والملائكة والشياطين والمؤمنين والكفار والابرار والفجار والحر والبرد والداء والدواء والآلام واللذات والاحزان والمسرات واستخرج سبحانه من بين ماهو من أحب الاشياء اليه من أنواع العبوديات والتعرف الى خلقه بانواع الدلالات ولولا خلق الشياطين والهوى والنفس الامارة لما حصلت عبودية الصبر ومجاهدة النفس والشيطان ومخالفتهما وترك مايهواه العبد ويحبه لله فان لهذه العبودية شأنا ليس لغيرها ولولا وجود الكفار لما حصلت عبودية الجهاد ولما نال أهله درجة الشهادة ولما ظهر من يقدم محبة فاطره وخالقه على نفسه وأهله وولده ومن يقدم أدنى حظ من الحظوظ عليه فاين صبر الرسل واتباعهم وجهادهم وتحملهم لله أنواع المكاره والمشاق وأنواع العبودية المتعلقة بالدعوة واظهارها لولا وجود الكفار وتلك العبودية تقتضى علمه وفضله وحكمته ويستخرج منه حمده وشكره ومحبته والرضا عنه يوضحه الوجه الحادى والعشرون انه قد استقرت حكمته سبحانه ان السعادة والنعيم والراحة لايوصل اليها الاعلى جسر المشقة والتعب ولايدخل اليها الامن باب المكاره والصبر وتحمل المشاق ولذلك حف الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ولذلك أخرج صفيه آدم من الجنة وقد خلقها له واقتضت حكمته أن لايدخلها دخول استقرار الابعد التعب والنصب فما أخرجه منها الاليدخله اليها أتم دخول فلله كم بين الدخول الاول والدخول الثانى من التفاوت وكم بين دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في جواد المطعم بن عدى ودخوله اليها يوم الفتح وكم بين راحة المؤمنين ولذتهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبين لذتهم لوخلقوا فيها وكم بين فرحة من عافاه بعد ابتلائه وأغناه بعد فقره وهداه بعد ضلاله وجمع قلبه بعد شتاته وفرحة من لم يذق تلك المرارات وقد سبقت الحكمة الالهية ان المكاره أسباب اللذات والخيرات كما قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون)

وربما كان مكروه النفوس الى — محبوبها سببا ما مثله سبب

يوضحه الوجه الثانى والعشرون ان العقلاء قاطبة متفقون على استحسان اتعاب النفوس في تحصيل كمالاتها من العلم النافع والعمل الصالح والاخلاق الفاضلة وطلب محمدة من ينفعهم حمده وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالا وأرفع قدرا وكذلك يستحسنون اتعاب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف ويذمون القاعد عن ذلك وينسبونه الى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر

دع المكارم لاتنهض لبغيتها — واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وهذا التعب والكد يستلزم آلاما وحصول مكاره ومشاق هى الطريق الى تلك الكمالات ولم يقدحوا بتحمل تلك في حكمة من يحملها ولايعدونه عائبا بل هو العقل الوافر ومن أمر غيره به فهو حكيم في أمره ومن نهاه عن ذلك فهو سفيه عدوله هذا في مصالح المعاش فكيف بمصالح الحياة الابدية الدائمة والنعيم المقيم كيف لايكون الآمر بالتعب القليل في الزمن اليسير الموصل الى الخير الدائم حكيما رحيما محسنا ناصحا لمن يأمره وينهاه عن ضده من الراحة واللذة التى تقطعه عن كماله ولذته ومسرته الدائمة هذا الى مافي أمره ونهيه من المصالح العاجلة التى بها سعادته وفلاحه وصلاحه ونهيه عما فيه

مضرته وعطبه وشقاوته فأوامر الرب تعالى رحمة واحسان وشفاء ودواء وغذاء للقلوب وزينة للظاهر والباطن وحياة للقلب والبدن وكم في ضمنه من مسرة وفرحة ولذة وبهجة ونعيم وقرة عين فما يسميه هؤلاء تكاليف انما هو قرة العيون وبهجة النفوس وحياة القلوب ونور العقول وتكميل للفطر واحسان تام الى النوع الانسانى أعظم من احسانه اليه بالصحة والعافية والطعام والشراب واللباس فنعمته على عباده بارسال الرسل اليهم وانزال كتبه عليهم وتعريفهم أمره ونهيه ومايحبه ومايبغضه أعظم النعم وأجلها وأعلاها وأفضلها بل لا نسبة لرحمتهم بالشمس والقمر والغيث والنبات الى رحمتهم بالعلم والايمان والشرائع والحلال والحرام فكيف يقال أى حكمة في ذلك وانما هو مجرد مشقة ونصب بغير فائدة فوالله ان من زعم ذلك وظنه في أحكم الحاكمين لاضل من الانعام وأسوأ حالا من الحمير ونعوذ بالله من الخذلان والجهل بالرحمن وأسمائه وصفاته وهل قامت مصالح الوجود الا بالامر والنهى وارسال الرسل وانزال الكتب ولولا ذلك لكان الناس بمنزلة البهائم يتهارجون في الطرقات ويتسافدون تسافد الحيوانات لايعرفون معروفا ولاينكرون منكرا ولايمتنعون من قبيح ولايهتدون الى صواب وأنت ترى الامكنة والازمنة التى خفيت فيها آثار النبوة كيف حال أهلها ومادخل عليهم من الجهل والظلم والكفر بالخالق والشرك بالمخلوق واستحسان القبائح وفساد العقائد والاعمال فان الشرائع بتنزيل الحكيم العليم أنزلها وشرعها الذى يعلم مافي ضمنها من مصالح العباد في المعاش والمعاد وأسباب سعادتهم الدنيوية والاخروية فجعلها غذاء ودواء وشفاء وعصمة وحصنا وملجأ وجنة ووقاية وكانت بالقياس الى مصالح الأبدان بمنزلة حكيم عالم ركب للناس أمرا يصلح لكل مرض ولكل ألم وجعله مع ذلك غذاء للاصحاء فمن يغذى به من الاصحاء غذاه ومن يداوى به من المرض شفاه وشرائع الرب تعالى فوق ذلك وأجل منه وانما هو تمثيل وتقريب فلا أحسن من أمره ونهيه وتحليله وتحريمه أمره قوت وغذاء وشفاء ونهيه حمية وصيانة فلم يأمر عباده بما أمرهم به حاجة منه اليهم ولاعبثا بل رحمة واحسانا ومصلحة ولانهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه عليهم بل حماية وصيانة عما يؤذيهم ويعود عليهم بالضرر ان تناولوه فكيف يتوهم من له مسكة من عقل خلوها من الحكم والغايات المحمودة المطلوبة لاجلها ولهذا استدل كثير من العقلاء على النبوة بنفس الشريعة واستغنوا بها عن طلب المعجزة وهذا من أحسن الاستدلال فان دعوة الرسل من أكبر شواهد صدقهم وكل من له خبرة بنوع من أنواع العلوم اذا رأى حاذقا قد صنف فيه كتابا جليلا عرف أنه من أهل ذلك العلم بنظره في كتابه وهكذا كل من له عقل وفطرة سليمة وخبرة باقوال الرسل ودعوتهم اذا نظر في هذه الشريعة قطع قطعا نظير القطع بالمحسوسات ان الذى جاء بهذه الشريعة رسول صادق وان الذى شرعها أحكم الحاكمين ولقد شهد لها عقلاء الفلاسفة بالكمال والتمام وانه لم يطرق العالم ناموس أكمل ولاأحكم هذه شهادة الاعداء وشهد لها من زعم أنه من الاولياء بانها لم تشرع لحكمة ولالمصلحة وقالوا أى حكمة في الالزام بهذه التكاليف الشاقة المتعبة وأى مصلحة للمكلف في ذلك وأى غرض للمكلف وماهى الامحض المشيئة المجردة من قصد غاية أوحكمة ولواستحيى هؤلاء من العقلاء لمنعهم الحياء من تسويد القلوب والاوراق بمثل ذلك وهل تركت الشريعة خيرا ومصلحة الاجاءت به وأمرت به وندبت اليه وهل تركت شرا ومفسدة الانهت عنه وهل تركت لمفرح أفراحا

أولمتعنت تعنتا أولسائل مطلبا فمن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وعند نفاة الحكم انه يجوز عليه ضد ذلك الحكم من كل وجه وانه لافرق بينه وبين ضده في نفس الامر الامجرد التحكم والمشيئة فلواجتمعت حكمة جميع الحكماء من أول الدهر الى آخره ثم قيست الى حكمة هذه الشريعة الكاملة الحكيمة الفاضلة لكانت كقطرة من بحر وانما نعني بذلك الشريعة التي أنزلها الله على رسوله وشرعها للامة ودعاهم اليها لاالشريعة المبدلة ولاالمؤولة ولاماغلط فيه الغالطون وتأوله المتأولون فان هذين النوعين قد يشتملان على فساد وشر بل الشر والفساد الواقع بين الامة من هاتين الشريعتين اللتين نسبتا الى الشريعة المنزلة من عند الله عمدا أوخطأ والافالشريعة على وجهها خير محض ومصلحة من كل وجه ورحمة وحكمة ولطف بالمكلفين وقيام مصالحهم بها فوق قيام مصالح أبدانهم بالطعام والشراب فهي مكملة للفطر والعقول مرشدة الى مايحبه الله ويرضاه ناهية عما يبغضه ويسخطه مستعملة لكل قوة وعضو حركة في كماله الذي لا كمال له سواه آمرة بمكارم الاخلاق ومعاليها ناهية عن دنيئها وسفسافها واختصار ذلك انه شرع استعمال كل قوة وكل عضو وكل حركة في كمالها ولاسبيل الى معرفة كمالها على الحقيقة الابالوحي فكانت الشرائع ضرورية في مصالح الخلق وضرورتها له فوق كل ضرورة تقدر فهي أسباب موصلة الى سعادة الدارين ورأس الاسباب الموصلة الى حفظ صحة البدن وقوته واستفراغ اخلاطه ومن لم يتصور الشريعة على هذه الصورة فهو من أبعد الناس عنها وقد جعل الحكيم العليم لكل قوة من القوى ولكل حاسة من الحواس ولكل عضو من الاعضاء كمالا حسيا وكمالا معنويا وفقد كماله المعنوى شر من فقد كماله الحسى فكماله المعنوى بمنزلة الروح والحسى بمنزلة الجسم فاعطاه كماله الحسى خلقا وقدرا وأعطاه كماله المعنوى شرعا وأمرا فبلغ بذلك غاية السعادة والانتفاع بنفسه فلم يدع للاحسان اليه والاعتناء بمصالحه وارشاده اليها واعانته على تحصيلها أفراحا يفرحه ولاشفاء يطلبه بل أعطاه من ذلك مالم يصل اليه افراحه ولاتدرك معرفته ويكفي العاقل البصير الحى القلب فكرة في فرع واحد من فروع الامر والنهى وهو الصلاة وما اشتملت عليه من الحكم الباهرة والمصالح الباطنة والظاهرة والمنافع المتصلة بالقلب والروح والبدن والقوى التي لواجتمع حكماء العالم قاطبة واستفرغوا قواهم وأذهانهم لما أحاطوا بتفاصيل حكمها وأسرارها وغاياتها المحمودة بل انقطعوا كلهم دون أسرار الفاتحة ومافيها من المعارف الالهية والحكم الربانية والعلوم النافعة والتوحيد التام والثناء على الله باصول أسمائه وصفاته وذكر أقسام الخليقة باعتبار غاياتهم ووسائلهم وما في مقدماتها وشروطها من الحكم العجيبة من تطهير الاعضاء والثياب والمكان وأخذ الزينة واستقبال بيته الذي جعله اماما للناس وتفريغ القلب لله واخلاص النية وافتتاحها بكلمة جامعة لمعاني العبودية دالة على أصول الثناء وفروعه مخرجة من القلب الالتفات الى ماسواه والاقبال على غيره فيقدم بقلبه الوقوف بين يدى عظيم جليل أكبر من كل شئ وأجل من كل شئ وأعظم من كل شئ بلا سبب في كبريائه السموات وما أظلت والارض وما أقلت والعوالم كلها عنت له الوجوه وخضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة قاهر فوق عباده ناظر اليهم عالم بما تكن صدورهم يسمع كلامهم ويرى مكانهم لايخفى عليه خافية من أمرهم ثم أخذ في تسبيحه وحمده وذكر تبارك اسمه وتعالى جده وتفرده بالالهية ثم أخذ في الثناء عليه بأفضل مايثنى عليه به من حمده وذكر ربوبيته للعالم واحسانه اليهم

ورحمته بهم وتمجيده بالملك الاعظم في اليوم الذى لايكون فيه ملك سواه حتى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ويدينهم بأعمالهم ثم افراده بنوعى التوحيد توحيد ربوبيته استعانة به وتوحيد إلهيته عبودية له ثم سؤاله أفضل مسؤل وأجل مطلوب على الاطلاق وهو هداية الصراط المستقيم الذى نصبه لانبيائه ورسله واتباعهم وجعله صراطا موصلا لمن سلكه اليه والى جنته وأنه صراط من اختصهم بنعمته بان عرفهم الحق وجعلهم متبعين له دون صراط امة الغضب الذى عرفوا الحق ولم يتبعوه واهل الضلال الذين ضلوا عن معرفته واتباعه فتضمنت تعريف الرب والطريق الموصل اليه والغاية بعد الوصول وتضمنت الثناء والدعاء وأشرف الغايات وهى العبودية وأقرب الوسائل اليها وهى الاستعانة مقدما فيها على الوسيلة والمعبود المستعان على الفعل ايذانا لاختصاصه وان ذلك لايصلح الاله سبحانه وتضمنت ذكر الالهية والربوبية والرحمة فيثنى عليه ويعبد بالهيته ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويدبر الملك ويضل من يستحق الاضلال ويغضب على من يستحق الغضب بربوبيته وحكمته وينعم ويرحم ويجود ويعفو ويغفر ويهدى ويتوب برحمته فلله كم في هذه السورة من أنواع المعارف والعلوم والتوحيد وحقائق الايمان ثم يأخذ بعد ذلك في تلاوة ربيع القلوب وشفاء الصدور ونور البصائر وحياة الارواح وهو كلام رب العالمين فيحل به في ماشاء من روضات مونقات وحدائق معجبات زاهية ازهارها مونقة ثمارها قد ذللت قطوفها تذليلا وسهلت لمتناولها تسهيلا فهو يجتنى من تلك الثمار خيرا يؤمر به وشرا ينهى عنه وحكمة وموعظة وتبصرة وتذكرة وعبرة وتقريرا لحق ودحضا لباطل وازالة لشبهة وجوابا عن مسئلة وايضاحا لمشكل وترغيبا في أسباب فلاح وسعادة وتحذيرا من أسباب خسران وشقاوة ودعوة الى هدى وردا عن ردى فتنزل على القلوب نزول الغيث على الارض التى لاحياة لها بدونه ويحل منها محل الارواح من أبدانها فاى نعيم وقرة عين ولذة قلب وابتهاج وسرور لا يحصل له في هذه المناجاة والرب تعالى يسمع لكلامه جاريا على لسان عبده ويقول حمدنى عبدى أثنى على عبدى مجدنى عبدى ثم يعود الى تكبير ربه عزوجل فيجد ربه عهد التذكرة كونه أكبر من كل شئ بحق عبوديته وما ينبغي أن يعامل به ثم يرجع جاثيا له ظهره خضوعا لعظمته وتذللا لعزته واستكانة لجبروته مسبحا له بذكر اسمه العظيم فنزه عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع قد تطامن وطأطأ رأسه وطوى ظهره وربه فوقه يرى خضوعه وذله ويسمع كلامه فهو ركن تعظيم واجلال كما قال صلى الله عليه وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب ثم عاد الى حاله من القيام حامدا لربه مثنيا عليه باكمل محامده وأجمعها وأعمها مثنيا عليه بانه أهل الثناء والمجد معترفا بعبوديته شاهدا بتوحيده وانه لامانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأنه لاينفع أصحاب الجدد والاموال والحظوظ جدودهم عنه ولو عظمت ثم يعود الى تكبيره ويخر له ساجدا على أشرف مافيه وهو الوجه فيعفره في التراب ذلا بين يديه ومسكنة وانكسارا وقد أخذ كل عضو من البدن حظه من هذا الخضوع حتى أطراف الانامل ورؤس الاصابع وندب له أن يسجد معه ثيابه وشعره فلا يكفيه وأن لايكون بعضه محمولا على بعض وان يتأسر التراب بجبهته وينال قبل وجهة المصلى ويكون رأسه أسفل مافيه تكميلا للخضوع والتذليل لمن له العز كله والعظمة كلها وهذا أيسر اليسير من حقه على عبده فلو

دام كذلك من حين خلق الى أن يموت لما أدى حق ربه عليه ثم أمر أن يسبح ربه الاعلى فيذكر علوه وسبحانه في حال سفوله هو وينزهه عن مثل هذه الحال وان من هو فوق كل شيء وعال على كل شيء ينزه عن السفول بكل معنى بل هو الاعلى بكل معنى من معاني العلو ولما كان هذا غاية ذل العبد وخضوعه وانكساره كان أقرب مايكون الرب منه في هذه الحال فامر أن يجتهد في الدعاء لقربه من القريب المجيب وقد قال تعالى فاسجد واقترب وكان الركوع كالمقدمة بين يدى السجود والتوطئة له فينتقل من خضوع الى خضوع أكمل وأتم منه وأرفع شأنا وفصل بينهما بركن مقصود في نفسه يجتهد فيه بالحمد والثناء والتمجيد وجعل بين خضوع خضوع قبله وخضوع بعده وجعل خضوع السجود بعد الحمد والثناء والمجد كما جعل خضوع الركوع بعد ذلك فتأمل هذا الترتيب العجيب وهذا التنقل في مراتب العبودية كيف ينتقل من مقام الثناء على الرب بأحسن أوصافه وأسمائه وأكمل محامده الى من له خضوعه وتذلله ان له هذا الثناء ويستصحب في مقامه خضوعه بما يناسب ذلك المقام ويليق به فتذكر عظمة الرب في حال خضوعه وعلوه في حال سفوله ولما كان أشرف اذكار الصلاة القرآن شرع في أشرف أحوال الانسان وهى هيئة القيام التى قد انتصب فيها قائما على أحسن هيئة ولما كان أفضل أركانها الفعلية السجود شرع فيها بوصف التكرار وجعل خاتمة الركعة وغايتها التى انتهت اليها مطابق افتتاح الركعة بالقرآن واختتامها بالسجود أول سورة افتتح بها الوحى فانها بدئت بالقراءة وختمت بالسجود وشرع له بين هذين الخضوعين أن يجلس جلسة العبيد ويسأل ربه أن يغفر له ويرحمه ويرزقه ويهديه ويعافيه وهذه الدعوات تجمع له خير دنياه وآخرته ثم شرع له تكرار هذه الركعة مرة بعدمرة كما شرع تكرار الاذكار والدعوات مرة بعد مرة ليستعد بالاول لتكميل مابعده ويجبر بما بعده ماقبله وليشبع القلب من هذا الغذاء وليأخذ رواه ونصيبه وافرا من الدواء ليقاومه فان منزلة الصلاة من القلب منزلة الغذاء والدواء فاذا تناول الجائع الشديد الجوع من اللقمة أواللقمتين كان غناؤها عنه وسدها من جوعه يسيرا جدا وكذلك المرض الذى يحتاج الى قدر يغنى من الدواء اذا أخذ منه المريض قيراطا من ذلك لم يزل مرضه بالكلية وأزال بحسبه فما حصل الغذاء أو الشفاء للقلب بمثل الصلاة وهى لصحته ودوائه بمنزلة غذاء البدن ودوائه ثم لما أكمل صلاته شرع له أن يقعدقعدة العبدالذليل المسكين لسيده ويثنى عليه بافضل التحيات ويسلم على من جاءبهذا الحظ الجزيل ومن نالته الامة على يديه ثم يسلم على نفسه وعلى سائر عباد الله المشاركين له في هذه العبودية ثم يتشهد شهادة الحق ثم يعود فيصلى على من علم الامة هذا الخير ودلهم عليه ثم شرع له أن يسأل حوائجه ويدعو بما أحب مادام بين يدى ربه مقبلا عليه فاذا قضى ذلك أذن له في الخروج منها بالتسليم على المشاركين له في الصلاة هذا الى ما تضمنته الاحوال والمعارف من أول المقامات الى آخرها فلا تجد منزلة من منازل السير الى الله ولا مقاما من مقامات العارفين الا وهو في ضمن الصلاة وهذا الذى ذكرناه من شأنها كقطرة من بحر فكيف يقال أنها تكليف محض لم يشرع لحكمة ولا لغاية قصدها الشارع بل هى محض وكلفة ومشقة مستندة الى محض المشيئة لا لغرض ولا لفائدة البتة بل مجرد قهر وتكليف وليست سببا لشيء من مصالح الدنيا والآخرة ثم تأمل أبواب الشريعة ووسائلها وغاياتها كيف

تجدها مشحونة بالحكم المقصودة والغايات الحميدة التى شرعت لاجلها التى لولاها لكان الناس كالبهائم بل أسوأ حالا فكم في الطهارة من حكمة ومنفعة للقلب والبدن وتفريح للقلب وتنشيط للجوارح وتخفيف من احمال ماأوجبته الطبيعة والقاء عن النفس من درن المخالفات فهى منظفة للقلب والروح والبدن وفي غسل الجنابة من زيادة النعومة والاخلاف على البدن نظير ماتحلل منه بالجنابة ماهو من أنفع الامور وتأمل كون الوضوء في الاطراف التى هى محل الكسب والعمل فجعل في الوجه الذى فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق وهذه الابواب هى أبواب المعاصى والذنوب كلها منها يدخل اليها ثم جعل في اليدين وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويعطى ثم في الرجلين اللتين بهما يمشى ويسعى ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة جعل مكانه المسح وجعل ذلك مخرجا للخطايا من هذه المواضع حتى يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشها يداه مع الماء أو مع آخر قطر فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب رواه مسلم وفي صحيح مسلم أيضا عن عثمان ابن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء خرجت خطاياه حتى يخرج من تحت أظفاره فهذا من أجل حكم الوضوء وفوائده وقال نفاة الحكمة أنه تكليف ومشقة وعناء محض لامصلحة فيه ولا حكمة شرع لاجلها ولو لم يكن في مصلحته وحكمته الا أنه سيماء هذه الامة وعلامتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الامم ليست لاحد غيرهم ولو لم يكن فيه من المصلحة والحكمة الا أن المتوضئ يطهر يديه بالماء وقلبه بالتوبة ليستعد للدخول على ربه ومناجاته والوقوف بين يديه طاهر البدن والثوب والقلب فاى حكمة ورحمة ومصلحة فوق هذا ولما كانت الشهوة تجرى في جميع البدن حتى ان تحت كل شعرة شهوة سرى غسل الجنابة الى حيث سرت الشهوة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان تحت كل شعرة جنابة فامر أن يوصل الماء الى أصل كل شعرة فيبرد حرارة الشهوة فتسكن النفس وتطمئن الى ذكر الله وتلاوة كلامه والوقوف بين يديه فوالله لو أن أبقراط ودونه أوصوا بمثل هذا لخضع اتباعهم لهم فيه وعظموهم عليه غاية التعظيم وأبدوا له من الحكم والفوائد ماقدروا عليه ثم لما كان العبد خارج الصلاة مهمل جوارحه قد أسامها في مراتع الشهوات والحظوظ أمر العبودية بجميع جوارحه كلها على ربه وتأخذ بحظها من عبوديته فيسلم قلبه وبدنه وجوارحه وحواسه وقواه لربه عز وجل واقفا بين يديه مقبلا بكله عليه معرضا عمن سواه متنصلا من اعراضه عنه وجنايته على حقه ولما كان هذا طبعه وذاته أمران يجدد هذا الركوع اليه والاقبال عليه وقتا بعد وقت لئلا يطول عليه الامد فينسى ربه وينقطع عنه بالكلية وكانت الصلاة من أعظم نعم الله عليه وأفضل هداياه التى ساقها اليه فابى نفاة الحكمة الا جعلها كلفة وعناء وتعبا لالحكمة ولا لمصلحة البتة الا لمجرد القهر والمشيئة وقد فتح ذلك الباب فساق الشريعة كلها من أولها الى آخرها هذا المساق واستدل بما ظهر لك على ماخفى عنك ولعل الحكمة فيما لم تعلمه أعظم منها فيما علمته فان الذى علمته على قدر عقلك وفهمك وما خفى عنك فهو فوق

عقلك

عقلك وفهمك ولو تتبعنا تفصيل ذلك لجاء عدة اسفار فيكتفى منه بادنى بينة والله المستعان *الوجه الثالث والعشرون ان هذه الجمادات والحيوانات المختلفة الاشكال والمقادير والصفات والمنافع والقوى والاغذية والنباتات التى هى كذلك فيها من الحكم والمنافع ماقد أكثرت الامم في وصفه وبجربته على مر الدهور ومع ذلك فلم يصلوا منه الا الى أيسر شئ وأقله بل لو اتفق جميع الامم لم يحيطوا علما بجميع ماأودع واحدمن ذلك النوع من الحكم والمصالح هذا الى مافي ضمن ذلك من الاعتبار والدلالة الظاهرة على وجود الخالق ومشيئته واختياره وعلمه وقدرته وحكمته فان المادة الواحدة لاتحتمل بنفسها هذه الصور الغريبة والاشكال المتنوعة والمنافع والصفات ولو تركبت مع غيرها فليس حدوث هذه الانواع والصور بنفس التركيب أيضا ولا هو مفيض له فحصول هذا التنوع والتفاوت والاختلاف في الحيوان والنبات من أعظم آيات الرب تعالى ودلائل ربوبيته وقدرته وحكمته وعلمه وأنه فعال لما يريد اختيارا ومشيئة فتنويع مخلوقاته وحدوثها شيأ بعد شئ من أظهر الدلالات وتأمل كيف أرشد القرآن الى ذلك في غير موضع كقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقوله ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون وقوله هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وقال تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير فتأمل كيف نبه سبحانه باختلاف الحيوانات في المشى مع اشتراكها في المادة على الاختلاف فيما وراء ذلك من أعضائها واشكالها وقواها وافعالها وأغذيتها ومساكنها فنبه على الاشتراك والاختلاف فيشير الى يسير منه فالطير كلها تشترك في الريش والجناح وتتفاوت فيما وراء ذلك أعظم تفاوت واشتراك ذوات الحوافر في الحافر كالفرس والحمار والبغل وتفاوتها في ماوراء ذلك واشتراك ذوات الاظلاف في الظلف وتفاوتها في غير ذلك واشتراك ذوات القرون فيها وتفاوتها في الخلق والمنافع والاشكال واشتراك حيوانات الماء في كونها سابحة تأوى فيها وتتكون فيها وتفاوتها أعظم تفاوت عجز البشر الى الآن عن حصره واشتراك الوحوش في البعد عن الناس والتفاوت عنهم وعن مساكنهم وتفاوتها في صفاتها واشكالها وطبائعها وأفعالها أعظم تفاوت يعجز البشر عن حصره واشتراك الماشى منها على بطنه في ذلك وتفاوت نوعه واشتراك الماشى على رجلين في ذلك وتفاوت نوعه أعظم تفاوت وكل من هذه الانواع له علم وادراك وتحيل على جلب مصالحه ودفع مضاره يعجز كثير منه نوع الانسان فمن أعظم الحكم الدلالة الظاهرة على معرفة الخالق الواحد المستولى بقوته وقدرته وحكمته على ذلك كله بحيث جاءت كلها مطيعة منقادة منساقة الى ماخلقها له على وفق مشيئته وحكمته وذلك أدل شئ على قوته

القاهرة وحكمته البالغة وعلمه الشامل فيعلم احاطة قدرة واحدة وعلم واحد وحكمة واحدة أعنى بالنوع من قادر واحد حكيم واحد بجميع هذه الانواع وأضعافها مما لاتعلمه العقول البشرية كما قال ويخلق مالا تعلمون وقال فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون فيجمع غايات فعله وحكمة خلقه وأمره الى غاية واحدة هى منتهى الغايات وهى إلهية الحق التى كل الهية سواها فهى باطل ومحال فهى غاية الغايات ثم ينزل منها الى غايات أخر هى وسائل بالنسبة اليها وغايات بالنسبة الى مادونها وان الى ربك المنتهى فليس وراءه معلوم ولا مطلوب ولا مذكور الا العدم المحض وليس في الوجود الاالله ومفعولاته وهى آثار أفعاله وأفعاله آثار صفاته وصفاته قائمة به من لوازم ذاته والمقصود ان الغايات المطلوبة العلم باحاطة علم واحد من عالم واحد وفعل واحد من فاعل واحد وقدرة واحدة من قادر واحد وحكمة واحدة من حكيم واحد بجميع مافيه على اختلاف مافيه واجتمعت غايات فعله وأمره الى غاية واحدة وذلك من أظهر أدلة توحيد الالهية كما ابتدأت كلها من خالق واحد وقادر واحد ورب واحد ودل على الامرين أعنى توحيد الربوبية والالهية النظام الواحد والحكمة الجامعة للانواع المختلفة مع ضدها وتعذرها ودل افتقار بعضها الى بعض وتشبك بعضها ببعض ومعاونة بعضها ببعض وارتباطه به على أنها صنع فاعل واحد ورب واحد فلو كان معه آلهة وأرباب غيره كما لاترضى ملوك الدنيا أن يحتاج مملوك أحدهم الى مملوك غيره مثله لما في ذلك من النقص والعيب المنافي لكمال الاقتدار والغناء ودل انتظامها في الوجود ووقوعها في ثباتها واختلافها على أكمل الوجوه وأحسنها على انتهائها الى غاية واحدة ومطلوب واحد هو إلهها الحق ومعبودها الاعلى الذى لا إله لها غيره ولامعبود لهاسواه فتامل كيف دل اختلاف الموجودات وثباتها واجتماعها فيما اجتمعت فيه وافتراقها فيما افترقت على إله واحد ورب واحد ودات على صفات كماله ونعوت جلاله فالموجودات باسرها كعسكر واحد له ملك واحد وسلطان واحد يحفظ بعضه ببعض وينظم مصالح بعضه ببعض ويسد خلل بعضه ببعض فيمد هذا بهذا ويقوى هذا بهذا وينقص من هذا فيزيده في الآخر يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويبيد هذا فينشى مكانه من جنسه مايقوم مقامه ويسد مسده فيشهد حدوث الثانى ان الذى أحدثه وأوجده هو الذى أحدث الاول لاغيره وان حكمته لم تتغير وعلمه لم ينقص وقدرته لم تضعف وانه لايتغير بتغيير ما يغير منها ولايضمحل باضمحلاله ولايتلاشى بتلاشيه بل هو الحى القيوم العزيز الحكيم هذا الى مافي لوازم مكبرها وانتظام بعضها ببعض ومايصدر عنها من الافعال والآثار من حكم وأفعال أخرى وغايات أخر حكمها حكم موادها وحوامها كما نشاهده في أشخاصها وأعيانها مثال ذلك في احدوثة واحدة انك ترى المعدة تشاق الغذاء وتجتذبه اليها فانظر لوازم ذلك قبل تناوله ولوازمه بعد تناوله وما يترتب على تلك اللوازم من عمارة الدنيا فاذا جذبته اليها أنضجته وطبخته كما تنضج القدر مافيها فتنضجه الانضاج الذى تمده لتغذى جميع أجزاء البدن وقواه وأرواحه به وهى اذا أنضجته لاجل نصيبها الذى ينالها منه فهو قليل من كثير بالنسبة الى انتفاع غيرها به فيدفع مافضل عن غذائها عنها الى من هو شديد الحاجة اليه على قدر حاجته من غير أن يقصد ذلك أويشعر به ولكن قد قصده وأحكمه من هو بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير يدبره بحكمته ولطفه وساقه في المجارى التى لاينفذ

فيها الابر لدقة مسالكها حتى أوصله الى المحتاج اليه الذى لاصلاح له الابوصوله اليه وكانت طبيعة الكبد ومزاجها في ذلك تلى طبيعة المعدة وفعلها يلى فعلها وكذلك الامعاء وباقى الاعضاء كالكبد للقلب في أعداد الغذاء والقلب للرئة والرئة للقلب في أعداد الهواء واصلاحه فالاعضاء الموجودة في الشخص اذا تأملتها وتأملت أفعالها ومنافعها وما تضمنه كل واحد منها من حكمة اختصت به كشكله ووصفه ومزاجه ووضعه من الشخص بذلك الموضع المعين علمت علما يقينا ان ذلك صادر عن خالق واحد ومدبر واحد وحكيم واحد فانتقل من هذا الى أشخاص العالم شخصا شخصا من النوع الانسانى تجد الحكمة الواحدة الظاهرة في تلك الافراد الكثيرة قد نفعت بعضهم ببعض وأعانت بعضهم ببعض حراثا لزارع وزراعا لحاصد وحائكا لخياط وخياطا لنجار ونجارا لبناء فهذا يعين هذا بيده وهذا برجله وهذا يعينه بعينه وهذا باذنه وهذا بلسانه وهذا بماله واذ لايقدر أحدهم على جميع مصالحه ولايقوم بحاجاته ولاتوجد في كل واحد منهم جميع خواص نوعه فهم باشخاصهم الكثيرة كانسان واحد يقوم بعضه بمصالح بعض قد كمل خواص الانسانية في صفاته وأفعاله وصنائعه ومايراد منه فان الواحد منهم لايفى بان يجمع جميع الفضائل العلمية والعملية والقوة والبقاء فجعل ذلك في النوع الانسانى بجملته والله سبحانه قد فرق كمالات النوع في أشخاصه وجعل لكل شخص منها ماهو مستعد قابل له بحيث لو قيل أكثر من ذلك لاعطاه فانه جواد لذاته قد فاض جوده وخيره على العالم كله وفضل عنه أضعاف مافاض عليه فهو يفيضه على تعاقب الآنات أبدا وكذلك يفضل في الجنة فضل عن أهلها فينشئ لها خلقا يسكنهم فضلها وانما يخصص فضله بحسب استعداد العوامل والمعدات وذلك بمشيئته وحكمته فهو الذى أوجدها وهو الذى أعدها وهو الذى أمدها ولما كان جوده وفضله أوسع من حاجة الخلق لم يكن بد من بقاء كثير منه مبذولا في الوجود مهملا وهذا كضوء الشمس مثلا فان مصالح الحيوان لاتتم الابه وهى تشرق على مواضع فضلت عن حوائج بنى آدم والحيوان وكذلك المطر والنبات وسائر النعم ومع ذلك فلم يعطل وجودها عن حكم ومصالح وعبر ودلالات وعطاء الرب ونعمه أوسع من حوائج خلقه فلابد أن يبقى في المياه والاقوات والنبات وغير ذلك أجزاء مهملة ولايقال ما الحكمة في خلقها فان هذا سؤال جاهل ظالم فان الحكمة في خلق الارض وماعليها ظاهرة لكل بصير والمعمور بعضها لاكلها والرب تعالى واسع الجود دائمه فجوده وخيره عام دائم فلايكون الا كذلك فان ذلك من لوازم علمه وقدرته وحكمته ولعلمه وقدرته وحكمته العموم والشمول والكمال المطلق بكل اعتبار فيعلم من استقراء العالم وأحواله إنتهاؤه الى عالم واحد وقادر واحد وحكيم واحد أتقن نظامه أحسن الاتقان وأوجده على أتم الوجود وهو سبحانه ناظم أفعال الفاعلين مع كثرتها ورابط بعضها ببعض ومعين بعضها ببعض وجاعل بعضها سببا لبعض وغاية لبعض وهذا من أدل الدليل على أنه خالق واحد ورب واحد وقادر واحد دل على قدرته كثرة أفعاله وتنوعها في الوقت الواحد وتعاقبها على تتالى الآنات وتعين تصرفاته في مخلوقاته على كثرتها ودل على علمه وحكمته كون كل شئ كبير وصغير ودقيق وجليل داخلا في النظام الحكمى ليس منها شئ حتى مسام الشعر في الجلد ومراشح اللعاب في الفم ومجارى الشعب الدقيقة من العروق في أصغر الحيوانات التى تعجز عنها أبصارنا ولاتنالها قدرتنا وهذا فيما دق لصغره وفيما جل لعظمه كالرياح الحاملة للسحب الى الارض

الجرز التى لانبات بها فيمطرها عليها فيخرج بها نباتا ويحيي بها حيوانا ويجعل فيها جزئين من الطعام والشراب والاقوات والادوية دع ما فوق ذلك من تسخير الشمس والقمر والنجوم واختلاف مطالعها ومغاربها لاقامة دولة الليل والنها وفصول العام التى بها نظام مصالح من عليها فاذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبنى المعد فيه جميع عباده فالسماء سقفه والارض بساطه والنجوم زينته والشمس سراجه ومصالح سكانه والليل سكنهم والنهار معاشهم والمطر سقياهم والنبات غذاؤهم ودواهم وفاكهتهم والحيوان خدمهم ومنه قوتهم ولباسهم والجواهر كنوزهم وزخائرهم كل شيء منها لما يصلح له فضروب النبات لجميع حاجاتهم وصنوف الحيوانات معدة لجميع مصالحهم وذلك أدل دليل على وحدانية خالقه وقدرته ثم لم يكن لون السماء أزرق اتفاقا بل لحكمة باهرة فان هذا اللون أشد الالوان موافقة للبصر حتى ان في وصف الاطباء لمن أصابه ماأضر ببصره أوكلم بصره ادمان النظر الى الخضرة وماقرب منها الى السواد فجعل أحكم الحاكمين أديم السماء بهذا اللون ليمسك الابصار الراجعة فلاينكأ فيها فهذا الذى أدركه الناس بعد الفكر والتجربة قد وجد مفروغا منه في الخلقة ولم يكن طلوع الشمس وغروبها على هذا النظام لغير علة ولاحكمة مطلوبة فكم من حكمة ومصلحة في ذلك من اقامة الليل والسكن فيه والنهار والمعاش فيه فلو جعل الله عليهم الليل سرمدا لتعطلت مصالحهم وأكثر معايشهم والحكمة في طلوعها أظهر من أن تنكر ولكن تأمل الحكمة في غروبها إذلولا ذلك لم يكن للناس هدوء ولا قرار ولا راحة وكان الكد الدائم بتكافؤ أبدانهم وتسرع فسادها وكان ما على الارض يحرق بدوام شروق الشمس من حيوان ونبات فصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على مافيه صلاح العالم وقوامه ونظامه وكذلك الحكمة في ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة الاربعة ومافي ذلك من الحكمة فان في الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد من ذلك مواد الثمار وتكيف الهواء فتنشأ منه السحاب ويحدث المطر الذى به حياة الارض والحيوان وتشتد أفعال الحيوان وتقوى الافعال الطبيعية وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد الكامنة في الشتاء وفي الصيف يسخن الهواء فتنضج الثمار ويتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض فيتهيأ للبناء وغيره وفي الخريف يصفو الهواء ويعتدل فيذهب بسورة حر الصيف وسمومه الى أضعاف أضعاف ذلك من الحكم وكذلك الحكمة في تنقل الشمس فانها لو كانت واقفة في موضع واحد لفاتت مصالح العالم ولما وصل شعاعها الى كثير من الجهات لان الجبال والجدران يحجبانها عنها فاقتضت الحكمة الباهرة ان جعلت تطلع أول النهار من المشرق وتشرق على ماقابلها من وجه الغرب ثم لا تزال تغشى وجها بعد وجه حتى تنتهى الى الغرب فتشرق على ما استتر عنها أول النهار فتأخذ جميع الجهات منها قسطا من النفع وكذلك الحكمة الباهرة في انتهاء مقدار الليل والنهار الى هذا الحد فلو زاد مقدار أحدهما زيادة عظيمة لتعطلت المصالح والمنافع وفسد النظام وكذلك الحكمة في ابتداء القمر دقيقا ثم أخذه في الزيادة حتى يكمل ثم يأخذ في النقصان حتى يعود الى حالته الاولى فكم في ذلك من حكمة ومصلحة ومنفعة للخلق فان بذلك يعرفون الشهور والسنين والآجال وأشهر الحج والتاريخ ومقادير الاعمار ومدد الاجارات وغيرها وهذا وان كان يحصل بالشمس الا أن معرفته بالقمر وزيادته ونقصانه أمر يشترك فيه الناس كلهم وكذلك الحكمة في

انارة القمر والكواكب في ظلمة الليل فانه مع الحاجة الى الليل وظلمته لهدوء الحيوان وبرد الهواء عليه وعلى النبات لم يجعل الليل ظلاما محضا لاضياء فيه فلا يمكن فيه سفر ولا عمل وربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار ولشدة الحر فيتمكنون في ضوء القمر من أعمال كثيرة وجعل نوره بارداً ليقاوم حرارة نور الشمس فبرد سمومه فيعتدل الامر ويكسر كيفية كل منهما كيفية الآخر ويزيل ضررها وكذلك الحكمة في خلق النجوم فان فيها من الهداية في البر والبحر والاستدلال على الاوقات وزينة السماء وغير ذلك مالم يكن حاصلا بمجرد الاتفاق كما يقوله نفاة الحكمة واقتضت هذه الحكمة ان جعلت نوعين نوعا منها يظهر وقتا ويحتجب آخر ونوعا آخر لايزال ظاهرا غير محتجب بل جعل ظاهرا بمنزلة الاعلام التى يهتدى بها الناس في الطرقات المجهولة وهم ينظرون اليها متى أرادوا ويهتدون بها الى حيث شاؤا وجعلت الحكمة في النوع الاول الاستدلال بظهوره على أمور تعاديه متى طلع في وقت يعنى دل على تلك الامور فقامت المصلحة والحكمة بالنوعين مع مافي خلقها من حكم أخرى ومصالح لايهتدى اليها العباد فما خلق الله شيأ سدى وقد نظم الله سبحانه الحوادث الارضية بالازواج والاجرام العلوية أكمل نظام يعجز عقول البشر عن الاحاطة ببعضه وقد استفرغت الامم السابقة قوى أذهانها في ادراك ذلك فلم يصل منه الا الى مالا نسبة له الى ماخفي عليها بوجه ما وقد جعل الخلاق العليم سبحانه النجوم فرقتين فرقة منها لازمة مراكزها من الفلك ولا تسير الا بسيره وفرقة أخرى مطلقة تنتقل في البروج وتسير بانفسها غير سير فلكها فلكل منها مسيران مختلفان أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب والآخر خاص لنفسه نحو المشرق وقد شبه هذا النوع بنملة تدب على رحا والرحا تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال فللنملة في تلك الحال حركتان مختلفتان احداهما حركة بنفسها تتوجه أمامها والاخرى بغيرها هى مقهورة عليها تبعا للرحى تجذبها الى خلفها فاهذا النوع من النجوم حركتان مختلفتان على وزن وتقدير لايعدوه فزعم نفاة الحكمة ان ذلك أمر اتفاقي لالحكمة ولا لغرض مقصود فان قلت فما الغرض المقصود بذلك وأى حكمة فيه قيل استدل بما عرفت من الحكمة على ماخفي عنك منها ولا تجعل ماخفي عليك دليلا على بطلانها مع ان من بعض الحكم في ذلك انها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التى تكون من تنقل المتنقل منها ومسيرها في كل واحد من البروج كما يستدل على أمور كثيرة وحوادث جمة بتنقل الشمس والقمر والسيارات في منازلها ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يقاس عليه فانه انما يقاس مسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يقاس سير السائر على الارض بالمنازل التى يقطعها وبالجملة فلو كانت كلها بحال واحدة لبطل النظام الذى اقتضته الحكمة التى جعلها هكذا فذلك تقدير العزيز العليم وصنع الرب الحكيم وكيف يرتاب ذو بصيرة ان ذلك كله تقدير مقدر حكيم أتقن ماصنعه وأحكم مادبره ويعرف بما فيه من الحكم والمصالح والمنافع الى خلقه فشدت العقول والفطر بانه ذو الحكمة الباهرة والقدرة القاهرة والعلم التام المحيط وانه لم يخلق ذلك باطلا ولا من الحكمة عاطلا وكذلك الحكمة في تعاقب الحر والبرد على التدريج على أبدان الحيوان والنبات فان قيامهما وكمالهما لما كان بذلك اقتضت الحكمة الالهية ان لايدخل أحدهما على الآخر وهلة فلا يتحمله بل بالتدريج قليلا قليلا الى أن ينتهى منتهاه ويحصل المقصود به من غير ضرر يعم وهذا كله باسباب هى

منشأ الحكم والمصالح فلا يبطل السبب باثبات الحكمة ولا الحكمة بالسبب ولا السبب والحكمة بالمشيئة فيكون من الذين يبخس حظهم من العقل والسمع وكذلك الحكمة في خلق النار على ماهى عليه كامنة في حاملها فانها لو كانت ظاهرة كالهواء والماء والتراب لاحرقت العالم ومافيه ولم يكن بدمن ظهورها في الاحايين للحاجة اليها فجعلت مخزونة في الاجسام تورى عند الحاجة اليها فتمسك بالمادة والحطب ما احتيج الى بقائها ثم تخبو اذ استغنى عنها فجعلت على خاقة وتقدير وتدبير حصل به الاستمتاع بها والانتفاع مع السلامة من ضررها ثم في النار خلة أخرى وهى أنها مما خص به الانسان دون سائر الحيوان فان الحيوانات لاتستعمل النار ولا تستمتع بها ولما اقتضت الحكمة الباهرة ذلك اغنتت الحيوانات عنها في لباسها وأقواتها فاعطيت من الشعور والاوبار مايغنيها عنها وجعلت أغذيتها بالمفردات التى لا تحتاج الى طبخ وخبز ولما كانت الحاجة اليها شديدة جعل من الآلات والاسباب مايتمكن به من اثارتها اذا شاء ومن ابطالها ومن حكمها هذه المصابيح التى يوقدها الناس فيتمكنون بها من كثير حاجاتهم ولولاها لكان نصف أعمارهم بمنزلة أصحاب القبور واما منافعها في انضاج الاغذية والادوية والدفء فلا يخفى وقد نبه تعالى على ذلك بقوله أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين أى تذكر بنار الآخرة فيحترز منها ويستمتع بها المقوون وهم النازلون بالقيفاء وهى الارض الخالية وخص هؤلاء بالذكر لشدة حاجتهم اليها في خبزهم وطبخهم حيث لايجدون مايشترونه فيغنيهم عن مايصنعونه بالنار وكذلك الحكمة في خلق النسيم وما فيه من المصالح والعبر فانه حياة هذه الابدان وقوامها من خارج ومن داخل وفيه طرد هذه الاصوات فيؤديها الى السامع وهو الحامل لهذه الاراييح يؤديها الى المسام وينقلها من موضع الى موضع وهو الذى يزجي السحاب ويسوقه من مكان الى مكان على ظهره كالروايا على ظهور الابل وهو الذى يسير السحاب أولا فيكون كسفا متفرقة فيؤلف بينه ثانيا فيصير طبقا واحدا ثم يلقحه ثالثا كما يلقح الفحل الانثى فيحمل الماء كما تحمل الانثى من لقاح الفحل ثم يسوقه رابعا الى أحوج الاماكن والحيوان اليه ثم يعصره خامسا حتى يخرج ماؤه ثم يذروا ماءه بعد عصره سادسا حتى لايسقط جملة فيهلك مايقع عليه ثم يربى النبات سابعا فيكون له بمنزلة الماء والغذاء يجففه بحرارته ثامنا لئلا يعفن ولا يمكن بقاؤه ولهذا اقتضت الحكمة الباهرة أن تكون الرياح مختلفة المهاب والصفات والطبائع فزعم نفاة الحكمة ان هذا كله أمر اتفاقى لاسبب ولا غاية وهذا لو تتبعناه لجاء عدة أسفار بل لو تتبعنا خلقة الانسان وحده وما فيها من الحكم والغايات لعجزنا نحن وأهل الارض عن الاحاطة بتفصيل ذلك فلنرجع الى جواب نفاة الحكمة والتعليل فنقول * في الوجه الرابع والعشرين قولهم أى حكمة في خلق ابليس وجنوده ففى ذلك من الحكم مالا يحيط بتفصيله الا الله فمنها أن يكمل لانبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه ومخالفته ومراغمته في الله واغاظته واغاظة أوليائه والاستعاذة به منه والالتجاء اليه أن يعيذهم من شره وكيده فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والاخروية مالم يحصل بدونه وقدمنا أن الموقوف على الشئ لايحصل بدونه ومنها خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ماشاهدوا من حال ابليس ماشاهدوه وسقوطه من المرتبة الملكية الى المنزلة الابليسية يكون أقوى وأتم ولا ريب ان الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم

عبودية أخرى للرب تعالى وخضوع آخر وخوف آخر كما هو المشاهد من حال عبيد الملك اذا رأوه قد أهان أحدهم الاهانة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد ومنها أنه سبحانه جعله عبرة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره ثم تاب وندم ورجع الى ربه فابتلى أبوى الجن والانس بالذنب وجعل هذا الاب عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه وهذا الاب عبرة لمن تاب ورجع الى ربه فلله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة ومنها أنه محك امتحن الله به خلقه ليتبين به خبيثهم من طيبهم فانه سبحانه خلق النوع الانساني من الارض وفيها السهل والحزن والطيب والخبيث فلابد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعا ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على مثل ذلك منهم الطيب والخبيث والسهل والحزن وغير ذلك فما كان في المادة الاصلية فهو كائن في المخلوق منها فاقتضت الحكمة الالهية اخراجه وظهوره فلا بد اذا من سبب يظهر ذلك وكان ابليس محكا يميز به الطيب من الخبيث كما جعل أنبيائه ورسله محكا لذلك التمييز قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فارسل رسله الى المكلفين وفيهم الطيب والخبيث فانضاف الطيب الى الطيب والخبيث الى الخبيث واقتضت حكمته البالغة ان خلطهم في دار الامتحان فاذا صاروا الى دار القرار يميز بينهم وجعل لهؤلاء دارا على حدة ولهؤلاء دارا على حدة حكمة بالغة وقدرة قاهرة ومنها أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة وابليس والشياطين وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه فانه خالق الاضداد كالسماء والارض والضياء والظلام والجنة والنار والماء والنار والحر والبرد والطيب والخبيث ومنها أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده فان الضد انما يظهر حسنه بضده فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنا كما تقدم بيانه قريبا ومنها أنه سبحانه يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله ابليس وجنوده وامتحانهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه فكم بين شكر آدم وهو في الجنة قبل أن يخرج منها وبين شكره بعد أن ابتلى بعدوه ثم اجتباه ربه وتاب عليه وقبله ومنها أن المحبة والانابة والتوكل والصبر والرضاء ونحوها أحب العبودية الى الله سبحانه وهذه العبودية انما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله وتقديم محبته على كل ماسواه فالجهاد ذروة سنام العبودية وأحبها الى الرب سبحانه فكان في خلق ابليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصى حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح الا الله ومنها أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه ما وجوده أحب اليه وأنفع لاوليائه من عدمه كما تقدم من ظهور آية الطوفان والعصا واليد وفلق البحر والقاء الخليل في النار وأضعاف أضعاف ذلك من آياته وبراهين قدرته وعلمه وحكمته فلم يكن بد من وجود الاسباب التي يترتب عليها ذلك كما تقدم ومنها أن المادة النارية فيها الاحراق والعلو والفساد وفيها الاشراق والاضاءة والنور فاخرج منها سبحانه هذا وهذا كما أن المادة الترابية الارضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والاحمر والاسود والابيض فاخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة قاهرة وآية دالة على أنه ليس

كمثله شئ وهو السميع البصير ومنها أن من أسمائه الخافض الرافع المعز المذل الحكم العدل المنتقم وهذه الاسماء تستدعى متعلقات يظهر فيها إحكامها كاسماء الاحسان والرزق والرحمة ونحوها ولابد من ظهور متعلقات هذه وهذه ومنها أنه سبحانه الملك التام الملك ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب والاكرام والاهانة والعدل والفضل والاعزاز والاذلال فلا بد من وجود من يتعلق به أحد النوعين كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر ومنها أن من أسمائه الحكيم والحكمة من صفاته سبحانه وحكمته تستلزم وضع كل شئ موضعه الذى لايليق به سواه فاقتضت خلق المتضادات وتخصيص كل واحد منها لايليق به غيره من الاحكام والصفات والخصائص وهل تتم الحكمة الا بذلك فوجود هذا النوع من تمام الحكمة كما أنه من كمال القدرة ومنها ان حمده سبحانه تام كامل من جميع الوجوه فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه وانتقامه واهانته كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعه واكرامه فلله الحمد التام الكامل على هذا وهذا وهو يحمد نفسه على ذلك كله ويحمده عليه ملائكته ورسله وأولياؤه ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه فله في خلقه وايجاده الحكمة التامة كما له عليه الحمد التام فلا يجوز تعطيل حمده كما لايجوز تعطيل حكمته ومنها أنه سبحانه يحب أن يظهر لعباده حلمه وصبره واناته وسعة رحمته وجوده فاقتضى ذلك خلق من يشرك به ويضاده في حكمه ويجتهد في مخالفته ويسعى في مساخطه بل يشبهه سبحانه وهو مع ذلك يسوق اليه أنواع الطيبات ويرزقه ويعافيه ويمكن له من أسباب مايلتذ به من أصناف النعم ويجيب دعاءه ويكشف عنه السوء ويعامله من بره واحسانه بضد مايعامله هو به من كفره وشركه واساءته فلله كم في ذلك من حكمة وحمد ويتحبب الى أوليائه ويتعرف بانواع كمالاته كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لاأحد أصبر على أذى يسمعه من الله يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه شتمنى ابن آدم وماينبغى له ذلك وكذبنى ابن آدم وما ينبغى له ذلك أما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوأ أحد وأما تكذيبه إياى فقوله ان يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق باهون عليه من اعادته وهو سبحانه مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب ويعافيه ويدفع عنه ويدعوه الى جنته ويقبل توبته اذا تاب اليه ويبدله بسيآته حسنات ويلطف به في جميع أحواله ويؤهله لارسال رسله ويأمرهم بان يلينوا له القول ويرفقوا به قال الفضيل بن عياض مامن ليلة يختلط ظلامها الا نادى الجليل جل جلاله من أعظم منى جودا الخلائق لى عاصون وأنا أكلأهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصونى وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا أجود بالفضل على العاصى وأتفضل على المسىء من ذا الذى دعانى فلم ألبه ومن ذا الذى سألنى فلم أعطه أنا الجواد ومنى الجود أنا الكريم ومنى الكرم ومن كرمى انى أعطى العبد ماسألنى وأعطيه مالم يسألنى ومن كرمى انى أعطى التائب كأنه لم يعصنى فاين عنى يهرب الخلق وأين عن بابى يتنحى العاصون وفي أثر إلهى انى والانس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر سواى وفي أثر حسن ابن آدم ما أنصفتنى خيرى اليك نازل وشرك الى صاعد كم أتحبب اليك بالنعم وأنا غنى عنك وكم تتبغض الى بالمعاصى وأنت فقير الى ولايزال الملك الكريم يعرج الى منك بعمل قبيح وفي الحديث الصحيح لولم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم

يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم فهو سبحانه لكمال محبته لاسمائه وصفاته اقتضى حمده وحكمته أن يخلق خلقا يظهر فيهم أحكامها وآثارها فالمحبة للعفو خلق من يحسن العفو عنه ومحبته للمغفرة خلق من يغفر له ويحلم عنه ويصبر عليه ولا يعاجله بل يكون يحب أمانه وامهاله ولمحبته لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته ولمحبته للجود والاحسان والبر خلق من يعامله بالاساءة والعصيان وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والاحسان فلولا خلق من يجرى على أيديهم أنواع المعاصى والمخالفات لفاتت هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضعاف أضعافها فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ذو الحكمة البالغة والنعم السابغة الذى وصلت حكمته الى حيث وصلت قدرته وله في كل شئ حكمة باهرة كما أن له فيه قدرة قاهرة وهدايات انما ذكرنا منه قطرة من بحر والا فعقول البشر أعجز وأضعف وأقصر من أن تحيط بكمال حكمته في شئ من خلقه فكم حصل بسبب هذا المخلوق البغيض للرب المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى يتصل في جبه ماحصل به من مكروهه والحكيم الباهر الحكمة هو الذى يحصل أحب الامرين اليه باحتمال المكروه الذى يبغضه ويسخطه اذا كان طريقا الى حصول ذلك المحبوب ووجود الملزوم بدون لازمه محال فان يكن قد حصل بعدو الله ابليس من السرور والمعاصى ما حصل فكم حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هى أحب الى الله وأرضى له من جهاد في سبيله ومخالفة هوى النفس وشهوتها له ويحتمل المشاق والمكاره في محبته ومرضاته وأحب شئ للحبيب أن يرى محبه يتحمل لاجله من الاذى والوصب ما يصدق محبته

من أجلك قدجعلت خدى أرضا   للشامت والحسود حتى ترضا

وفي أثر الهى بغيتى مايتحمل المتحملون من أجلى فلله ماأحب اليه احتمال محبيه اذا أعدائه لهم فيه وفي مرضاته وما أنفع ذلك الاذى لهم وما أحمدهم لعاقبته وماذا ينالون به من كرامة حبيبهم وقربه قرة عيونهم به ولكن حرام على منكرى محبة الرب تعالى أن يشموا لذلك رائحة أو يدخلوا من هذا الباب أو يذوقوا من هذا الشراب

فقل للعيون العمى للشمس أعين   سواك يراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوسا لم يؤهل لحبهم   فمايحسن التخصيص في كل موضع

فان أغضب هذا المخلوق ربه فقد أرضاه فيه أنبيائه ورسله وأوليائه وذلك الرضاء أعظم من ذلك الغضب وان أسخطه مايجرى على يديه من المعاصى والمخالفات فانه سبحانه أشد فرحا بتوبة عبده من الفاقد لراحلته التى عليها طعامه وشرابه اذا وجدها في المفاوز المهلكات وان أغضبه ماجرى على أنبيائه ورسله من هذا العدو فقد سره وأرضاه ماجرى على أيديهم من حربه ومعصيته ومراغمته وكبته وغيظه وهذا الرضاء أعظم عنده وابر لديه من فوات ذلك المكروه المستلزم لفوات هذا المرضى المحبوب وان أسخطه أكل آدم من الشجرة فقد أرضاه توبته وانابته وخضوعه وتذلله بين يديه وانكساره له وان أغضبه اخراج أعدائه لرسوله من حرمه وبلده ذلك الخروج فقد أرضاه أعظم الرضاء دخوله اليها ذلك الدخول وان أسخطه قتلهم أوليائه وأحبائه وتمزيق لحومهم واراقة دمائهم فقد أرضاه نيلهم الحياة التى لاأطيب منها ولا أنعم ولا ألذ في قربه وجواره وان أسخطه معاصى عباده فقد أرضاه شهود ملائكته وأنبيائه ورسله وأوليائه سعة

مغفرته وعفوه وبره وكرمه وجوده والثناء عليه بذلك وحمده وتمجيده بهذه الاوصاف التى حمده بها وأثنى عليه بها أحب اليه وأرضى له من فوات تلك المعاصى وفوات هذه المحبوبات واعلم أن الحمد هو الاصل الجامع لذلك كله فهو عقد نظام الخلق والامر والرب تعالى له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه فما خلق شيأ ولا حكم بشئ الا وله فيه الحمد فوصل حمده الى حيث وصل خلقه وأمره حمداً حقيقيا يتضمن محبته والرضا به وعنه والثناء عليه والاقرار بحكمته البالغة في كل ماخلقه وأمر به فتعطيل حكمته غير تعطيل حمده كما تقدم بيانه فكما أنه لايكون الا حميدا فلايكون الا حكيما فحمده وحكمته كعلمه وقدرته وحياته من لوازم ذاته ولا يجوز تعطيل شئ من صفاته وأسمائه عن مقتضياتها وآثارها فان ذلك يستلزم النقص الذى يناقض كماله وكبريائه وعظمته يوضحه

* الوجه الخامس والعشرون انه كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء انه يجود ويعطى ويمنح فمنها أن يعيذ وينصر ويغيث فكما يحب أن يلوذ به اللائذون يحب أن يعوذ به العائذون وكمال الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم كما قال أحمد بن حسين الكندى في ممدوحه

يامن الوذ به فيما أومله ... ومن أعوذ به مما أحاذره

لايجبر الناس عظماأنت كاسره ... ولايهيضون عظما أنت جابره

ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله والمقصود أن ملك الملوك يحب أن يلوذ به مماليكه وأن يعوذوا به كما أمر رسوله أن يستعيذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه وبذلك يظهر تمام نعمته على عبده اذا أعاذه وأجاره من عدوه فلم يكن اعاذته واجارته منه بأدنى النعمتين والله تعالى يحب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين ويريهم نصره لهم على عدوهم وحمايتهم منه وظفرهم بهم فيالها من نعمة كمل بها سرورهم ونعيمهم وعدل أظهره في أعدائه وخصمائه

وما منهما الاله فيه حكمة ... يقصر عن ادراكها كل باحث

الوجه السادس والعشرون قوله أى حكمة في ابقاء ابليس الى آخر الدهر وامانة الرسل فكم لله في ذلك من حكمة تضيق بها الاوهام فمنها أنه سبحانه لما جعله محكا ومحنة يخرج به الطيب من الخبيث ووليه من عدوه اقتضت حكمته ابقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه ولو اماته لفات ذلك الغرض كما ان الحكمة اقتضت بقاء اعدائه الكفار في الارض الى آخر الدهر ولو أهلكهم البتة لتعطلت الحكم الكثيرة في ابقائهم فكما اقتضت حكمته امتحان أبى البشر اقتضت امتحان أولاده من بعده به فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه وينحاز اليه من وافقه ووالاه ومنها أنه لما سبق حلمه وحكمته أنه لانصيب له في الآخرة وقد سبق له طاعة وعبادة جزاه بها في الدنيا بان أعطاه البقاء فيها الى آخر الدهر فانه سبحانه لايظلم أحدا حسنة عملها فاما المؤمن فيجزيه بحسناته في الدنيا وفي الآخرة وأما الكافر فيجزيه بحسنات ماعمل في الدنيا فاذا أفضى الى الآخرة لم يكن له شئ كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ومنها ان ابقاءه لم يكن كرامة في حقه فانه لومات كان خيراله وأخف لعذابه وأقل لشره ولكن لما غلظ ذنبه بالاصرار على المعصية ومخاصمة من ينبغى التسليم لحكمه والقدح في حكمته والحلف على اقتطاع عباده وصدهم عن عبوديته كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة بحسب تغلظه فابقى في الدنيا

وأملى له ليزداد هذا اثما على اثم ذلك الذنب فيستوجب العقوبة التى لا تصلح لغيره فيكون رأس أهل الشر في العقوبة كما كان رأسهم في الشر والكفر ولما كان مادة كل شر فمنه ينشأ جوزى في النار مثل فعله فكل عذاب ينزل باهل النار يبدأ به فيه ثم يسرى منه الى اتباعه عدلا ظاهرا أو حكمة بالغة ومنها أنه قال في مخاصمته لربه أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا وعلم سبحانه أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره ولا يصلح الا لما يصلح له الشوك والروث أبقاه له وقال له بلسان القدر هؤلاء أصحابك وأولياؤك فاجلس في انتظارهم وكلما مر بك واحد منهم فشأنك به فلو صلح لي لما ملكتك منه فانى أتولى الصالحين وهم الذى يصلحون لى وأنت ولي المجرمين الذين غنوا عن موالاتى وابتغاء مرضاتى قال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فاما اماتة الانبياء والمرسلين فلم يكن ذلك لهوانهم عليه ولكن ليصلوا الى محل كرامته ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبها ومقاساة أعدائهم وأتباعهم وليحى الرسل بعدهم يرى رسولا بعد رسول فاماتتهم أصلح لهم وللامة أما هم فلراحتهم من الدنيا ولحوقهم بالرفيق الاعلى في أكمل لذة وسرور ولاسيما وقد خيرهم ربهم بين البقاء في الدنيا واللحاق به وأما الامم فيعلم أنهم لم يطيعوهم في حياتهم خاصة بل أطاعوهم بعد مماتهم كما أطاعوهم في حياتهم وان اتباعهم لم يكونوا يعبدونهم بل يعبدون الله بامرهم ونهيهم والله هو الحى الذى لا يموت فكم في اماتتهم من حكمة ومصلحة لهم وللامم هذا وهم بشر ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام بل جعلهم خلائف في الارض يخلف بعضهم بعضا فلو أبقاهم لفاتت المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف ولضاقت بهم الارض فالموت كمال لكل مؤمن ولولا الموت لما طاب العيش في الدنيا ولاهنأ لاهلها بها فالحكمة في الموت كالحكمة في الحياة * الوجه السابع والعشرون قوله أى حكمة ومصلحة في اخراج آدم من الجنة الى دار الابتلاء والامتحان فالجواب أن يقال كم لله سبحانه في ذلك من حكمة وكم فيه من نعمة ومصلحة تعجز العقول عن معرفتها على التفصيل ولو استفرغت قواها كلها في معرفة ذلك واهباط آدم واخراجه من الجنة كان يعسر كماله ليعود اليها على أحسن أحواله وهو سبحانه انما خلقه ليستعمره وذريته في الارض ويجعلهم خلفاء يخلف بعضهم بعضا فخلقهم سبحانه ليأمرهم وينهاهم ويبتليهم وليست الجنة دار ابتلاء وتكليف فاخرج الابوين الى الدار التى خلقوا منها وفيها ليتزودوا منها الى الدار التى خلقوا لها فاذا وفوا تعب دار التكليف ونصبها عرفوا قدر تلك الدار وشرفها وفضلها ولو نشأوا في تلك الدار لما عرفوا قدر نعمته عليهم بها فاسكنهم دار الامتحان وعرضهم فيها لامره ونهيه لينالوا بالطاعة أفضل ثوابه وكرامته وكان من الممكن أن يحصل لهم النعيم المقيم هناك لكن الحاصل عقيب الابتلاء والامتحان ومعانات الموت ومابعده وأهوال القيامة والعبور على الصراط نوع آخر من النعيم لا يدرك قدره وهو أكمل من نعيم من خلق في الجنة من الولدان والحور العين بما لا يشبه بينهما بوجه من الوجوه ومن الحكم في ذلك أنه سبحانه أراد أن يتخذ من ذرية آدم رسلا وأنبياء وشهداء يحبهم ويحبونه وينزل عليهم كتبه ويعهد اليهم عهده ويستعبدهم له في السراء والضراء ويؤثرون محابه ومراضيه على شهواتهم وما يحبونه ويهوونه فاقتضت حكمته ان انزلهم الى دار ابتلاهم فيها بما ابتلاهم ليكملوا بذلك الابتلاء مراتب

عبوديته ويعبدونه بما تكرهه نفوسهم وذلك محض العبودية والا فمن يعبد الله لا بما يحبه ويهواه فهو في الحقيقة انما يعبد نفسه وهو سبحانه يحب من أوليائه أن يوالوا فيه ويعادوا فيه ويبذلوا نفوسهم في مرضاته ومحابه وهذا كله لا يحصل في دار النعيم المطلق ومن الحكمة في اخراجه من الجنة ما تقدم التنبيه عليه من اقتضاء أسماء الله الحسنى لمسمياتها ومتعلقاتها كالغفور الرحيم التواب العفو المنتقم الخافض الرافع المعز المذل المحيي المميت الوارث ولابد من ظهور أثر هذه الاسماء ووجود ما يتعلق به فاقتضت حكمته ان انزال الابوين من الجنة ليظهر مقتضى أسمائه وصفاته فيهما وفي ذريتهما فلو تربت الذرية في الجنة لفاتت آثار هذه الاسماء وتعلقاتها والكمال الالهي يأبى ذلك فانه الملك الحق المبين والملك هو الذي يأمر وينهى ويكرم ويهين ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل فانزل الابوين والذرية الى دار تجرى عليهم هذه الاحكام وأيضا فانهم أنزلوا الى دار يكون إيمانهم تاما فان الايمان قول وعمل وجهاد وصبر واحتمال وهذا كله انما يكون في دار الامتحان لا في جنة النعيم وقد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم أبوالوفا بن عقيل وغيره ان أعمال الرسل والانبياء والمؤمنين في الدنيا أفضل من نعيم الجنة قالوا لأن نعيم الجنة حظهم وتمتعهم فاين يقاس الى الايمان وأعماله والصلوات وقرائة القرآن والجهاد في سبيل الله وبذل النفوس في مرضاته وايثاره على هواها وشهواتها فالايمان متعلق به سبحانه وهو حقه عليهم ونعيم الجنة متعلق بهم وهو حظهم فهم انما خلقوا للعبادة والجنة دار نعيم لا دار تكليف وعبادة وأيضا فانه سبحانه سبق حكمه وحكمته بان يجعل في الارض خليفة وأعلم بذلك ملائكته فهو سبحانه قد أراد بكون هذا الخليفة وذريته في الارض قبل خلقه لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة فلم يكن بد من اخراجه من الجنة الى دار قد سكناهم فيها قبل أن يخلقه وكان ذلك التقدير بأسباب وحكم فمن أسبابه النهى عن تلك الشجرة وتخليته بينه وبين عدوه حتى وسوس اليه بالاكل وتخليته بينه وبين نفسه حتى وقع في المعصية وكانت تلك الاسباب موصلة الى غايات محمودة مطلوبة يترتب على خروجه من الجنة ثم يترتب على خروجه أسباب أخر جعلت غايات لحكم أخر ومن تلك الغايات عوده اليها على أكمل الوجوه فذلك التقدير وتلك الاسباب وغاياتها صادرة عن محض الحكمة البالغة التي يحمده عليها أهل السموات والارض والدنيا والآخرة فما قدر أحكم الحاكمين ذلك باطلا ولا دبره عبثا ولا أخلاه من حكمته البالغة وحمده التام وأيضا فانه سبحانه قال للملائكة (انى جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون) ثم أظهر سبحانه من علمه وحكمته الذى خفي على الملائكة من أمر هذا الخليفة ما لم يكونوا يعرفونه بان جعل من نسله من أوليائه وأحبائه ورسله وأنبيائه من يتقرب اليه بانواع التقرب ويبذل نفسه في محبته ومرضاته يسبح بحمده أناء الليل وأطراف النهار ويذكره قائما وقاعدا وعلى جنبه ويعبده ويذكره ويشكره في السراء والضراء والعافية والبلاء والشدة والرخاء فلا يثنيه عن ذكره وشكره وعبادته شدة ولا بلاء ولا فقر ولا مرض ويعبده مع معارضة الشهوة وغلبات الهوى وتعاضد الطباع لاحكامها ومعاداة بني جنسه وغيرهم له فلا يصده ذلك عن عبادته وشكره وذكره والتقرب اليه فان كانت عبادتكم لي بلا معارض ولا ممانع فعبادة هؤلاء لى مع هذه المعارضات والموانع والشواغل وأيضا فانه سبحانه أراد أن يظهر لهم

ما

ماخفى عليهم من شأن ما كانوا يعظمونه ويجلونه ولا يعرفون مافي نفسه من الكبر والحسد والشر فذلك الخير وهذا الشر كامن في نفوس لايعلمونها فلا بد من اخراجه وابرازه لكي يعلم حكمة أحكم الحاكمين في مقابلة كل منهما بما يليق به وأيضا فانه سبحانه لما خلق خلقه أطوارا وأصنافا وسبق في حكمه وحكمته تفضيل آدم وبنيه على كثير ممن خلق تفضيلا جعل عبوديتهم أكمل من عبودية غيرهم وكانت العبودية أفضل أحوالهم وأعلى درجاتهم أعنى العبودية الاختيارية التى يأتون بها طوعا واختيارا لاكرها واضطرارا ولهذا أرسل الله جبريل الى سيد هذا النوع الانساني يخيره بين أن يكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فاختار بتوفيق ربه له أن يكون عبدا رسولا وذكره سبحانه بأتم العبودية فى أشرف مقاماته وأفضل أحواله كمقام الدعوة والتحدى والاسراء وانزال القرآن وانه لما قام عبد الله يدعوه وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا سبحان الذى أسرى بعبده تبارك الذى نزل الفرقان على عبده فثنى عليه ونوه به بعبوديته التامة له ولهذا يقول أهل الموقف حين يطلبون الشفاعة اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فلما كانت العبودية أشرف أحوال بنى آدم وأحبها الى الله وكان لها لوازم وأسباب مشروطة لايحصل الا بها كان من أعظم الحكمة أن أخرجوا الى دار تجرى عليهم فيها أحكام العبودية وأسبابها وشروطها وموجباتها فكان اخراجهم من الجنة تكميلا لهم وتماما لنعمته عليهم مع مافي ذلك من محبوبات الرب تعالى فانه يحب اجابة الدعوات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات ومغفرة الزلات وتكفير السيآت ودفع البليات واعزاز من يستحق العز واذلال من يستحق الذل ونصر المظلوم وجبر الكسير ورفع بعض خلقه على بعض وجعلهم درجات ليعرف قدر فضله وتخصيصه فاقتضى ملكه التام وحمده الكامل أن يخرجهم الى دار يحصل فيها محبوباته سبحانه وان كان لكثير منها طرق وأسباب يكرهها فالوقوف على الشئ لابدونه وايجاد لوازم الحكمة من الحكمة كما أن ايجاد لوازم العدل من العدل كما ستقف عليه في فصل ايلام الاطفال ان شاء الله * الوجه الثامن والعشرون أنه سبحانه أبرز خلقه من العدم الى الوجود ليجرى عليه أحكام أسمائه وصفاته فيظهر كماله المقدس وان كان لم يزل كاملا فمن كماله ظهور آثار كماله في خلقه وأمره وقضائه وقدره ووعده ووعيده ومنعه واعطائه واكرامه واهانته وعدله وفضله وعفوه وانعامه وسعة حلمه وشدة بطشه وقد اقتضى كماله المقدس سبحانه انه كل يوم هو في شأن فمن جملة شؤونه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويشفى مريضا ويفك عانيا وينصر مظلوما ويغيث ملهوفا ويجبر كسيرا ويغنى فقيرا ويجيب دعوة ويقيل عثرة ويعز ذليلا ويذل متكبرا ويقصم جبارا ويميت ويحيي ويضحك ويبكي ويخفض ويرفع ويعطى ويمنع ويرسل رسله من الملائكة ومن البشر في تنفيذ أوامره وسوق مقاديره التى قدرها الى مواقيتها التى وقتها لها وهذا كله لم يكن ليحصل في دار البقاء وانما اقتضت حكمته البالغة حصوله في دار الامتحان والابتلاء يوضحه * الوجه التاسع والعشرون ان كمال ملكه التام اقتضى كمال تصرفه فيه بانواع التصرف ولهذا جعل الله سبحانه الدور ثلاثة دارا اخلصها للنعيم واللذة والبهجة والسرور ودارا اخلصها للألم والنصب وأنواع البلاء والشرور ودارا خلط خيرها بشرها ومزج نعيمها بشقائها ومزج لذتها بألمها يلتقيان ويطالبان وجعل عمارة تينك الدارين من هذه الدار وأجرى أحكامه على خلقه في الدور الثلاثة بمقتضى ربوبيته

والهيته وعزته وحكمته وعدله ورحمته فلو أسكنهم كلهم دار البقاء من حين أوجدهم لتعطلت أحكام هذه الصفات ولم يترتب عليها آثارها يوضحه * الوجه الثلاثون ان يوم المعاد الاكبر يوم مظهر الاسماء والصفات وأحكامها ولهذا يقول سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال الملك يومئذ الحق للرحمن وقال (يوم لا يملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) حتى ان الله سبحانه ليتعرف الى عباده ذلك اليوم باسماء وصفات لم يعرفوها في هذه الدار فهو يوم ظهور المملكة العظمى والاسماء الحسنى والصفات العلى فتأمل ما أخبر به الله ورسوله من شأن ذلك اليوم وأحكامه وظهور عزته تعالى وعظمته وعدله وفضله ورحمته وآثار صفاته المقدسة التي لو خلقوا في دار البقاء لتعطلت وكماله سبحانه ينفي ذلك وهذا دليل مستقل لمن عرف الله تعالى واسمائه وصفاته على وقوع المعاد وصدق الرسل فيما أخبروا به عن الله عنه فيطابق دليل العقل ودليل السمع على وقوعه * الوجه الحادي والثلاثون ان الله سبحانه يحب أن يعبد بانواع التعبدات كلها ولا يليق ذلك الا بعظمته وجلاله ولا يحسن ولا ينبغي الا له وحده ومن المعلوم ان أنواع التعبد الحاصلة في دار الابتلاء والامتحان لا يكون في دار المجازاة وان كان في هذه الدار بعض المجازاة وكمالها وتمامها انما هو في تلك الدار وليست دار عمل وانما هي دار جزاء وثواب أوجب كماله المقدس أن يجزى فيها الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فلم يكن بد من دار تقع فيها الاساءة والاحسان ويجرى على أهلها أحكام الاسماء والصفات ثم يعقبها دارا يجازى فيها المحسن والمسيء ويجرى على أهلها فيها أحكام الاسماء والصفات فتعطيل أسمائه وصفاته ممتنع ومستحيل وهو تعطيل لربوبيته والهيته وملكه وعزه وحكمته فمن فتح له باب من الفقه في أحكام الاسماء والصفات وعلم اختصاصها لآثارها ومتعلقاتها واستحالة تعطيلها علم أن الامر كما أخبرت به الرسل وانه لا يجوز عليه سبحانه ولا ينبغي له غيره وانه ينزه عن خلاف ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص وهذا باب عزيز من أبواب الايمان فيفتحه الله على من يشاء من عباده ويحرمه من يشاء * الوجه الثاني والثلاثون انه كم لله سبحانه من حكمة وحمد وأمر ونهي وقضاء وقدر في جعل بعض عباده فتنة لبعض كما قال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) وقال تعالى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) فهو سبحانه جعل أوليائه فتنة لاعدائه وأعداءه فتنة لاوليائه والملوك فتنة للرعية والرعية فتنة لهم والرجال فتنة للنساء وهن فتنة لهم والاغنياء فتنة للفقراء والفقراء فتنة لهم وابتلى كل أحد بضد جعله متقابلا فما استقرت أقدام الابوين على الارض الا وضدهما مقابلهما واستمر الامر في الذرية كذلك الى أن يطوى الله الدنيا ومن عليها وكم له سبحانه في مثل هذا الابتلاء والامتحان من حكمة بالغة ونعمة سابغة وحكم نافذ وأمر ونهي وتصريف دال على ربوبيته وإلهيته وملكه وحمده وكذلك ابتلاء عباده بالخير والشر في هذه الدار هو من كمال حكمته ومقتضى حمده التام * الوجه الثالث والثلاثون انه لولا هذا الابتلاء والامتحان لما ظهر فضل الصبر والرضا والتوكل والجهاد والعفة والشجاعة والحلم والعفو والصفح والله سبحانه يحب أن يكرم أوليائه بهذه الكمالات ويحب ظهورها عليهم ليثني بها عليهم هو وملائكته وينالوا باتصافهم بها غاية الكرامة واللذة والسرور وان كانت مرة المبادي فلا أحلى من عواقبها ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع وقد أجرى الله سبحانه حكمته بان كمال الغايات تابعة لقوة أسبابها وكمالها ونقصانها لنقصانها فمن كمل

أسباب النعيم واللذة كملت له غاياتها ومن حرمها حرمها ومن نقصها نقص له من غاياتها وعلى هذا قام الجزاء بالقسط والثواب والعقاب وكفى بهذا العالم شاهدا لذلك فرب الدنيا والآخرة واحد وحكمته مطردة فيهما وله الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون يوضحه* الوجه الرابع والثلاثون وهو أن أفضل العطاء وأجله على الاطلاق الايمان وجزاؤه وهو لايتحقق الابالامتحان والاختبار قال تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء مايحكمون من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين) فذكر سبحانه في هذه السورة انه لابد أن يمتحن خلقه ويفتنهم ليتبين الصادق من الكاذب والمؤمن من الكافر ومن يشكره ويعبده ممن يكفره ويعرض عنه ويعبد غيره وذكر أحوال الممتحنين في العاجل والآجل وذكر أئمة الممتحنين في الدنيا وهم الرسل وأتباعهم وعاقبة أمرهم وماصاروا اليه وافتتح بالانكار على من يحسب أنه يخلص من الامتحان والفتنة في هذه الدار اذا دعى الايمان وان حكمته سبحانه وشانه في خلقه يأبى ذلك وأخبر عن سر هذه الفتنة والمحنة وهو تبين الصادق من الكاذب والمؤمن من الكافر وهو سبحانه كان يعلم ذلك قبل وقوعه ولكن اقتضى عدله وحمده انه لايجزى العباد بمجرد علمه فيهم بل بمعلومه اذا وجد وتحقق والفتنة هى التى أظهرته وأخرجته الى الوجود فحينئذ حسن وقوع الجزاء عليه ثم أنكر سبحانه على من لم يلتزم الايمان به ومتابعة رسله خوف الفتنة والمحنة التى يمتحن بها رسله وأتباعهم ظنه وحسبانه أنه باعراضه عن الايمان وتصديق رسله يخلص من الفتنة والمحنة فان بين يديه من الفتنة والمحنة والعذاب أعظم وأشق مما فر عنه فان المكلفين بعد ارسال الرسل اليهم بين أمرين اما أن يقول أحدهم آمنت واما أن لايقول بل يستمر على السيئات فمن قال آمنا امتحنه الرب تعالى وابتلاه لتتحقق بالايمان حجة ايمانه وثباته عليه وانه ليس بايمان عافية ورخاء فقط بل ايمان ثابت في حالتى النعماء والبلاء ومن لم يؤمن فلايحسب أنه يعجز ربه تعالى ويفوته بل هو في قبضته وناصيته بيده فله من البلاء أعظم مما ابتلى به من قال آمنت فمن آمن به وبرسله فلا بد أن يبتلى من أعدائه وأعداء رسله بما يؤلمه ويشق عليه. ومن لم يؤمن به وبرسله فلابد أن يعاقبه فيحصل له من الالم والمشقة أضعاف ألم المؤمنين فلا بد من حصول الالم لكل نفس مؤمنة أوكافرة لكن المؤمن يحصل له الالم في الدنيا أشد ثم ينقطع ويعقبه أعظم اللذة والكافر يحصل له اللذة والسرور ابتداء ثم ينقطع ويعقبه أعظم الالم والمشقة وهكذا حال الذين يتبعون الشهوات فيلتذون بها ابتداء ثم تعقبها الآلام بحسب مانالوه منها والذين يصبرون عنها ينالون بفقدها ابتداء ثم يعقب ذلك الالم من اللذة والسرور بحسب ماصبروا عنه وتركوه منها فالالم واللذة أمر ضرورى لكل انسان لكن الفرق بين العاجل المنقطع اليسير والآجل الدائم العظيم بون ولهذا كان خاصة العقل النظر في العواقب والغايات فمن ظن أنه يخلص من الالم بحيث لايصيبه البتة فظنه أكذب الحديث فان الانسان خلق عرضة للذة والالم والسرور والحزن والفرح والغم وذلك من جهتين من جهة تركيبه وطبيعته وهيئته فانه مركب من اخلاط متفاوتة متضادة يمتنع أو يعز اعتدالها من كل وجه بل لابد أن يبغى بعضها على بعض فيخرج عن حد الاعتدال

فيحصل الالم ومن جهة بنى جنسه فانه مدنى بالطبع لايمكنه أن يعيش وحده بل لايعيش الامعهم وله ولهم لذات ومطالب متضادة ومتعارضة لايمكن الجمع بينها بل اذا حصل منها شئ فات منها أشياء فهو يريد منهم أن يوافقوه على مطالبه وارادته وهم يريدون منه ذلك فان وافقهم حصل له من الالم والمشقة بحسب مافاته من ارادته وان لم يوافقهم آذوه وعذبوه وسعوا في تعطيل مراداته كما لم يوافقهم على مراداتهم فيحصل له من الالم والتعذيب بحسب ذلك فهو في ألم ومشقة وعناء وافقهم أو خالفهم ولاسيما اذا كانت موافقتهم على أمور يعلم أنها عقائد باطلة وارادات فاسدة وأعمال تضره في عواقبها ففى موافقتهم أعظم الالم وفي مخالفتهم حصول الالم فالعقل والدين والمروءة والعلم تأمره باحتمال أخف الالمين تخلصا من أشدهما وبايثار المنقطع منهما لينجو من الدائم المستمر فمن كان ظهيرا للمجرمين من الظلمة على ظلمهم ومن أهل الاهواء والبدع على أهوائهم وبدعهم ومن أهل الفجور والشهوات على فجورهم وشهواتهم ليتخلص بمظاهرتهم من ألم اذاهم أصابه من ألم الموافقة لهم عاجلا وآجلا أضعاف أضعاف مافر منه وسنة الله في خلقه أن يعذبهم بانذار من ايمانهم وظاهرهم وان صبر على ألم مخالفتهم ومجانبتهم أعقبه ذلك لذة عاجلة وآجلة تزيد على لذة الموافقة باضعاف مضاعفة وسنة الله في خلقه أن يرفعه عليهم ويذلهم له بحسب صبره وتقواه وتوكله واخلاصه واذا كان لابد من الالم والعذاب فذلك في الله وفي مرضاته ومتابعة رسله أولى وأنفع منه في الناس ورضائهم وتحصيل مراداتهم ولما كان زمن التألم والعذاب فصبره طويل أنفاسه ساعات وساعاته أيام وأيامه شهور وأعوام ابتلى سبحانه الممتحنين فيه بان ذلك الابتلاء آجلا ثم ينقطع وضرب لاهله أجلا للقائه يسليهم به ويشكر نفوسهم ويهون عليهم أثقاله فقال (من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم) فاذا تصور العبد أجل ذلك البلاء وانقطاعه وأجل لقاء المبتلى سبحانه واثباته هان عليه ماهو فيه وخف عليه حمله ثم لما كان ذلك لايحصل الا بمجاهدة للنفس وللشيطان ولبنى جنسه وكان العامل اذا علم ان ثمرة عمله وتعبه يعود عليه وحده لايشركه فيه غيره كان أتم اجتهادا وأوفر سعيا فقال تعالى (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين) وأيضا فلايتوهم متوهم أن منفعة هذه المجاهدة والصبر والاحتمال يعود على الله سبحانه فانه غنى عن العالمين لم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه اليهم ولانهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه عليهم بل أمرهم بما يعود نفعه ومصلحته عليهم في معاشهم ومعادهم ونهاهم عما يعود مضرته وعتبه عليهم في معاشهم ومعادهم فكانت ثمرة هذا الابتلاء والامتحان مختصة بهم واقتضت حكمته ان نصب ذلك سببا مقضيا الى تميز الخبيث من الطيب والشقى من الغوى ومن يصلح له ممن لايصلح قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فابتلاهم سبحانه بارسال الرسل اليهم باوامره ونواهيه واختياره فامتاز برسله طيبهم من خبيثهم وجيدهم من رديئهم فوقع الثواب والعقاب على معلوم أظهره ذلك الابتلاء والامتحان ثم لما كان الممتحن لابد أن يحرف عن طريق الصبر والمجاهدة لدواعى طبيعته وهواه وضعفه عن مقاومة ما ابتلى به وعده سبحانه أن يتجاوز له عن ذلك ويكفره عنه لانه لما أمر به والتزم طاعته اقتضت رحمته ان كفر عنه سيئاته وجازاه باحسن أعماله ثم ذكر سبحانه ابتلاء العبد بابويه وما أمر به من طاعتهما وصبره على مجاهدتهما له على أن لايشرك به فيصبر على هذه المحنة والفتنة ولايطيعهما بل يصاحبهما على هذه الحال معروفا ويعرض عنهما الى متابعة سبيل رسله

وفي

وفي الاعراض عنهما وعن سبلهما والاقبال على من خالفهما وعلى سبيله من الامتحان والابتلاء مافيه ثم ذكر سبحانه حال من دخل في الايمان على ضعف عزم وقلة صبر وعدم ثبات على المحنة والابتلاء وانه اذا اوذي في الله كما جرت به سنة الله واقتضت حكمته من ابتلاء أوليائه باعدائه وتسليطهم عليهم بانواع المكاره والاذى لم يصبر على ذلك وجزع منه وفر منه ومن أسبابه كما يفر من عذاب الله فجعل فتنة الناس له على الايمان وطاعة رسله كعذاب الله لمن يعذبه على الشرك ومخالفة رسله وهذا يدل على عدم البصيرة وان الايمان لم يدخل قلبه ولاذاق حلاوته حتى سوى بين عذاب الله له على الايمان بالله ورسوله وبين عذاب الله لمن لم يؤمن به وبرسله وهذا حال من يعبد الله على حرف واحد لم ترسخ قدمه في الايمان وعبادة الله فهو من المفتونين المعذبين وان فر من عذاب الناس له على الايمان ثم ذكر حال هذا عند نصرة المؤمنين وانهم اذا نصروا لجأ اليهم وقال كنت معكم والله سبحانه يعلم من قلبه خلاف قوله ثم ذكر سبحانه ابتلاء نوح بقومه ألف سنة الا خمسين عاما وابتلاء قومه بطاعته فكذبوه فابتلاهم بالغرق ثم بعده بالحرق ثم ذكر ابتلاء ابراهيم بقومه وماردوا عليه وابتلاهم بطاعته ومتابعته ثم ذكر ابتلاء لوط بقومه وابتلاءهم به وماصار اليه أمره وأمرهم ثم ذكر ابتلاء شعيب بقومه وابتلاءهم به وما انتهت اليه حالهم وحاله ثم ذكر ماابتلى به عادا وثمودا وقارون وفرعون وهامان وجنودهم من الايمان به وعبادته وحده ثم ماابتلاهم به من أنواع العقوبات ثم ذكر ابتلاء رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بانواع الكفار من المشركين وأهل الكتاب وأمره أن يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن ثم أمر عباده المبتلين باعدائه أن يهاجروا من أرضهم الى أرضه الواسعة فيعبدونه فيها ثم نبههم بالنقلة الكبرى من دار الدنيا الى دار الآخرة على نقلتهم الصغرى من أرض الى أرض وأخبرهم أن مرجعهم اليه فلا قرار لهم في هذه الدار دون لقائه ثم بين لهم حال الصابرين على الابتلاء فيه بانه يبوؤهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فسلاهم عن أرضهم ودارهم التي تركوها لاجله وكانت مباءة لهم بان بوأهم دارا أحسن منها وأجمع لكل خير ولذة ونعيم مع خلود الابد وان ذلك بصبرهم على الابتلاء وتوكلهم على ربهم ثم أخبرهم بانه ضامن لرزقهم في غير أرضهم كما كان يرزقهم في أرضهم فلايهتموا بحمل الرزق فكم من دابة سافرت من مكان الى مكان لاتحمل رزقها ثم أخبرهم أن مدة الابتلاء والامتحان في هذه الدار قصيرة جدا بالنسبة الى دار الحيوان والبقاء ثم ذكر سبحانه عاقبة أهل الابتلاء ممن لم يؤمن به وان مقامهم في هذه الدار تمتع وسوف يعلمون عند النقلة منها مافاتهم من النعيم المقيم وما حصلوا عليه من العذاب الاليم وذكر عاقبة أهل الابتلاء ممن آمن به وأطاع رسله وجاهد نفسه وعدوه في دار الابتلاء مابه هاديه وناصره فاخبر سبحانه ان أجل عطاه وأفضله في الدنيا والآخرة هو لاهل الابتلاء الذين صبروا على ابتلائه وتوكلوا عليه وأخبر أن أعظم عذابه وأشقه هو للذين لم يصبروا على ابتلائه وفروا منه وآثروا النعيم العاجل عليه فمضمون هذه السورة هو سر الخلق والامر فانها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة ومن تأمل فاتحتها ووسطها وخاتمها وجد في ضمنها ان أول الامر ابتلاء وامتحان ووسطه صبر وتوكل وآخره هداية ونصر والله المستعان يوضحه * الوجه الخامس والثلاثون وهو أنه سبحانه أخبر أنه خالق السموات والارض العالم العلوي والسفلي

ليبلونا أينا أحسن عملا وأخبر أنه زين الارض بما عليها من حيوان ونبات ومعادن وغيرها لهذا الابتلاء وانه خلق الموت والحياة لهذا الابتلاء فكان هذا الابتلاء غاية الخلق والامر فلم يكن من بد من دار يقع فيها هذا الابتلاء وهي دار التكليف ولما سبق في حكمته أن الجنة دار نعيم لادار ابتلاء وامتحان جعل قبلها دار الابتلاء جسرا يعبر عليه اليها ومزرعة يبذر فيها وميناء يزود منها وهذا هو الحق الذي خلق الخلق به ولاجله وهو أن يعبد وحده بما أمر به على السنة رسله فامر ونهى على السنة ووعدنا بالثواب والعقاب ولم يخلق خلقه سدى لايأمرهم ولاينهاهم ولايتركهم هملا لايثيبهم ولا يعاقبهم بل خلقوا للأمر والنهي والثواب والعقاب ولايليق بحكمته وحمده غير ذلك

﴿فصل﴾ وقد عرف من هذا الجواب عن قولهم أي حكمة في خلق النفس مريدة للخير والشر وهلا خلقت مريدة للخير وحده وكيف اقتضت الحكمة تمكينها من الشر مع القدرة على منعها منه وأي حكمة في اعطائها قوة وأسبابا يعلم المعطى أنها لايفعل بها الاالشر وحده وأي حكمة في اقرار هذه النفوس على غيها وظلمها وعدوانها ومعلوم أن يفعل لحكمة لايفعل ذلك وان من يفعل لحكمة اذا رأى عبيده يقتل بعضهم بعضا ويفسد بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا وهو قادر على منعهم فلا بدعة حكمته وهما لهم بحيث يتركهم كذلك فاما أن يكون عالما بما يأتون أولا يكون قادرا على منعهم أولا يكون ممن يفعل لغرض وحكمة والاولان مستحيلان في حق الرب تعالى فتعين الثالث ومبنى هذه الشبهة على أصل فاسد وهو قياس الرب على خلقه وتشبيههم في أفعاله بحيث يحسن منه مايحسن منهم ويقبح منه مايقبح منهم ولهذا كانت القدرية مشبهة الافعال ومتأخروهم جمعوا بين هذا التشبيه وبين تعطيل الصفات فصاروا معطلين للصفات مشبهين في الافعال وهذا الاصل الفاسد مما رده عليهم سائر العقلاء وقالوا قياس أفعال الرب على أفعال العباد من أفسد القياس وكذلك قياس حكمته على حكمتهم وصفاته على صفاتهم ومن المعلوم ان الرب تعالى علم ان عباده يقع منهم الكفر والظلم والفسوق وكان قادرا على أن لايوجدهم وان يوجدهم كلهم أمة واحدة على مايحب ويرضى وان يحول بينهم وبين بغي بعضهم ولكن حكمته البالغة أبت ذلك واقتضت ايجادهم على الوجه الذي هم عليه وهو سبحانه خلق النفوس أصنافا فصنف مريد للخير وحده وهي نفوس الملائكة وصنف مريد للشر وحده وهي نفوس الشياطين وصنف فيه ارادة النوعين وهي النفوس البشرية فالاولى الخير لهم طباع وهي محمودة عليه والشر للنفوس الثانية طباع وهي مذمومة عليه والصنف الثالث بحسب الغالب عليه من الوصفين فمن غلب عليه وصف الخير التحق بالصف الاول ومن غلب عليه وصف الشر التحق بالصنف الثالث فاذا اقتضت الحكمة وجود هذا الصنف الثالث فان يقتضي وجود الثاني أولى وأحرى والرب تعالى اقتضت قدرته وعزته وحكمته ايجاد المتقابلات في الذوات والصفات والافعال كما تقدم وقد نوع خلقه تنويعا دالا على كمال قدرته وربوبيته فمن أعظم الجهل والضلال أن يقول القائل هلا كان خلقه كلهم نوعا واحدا فيكون العالم علوا كله أو نورا كله أو الحيوان ملكا كله وقد يقع في الاوهام الفاسدة ان هذا كان أولى وأكمل ويعرض الوهم الفاسد ماليس ممكنا كمالا

الوجه السادس والثلاثون قوله وأي حكمة في ايلام الحيوانات غير المكلفة فهذه مسئلة تكلم الناس

فيها

فيها قديما وحديثا وتباينت طرقهم في الجواب عنها فالجاحدون للفاعل المختار الذى يفعل بمشيئته وقدرته يحيلون ذلك على الطبيعة المجردة وان ذلك من لوازمها ومقتضياتها ليس بفعل فاعل ولا قدرة قادر ولا ارادة مريد ومنكروا الحكمة والتعليل يردون ذلك الى محض المشيئة وصرف الارادة تخصص مثلا على مثل بلا موجب ولا غاية ولا حكمة مطلوبة ولا سبب أصلا وظنوا أنهم بذلك يتخاصون من السؤال ويسدون على نفوسهم باب المطالبة وانما سدوا على نفوسهم باب معرفة الرب وكماله وكمال أسمائه وأوصافه وأفعاله فعطلوا حكمته وحقيقة إلهيته وحمده وكانوا كالمستجيرين من الرمضاء بالنار وأما من أثبت حكمة وتعليلا لا يعود الى الخالق بل الى المخلوق سلكوا طريقة التعويض على تلك الآلام في حق من يبعث للثواب والعقاب وقالوا قد يكون في ذلك إثابة لا ثابتهم بصبرهم وتألمهم وإثابة لهم وتعويضا فى القيامة بما نالهم من تلك الآلام فلما أورد عليهم ايلام الحيوانات التى لاتثاب ولا تعاقب (١) وأما المثبتون لحقائق أسماء الرب وصفاته وحكمته التى هى وصفه ولاجلها تسمى بالحكيم وعنها صدر خلقه وأمره فهم أعلم الفرق بهذا الشأن ومسلكهم فيه أصح المسالك وأسلم من التناقض والاضطراب فانهم جمعوا بين اثبات القدرة والمشيئة العامة والحكمة الشاملة التى هى غاية الفعل وربطوا ذلك بالاسماء والصفات فتصادق عندهم السمع والعقل والشرع والفطرة وعلموا ان ذلك مقتضى الحكمة البالغة وانه من لوازمها وان لازم الحق حق ولازم العدل عدل ولوازم الحكمة من الحكمة فاعلم أن ههنا أمرين نفسا متحركة بالارادة والاختيار وطبيعة متحركة بغير الاختيار والارادة وان الشر منشأه من هذين المتحركين وعن هاتين الحركتين وخلقت هذه النفس وهذه الطبيعة على هذا الوجه فهذه تحرك لكمالها وهذه تحرك لكمالها وينشأ عن الحركتين خير وشر كما ينشأ عن حركة الافلاك والشمس والقمر وحركة الرياح والماء والنار خير وشر فالخيرات الناشئة عن هذه الحركات مقصودة بالقصد الاول اما لذاتها واما لكونها وسيلة الى خيرات أتم منها والشرور الناشئة عنها غير مقصودة بالذات وان قصدت قصد الوسائل واللوازم التى لابد منها فما جبلت عليه النفس من الحركة هو من لوازم ذاتها فلا تكون النفس البشرية نفسا الا بهذا اللازم فاذا قيل لم خلقت متحركة على الدوام فهو بمنزلة أن يقال لم كانت النفس نفسا ولم كانت النار نارا والريح ريحا فلو لم يخلق هذا ما كانت نفسا ولو لم تخلق الطبيعة هكذا ما كانت طبيعة ولو لم يخلق الانسان على هذه الصفة والخلقة ما كان انسانا فان قيل فلم خلقت النفس على هذه الصفة قيل من كمال الوجود خلقها على هذه الصفة كما تقدم وكذلك كمال فاطرها ومبدعها اقتضى خلقها على هذه الصفة لما في ذلك من الحكم التى لا يحصيها الا مبدعها سبحانه وان كان في ايجاد هذه النفس شرا فهو شر جزئى بالنسبة الى الخير الكلى الذى هو سبب ايجادها فوجودها خير من أن لا توجد فلو لم يخلق مثل هذه النفس لكان في الوجود نقص وفوات حكم ومصالح عظيمة موقوفة على خلق مثل هذه النفس ولهذا لما اعترضت الملائكة على خلق الانسان وقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) أجابهم سبحانه بان في خلقه من الحكم والمصالح ما لا تعلمه الملائكة والخالق سبحانه يعلمه واذا كانت الملائكة لا تعلم ما في خلق هذا الانسان الذى يفسد في الارض ويسفك الدماء من الحكم والمصالح فغيرهم أولى أن لا يحيط به علما فخلق هذا الانسان من تمام الحكمة والرحمة والمصلحة وان كان وجوده مستلزما لشر فهو شر

(١) بياض بالاصل

مغمور بما في ايجاده من الخير كانزال المطر والثلج وهبوب الرياح وطلوع الشمس وخلق الحيوان والنبات والجبال والبحار وهكذا كما أنه في خلقه فهو في شرعه ودينه وأمره فان ماأمر به من الاعمال الصالحة خيره ومصلحته راجح وان كان فيه شر فهو مغمور جدا بالنسبة الى خيره ومانهى عنه من الاعمال والاقوال القبيحة فشره ومفسدته راجح والخير الذي فيه مغمور جدا بالنسبة الى شره فسنته سبحانه في خلقه وأمره فعل الخير الخالص والراجح والأمر بالخير الخالص والراجح فاذا تناقضت أسباب الخير والشر والجمع بين النقيضين محال قدم أسباب الخير الراجحة على المرجوحة ولم يكن تفويت المرجوحة شرا ودفع أسباب الشر الراجحة بالاسباب المرجوحة ولم يكن حصول المرجوحة شرا بالنسبة الى ماالندفع بها من الشر الراجح وكذلك سنته في شرعه وأمره فهو يقدم الخير الراجح وان كان في ضمنه شر مرجوح ويعطل الشر الراجح وان فات بتعطيله خير مرجوح هذه سنته فيما يحدثه ويبدعه في سمواته وأرضه وما يأمر به وينهى عنه وكذلك سنته في الآخرة وهو سبحانه قد أحسن كل شيء خلقه وقد أتقن كل ماصنع وهذا أمر يعلمه العالمون بالله جملة ويتفاوتون في العلم بتفاصيله واذا عرف ذلك فالآلام والمشاق اما احسان ورحمة واما عدل وحكمة واما اصلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها واما لدفع ألم هو أصعب منها واما لتولدها عن لذات ونعم يولدها عنها أمر لازم لتلك اللذات واما أن يكون من لوازم العدل أو لوازم الفضل والاحسان فيكون من لوازم الخير التي ان عطلت ملزوماتها فات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام والشرع والقدر أعدلا شاهد بذلك فكم في طلوع الشمس من ألم لمسافر وحاضر وكم في نزول الغيث والثلوج من أذى كما سماه الله بقوله وان كان بكم أذى من مطر وكم في هذا الحر والبرد والرياح من اذى موجب لانواع من الآلام لصنوف الحيوانات وأعظم لذات الدنيا لذة الاكل والشرب والنكاح واللباس والرياسة ومعظم آلام أهل الارض أوكلها ناشئة عنها ومتولدة منها بل الكمالات الانسانية لاتنال الا بالآلام والمشاق كالعلم والشجاعة والزهد والعفة والحلم والمرؤة والصبر والاحسان كما قال

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

واذا كانت الآلام أسبابا للذات أعظم منها وأدوم كان العقل يقضي باحتمالها وكثيرا ماتكون الآلام أسبابا لصحة لولا تلك الآلام لفاتت وهذا شأن أكثر أمراض الابدان فهذه الحمى فيها من المنافع للابدان مالايعلمه الاالله وفيها من اذابة الفضلات وانضاج المواد الفجة واخراجها مالايصل اليه دواء غيرها وكثير من الامراض اذا عرض لصاحبها الحمى استبشر بها الطبيب واما انتفاع القلب والروح بالآلام والامراض فأمر لايحس به الامن فيه حياة فصحة القلوب والارواح موقوفة على آلام الابدان ومشاقها وقد أحصيت فوائد الامراض فزادت على مائة فائدة وقد حجب الله سبحانه أعظم اللذات بانواع المكاره وجعلها جسرا موصلا اليها كما حجب أعظم الآلام بالشهوات واللذات وجعلها جسرا موصلا اليها ولهذا قالت العقلاء قاطبة على أن النعيم لايدرك بالنعيم وان الراحة لاتنال بالراحة وان من آثر اللذات فاتته اللذات فهذه الآلام والامراض والمشاق من أعظم النعم اذهي أسباب النعم وما تنال الحيوانات غير المكلفة منها فمغمور جدا بالنسبة الى مصالحها ومنافعها كما ينالها من حر

الصيف وبرد الشتاء وحبس المطر والثلج وألم الحمل والولادة والسعي في طلب أقواتها وغير ذلك ولكن لذاتها أضعاف أضعاف آلامها وما ينالها من المنافع والخيرات أضعاف أضعاف ما ينالها من الشرور والآلام فسنة الله في خلقه وأمره هي التي أوجبها كمال علمه وحكمته وعزته ولو اجتمعت عقول العقلاء كلهم على أن يقترحوا أحسن منها لعجزوا عن ذلك وقيل لكل منهم أرجع بصر العقل فهل ترى من خلل (ثم أرجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) فتبارك الذى من كمال حكمته وقدرته ان أخرج الاضداد من أضدادها والاشياء من خلافها فاخرج الحى من الميت والميت من الحى والرطب من اليابس واليابس من الرطب فكذلك أنشأ اللذات من الآلام والآلام من اللذات فاعظم اللذات ثمرات الآلام ونتائجها وأعظم الآلام ثمرات اللذات ونتائجها وبعد فاللذة والسرور والخير والنعم والعافية والمصلحة والرحمة في هذه الدار المملوءة بالمحن والبلاء أكثر من أضدادها باضعاف مضاعفة فاين آلام الحيوان من لذته وأين سقمه من صحته وأين جوعه وعطشه من شبعه وريه وتعبه من راحته قال تعالى (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) ولن يغلب عسر يسرين وهذا لأن الرحمة غلبت الغضب والعفو سبق العقوبة والنعمة تقدمت المحنة والخير في الصفات والافعال والشر في المفعولات لا في الافعال فاوصافه كلها كمال وأفعاله كلها خيرات فان ألم الحيوان لم يعدم بألمه عافية من ألم هو أشد من ذلك الألم أوتهيئة لقوة وصحة وكمال أوعوضا لانسبة لذلك الألم اليه بوجه ما فآلام الدنيا جميعها نسبتها الى لذات الآخرة وخيراتها أقل من نسبة ذرة الى جبال الدنيا بكثير وكذلك لذات الدنيا جميعها بالنسبة الى آلام الآخرة والله سبحانه لم يخلق الآلام واللذات سدى ولم يقدرهما عبثا ومن كمال قدرته وحكمته ان جعل كل واحد منهما يثمر الاخرى هذا ولوازم الخلقة يستحيل ارتفاعها كما يستحيل ارتفاع الفقر والحاجة والنقص عن المخلوق فلا يكون المخلوق الافقيرا محتاجا ناقص العلم والقدرة فلوكان الانسان وغيره من الحيوان لا يجوع ولا يعطش ولا يتألم في عالم الكون والفساد لم يكن حيوانا ولكانت هذه الدار دار بقاء ولذة مطلقة كاملة والله لم يجعلها كذلك وانما جعلها دارا ممتزجا ألمها بلذتها وسرورها باحزانها وغمومها وصحتها بسقمها حكمة منه بالغة

﴿ فصل ﴾ ولما كانت الآلام أدوية للارواح والابدان كانت كمالا للحيوان خصوصا لنوع الانسان فان فاطره وبارئه انما أمرضه ليشفيه وانما ابتلاه ليعافيه وانما أماته ليحييه فهو سبحانه يسوق الحيوان والانسان في مراتب كماله طورا بعد طور الى آخر كماله باسباب لابد منها وكماله موقوف على تلك الاسباب ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع كوجود المخلوق بدون الحاجة والفقر والنقص ولوازم ذلك ولوازم تلك اللوازم ولكن أكثر النفوس جاهلة بالله وحكمته وعلمه وكماله فيفرض أمورا ممتنعة ويقدرها تقديرا ذهنيا ويحسب أنها أكمل من الممكن الواقع ومع هذا فربها يرحمها لجهلها وعجزها ونقصها فان اعترفت بذلك واعترفت له بكماله وحمده وقامت بمقتضى هذين الاعترافين كان نصيبها من الرحمة أوفر والله سبحانه افتتح الخلق بالحمد وختم أمر هذا العالم بالحمد فقال (الحمد لله الذى خلق السموات والارض) وقال (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) وأنزل كتابه بالحمد وشرع دينه بالحمد واوجب ثوابه وعقابه بالحمد فحمده من لوازم ذاته اذ يستحيل أن يكون الا محمودا فالحمد سبب الخلق وغايته الحمد أوجبه وللحمد وجد فحمده واسع

لما وسعه علمه ورحمته وقد وسع ربنا كل شئ رحمة وعلما فلم يوجد شيأ ولم يقدره ولم يشرعه الا بحمده ولحمده وكل ماخلقه وشرعه فهو متضمن للغايات الحميدة ولابد من لوازمها ولوازم لوازمها ولهذا ملأ حمده سمواته وأرضه وما بينهما وما شاء من شئ بعد مما خلقه ويخلقه بعد هذا الخلق فحمده ملأ ذلك كله وحمده تعالى أنواع حمد على ربوبيته وحمد على تفرده بها وحمد على الوهيته وتفرده وحمد على نعمته وحمد على منته وحمد على حكمته وحمد على عدله في خلقه وحمد على غناه عن ايجاد الولد والشريك والولى من الذل وحمده على كماله الذى لايليق بغيره فهو محمود على كل حال وفي كل آن ونفس وعلى كل مافعل وكل ماشرع وعلى كل ماهو متصف به وعلى كل ماهو منزه عنه وعلى كل مافي الوجود من خير وشر ولذة وألم وعافية وبلاء فكما أن الملك كله له والقدرة كلها له والعزة كلها له والعلم كله له والجمال كله له والحمد كله له كما في الدعاء المأثور اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الأمر كله وأنت أهل لئن تحمد وما عمرت الدنيا الا بحمده ولا الجنة الا بحمده ولا النار الا بحمده حتى ان أهلها ليحمدونه كما قال الحسن لقد دخل أهل النار النار وان قلوبهم لتحمده ما وجدوا عليه من حجة ولا سبيل

﴿فصل﴾ فان قيل فأى لذة وأى خير ينشأ من العذاب الشديد الدائم الذى لاينقطع ولايفتر عن أهله بل أهله فيه أبد الآباد كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم طرفة عين قيل لعمر الله هذا سؤال يقلقل الجبال فضلا عن قلوب الرجال وعن هذا السؤال أنكر من أنكر حكمة العزيز الحكيم ورد الأمر الى مشيئة محضة لاسبب لها ولاغاية وجوز على الله أن يعذب أهل طاعته وأوليائه وينزلهم الى أسفل الجحيم وينعم أعداه المشركين به ويرفعهم الى أعلى جنات النعيم أبد الآباد وأن يدخل النار من شاء بغير سبب ولا عمل أصلا وان يفاوت بين أهلها مع مساويهم في الاعمال ويسوى بينهم في العذاب مع تفاوتهم في الاعمال وان يعذب الرجل بذنب غيره وان يبطل حسناته كلها فلا يثيبه بها أو يثيب بها غيره وكل ذلك جائز عليه لايعلم أنه لايفعله الا بخبر صادق اذنسبة ذلك وضده اليه على حد سواء وقالوا ولا مخلص عن هذا السؤال الا بهذا الأصل وربما تمسكوا بظاهر من القول لم يضعوه على مواضعه ولم يجمعوا بينه وبين أدلة العدل والحكمة وتعليق الامور باسبابها وترتيها عليها وآثار الموازنة والمقابلة وأخطأوا في فهم القرآن كما أخطأوا في وصف الرب بما لايليق به وفي التجويز عليه مالايجوز عليه وقابلهم مثبتوا الاسباب والحكم من القدرية وزعموا أنهم يخلصون من قبيح القول بما أثبتوه من الحكمة والتعليل ولكن وقعوا في نظيره أوما هو شر منه حيث أوجبوا على الله سبحانه تخليد من أفنى عمره في طاعته ثم ارتكب كبيرة واحدة ومات مصرا عليها في النار مع أعدائه الكفار أبد الآباد ولم يرقبوا له طاعة ولم يرعوا له اسلاما وهم في هذا المذهب شر قولا من اخوانهم الجبرية فان أولئك لم يوجبوا على الله ذلك الحكم وانما جوزوه عليه وجوزوا أن لايفعله وهؤلاء أوجبوا عليه تخليد أهل الكبائر مع الكفار ولم يجوزوا عليه إخراجهم منها وأصابهم في غلطهم على القرآن والسنة ومايجوز على الرب وما لايجوز عليه ماأصاب اخوانهم من الجبرية ولما ظن غيرهم من أهل النظر والبحث ان هذا هو الفساد الذى أخبرت به الرسل وعلموا أن هذا مناف للحكمة والرحمة والعدل والمصلحة قالوا ان ذلك

تخويف وتخييل لاحقيقة له يزع النفوس السبعية والبهيمية عن عدوانها وشهواتها فتقوم بذلك مصلحة الوجود وكان من أكبر أسباب الحاد هؤلاء وكفرهم بالله واليوم الآخر نسبة أولئك مذاهبهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة الى الرسل واخبارهم أنهم دعوا الى الايمان بها كما أصابهم تعميم في باب مسئلة حدوث العالم حيث أخبروهم ان الرسل أخبرت عن الله انه لم يزل معطلا عن الفعل والفعل غير ممكن منه ثم انقلب من الاحالة الذاتية الى الامكان الذاتي عند ابتدائه بلا تجدد سبب ولا أمر قام بالفاعل وقالوا من لم يعتقد هذا فليس بمؤمن ولا مصدق للرسل هذا في المبدأ وذلك في المعاد ثم جاءت طائفة أخرى فطووا بساط الخلق والأمر جملة وقالوا كل هذا محال وتلبيس وماثم وجودان بل الوجود كله واحد ليس هناك خالق ومخلوق ورب ومربوب وطاعة ومعصية وما الامر الانسق واحد والتفريق من أحكام الوهم والخيال فالسموات والارض والدنيا والآخرة والازل والابد والحسن والقبيح كله شئ واحد وهو من عين واحدة ثم استدركوا فقالوا لا بل هو العين ونشأ الناس الامن شاء الله بين هؤلاء الطوائف الاربع لايعرفون سوى أقوالهم ومذاهبهم فعظمت البلية واشتدت المصيبة وصار أذكياء الناس زنادقة العالم وأدناهم الى الخلاص أهل البلادة والبله والعقل والسمع عن هذه الفرق بمعزل ومنازلهم منهما أبعد منزل فنقول وبالله التوفيق والله المستعان وعليه التكلان* دل القرآن والسنة والفطرة وأدلة العقول أنه سبحانه خلق السموات والارض وما بينهما بالحق ولم يخلق شيأ عبثا ولا سدى ولا باطلا وانما أوجد العالم العلوي والسفلي ومن فيهما بالحق الذي هو وصفه واسمه وقوله وفعله وهو سبحانه الحق المبين فلا يصدر عنه الاحق لايقول الاحقا ولا يفعل الاحقا ولا يأمر الابالحق ولا يجازى الابحق فالباطل لايضاف اليه بل الباطل مالم يضف اليه كالحكم الباطل والدين الباطل الذي لم يأذن فيه ولم يشرعه على السنة رسله والمعبود الباطل الذي لايستحق العبادة وليس أهلا لها فعبادته باطلة ودعوته باطلة والقول الباطل هو الكذب والزور والمحال من القول الذي لايتعلق بحق موجود بل متعلقه باطل لاحقيقة له وهو سبحانه انما خلق الخلق لعبادته ومعرفته وأصل عبادته محبته على آلائه ونعمه وعلى كماله وجلاله وذلك أمر فطري ابتدأ الله عليه خلقه وهي فطرته التي فطر الناس عليها كما فطرهم على الاقرار به كما قالت الرسل لامهم (أفي الله شك فاطر السموات والارض) فالخلق مفطورون على معرفته وتوحيده فلو خلوا وهذه الفطرة لنشأوا على معرفته وعبادته وحده وهذه الفطرة أمر خلقي خلقوا عليه ولا تبديل لخلقه فمضى الناس على هذه الفطرة قرونا عديدة ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاستقامة بمنزلة مايعرض للبدن الصحيح والطبيعة الصحيحة مما يوجب خروجهما عن الصحة الى الانحراف فارسل رسله ترد الناس الى فطرتهم الاولى التي فطروا عليها فانقسم الناس معهم ثلاثة أقسام* منهم من استجاب لهم كل الاستجابة وانقاد اليهم كل الانقياد فرجعت فطرته الى ما كانت عليه مع ماحصل لها من الكمال والتمام في قوتي العلم النافع والعمل الصالح فازدادت فطرتهم كمالا الى كمالها فهؤلاء لايحتاجون في المعاد الى تهذيب وتأديب ونار تذيب فضلاتهم الخبيثة وتطهرهم من الادران والاوساخ فان انقيادهم للرسل ازال عنهم ذلك كله* وقسم استجابوا لهم من وجه دون وجه فبقيت عليهم بقية من الادران والاوساخ التي تنافي الحق الذي خلقوا له فهيأ لهم العليم الحكيم من الادوية الابتلاء والامتحان بحسب تلك الادواء

التي قامت بهم فان وفت بالخلاص منها في هذه الدار والافني البرزخ فان وفي بالخلاص والافني موقف القيامة وأهوالها مايخلصهم من تلك البقية فان وفي بها والافلابد من المداواة بالدواء الاعظم وآخر الطب الكي فيدخلون كير التمحيص والتخليص حتى اذا هذبوا ولم يبق للدواء فائدة أخرجوا من مارستان المرضى الى دار أهل العافية كما دل على ذلك السنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وصرح به في قوله حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وكذلك قوله تعالى (طبتم فادخلوها خالدين) فلم يأذن لهم في دخولها الا بعد طيبهم فانها دار الطيبين فليس فيها شئ من الخبث أصلا ولهذا يلبث هؤلاء في النار على قدر حاجتهم الى التطهر وزوال الخبث * القسم الثالث قوم لم يستجيبوا للرسل ولا انقادوا لهم بل استمروا على الخروج عن الفطرة ولم يرجعوا اليها واستحكم فسادها فيهم أتم استحكام لا يرجى لهم صلاح فهؤلاء لايفي مجيء الدنيا ومصائب الموت ومابعده وأهوال القيامة بزوال أوساخهم وأدرانهم ولايليق بحكمة العليم الحكيم أن يجاوربهم الطيبين في دارهم ولم يخلقوا للفناء فهؤلاء أهل دار الابتلاء والامتحان باقون فيها ببقاء مامعهم من درن الكفر والشرك والنار انما أوقدت عليهم باعمالهم الخبيثة فعذابهم بنفس أعمالهم السيء لهم منها صور من العذاب يناسبها ويشاكلها فالعذاب باق عليهم ما بقيت حقائق تلك الاعمال وما تولد منها فما دامت موجبات العذاب باقية فالعذاب باق * يبقى أن يقال فهل ذهب أثر الفطرة الاولى بالكلية بحيث صارت كان لم تكن وبطلت بالكلية وانتقل الامر الى العارض المفسد لها وعلى هذا فلاسبيل الى خلاصهم من العذاب إذهو أثر ذلك الفساد الذى أزال الفطرة أويقال الفطرة لم تذهب بالكلية وانما استحكم مرضها وفسادها وأصلها باق كما يستحكم مرض البدن وفساده والحياة قائمة به لكنها حياة لاتنفع فاذا قدر دواء كريه صعب التناول لاسبيل الى الصحة الا بتكرير تناوله مرارا كثيرة العدد جدا يزيل ذلك المرض العارض فيظهر أثر الفطرة الاولى فلايحتاج بعده الى الدواء هذا سر المسئلة ومن يذهب الى هذا التقدير الثاني فانه يقول العقل لايدل على امتناع ذلك اذ ليس فيه مايحيله ونقول بل قد دل العقل والنقل والفطرة على أن الرب تعالى حكيم رحيم والحكمة والرحمة تأبى بقاء هذه النفوس في العذاب سرمدا أبد الآباد بحيث يدوم عذابها بدوام الله فهذا ليس من الحكمة والرحمة قالوا وقد دلت الدلائل الكثيرة من النصوص والاعتبار على أن ماشرعه الله في هذه الدار وقدره من العذاب والعقوبات فانما هو لتهذيب النفوس وتصفيتها من الشر الذى فيها ولحصول مصلحة الزجر والاتعاظ وقطعا للنفوس عن المعاودة وغير ذلك من الحكم التى اذا حصلت خلا التعذيب عن الحكمة والمصلحة فيبطل فانه تعذيب عليم حكيم رحيم لايعذب سدى ولاالنفع يعود اليه بالتعذيب بل كلا الامرين محال واذا لايقع التعذيب الالمصلحة المعذب أومصلحة غيره ومعلوم أنه لامصلحة له ولالغيره في بقائه في العذاب سرمدا أبد الآباد قالوا فمما دل عليه القرآن والسنة ان جنس الآلام لمصلحة بنى آدم قوله تعالى (ذلك بأنهم لا يصيبهم نصب ولامخمصة في سبيل الله ولايطئون موطئا يغيظ الكفار ولاينالون من عدو نيلا الاكتب لهم به عمل صالح) وقوله (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فاخبر ان ألم القتل والجراح في سبيله تمحيص أى تطهير وتصفية للمؤمنين وبشر الصابرين على ألم الجوع والخوف والفقر وفقد الاحباب وغيرهم بصلاته عليهم ورحمته وهدايته وقال تعالى (من يعمل سوأ يجزبه)

قال

قال أبو بكر الصديق يارسول الله جاءت قاصمة الظهر وانا لم نعمل سوأ فقال ياأبابكر ألست تنصب ألست تحزن أليس يصيبك الاذى قال بلى قال فذلك مما تجزون به وقال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وفي هذا تبشير وتحذير اذ أعلمنا ان مصائب الدنيا عقوبات لذنوبنا وهو أرحم ان يثنى العقوبة على عبده بذنب قد عاقبه به في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم من بلى بشئ من هذه القاذورات فستره الله فامره الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له ومن عوقب به في الدنيا فالله أكرم من أن يثنى العقوبة على عبده وفي الحديث الحدود كفارات لاهلها وفي الصحيحين من حديث عبادة ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مايصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولاهم ولاحزن ولاأذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وقال لايزال البلاء بالمؤمن في أهله وماله وولده حتى يلقى الله وماعليه من خطيئة وفي حديث آخر ان المؤمن اذا مرض خرج مثل البردة في صفائها ولونها وفي الحديث الآخر ان الحمى تنفى الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد وفي حديث آخر لاتسبي الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم ومن أسماء الحمى مكفرة الذنوب وفي الحديث الصحيح يقول الله عز وجل يوم القيامة عبدى مرضت فلم تعدنى قال كيف أعودك وأنت رب العالمين قال مرض عبدى فلان فلم تعده اما لوعدته لوجدتنى عنده وهذا أبلغ من قوله في الاطعام والاسقاء لوجدت ذلك عندى فهو سبحانه عند المبتلى بالمرض رحمة منه له وخيرا وقربا منه لكسر قلبه بالمرض فانه عند المنكسرة قلوبهم وهذا أكبر من أن يذكر ورب الدنيا والآخرة واحد وحكمته ورحمته موجودة في الدنيا والآخرة بل ظهور رحمته في الآخرة أعظم فعذاب المؤمنين بالنار في الآخرة هو من هذا الباب كعذابهم في الدنيا بالمصائب والحدود وكذلك حبسهم بين الجنة والنار حتى يهذبوا وينقوا وقد علم بالنصوص الصحيحة الصريحة ان عذابهم في النار متفاوت قدرا ووقتا بحسب ذنوبهم وانهم لايخرجون منها جملة واحدة بل شيأ بعد شئ حتى يبقى رجل هو آخرهم خروجا وكذلك عذاب الكفار فيها متفاوت تفاوتا عظيما فالمنافقون في دركها الاسفل وأبو طالب أخف أهلها عذابا في ضحضاح من نار يغلى منه دماغه وآل فرعون في أشد العذاب قالوا فاذا كان العذاب في الدار التى فيها رحمة واحدة من مائة رحمة هو رحمة باهله ومصلحة لهم ولطف بهم فكيف في الدار التى يظهر فيها مائة رحمة كل رحمة منها طباق مابين السماء والارض وقد قال تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون) فاخبر أنه يعذبهم رحمة بهم ليردهم العذاب اليه كما يعذب الاب الشفيق ولده اذا فر منه الى عدوه ليرجع الى بره وكرامته وقال الله تعالى (مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) وأنت تجد تحت هذه الكلمات أن تعذيبه لكم لايزيد في ملكه ولاينتفع به ولاهو سدى خال من حكمة ومصلحة وانكم اذا بدلتم الشكر والايمان بالكفر كان عذابكم منكم وكان كفركم هو الذى عذبتم به والافأى شئ يلحقه من عذابكم وأى نفع يصل اليه منه قالوا وحينئذ فالحكمة تقتضى أن النفوس الشريرة لابد لها من عذاب يهذبها بحسب وقوعها كما دل على ذلك السمع والعقل وذلك يوجب الانتهاء لا الدوام قالوا والله تعالى لم يخلق الانسان عبثا وانما خلقه ليرحمه لاليعذبه وانما اكتسب موجب العذاب بعد خلقه له فرحمته له سبقت غضبه وموجب الرحمة فيه سابق على موجب الغضب وغالب له وتعذيبه ليس

هو الغاية لخلقه وانما تعذيبه لحكمة ورحمة والحكمة والرحمة تأبى أن يتصل عذابه سرمدا الى غير نهاية أما الرحمة فظاهر وأما الحكمة فلأنه انما عذب على أمر طرأ على الفطرة وغيرها ولم يخلق عليه من أصل الخلقة ولا خلق له فهو لم يخلق الاشراك ولا للعذاب وانما خلق للعبادة والرحمة ولكن طرأ عليه موجب العذاب فاستحق عليه العذاب وذلك الموجب لا دوام له فانه باطل بخلاف الحق الذي هو موجب الرحمة فانه دائم بدوام الحق سبحانه وهو الغاية وليس موجب العذاب غاية كما أن العذاب ليس بغاية بخلاف الرحمة فانها غاية وموجبها غاية فتأمله حق التأمل فانه سر المسئلة *قالوا والرب تعالى تسمى بالغفور الرحيم ولم يتسمى بالمعذب ولا بالمعاقب بل جعل العذاب والعقاب في أفعاله كما قال تعالى (نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) وقال تعالى (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود) وقال (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وهذا كثير في القرآن فانه سبحانه يتمدح بالعفو والمغفرة والرحمة والكرم والحلم ويتسمى ولم يتمدح بانه المعاقب ولا الغضبان ولا المعذب ولا المسقم الا في الحديث الذي فيه تعديد الاسماء الحسنى ولم يثبت وقد كتب على نفسه كتابا ان رحمته سبقت غضبه وكذلك هو في أهل النار فان رحمته فيهم سبقت غضبه فانه رحمهم أنواعا من الرحمة قبل ان أغضبوه بشركهم ورحمهم في حال شركهم ورحمهم باقامة الحجة عليهم ورحمهم بدعوتهم اليه بعد أن أغضبوه وآذوا رسله وكذبوهم وأمهلهم ولم يعاجلهم بل وسعتهم رحمته فرحمته غلبت غضبه ولولا ذلك لخرب العالم وسقطت السموات على الارض وخرت الجبال واذا كانت الرحمة غالبة للغضب سابقة عليه امتنع أن يكون موجب الغضب دائما بدوامه غالبا لرحمته قالوا والتعذيب اما أن يكون عبثا أو لمصلحة وحكمة وكونه عبثا مما ينزه أحكم الحاكمين عنه ونسبته اليه نسبة لما هو من أعظم النقائص اليه وان كان لمصلحة فالمصلحة هى المنفعة ولوازمها وملزوماتها وهى اما أن تعود على الرب تعالى وهو يتعالى عن ذلك ويتقدس عنه واما أن تعود الى المخلوق اما نفس المعذب واما غيره أوهما والاول ممتنع ولا مصلحة له في دوام العقوبة بلا نهاية واما مصلحة غيره فان كانت هى الاتعاظ والانزجار فقد حصلت وان كانت تكميل لذته وبهجته وسروره بان يرى عدوه في تلك الحال وهو في غاية النعيم فهذا لو كان أقسى الخلق لرق لعدوه من طول عذابه ودوام مايقاسيه فلم يبق الا كسر تلك النفوس الجبارة العتيدة ومداواتها كما تصل الى مادة أدوائها وأمراضها فتحسمها وتلك المادة شر طارئ على خير خلقت عليه في ابتداء فطرتها قالوا والاقسام الممكنة في الخلق خمسة لامزيد عليها خير محض ومقابله وخير راجح ومقابله وخير وشر متساويان والحكمة تقتضى ايجاد قسمين منها وهما الخير الخالص والراجح وأما الشر الخالص أو الراجح فان الحكمة لا تقتضى وجوده بل تأبى ذلك فان كل ماخلقه الله سبحانه فانما خلقه لحكمة وجودها أولى من عدمها وخلق الدواب الشريرة والافعال التى هى شر لما يترتب على خلقها من الخير المحبوب فلم يخلق لمجرد الشر الذى لا يستلزم خيرا بوجه ما هذا غاية المحال فالخير هو المقصود بالذات بالقصد الاول والشر انما قصد قصد الوسائل والمبادى لا قصد الغايات والنهايات وحينئذ فاذا حصلت الغاية المقصودة بخلقه بطل وزال كما تبطل الوسائل عند الانتهاء الى غاياتها كما هو معلوم بالحس والعقل وعلى هذا فالعذاب شر وله غاية تطلب به

وهو وسيلة اليها فاذا حصلت غايته كان بمنزلة الطريق الموصلة الى القصد فاذا وصل بها السائر الى مقصده لم يبق لسلوكها فائدة وسر المسألة أن الرحمة غاية الخلق والامر لا العذاب فالعذاب من مخلوقاته وذلك مقتضى أنه خلقه لغاية محمودة ولابد من ظهور أسمائه وأثر صفاته عموما واطلاقا فان هذا هو الكمال والرب جل جلاله موصوف بالكمال منزه عن النقص قالوا وقد قال تعالى (وأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين مادامت السموات والارض الاماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد) وقال (النار مثواكم خالدين فيها الاماشاء الله) قال أبوسعيد الخدرى هذه تقضى على كل آية في القرآن ذكره البيهقي وحرب وغيرهما وقال عبد الله بن مسعود ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد مايلبثون فيها أحقابا وعن عمر بن الخطاب وأبى هريرة مثله ذكره جماعة من المصنفين في السنة وهذا يقتضى أن الدار التى لايبقى فيها أحد هى التى يلبث فيها أهلها أحقابا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أخبرنا الله بالذى يشاء لاهل الجنة فقال تعالى (عطاء غير مجذوذ) ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار قالوا ويكفينا مافي سورة الانعام من قوله (ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الاماشاء الله إن ربك حكيم عليم) الى قوله (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) وهذا خطاب للكفار من الجن والانس من وجوه * أحدها استكثارهم منهم أى من إغوائهم وإضلالهم وانما استكثروا من الكفار * الثانى قوله (وقال أولياؤهم من الانس) وأولياؤهم هم الكفار كما قال تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون) فحزب الشيطان هم أولياؤه والثالث قوله (وشهدوا على أنفسهم انهم كانو كافرين) ومع هذا فقال (النار مثواكم خالدين فيها الاماشاء الله) ثم ختم الآية بقوله (إن ربك حكيم عليم) فتعذيبهم متعلق بعلمه وحكمته وكذلك الاستثناء صادر عن علم وحكمة فهو عليم بما يفعل بهم حكيم في ذلك قالوا وقد ورد في القرآن أنه سبحانه اذا ذكر جزاء أهل رحمته وأهل غضبه معا أبد جزاء أهل الرحمة وأطلق جزاء أهل الغضب كقوله (فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غير مجذود) وقوله (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) وقوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) وقد يقرن بينهما في الذكر ويقضى لهم بالخلود كقوله (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وقوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) ولكن مجرد ذكر الخلود والتأبيد لايقتضى عدم النهاية بل الخلود هو المكث الطويل كقولهم قيد مخلد وتأبيد كل شئ بحسبه فقد يكون التأبيد لمدة الحياة وقد يكون لمدة الدنيا قال تعالى عن اليهود (ولن يتمنوه

أبدا بما قدمت أيديهم) ومعلوم أنهم يتمنونه في النار حيث يقولون يامالك ليقض علينا ربك وانما استفيد عدم انتهاء نعيم الجنة بقوله (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) وقوله (عطاء غير مجذود) وقوله (لهم أجر غير ممنون) أي مقطوع ومن قال لايؤمن به عليهم فقد أخطأ أقبح الخطأ ولم يجئ مثل ذلك في عذاب أهل النار وقوله عز وجل (وماهم بخارجين من النار *وماهم منها بمخرجين) وقوله (لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها) وقوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) في موضعين من القرآن وقوله (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) غير مصروف عن ظاهره وحقيقته على الصحيح وقد زعمت طائفة ان اطلاق هذه الآيات مقيد بآيات التقييد بالاستثناء بالمشيئة فيكون من باب تخصيص العموم وهذا كأنه قول من قال من السلف في آية الاستثناء انها تقضى على كل وعيد في القرآن والصحيح ان هذه الآيات على عمومها واطلاقها ولكن ليس فيها مايدل على ان نفس النار دائمة بدوام الله لاانتهاء لها هذا ليس في القرآن ولافي السنة مايدل عليه بوجه ما وفرق بين أن يكون عذاب أهلها دائما بدوامها وبين أن يكون هي أبدية لاانقطاع لها فلاتستحيل ولاتضمحل فهذا شيء وهذا شيء لايقال فلافرق على هذا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة اذ كان كل منهما يضمحل وينقطع *قيل ماأظهر الفروق بينهما والأمر أبين من أن يحتاج الى فرق وأيضا فعذاب الدنيا ينقطع بموت المعذب واقلاع العذاب عنه وأما عذاب الآخرة فلا يموت من استحق الخلود فيه ولا يقلع العذاب عنه ولا يدفعه عنه أحد كما قال تعالى (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) وهو لازم لايفارق قال تعالى (ان عذابها كان غراما) أى لازما ومنه سمي الغريم غريما لملازمة غريمه

﴿ فصل ﴾ وأما الآثار في هذه المسئلة فقال الطبراني حدثنا عبد الرحمن بن سلم حدثنا سهل بن عثمان حدثنا عبد الله بن مسعر بن كدام عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليأتين على جهنم يوم كأنها ورق هاج واحمر تخفق أبوابها وقال حرب في مسائله سألت اسحاق قلت قول الله عزوجل (خلدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك قال أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية تأتى على القرآن كله الا ماشاء ربك انه فعال لما يريد قال المعتمر قال أى كل وعيد في القرآن ثم تأول حرب ذلك فقال معناه عندى والله أعلم أنها تأتى على كل وعيد في القرآن لاهل التوحيد وكذلك قوله الا ماشاء ربك استثنى من أهل القبلة الذين يخرجون من النار وهذا التأويل لايصح لأن الاستثناء انما هو في وعيد الكفار فانه سبحانه قال يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار الآية ثم قال وأما الذين سعدوا ففى الجنة فاهل التوحيد من الذين سعدوا شقوا وآية الانعام صريحة في حق الكفار كما تقدم بيانه قال حرب وحدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى ثنا شعبة عن أبى مليح سمع عمر بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال ليأتين على جهنم يوم تصطفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد مايلبثون فيها أحقابا حدثنا عبيد الله ثنا أبى ثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال أما الذى أقول أنه سيأتى على جهنم يوم لايبقى فيها أحد وقرأ فاما الذين شقوا ففى النار الآية قال عبيد الله كان أصحابنا يقولون يعنى بها

الموحدين وقد تقدم ان هذا التأويل لا يصح وقال عبد بن حميد في تفسيره أخبرنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر لو لبث أهل النار في النار بقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه وقال أخبرنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه ورواة هذا الاثر أئمة ثقات كلهم والحسن سمعه من بعض التابعين ورواه غير منكر له فدل هذا الحديث انه كان متداولا بين هؤلاء الائمة لاينكرونه وقد كانوا ينكرون على من خرج عن السنة أدنى شئ ويروون الاحاديث المبطلة لفعله وكان الامام أحمد يقول احاديث حماد بن سلمة هى الشجا في حلوق المبتدعة فلو كان هذا القول عندهم من البدع المخالفة للسنة والاجماع لسارعوا الى رده وانكاره وفي تفسير على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (قال النار مثواكم خالدين فيها الاماشاء الله ان ربك حكيم عليم) قال لاينبغى لاحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارا قال الطبرى وروى عن ابن عباس أنه كان يتأول في هذا الاستثناء ان الله جعل أمر هؤلاء في مبلغ عذابه اياهم الى مشيئته وهذا التفسير من ابن عباس يبطل قول من تأول الآية على أن معناها سوى ماشاء الله من أنواع العذاب أو قال المعنى الا مدة مقامهم قبل الدخول من حين بعثوا الى أن دخلوا أو أنها في أهل القبلة ومايعنى من أو أنها يعنى الواو أى وما شاء الله وهذه كلها تأويلات باردة ركيكة لاتليق بالآية ومن تأملها جزم ببطلانها وقال السدى في قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) قال سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم كالف سنة مما تعدون وتقييد لبثهم فيها بالاحقاب يدل على مدة مقدرة يحصرها العدد هذا قول الاكثرين ولهذا تأول الزجاج الآية على أن الاحقاب تقييد لقوله لايذوقون فيها بردا ولا شرابا وأما مدة مكثهم فيها فلا تتقدر بالاحقاب وهذا تأويل فاسد فانه يقتضى أن يكونوا بعد الاحقاب ذائقين للبرد والشراب وقالت طائفة أخرى الآية منسوخة بقوله (وماهم منها بمخرجين) وقوله (هم فيها خالدون) وهذا فاسد أيضا إن أرادوا بالنسخ الرفع فانه لايدخل في الخبر الا اذا كان بمعنى الطلب وان أرادوا بالنسخ البيان فهو صحيح وهو انما يدل على أن عذابهم دائم مستمر مادامت باقية فهم فيها خالدون وماهم بمخرجين وهذا حق معلوم دلالة القرآن والسنة عليه لكن الشأن في أمر آخر وهو أن النار أبدية دائمة بدوام الرب فأين الدليل على هذا من القرآن أو السنة بوجه من الوجوه وقالت طائفة هى في أهل التوحيد وهذا أقبح مما قبله وسياق الآيات يرده ردا صريحا ولما رأى غيرهم بطلان هذه التأويلات قال لايدل ذكر الاحقاب على النهاية فانها غير مقدرة بالعدد فانه لم يقل عشرة ولا مائة ولو قدرت بالعدد لم يدل على النهاية الا بالمفهوم فكيف اذا لم يقدر قالوا ومعنى الآية انه كلما مضى حقب تبعه حقب لا الى نهاية وهذا الذى قالوه لاتدل الآية عليه بوجه وقولهم أن الاحقاب فيها غير مقدرة فيقال لو أريد بالآية بيان عدم انتهاء مدة العذاب لم يقيد بالاحقاب فان مالا نهاية له لايقال هو باق أحقابا ودهورا واعصارا أو نحو ذلك ولهذا لايقال ذلك في نعيم أهل الجنة ولا يقال للأبدى الذى لايزول هو باق أحقابا أو آلافا من السنين فالصحابة أفهم الآية لمعانى القرآن وقد فهم منها عمر بن الخطاب خلاف فهم هؤلاء كما فهم ابن عباس من آية الاستثناء خلاف فهم أولئك وفهم الصحابة في

القرآن هو الغاية التى عليها المعول وقد قال ابن مسعود ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد مايلبثون فيها أحقابا وقال ابن جرير حديث عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك قال أمر الله النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود فذكره وقال حدثنا محمد بن حميد ثنا جرير عن بيان عن الشعبى قال جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا قلت لايدل قوله أسرعهما خرابا على خراب الدار الاخرى كما في قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقوله (آلله خير أما يشركون) وقوله في الحديث الله أعلا وأجل وقوله أسرعهما عمرانا يحتمل معنيين أحدهما مسارعة الناس الى الاعمال التى يدخلون بها جهنم وابطاؤهم عن أعمال الدار الاخرى والثانى ان أهلها يدخلونها قبل دخول أهل الجنة اليها فان أهل الجنة انما يدخلونها بعد عبورهم على الصراط وبعد حبسهم على القنطرة التى وراءه وأهل النار قدتبوأوا منازلهم منها فانهم لايجوزون على الصراط ولا يحبسون على تلك القنطرة وأيضا فى الحديث الصحيح انه لما ينادى المنادى لتتبع كل أمة ماكانت تعبد فتتبع المشركون أوثانهم وآلهتهم فتتساقط بهم في النار وتبقى هذه الامة في الموقف حتى يأتيها ربها عز وجل ويقول ألا تنطلقون حيث انطلق الناس وقد ذكر الخطيب في تاريخه في ترجمة سهل بن عبيد الله بن داود ابن سليمان أبو نصر البخارى حدثنا محمد بن نوح الجند سابورى حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الناقد حدثنا سهل بن عثمان ثنا عبد الله بن مسعر بن كدام عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على جهنم يوما مافيها من بنى آدم أحد تخفق أبوابها كانها أبواب الموحدين وليس العمدة على هذا وحده فان اسناده ضعيف وقد روى من وجه آخر عن ابن مسعود وقد تقدم

﴿فصل﴾ والذين قطعوا بأبدية النار وانها لاتفنى لهم طرق * أحدها الآيات والاحاديث الدالة على خلودهم فيها وانهم لايموتون وماهم منها بمخرجين وان الموت يذبح بين الجنة والنار وان الكفار لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وأمثال هذه النصوص وهذه الطريق لاتدل على ماذكروه وانما يدل على أنها مادامت باقية فهم فيها فأين فيها مايدل على عدم فنائها * الطريق الثانى دعوى الاجماع على ذلك وقد ذكرنا من أقوال الصحابة والتابعين مايدل على أن الامر بخلاف ماقالوا حتى لقد ادعى اجماع الصحابة من هذا الجانب استنادا الى تلك النقول التى لايعلم عنهم خلافها * الطريق الثالث انه كالمعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان الجنة والنار لاتفنيان بل هما باقيتان ولهذا أنكر أهل السنة كلهم على أبى الهذيل وجهم وبشيعتهما ممن قال بفنائها وعدوا أقوالهم من أقوال أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ولا ريب ان هذا من أقوال أهل البدع التى خرجوا بها عن السنة ولكن من أين تصح دعوى العلم النظرى ان النار باقية ببقاء الله دائمة بدوامه فضلا عن العلم الضرورى فأين في الادلة الشرعية أو العقلية دليل واحد يقتضى ذلك * الطريق الرابع ان السنة المستفيضة أو المتواترة أخبرت بخروج أهل التوحيد من النار دون الكفار وهذا معلوم من السنة قطعا وهذا الذى قالوه حق لاريب فيه ولكن أهل التوحيد خرجوا منها وهى باقية لم تفن ولم تعدم والكفار لايحصل لهم ذلك بل هم باقون فيها مابقيت * الطريق الخامس ان العقل يدل على

خلود الكفار فيها وعدم خروجهم منها فان نفوسهم غير قابلة للخير فانهم لو خرجوا منها لعادوا كفارا كما كانوا وقد أشار تعالى الى ذلك بقوله (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وهذا يدل على غاية عتوهم وإصرارهم وعدم قبول الخير فيهم بوجه من الوجوه فلا تصلح نفوسهم الشريرة الخبيثة الا للعذاب ولو صلحت لصلحت على طول العذاب بحيث لم يؤثر عذابهم تلك الاحقاب الطويلة في نفوسهم ولم يطيبها علم انه لاقابلية فيهم للخير أصلا وان أسباب العذاب لم يطف من نفوسهم فلا يطفى العذاب المترتب عليها وهذه الطريق وان أنكرت ببادئ الرأى فهى طريق قوية وهى ترجع الى طريق الحكمة وان الحكمة التى اقتضت دخولهم هى التى اقتضت خلودهم ولكن هذه الطريق محرم سلوكها على نفاة الحكمة وعلى مثبتيها من المعتزلة والقدرية أما النفاة فظاهر وأما المثبتة فالحكمة عندهم ان عذابهم لمصلحتهم وهذا انما يصح اذا كان لهم حالتان حالة يعذبون فيها لاجل مصلحتهم وحالة يزول عنهم العذاب لتحصل لهم تلك المصلحة والا فكيف تكون مصلحتهم في عذاب لاانقطاع له أبدا وأما من يثبت حكمة راجعة الى الرب تعالى فيمكنهم سلوك هذه الطريق لكن يقال الحكمة لاتقتضى دوام عذابهم بدوام بقائه سبحانه وهو لم يخبر انه خلقهم لذلك وانما يعذبون لغاية محمودة اذا حصلت حصل المقصود من عذابهم وهو سبحانه لايعذب خلقه سدى وهو قادر على أن ينشئهم بعد العذاب الطويل نشأة أخرى مجردة عن تلك الشرور والخبائث التى كانت في نفوسهم وقد أزالها طول العذاب فانهم خلقوا قابلين للخير على الفطرة وهذا القبول لازم لخلقهم وبه أقروا بصانعهم وفاطرهم وانما طرأ عليه ماأبطل مقتضاه فاذا زال ذلك الطارئ بالعذاب الطويل بقى أصل القبول بلا معارض وأما قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا قبل مباشرتهم للعذاب قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فتلك الخبائث والشرور قائمة بنفوسهم لم تزلها النار فلو ردوا لعادوا لقيام المقتضى للعود ولكن أين أخبر سبحانه انه لو ردهم بعد العذاب الطويل السرمدى لعادوا لما نهوا عنه وسر المسئلة ان الفطرة الاصلية لابد أن تعمل عملها كما عمل الطارئ عليها عمله وهذه الفطرة عامة لجميع بنى آدم كما في الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مامن مولود الا يولد على الفطرة وفي لفظ على هذه الملة وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حماد المجاشعى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه قال انى خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا فاخبر ان الاصل فيهم الحنيفية وانهم خلقوا عليها وان صدها عارض فيهم باقتطاع الشياطين لهم عنها فمن الممتنع أن يعمل أثر اقتطاع الشياطين ولا يعمل أثر خلق الرحمن جل جلاله عمله والكل خلقه سبحانه فلا خالق سواه ولكن ذاك خلق يحبه ويرضاه ويضاف أثره اليه وهذا خلق يبغضه ويسخطه ولا يضاف أثره اليه فان الشر ليس اليه والخير كله في يديه فان قيل فقد قال سبحانه (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) وهذا يقتضى انه لاقابلية فيهم ولا خير عندهم البتة ولو كان عندهم لخرجوا به من النار مع الموحدين فانه سبحانه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من خير فعلم ان هؤلاء ليس معهم هذا القدر لليسير من الخير قيل الخير في هذا الحديث هو الايمان

بالله ورسله كما في اللفظ الآخر أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من ايمان وهو تصديق رسله والانقياد لهم بالقلب والجوارح وأما الخير في الآية فالمراد به القبول والزكاء ومعرفة قدر النعمة وشكر المنعم عليها فلو علم الله سبحانه ذلك فيهم لاسمعهم إسماعا ينتفعون به فانهم قد سمعوا سماعا تقوم به عليهم الحجة فتلك القابلية ذهب أثرها وتعطلت بالكفر والجحود وعادت كالشئ المعدوم الذى لاينتفع به وانما ظهر أثرها في قيام الحجة عليهم ولم يظهر أثرها في انتفاعهم بما علموه وتيقنوه فان قيل فالغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا وقال نوح عن قومه ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وفي الحديث الذى رواه الامام أحمد والترمذى مرفوعا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا الحديث قيل هذا لايناقض كونه مولودا على الفطرة فانه طبع وولد مقدرا كفره اذا عقل والا ففى حال ولادته لايعرف كفرا ولا ايمانا فهى حال مقدرة لامقارنة للعامل فهو مولود على الفطرة ومولود كافرا باعتبارين صحيحين ثابتين له هذا بالقبول وإيثار الاسلام لو خلى وهذا بالفعل والارادة اذا عقل فاذا جمعت بين الفطرة السابقة والرحمة السابقة العالية والحكمة البالغة والغنى التام وقرنت بين فطرته ورحمته وحكمته وغناه تبين لك الامر*الطريق السادس قياس دار العدل على دار الفضل وان هذه كما أنها أبدية فالاخرى كذلك لان هذه توجب عدله وعدله ورحمته من لوازم ذاته وهذه الطريق غير نافذة فان العدل حقه سبحانه لايجب عليه أن يستوفيه ولا يلحقه بتركه نقص ولا ذم بوجه من الوجوه والفضل وعده الذى وعدبه عباده وأحقه على نفسه والفرق بين الدارين من وجوه عديدة شرعا وعقلا * أحدها ان الله سبحانه أخبر بان نعيم الجنة ماله من نفاد وان عطاء أهلها غير مجذوذ وانه غير ممنون ولم يجئ ذلك في عذاب أهل النار*الثانى انه أخبر بما يدل على انتهاء عذاب أهل النار في عدة آيات كما تقدم ولم يخبر بما يدل على انتهاء نعيم أهل الجنة ولهذا احتاج القائلون بالتأبيد الذى لاانقطاع له الى تأويل تلك الآيات ولم يجئ في نعيم أهل الجنة مايحتاجون الى تخصيصه بالتأويل *الثالث ان الاحاديث التى جاءت في انتهاء عذاب النار لم يجئ شئ منها في انتهاء نعيم الجنة* الرابع ان الصحابة والتابعين انما ذكروا انقطاع العذاب ولم يذكر أحد منهم انقطاع النعيم*الخامس انه قد ثبت ان الله سبحانه يدخل الجنة بلا عمل أصلا بخلاف النار*السادس انه سبحانه ينشئ في الجنة خلقا ينعمهم فيها ولاينشئ في النار خلقا يعذبهم بها*السابع ان الجنة من مقتضى رحمته والنار من مقتضى غضبه وان الذين يدخلون النار أضعاف أضعاف الذين يدخلون الجنة فلو دام عذاب هؤلاء كدوام نعيم هؤلاء لغلب غضبه رحمته فكان الغضب هو الغالب السابق وهذا ممتنع*الثامن ان الجنة دار فضله والنار دار عدله وفضله يغلب عدله*التاسع ان النار دار استيفاء حقه الذى له والجنة دار وفاء حقه الذى احقه هو على نفسه وهو سبحانه يترك حقه ولايترك الحق الذى أحقه على نفسه*العاشر ان الجنة هى الغاية التى خلقوا لها في الآخرة وأعمالها هى الغاية التى خلقوا لها في الدنيا بخلاف النار فانه سبحانه لم يخلق خلقه للكفر به والاشراك وانما خلقهم لعبادته وليرحمهم*الحادى عشر ان النعيم من موجب أسمائه وصفاته والعذاب انما هو من أفعاله قال تعالى (نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) وقال (ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (اعلموا ان الله شديد العقاب

وان الله غفور رحيم) وماكان من مقتضى أسمائه وصفاته فانه يدوم بدوامه فان قيل فان العذاب صادر عن عزته وحكمته وعدله وهذه أسماء حسنى وصفات كمال فيدوم ماصدر عنها بدوامها قيل لعمر الله أن العذاب صدر عن عزة وحكمة وعدل وانتهاؤه عند حصول المقصود منه يصدر عن عزة وحكمة وعدل فلم يخرج العذاب ولا انقطاعه عن عزته وحكمته وعدله ولكن عند انتهائه يكون عزة مقرونة برحمة وحكمة مقرونة بجود واحسان وعفو وصفح فالعزة والحكمة لم يزالا ولم ينقصا بل صدر جميع ما خلقه ويخلقه وأمر به ويأمر به عن عزته وحكمته * الثاني عشر ان العذاب مقصود لغيره لا لنفسه وأما الرحمة والاحسان والنعيم فمقصود لنفسه فالاحسان والنعيم غاية والعذاب والالم وسيلة فكيف يقاس أحدهما بالآخر * الثالث عشر انه سبحانه أخبر ان رحمته وسعت كل شئ وان رحمته سبقت غضبه وانه كتب على نفسه الرحمة فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين فلو بقوا في العذاب لا الى غاية لم تسعهم رحمته وهذا ظاهر جدا فان قيل فقد قال سبحانه عقيبها فسأكتبها للذين يتقون الى آخر الآية يخرج غيرهم منها لخروجهم من الوصف الذى يستحق به قيل الرحمة المكتوبة لهؤلاء هى غير الرحمة الواسعة لجميع الخلق بل هى رحمة خاصة خصهم بها دون غيرهم وكتبها لهم دون من سواهم وهم أهل الفلاح الذين لا يعذبون بل هم أهل الرحمة والفوز والنعيم وذكر الخاص بعد العام استطرادا وهو كثير في القرآن بل قد يستطرد من الخاص الى العام كقوله (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) فهذا استطراد من ذكر الابوين الى ذكر الذرية ومن الاستطراد قوله (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وجعلناها رجوما للشياطين) فالتى جعلت رجوما ليست هى التى زينت بها السماء ولكن استطرد من ذكر النوع الى نوع آخر وأعاد ضمير الثانى على الاول لدخولهما تحت جنس واحد فهكذا قوله ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون فالمكتوب للذين يتقون نوع خاص من الرحمة الواسعة والمقصود ان الرحمة لابد ان تسع أهل النار ولا بد أن تنتهى حيث ينتهى العلم كما قالت الملائكة ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما * الرابع عشر انه قد صح عنه صلى الله عليه وسلم حديث الشفاعة قول أولى العزم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وهذا صريح في ان ذلك الغضب العظيم لا يدوم ومعلوم ان أهل النار انما دخلوها بذلك الغضب فلو دام ذلك الغضب لدام عذابهم اذ هو موجب ذلك الغضب فاذا رضى الرب تبارك وتعالى وزال ذلك الغضب زال موجبه وهذا كما أن عقوبات الدنيا العامة وبلاؤها آثار غضبه فاذا استمر غضبه استمر ذلك البلاء فاذا رضى وزال غضبه زال البلاء وخلفته الرحمة * الخامس عشر ان رضاه أحب اليه من غضبه وعفوه أحب اليه من عقوبته ورحمته أحب اليه من عذابه وعطاؤه أحب اليه من منعه وانما يقع الغضب والعقوبة والمنع بأسباب تناقض موجب تلك الصفات والاسماء وهو سبحانه كما يحب أسماءه وصفاته ويحب آثارها وموجبها كما في الحديث انه وتر يحب الوتر جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة عفو يحب العفو وهو شكور يحب الشاكرين عليم يحب العالمين جواد يحب أهل الجود حى ستير يحب أهل الحياء والستر صبور يحب الصابرين رحيم يحب الرحماء فهو

يكره ما يضاد ذلك وكذلك كره الكفر والفسوق والعصيان والظلم والجهل لمضادة هذه الاوصاف لاوصاف كماله الموافقة لاسمائه وصفاته ولكن يريده سبحانه لاستلزامه ما يحبه ويرضاه فهو مراد له ارادة اللوازم المقصودة لغيرها اذ هي معصية الى ما يحب فاذا حصل بها ما يحبه وأدت الى الغاية المقصودة له سبحانه لم تبق مقصودة لا لنفسها ولا لغيرها فتزول ويخلفها أضدادها التي هي أحب اليه سبحانه منها وهي موجب أسمائه وصفاته فان فهمت سر هذا الوجه والا فجاوزه الى ما قبله ولا تعجل بانكاره هذا وسر المسئلة انه سبحانه حكيم رحيم انما يخلق بحكمة ورحمة فاذا عذب من يعذب لحكمة كان هذا جاريا على مقتضاها كما يوجد في الدنيا من العقوبات الشرعية والقدرية من التهذيب والتأديب والزجر والرحمة والالطاف ما يزكي النفوس ويطيبها ويمحصها ويخلصها من شرها وخبثها والنفوس الشريرة الظالمة التي لو ردت الى الدنيا قبل العذب لعادت لما نهي عنه لا يصلح أن تسكن دار السلام التي تنافي الكذب والشر والظلم فاذا عذبت هذه النفوس بالنار عذابا يخلصها من ذلك الشر ويخرج خبثها كان هذا معقولا في الحكمة كما يوجد في عذاب الدنيا وخلق من فيه شر يزول بالتعذيب من تمام الحكمة أما خلق نفوس شريرة لا يزول شرها البتة وانما خلقت للشر المحض وللعذاب السرمد الدائم بدوام خالقها سبحانه فهذا لا يظهر موافقته للحكمة والرحمة وان دخل تحت القدرة فدخوله تحت الحكمة والرحمة ليست بالبين فهذا ما وصل اليه النظر في هذه المسئلة التي تكع فيها عقول العقلاء وكنت سألت عنها شيخ الاسلام قدس الله روحه فقال لي هذه المسئلة عظيمة كبيرة ولم يجب فيها بشيء فمضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي بعض تلك الآثار التي ذكرت فارسلت اليه الكتاب وهو في مجلسه الاخير وعلمت على ذلك الموضع وقلت للرسول قل له هذا الموضع يشكل عليه ولا يدرى ما هو فكتب فيها مصنفه المشهور رحمة الله عليه فمن كان عنده فضل علم فليحدثه فان فوق كل ذي علم عليم وانا في هذه المسئلة على قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء وعلى مذهب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث يقول لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارا وذكر ذلك في تفسير قوله (قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله) وعلى مذهب أبي سعيد الخدري حيث يقول انتهى القرآن كله الى هذه الآية (ان ربك فعال لما يريد) وعلى مذهب قتادة حيث يقول في قوله الا ما شاء ربك الله أعلم بثنيته على ما وقعت وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول أخبرنا الله بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار والقول بان النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله فان لم يكن مطابقا لخبره عن نفسه بذلك والا كان قولا عليه بغير علم والنصوص لا تفهم ذلك والله أعلم

﴿فصل﴾ وهاهنا مذاهب أخرى باطلة منها قول من قال أنهم يعذبون في النار مدة لبثهم في الدنيا وقول من قال أنها تنقلب عليهم طبيعة نارية يلتذون بها كما يلتذ صاحب الجرب بالحك وقول من يقول أنها تفنى هي والجنة جميعا ويعودان عدما وقول من يقول تفنى حركاتها وتبقى أهلها في سكون دائم ولم يوفق للصواب في هذا الباب غير الصحابة ومن سلك سبيلهم

وبالله التوفيق

﴿فصل﴾ فان قيل فما الحكمة في كون الكفار أكثر من المؤمنين وأهل النار أضعاف أهل الجنة كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولوحرصت بمؤمنين) وقال (وقليل من عبادى الشكور) وقال (الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) وقال (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وبعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد الى الجنة وكيف نشأ هذا عن الرحمة الغالبة وعن الحكمة البالغة وهلاكان الامر بالضد من ذلك *قيل هذا السؤال من أظهر الادلة على قول الصحابة والتابعين في هذه المسئلة وان الامر يعود الى الرحمة التى وسعت كل شئ وسبقت الغضب وغلبته وعلى هذا فاندفع السؤال بالكلية ثم نقول المادة الارضية اقتضت حصول التفاوت في النوع الانسانى كما في المسند والترمذى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فكان منهم الخبيث والطيب والسهل والحزن وغير ذلك فاقتضت مادة النوع الانسانى تفاوتهم في اخلاقهم وارادتهم وأعمالهم ثم اقتضت حكمة العزيز الحكيم ان ابتلى المخلوق من هذه المادة بالشهوة والغضب والحب والبغض ولوازمها وابتلاه بعدوه الذى لايألوه خبالا ولايغفل عنه ثم ابتلاه مع ذلك بزينة الدنيا وبالهوى الذى أمر بمخالفته هذا على ضعفه وحاجته وزين له حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وأمره بترك قضاء أوطاره وشهواته في هذه الدار الحاضرة العتيدة المشاهدة الى دار أخرى غايته انما تحصل فيها بعد طى الدنيا والذهاب بها وكان مقتضى الطبيعة الانسانية أن لايثبت على هذا الابتلاء أحد وان يذهب كلهم مع ميل الطبع ودواعى الغضب والشهوة فلم يخل بينهم وبين ذلك خالقهم وفاطرهم بل أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم مواقع رضاه وغضبه ووعدهم على مخالفة هواهم وطبائعهم أكمل اللذات في دار النعيم فلم تقو عقول الاكثرين على إيثار الآجل المنتظر بعد زوال الدنيا على هذا العاجل الحاضر المشاهد وقالوا كيف يباع نقد حاضر وهو قبض باليد بنسيئة مؤخرة وعدنا بحصولها بعد طى الدنيا وخراب العالم ولسان حال أكثرهم يقول (خذ ماتراه ودع شيأ سمعت به) فساعد التوفيق الالهى من علم أنه يصلح لمواقع فضله فأمده بقوة ايمان وبصيرة رأى في ضوءها حقيقة الآخرة ودوامها وما أعد الله فيها لاهل طاعته وأهل معصيته ورأى حقيقة الدنيا وسرعة انقضائها وقله وفائها وظلم شركائها وأنها كما وصفها الله سبحانه لعب ولهو وزينة وتفاخر بين أهلها وتكاثر في الاموال والاولاد وانها كغيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما فنشأنا في هذه الدار ونحن منها وبنوها لانألف غيرها وحكمت العادات وقهر سلطان الهوى وساعده داعى النفوس وتقاضاه موجب الطباع وغلب الحس على العقل وكانت الدولة له والناس على دين الملك ولاريب أن الذى يخرق هذه الحجب ويقطع هذه العلائق ويخالف العوائد ولايستجيب لدواعى الطبع ويعصى سلطان الهوى لايكون الا الاقل ولهذا كانت المادة النارية أقل اقتضاء لهذا الصنف من المادة الترابية لخفة النار وطيشها وكثرة نقلتها وسرعة حركتها وعدم ثباتها والماء المادة الملكية فتربه من ذلك فلذلك كان المخلوق خيرا كله فالعقلاء المخاطبون مخلوقون من هذه المواد الثلاث واقتضت الحكمة ان يكونوا على هذه الصفة والخلقة

ولوكانوا على غير ذلك لم يحصل مقصود الامتحان والابتلاء وتنوع العبودية وظهور آثار الاسماء والصفات فلو كان أهل الايمان والخير هم الاكثرين الغالبين لفاتت مصلحة الجهاد وتوابعه التي هي من أجل أنواع العبودية وفات الكمال المترتب على ذلك فلا أحسن مما اقتضاه حكمة أحكم الحاكمين في المخلوق من هذه المواد ثم أنه سبحانه يخلص مافي المخلوق من تينك المادتين من الخبث والشر ويمحصه ويستخرج طيبه الى دار الطيبين ويلقى خبيثه حيث تلقى الخبائث والاوساخ وهذا غاية الحكمة كما هو الواقع في جواهر المعادن المنتفع بها من الذهب والفضة والحديد والصفر فخلاصة هذه المواد وطيبها أقل من وسخها وخبثها والناس زرع الارض والخير الصافي من الزرع بعد زوانه وقصله وعصفه وتبنه أقل من بقية الاجزاء وتلك الاجزاء كالصور له والوقاية كالحطب والشوك للثمر والتراب والحجارة للمعادن النفيسة

﴿فصل الوجه السابع والثلاثون﴾ قوله وأى حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب فكم لله في ذلك من حكم باهرة منها حصول محبوبه من عبودية الصبر والجهاد وتحمل الاذى فيه والرضى عنه في السراء والضراء والثبات على عبوديته وطاعته مع قوة المعارض وغلبته وشوكته وتمحيص أوليائه من أحكام البشرية ودواعي الطباع ببذل نفوسهم له وأذى أعدائه لهم وتميز الصادق من الكاذب ومن يريده ويعبده على جميع الحالات ممن يعبده على حرف وليحصل له مرتبة الشهادة التي هي من أعلى المراتب ولاشئ أبر عند الحبيب من بذل محبة نفسه في مرضاته ومجاهدة عدوه فكم لله في هذا التسليط من نعمة ورحمة وحكمة واذا شئت أن تعلم ذلك فتأمل الآيات من أواخر آل عمران من قوله (قد خلت من قبلكم سنن) الى قوله (انما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) الى قوله (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فكان هذا التمييز من بعض حكم ذلك التسليط ولولا ذلك التسليط لم تظهر فضيلة الصبر والعفو والحلم وكظم الغيظ ولاحلاوة النصر والظفر والقهر فان الاشياء يظهر حسنها باضدادها ولولا ذلك التسليط لم تستوجب الاعداء المحق والاهانة والكبت فاستخرج ذلك التسليط من القوة الى الفعل ما عند أوليائه فاستحقوا كرامتهم عليه وماعند أعدائه فاستحقوا عقوبتهم عليه فكان هذا التسليط مما أظهر حكمته وعزته ورحمته ونعمته في الفريقين وهو العزيز الحكيم (الوجه الثامن والثلاثون) قوله وأى حكمة في تكليف الثقلين وتعريضهم بذلك العقوبة وأنواع المشاق* فاعلم أنه لولا التكليف لكان خلق الانسان عبثا وسدى والله يتعالى عن ذلك وقد نزه نفسه عنه كما نزه نفسه عن العيوب والنقائص قال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون) وقال (أيحسب الانسان أن يترك سدى) قال الشافعي لايؤمر ولاينهى ومعلوم أن ترك الانسان كالبهائم مهملا معطلا مضاد للحكمة فانه خلق لغاية كماله وكماله أن يكون عارفا بربه محبا له قائما بعبوديته قال تعالى (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما) وقال (ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شئ عليم) فهذه المعرفة وهذه العبودية هما غاية الخلق والأمر وهما أعظم كمال الانسان والله تعالى من عنايته به ورحمته له عرضه لهذا الكمال وهيأله أسبابه الظاهرة والباطنة ومكنه منها

ومدار

ومدار التكاليف على الاسلام والايمان والاحسان وهي ترجع الى شكر المنعم كلها دقيقها وجليلها منه وتعظيمه واجلاله ومعاملته بما يليق أن يعامل به فتذكر آلاؤه وتشكر فلا يكفر ويطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى هذا مع تضمن التكليف لاتصاف العبد بكل خلق جميل واتيانه بكل فعل جميل وقول سديد واجتنابه لكل خلق سيء وترك كل فعل قبيح وقول زور فتكليفه متضمن لمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وصدق القول والاحسان الى الخليقة وتكميل نفسه بانواع الكمالات وهجر أضداد ذلك والتنزه عنها مع تعريضه بذلك التكليف للثواب الجزيل الدائم ومجاورة ربه في دار البقاء فأي الامرين اليق بالحكمة هذا أو أرساله هملا كالخيل والبغال والحمير يأكل ويشرب وينكح كالبهائم أيقتضي كماله المقدس ذلك فتعالى الله الملك الحق لا إله الاهو رب العرش الكريم وكيف يليق بذلك الكمال طي بساط الأمر والنهي والثواب والعقاب وترك ارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع وتقرير الاحكام وهل عرف الله من جوز عليه خلاف ذلك وهل ذلك الامن سوء الظن به قال تعالى (وماقدروا الله حق قدره إذقالوا ماأنزل الله على بشر من شيء) فحسن التكليف في العقول كحسن الاحسان والانعام والتفضل والطول بل هو من أبلغ أنواع الاحسان والانعام ولهذا سمى سبحانه ذلك نعمة ومنة وفضلا ورحمة وأخبر أن الفرح به خير من الفرح بالنعم المشتركة بين الابرار والفجار قال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) فنعمة الله هاهنا نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم ومابعثه به من الهدى ودين الحق وقال (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما لم يلحقوابهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال (قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وقال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال (واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) وقال لرسوله (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وهل النعمة والفضل في الحقيقة الاذلك وتوابعه وثمرته في القلوب والابدان في الدنيا والآخرة وهل في العقول السليمة والفطر المستقيمة أحسن من ذلك وأليق بكمال الرب وأسمائه وصفاته ﴿الوجه التاسع والثلاثون﴾ قوله في مناظرة الاشعري للجبائي في الاخوة الثلاثة الذين مات أحدهم صغيرا وبلغ الآخر كافرا والثالث مسلما انها مناظرة كافية في ابطال الحكمة والتعليل ورعاية الاصلح * فلعمر الله انها مبطلة لطريقة أهل البدع من المعتزلة والقدرية الذين يوجبون على ربهم مراعاة الاصلح لكل عبد وهو الاصلح عندهم فيشرعون له شريعة بعقولهم ويحجرون عليه ويحرمون عليه ان يخرج عنها ويوجبون عليه القيام بها وكذلك كانوا من أحمق الناس وأعظمهم تشبيها للخالق بالمخلوق في أفعاله وأعظمهم تعطيلا عن صفات كماله فنزهوه عن صفات الكمال وشبهوه بخلقه في الافعال وأدخلوه تحت الشريعة الموضوعة

بآراء الرجال وسموا ذلك عدلا وتوحيدا بالزور والبهتان وتلك تسمية ماأنزل الله بها من سلطان فالعدل قيامه بالقسط في أفعاله والتوحيد واثبات صفات كماله شهد الله أنه لاإله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لاإله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام فهذا العدل والتوحيد الذى جاء به المرسلون وذلك التوحيد والعدل الذى جاء به المعطلون *والمقصود ان هذه المناظرة وان أبطلت قول هؤلاء وزلزلت قواعدهم فانها لاتبطل حكمة الله التى اختص بها دون خلقه وطوى بساط الاحاطة بها عنهم ولم يطلعهم منها الاعلى ما نسبته الى ماخفى عنهم كقطرة من بحار الدنيا فكم لله سبحانه من حكمة في ذلك الذى أخرمه صغيرا وحكمة في الذى مدّ له في العمر حتى بلغ وأسلم وحكمة في الذى أبقاه حتى بلغ وكفر ولو كان كل من علم انه اذا بلغ يكفر يخترمه صغيرا لتعطل الجهاد والعبودية التى يحبها الله ويرضاها ولم يكن هناك معارض وكان الناس أمة واحدة ولم تظهر آياته وعجائبه في الامم ووقائعه وأيامه في أعدائه واقامة الحجج وجدال أهل الباطل بما يدحض شبههم وينصر الحق ويظهره على الباطل الى أضعاف أضعاف ذلك من الحكم التى لايحصيها الا الله والله سبحانه يحب ظهور أسمائه وصفاته في الخليقة فلو اخترم كل من علم أنه يكفر اذا بلغ لفات ذلك وفواته مناف لكمال تلك الاسماء والصفات واقتضائها لآثارها وقد تقدم بسط ذلك أتم من هذا (الوجه الاربعون) قوله انه سبحانه رد الامر الى محض مشيئة بقوله (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء)وقوله (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)وقوله (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء)وقوله(لايسئل عمايفعل)فهذا كله حق ولكن أين فيه ابطال حكمته وحمده والغايات المحمودة المطلوبة بفعله وانه لايفعل شيأ لشئ ولا يأمر بشئ لاجل شئ ولا سبب لفعله ولا غاية أفترى أصحاب الحكمة والتعليل يقولون أنه لايفعل بمشيئته أو أنه يسئل عما يفعل بل يقولون أنه يفعل بمشيئته مقارنا للحكمة والمصلحة ووضع الاشياء مواضعها وانه يفعل مايشاء باسباب وحكم ولغايات مطلوبة وعواقب حميدة فهم مثبتون لملكه وحده وغيرهم يثبت ملكا بلا حمد أو نوعا من الحمد مع هضم الملك إذ الرب تعالى له كمال الملك وكمال الحمد فكونه يفعل مايشاء يمنع أن يشاء باسباب وحكم وغايات وانه لايشاء الا ذلك وأما قوله (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون) فهذا لكمال علمه وحكمته لالعدم ذلك وأيضا فسياق الآية فى معنى آخر وهو ابطال إلهية من سواه واثبات الالوهية له وحده فانه سبحانه قال(أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لايسئل عمايفعل وهم يسئلون) فاين في هذا مايدل على ابطال التعليل بوجه من الوجوه ولكن أهل الباطل يتعلقون بالفاظ نزلوها على باطلهم لاتنزل عليه وبمعان متشابهة يشتبه فيها الحق بالباطل فعمدتهم المتشابه من الالفاظ والمعانى فاذا فصلت وبينت يتبين أنها لادلالة فيها وانها مع ذلك قد تدل على نقيض مطلوبهم وبالله التوفيق

الباب الرابع والعشرون

في قول السلف من أصول الايمان الايمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره

قد تقدم ان القدر لاشر فيه بوجه من الوجوه فانه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته وذلك خير محض

وكمال من وجه فالشر ليس الى الرب تعالى بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله وانما يدخل الشر الجزئي الاضافي في المقضى المقدر ويكون شرا بالنسبة الى محل وخيرا بالنسبة الى محل آخر وقد يكون خيرا بالنسبة الى المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه بل هذا هو الغالب وهذا كالقصاص واقامة الحدود وقتل الكفار فانه شر بالنسبة اليهم لا من كل وجه بل من وجه دون وجه وخير بالنسبة الى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض وكذلك الآلام والامراض وان كانت شرورا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة وقد تقدم تقرير ذلك فالخير والشر من جنس اللذة والالم والنفع والضرر وذلك في المقضى المقدر لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به فان قطع يد السارق شر مؤلم ضار له وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدل خير وحكمة ومصلحة كما يأتي في الباب الذي بعد هذا ان شاء الله * فان قيل فما الفرق بين كون القدر خيرا وشرا وكونه حلوا ومرا * قيل الحلاوة والمرارة تعود الى مباشرة الاسباب في العاجل والخير والشر يرجع الى حسن العاقبة وسؤها فهو حلو ومر في مبدأه واوله وخير وشر في منتهاه وعاقبته وقد أجرى الله سبحانه سنته وعادته أن حلاوة الاسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل ومرارتها تعقب الحلاوة فحلو الدنيا مر الآخرة ومر الدنيا حلو الآخرة وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل اللذات تثمر الآلام والآلام تثمر اللذات والقضاء والقدر منتظم لذلك انتظاما لا يخرج عنه شيء البتة والشر مرجعه الى اللذات وأسبابها والخير المطلوب هو اللذات الدائمة والشر المرهوب هو الآلام الدائمة فأسباب هذه الشرور وان اشتملت على لذة ما وأسباب تلك خيرات وان اشتملت على ألم ما فألم يعقب اللذة الدائمة أولى بالايثار والتحمل من لذة تعقب الالم الدائم فلذة ساعة في جنب ألم طويل كلا لذة وألم ساعة في جنب لذة طويلة كلا ألم

الباب الخامس والعشرون

في امتناع اطلاق القول نفيا واثباتا ان الرب تعالى مريد للشر وفاعل له

هذا موضع اختلف فيه مثبتو القدر ونفاته فقال النفاة لا يجوز أن يقال ان الله سبحانه مريد للشر أو فاعل له قالوا لا يريد الشر وفاعله شرير هذا هو المعروف لغة وعقلا وشرعا كما أن الظالم فاعل الظلم والفاجر فاعل الفجور ومريده والرب يتعالى ويتنزه عن ثبوت معاني أسماء السوء له فان أسماءه كلها حسنى وأفعاله كلها خير فيستحيل أن يريد الشر فالشر ليس بارادته ولا بفعله قالوا وقد قام الدليل على ان فعله سبحانه غير مفعوله والشر ليس بفعل له فلا يكون مفعولا له وقابلهم الجبرية فقالوا بل الرب سبحانه يريد الشر ويفعله قالوا لان الشر موجود فلا بد له من خالق ولا خالق الا الله وهو سبحانه انما يخلق بارادته فكل مخلوق فهو مراد له وهو فعله ووافقوا اخوانهم على أن الفعل عين المفعول والخلق نفس المخلوق ثم قالوا والشر مخلوق له ومفعول فهو فعله وخلقه وواقع بارادته قالوا وانما لم يطلق القول أنه يريد الشر ويفعل الشر أدبا لفظيا فقط كما لا يطلق القول بانه رب الكلاب والخنازير ويطلق القول بانه رب كل شيء وخالقه قالوا وأما قولكم ان الشرير مريد الشر وفاعله فجوابه من وجهين * أحدهما انما يمتنع ذلك بان الشرير من قام به الشر وفعل الشر لم يقم بذات الرب فان أفعاله

لاتقوم به إذ هى نفس مفعولاته وانمـا هى قائمة بالخلق ولذلك اشتقت لهـم منها الاسماء كالفاجر
والفاسق والمصلى والحاج والصائم ونحوه * الجواب الثانى ان أسماء الله تعالى توقيفية ولم يسم نفسه الا
باحسن الاسماء قالوا والرب تعالى أعظم من أن يكون في ملكه مالا يريده ولا يخلقه فانه الغالب غير
المغلوب * وتحقيق القول في ذلك أنه يمتنع اطلاق ارادة الشر عليه وفعله نفيا وإثباتا لما في اطلاق لفظ
الارادة والفعل من إيهام المعنى الباطل ونفى المعنى الصحيح فان الارادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى
المحبة والرضا فالاول كقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وقوله (ومن يرد أن يضله) وقوله (واذا أردنا
أن نهلك قرية) والثانى كقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر) فالارادة بالمعنى الاول تستلزم وقوع المراد ولا تستلزم محبته والرضا به وبالمعنى الثانى لاتستلزم
وقوع المراد وتستلزم محبته فانها لاتنقسم بل كل ماأراده من أفعاله فهو محبوب مرضى له ففرق بين
ارادة أفعاله وارادة مفعولاته فان أفعاله خير كلها وعدل ومصلحة وحكمة لاشر فيها بوجه من الوجوه
وأما مفعولاته فهى مورد الانقسام وهذا انمـا يتحقق على قول أهل السنة ان الفعل غـير المفعول
والخلق غير المخلوق كما هو الموافق للعقول والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث واجمـاع أهل
السنة كما حكاه البغوى في شرح السـنة عنهم وعلى هـذا فهاهنا ارادتان ومراداتن ارادة أن يفعل
ومرادها فعله القائم به وارادة أن يفعل عبده ومرادها مفعوله المنفصل عنه وليسا بمتلازمين فقـد
يريد من عبده أن يفعل ولا يريد من نفسه اعانته على الفعل وتوفيقه له وصرف موانعه عنه كما أراد
من ابليس أن يسجد لآدم ولم يرد من نفسه أن يعينه على السجود ويوفقه له ويثبت قلبه عليـه
ويصرفه اليه ولو أراد ذلك منـه لسجد له لامحالة وقوله (فعال لما يريد) إخباره عن ارادته لفعله
لالافعال عبيده وهذا الفعل والارادة لاينقسم الى خير وشر كما تقدم وعلى هذا فاذا قيل هو مريد
للشر أوهم أنه محب له راض به واذا قيـل انه لم يرده أوهم انه لم يخلقه ولا كونه وكلاهما باطل
ولذلك اذا قيل ان الشر فعله أو انه يفعل الشر أوهم ان الشر فعله القائم به وهذا محال واذا قيـل
لم يفعله أوليس بفعل له أوهم انه لم يخلقه ولم يكونه وهذا محال فانظر مافي اطلاق هذه الالفاظ في
النفى والاثبات من الحق والباطل الذى يتبين بالاسـتفصال والتفصيل وان الصواب في هذا الباب
مادل عليه القرآن والسنة من أن الشر لايضاف الى الرب تعالى لاوصفا ولا فعلا ولا يتسمى باسمه
بوجه من الوجوه وانما يدخل في مفعولاته بطريق العموم كقوله تعالى (قل أعوذ برب الفلق من
شر ماخلق) فما هاهنا موصولة أو مصدرية والمصدر بمعنى المفعول أى من شر الذى خلقـه أو من
شر مخلوقه وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمنى الجن (وانا لاندرى أشر أريد بمن في الارض
أم أراد بهم ربهم رشدا) وقد يسند الى محله القائم به كقول ابراهيم الخليل الذى خلقنى فهو يهدين
والذى هو يطعمنى ويسـقين واذا مرضت فهو يشفين وقول الخضر أما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر فاردت أن أعيبها وقال في بلوغ الغلامين فاراد ربك أن يبلغا أشدهما وقد جمع
الانواع الثلاثة في الفاتحة في قوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غـير المغضوب
عليهم ولا الضالين) والله تعالى انما نسب الى نفسه الخير دون الشر فقال تعالى (قل اللهم مالك الملك
تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيـدك الخير انك على

كل شيء قدير وأخطأ من قال المعنى بيدك الخير والشر لثلاثة أوجه* أحدها انه ليس في اللفظ ما يدل على ارادة هذا المحذوف بل ترك ذكره قصدا أو بيانا انه ليس بمراد* الثاني ان الذي بيد الله تعالى نوعان فضل وعدل كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فانه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع فالفضل لاحدى اليدين والعدل للاخرى وكلاهما خير لا شر فيه بوجه* الثالث ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك كالتفسير للآية ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه وقطع اضافة الآخر اليه مع اثبات عموم خلقه لكل شيء

﴿فصل﴾ والرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشتق له من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل يسمى متكونا ومتحركا وساكنا وطويلا وأبيض وغير ذلك لانه خالق هذه الصفات فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك مع انه خالقه علم انما يشتق أسماءه من أفعاله واوصافه القائمة به وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه ولا يتسمى باسمه ولهذا كان قول من قال انه يسمى متكلما بكلام منفصل عنه وخلقه في غيره ومريد بارادة منفصلة عنه وعادلا بعدل مخلوق منفصل عنه وخالقا بخلق منفصل عنه هو المخلوق قولا باطلا مخالفا للعقل والنقل واللغة مع تناقضه في نفسه فان اشتق له اسم باعتبار مخلوقاته لزم طرد ذلك في كل صفة أو فعل خلقه وإن خص ذلك ببعض الافعال والصفات دون بعض كان تحكما لا معنى له وحقيقة قول هؤلاء انه لم يقم به عدل ولا احسان ولا كلام ولا ارادة ولا فعل البتة ومن تجهم منهم نفى حقائق الصفات وقال لم تقم به صفة ثبوتية فنفوا صفاته وردوها الى السلوب والاضافات ونفوا أفعاله وردوها الى المصنوعات المخلوقات وحقيقة هذا ان أسمائه تعالى ألفاظ فارغة عن المعاني لا حقائق لها وهذا من الالحاد فيها وانكار ان يكون حسنا وقد قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وقد دل القرآن والسنة على اثبات مصادر هذه الاسماء له سبحانه وصفا كقوله تعالى (ان القوة لله جميعا) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) وقوله صلى الله عليه وسلم لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وقول عائشة الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ برضاك من سخطك وقوله أسألك الغيب وقدرتك على الخلق وقوله أعوذ بعزتك أن تضلني ولولا هذه المصادر لانتفت حقائق الاسماء والصفات والافعال فان أفعاله غير صفاته وأسمائه غير أفعاله وصفاته فاذا لم يقم به فعل ولا صفة فلا معنى للاسم المجرد وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيأ وهذا غاية الالحاد

الباب السادس والعشرون

فيما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك من عقوبتك واعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك من تحقيق القدر واثباته وما تضمنه الحديث من الاسرار العظيمة

قد دل هذا الحديث العظيم القدر على أمور * منها أنه يستعاذ بصفات الرب تعالى كما يستعاذ بذاته وكذلك يستغاث بصفاته كما يستغاث بذاته كما في الحديث ياحى ياقيوم يا بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام لااله الا أنت برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا الى احد من خلقك وكذلك قوله في الحديث الآخر أعوذ بعزتك أن تضلنى وكذلك استعاذته بكلمات الله التامات وبوجهه الكريم وتعظيمه وفي هذا مايدل على ان هذه صفات ثابتة وجودية إذ لايستعاذ بالعدم وانها قائمة به غير مخلوقة إذ لايستعاذ بالمخلوق وهو احتجاج صحيح فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايستعيذ بمخلوق ولا يستغيث به ولا يدل أمته على ذلك * ومنها ان العفو من صفات الفعل القائمة به وفيه رد على من زعم ان فعله عين مفعوله فان المفعول مخلوق ولا يستعاذ به * ومنها ان بعض صفاته وأفعاله سبحانه أفضل من بعض فان المستعاذ به أفضل من المستعاذ منه وهذا كما أن صفة الرحمة أفضل من صفة الغضب ولذلك كان لها الغلبة والسبق ولذلك كلامه سبحانه هو صفته ومعلوم ان كلامه الذى يثنى على نفسه به ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل من كلامه الذى يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم ولهذا كانت سورة الاخلاص أفضل من سورة تبت وكانت تعدل ثلث القرآن دونها وكانت آية الكرسى أفضل آية في القرآن ولا تصغ الى قول من غلظ حجابه ان الصفات قديمة والقديم لايتفاضل فان الادلة السمعية والعقلية تبطل قوله وقد جعل سبحانه ما كان من الفضل والعطاء والخير وأهل السعادة بيده اليمنى وما كان من العدل والقبض بيده الأخرى ولهذا جعل أهل السعادة في قبضة اليمنى وأهل الشقاوة في القبضة الاخرى والمقسطون على منابر من نور عن يمينه والسموات مطويات بيمينه والارض بالارض ومنها ان الغضب والرضاء والعفو والعقوبة لما كانت متقابلة استعاذ بأحدهما من الآخر فلما جاء الى الذات المقدسة التى لاضد لها ولا مقابل قال وأعوذ بك منك فاستعاذ بصفة الرضى من صفة الغضب وبفعل العفو من فعل العقوبة وبالموصوف بهذه الصفات والافعال منه وهذا يتضمن كمال الاثبات للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره فان الذى يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء الرب تعالى وقدره وهو المنفرد بخلقه وتقديره وتكوينه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن فالمستعاذ منه اما وصفه واما فعله واما مفعوله الذى هو أثر فعله والمفعول ليس اليه نفع ولا ضر ولا يضر الا باذن خالقه كما قال تعالى في أعظم مايتضرر به العبد وهو السحر (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) فالذى يستعاذ منه هو بمشيئته وقضائه وقدرته واعاذته منه وصرفه عن المستعيذ انما هو بمشيئته أيضا وقضائه وقدره فهو المعيذ من قدره بقدره ومن مايصدره عن مشيئته وارادته بما يصدره عن

مشيئته

مشيئته وارادته والجميع واقع بارادته الكونية القدرية فهو يعيذ من ارادته بارادته إذ الجميع خلقه وقدره وقضاء، فليس هناك خالق لغيره فيعيذ منه هو بل المستعاذ منه خالق له فهو الذي يعيذ عبده من نفسه بنفسه فيعيذه مما يريده به بما يريده به فليس هناك أسباب مخلوقة لغيره يستعيذ منها المستعيذ به كما يستعيذ من رجل ظالمه وقهره برجل أقوى أو نظيره فالمستعاذ منه هو الذنوب وعقوباتها والآلام وأسبابها والسبب من قضائه والمسبب من قضائه والاعاذة بقضائه فهو الذي يعيذ من من قضائه بقضائه فلم يعذ الا بما قدره وشاءه وذلك الاستعاذة منه وشاءها وقدر الاعاذة وشاءها فالجميع قضاؤه وقدره وموجب مشيئته فنتجت هذه الكلمة التي لوقالها غير الرسول لبادر المتكلم الجاهل الى انكارها وردها انه لايملك الضر والنفع والخلق والامر والاعاذة غيرك وان المستعاذ منه هو بيدك وتحت تصرفك ومخلوق من خلقك فما استمذت الابك ولا استعذت الامنك وهذا نظير قوله في الحديث الآخر لاملجأ ولامنجا منك الااليك فهو الذي يجي من نفسه بنفسه ويعيذ من نفسه بنفسه وكذلك الفرار يفر عبده منه اليه وهذا كله تحقيق للتوحيد والقدر وانه لارب غيره ولا خالق سواه ولا يملك المخلوق لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولانشورا بل الامر كله لله ليس لاحد سواه منه شيء كما قال تعالى لاكرم خلقه عليه وأحسنهم اليه (ليس لك من الامر شيء) وقال جوابا لمن قال هل لنا من الامر شيء (قل ان الامر كله لله) فالملك كله له والامر كله له والحمد كله له والشفاعة كلها له والخير كله في يديه وهذا تحقيق تفرده بالربوبية والالوهية فلا إله غيره ولارب سواه (قل أرايتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) فاستعذ به منه وفر منه اليه واجعل لجاك منه اليه فالامر كله له لايملك أحد معه منه شيأ فلا يأتي بالحسنات الا هو ولا يذهب بالسيئات الا هو ولا تتحرك ذرة فما فوقها الا باذنه ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره الا باذنه ومشيئته يصيب بذلك من يشاء ويصرفه عمن يشاء فاعرف الخلق به وأقواهم بتوحيده من قال في دعائه وأعوذ بك منك فليس للخالق معاذ سواه ولا مستعاذ منه الا وهو ربه وخالقه ومليكه وتحت قهره وسلطانه ثم ختم الدعاء بقوله لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اعترافا بان شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيها أحد من الخلق أو بلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه فهو توحيد في الاسماء والصفات والنعوت وذاك توحيد في العبودية والتأله وافراده تعالى بالخوف والرجاء والاستعاذة وهذا مضاد الشرك وذاك مضاد التعطيل وبالله التوفيق

الباب السابع والعشرون

في دخول الايمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد والحكمة تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضائك وبيان مافى هذا الحديث من القواعد

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ماأصاب عبدا قط هم ولا غم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك أسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا قالوا يارسول الله أفلا نتعلمهن قال بلى ينبغى لمن يسمعهن أن يتعلمهن فقد دل هذا الحديث الصحيح منها أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب فالهم يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب والحزن على مكروه ماض من فوات محبوب أو حصول مكروه اذا تذكره أحدث له حزنا والغم يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم فهذه المكروهات هى من أعظم أمراض القلب وادوائه وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها وتباينت طرقهم في ذلك تباينا لايحصيه الا الله بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم انه يخلصه منها وأكثر الطرق والادوية التى يستعملها الناس في الخلاص منها لايزيدها الاشدة لمن يتداوى منها بالمعاصى على اختلافها من أكبر كبائرها الى أصغرها وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء وسماع الاصوات المطربة وغير ذلك فأكثر سعى بنى آدم أو كله إنما هو لدفع هذه الامور والتخلص منها وكلهم قد أخطأ الطريق الا من سعى في ازالتها بالدواء الذى وصفه الله لازالتها وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار قال تعالى (فاعلم أنه لاإله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وفي الحديث فان الشيطان يقول أهلكت بنى آدم بالذنوب وأهلكونى بالاستغفار وبلاإله الا الله فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولذلك كان الدعاء المفرج للكرب محض التوحيد وهو لاإله الا الله العظيم الحليم لاإله الا هو رب العرش العظيم لاإله الا هو رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم وفي الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة أخي ذى النون مادعاها مكروب الا فرج الله كربه لاإله الا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فالتوحيد يدخل العبد على الله والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذى يحجب القلب عن الوصول اليه فاذا وصل القلب اليه زال عنه همه وغمه وحزنه واذا انقطع عنه حصرته الهموم والغموم والاحزان وأتته من كل طريق ودخلت عليه من كل باب فلذلك صدر هذا الدعاء المذهب للهم والغم والحزن بالاعتراف له بالعبودية حقا منه ومن آبائه ثم اتبع ذلك باعترافه بانه في قبضته وملكه وتحت تصرفه بكون ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء كما يقاد من أمسك بناصيته شديد القوى

لا يستطيع الا الانقياد له ثم اتبع ذلك باقراره له بنفاذ حكمه فيه وجريانه عليه شاء أم أبى واذا حكم فيه بحكم لم يستطع غيره برده أبدا وهذا اعتراف لربه بكمال القدرة عليه واعتراف من نفسه بغاية العجز والضعف فكأنه قال أنا عبد ضعيف مسكين يحكم فيه قوى قاهر غالب واذا حكم فيه بحكم مضى حكمه فيه ولا بد ثم اتبع ذلك باعترافه بأن كل حكم وكل قضية ينفذها فيه هذا الحاكم فهى عدل محض منه لاجور فيها ولا ظلم بوجه من الوجوه فقال ماض في حكمك عدل في قضائك وهذا يعم جميع أقضيته سبحانه في عبده قضائه السابق فيه قبل إيجاده وقضائه فيه المقارن لحياته وقضائه فيه بعد مماته وقضائه فيه يوم معاده ويتناول قضاءه فيه بالذنب وقضائه فيه بالجزاء عليه ومن لم يثلج صدره لهذا ويكون له كالعلم الضرورى لم يعرف ربه وكماله ونفسه وعينه ولا عدل في حكمه بل هو جهول ظلوم فلا علم ولا إنصاف وفي قوله ماض في حكمك عدل في قضاؤك رد على طائفتى القدرية والجبرية وان اعترفوا بذلك بالسنتهم فاصولهم تناقضه فان القدرية تنكر قدرته سبحانه على خلق مابه يهتدى العبد غير ماخلقه فيه وجبله عليه فليس عندهم لله حكم نافذ في عبده غير الحكم الشرعى بالامر والنهى ومعلوم أنه لايصح حمل الحديث على هذا الحكم فان العبد يطيعه تارة ويعصيه تارة بخلاف الحكم الكونى القدرى فانه ماض في العبد ولا بد(١) قائمة بكلماته التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر ثم قوله بعد ذلك عدل في قضاءك دليل على ان الله سبحانه عادل في كل مايفعله بعبده من قضائه كله خيره وشره حلوه ومره فعله وجزائه فدل الحديث على الايمان بالقدر والايمان بان الله عادل فيما قضاه فالاول التوحيد والثانى العدل وعند القدرية النفاة لو كان حكمه فيه ماضيا لكان ظالما له باضلاله وعقوبته أما القدرية الجبرية فعندهم الظلم لاحقيقة له بل هو الممتنع لذاته الذى لايدخل تحت القدرة فلا يقدر الرب تعالى عندهم على مايسمى ظلما حتى يقال ترك الظلم وفعل العدل فعلى قولهم لافائدة في قوله عدل في قضاءك بل هو بمنزلة أن يقال نافذ في قضاءك ولا بد وهو معنى قوله ماض في حكمك فيكون تكريرا لافائدة فيه وعلى قولهم فلا يكون ممدوحا بترك الظلم إذ لايمدح بترك المستحيل لذاته ولا فائدة في قوله انى حرمت الظلم على نفسى أو يظن معناه انى حرمت على نفسى مالا يدخل تحت قدرتى وهو المستحيلات ولا فائدة في قوله (فلا يخاف ظلما ولا هضما) فان كل أحد لايخاف من المستحيل لذاته أن يقع ولا فائده في قوله (وما الله يريد ظلما للعباد) ولا في قوله (وما أنا بظلام للعبيد) فنفوذ حكمه في عباده بملكه وعدله فيهم بحمده وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ونظير هذا قوله سبحانه حكاية عن نبيه هود أنه قال (انى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم) فقوله مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها مثل قوله ناصيتى بيدك ماض في حكمك وقوله ان ربى على صراط مستقيم مثل قوله عدل في قضائك أى لايتصرف في تلك النواصى الا بالعدل والحكمة والمصلحة والرحمة لايظلم أصحابها ولا يعاقبهم بما لم يعلموه ولا يهضمهم حسنات ماعملوه فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله وفعله يقول الحق ويفعل الخير والرشد وقد أخبر سبحانه أنه على الصراط المستقيم في سورة هود وفي سورة النحل فاخبر في هود أنه على صراط مستقيم في تصرفه في النواصى التى هى في قبضته وتحت يده وأخبر في النحل انه يأمر بالعدل ويفعله وقد زعمت الجبرية ان العدل هو المقدور وزعمت القدرية

(١) هكذا بالأصل

أن العدل اخراج أفعال الملائكة والجن والانس عن قدرته وخلقه وأخطأ الطائفتان جميعاً في ذلك والصواب ان العدل وضع الاشياء في مواضعها التى تليق بها وانزالها منازلها كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد تسمى سبحانه بالحكم العدل والقدرية تنكر حقيقة اسم الحكم وترده الى الحكم الشرعى الدينى وتزعم أنها تثبت حقيقة العدل والعدل عندهم انكار القدر ومع هذا فينسبونه الى غاية الظلم فانهم يقولون أنه يخلد في العذاب الاليم من أفنى عمره في طاعته ثم فعل كبيرة ومات عليها فان قيل فالقضاء بالجزاء عدل إذ هو عقوبة على الذنب فيكون القضاء بالذنب عدلا على أصول أهل السنة وهذا السؤال لايلزم القدرية ولا الجبرية أما القدرية فعندهم أنه لم يقض المعصية وأما الجبرية فعندهم أن كل مقدور عدل وانما يلزمكم أنتم هذا السؤال قيل نعم كل قضائه عدل في عبده فانه وضع له في موضعه الذى لايحسن في غيره فانه وضع العقوبة ووضع القضاء بسببها وموجبها في موضعه فانه سبحانه كما يجازى بالعقوبة فانه يعاقب بنفس قضاء الذنب فيكون حكمه بالذنب عقوبة على ذنب سابق فان الذنوب تكسب بعضها بعضا وذلك الذنب السابق عقوبة على غفلته عن ربه واعراضه عنه وتلك الغفلة والاعراض هى في أصل الجبلة والنشأة فمن أراد أن يكمله أقبل بقلبه اليه وجذبه اليه وألهمه رشده وألقى فيه أسباب الخير ومن لم يرد أن يكمله تركه وطبعه وخلى بينه وبين نفسه لانه لايصلح للتكميل وليس محله أهلا ولا قابلا لما وضع فيه من الخير وهاهنا انتهى علم العباد بالقدر وأما كونه تعالى جعل هذا يصلح وأعطاه مايصلح له وهذا لايصلح فمنعه مالايصلح له فذلك موجب ربوبيته وإلاهيته وعلمه وحكمته فانه سبحانه خالق الاشياء وأضدادها وهذا مقتضى كماله وظهور أسمائه وصفاته كما تقدم تقريره والمقصود أنه أعدل العادلين في قضائه بالسبب وقضائه بالمسبب فما قضى في عبده بقضاء الا وهو واقع في محله الذى لايليق به غيره إذ هو الحكم العدل الغنى الحميد

﴿ فصل ﴾ وقوله أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان كانت الرواية محفوظة هكذا ففيها إشكال فانه جعل ماأنزله في كتابه أو علمه أحدا من خلقه أو ستأثر به في علم الغيب عنده قسما لما سمى به نفسه ومعلوم ان هذا تقسيم وتفصيل لما سمى به نفسه فوجه الكلام أن يقال سميت به نفسك فانزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك فان هذه الاقسام الثلاثة تفصيل لما سمى به نفسه وجواب هذا الاشكال ان أو حرف عطف والمعطوف بها اخص مما قبله فيكون من باب عطف الخاص على العام فان ماسمى به نفسه يتناول جميع الانواع المذكورة بعده فيكون عطف كل جملة منها من باب عطف الخاص على العام فان قيل المعهود من عطف الخاص على العام أن يكون بالواو دون سائر حروف العطف قيل المسوغ لذلك في الواو وهو تخصيص المعطوف بالذكر لمرتبته من بين الجنس واختصاصه بخاصة غيره منه حتى كأنه غيره أو ارادتين لذكره مرتين باسمه الخاص وباللفظ العام وهذا لافرق فيه بين العطف بالواو أو بأو مع ان في العطف بأو على العام فائدة أخرى وهى بناء الكلام على التقسيم والتنويع كما بنى عليه تاما فيقال سميت به نفسك فاما أنزلته في كتابك وإما علمته احدا من خلقك وقد دل الحديث على ان أسماء الله غير مخلوقة بل

هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه ولهذا لم يقل بكل اسم خلقته لنفسك ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها فان الله يقسم عليه بشيء من خلقه فالحديث صريح في ان أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم وأيضا فان أسمائه مشتقة من صفاته وصفاته قديمة به فاسماؤها غير مخلوقة فان قيل فالاسم عندكم هو المسمى أو غيره قيل طالما غلط الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى فاذا قلت قال الله كذا واستوى الله على عرشه وسمع الله ورأى وخلق فهذا المراد به المسمى نفسه واذا قلت الله اسم عربي والرحمن اسم عربي والرحمان من أسماء الله والرحمان وزنه فعلان والرحمن مشتق من الرحمة ونحو ذلك فالاسم ههنا للمسمى ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الاجمال فان أريد بالمغايرة ان اللفظ غير المعنى فحق وان أريد ان الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه إسما أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والالحاد فقوله في الحديث سميت به نفسك ولم يقل خلقته لنفسك ولا قال سماك به خلقك دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه كما سمى نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقة باسمائه وقوله أو استأثرت به في علم الغيب عندك دليل على ان أسمائه أكثر من تسعة وتسعين وان له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره وعلى هذا فقوله ان لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة لا ينفي أن يكون له غيرها والكلام جملة واحدة أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة كما يقال لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة وله مائة فرس أعدها للجهاد وهذا قول الجمهور وخالفهم ابن حزم فزعم أن أسمائه تنحصر في هذا العدد وقد دل الحديث على ان التوسل اليه سبحانه باسمائه وصفاته أحب اليه وأنفع للعبد من التوسل اليه بمخلوقاته وكذلك سائر الاحاديث كما في حديث الاسم الاعظم اللهم اني أسألك بان لك الحمد لا إله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم وفي الحديث الآخر أسألك باني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وفي الحديث الآخر اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق وكلها أحاديث صحاح رواها ابن حبان والامام أحمد والحاكم وهذا تحقيق لقوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقوله أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري يجمع أصلين الحياة والنور فان الربيع هو المطر الذي يحيي الارض فينبت الربيع فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته ان يجعل كتابه الذي جعله روحا للعالمين ونورا وحياة لقلبه بمنزلة الماء الذي يحيي به الارض ونورا له بمنزلة الشمس التي تستنير بها الارض والحياة والنور جماع الخير كله قال تعالى (ومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) فاخبر انه روح تحصل به الحياة ونور تحصل به الهداية فاتباعه لهم الحياة والهداية ومخالفوه لهم الموت والضلال وقد ضرب سبحانه المثل لاوليائه وأعدائه بهذين الاصلين في أول سورة البقرة وفي وسط سورة النور وفي سورة الرعد وهما المثل المائي والمثل الناري وقوله وجلاء حزني وذهاب همي وغمي إن جلاء هذا يتضمن ازالة المؤذي الضار وذلك يتضمن تحصيل النافع السار فتضمن

الحديث طلب أصول الخير كله ودفع الشر وبالله التوفيق

الباب الثامن والعشرون

في احكام الرضا بالقضاء، واختلاف الناس

فى ذلك وتحقيق القول فيه

هذا الباب من تمام الايمان بالقضاء والقدر وقد تنازع الناس فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين وهما وجهان لاصحاب أحمد فمنهم من أوجبه واحتج على وجوبه بانه من لوازم الرضا بالله ربا وذلك واجب واحتج باثر اسرائيلى من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليتخذ له ربا سواى ومنهم من قال هو مستحب غير واجب فان الايجاب يستلزم دليلا شرعيا ولا دليل يدل على الوجوب وهذا القول أرجح فان الرضا من مقامات الاحسان التى هى من أعلى المندوبات وقد غلط في هذا الاصل طائفتان أقبح غلط فقالت القدرية النفاة الرضا بالقضاء طاعة وقربة والرضا بالمعاصى لايجوز فليست بقضائه وقدره وقالت غلاة الجبرية الذين طووا بساط الامر والنهى المعاصى بقضاء الله وقدره والرضاء بالقضاء قربة وطاعة فنحن نرضى بها ولا نسخطها واختلفت طرق أهل الاثبات في جواب الطائفتين فاجابهم طائفة بأن لها وجهين وجها يرضى بها منه وهو اضافتها الى الله سبحانه خلقا ومشيئة ووجه يسخط منه وهو اضافتها الى العبد فعلا واكتسابا وهذا جواب جيد لو وفوا به فان الكسب الذى أثبته كثير منهم لاحقيقة له إذهو عندهم مقارنة الفعل للارادة والقدرة إيجاد به من غير أن يكون لهما تأثير بوجه ما وقد تقدم الكلام في ذلك بمافيه كفاية وأجابهم طائفة أخرى بأنا نرضى بالقضاء الذى هو فعل الرب ونسخط المقضى الذى هو فعل العبد وهذا جواب جيد لولم يعودوا عليه بالنقض وبالابطال فانهم قالوا الفعل غير المفعول فالقضاء عندهم نفس المقضى فلو قال الاولون بان للكسب تأثيرا في ايجاد الفعل وانه سبب لوجوده وقال الآخرون بان الفعل غير المفعول لاصابوا في الجواب وأجابتهم طائفة أخرى بان من القضاء مايؤمر بالرضا به ومنه ما ينهى عن الرضا به فالقضاء الذى يحبه الله ويرضاه نرضى به والذى يبغضه ويسخطه لانرضى به وهذا كما أن من المخلوقات ما يبغضه ويسخطه وهو خالقه كالاعيان المسخوطة له فهكذا الكلام في الافعال والاقوال سواء وهذا جواب جيد غير أنه يحتاج الى تمام فنقول الحكم والقضاء نوعان دينى وكونى فالدينى يجب الرضا به وهو من لوازم الاسلام والكونى منه مايجب الرضا به كالنعم التى يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها ومنه ما لايجوز الرضا به كالمعايب والذنوب التى يسخطها الله وان كانت بقضائه وقدره ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب وفي وجوبه قولان هذا كله في الرضا بالقضاء الذى هو المقضى وأما القضاء الذى هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابه وتقديره ومشيئته فالرضا به من تمام الرضا بالله ربا وإلها ومالكا ومدبرا فبهذا التفصيل يتبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسئلة العظيمة التى هى مفرق طرق بين الناس فان قيل فكيف يجتمع الرضاء بالقضاء بالمصائب مع شدة الكراهة والنفرة منها وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له وهو كاره له والالم يقتضى الكراهة والبغض المضاد للرضا

واجتماع

واجتماع الضدين محال قيل الشئ قد يكون محبوبا مرضيا من جهة ومكروها من جهة أخرى كشرب الدواء النافع الكريه فان المريض يرضى به مع شدة كراهته له وكصوم اليوم الشديد الحر فان الصائم يرضى به مع شدة كراهته له وكالجهاد للاعداء قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) فالمجاهد المخلص يعلم أن القتال خير له فرضى به وهو يكرهه لما فيه من التعرض لاتلاف النفس وألمها ومفارقة المحبوب ومتى قوى الرضا بالشئ وتمكن انقلبت كراهته محبة وان لم يخل من الالم فالالم بالشئ لاينافي الرضا به وكراهته من وجه لاينافي محبته وارادته والرضا به من وجه آخر فان قيل فهذا في حكم رضا العبد بقضاء الرب فهل يرضى سبحانه ماقضى به من الكفر والفسوق والعصيان بوجه من الوجوه قيل هذا الموضع أشكل من الذى قبله قال كثير من الاشعرية بل جمهورهم ومن اتبعهم أن الرضا والمحبة والارادة في حق الرب تعالى بمعنى واحد وأن كل ماشاءه واراده فقد أحبه ورضيه ثم أوردوا على أنفسهم هذا السؤال وأجابوا بانه لايمتنع أن يقال أنه يرضى بها ولكن لاعلى وجه التخصيص بل يقال يرضى بكل ماخلقه وقضاه وقدره ولانفرد من ذلك الامور المذمومة كما يقال هو رب كل شئ ولايقال رب كذا وكذا للاشياء الحقيرة الخسيسة وهذا تصريح منهم بانه راض بها في نفس الامر وانما امتنع الاطلاق أدبا واحتراما فقط فلما أورد عليهم قوله (ولايرضى لعباده الكفر) أجابوا عنه بجوابين أحدهما ممن لم يقع منه وأما من وقع منه فهو يرضاه إذ هو بمشيئته وارادته والثانى لايرضاه لهم دينا أى لايشرعه لهم ولايأمرهم به ويرضاه منهم كونا وعلى قولهم فيكون معنى الآية ولايرضى لعباده الكفر حيث لم يوجد منهم فلو وجد منهم أحبه ورضيه وهذا في البطلان والفساد كما تراه وقد أخبر سبحانه أنه لايرضى ما وجد من ذلك وان وقع بمشيئته كما قال تعالى (وهو معهم إذ يبيتون مالايرضى من القول) فهذا قول واقع بمشيئته وتقديره وقد أخبر سبحانه أنه لايرضاه وكذلك قوله سبحانه (والله لايحب الفساد) فهو سبحانه لايحبه كونا ولا دينا وان وقع بتقديره كما لايحب ابليس وجنوده وفرعون وحزبه وهو ربهم وخالقهم فمن جعل المحبة والرضا بمعنى الارادة والمشيئة لزمه أن يكون الله سبحانه محبا لابليس وجنوده وفرعون وهامان وقارون وجميع الكفار وكفرهم والظلمة وفعلهم وهذا كما أنه خلاف القرآن والسنة والاجماع المعلوم بالضرورة فهو خلاف ماعليه فطر العالمين التى لم تغير بالتواطى والتواصى بالاقوال الباطلة وقد أخبر سبحانه أنه يمقت أفعالا كثيرة ويكرهها ويبغضها ويسخطها فقال (ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) وقال (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) وقال (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون) وقال (ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم) ومحال حمل هذه الكراهة على غير الكراهة الدينية الامرية لأنه أمرهم بالجهاد وقال (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) فاخبر أنه يكره ويبغض ويمقت ويسخط ويعادى ويذم ويلعن ومحال أنه يحب ذلك ويرضى به وهو سبحانه يكره ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضا به بل لايليق ذلك بعبده فانه نقص وعيب في المخلوق أن يحب الفساد والشر والظلم والبغى والكفر ويرضاه فكيف يجوز نسبة ذلك الى الله تبارك وتعالى وهذا الاصل من أعظم ما غلط فيه كثير من مثبتى القدر وغلطهم فيه يوازن غلط النفاة في إنكار القدر أوهو أقبح منه وبه تسلط عليهم النفاة وتمادوا على قبح قولهم وأعظموا الشناعة

عليهم به فهؤلاء قالوا يحب الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغى والفساد وأولئك قالوا لايدخل تحت مشيئته وقدرته وخلقه وأولئك قالوا لايكون في ملكه الامايحبه ويرضاه وهؤلاء قالوا يكون في ملكه مالايشاء ويشاء مالايكون فسبحان الله وتعالى عما يقول الفريقان علوا كبيرا والحمد لله الذى هدانا لما أرسل به رسوله وأنزل به كتابه وفطر عليه عباده وبرأنا من بدع هؤلاء وهؤلاء فله الحمد والمنة والفضل والنعمة والثناء الحسن ونسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا مضلات البدع والفتن

الباب التاسع والعشرون

في انقسام القضاء والحكم والارادة والكتابة والامر والاذن والجعل والكلمات والبعث والارسال والتحريم والانشاء الى كونى متعلق بخلقه والى دينى متعلق بأمره وما يحقق ذلك من ازالة اللبس والاشكال

هذا الباب متصل بالباب الذى قبله وكل منهما يقرر لصاحبه فما كان من كونى فهو متعلق بربوبيته وخلقه وما كان من الدينى فهو متعلق بالاهيته وشرعه وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر فالخلق قضاؤه وقدره وفعله والأمر شرعه ودينه فهو الذى خلق وشرع وأمر وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولاخروج لاحد عن حكمه الكونى القدرى وأما حكمه الدينى الشرعى فيعصيه الفجار والفساق والأمران غير متلازمين فقد يقضى ويقدر مالايأمر به ولاشرعه وقد يشرع ويأمر بما لايقضيه ولايقدره ويجتمع الامران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم وينتفى الامران عما لم يقع من المعاصى والفسق والكفر وينفرد القضاء الدينى والحكم الشرعى في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور وينفرد الحكم الكونى فيما وقع من المعاصى اذا عرف ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان كونى قدرى كقوله (فلما قضينا عليه الموت) وقوله (وقضى بينهم بالحق) وشرعى دينى كقوله (وقضى ربك ألاتعبدوا الاإياه) أى أمر وشرع ولوكان قضاء كونيا لما عبد غير الله والحكم أيضا نوعان فالكونى كقوله (قل رب احكم بالحق) أى افعل ماتنصر به عبادك وتخذل به أعداءك والدينى كقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) وقوله (ان الله يحكم ما يريد) وقد يرد بالمعنيين معا كقوله (ولايشرك في حكمه أحدا) فهذا يتناول حكمه الكونى وحكمه الشرعى والارادة أيضا نوعان فالكونية كقوله تعالى (فعال لما يريد) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية) وقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) والدينية كقوله (يريد بكم اليسر ولايريد بكم العسر) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) فلو كانت هذه الارادة كونية لما حصل العسر لاحد منا ولووقعت التوبة من جميع المكلفين وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسئلة الامر والارادة هل هما متلازمان أم لا فقالت القدرية الامر يستلزم الارادة واحتجوا بحجج لاتندفع وقالت المثبتة الامر لايستلزم الارادة واحتجوا بحجج لاتندفع والصواب أن الامر يستلزم الارادة الدينية ولا يستلزم الارادة الكونية فانه لايأمر الابما يريده شرعا ودينا وقد يأمر بما لايريده كونا وقدرا كايمان

من أمره ولم يوفقه للايمان مراد له دينا لا كونا وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يرده كونا وقدرا وأمر رسوله بخمسين صلاة ولم يرد ذلك كونا وقدرا وبين هذين الامرين وأمر من لم يؤمن بالايمان فرق فانه سبحانه لم يحب من ابراهيم ذبح ولده وانما أحب منه عزمه على الامتثال وأن يوطن نفسه عليه وكذلك أمره محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بخمسين صلاة وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالايمان فانه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به وبرسله ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره ووفقه له وخذل بعضهم فلم يعنه ولم يوفقه فلم تحصل مصلحة الامر منهم وحصلت من الامر بالذبح

﴿فصل﴾ وأما الكتابة فالكونية كقوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) وقوله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون) وقوله (كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) والشرعية الامرية كقوله (كتب عليكم الصيام) وقوله (حرمت عليكم أمهاتكم) الى قوله (كتاب الله عليكم) وقوله (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) فالاولى كتابة بمعنى القدر والثانية كتابة بمعنى الامر

﴿فصل﴾ والامر الكونى كقوله (إنما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) وقوله (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) وقوله (وكان أمر الله مفعولا) وقوله (وكان أمرا مقضيا) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فهذا أمر تقدير كونى لا أمر دينى شرعى فان الله لا يأمر بالفحشاء والمعنى قضينا ذلك وقدرناه وقالت طائفة بل هو أمر دينى والمعنى أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا والقول الأول أرجح لوجوه * أحدها أن الاضمار على خلاف الاصل فلا يصار اليه الا اذا لم يمكن تصحيح الكلام بدونه * الثانى أن ذلك يستلزم اضمارين أحدهما أمرناهم بطاعتنا الثانى فخالفونا أو عصونا ونحو ذلك * الثالث أن ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه كقولك أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب لا يفهم المخاطب غير هذا * الرابع أنه سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره المذكور ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح ان يكون سبب الهلاك بل هو سبب للنجاة والفوز فان قيل أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك قيل هذا يبطل بالوجه * الخامس وهو أن هذا الامر لا يختص بالمترفين بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المترفين وغيرهم فلا يصح تخصيص الامر بالطاعة بالمترفين يوضحه * الوجه السادس ان الامر لو كان بالطاعة لكان هو نفس ارسال رسله اليهم ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال ارسلنا رسلنا الى مترفيها ففسقوا فيها فان الارسال لو كان الى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل الينا * السابع أن ارادة الله سبحانه لاهلاك القرية انما يكون بعد ارسال الرسل اليهم وتكذيبهم والا فقبل ذلك هو لا يريد اهلاكهم لانهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة اليهم قال تعالى (وما كان الله ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) فاذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد اهلاكها فامر رؤسائها ومترفيها أمرا كونيا قدريا لا شرعيا دينيا بالفسق في القرية فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم فحينئذ جاءها أمر الله وحق عليها قوله بالاهلاك والمقصود ذكر الامر الكونى والدينى ومن الدينى قوله (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وهو كثير

﴿فصل﴾ وأما الاذن الكونى فكقوله تعالى (وماهم بضارين به من أحد الاباذن الله) أى بمشيئته وقدره وأما الدينى فكقوله (ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) اى بامره ورضاه وقوله (قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماوحلالا قل آلله اذن لكم أم على الله تفترون) وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)

﴿فصل﴾ وأما الجعل الكونى فكقوله (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) وقوله (ويجعل الرجس على الذين لايعقلون) وقوله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) وهو كثير وأما الجعل الدينى فكقوله (ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام) أى ما شرع ذلك ولاأمر به والافهو مخلوق له واقع بقدره ومشيئته وأما قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) فهذا يتناول الجعلين فانها جعلها كذلك بقدره وشرعه وليس هذا استعمالا للمشترك في معنييه بل اطلاق اللفظ وارادة القدر المشترك بين معنييه فتأمله

﴿فصل﴾ وأما الكلمات الكونية فكقوله (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون) وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولافاجر من شر ماخلق فهذه كلماته الكونية التى يخلق بها ويكون ولو كانت الكلمات الدينية هى التى يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار وأما الدينى فكقوله (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) والمراد به القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم في النساء واستحللتم فروجهن بكلمة الله أى باباحته ودينه وقوله (فانكحوا ماطاب لكم من النساء) وقد اجتمع النوعان في قوله (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) فكتبه كلماته التى يأمر بها وينهى ويحل ويحرم وكلماته التى يخلق بها ويكون فاخبر أنها ليست جهمية تنكر كلمات دينه وكلمات تكوينه وتجعلها خلقا من جملة مخلوقاته

﴿فصل﴾ وأما البعث الكونى فكقوله (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) وقوله (فبعث الله غرابا يبحث في الارض) وأما البعث الدينى فكقوله (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم) وقوله (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)

﴿فصل﴾ وأما الارسال الكونى فكقوله (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا) وقوله (وهو الذى أرسل الرياح) وأما الدينى فكقوله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) وقوله (إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعو رسولا)

﴿فصل﴾ وأما التحريم الكونى فكقوله (وحرمنا عليه المراضع من قبل) وقوله (قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة) وقوله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون) وأما التحريم الدينى فكقوله (حرمت عليكم أمهاتكم • وحرمت عليكم الميتة • وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما • وأحل الله البيع وحرم الربا)

﴿فصل﴾ وأما الايتاء الكونى فكقوله (والله يؤتى ملكه من يشاء) وقوله (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) وقوله (وآتيناهم ملكا عظيما) وأما الايتاء الدينى فكقوله (وما آتاكم

الرسول فخذوه) وقوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) وأما قوله (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) فهذا يتناول النوعين فانه يؤتيها من يشاء أمرا ودينا وتوفيقا وإلهاما

(فصل) وانبياؤه ورسله واتباعهم حظهم من هذه الامور الدينى منها وأعداؤه واقفون مع القدر الكونى فحيث ما مال القدر مالوا معه فدينهم دين القدر ودين ارسل واتباعهم دين الأمر فهم يدينون بامره ويؤمنون بقدره وخصماء الله يعصون أمره ويحتجون بقدره لايقولون نحن واقفون مع مراد الله نعم مع مراده الدينى أوالكونى ولاينفعكم وقوفكم مع المراد الكونى ولايكون ذلكم عذرا لكم عنده اذ لو عذر بذلك لم يذم أحدا من خلقه ولم يعاقبه ولم يكن في خلقه عاص ولا كافر ومن زعم ذلك فقد كفر بالله وكتبه كلها وجميع رسله وبالله التوفيق

الباب الموفي ثلاثين

فى ذكر الفطرة الاولى ومعناها واختلاف الناس فى المراد بها وانها لاتنافى القضاء والقدر بالشقاوة والضلال

قال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين) وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما ينتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ثم قرأ أبو هريرة فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله وفي لفظ آخر مامن مولود الايولد على هذه الملة وقد اختلف في معنى هذه الفطرة والمراد بها فقال القاضى أبو يعلى في معنى الفطرة هاهنا روايتان عن أحمد احداهما الاقرار بمعرفة الله تعالى وهو العهد الذى أخذه الله عليهم في أصلاب آبائهم حتى مسح ظهر آدم فاخرج من ذريته الى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى فليس أحد الاوهو يقر بأن له صانعا ومدبرا وان سماه بغير اسمه قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) فكل مولود يولد على ذلك الاقرار الأول قال وليس الفطرة هنا الاسلام لوجهين أحدهما أن معنى الفطرة ابتداء الخلقة ومنه قوله تعالى (فاطر السموات والارض) أى مبتدئها واذ كانت الفطرة هى الابتداء وجب أن تكون تلك هى التى وقعت لأول الخليقة وجرت في فطرة المعقول وهو استخراجهم ذرية لأن تلك حالة ابتدائهم ولانها لو كانت الفطرة هنا الاسلام لوجب اذا ولد بين أبوين كافرين أن لايرثهما ولايرثانه مادام طفلا لانه مسلم واختلاف الدين يمنع الارث ولوجب أن لايصح استرقاقه ولايحكم باسلامه باسلام أبيه لانه مسلم قال وهذا تأويل ابن قتيبة وذكره ابن بطة في الابانة قال وليس كل من تثبت له المعرفة حكم باسلامه كالبالغين من الكفار فان المعرفة حاصلة وليسوا بمسلمين قال وقد أومأ أحمد الى هذا التأويل وفي رواية الميمونى

فقال الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها فقال له الميمونى الفطرة الدين قال نعم قال القاضي وأراد أحمد بالدين المعرفة التى ذكرناها قال والرواية الثانية الفطرة هنا ابتداء خلقه في بطن أمه لأن حمله على العهد الذى أخذه عليهم وهو الاقرار بمعرفته حمل للفطرة على الاسلام لأن الاقرار بالمعرفة اقرار بالايمان والمؤمن مسلم ولوكانت الفطرة الاسلام لوجب اذا ولد بين أبوين كافرين أن لايرثاه ولايرثهما قال ولأن ذلك يمنع أن يكون الكفر خلقا لله وأصول أهل السنة بخلافه قال وقد أومأ أحمد الى هذا في رواية على بن سعيد وقد سأله عن قوله كل مولود يولد على الفطرة فقال على الشقاوة والسعادة ولذلك نقل محمد بن يحيى الكحال انه سأله فقال هى التى فطر الناس عليها شقي أوسعيد وكذلك نقل حنبل عنه قال الفطرة التى فطر الله عليها العباد من الشقاوة والسعادة قال وهذا كله يدل من كلامه على أن المراد بالفطرة هٰهنا ابتداء خلقه في بطن أمه قال شيخنا أبوالعباس ابن تيمية أحمد لم يذكر العهد الأول وانما قال الفطرة الاولى التى فطر الناس عليها وهى الدين وقال في غير موضع ان الكافر اذا مات أبواه أواحدهما حكم باسلامه واستدل بهذا الحديث فدل على أنه فسر الحديث بأنه يولد على فطرة الاسلام كما جاء ذلك مصرحا به في الحديث ولولم تكن الفطرة عنده الاسلام لما صح استدلاله بالحديث وقوله في موضع آخر يولد على مافطر عليه من شقاوة وسعادة لاينافي ذلك فان الله سبحانه قدر السعادة والشقاوة وكتبهما وقدر أنها تكون بالاسباب التى تحصل بها كفعل الابوين فتهويد الابوين وتنصيرهما وتمجيسهما هو مما قدره الله انه يفعل بالمولود والمولود ولد على الفطرة سليما وولد على أن هذه الفطرة السليمة يغيرها الابوان كما قدر سبحانه ذلك وكتبه كما مثل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء فبين أن البهيمة تولد سليمة ثم يجدعها الناس وذلك بقضاء الله وقدره فكذلك المولود يولد على الفطرة سليما ثم يفسده أبواه وذلك أيضا بقضاء الله وقدره وانما قال أحمد وغيره من الائمة على مافطر عليه من شقاوة أوسعادة لان القدرية يحتجون بهذا الحديث على أن الكفر والمعاصى ليس بقضاء الله وقدره بل مما ابتدأ الناس إحداثه ولهذا قالوا لمالك بن أنس أن القدرية يحتجون علينا بأول الحديث فقال احتجوا عليهم بآخره وهو قوله الله أعلم بما كانوا عاملين فبين الامام أحمد وغيره أنه لاحجة فيه للقدرية فانهم لايقولون ان نفس الابوين خلقا تهويده وتنصيره بل هو تهود وتنصر باختياره ولكن كانا سببا في حصول ذلك بالتعليم والتلقين فاذا أضيف اليهما هذا الاعتبار فلأن يضاف الى الله الذى هو خالق كل شئ بطريق الأولى لأنه سبحانه وان كان خلقه مولودا على الفطرة سليما فقد قدر عليه ماسيكون بعد ذلك من تغييره وعلم ذلك كما في الحديث الصحيح ان الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو بلغ لارهق أبويه طغيانا وكفرا فقوله طبع يوم طبع أى قدر وقضى في الكتاب أنه يكفر لاان كفره كان موجودا قبل أن يولد ولا في حال ولادته فانه مولود على الفطرة السليمة وعلى أنه بعد ذلك يتغير ويكفر ومن ظن أن الطبع على قلبه وهو الطبع المذكور على قلب الكفار فهو غالط فان ذلك لايقال فيه طبع يوم طبع اذ كان الطبع على قلبه انما يوجد بعد كفره وقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى انه قال خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا وهذا

صريح في أنه خلقهم على الحنيفيه وان الشياطين اختالتهم بعد ذلك وكذلك في حديث الاسود بن سريع الذى رواه أحمد وغيره قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فافضى بهم القتل الى الذرية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما حملكم على قتل الذرية قالوا يارسول الله اليسوا أولاد المشركين قال أوليس خياركم أولاد المشركين ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال الا أن كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فخطبته لهم بهذا الحديث عقيب نهيه لهم عن قتل أولاد المشركين وقوله لهم أوليس خياركم أولاد المشركين نص أنه أرادبهم ولدوا غير كفار ثم الكفر طرأ بعد ذلك ولو أراد أن المولود حين يولد يكون إما مسلما وإما كافرا على ما سبق له به القدر لم يكن فيما ذكر حجة على ما قصد من نهيه عن قتل أولاد المشركين وقد ظن بعضهم أن معنى قوله أوليس خياركم أولاد المشركين أنه قد يكون في علم الله أنهم لو بقوا لامنوا فيكون النهى راجعا الى هذا المعنى من التجويز وليس هذا معنى الحديث لكن معناه أن خياركم هم السابقون الاولون وهؤلاء من أولاد المشركين فان آباءهم كانوا كفارا ثم ان البنين أسلموا بعد ذلك فلا يضر الطفل أن يكون من أولاد المشركين اذا كان مؤمنا فان الله انما يجزيه بعمله لا بعمل أبويه وهو سبحانه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي

(فصل) وهذا الحديث قد روي بالفاظ تفسر بعضها بعضا ففى الصحيحين واللفظ للبخارى عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما ينتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم قالوا يارسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيح قال الزهرى نصلى على مولود يتوفي وان كان ٣ من أجل انه ولد على فطرة الاسلام اذا استهل صارخا ولا نصلى على من لم يستهل من أجل أنه سقط فان أباهريرة كان يحدث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبوهريرة فطرة الله التى فطر الناس عليها وفي الصحيحين من رواية الاعمش ما من مولود الا وهو على الملة وفي رواية ابن معاوية عنه الا على هذه الملة حتى يعرب عنه لسانه فهذا صريح بأنه يولد على ملة الاسلام كما فسره ابن شهاب راوى الحديث واستشهاد أبى هريرة بالآية يدل على ذلك قال ابن عبد البر وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزى أن يعتقه وهو رضيع قال نعم لانه ولد على الفطرة وقال أبو عمر وقد ذكر النزاع في تفسير الحديث وقال آخرون الفطرة هاهنا الاسلام قالوا وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل قد أجمعوا في تأويل قول الله عزوجل (فطرة الله التى فطر الناس عليها) قالوا فطرة الله دين الله الاسلام واحتجوا بقول أبى هريرة في هذا الحديث اقرؤا ان شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وابراهيم والضحاك وقتادة في قوله عزوجل (فطرة الله التى فطر الناس عليها) قالوا فطرة الله دين الله الاسلام لاتبديل لخلق الله قالوا لدين الله واحتجوا بحديث محمد بن اسحاق عن ثور بن يزيد عن يحيي بن جابر عن عبد الرحمن بن عابد الازدى عن عياض بن حماد المجاشعى أن رسول الله

٣ هنا بياض بالاصل ولعله (من أولاد المشركين) أو ماهنا معناه

صلى الله عليه وسلم قال للناس يوما الا أحدثكم بما حدثني الله في الكتاب ان الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين وأعطاهم المال حلالا لا حرام فيه فجعلوا ما أعطاهم الله حراما وحلالا الحديث قال وكذلك روى بكر بن مهاجر عن ثور بن يزيد باسناده مثله في هذا الحديث حنفاء مسلمين قال أبو عمر روى هذا الحديث قتادة عن مطرف بن عبد الله عن عياض ولم يسمعه قتادة من مطرف ولكن قال حدثني ثلاثة عقبة بن عبد الغافر ويزيد بن عبد الله بن الشخير والعلاء بن زياد كلهم يقول حدثني مطرف عن عياض عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم لم يقل مسلمين وكذلك رواه الحسن عن مطرف ورواه ابن اسحاق عمن لا يتهم عن قتادة باسناده قال فيه وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم ولم يقل مسلمين قال فدل هذا على حفظ محمد بن اسحاق واتقانه وضبطه لأنه ذكر مسلمين في روايته عن ثور بن يزيد لهذا الحديث واسقطه من رواية قتادة وقصر فيه عن قوله مسلمين وزاده ثور باسناده فالله أعلم قال والحنيف في كلام العرب المستقيم المخلص ولا استقامة أكثر من الاسلام قال وقد روى عن الحسن الحنيفية حج البيت وهذا يدل أنه أراد الاسلام وكذلك روى عن الضحاك والسدى قال حنفاء حجاجا وعن مجاهد حنفاء متبعين قال وهذا كله يدل على ان الحنيفية الاسلام قال وقال اكثر العلماء الحنيف المخلص وقال الله عز وجل (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) وقال تعالى (ملة ابراهيم حنيفا مسلما) وقال (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) وقال الشاعر وهو الراعى

أخليفة الرحمن إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله في اموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا

قال فهذا وصف الحنيفية بالاسلام وهو أمر واضح لاخفاء به قال ومما احتج به من ذهب في هذا الحديث الى أن الفطرة فى هذا الحديث الاسلام قوله صلى الله عليه وسلم خمس من الفطرة ويروى عشر من الفطرة قال شيخنا والدلائل على ذلك كثيرة ولو لم يكن المراد بالفطرة الاسلام لما سألوا عقيب ذلك ارأيت من يموت من اطفال المشركين لأنه لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سألوه والعلم القديم وما يجرى مجراه لا يتغير وقوله فابواه يهودانه بين فيه أنهم يغيرون الفطرة التى فطر عليها وأيضا فانه شبه ذلك بالبهيمة التى تولد مجتمعة الخلق لا نقص فيها ثم تجدع بعد ذلك فعلم أن التغيير وارد على الفطرة السليمة التى ولد العبد عليها وأيضا فان الحديث مطابق للقرآن كقوله (فطرة الله التى فطر الناس عليها) وهذا يعم جميع الناس فعلم ان الله سبحانه فطر الناس كلهم على فطرته المذكورة وأيضا فانه أضاف الفطرة اليه اضافة مدح لا اضافة ذم فعلم انها فطرة محمودة لا مذمومة كدين الله وبيته وناقته وأيضا فانه قال فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها وأيضا فان هذا تفسير السلف قال ابن جرير يقول فسدد وجهك نحو الوجه الذى وجهك الله يا محمد بطاعته وهى الدين حنيفا يقول مستقيما لدينه وطاعته فطرة الله يقول صنعة الله التى خلق الناس عليها ونصب فطرة على المصدر معنى قوله فاقم وجهك للدين حنيفا لأن المعنى فطر الله الناس على ذلك فطرة قال ونحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ثم روى عن ابن زيد قال فطرة الله التى فطر الناس عليها قال الاسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعا يقرون بذلك وعن مجاهد فطرة الله قال

الدين الاسلام ثم روى عن يزيد بن أبى مريم قال عمر لمعاذ بن جبل فقال ما قوام هذه الامة قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص وهو الفطرة فطرة الله التى فطر الناس عليها والصلاة وهى الملة والطاعة وهى العصمة فقال عمر صدقت وقوله لاتبديل لخلق الله يقول لاتغيير لدين الله أى لايصلح ذلك ولاينبغى أن يفعل قال ابن أبى نجيح عن مجاهد لاتبديل لخلق الله أى لدين الله ثم ذكر ان مجاهدا أرسل الى عكرمة يسأله عن قوله لاتبديل لخلق الله قال هو الخصا فقال مجاهد اخطأ لاتبديل لخلق الله انما هو الدين ثم قال لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وروى عن عكرمة لاتبديل لخلق الله قال لدين الله وهو قول سعيد بن جبير والضحاك وابراهيم النخعى وابن زيد وعن ابن عباس وعكرمة ومجاهد هو الخصا ولا منافاة بين القولين كما قال تعالى (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) فتغيير ما فطر الله عباده من الدين تغيير لخلقه والخصا وقطع آذان الانعام تغيير لخلقه أيضا ولهذا شبه النبى صلى الله عليه وسلم أحدهما بالآخر فاولئك يغيرون الشريعة وهؤلاء يغيرون الخلقة فذلك يغير ما خلقت عليه نفسه وروحه وهذا يغير ما خلق عليه بدنه

﴿فصل﴾ ولما صار القدرية يحتجون بهذا الحديث على قولهم صار الناس يتأولونه على تأويلات يخرجونه بها عن مقتضاه فقالت القدرية كل مولود يولد على الاسلام والله سبحانه لايضل أحدا وانما أبواه يضلانه قال لهم أهل السنة أنتم لاتقولون باول الحديث ولابآخره اما أوله فانه لم يولد أحد عندكم على الاسلام أصلا ولاجعل الله أحدا مسلما ولا كافرا عندكم وهذا أحدث لنفسه الكفر وهذا أحدث لنفسه الاسلام والله لم يخلق واحدا منهما ولكن دعاهما الى الاسلام وأزاح عللهما وأعطاهما قدرة مماثلة فيهما يصلح للضدين ولم يخص المؤمن بسبب يقتضى حصول الايمان فان ذلك عندكم غير مقدور له ولو كان مقدورا لكان منع الكافر منه ظلما هذا قول عامة القدرية وان كان أبو الحسين يقول انه خص المؤمن بداعى الايمان ويقول عند الداعى والقدرة يجب وجود الايمان وهذا في الحقيقة موافق لقول أهل السنة قالوا فانتم قلتم ان معرفة الله لاتحصل الابالنظر المشروط بالعقل ويستحيل أن تكون المعرفة عندكم ضرورة أو تكون من فعل الله وأما كونكم لاتقولون بآخره فهو انه ينسب فيه التهويد والتنصير الى الابوين وعندكم أن المولود هو الذى أحدث لنفسه التهويد والتنصير دون الابوين والابوان لاقدرة لهما على ذلك البتة وأيضا فقوله الله أعلم بما كانوا عاملين دليل على ان الله يعلم ما يصيرون اليه بعد ولادتهم على الفطرة هل يبقون عليها فيكونون مؤمنين أو يغيرون فيصيرون كفارا فهو دليل على تقدم العلم الذى ينكره غلاة القدرية واتفق السلف على تكفيرهم بانكاره فالذى استدللتم به من الحديث على قولكم الباطل وهو قوله فابواه يهودانه وينصرانه لاحجة لكم بل هو حجة عليكم فغير الله لايقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد بل المراد بالحديث دعوة الابوين الى ذلك وتربيتهما له وتربيتهما على ذلك مما يفعله المعلم والمربى وخص الابوين بالذكر على الغالب انه جعل أبوان والافقد يقع من أحدهما أو من غيرهما

﴿فصل﴾ قال أبو عمر بن عبد البر اختلف العلماء في الفطرة المذكورة في هذا الحديث اختلافا كثيرا وكذلك اختلفوا في الاطفال وحكمهم في الدنيا والآخرة فسئل عنه ابن المبارك فقال تفسيره آخر

الحديث وهو قوله الله اعلم بما كانوا عاملين هكذا ذكر ابو عبيد عن ابن المبارك لم يزد شيأ وذكر انه سأل محمد بن الحسن عن تأويل هذا الحديث فقال كان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر الناس بالجهاد هذا ما ذكره أبوعبيدة قال ابو عمر أما ماذكره عن ابن المبارك فقد روى عن مالك نحو ذلك وليس فيه مقنع من التأويل ولاشرح موعب في أمر الاطفال ولكنها تؤدى الى الوقوف عن القطع فيهم بكفر وايمان أوجنة ونار مالم يبلغوا العمل قال واما ما ذكره عن محمد ابن الحسن فاظن محمدا حاد عن الجواب فيه اما لاشكاله واما لجهله به اولما شاء الله واما قوله ان ذلك كان من النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يؤمر الناس بالجهاد فلاادرى ماهذا فان كان اراد ان ذلك منسوخ فغير جائز عند العلماء دخول النسخ في اخبار الله ورسوله اذ المخبر بشيء كان اويكون اذا رجع عن ذلك لم يخل رجوعه من تكذيبه لنفسه اوغلطه فيما اخبر به اونسيانه وقد جل الله عن ذلك وعصم رسوله منه وهذا لايجهله ولايخالف فيه احد وقول محمد بن الحسن ان هذا كان قبل ان يؤمر الناس بالجهاد ليس كما قال ان في حديث الاسود بن سريع ما يتبين ان ذلك كان منه بعد الامر بالجهاد ثم روى باسناده عن الحسن عن الاسود بن سريع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام بلغوا في القتل حتى قتلوا الولدان فقال رجل اوليس انماهم اولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس خياركم اولاد المشركين انه ليس من مولود يولد الاعلى الفطرة حتى يعبر عنه لسانه ويهوده ابواه اوينصرانه قال وروى هذا الحديث عن الحسن جماعة منهم أبوبكر المزنى والعلاء بن زياد والسرى بن يحيى وقد روى عن الاحنف عن الاسود بن سريع قال وهو حديث بصرى صحيح قال وروى عوف الاعرابى عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فناداه الناس يارسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين قال شيخنا اما ما ذكره ابو عمر عن مالك وابن المبارك فيمكن أن يقال ان المقصود ان آخر الحديث يبين ان الاول قد سبق في علم الله يعملون اذا بلغوا أو ان منهم من يؤمن فيدخل الجنة ومنهم من يكفر فيدخل النار فلا يحتج بقوله كل مولود يولد على الفطرة على نفي القدر كما احتجت القدرية به وعلى ان أطفال الكفار كلهم في الجنة لكونهم ولدوا على الفطرة فيكون مقصود مالك وابن المبارك ان حكم الاطفال على مافي آخر الحديث وأما قول محمد فانه رأي الشريعة قد استقرت على ان ولد اليهودى والنصرانى يتبع أبويه في الدين في أحكام الدنيا فيحكم له بحكم الكفر في أنه لايصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولايرثه المسلمون ويجوز استرقاقهم فلم يجز لاحد ان يحتج بهذا الحديث على ان حكم الاطفال في الدنيا حكم المؤمنين حتى تعرب عنهم ألسنتهم وهذا حق ولكن ظن أن الحديث اقتضى الحكم لهم في الدنيا باحكام المؤمنين فقال هذا منسوخ كان قبل الجهاد لانه بالجهاد أبيح استرقاق النساء والاطفال والمؤمن لايسترق ولكن كون الطفل يتبع أباه في الدين في الاحكام الدنيوية أمر مازال مشروعا ومازال الاطفال تبعا لابويهم في الامور الدنيوية والحديث لم يقصد بيان هذه الاحكام وانما قصد بيان ماولد عليه الاطفال من الفطرة

﴿ فصل ﴾ ومما ينبغى أن يعلم انه اذا قيل انه ولد على الفطرة أو على الاسلام أو على هذه

الملة

الملة أو خلق حنيفا فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده فان الله يقول (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا) ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الاسلام لقروبه ومحبته فنفس الفطرة تستلزم الاقرار بخالقه ومحبته واخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شئ بحسب كمال الفطرة اذا سلمت من المعارض وليس المراد أيضا مجرد قبول الفطرة لذلك فان هذا القبول تغير بتهويد الابوين وتنصيرهما بحيث يخرجان الفطرة عن قبولها وان سعيا بين بنيهما ودعائهما في امتناع حصول المقبول وأيضا فان هذا القبول ليس هو الاسلام وليس هو هذه الملة وليس هو الحنيفية وأيضا فانه شبه تغيير الفطرة بجدع البهيمة الجمعاء ومعلوم انهم لم يغيروا قبوله ولو تغير القبول وزال لم تقم عليه الحجة بارسال الرسل وانزال الكتب بل المراد ان كل مولود فانه يولد على محبته لفاطره واقراره له بربوبيته وادعائه له بالعبودية فلو خلى وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك الى غيره كما أنه يولد على محبة مايلائم بدنه من الاغذية والاشربة فيشتهى اللبن الذى يناسبه ويغذيه وهذا من قوله تعالى (ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) وقوله (الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) فهو سبحانه خلق الحيوان مهتديا الى جلب ماينفعه ودفع مايضره ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئا فشيئا بحسب حاجته ثم قد يعرض لكثير من الابدان مايفسد ماولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة فهكذا ماولد عليه من الفطرة ولهذا شبهت الفطرة باللبن بل كانت اياه في التأويل للرؤيا ولما عرض على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء اللبن والخمر أخذ اللبن فقيل له أخذت الفطرة ولو أخذت الخمر لغوت أمتك فمناسبة اللبن لبدنه وصلاحه عليه دون غيره لمناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها

﴿ فصل ﴾ قال ابن عبد البر وقالت طائفة المراد بالفطرة في هذا الحديث الخلقة التى خلق عليها المولود من المعرفة بربه فكأنه قال كل مولود يولد على خلقه يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة يريد انه خلق خلقة مخالفة لخلقة البهائم التى لاتصل بخلقها الى معرفة ربها قالوا والفاطر هو الخالق وأنكرت أن يكون المولود يفطر على ايمان أو كفر قال شيخنا صاحب هذا القول ان أراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها فهذا ضعيف فان مجرد القدرة على ذلك لايقتضى أن يكون حنيفا ولا أن يكون على الملة ولا يحتاج أن يذكر تغيير أبويه لفطرته حين يسئل عمن مات صغيرا ولأن القدرة في الكبير أكمل منها في الصغير وهو لما نهاهم عن قتل الصبيان فقالوا انهم أولاد المشركين قال أو ليس خياركم أولاد المشركين مامن مولود الا ويولد على الفطرة ولو أريد القدرة لكان البالغون كذلك مع كونهم مشركين مستوجبين للقتل وان أراد بالفطرة القدرة على المعرفة مع ارادتها فالقدرة الكاملة مع الارادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور فدل على انهم فطروا على القدرة على المعرفة وارادتها وذلك مستلزم للايمان

﴿ فصل ﴾ قال أبو عمر وقال آخرون معنى قوله يولد على الفطرة يعنى البداءة التى ابتدأهم عليها يريد انه مولود على مافطر الله عليه خلقته من انه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء الى مايصيرون اليه عند البلوغ من قبولهم غير ايمانهم واعتقادهم قالوا والفطرة في كلام العرب البداءة والفاطر المبتدى وكأنه قال يولد على ما ابتدأه الله عليه من الشقاء والسعادة وغير ذلك مما يصير اليه

وقد فطر عليه واحتجوا بقوله تعالى (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة) وروى باسناده الى ابن عباس قال لم أدر مافاطر السموات والارض حتى أتانا اعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما انا فطرتها أى ابتدأتها وذكر دعاء على اللهم جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها قال شيخنا حقيقة هذا القول ان كل مولود فانه يولد على ماسبق في علم الله انه صائر اليه ومعلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم مولودة على ماسبق في علم الله لها والاشجار مخلوقة على ماسبق في علم الله وحينئذ فيكون كل مخلوق قد خلق على الفطرة وأيضا فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله فابواه يهودانه معنى فانهما فعلا به ماهو الفطرة التى ولد عليها وعلى هذا القول فلا فرق بين التهويد والتنصير وبين تلقى الاسلام وتعليمه وبين تعلم سائر الحرف والصنائع فان ذلك كله واحد فيما سبق به العلم وأيضا فتمثيله ذلك بالبهيمة التى ولدت جمعاء ثم جدعت تبين ان أبويه غيرا ما ولد عليه وأيضا فقوله على هذه الملة وقوله انى خلقت عبادى حنفاء مخالف لهذا وأيضا فلا فرق بين حال الولادة وسائر أحوال الانسان فانه من حين كان جنينا الى مالا نهاية له من أحواله على ماسبق في علم الله فتخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بلا مخصص وقد ثبت في الصحيح انه قيل حين نفخ الروح فيه يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أوسعيد فلو قيل كل مولود ينفخ فيه الروح على الفطرة لكان أشبه بهذا المعنى مع ان النفخ هو بعد الكتابة

﴿ فصل ﴾ قال أبو عمر قال محمد بن نصر المروزى وهذا المذهب شبيه بما حكاه أبو عبيد عن ابن المبارك انه سئل عن هذا الحديث فقال يفسره قوله الله أعلم بما كانوا عاملين قال المروزى وقد كان أحمد بن حنبل يذهب الى هذا القول ثم تركه قال أبو عمر وما رسمه مالك في موطاه وذكر في أبواب القدر فيه من الآثار مايدل على ان مذهبه في ذلك نحو هذا قال شيخنا أئمة السنة مقصودهم ان الخلق صائرون الى ماسبق في علم الله فيهم من ايمان وكفر كما في الحديث الآخر ان الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا والطبع الكتاب اى كتب كافرا كما في الحديث الصحيح فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد وليس اذا كان الله كتبه كافرا يقتضى انه حين الولادة كافر بل يقتضى انه لابد أن يكفر وذلك الكفر هو التغيير كما أن البهيمة التى ولدت جمعاء وقد سبق في علمه انها تجدع كتب انها مجدوعة بجدع يحدث لها بعد الولادة ولا يجب أن تكون عند الولادة مجدوعة

﴿ فصل ﴾ وكلام أحمد في اجوبة له أخرى يدل على ان الفطرة عنده الاسلام كما ذكر محمد ابن نصر عنه انه آخر قوليه فانه كان يقول ان صبيان أهل الحرب اذا سبوا بدون الابوين كانوا مسلمين وان كانوا معهما فهم على دينهما فان سبوا مع أحدهما ففيه عنه روايتان وكان يحتج بالحديث قال الخلال في الجامع أنبأنا أبو بكر المروزى انبأنا عبد الله قال سبى أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا صغارا وان كانوا مع أحد الابوين وكان يحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه قال وأما أهل الثغر فيقولون اذا كان مع أبويه انهم يجبرونه على الاسلام قال ونحن لانذهب الى هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه قال الخلال أنبأنا عبد الملك الميمونى قال سألت أبا عبد الله قبل الحبس عن الصغير يخرج من أرض الروم وليس معه أبواه فقال ان مات صلى عليه المسلمون قلت يكره على الاسلام قال اذا كانوا صغارا يصلون عليهم أكره عليه قلت فان كان

معه أبواه قال اذا كان معه أبواه أو أحدهما لم يكره ودينه على دين أبويه قلت الى أى شئ يذهب الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه قال نعم وعمر بن عبد العزيز فادى به فلم يرده الى بلاد الروم الا وحكمه حكمهم قلت في الحديث كان معه أبواه قال لا وليس ينبغي الا أن يكون معه أبواه قال الخلال ماروواه الميموني قول أول لابى عبد الله ولذلك نقل اسحاق بن منصور ان أبا عبد الله قال اذا لم يكن معه أبواه فهو مسلم قلت لايجبرونه على الاسلام اذا كان معه أبواه أو أحدهما قال نعم قال الخلال وقد روى هذه المسئلة عن أبى عبد الله خلق كلهم قال اذا كان مع أحد أبويه فهو مسلم وهؤلاء النفر سمعوا من أبى عبد الله بعد الحبس وبعضهم قبل وبعد والذى أذهب اليه ماروواه الجماعة قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزى قال قلت لابى عبد الله انى كنت بواسط فسألونى عن الذى يموت هو وامرأته ويدعا طفلين ولهما عم ماتقول فيهما فانهم قد كتبوا الى البصرة فيها فقال أكره أن أقول فيها برأى دع حتى أنظر لعل فيهما عمن تقدم فلما كان بعد شهر عاودته قال نظرت فيها فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قال فابواه يهودانه وينصرانه وهذا ليس له أبوان قلت يجبر على الاسلام قال نعم هؤلاء مسلمون لقول النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك نقل يعقوب بن سحبان قال قال أبو عبد الله اذا مات الذمى أبواه وهو صغير أجبر على الاسلام وذكر الحديث فابواه يهودانه وينصرانه ونقل عنه عبد الكريم بن الهيثم العاقولى في المجوسيين يولد لهما ولد فيقولان هذا مسلم فيمكث خمس سنين ثم يتوفى قال ذاك يدفنه المسلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه وقال عبد الله بن أحمد سألت أبى عن قوم يزوجون بناتهم من قوم على انه ماكان من ذكر فهو للرجل مسلم وماكان من أنثى فهى مشركة يهودية أو مجوسية أو نصرانية فقال يجبر هؤلاء من أبا منهم على الاسلام لأن أباهم مسلما لحديث النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه يردون كلهم الى الاسلام ومثل هذا كثير في أجوبته يحتج بالحديث على انما يصير كافرا بابويه فاذا لم يكن مع أبوين كافرين فهو مسلم فلو لم تكن الفطرة الاسلام لم يكن بعدم أبويه يصير مسلما فان الحديث انما دل على انه يولد على الفطرة ونقل عنه الميمونى ان الفطرة هى الدين وهى الفطرة الاولى قال الخلال أخبرنى الميمونى انه قال لابى عبد الله كل مولود يولد على الفطرة يدخل عليه اذا كان أبواه يعنى أن يكون حكمه حكم ماكانوا صغارا فقال لى نعم ولكن يدخل عليك في هذا فتناظرنا بما يدخل على من هذا القول وبما يكون فقوله قلت لابى عبد الله فما تقول انت فيها والى اى شئ تذهب قال اقول انا مادرى اخبرك هى مسلمة كما ترى ثم قال لى والذى يقول كل مولود يولد على الفطرة ينظر أيضا الى الفطرة الاولى التى فطر الناس عليها قلت له فما الفطرة الاولى أهى الدين قال نعم فمن الناس من يحتج بالفطرة الاولى مع قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة قلت لابى عبدالله فما تقول لاعرف قولك قال اقول انه على الفطرة الاولى قال شيخنا فجواب احمد انه على الفطرة الاولى وقوله انها الدين يوافق القول بانه على دين الاسلام

﴿ فصل ﴾ واما جواب احمد انه على مافطر من شقاوة وسعادة الذى ذكر محمد بن نصر انه كان يقول به ثم تركه فقال الخلال اخبرنى محمد بن يحيي الكحال انه قال لابى عبد الله كل

مولود يولد على الفطرة ماتفسيرها قال هى الفطرة التى فطر الله الناس عليها شقى أوسعيد وكذلك نقل عنه الفضل بن زياد وحبيل وابو الحارث انهم سمعوا ابا عبد الله في هذه المسئلة قال الفطرة التى فطر الله العباد عليها من الشقاوة والسعادة وكذلك نقل عنه على بن سعيد انه سأل ابا عبد الله عن كل مولود يولد على الفطرة قال الشقاوة والسعادة قال يرجع الى ماخلق وعن الحسن بن بواب قال سألت اباعبد الله عن اولاد المشركين قلت ان ابن ابى شيبة ابا بكر قال هو على الفطرة حتى يهوداه ابواه أو ينصرانه فلم يعجبه شئ من هذا القول وقال كل مولود من اطفال المشركين على الفطرة يولد على الفطرة التى خلق عليها من الشقاء والسعادة التى سبقت في ام الكتاب ارفع ذلك الى الاصل هذا معنى كل مولود يولد على الفطرة فمن اصحابه من قال هذا قولا قديما له ثم تركه ومنهم من جعل المسئلة على روايتين واطلق ومنهم من حكى عنه فيها ثلاث روايات الثالثة الوقف

(فصل) قال شيخنا والاجماع والآثار المنقولة عن السلف لاتدل الا على القول الذى رجحناه وهو انهم على الفطرة ثم صاروا الى ماسبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة لايدل على انهم حين الولادة لم يكونوا على فطرة سليمة مقتضية للايمان ومستلزمة له لولا العارض وروى ابن عبد البر باسناده عن موسى بن عبيدة سمعت محمد بن كعب القرظى في قوله (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) قال من ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره الى الهدى وان عمل بعمل اهل الضلالة ومن ابتدأ خلقه للضلالة صيره الى الضلالة وان عمل بعمل اهل الهدى ابتدأ خلق ابليس على الضلالة وعمل بعمل اهل السعادة مع الملائكة ثم رده الله الى ماابتداء خلقه عليه من الضلالة فقال وكان من الكافرين وابتدأ خلق السحرة على الهدى وعملوا بعمل اهل الضلالة ثم هداهم الله الى الهدى والسعادة وتوفاهم عليها مسلمين فهذا المنقول عن محمد بن كعب يبين ان الذى ابتدأهم عليه هو ماكتب انهم صائرون اليه وانهم قد يعملون قبل ذلك غيره وان من ابتدئ على الضلالة اي كتب ان يموت ضالا فقد يكون قبل ذلك عاملا بعمل اهل الهدى وحينئذ فمن ولد على الفطرة السليمة المقتضية للهدى لايمتنع ان يعرض لها مايغيرها فيصير الى ماسبق به القدر كما في الحديث الصحيح ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة وقال سعيد بن جبير في قوله كما بدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون وقال مجاهد كما بدأكم تعودون شقى وسعيد وقال أيضا يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا وقال أبو العالية عادوا الى علمه فيهم فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قلت هذا المعنى صحيح في نفسه دل عليه القرآن والسنة والآثار السلفية واجماع أهل السنة وأما كونه هو المراد بالآية ففيه ما فيه والذى يظهر من الآية ان معناها معنى نظرائها وأمثالها من الآيات التى يحتج الله سبحانه فيها على النشأة الثانية بالاولى وعلى المعاد بالمبدأ فجاء باحتجاج في غاية الاختصار والبيان فقال كما بدأكم تعودون كقوله (ياأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقنا كم من تراب) وقوله (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) الآية وقوله (أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى) الى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) وقوله

(فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر) أى على رجع الانسان حيا بعد موته هذا هو الصواب في معنى الآية يبقى أن يقال فكيف يرتبط هذا بقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلال فيقال هذا الذى أوجب لاصحاب ذلك القول ما تأولوا به الآية ومن تأمل الآية علم أن القول أولى بها ووجه الارتباط ان الآية تضمنت قواعد الدين علما وعملا واعتقادا فامر سبحانه فيها بالقسط هو الذى هو حقيقة شرعه ودينه وهو يتضمن التوحيد فانه أعدل العدل والعدل في معاملة الخلق والعدل في العبادة وهو الاقتصاد في السنة ويتضمن الامر بالاقبال على الله واقامة عبوديته في ثبوته ويتضمن الاخلاص له وهو عبوديته وحده لاشريك له فهذا ما فيها من العمل ثم أخبر بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق واعادته فذلك الايمان بالمبدأ والمعاد ثم اخبر عن القدر الذى هو نظام التوحيد فقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فتضمنت الآية الايمان بالقدر والشرع والمبدأ والمعاد والامر بالعدل والاخلاص ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ولم يطع هذا الامر بانه قدوا للشيطان دون ربه وانه على ضلال وهو يحسب انه على هدى والله أعلم

﴿فصل﴾ وقال آخرون يعنى قوله كل مولود يولد على الفطرة ان الله فطرهم على الانكار والمعرفة وعلى الكفر والايمان فاخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال الست بربكم قالوا جميعا بلى فاما اهل السعادة فقالوا بلى على معرفة له طوعا من قلوبهم واما اهل الشقاء فقالوا بلى كرها غير طوع قالوا ويصدق ذلك قوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) قالوا وكذلك قوله (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) قال محمد بن نصر المروزى سمعت اسحاق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى واحتج بقول ابى هريرة اقرأوا ان شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله قال الحق نقول لاتبديل للخلقة التى جبل عليها ولد آدم كلهم يعنى من الكفر والايمان والمعرفة والانكار واحتج بقوله تعالى (واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) الآية قال اسحاق أجمع أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد واستنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال انظروا ان لاتقولوا انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وذكر حديث أبى بن كعب في قصة الغلام الذى قتله الخضر قال وكان الظاهر ما قال موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس فاعلم الله الخضر ما كان الغلام عليه من الفطرة التى فطره عليها وانه لاتبديل لخلق الله فامر بقتله لانه كان قد طبع كافرا وفي صحيح البخارى ان ابن عباس كان يقرأها وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين قال اسحاق فلو ترك النبى صلى الله عليه وسلم الناس ولم يبين لهم حكم الاطفال لم يعرفوا المؤمنين منهم من الكافرين لانهم لايدرون ما جبل كل واحد عليه حتى اخرج من ظهر آدم فبين النبى صلى الله عليه وسلم حكم الاطفال في الدنيا بأن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه يقول انتم لاتعلمون ما طبع عليه في الفطرة الاولى لكن حكم الطفل في الدنيا حكم أبويه فاعرفوا ذلك بالابوين فمن كان صغيرا بين أبوين مسلمين الحق بحكم الاسلام وأما ايمان ذلك وكفره مما يصير اليه فعلم ذلك الى الله وبعلم ذلك فضل الله الخضر في علمه هذا على موسى اذ أطلعه الله عليه في ذلك الغلام وخصه بذلك قال ولقد سئل ابن عباس عن ولدان

لمسلمين والمشركين فقال حسبك مااختصم فيه موسى والخضر قال اسحاق الاترى الى قول عائشة حين مات صبى من الانصار بين أبوين مسلمين طوبى له عصفور من عصافير الجنة فرد عليها النبي صلى الله عليه وسلم وقال مه ياعائشة ومايدريك ان الله خلق الجنة وخلق لهاأهلا وخلق النار وخلق لها أهلا قال اسحاق فهذا الاصل الذى يعتمد عليه أهل العلم وسئل حماد بن سلمة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فقال هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم قال ابن قتيبة يريد حين مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذريته الى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال شيخنا أصل مقصود الأئمة صحيح وهو منع احتجاج القدرية بهذا الحديث على نفى القدر لكن لايحتاج مع ذلك ان يفسر القرآن والحديث الابما هو مراد الله ورسوله ويجب أن يتبع في ذلك مادل عليه الدليل وما ذكروه ان الله فطرهم على الكفر والايمان والمعرفة والنكرة ان أرادوا به ان الله سبق في علمه وقدره بانهم سيؤمنون ويكفرون ويعرفون وينكرون وان ذلك كان بمشيئة الله وقدره وخلقه فهذا حق ترده القدرية فغلاتهم ينكرون العلم وجميعهم ينكرون عموم خلقه ومشيئته وقدرته وان أرادوا ان هذه المعرفة والنكرة كانت موجودة حين أخذ الميثاق كما في ظاهر المنقول عن اسحاق فهذا يتضمن شيئين أحدهما انهم حينئذ كانت المعرفة والايمان موجودا فيهم كما قال ذلك طوائف من السلف وهو الذى حكى اسحاق الاجماع عليه وفي تفسير الآية نزاع بين الأئمة وكذلك في خلق الارواح قبل الاجساد قولان معروفان لكن المقصود هنا ان هذا ان كان حقا فهو توكيد لكونهم ولدوا على تلك المعرفة والاقرار فهذا لايخالف مادلت عليه الاحاديث من أنه يولد على الملة وان الله خلق خلقه حنفاء بل هو مؤيد لذلك وأما قول القائل انهم في ذلك الاقرار انقسموا الى مطيع وكافر فهذا لم ينقل عن أحد من السلف فيما أعلم الاعن السدى في تفسيره قال لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى ومسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا ابالى ذلك قوله وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فليس أحد من ولد آدم الاوهو يعرف الله بانه ربه وذلك قوله عز وجل (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) وكذلك قوله (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) يعنى يوم أخذ الميثاق قال شيخنا وقيل هذا الاثر لايوثق به فان في تفسير السدى أشياء قد عرف بطلان بعضها وهو ثقة في نفسه وأحسن أحوال هذا وأمثاله أن يكون كالمراسيل ان كان مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وسلم فكيف اذا كان مأخوذا عن اهل الكتاب ولولم يكن في هذا الامعارضة لسائر الآثار التى تتضمن التسوية بين جميع الناس في الاقرار لكفى واماقوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) فانما هو في الاسلام الموجود منهم بعد خلقهم لم يقل انهم حين العهد الاول اسلموا طوعا وكرها يدل على ذلك ان ذلك الاقرار الاول جعله الله عليهم حجة على من ينسه ولوكان فيهم كاره لقال لم أقر طوعا بل كرها فلايقوم به عليه حجة واما احتجاج احمد بقول ابى هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التى

فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله فهذه الآية فيها قولان احدهما ان معناها النهى كما تقدم عن ابن جرير انه فسرها فقال أى لاتبدلوا دين الله الذى فطر عليه عباده وهذا قول غير واحد من المفسرين لم يذكروا غيره والثانى ما قاله اسحاق وهو انها خبر على ظاهرها وان خلق الله لا يبدله أحد وظاهر اللفظ خبر فلا يجعل نهيا بغير حجة وهذا اصح وحينئذ فيكون المراد ان ما جبلهم عليه من الفطرة لايبدل فلايجبلون على غير الفطرة لايقع هذا أصلا والمعنى ان الخلق لايتبدل فيخلقون على غير الفطرة ولم يرد بذلك ان الفطرة لاتتغير بعد الخلق بل نفس الحديث يبين انها تتغير ولهذا شبهها بالبهيمة التى تولد جمعاء ثم تجدع ولاتولد بهيمة مخصية ولامجدوعة وقد قال تعالى عن الشيطان ولآمرنهم فليغيرن خلق الله فالله اقدر الخلق على ان يغيروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشيئته وانما تبديل الخلق بان يخلقوا على غير تلك الفطرة فهذا لايقدر عليه الاالله والله لايفعله كما قال لاتبديل لخلق الله ولم يقل لاتغيير فان تبديل الشئ يكون بذهابه وحصول بدله ولكن اذا غير بعد وجوده لم يكن الخلق الموجود عند الولادة واما قول القائل لاتبديل للخلقة التى جبل عليها بنو آدم كلهم من كفر وايمان فان عنى به ماسبق به القدر من الكفر والايمان لايقع خلافه فهذا حق ولكن ذلك لايقتضى ان تبديل الكفر بالايمان و بالعكس ممتنع ولاانه غير مقدور بل العبد قادر على ماامره الله به من الايمان وعلى ترك مانهاه عنه من الكفر وعلى أن يبدل حسناته بالسيئات وسيئاته بالحسنات كما قال الله الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء وهذا التبديل كله بقضاء الله وقدره وهذا بخلاف ما فطروا عليه حين الولادة فان ذلك خلق الله الذى لايقدر على تبديله غيره وهو سبحانه لايبدله بخلاف تبديل الكفر بالايمان وبالعكس فانه يبدله كثيرا والعبد قادر على تبديله باقدار الرب له على ذلك ومما يوضح ذلك قوله تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله) فهذه فطرة محمودة أمر الله بها نبيه فكيف تنقسم الى كفر وايمان مع امر الله تعالى بها وقد تقدم تفسير السلف لاتبديل لخلق الله اى لدين الله أوالنهى عن الخصاونحوه ولم يقل أحد منهم ان المعنى لاتبديل لاحوال العباد من كفر الى ايمان وعكسه فان تبديل ذلك موجود ومهما وقع كان هو الذى سبق به القدر والرب تعالى عالم بما سيكون لايقع خلاف معلومه فاذا وقع التبديل كان هو الذى علمه وأما قوله عن الغلام انه طبع يوم طبع كافرا فالمراد به انه كتب كذلك وقدر وختم فهو من طبع الكتاب ولفظ الطبع لما صار يستعمله كثير من الناس في الطبيعة التى هى بمعنى الخلقة والجبلة ظن الظان ان هذا مراد الحديث وهذا الغلام الذى قتله الخضر ليس في القرآن مايبين انه كان غير بالغ ولا مكلف بل قراءة ابن عباس تدل على انه كان كافرا في الحال وتسميته غلاما لايمنع أن يكون مكلفا قريب العهد بالصغر ويدل عليه ان موسى لم ينكر قتله لصغره بل لكونه زاكيا ولم يقتل نفسا لكن يقال في الحديث الصحيح مايدل على انه كان غير بالغ من وجهين أحدهما انه قال فمر بصبى يلعب مع الصبيان الثانى انه قال ولو أدرك لارهق أبويه طغيانا وكفرا وهذا دليل على كونه لم يدرك بعد فيقال الكلام على الآية على التقديرين فان كان بالغا وقد كفر فقد قتل على كفره الواقع بعد البلوغ ولا اشكال وان كان غير بالغ فلعل تلك الشريعة كان فيها التكليف قبل الاحتلام عند قوة عقل الصبى وكمال تمييزه وان لم يكن التكليف قبل البلوغ بالشرائع واقعا فلا يمتنع وقوعه بالتوحيد ومعرفة الله كما قاله طوائف من

أهل الكلام والفقه من أصحاب أبى حنيفة وأحمد وغيرهم وعلى هذا فيمكن أن يكون مكلفا بالايمان قبل البلوغ وان لم يكن مكلفا بشرائعه وكفر الصبي المميز عند أكثر العلماء مؤاخذ به فاذا ارتد صار مرتدا لكن لايقتل حتى يبلغ فالغلام الذى قتله الخضر اما أن يكون كافرا بعد البلوغ فلا اشكال واما أن يكون غير بالغ وهو مكلف في تلك الشريعة فلا اشكال أيضا واما أن يكون مكلفا بالتوحيد والمعرفة غير مكلف بالشرائع فيجوز قتله في تلك الشريعة واما أن لايكون مكلفا فقتل لئلا يفتتن أبويه عن دينهما كما يقتل الصبى الكافر في ديننا اذا لم يندفع ضرره عن المسلمين الابالقتل واما قتل صبي لم يكفر بعد بين أبوين مؤمنين للعلم بانه اذا بلغ كفر وفتن أبويه فقد يقال ليس في القرآن ولافي السنة ما يدل عليه وأيضا فان الله لم يأمر أن يعاقب أحد بما يعلم أنه يكون منه قبل أن يكون منه ولاهو سبحانه يعاقب العباد على ما يعلم أنهم سيفعلونه حتى يفعلونه وقائل هذا القول يقول انه ليس في قصة الخضر شيء من الاطلاع على الغيب الذى لايعلمه عموم الناس وانما فيها علمه باسباب لم يكن علم بها موسى مثل علمه بان السفينة لمساكين يعملون وراءهم ملك ظالم وهذا أمر يعلمه غيره وكذلك كون الجدار كان لغلامين يتيمين وان اباهما كان رجلا صالحا وان تحته كنزا لهما مما يمكن أن يعلمه كثير من الناس وكذلك كفر الصبي مما يمكن أنه كان يعلمه كثير من الناس حتى أبواه لكن لحبهما له لاينكران عليه أو لايقبل منهما فان كان الامر على ذلك فليس في الآية حجة على قولهم أصلا وان ذلك الغلام لم يكفر بعد ولكن سبق في العلم انه اذا بلغ كفر فمن يقول هذا يقول ان قتله دفعا لشره كما قال نوح (رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الافاجرا كفارا) وعلى هذا فلم يكن قبل قيام الكفر به كافرا وقراءة ابن عباس وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين ظاهرة انه كان حينئذ كافرا فان قيل فهذا الغلام كان أبواه مؤمنين فلوكان مولودا على فطرة الاسلام وهو بين أبوين مسلمين لكان مسلما تبعا لهما وبحكم الفطرة فكيف يقتل والحالة هذه قيل ان كان بالغا فلا اشكال وان كان مميزا وقد كفر فيصح كفره وردته عند كثير من العلماء وأن لايقتل حتى يبلغ عندهم فلعل في تلك الشريعة يجوز قتل المميز الكافر وان كان صغيرا غير مميز فيكون قتله خاصا به لأن الله أطلع الخضر على أنه لو بلغ لاختار غير دين الابوين وعلى هذا يدل قول ابن عباس لنجدة وقد سأله عن قتل صبيان الكفار فقال لئن علمت فيهم ما علمه الخضر من الغلام فاقتلهم فان قيل اذا كان مولودا على الفطرة وأبواه مؤمنين فمن أين جاء الكفر قيل انما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك على الغالب والا فالكفر قد يأتيه من قبل غير أبويه فهذا الغلام ان كان كافرا في الحال فقد جاء الكفر من غير جهة أبويه وان كان المراد أنه اذا بلغ سيكفر باختياره فلااشكال

﴿فصل﴾ وأما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه أنه أراد به مجرد الالحاق في أحكام الدنيا دون أن يكون أراد انهما يغيران الفطرة فهذا خلاف مايدل عليه الحديث فانه شبه تكفير الاطفال بجدع البهائم تشبيها للتغيير بالتغيير وأيضا فانه ذكر هذا الحديث لما قتل أولاد المشركين فنهاهم عن قتلهم وقال أليس خياركم أولاد المشركين كل مولود يولد على الفطرة فلو أراد أنه تابع لابويه في الدنيا لكان هذا حجة لهم يقولون هم كفار كآبائهم وكون الصغير يتبع أبواه في أحكام الدنيا هو لضرورة بقائه في الدنيا فانه لابد له من مرب يربيه وانما يربيه أبواه فكان

تابعا لهما ضرورة ولهذا من سبى منفردا عنهما صار تابعا لسابيه عند جمهور العلماء كابى حنيفة والشافعى وأحمد والاوزاعى وغيرهم لكونه هو الذى يربيه واذا سبى منفردا عن أحدهما أو معهما ففيه نزاع بين العلماء واحتجاج الفقهاء كأحمد وغيره بهذا الحديث على أنه متى سبى منفردا عن أبويه يصير مسلما اذ يستلزم أن يكون المراد بتكفير الابوين لهما مجرد لحاقه لهما في الدين ولكن وجه الحجة أنه اذا ولد ولد على الملة فانما ينقله عنه الابوان اللذان يغيرانه عن الفطرة فمتى سباه المسلمين منفردا عنهما لم يكن هناك من يغير دينه وهو مولود على الملة الحنيفية فيصير مسلما بالمقتضى السالم عن المعارض ولو كان الابوان يجعلانه كافرا في نفس الامر بدون تعليم وتلقين لكان الصبى المسبى بمنزلة البالغ الكافر ومعلوم ان البالغ الكافر اذا سباه المسلمون لم يصر مسلما لانه صار كافرا حقيقة فلو كان الصبى التابع لابويه كافرا حقيقة لم ينتقل عن الكفر بالسباء فعلم أنه كان يجرى عليه حكم الكفر في الدنيا تبعا لابويه لأنه صار كافرا في نفس الأمر تبين ذلك أنه لو سباه كفار ولم يكن معه أبواه لم يصر مسلما فهو هنا كافر في حكم الدنيا وان لم يكن أبواه هوداه ونصراه فعلم ان المراد بالحديث ان الابوين يلقناه الكفر ويعلمانه اياه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم الابوين لانهما الاصل العام الغالب في تربية الاطفال فان كل طفل فلا بد له من أبوين وهما اللذان يربيانه مع بقائهما وقدرتهما ومما يبين ذلك قوله في الحديث الآخر كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاما شاكرا واما كفورا فجعله على الفطرة الى أن يعقل ويميز فحينئذ يتبين له أحد الأمرين ولو كان كافرا في الباطن بكفر الابوين لكان ذلك من حين يولد قبل أن يعرب عنه لسانه وكذلك قوله في الحديث الصحيح انى خلقت عبادى حنفاء فاجتالهم الشيطان وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا صريح في أنهم خلقوا على الحنيفية وان الشياطين اجتالتهم وحرمت عليهم الحلال وأمرتهم بالشرك فلو كان الطفل يصير كافرا في نفس الأمر من حين يولد لكونه يتبع أبويه في الدين قبل أن يعلمه أحد الكفر ويلقنه اياه لم تكن الشياطين هم الذين غيروهم عن الحنيفية وأمروهم بالشرك

(فصل) ومنشأ الاشتباه في هذه المسئلة اشتباه أحكام الكفر في الدنيا باحكام الكفر في الآخرة فان أولاد الكفار لما كان تجرى عليهم أحكام الكفر في الدنيا مثل ثبوت الولاية عليهم لآبائهم وحضانتهم لهم وتمكنهم من تعليمهم وتأديبهم والموازنة بينهم وبين نبيهم واسترقاقهم وغير ذلك صار يظن من يظن أنهم كفار في نفس الامر كالذى تكلم بالكفر وعمل به ومن هاهنا قال محمد بن الحسن ان هذا الحديث وهو قوله كل مولود يولد على الفطرة كان قبل أن تنزل الاحكام فاذا عرف أن كونهم ولدوا على الفطرة لاينافي أن يكونوا تبعا لآبائهم في احكام الدنيا وقد زالت الشبهة وقد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن يكتم ايمانه ولا يعلم المسلمون حاله فلا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن مع المشركين وهو في الآخرة من أهل الجنة كما أن المنافقين في الدنيا تجرى عليهم أحكام المسلمين وهم في الدرك الاسفل من النار فحكم الدار الآخرة غير حكم الدار الدنيا وقوله كل مولود يولد على الفطرة انما أراد به الاخبار

بالحقيقة التي خلقوا عليها وعلى الثواب والعقاب في الآخرة اذا عملوا بموجبها وسلمت عن المعارض ولم يرد به الاخبار باحكام الدنيا فانه قد علم بالاضطرار من شرع الرسول ان أولاد الكفار تبع لآبائهم في احكام الدنيا وان أولادهم لاينزعون منهم اذا كانوا ذمة فان كانوا محاربين استرقوا ولم يتنازع المسلمون في ذلك لكن تنازعوا في الطفل اذا مات أبواه أوحدهما هل يحكم باسلامه وعن أحمد في ذلك ثلاث روايات احداهن يحكم باسلامه بموت الابوين أواحدهما لقوله فابواه يهودانه وينصرانه وهذا ليس معه أبواه وهو على الفطرة وهى الاسلام لما تقدم فيكون مسلما والثانية لايحكم باسلامه بذلك وهـذا قول الجمهور قال شيخنا وهذا القول هو الصواب بل هو اجماع قديم من السلف والخلف بل هو ثابت بالسنة التي لاريب فيها فقد علم أن اهل الذمة كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ووادى القرى وخيبر ونجران واليمن وغير ذلك وكان فيهم من يموت وله ولد صغير ولم يحكم النبي صلى الله وسلم عليه باسـلام أهل الذمة ولاخلفاؤه وأهل الذمة كانوا في زمانهم طبق الارض بالشام ومصر والعراق وخراسان وفيهم من يتاماهم عدد كثير ولم يحكموا باسلام واحد منهم فان عقد الذمة اقتضى ان يتولى بعضهم بعضا فهم يتولون حضانة يتاماهم كما كان الابوان يتولون تربيتهم وأحمد يقول ان الذمى اذا مات ورثه ابنه الطفل مع قوله في احدى الروايات أنه يصير مسلما لأن اهل الذمة مازال أولادهم يرثوهم لأن الاسلام حصل مع استحقاق الارث لم يحصل قبله ونص على أنه اذا مات الذمى عن حمل منه لم يرثه للحكم باسلامه قبل وضعه وكذلك لوكان الحمل من غيره كما اذامات وخلف امرأة ابنه اواخيه حاملا فاسلمت أمه قبل وضعه لم يرثه لأنا حكمنا باسلامه من حين اسلمت أمه وكذلك هناك حكمنا باسـلامه من حين مات ا بوه وقد وافق الامام احمد الجمهور على ان الطفل اذا مات ابواه في دار الحرب لايحكم باسـلامه ولوكان موت الابوين يجعله مسلما بحكم الفطرة الاولى لم يفترق الحال بين دار الحرب ودار الاسلام لوجود المقتضى للاسلام وهو الفطرة وعدم المـانع وهو الابوان وقد التزم بعض اصحابه الحكم باسـلامه وهو باطل قطعا اذ من المعلوم بالضرورة ان اهـل الحرب فيهم من بلغ يتيما لغيره واحكام الكفار المحاربين جارية عليهم والرواية الثالثة ان كفله اهل دينه فهو باق على دين ابويه وان كفله المسلمون فهو مسـلم نص عليه في رواية يعقوب بن بجنان (١) كما ذكره الخلال في جامعه عنه قال سئل ابوعبد الله عن جارية نصرانية لقوم فولدت عنـدهم ثم ماتت مايكون الولد قال اذا كفله المسلمون ولم يكن له من يكفله الاهم فهم مسلمون قيل له فان مات بعد الام بقليل قال يدفنه المسلمون وقال في رواية ابى الحارث في جارية نصرانية لرجل مسلم لها زوج نصرانى فولدت عنده وماتت عند المسلم وبقى ولدها عنده مايكون حكم هذا الصبي قال اذا كفله المسلمون فهو مسلم وهذه الرواية ان لم يذكرها عامة الاصحاب وهى من جامع الخلال فهى اصح الاقوال في هذه المسئلة دليلا وهى التى نختارها وبها تجتمع الادلة فان الطفل يتبع مالكه وسابيه فكذلك يتبع كافله وحاضنه فانه لايستقل بنفسه بل لابد له ممن يتبعه ويكون معه فتبعيته لحاضنه وكافله أولى من جعله كافرا بكون أبويه كافرين وقد انقطعت تبعيته لهما بخلاف

(١) هكذا بالاصل وليحرر

ماذا

ما اذا كفله اهل دين الابوين فانهم يقومون مقامهما ولا اثر لفقد الابوين اذا كفله جده أوجدته اوغيرهما من اقاربه فهذا القول ارجح في النظر والله اعلم وليس المقصود ذكر هذه المسائل وما يصير به الطفل مسلما فانا قد استوفيناها في كتابنا في احكام اهل الملل بادلتها واختلاف العلماء من السلف والخلف فيها وذكر مأخذهم وانما المقصود ذكر الفطرة وانها هى الحنيفية وانها لاتنافي القدر السابق بالشقاوة والله اعلم

﴿فصل﴾ قال ابوعمر وقال آخرون في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر الفطرة هاهنا كفرا ولا ايمانا ولا معرفة ولا انكارا وانما أراد ان كل مولود يولد على السلامة خلقة وطبعا وبنية ليس معها كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار ثم يعتقد الكفر أوالايمان بعد البلوغ اذا ميز واحتجوا بقوله في الحديث كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعنى سالمة هل تحسون فيها من جدعاء يعنى مقطوعة الاذن فمثل قلوب بنى آدم بالبهائم لانها تولد كاملة الخلق لايتبين فيها نقصان ثم تقطع آذانها بعد وانوفها فيقال هذه السوائب وهذه البحائر يقول كذلك قلوب الاطفال في حين ولادتهم ليس لهم حينئذ كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار كالبهائم السالمة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر اكثرهم وعصم الله اقلهم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا على شئ من الكفر والايمان في اولية امرهم ماانتقلوا عنه ابدا فقد تجدهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون قالوا ويستحيل في العقول ان يكون الطفل في حال ولادته يفعل كفرا أوايمانا لأن الله اخرجهم من بطون امهاتهم لايعلمون شيأ فمن لم يعلم شيأ استحال منه كفر أو ايمان اومعرفة او انكار قال ابوعمر هذا القول اصح ماقيل في معنى الفطرة التى تولد الولدان عليها وذلك ان الفطرة السلامة والاستقامة بدليل قوله تعالى في حديث عياض بن حماد انى خلقت عبادى حنفاء يعنى على استقامة وسلامة وكأنه والله أعلم اراد الذين خلصوا من الآفات كلها والمعاصى والطاعات فلا طاعة منهم ولامعصية اذا لم يعملوا بواحدة منهما ومن الحجة أيضا في هذا قول الله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون * وكل نفس بما كسبت رهينة) ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرهن بشئ قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) قال شيخنا هذا القائل ان اراد بهذا القول انهم خلقوا خالين من المعرفة والانكار من غير أن تكون الفطرة تقتضى واحدا منهما بل يكون القلب كاللوح الذى يقبل كتابة الايمان والكفر وليس هو لاحدهما أقبل منه للآخر وهذا هو الذى يشعر به ظاهر الكلام فهذا قول فاسد لانه حينئذ لافرق بالنسبة الى الفطرة بين المعرفة والانكار والتهويد والتنصير والاسلام وانما ذلك بحسب الاسباب فكان ينبغى أن يقال فابواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما ذكر أن أبويه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم ان حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل عن حكم الكفر وأيضا فانه على هذا التقدير لايكون في القلب سلامة ولاعطب ولا استقامة ولازيغ اذ نسبته الى كل منهما نسبة واحدة وليس هو باحدهما باولى منه بالآخر كما ان اللوح قبل الكتابة لايثبت له حكم مدح ولاذم فما كان قابلا للمدح والذم على السواء لم يستحق مدحا ولاذما والله تعالى

يقول (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) فامره بلزوم فطرته التى فطر الناس عليها فكيف لاتكون ممدوحة وأيضا فان النبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه ماطرأ عليها من الكفر بجدع الانف والاذن ومعلوم ان كمالهما محمود ونقصهما مذموم فكيف تكون قبل النقص لامحمودة ولامذمومة

(فصل) وان كان المراد بهذا القول ما قاله طائفة من العلماء ان المراد أنهم ولدوا على الفطرة السليمة التى لو تركت مع صحتها لاختارت المعرفة على الانكار والايمان على الكفر ولكن بما عرض لها من الفساد خرجت عن هذه الفطرة فهذا القول قد يقال لايرد عليه ما يرد على القول الذى قبله فان صاحبه يقول في الفطرة قوة تميل بها الى المعرفة والايمان كما في البدن السليم قوة يحب بها الاغذية النافعة وبهذا كانت محمودة وذم من افسدها لكن يقال فهذه الفطرة التى فيها هذه القوة والقبول والاستعداد والصلاحية هل هى كافية في حصول المعرفة أوتقف المعرفة على أدلة من خارج فان كانت المعرفة تقف على أدلة من خارج أمكن أن يوجد تارة ويعدم أخرى ثم ذلك السبب يمتنع أن يكون موجبا للمعرفة بنفسه بل غايته أن يكون معرفا ومذكرا فعند ذلك ان وجب حصول المعرفة كانت واجبة الحصول عند وجود ذلك الاسباب والافلا وحينئذ فلايكون فيها الاقبول المعرفة والايمان وحينئذ فلافرق فيها بين الايمان والكفر والمعرفة والانكار انمافيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج وهذا هو القسم الاول الذى ابطلناه وبينا انه ليس في ذلك مدح للفطرة وأما ان كان فيها قوة تقتضى المعرفة بنفسها وان لم يوجد من يعلمها أدلة المعرفة فيها بدون مايسمعه من الادلة سواء قيل ان المعرفة ضرورية فيها أوقيل انها تحصل باسباب تنتظم في النفس وان لم يسمع كلام مستدل فان النفس قد يقوم بها من النظر والاستدلال مايحتاج معه الى كلام الناس فان كان كل مولود يولد على هذه الفطرة لزم أن يكون المقتضى للمعرفة حاصلا لكل مولود وهو المطلوب والمقتضى التام مستلزم مقتضاه فتبين أن احد الامرين لازم اما كون الفطرة مستلزمة للمعرفة وأما استواء الامرين بالنسبة اليها وذلك ينفى مدحها وتلخيص ذلك أن يقال المعرفة والايمان بالنسبة اليها ممكن بلاريب فاما أن تكون هى موجبة مستلزمة لذلك واما أن لاتكون مستلزمة له فلا يكون واجبا لها فان كان الثانى لم يكن فرق بين الكفر والايمان بالنسبة اليها أوكلاهما ممكن لها فثبت ان المعرفة لازمة لها الا ان يعارضها معارض فان قيل ليست موجبة مستلزمة للمعرفة ولكن هيء اليها الميل مع قبولها للنكرة قيل فحينئذ اذا لم تستلزم المعرفة وجدت تارة وعدمت تارة وهى وحدها لايحصلها فلا تحصل الابشخص آخر كالابوين فيكون الاسلام والتهويد والتنصير والتمجيس ومعلوم ان هذه أنواع بعضها ابعد عن الفطرة من بعض كالتمجيس فان لم تكن الفطرة مقتضية للاسلام صار نسبتها الى ذلك كنسبة التهويد والتنصير الى التمجيس فوجب أن يذكر كما ذكر ذلك ويكون هذا كمكون الفطرة لايقضى الرضاع الا بسبب منفصل وليس كذلك بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه فاذا مكن من الثدى وجدت الرضاعة لامحالة فارتضاعه ضرورى اذا لم يوجد معارض وهو مولود

على

على أن يرضع فكذلك هو مولود على أن يعرف الله والمعرفة ضرورية لامحالة اذا لم يوجد معارض وأيضا فان حب النفس لله وخضوعها له واخلاصها له مع الكفر به والشرك والاعراض عنه ونسيان ذكره اما أن يكون نسبتهما الى الفطرة سواء أو الفطرة مقتضية للاول دون الثاني فان كانا سواء لزم انتفاء المدح كما تقدم وان لم يكن فرق بين دعائها الى الكفر ودعائها الى الايمان ويكون تمجيسها كتحنيفها وقد عرف بطلان هذا وان كان فيها مقتض لهذا فاما أن يكون المقتضى مستلزما لمقتضاه عند عدم المعارض واما ان يكون متوقفا على شخص خارج عنها فان كان الاول ثبت ذلك من لوازمها وانها مفطورة عليه لايفقد الااذا فسدت الفطرة وان قدر انه متوقف على شخص فذلك الشخص هو الذي يجعلها حنيفية كما يجعلها مجوسية وحينئذ فلا فرق بين هذا وهذا واذا قيل هي الى الحنيفية أميل كان كما يقال هي الى غيرها اميل فتبين أن فيها قوة موجبة لحب الله والذل له واخلاص الدين له وانها موجبة لمقتضاها اذا سلمت من المعارض كما أن فيها قوة تقتضى شرب اللبن الذي فطرت على محبته وطلبه ممـا يبين هذا ان كل حركة ارادية فان الموجب لهـا قوة في المريد فاذا أمكن في الانسان أن يحب الله ويعبده ويخلص له الدين كان فيه قوة تقتضى ذلك اذ الافعال الارادية لايكون سببها الا من نفس الحى المريد الفاعل ولايشترط في ارادته الا مجرد الشعور بالمراد فما في النفوس من قوة المحبة له اذا شعرت به تقتضى حبه اذا لم يحصل معارض وهذا موجود في محبة الاطعمة والاشربة والنكاح والعلم وغيرها وقد ثبت أن في النفس قوة المحبة لله والاخلاص والذل له والخضوع وان فيها قوة الشعور به فيلزم قطعا وجود المحبة له والتعظيم والخضوع بالفعل لوجود المقتضى اذا سلم عن المعارض وتبين أن المعرفة والمحبة لايشترط فيهما وجود شخص منفصل وإن كان وجوده قد يذكر ويحرك كما لو خوطب الجائع أو الظمآن بوصف طعام أو خوطب المغتلم بوصف النساء فان هذا مما يذكره ويحركه ويثير شهوته الكامنة بالقوة في نفسه لا أنه يحدث له نفس تلك الارادة والشهوة بعد ان لم تكن فيه فيجعلها موجودة بعد ان كانت عدما فكذلك الاسباب الخارجة عن الفطرة لايتوقف عليها وجود ما في الفطرة من الشعور بالخالق ومحبته وتعظيمه والخضوع له وان كان ذلك مذكرا ومحركا ومنبها ومزيلا للعارض المانع ولذلك سمى الله سبحانه ما كمل به موجبات الفطرة بذكرا وذكرى وجعل رسوله مذكرا فقال (فذكر انما أنت مذكر) وقال (فذكر ان نفعت الذكرى) وقال (وما يتذكر الا من ينيب) وقال (وما يتذكر الا أولو الالباب) وقال (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال (فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) وهذا كثير في القرآن يخبر أن كتابه ورسوله مذكر لهم بما هو مركوز في فطرهم من معرفته ومحبته وتعظيمه واجلاله والخضوع له والاخلاص له ومحبة شرعه الذي هو العدل المحض وايثاره على ماسواه فالفطر مركوز فيها معرفته ومحبته والاخلاص له والاقرار بشرعه وايثاره على غيره فهي تعرف ذلك وتشعر به مجملا ومفصلا بعض التفصيل فجاءت الرسل تذكرها بذلك وتنبهها عليه وتفصله لها وتبينه وتعرفها الاسباب المعارضة لموجب الفطرة

المانعة من اقتفائها أثرها وهكذا شأن الشرائع التى جاءت بها الرسل فانها أمر بمعروف ونهى عن منكر واباحة طيب وتحريم خبيث وأمر بعدل ونهى عن ظلم وهذا كله مركوز في الفطرة وكمال تفصيله وتبيينه موقوف على الرسل وهكذا باب التوحيد واثبات الصفات فان في الفطرة الاقرار بالكمال المطلق الذى لانقص فيه للخالق سبحانه ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقر في فطر الخلائق خلافا لمن قال من المتكلمين انه لم يقم دليل عقلى على تنزيهه عن النقائص وانما علم بالاجماع

قبحا لهاتيك العقول فانها عقال على أصحابها ووبال

فليس في العقول أبين ولااجلى من معرفتها بكمال خالق هذا العالم وتنزيهه عن العيوب والنقائص وجاءت الرسل بالتذكرة بهذه المعرفة وتفصيلها وكذلك في الفطر الاقرار بسعادة النفوس البشرية وشقاوتها وجزائها بكسبها في غير هذه الدار وأما تفصيل ذلك الجزاء والسعادة والشقاوة فلا تعلم الابالرسل وكذلك فيها معرفة العدل ومحبته وايثاره وأما تفاصيل العدل الذى هو شرع الرب تعالى فلا يعلم الا بالرسل فالرسل تذكر بما في الفطر وتفصله وتبينه ولهذا كان العقل الصريح موافقا للنقل الصحيح والشرعة مطابقة للفطرة يتصادقان ولا يتعارضان خلافا لمن قال اذا تعارض العقل والوحى قدمنا العقل على الوحى

فقبحا لعقل ينقض الوحى حكمه ويشهد حقا انه هو كاذب

والمقصود ان الله فطر عباده على فطرة فيها الاقرار به ومحبته والاخلاص له والانابة اليه واجلاله وتعظيمه وان الشخص الخارج عنها لايحدث فيها ذلك ويجعلها فيها بعد ان لم يكن وانما يذكرها بما فيها وينبهها عليه ويحركها له ويفصله لها ويبينه ويعرفها الاسباب المقوية والاسباب المعارضة له والمانعة من كماله كما أن الشخص الخارج لا يجعل في الفطرة شهوة اللبن عند الرضاع والاكل والشرب والنكاح وانما تذكر النفس وتحركها لما هو مركوز فيها بالقوة

﴿ فصل ﴾ ومما يبين ذلك ان الاقرار بالصانع مع خلو القلب عن محبته والخضوع له واخلاص الدين له لايكون نافعا بل الاقرار به مع الاعراض عنه وعن محبته وتعظيمه والخضوع له أعظم استحقاقا للعذاب فلا بد ان يكون للفطرة مقتض للعلم ومقتض للمحبة والمحبة مشروطة بالعلم فان مالا يشعر به الانسان لايحبه والحب للمحبوبات لا يكون بسبب من خارج بل هو جبلى فطرى فاذا كانت المحبة جبلية فطرية فشرطها وهو المعرفة أيضا جبلى فطرى فلا بد ان يكون في الفطرة محبة الخالق مع الاقرار به وهذا أصل الحنيفية التى خلق الله خلقه عليها وفطرته فطرهم عليها فعلم ان الحنيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها والحب لله والخضوع له والاخلاص هو اصل أعمال الحنيفية وذلك مستلزم للاقرار والمعرفة ولازم اللازم لازم وملزوم الملزوم ملزوم فالفطرة ملزومة لهذه الاحوال وهذه الاحوال لازمة لها

﴿ فصل ﴾ فقد تبين دلالة الكتاب والسنة والآثار واتفاق السلف على ان الخلق مفطورون

على دين الله الذى هو معرفته والاقرار به ومحبته والخضوع له وان ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها يجب حصوله فيها ان لم يحصل مايعارضه ويقتضى حصول ضده وان حصول ذلك فيها لايقف على وجود شرط بل على انتفاء المانع فاذا لم يوجد فهو لوجود منافيه لالعدم مقتضيه ولهذا لم يذكر النبى صلى الله عليه وسلم لوجود الفطرة شرطا بل ذكر مايمنع موجبها حيث قال فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فحصول هذا التهويد والتنصير موقوف على أسباب خارجة عن الفطرة وحصول الحنيفية والاخلاص ومعرفة الرب والخضوع له لايتوقف أصله على غير الفطرة و ان توقف كماله وتفصيله على غيرها وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى انى خلقت عبادى حنفاء فاختالتهم الشياطين وحرمت عليهم ماأحللت لهم يتضمن أصلين عظيمين مقصودين لانفسهما ووسيلة تعين عليهما أحدهما عبادته وحده لاشريك له والثانى انما يعبد بما شرعه وأحبه وأمر به وهذان الاصلان هما المقصود الذى خلق له الخلق فضدهما الشرك والبدع فالمشرك يعبد مع الله غيره وصاحب البدعة يتقرب الى الله بما لم يأمر به ولم يشرعه ولا أحبه وجعل سبحانه حل الطيبات مما يستعان به على ذلك ويتوسل به اليه فمدار الدين على هذين الاصلين وهذه الوسيلة فاخبر سبحانه ان الشياطين اقتطعت عباده عن هذا المقصود وعن هذه الوسيلة فامرتهم أن يشركوا به مالم ينزل به سلطانا وهذا يتناول الاشراك بالمعبود الحق بان يعبد معه غيره والاشراك بعبادته الحقة بان تعبد بغير شرعه وكثيرا مايجتمع الشركان فيعبد المشرك معه غيره بعبادة لم يشرع سبحانه أن يتعبد له بها وقد ينفرد أحد المشركين فيشرك به غيره في نفس العبادة التى شرعها أو يعبده وحده بعبادة شركية لم يشرعها أو يتوسل الى عبادته بتحريم ماأحله وقد ذم الله سبحانه المشركين على هذين النوعين في كتابه في سورة الانعام والاعراف وغيرهما يذكر فيها ذمهم على ماحرموه من المطاعم والملابس وذمهم على ماأشركوا به من عبادة غيره أو على ماابتدعوه من عبادته بما لم يشرعه وفي المسند أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة فهى حنيفية في التوحيد وعدم الشرك سمحة في العمل وعدم الاصار والاغلال بتحريم من الطيبات الحلال فيعبد سبحانه بما أحبه ويستعان على عبادته بما أحله قال تعالى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وهذا هو الذى فطر الله عليه خلقه وهو محبوب لكل أحد مستقر حسنه في كل فطرة فانه يتضمن التوحيد واخلاص القصد والحب لله وحده وعبادته وحده بما يحب أن يعبد به والامر بالمعروف الذى تحبه القلوب والنهى عن المنكر الذى تبغضه وتنفر منه ويحلل الطيبات النافعة وتحريم الخبائث الضارة

﴿ فصل ﴾ وهذا أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من ان كل مولود يولد على الفطرة الحنيفية هو الذى تقوم الادلة العقلية على صحته وانه كما أخبر به الصادق المصدوق ومن خالف ذلك فقد غلط وبيان ذلك من وجوه * أحدها ان الانسان قد يحصل له من الاعتقادات والارادات مايكون حقا وقد يحصل له منها مايكون باطلا اذ اعتقاداته قد تكون مطابقة لمعتقدها وهى الحق

والخبر عنها يسمى صدقا وقد تكون غير مطابقة وهى الباطل والخبر عنها يسمى كذبا والارادات تنقسم الى ماتكون نافعة له متضمنة لمصلحته ومرادها هو الخير والحسن والى ماهو ضارة له مخالفة لمصلحته ومرادها هو الشر والقبح واذا كان الانسان تارة يكون معتقدا للحق مريدا للخير وتارة يكون معتقدا للباطل مريدا للشر فلا يخلو اما أن تكون نسبة نفسه الباطنة الى النوعين نسبة واحدة بحيث لايكون فيها مرجحا لاحدهما على الآخر أو تكون نفسه مرجحة لاحد الامرين على الآخر فان كان الاول لزم أن لايوجد أحد النوعين الا بمرجح منفصل عنه فاذا قدر رجحان أحدهما ترجح هذا والآخر ترجح هذا فاما ان يتكافأ المرجحان أو يترجح أحدهما فان تكافأ لزم أن لايحصل واحد منهما وهو خلاف المعلوم بالضرورة فانا نعلم انه اذا عرض على كل أحد ان يعتقد الحق ويصدق وان يريد ماينفعه وعرض عليه ان يعتقد الباطل ويكذب ويريد مايضره مال بفطرته الى الاولى ونفر عن الثانى فعلم ان فطرة الانسان قوة تقتضى اعتقاد الحق وارادة الخير وحينئذ الاقرار بوجود فاطره وخالقه ومعرفته ومحبته والايمان به وتعظيمه والاخلاص له اما أن يكون من النوع الاول أو الثانى وكونه من الثانى معلوم الفساد بالضرورة فتعين أن يكون من الاول وحينئذ فيجب ان يكون في الفطرة مايقتضى محبته ومعرفته والايمان به والتوسل اليه بمحابه * الوجه الثانى ان عبادته وحده بما يحبه اما أن يكون أكمل للناس علما وقصدا أو الاشراك به أكمل والثانى معلوم الفساد بالضرورة فتعين الاول وهو أن يكون في الفطرة مقتضى يقتضى توحيده وتألهه وتعظيمه *الوجه الثالث ان الحنيفية التى هى دين الله ولا دين له غيرها اما أن تكون مع غيرها من الاديان متماثلين أو الحنيفية أرجح أو تكون مرجوحة والاول والثالث باطلان قطعا فوجب أن يكون في الفطرة مرجح يرجح الحنيفية وامتنع أن يكون نسبتها ونسبة غيرها من الاديان الى الفطرة سواء *الوجه الرابع انه اذا ثبت ان في الفطرة قوة تقتضى طلب معرفة الحق وايثاره على ماسواه وأن ذلك حاصل مركوز فيها من غير تعلم الابوين ولا غيرهما بل لو فرض ان الانسان تربى وحده ثم عقل وميز لوجد نفسه مائلة الى ذلك نافرة عن ضده كما يجد الصبى عند أول تمييزه يعلم ان الحادث لابد له من محدث فهو يلتفت اذا ضرب من خلفه لعلمه ان تلك الضربة لابد لها من ضارب فاذا شعر به بكى حتى يقتص له منه فيسكن فقد ركز في فطرته الاقرار بالصانع وهو التوحيد ومحبة القصاص وهو العدل واذا ثبت ذلك ثبت ان نفس الفطرة مقتضية لمعرفته سبحانه ومحبته واجلاله وتعظيمه والخضوع له من غير تعليم ولا دعاء الى ذلك وان لم يكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك بل يحتاج كثير منهم الى سبب معين للفطرة مقولها وقد بينا ان هذا السبب لايحدث في الفطرة مالم يكن فيها بل يعينها ويذكرها ويقويها فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين يدعون العباد الى موجب هذه الفطرة فاذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة عن مقتضاها استجابت لدعوة الرسل ولا بد بما فيها من المقتضى لذلك كمن دعا جائعا أو ظمآن الى شراب وطعام لذيذ نافع لا تبعة فيه عليه ولا يكلفه ثمنه فانه مالم يحصل هناك مانع فانه يجيبه ولا بد *الوجه الخامس انا نعلم بالضرورة ان الطفل حين ولادته ليس له معرفة بهذا الامر ولا عنده ارادة له ويعلم انه كلما حصل فية قوة العلم والارادة

حصل له من معرفته بربه ومحبته ماينا سب قوة فطرته وضعفها وهذا كما يشاهد في الاطفال من محبة جلب المنافع ودفع المضار بحسب كمال التمييز وضعفه فكلاهما أمر حاصل مع النشأة على التدريج شيأ فشيأ الى ان يصل الى حده الذى ليس في الفطرة استعداد لاكثر منه لكن قد يتفق لكثير من الفطر موانع متنوعة تحول بينها وبين مقتضاها وموجبها * الوجه السادس انه من المعلوم ان النفوس اذا حصل لها معلم وداع حصل لها من العلم والارادة بحسبه ومن المعلوم ان كل نفس قابلة لمعرفة الحق وارادة الخير ومجرد التعليم لايوجب تلك القابلية فلولا ان في النفس قوة تقبل ذلك لم يحصل لها القبول فان لحصوله في المحل شروط مقبولة له وذلك القبول هو كونه مهيأ له مستعدا لحصوله فيه وقد بينا انه يمتنع أن يكون سببه ذلك وضده الى النفس سواء * الوجه السابع انه من المعلوم مشاركة الانسان انوع الحيوان فى الاحساس والحركة الارادية وجنس الشعور وان الحيوان البهيم قد يكون أقوى احساسا وحياة وشعورا من الانسان وليس بقابل لما الانسان قابل له من معرفة الحق وارادته دون غيره فلولا قوة في الفطرة والنفس الناطقة اختص بها الانسان دون الحيوان يقبل بها أن يعرف الحق ويريد الخير لكان هو والحيوان في هذا العدم سواء وحينئذ يلزم أحد امرين كلاهما ممتنع اما كون الانسان فاقدا لهذه المعرفة والارادة كغيره من الحيوانات أو تكون حاصلة لها كحصولها للانسان فلولا ان في الفطرة والنفس الناطقة قوة تقتضى ذلك لما حصل لها ولو كان بغير قوة ومقتضى منها لايمكن حصوله للجمادات والحيوانات لكن فاطرها وبارئها خصها بهذه القوة القابلية وفطرها عليها يوضحه * الوجه الثامن انه لو كان السبب مجرد التعليم من غير قوة قابلة لحصل ذلك في الجمادات والحيوانات لأن السبب واحد ولا قوة هناك يهيء بها هذا المحل من غيره فعلم ان حصول ذلك في محل دون محل هو لاختلاف القوابل والاستعدادات * الوجه التاسع ان حصول هذه المعرفة والارادة في العدم المحض محال فلا بد من وجود المحل وحصوله في موجود غير قابل محال بل لابد من قبول المحل وحصوله من غير مدد من الفاعل الى القابل فلو قطع الفاعل امداده لذلك المحل القابل لم يوجد ذلك المقبول فلا بد من الايجاد والاعداد والامداد فاذا استحال وجود القبول من غير ايجاد المحل استحال وجوده من غير اعداده وامداده والخلاق العليم سبحانه هو الموجد المعد الممد * الوجه العاشر انه من المعلوم ان النفس لاتوجب بنفسها لنفسها حصول العلم والارادة بل لابد فيها من قوة يقبل بها ذلك لاتكون هى المعطية لتلك القوة وتلك القوة لاتتوقف على أخرى والالزم التسلسل الممتنع والدور الممتنع وكلاهما ممتنع فهاهنا ثلاثة أمور أحدها وجود قوة قابلة الثانى ان تلك القوة ليست هى المعطية لها الثالث ان تلك القوة لاتتوقف على قوة أخرى فحينئذ لزم أن يكون فاطرها وبارئها قد فطرها على تلك القوة وأعدها بها لقبول ماخلقت له وقد علم بالضرورة ان نسبة ذلك اليها وضده ليسا على السواء * الوجه الحادى عشر انا لو فرضنا توقف هذه المعرفة والمحبة على سبب خارج أليس عند حصول ذلك السبب يوجد في الفطرة ترجيح ذلك ومحبته على ضده فهذا الترجيح والمحبة والامر مركوز في الفطرة * الوجه الثانى عشر انا لو فرضنا انه لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج لكانت الفطرة مقتضية لارادة المصلح وايثاره على ماسواه واذا كان المقتضى موجودا والمانع مفقودا وجب حصول الاثر فانه لايتخلف الا لعدم مقتضيه أو لوجود مانعه

فاذا كان المانع زائلا حصل الأثر بالمقتضى السالم عن المعارض المقاوم*الوجه الثالث عشر ان السبب الذى في الفطرة لمعرفة الله ومحبته والاخلاص له اما أن يكون مستلزما لذلك واما أن يكون مقتضيا بدون استلزام أو يستحيل أن لايكون له أثر البتة وعلى التقديرين يترتب أثره عليه اما وحده على التقدير الاول واما بانضمام أمر آخر اليه على التقدير الثانى *الوجه الرابع عشر ان النفس الناطقة لاتخلو عن الشعور والارادة بل هذا الخلف ممتنع فيها فان الشعور والارادة من لوازم حقيقتها فلا يتصور الا أن تكون شاعرة مريدة ولا يجوز أن يقال انها قد تخلو في حق خالقها وفاطرها عن الشعور بوجوده وعن محبته وارادته فلا يكون اقرارها به ومحبته من لوازم ذاتها هذا باطل قطعافان النفس لهـا مطلوب مراد بضرورة فطرتها وكونها مريدة هو من لوازم ذاتها فانها حية وكل حى شاعر متحرك بالارادة واذا كان كذلك فلابد لكل مريد من مراد والمراد اما أن يكون مرادالنفسه أو لغيره والمراد لغيره لابد أن ينتهى الى مراد لنفسه قطعا للتسلسل في العلل الغائية فانه محال كالتسلسل فى العلل الفاعلة واذا كان لابد للانسان من مراد لنفسه فهو الله الذى لااله الا هو الذى تألهه النفوس وتحبه القلوب وتعرفه الفطر وتقربه العقول وتشهد بانه ربها ومليكها وفاطرها فلا بد لكل أحد من إله يألهه وصمد يصمد اليه والعباد مفطورون على محبة الاله الحق ومعلوم بالضرورة انهم ليسوا مفطورين على تأله غيره فاذا انمـا فطروا على تألهه وعبادته وحده فلو خلوا وفطرهم لمـا عبدوا غيره ولا تألهوا سواه يوضحه *الوجه الخامس عشرانه يستحيل أن تكون الفطرة خالية عن التأله والمحبة ويستحيل أن يكون فيها تأله غير الله لوجوه منها ان ذلك خلاف الواقع ومنها ان ذلك المخلوق ليس أولى أن يكون إلها لكل الخلق من المخلوق الآخر ومنها ان المشركين لم يتفقوا على اله واحد بل كل طائفة تعبد ماتستحسنه ومنها ان ذلك المخلوق ان كان ميتا فالحى أكمل منه فيمتنع أن يكون الناس مفطورين على عبادة الميت وان كان حيا فهو أيضـا مريد فله إله تألهه وحينئذ فلزم الدور الممتنع أو التسلسل الممتنع فلا بد للخلق كلهم من اله يألهوه ولا يأله هو غيره وهذا برهان قطعى ضرورى فان قلت هذا يستلزم انه لابد لكل حى مخلوق من اله ولكن لم لايجوز أن يكون مطلوب النفس هو مطلق التأله والمألوه لا إلها معينا كما تقوله طوائف الاتحادية*قلت هذا يتبين بالوجه السادس عشر وهو ان المراد اما ان يراد لنوعه أو لعينه فالاول كارادة العطشان والجائع والعارى لنوع الشراب والطعام واللباس فانه انما يريد النوع وحيث أراد المعين فهو القدر المشترك بين افراده وذلك القدر المشترك كلى لاوجود له في الخارج فيستحيل ان يراد لذاته اذ المراد لذاته لايكون الا معينا ويستحيل أن يوجد في اثنين فان ارادة كل واحد منهما لذاته تنافي ارادته لذاته اذ المعنى بارادته لذاته انه وحده هو المراد لذاته الخاصة وهذا يمنع أن يراد معه ثان لذاته واذا عرف ذلك فلو كان القدر المشترك بين افراد النوع أو بين الاثنين هو المراد لذاته لزم أن يكون مايختص بأحدهما ليس مرادا لذاته وكذلك مايختص به الآخر والموجود في الخارج انما هو الذات المختصة لا الكلى المشترك

(١) تعلق الثالثة بالقدر المشترك لم يكن للخلف في الخارج اله ولكان إلههم أمرا ذهنيا وجوده في الاذهان لافي الاعيان وهذا هو الذى يألهه طوائف أهل الوحدة والجهمية الذين أنكروا أن يكون الله تعالى لاخارج العالم ولا داخله فان هذا انمـا هو اله مفروض يفرضه الذهن كما يفرض سائر

(١) قوله

الممتنعات الخارجة وتظنه واجب الوجود وليس هو ممكن الوجود فضلا عن وجوبه وبهذا يتبين ان الجهمية واخوانهم من القائلين بوحدة الوجود ليس لهم اله معين في الخارج يألهونه ويعبدونه بل هؤلاء الهو الوجود المطلق الكلى وأولئك الهو المعدوم الممتنع وجوده واتباع الانبياء الاهم الله الذى لااله الا هو الذى خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له مافي السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لااله الا هو له الاسماء الحسنى هو الذى فطر القلوب على محبته والاقرار به واجلاله وتعظيمه واثبات صفات الكمال له وتنزيهه عن صفات النقائص والعيوب وعلى انه فوق سمواته بائن من خلقه تصعد اليه أعمالهم على تعاقب الاوقات وترفع اليه أيديهم عند الرغبات يخافونه من فوقهم ويرجون رحمته تنزل اليهم من عنده فهممهم صاعدة الى عرشه تطلب فوقه إلها عليا عظيما قد استوى على عرشه واستولى على خلقه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرض اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم والمقصود انه اذا لم يكن في الحسيات الخارجة عن الاذهان ماهو مراد لذاته لم يكن فيها مايستحق أن يألهه أحد فضلا أن يكون فيها مايجب أن يألهه كل أحد فتبين انه لابد من اله معين هو المحبوب المراد لذاته ومن الممتنع أن يكون هذا غير فاطر السموات والارض وتبين انه لو كان في السموات والارض إله غيره لفسدتا وان كل مولود يولد على محبته ومعرفته واجلاله وتعظيمه وهذا دليل مستقل كاف فيما نحن فيه وبالله التوفيق * تم الكتاب والحمد لله

﴿ يقول مصححه العبد المسكين محمد بدر الدين ﴾

الحمد لله حمدا يقتضى رضاه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفاه
واختاره لرسالته واجتباه وعلى آله وصحبه المتمسكين بهديه وهداه
وبعد فقد تم ولله الحمد طبع كتاب (شفاء العليل * في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)
تأليف الامام أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية تغمده الله برحمته وأسكننا
واياه فسيح جنته وذلك بعد عناء تصحيح النصف الاول منه على نسخة وصلتنا من
صاحب الفضيلة علامة العراق على الاطلاق آلوسى زاده السيد محمود شكرى افندى
حفظه الله مع مقابلة ذلك على النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية بمصر
ومن ثم الى آخر الكتاب على نسخة دار الكتب الخديويه فقط
وذلك بالمطبعة الحسينية ذات الادوات البهيه ادارة صاحبها
الاريب الاديب السيد محمد عبد اللطيف الخطيب
في سنة ١٣٢٣ هجريه أحسن الله ختامها
والحمد لله أولا وآخرا وصلى
الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم

صحيفه

*هكذا وقع بالاصل بدون أن يفصل بين الحادى والعشرون والثالث والعشرون

صحيفه

تم

﴿ فهرس مطبوعات المكتبة الحلبية أنشئت سنة ١٣١٧ هجريه ﴾
(لاصحابها) أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى وأخيه
(تحت عنوان محمد أمين الخانجى وشركاه)
(بشارع الحلوجى بمصر)

كتاب المعمرين وطرف أخبارهم ومواعظهم للامام الحجة أبى حاتم السجستانى
كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الاصفهانى
كتاب الظرف والظرفاء (أو كتاب الموشى) لابى عبد الله الوشاء تلميذ المبرد
كتاب مختصر مكاشفة القلوب للامام أبى حامد محمد الغزالى
كتاب الحرز المنيع في أحكام وفوائد الصلاة والسلام على الحبيب الشفيع للجلال السيوطى
كتاب تعديل الصلاة للامام أحمد وكتاب أحكام تارك الصلاة لابن قيم الجوزيه
كتاب الديات وأحكامها ودقائقها للامام أبى بكر أحمد بن عمرو النبيل أبى عاصم الضحاك
فقه الاكبر للامام الاعظم أبى حنيفة النعمان مع شرحه لملا على القارى الحنفى
الاضواء البهجه في ابراز دقائق المنفرجه لشيخ الاسلام القاضى زكريا الانصارى
الحكم المندرجه في شرح المنفرجه باللغة التركيه للعلامة الانقروى شارح المثنوى
ديوان الحطيئة مع شرحه لامام أهل الادب أبو الحسن السكرى
كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام المجتهد أبى محمد على بن حزم الظاهرى وبهامشه
كتاب الملل والنحل لابى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى
اللآلى المصنوعه في الاحاديث الموضوعه للامام الحافظ جلال الدين السيوطى
كتاب جمع الوسائل لشرح الشمائل لملا على القارى الحنفى وبهامشه شرح العلامة المحدث عبد الرؤف المناوى الشافعى وهما جزآن كبيران
كتاب الصناعتين (النثر والنظم) أو الكتابة والشعر تأليف امام أهل الادب في المائة الرابعة أبى هلال العسكرى
شرح شواهد مغنى اللبيب للعلامة جلال الدين السيوطى أورد فيه بيت الشاهد وأعقبه بالقصيدة التى منها الشاهد وتكلم على غريب ما فيها وتطرف لذكر ترجمة شعراء تلك الشواهد
مفتاح العلوم للامام السكاكى وبهامشه كتاب اتمام الدرايه لقراء النقايه العلامه جلال الدين السيوطى يحتوى على أربعة عشر فنا مميزة عبارة المتن فيه عن الشرح
محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للامام فخر الدين للرازى مع تلخيص المحصل للعلامة نصير الطوسى وهو كالشرح له وبهامشهما كتاب معالم أصول الدين للرازى المذكور
كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للامام أبى حامد محمد الغزالى
فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للامام أبى حامد المذكور
كتاب محك النظر في فن المنطق للامام أبى حامد الغزالى أيضا

كتاب القسطاس المستقيم للامام المذكور يتضمن محاورة جرت بينه وبين أحد الباطنيه
كتاب الحكمة في مخلوقات الله تعالى للامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالى أيضا
فاتحة العلوم للامام الغزالى أيضا مرتبة على ثمانية أبواب
كتاب مابعد الطبيعة لفيلسوف الاسلام قاضى القضاة الامام أبي الوليد أحمد بن رشد
كتاب فلسفة القاضى ابن رشد أيضا يشتمل على فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال مع ذيله والكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة
كتاب تاريخ الازهر تأليف صاحب السعاده مصطفى بك بيرم
تفريج المهج بتلويح الفرج الجامع لثلاث كتب * أولها حل العقال للاديب الفاضل عبد الله الحجازى الحلبي المعروف بابن قضيب البان * الثاني الارج في الفرج للامام جلال الدين السيوطى * الثالث معيد النعم ومبيد النقم لقاضى القضاة الامام تاج الدين عبد الوهاب السبكى
كتاب الاتحاف بحب الاشراف للشيخ عبد الله الشبراوى وبهامشه كتاب حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل للعلامة عبد القادر الفاكهى مذيلا باحياء الميت في الاحاديث الواردة في آل البيت للامام جلال الدين السيوطى
كتاب المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد لحضرة الاستاذ الشيخ حسن السقا خطيب الجامع الازهر
فقه اللغه وسر العربيه للامام أبي منصور الثعالبي مضبوط بالشكل الكامل
كتاب أدب الدنيا والدين الامام أبي الحسن محمد بن حبيب البصرى الماوردى وبهامشه كتاب تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق للعلامة ابن مسكويه
كتاب المبادى المنطقيه للشيخ عبد الله الفيومى بسط فيه الكلام وأوضح الدلائل
كتاب منظومة الكواكبي في أصول فقه الحنفية وهى نظم متن المنار مع زيادات عليه للشيخ حسن الكواكبي الحلبي تحتوى على نيف وألفى بيت مضبوطة بالشكل
كتاب تأسيس النظر في اختلاف الفقهاء للامام الدبوسى وهو أول كتاب دون في هذا الفن لأول إمام كتب فيه
كتاب أفضل الصلوات على سيد السادات جمع الشيخ يوسف افندى النبهانى رئيس محكمة حقوق بيروت
كتاب المخلاة شقيقة الكشكول لبهاء الدين العاملى بهامشه سكردان السلطان لابن أبي حجلة المغربى ويليهما أسرار البلاغة للعاملى أيضا
كتاب فقه الاكبر للامام الاعظم أبي حنيفة النعمان مع كتاب الفقه الاكبر للامام الشافعى رضى الله الله عنهما
كتاب نظم الفرائد في المسائل التى وقع الاختلاف فيها بين الماتريدية والاشاعرة من العقائد
متن الشمسيه طبع مصر وشرحها طبع الاستانه لامام المحققين سعد الدين التفتازانى
تفسير سورة الاخلاص لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية الحنبلى .. بسط الكلام فيه على تفسير هذه السورة الكريمة وبين الرد فيها على كافة الفرق المخالفة للاسلام
جواب أهل العلم والايمان فيما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن

لشيخ الاسلام ابن تيمية المذكور ذكر فيها معنى المفاضلة في آى القرآن وبسط أقوال العلماء في ذلك
مجموعة الرسائل التسعة لشيخ الاسلام ابن تيمية المذكور وهذا بيان تلك الرسائل (كتاب العبوديه)
(كتاب الواسطه بين الحق والخلق) (كتاب الحسبة في الاسلام) (رسالة المظالم المشتركة)
(كتاب معارج الوصول الى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول) (رسالة تنوع العبادات)
(رسالة الرد على النصيريه) (رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور) (رسالة رفع الملام عن الأئمة الاعلام)
كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الاسلام ابن تيمية أيضا
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو كتاب الداء والدواء للعلامة شمس الدين بن قيم الجوزيه
شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للعلامة ابن قيم الجوزيه المذكور
مفتاح دار السعاده ومنشور ألوية العلم والاراده للعلامة ابن قيم المذكور
هداية الحيارى من اليهود والنصارى لابن القيم أيضا
المقصد الاسنى شرح أسماء الله الحسنى للامام أبى حامد الغزالى
لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات للامام فخر الدين الرازى
شرح ديوان زهير بن أبى سلمى المزنى والد سيدنا كعب للامام الاعلم النحوى الشنتمرى
المفصل للعلامة الزمخشرى مع شرح شواهده للسيد محمد بدر الدين الحلبي
مراتب المدلسين في الحديث للحافظ ابن حجر شارح البخارى وبآخره اخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار الناسخ والمنسوخ من الحديث للعلامة أبو الفرج ابن الجوزى
مفتاح كنوز القرآن ابض للماء ازروس ٠٠ وهو أكبر قاموس لمفردات آى القرآن
فصوص الحكم للشيخ الاكبر (بشرحيه للشيخ عبد الغنى النابلسى ولمولانا ملاجامى) جزآن
رشحات الاقلام شرح نظم كفاية الغلام كلاهما للشيخ عبد الغنى النابلسى
الاشباه والنظائر الفقهية للعلامة ابن نجيم المصرى الحنفى صاحب كتاب البحر
الدر النضيد من مجموعة الحفيد لشيخ الاسلام احمد بن يحيى الهروى الشافعى حفيد السعد التفتازانى.
مختصر جامع بيان العلم وفضله لحافظ المغرب ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب
الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء ٠٠ لابى عبد الله محمد بن قتيبة الدينورى
سفر الخير في الرد على أهل الكتاب باللغة التركية للشيخ عبد الله سالك الانطاكى
الاشارة والايجاز الى ماجاء في القرآن من أنواع المجاز للعلامة العز بن عبد السلام المصرى

دقايق الاخبار

(فى)

﴿ ذكر الجنة والنـار ﴾

للامام عبد الرحيم بن أحمد القاضى

نفعنا الله به آمين

(وبهامشه كتاب الدرر الحسان فى البعث ونعيم الجنان)

(للسيوطى رحمه الله تعالى)

(الطبعة الثانية)

سنة ١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م

يباع بالمكتبة الجديدة لصاحبيها محمد على صبيح وولده محمد عز الصباغ

بأول شارع الصنادقيه بجوار الازهر الشريف بمصر

طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بحارة قايد نمره ٣ بشارع عابدين بالقاهره

﴿ بســـــــــــم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى هدانا لدينه الذي أكمله وارتضاه والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد الذى اجتباه من خلقه واصطفاه ﴿وبعد﴾ فأقول

﴿ الباب الاول في خلق الروح الاعظم وهو نور سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام ﴾

قد جاء فى الخبر ان الله تعالى خلق شجرة لها أربعة أغصان فسماها شجرة اليقين ثم خلق نور محمد فى حجاب من درة بيضاء كمثل الطاوس ووضعه على تلك الشجرة فسبح عليها مقدار سبعين الف سنة ثم خلق مرآة الحياة فوضعت باستقباله فلما نظر الطاوس فيها رأى صورته أحسن صورة وأزين هيئة فاستحيا من الله تعالى فعرق فقطر منه ست قطرات فخلق الله تعالى من القطرة الاولى أبا بكر رضى الله عنه ومن القطرة الثانية عمر رضى الله عنه ومن القطرة الثالثة عثمان رضي الله تعالى عنه ومن القطرة الرابعة عليا رضى الله عنه ومن القطرة الخامسة الورد ومن القطرة السادسة الارز ثم سجد ذلك النور المحمدى خمس مرات فصارت علينا تلك السجدات فرضا مؤقتا فغفر الله تعالى خمس صلوات على محمد وامته ثم نظر الله تعالى الى ذلك النور مرة اخرى فعرق حياء من الله تعالى فمن عرق أنفه خلق الله الملائكة ومن عرق وجهه خلق العرش والكرسي واللوح والقلم والشمس والقمر والحجب والكواكب وما كان فى السماء ومن عرق صدره خلق الانبياء والمرسلين والعلماء والشهداء والصالحين ومن عرق ظهره خلق الله البيت المعمور والكعبة وبيت المقدس وموضع المساجد في الدنيا ومن عرق حاجبيه خلق أمة محمد من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ومن عرق اذنيه خلق أرواح اليهود والنصارى والمجوس وما أشبه ذلك من الملحدين والجاحدين والمنافقين ومن عرق رجليه خلق الارض من المشرق الى المغرب ومافيها ثم قال الله تعالى لذلك النور انظر امامك يانور محمد فنظر

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فقد جاء فى الخبر أن الله تعالي خلق شجرة اليقين ثم خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم في حجاب من درة بيضاء على هيئة الطاوس ووضعه على تلك الشجرة فسبح الله تعالى عليها مقدار سبعين الف سنة ثم خلق الله تعالي مرآة الحياة ووضعها باستقبال ذلك الطاوس فلما نظر اليها ذلك الطاوس رأى صورته أحسن صورة وأزين هيئة فاستحيا من الله تعالي فسجد خمس مرات فكتب الله خمس صلوات على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ثم ان الله سبحانه وتعالى نظر الي ذلك النور فعرق حياء من الله سبحانه وتعالي فخلق من عرق رأسه الملائكة ومن عرق وجهه العرش والكرسى واللوح والقلم والشمس والقمر والحجب والكواكب وما كان في السماء وخلق من عرق صدره الانبياء والمرسلين والعلماء والشهداء والصالحين وخلق من عرق ظهره البيت المعمور والكعبة وبيت المقدس ومساجد الدنيا وخلق من عرق حاجبيه المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وخلق من عرق ذنبه اليهود والنصارى والمجوس وخلق [illegible]
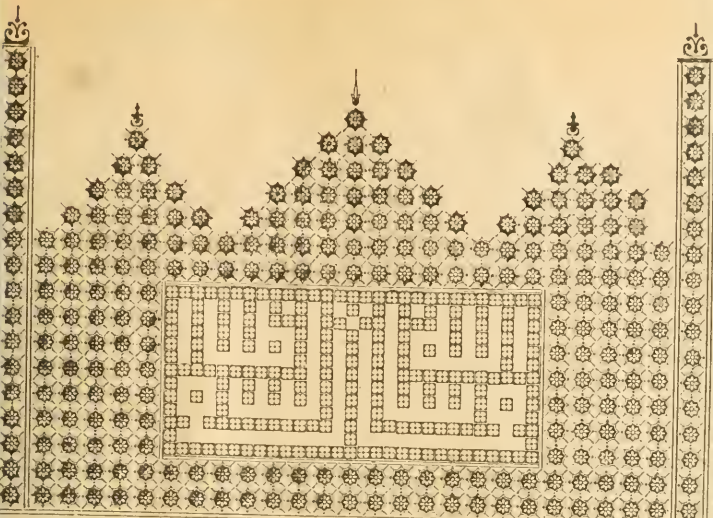
فرأى امامه نورا ومن ورائه نورا وعن يمينه نورا وعن يساره نورا وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله تعالى عنهم ثم سبح ذلك النور سبعين ألف سنة ثم خلق الله نور الانبياء من نور محمد عليه السلام ثم نظر الله الي ذلك النور فخلق منه أرواحهم يعني خلق أرواح الانبياء من عرق روح محمد عليه السلام وخلق أرواح أمم هؤلاء الانبياء من عرق أرواح أنبيائهم يعني أرواح كل أمة خلقت من عرق روح نبيها وخلقت أرواح المؤمنين من أمة محمد من عرق محمد عليه السلام فقالوا لااله الاالله محمد رسول الله ثم خلق قنديلا من العقيق الاحمر يري ظاهره من باطنه ثم خلق صورة محمد عليه السلام كصورته فى الدنيا ثم وضعها في هذا القنديل فقام فيه كقيامه فى الصلاة ثم طافت أرواح الانبياء حول نور محمد عليه السلام فسبحوا وهللوا مقدار مائة ألف سنة ثم أمر الله تعالى كل الارواح لينظروا اليها فنظروا اليها فمنهم من رأى رأسه فصار خليفة وسلطانا بين الخلائق ومنهم رأى جبهته فصار أميرا عادلا ومنهم من رأي عينيه فصار حافظا لكلام الله تعالى ومنهم من رأى حاجبيه فصار نقاشا ومنهم من رأى أذنيه فصار مستمعا ومقبلا ومنهم من رأى خديه فصار محسنا وعاقلا ومنهم من رأى شفتيه فصار وزيرا ومنهم من رأى أنفه فصار حكيما وطبيبا وعطارا ومنهم من رأي فمه فصار صائما ومنهم من رأي سنه فصار حسن الوجه من الرجال والنساء ومنهم من رأى لسانه فصار رسولا بين السلاطين ومنهم من رأي حلقه فصار واعظا وناصحا ومؤذنا ومنهم من رأى لحيته فصار مجاهدا فى سبيل الله ومنهم من رأى عنقه فصار تاجرا ومنهم من راى عضديه فصار فارسا وسيافا ومنهم من رأى عضده الايمن فصار حجاما ومنهم من رأى عضده الايسر فصار جاهلا ومنهم من رأى كفه الايمن فصار صرافا وطرازا ومنهم من رأى كفه الايسر فصار كيالا ومنهم من راى يديه فصار سخيا وكيسا ومنهم من رأى كفه الايسر فصار بخيلا ومنهم من رأى ظهر كفه الايمن فصار طباخا ومنهم من رأى انامله اليسرى فصار كاتبا ومنهم من رأى أصابع اليسرى فصار حدادا ومنهم من رأى صدره فصار عالما ومكرما ومجتهدا ومنهم من رأى ظهره فصار متواضعا ومطيعا لامر الشرع ومنهم من رأى جنبيه فصار غازيا ومنهم من رأي بطنه فصار قانعا وزاهدا ومنهم من رأى ركبتيه فصار راكعا وساجدا ومنهم من رأى رجليه فصار صيادا ومنهم من رأى تحت قدميه فصار ماشيا ومنهم من رأى ظله فصار مغنيا وصاحب طنبور ومنهم من لم ير منه شيأ فكان يهوديا أو نصرانيا أو كافرا أو مجوسيا ومنهم من لم ينظر منه شيأ فصار مدعيا للربوبية كالفراعنة وغيرهم من الكفار (واعلم) أن الله تعالى أمر الخلق بالصلاة على صورة اسم احمد ومحمد فالقيام كمثل الالف والركوع كالحاء والسجود كالميم والقعود كالدال وخلق الخلق على صورة اسم محمد عليه السلام فالرأس مدور كالميم الاولى واليدان كالحاء والبطن كالميم الثانية والرجلان كالدال ولا يحرق أحد من الكفار على صورته بل تبدل صورته على صورة الخنزير ثم تحرق بالنار

﴿ الباب الثاني فى خلق آدم عليه السلام ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى جسد آدم عليه السلام من أقاليم الدنيا فرأسه من تراب الكعبة وصدره من أقطار الارض وظهره وبطنه من تراب الهند ويداه من تراب المشرق ورجلاه من تراب المغرب وفي رواية اخري قال وهب ابن منبه خلق الله تعالى

من عرق رجليه الارض ومافيها من المشرق الى المغرب ثم قال الله تعالى انظر أمامك يانور محمد فنظر ذلك الطاوس امامه فرأى نورا ثم نظر خلف ظهره فرأى نورا متلألئا وهو نور الصحابة الاربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم اجمعين ثم ان ذلك الطاوس سبح الله تعالى سبعين الف سنة ثم ان الله تبارك وتعالى نظر الي الانوار فخلق ارواحهم فعند ذلك قالوا لااله الاالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خلق الله قنديلا من العقيق الاحمر ثم جعل ذلك الطاوس على صورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا ثم وضعها الله في ذلك القنديل ثم خلق الله ارواح الخلق جميعا فطافت حول نور محمد صلى الله عليه وسلم وسبحوا وهللوا مقدار مائة الف سنة ثم ان الله تعالى امر تلك الارواح ان ينظروا الي تلك الصورة التى داخل القنديل فنظروا اليها كلهم فمنهم من رأى رأسه فصار أميرا عادلا ومنهم من رأى حاجبيه فصار نقاشا ومنهم من رأى اذنيه فصار مستمعا ومنهم من رأى خديه فصار محسنا عادلا ومنهم من رأي انفه فصار حكيما ومنهم من رأى شفتيه فصار وزيرا ومنهم من رأى فمه فصار صائما ومنهم من رأى سنه فصار حسن الوجه ومنهم من رأى حلقه فصار واعظا ومنهم من رأى لحيته فصار مجاهدا فى سبيل الله تعالى ومنهم من رأي لسانه فصار رسولا بين الخلائق ومنهم من رأى منكبه الايمن فصار سيافا

آدم عليه السلام من الارضين السبع فرأسه من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويداه من الرابعة وظهره وبطنه من الخامسة وفخذه وعجزه من السادسة وساقاه من السابعة وفي رواية اخرى قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالي آدم عليه السلام فرأسه من تراب بيت المقدس ووجهه من تراب الجنة واذناه من تراب طور سيناء وجبهته من تراب العراق وأسنانه من تراب الكوثر ويده اليمني مع الاصابع من تراب الكعبة ويده اليسرى من تراب فارس ورجلاه مع ساقيه من تراب الهند وعظمه من تراب الجبل وعورته من تراب بابل وظهره من تراب العراق وبطنه من تراب خراسان وقلبه من تراب الفردوس ولسانه من تراب الطائف وعيناه من تراب الحوض ولما كان رأسه من بيت المقدس صار موضع العقل والفطنة والنطق ولما كان أذناه من تراب طور سيناء صار موضع استماع النصيحة ولما كانت جبهته من العراق صارت موضع السجود لله تعالى ولما كان وجهه من تراب الجنة صار موضع الحسن والزينة ولما كانت أسنانه من الكوثر صارت موضع البركة والمعونة في المعيشة والجود ولما كانت يده اليسرى من فارس صارت موضع الطهارة والاستنجاء ولما كان بطنه من خراسان صار موضع الجوع ولما كانت عورته من بابل صارت موضع الشهوة والغل والغش ولما كان عظمه من الجبل صار موضع الصلابة ولما كان قلبه من الفردوس صار موضع الايمان ولما كان لسانه من الطائف صار موضع الشهادة والتضرع والدعاء الى الله وجعل فيه تسعة أبواب سبعة فى الرأس عيناه وأذناه ومنخراه وفمه واثنان فى بدنه قبله ودبره وجعل له الحواس الخمس البصر في العين والسمع فى الاذنين والذوق في الفم واللمس فى اليدين والشم فى الانف ويقال لما أراد الله أن ينفخ الروح في آدم عليه السلام أمر الله تعالي الروح أن تدخل فيه ويقال أن الروح دخلت من دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت الروح فى عينيه فنظر الى نفسه فرآها طينا يابسا فلما بلغ الى اذنيه سمع تسبيح الملائكة ثم نزلت خيشومه فعطس فلما فرغ من عطاسه نزلت الروح الى فمه ولسانه واذنيه ولقنه الله تعالي أن يقول الحمد لله فأجابه يرحمك ربك يا آدم ثم نزلت الروح الى صدره فعجل القيام فلم يمكنه وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا فلما وصلت الروح الي جوفه اشتهي الطعام ثم انتشرت الروح في كل جسده فصار لحما ودما وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر يزداد كل يوم حسنا وجمالا فلما قارف الذنب بدل الله هذا الظفر بالجلد وبقيت منه بقية فى أنامله ليذكر بذلك أول حاله فلما أتم الله خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح وألبسه من لباس الجنة ونور محمد يلمع في وجهه كالقمر ليلة البدر ثم رفع على سرير وحمل على أعناق الملائكة قال الله تعالى لهم طوفوا به السموات بسريره ليري عجائبها ومافيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة ربنا سمعنا وأطعنا فحملته الملائكة على أعناقها وطافت به فى السموات مقدار مائة عام ثم خلق فرسا من المسك الابيض والاذفر يقال له ميمون وله جناحان من الدر والمرجان فركبه آدم عليه السلام وجبرائيل آخذ بلجامه وميكائيل عليه السلام عن يمينه واسرافيل عليه السلام عن يساره وطافوا به السموات كلها وهو يسلم على الملائكة فيقول السلام عليكم فيقولون وعليكم السلام فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامه

﴿ الباب الثالث فى ذكر الملائكة ﴾

اعلم أن الله تعالى خلق الملائكة الكرام الاربع اسرافيل عليه السلام وميكائيل عليه السلام

وجبرائيل

ناجرا ومنهم من رأى عضده الايمن فصار حجاما ومنهم من رأى عضده الايسر

ومنهم من رآي عنقة فصار فصار جاهلا ومنهم من راي كف يده الايمن فصار صرا وطرازا ومنهم من رأى كف يده الايسر فصار كيالا ومنهم من رأي ظهر يده اليمنى فصار سخيا ومنهم من رأى كف يده اليسري فصار صباغا ومنهم من رأى أصابع يده اليسرى فصار حدادا ومنهم من رأظهره فصار متواضعا ومنهم من رأى جنبيه فصار غازيا ومنهم من رأى بطنه فصار قانعا ومنهم من رأي ركبتيه فصار راكعا ساجدا ومنهم من رأى رجليه فصار صيادا ومنهم من رأى تحت رجليه فصار ماشيا ومنهم من رأى ظله فصار مغنيا ومنهم من لم ير شيئا فصار يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا او كافرا ثم ان الله تعالى استودع ذلك النور تحت العرش حتى خلق آدم عليه السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله آدم من جميع الاقاليم فرأسه من تراب بيت المقدس ووجهه من تراب الجنة واسنانه من تراب الكوثر ويده اليمني من تراب الكعبة ويده اليسرى من تراب فارس ورجلاه من تراب الهند وعظمه من تراب الجبل وعروقه من تراب بابل وظهره من تراب العراق وقلبه من تراب الفردوس ولسانه من تراب الطائف وعيناه من حوض الكوثر فلما كان رأسه من بيت المقدس صار موضع العقل ولما كان وجهه من الجنة صار .

وجبرائيل عليه السلام وعزرائيل عليه السلام وجعل فى أيديهم امور الخلائق وتدبير العالم كله وجعل جبرائيل عليه السلام صاحب الوحي والرسالة وميكائيل عليه السلام صاحب الامطار والارزاق وعزرائيل عليه السلام صاحب قبض الارواح واسرافيل عليه السلام صاحب القرن يعني الصور قال ابن عباس رضى الله عنهما أن اسرافيل عليه السلام سأل الله تعالى أن يعطيه قوة سبع سموات فاعطاه وقوة سبع أرضين فاعطاه وقوة الرياح فاعطاه وقوة الجبال فأعطاه وقوة الثقلين فأعطاه وقوة السباع فأعطاه ومن تحت قدميه الي رأسه شعور وأفواه وألسن مغطاة بالحجب يسبح الله تعالى بكل لسان بألف لغة ويخلق الله تعالى من نفسه ألف ألف ملك يسبحون الله الى يوم القيامة وهم المقربون عند الله تعالى وحملة العرش الكرام الكاتبون وهم على صورة اسرافيل عليه السلام وينظر اسرافيل كل يوم وليلة ثلاث مرات الى جهنم ويتضرع فيبكي ويذوب ويصير كوتر القوس ويبكي بكاء شديدا ولولا أن الله تعالي يمنع دموع بكائه لامتلات الارض بدموعه فصارت كطوفان نوح عليه السلام ومن عظمه أنه لو صبت جميع مياه البحار والانهار على رأسه ماوقع منها قطرة على الارض

﴿فصل﴾ وأما ميكائيل عليه السلام فخلقه الله تعالى بعد اسرافيل عليه السلام بخمسمائة عام ومن رأسه الى قدميه شعور من زعفران وأجنحته من زبرجد أخضر وعلى كل شعرة ألف ألف وجه وفى كل وجه ألف ألف عين ويبكي بكل عين رحمة للمذنبين من المؤمنين وفي كل وجه ألف ألف فم وفى كل فم ألف ألف لسان كل لسان ينطق بألف ألف لغة وكل لسان يستغفر الله تعالى للمؤمنين والمذنبين ويقطر من كل عين سبعون ألف قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا واحدا على صورة ميكائيل عليه السلام يسبحون الله تعالى الى يوم القيامة وأسماؤهم كروبيون وهم أعوان لميكائيل عليه السلام موكلون على المطر والنباتات والارزاق والثمار فما من شىء في البحار والاثمار على الاشجار والنباتات على الارض الا وعليه ملك موكل به

﴿ فصل ﴾ وأما جبرائيل عليه السلام فخلقه الله تعالى بعد ميكائيل عليه السلام بخمسمائة عام وله ألف وستمائة جناح ومن رأسه الى قدميه شعور من زعفران والشمس بين عينيه وعلي كل شعرة مثل القمر والكواكب وكل يوم يدخل في بحر النور ثلاثمائة وسبعين مرة فاذا خرج سقط من كل جناح ألف ألف قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا واحدا على صورة جبرائيل عليه السلام يسبحون الله تعالي الي يوم القيامة وهم الروحانيون

﴿ فصل ﴾ وصورة ملك الموت مثل صورة اسرافيل عليه السلام بالوجوه والالسن والاجنحة والعظمة والقوة بلا زيادة ولا نقصان

﴿ الباب الرابع فى ذكر خلق ملك الموت ﴾

فى الخبر عن النبي عليه السلام لما خلق الله ملك الموت حجب عن الخلائق بألف ألف حجاب عظمه أكبر من السموات والارضين ولو صب ماء جميع البحار والانهار على رأسه ماوقعت منه قطرة علي الارض وان مشارق الدنيا ومغاربها بين يديه كخوان وضع عليه كل شيء ووضع بين يدي رجل ليأكله فيأكل منه ماشاء فكذلك ملك الموت يقلب الدنيا كما يقلب الآدمي بين يديه وقد شد بسبعين ألف سلسلة كل سلسلة طولها مسيرة ألف عام ولا يقربه الملائكة ولا يعلمون مكانه ولا يسمعون صوته ولا يدرون حاله ولا الى أي وقت هو فلما

موضع الزينة ولما كانت عيناه من حوض الكوثر صارتا موضع الملاحة ولما كانت أسنانه من تراب الكوثر صارت موضع الحلاوة ولما كانت يده اليمنى من تراب الكعبة صارت موضع المنة ولما كان ظهره من تراب العراق صار موضع التواضع ولما كانت عروقه من بابل صارت موضع الشهوة ولما كان عظمه من الجبل صار موضع الصلابة ولما كان قلبه من الفردوس صار موضع الايمان ولما كان لسانه من الطائف صار موضع الشهادة ثم ان الله تعالى اسكن البصر في العينين والسمع فى الاذنين والذوق فى الفم والشم في الانف واللمس في اليد والمشي في الرجل (فائدة) لابن آدم تسعة أبواب سبعة فى راسه واثنان في بدنه أما السبعة التى فى رأسه فهما عيناه واذناه ومنخراه وفمه والتى في بدنه فالقبل والدبر ثم ان الله تعالى امر الروح أن تدخل في دماغه فدخلت ومكثت مقدار ألف عام ثم انها نزلت الى عينيه فنظر الى نفسه فرآه كله طينا ثم انها نزلت الى أذنيه فسمع تسبيح الملائكة ثم انها نزلت الى خياشيمه فعطس ثم انها نزلت الي لسانه وفمه فقال الحمد لله فاجابه الله عز وجل يرحمك ربك يا آدم ثم انها نزلت الى صدره فاراد القيام فلم يمكنه ثم انها نزلت الى جوفه فاشتهى الطعام ثم انها نزلت الى قدميه فصار كله لحما ودما وعروقا وعصبا ثم ألبسه الله تعالى لباسا من الجنة فصار يزداد كل يوم

خلق الله تعالى الموت وسلط عليه ملك الموت قال ملك الموت يارب وما الموت فأمر الله تعالى الحجب أن تنكشف حتي رآه ملك الموت فقال الله تعالى للملائكة قفوا وانظروا هذا الموت فوقفت الملائكة كلهم أجمعون وقال الله تعالى له طر عليهم وانشر الاجنحة كلها وافتح اعينك كلها فلما طار نظرت اليه الملائكة فخروا مغشيا عليهم ألف عام فلما أفاقوا قالوا ربنا اخلقت أعظم من هذا خلقا قال الله تعالى أنا خلقته وانا اعظم منه وقد يذوق كل الخلق منه ثم قال الله ياعزرائيل خذه فقد سلطتك عليه فقال الهي بأى قوة آخذه فانه أعظم منى فاعطاه الله قوة ثم أخذه فسكن فى يده فقال الموت يارب ائذن لى حتى انادي فى السموات فاذن له فنادى باعلى صوته أنا الموت الذي افرق بين كل حبيب انا الموت الذي أفرق بين الزوج والزوجة وأنا الموت الذى افرق بين البنات والامهات وأنا الموت الذى أفرق بين الاخ والاخوات وانا الموت الذي اخرب الدور والقصور وأنا الموت الذى اعمر القبور وانا الموت الذى أطلبكم ولو كنتم فى بروج مشيدة ولا يبقى مخلوق الا يذوقني وان الكافر والمنافق والشقي اذا حضرهم الموت نزل عليهم وعن يساره ملائكة العذاب سود الوجوه زرق العيون ومعهم لباس من العذاب فيجلسون بعيدا منه حتى يجيء ملك الموت واذا جاء ملك الموت احدا منهم قام بين يديه على صورة مهيبة ثم تقول نفس ذلك الشخص من أنت وما تريد فيقول انا ملك الموت الذى اخرجك من الدنيا واجعل ولدك يتيما وزوجتك أرملة ومالك موروثا بين ورثتك الذين لا تحبهم فى حال حياتك وانك لم تقدم خيرا لنفسك ولا لآخرتك اليوم جئت اليك لاقبض روحك فاذا سمع به الشخص حول وجهه الي الحائط فيرى ملك الموت قائما بين يديه فيحول وجهه الي الجانب الآخر فيرى ملك الموت بين يديه قائما فيقول ملك الموت ألم تعرفني أنا ملك الموت الذي قبضت روح والديك وأنت تنظر اليهما ولم تنفعهما اليوم آخذ روحك حتى ينظر أولادك وأقرباؤك ورفقاؤك حتى ينتصحوا منك اليوم وأنا ملك الموت الذى قد أفنيت من القرون الماضية من هو أكثر قوة منك وأكثر مالا من مالك وأكثر ولدا من أولادك ثم يقول له ملك الموت كيف رأيت الدنيا فيقول رأيتها مكارة غدارة ثم يخلق الله تعالي الدنيا على صورة فتقول الدنيا ياعاصي أما تستحي أنت أذنبت فى الدنيا ولم تمنع نفسك عن المعاصى انك طلبتني وما طلبتك ولم تفرق بين حلال وحرام ظننت انك لا تفارق الدنيا فاني بريئة منك ومن عملك ويرى ماله قد وقع فى ملك غيره فيقول المال ياعاصى كسبتني بغير حق ولم تصرفني ولم تتصدق بى على الفقراء والمساكين اليوم قد وقعت فى ملك غيرك وذلك قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم فيقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت فيقول الله تعالى اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ثم يأخذ روحه ان كان مؤمنا على السعادة وان كان كافرا أو منافقا على الشقاوة لقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين

﴿ الباب الخامس فى أحوال ملك الموت كيف يأخذ الارواح ﴾

ذكر فى كتاب السلوك عن مقاتل بن سليمان أن ملك الموت كان له سرير في السماء السابعة ويقال فى الرابعة خلقه الله تعالى من نور وله سبعون ألف قائمة وله اربعة آلاف جناح مملوء جميع جسده بالعيون والالسن وليس أحد من الخلق من الآدميين والطيور وكل ذى روح الا وله في جسده وجه وعين ويد وأذن بعدد كل انسان فيأخذ بتلك اليد الروح

حسنا وجمالا * ثم ان الله تعالى فكانت الملائكة تقف خلف آدم صفوفا صفوفا يسلمون على نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله تعالي خلق فرسا من المسك يقال لها ميمونة ولها جناحان من الدر والمرجان فركبها آدم وجبريل آخذ بزمامها وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره فطافوا به السموات السبع وهو يسلم على الملائكة فيقول السلام عليكم فيقولون عليك السلام يا آدم فصارت تحية المسلمين من أولاد آدم الى يوم القيامة ثم اعلم ان أول ما خلق الله من الملائكة اربعة اسرافيل صاحب الصور وميكائيل موكلا بالامطار وجبريل صاحب الوحى وعزرائيل قابض الارواح ثم ان اسرافيل سأل الله ان يعطيه قوة سبع سموات فاعطاه وقوة سبع أرضين فاعطاه وله من تحت قدميه الى رأسه شعور وأفواه وألسنة وتلك الالسنة مغطاة بالاجنحة كل لسان منها يسبح الله تعالى بالف لغة فيخلق الله تعالى من كل لغة ملكا على صورة اسرافيل عليه السلام يسبح الله تعالى الى يوم القيامة وينظر كل يوم وليلة الى جهنم ثلاث مرات فيذوب حتى يصير مثل وتر القوس ويبكى ولولا ان الله تعالى حبس دموعه لملأت الارض كطوفان نوح عليه السلام ومن عظم اسرافيل أنه لو صب وينظر

وينظر بالوجه الذى يحاذيه ولذلك يقبض روح المخلوقين فى كل مكان فاذا ماتت نفس فى الدنيا ذهب من جسده صورتها ويقال أن له اربعة اوجه وجه قدامه والثانى على رأسه والثالث على ظهره والرابع تحت قدميه فيأخذ أرواح الانبياء والملائكة من وجه رأسه وارواح المؤمنين من وجه قدامه وأرواح الكافرين من وجه وراء ظهره وارواح الجن من وجه قدميه واحدى رجليه على جسر جهنم والاخرى على سرير فى الجنة ويقال فى عظمه انه لوصب ماء جميع البحور والانهار على رأسه ماوقعت منها قطرة على الارض ويقال أن الله تعالى جعل الدنيا بأمرها فى جنب ملك الموت كخوان قد وضع بين يدي رجل ليأكل منه ماشاء فكذلك ملك الموت فى الخلائق يقلب الدنيا كما يقلب الآدمى درهما ويقال لا ينزل ملك الموت الا على الانبياء والمرسلين وله خليفة على قبض ارواح السباع والبهائم ويقال ان الله تعالى اذا افني خلقه من الناس وغيرهم أفنى تلك العيون التي فى جسده كلها وبقى ثمانية من المخلوقين يقال لهم اسرافيل وميكائيل وجبرائيل وعزرائيل واربعة من حملة العرش

﴿ وأما معرفة انتهاء الآجال ﴾

فان ملك الموت اذا وقع اليه نسخة الموت والمرض للعبد يقول آلهى متي اقبض روح العبد وعلى أى حال وهيئة ارفعه فيقول الله تعالى ياملك الموت هذا علم غيبى لا يطلع عليه أحد غيري ولكن اعلمك بمجىء وقته واجعل لك علامات تقف عليها أن الملك الذي هو موكل على الانفاس واعمالهم يأتى اليك فيقول تم نفس فلان والذى على ارزاقه واعماله يقول تم رزقه وعمله وان كان من السعداء تبين على اسمه الذى هو مكتوب في صحيفته التى عند ملك الموت خط من نور أبيض حول اسمه وان كان من الاشقياء تبين فيه خط اسود ثم لايتم للملك علم ذلك حتى تسقط عليه ورقة من الشجرة التي تحت العرش مكتوب على الورقة اسمه فحينئذ يقبض روحه * روى عن كعب الاحبار أن الله تعالى خلق شجرة تحت العرش عليها اوراق بعدد كل مخلوق واذا قضي اجل العبد وبقي له من عمره أربعون يوما سقطت ورقته على حجر عزرائيل عليه السلام فيعلم بذلك أنه امر بقبض روح صاحبها وبعد ذلك يسمونه ميتا فى السماء وهو حى على وجه الارض اربعين يوما ويقال ان ميكائيل عليه السلام ينزل بصحيفة على ملك الموت من عند الله مكتوب فيها اسم من امر بقبض روحه والموضع الذى يقبض فيه الروح والسبب الذى يقبض عليه * وذكر أبو الليث رضى الله عنه انه ينزل قطرتان من تحت العرش على اسم صاحبها احداهما خضراء والاخرى بيضاء فاذا وقعت الخضراء على أي اسم كان عرف انه شقى واذا وقعت البيضاء على اى اسم كان عرف انه سعيد واما معرفة الموضع الذي يموت فيه فيقال ان الله تعالى خلق ملكا موكلا بكل مولود يقال له ملك الارحام فاذا خلق المولود امر أن يدرج في النطفة التي فى رحم امه من تراب الارض التى يموت عليها فيدور العبد حيثما يدور ثم يعود الى موضع اخذ ترابه فيموت به وعلى هذا يدل قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم * وعلى هذا حكاية وهي أن ملك الموت كان يظهر فى الزمن الاول فدخل يوما على سليمان عليه السلام فأخذ ينظر الى شاب عنده فارتعد الشاب فلما غاب ملك الموت قال الشاب يانبي الله اني اريد ان تأمر الريح ان تحملنى الى الصين فأمر عليه السلام الريح فحملته فعاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فسأله عن سبب نظره الى الشاب فقال انى

له من رأسه الى قدمه شعور من الزعفران وأجنحة من الزبرجد تحت كل شعرة ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يستغفر الله للمذنبين من المؤمنين وكل قطرة تقطر من دموعه يخلق الله منها ملكا على صورة ميكائيل يسبح الله تعالى الي يوم القيامة موكلون بالمطر ونبات الارض والاوراق والثمار فما من قطرة في البحار ولا ثمرة في الاشجار ولا حبة في الارض الا وعليها ملك موكل بها واما جبرائيل فجعل الله الشمس بين عينيه وكل يوم يدخل بحر النور ثلثمائة وستين مرة فاذا خرج يتساقط من أجنحته قطر فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا على صورة جبريل عليه السلام يسبح الله تعالى الى يوم القيامة وأما صورة ملك الموت فهي كصورة اسرافيل عليه السلام وفيها الالسنة بعددها ثم ان الله تعالى خلق الموت وحجبه عن الملائكة بالف حجاب وله قوة تفوق السموات والارض وله سلاسل طول كل سلسلة مسيرة ألف عام فما ال محجوبا عن الملائكة لا يقربون اليه ولا يعلمون مكانه ولا يسمعون صوته ولا يدرون ماهو الى آن خلق الله

آدم عليه السلام وأدخله الجنة فمنذ ذلك سلط الله عزرائيل عليه السلام على الموت اذ قال اقبض ياعزرائيل على الموت بيدك فلما سمعت

امرت أن اقبض روحه فى ذلك اليوم فى الصين فرأيتـه عندك فتعجبت من ذلك فأخبره بقصته من كونه سأله أن يأمر الريح لتحمله الى الصـين قال ملك الموت فأنا قبضت روحه ذلك اليوم فى الصين * وفي خبر آخر انملك الموت له أعـوان يقومون بين يديه بقبض الارواح ألا ترى انه روي ان رجلا ألقى على لسانه اللهـم اغفر لي ولملك الشمس فاستأذن هذا الملك ربه فى زيارته فلما نزل ملك الشمس عليه قال له انك تكثر الدعاء لى فما حاجتك قال حاجتى أن تحملنى الى مكانك فأنا أريد أن تسأل لى ملك المـوت أن يخبرنى باقتراب أجلى قال فحمله واقعده مقعده من الشمس ثم ذهب الى ملك الموت وذكر له أن رجلا من بني آدم ألقي على لسانه ان يقول كلما صلي اللهم اغفر لى ولملك الشمس وقد طلب منى ان أطلب منك أن تعلمه متى يقرب اجله ليتأهب له فنظره ملك الموت فى كتابه فقال له هيهات ان لصاحبك شأنا عظيما وانه لايموت حتى يجلس مجلسك من الشمس قال قد جلس مجلسى منها فقال ملك الموت توفى عند رسلنا على ذلك وهم لايعلمون * وفى الخبر عن النبي عليه السلام قال آجال البهائم كلها في ذكر الله تعالى فاذا تركوا ذكر الله قبض الله ارواحهم وليس لملك الموت من ذلك شيء وقد قيل أن الله تعالى هو قابض الارواح وانما اضيف ذلك الى ملك الموت كما اضيف القتل الى القاتل والموت الى الامراض وعلى هـذا يدل قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والله اعلم

﴿ الباب السادس في ذكر جواب الروح ﴾

ورد فى الخبر ان ملك الموت اذا اراد ان يقبض روح المؤمن تقول لااطيعك مالم تؤمر بذلك فيقول ملك الموت امرت بذلك فتطلب الروح منه العلامة والبرهان فتقول الروح ان ربي خلقنى وادخلني في جسدى ولم تكن انت عند ذلك فالآن تريد ان تأخذني فيرجع ملك الموت الى الله تعالى فيقول الله تعالى اقبضت روح عبدي فيقول ملك الموت الهي ان عبدك يقول كذا وكذا يطلب البرهان منى فيقول الله تعالى صدق روح عبدى ثم يقول الله تعالي ياملك الموت اذهب الي الجنة وخذ تفاحة عليها علامتي وارها روح عبدى فيذهب ملك الموت الى الجنة ويأخذ تفاحة وعليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فاذا أراها روح العبد خرجت بالنشاط والذوق والصفاء

﴿ الباب السابع في ذكر جواب الاعضاء ﴾

وفى الخبر اذا اراد الله تعالى قبض روح العبد يجيء ملك الموت من قبل الفم ليقبض روحه منه فيخرج الذكر من فمه فيقول لا سبيل لك من هذه الجهة فطالما أجرى لسانه فى ذكر ربي فيرجع ملك الموت الى الله تعالى فيقول يارب عبدك قال كذا وكذا فيقول الله تعالى أقبض من جهة أخري فيجيء من قبل اليد فتخرج الصدقة فتقول لا سبيل لك اليه فأنه تصدق بها كثيرا ومسح بها رأس اليتيم وكتب بالقلم وضرب بالسيف أعناق الكفار ثم يجيء الي الرجل فتقول لا سبيل لك من قبلى فانه مشى بى الى الجماعة والاعياد ومجالس العلم والتعليم ثم يجيء الى الاذن فتقول لا سبيل لك من جهتى فانه سمع بى القرآن والاذان والذكر فيجيء الى العينين فتقولان لا سبيل لك من قبلنا فانه نظر بنا الى المصاحف ووجوه العلماء والوالدين والصلحاء فينصرف ملك الموت الى الله تعالى فيقول يارب ان عبدك يقول كذا وكذا فيقول الله تعالي ياملك الموت علق أسمى على كفك وأظهره لروح عبدى حتي يراه فيخرج فيكتب اسم الله على كفه فتراه روح العبد فيجيبه فتخرج روح العبد

الملائكة خطاب الرحمن جل جلاله لعزرائيل نادوا باجمعهم يا ربنا وما الموت أين هو وأين مكانه فامر الله الحجب أن ترفع فرفعت ثم قال للملائكة انظروا الموت فلما رأوه غشي عليهم ألف عام فلما أفاقوا قالوا يا ربنا أخلقت خلقا أعظم من هذا قال نعم وأنا أعظم من هـذا وقوته وأنتم وكل مخلوق تحت عظمتى ثم ان ملك الموت نادى الهي باى قوة أقدر عليه فاعطاه الله قوة بليغة فاخذه وقبض عليه فعنـد ذلك صاح ملك الموت صيحة عظيمة ونادى يارب ائذن لى أن أنادى في السماء مرة واحدة فاذن له فنادى أنا الموت أنا الذي أفرق بـين البنات والامهات أنا الموت الذى أفرق بين الاب والام أنا الموت أنا الذى أفرق بين الاخ والاخوات أنا الموت أنا الذى أفرق بين القوى والضعيف أنا الموت أنا الذى لم يبق مخلوق الاذاقنى ويقال ان ملك الموت له أربعة أوجه وجه من أمامه ووجه من على رأسه ووجه خلف ظهره ووجه تحت قدميه فيأخذ أرواح الانبياء والملائكة بالوجه الذى على رأسه وأرواح المؤمنين من الوجه الذى خلف ظهره وأرواح الجن من الوجه الذى تحت قدميه ويقال أن ملك الموت يقلب الدنيا بين يديه كما يقلب الآدمي درهمه وله فى جسده عيون بعدد الخلائق فاذا مات مخلوق فى الدنيا ذهبت عين من جسده وقد ورد أن الله تعالي خلق شجرة تحت العرش عليها أوراق بعـدد

العبد ببركة اسمه فتنصرف عنه مرارة النزع افلا ينصرف عنه العذاب الفظيع اذا كتب على صدورهم اسم الله تعالى لقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه أفلا ينصرف عنهم العذاب وأهوال القيامة وفي الخبر خمسة أشياء سم قاتل وخمسة أخرى ترياقها فالدنيا سم قاتل والزهد ترياقها والمال سم قاتل والزكاة ترياقه والكلام سم قاتل وذكر الله ترياقه والعمر كله سم قاتل والطاعة ترياقه وجميع السنة سم قاتل وترياقها شهر رمضان وفي الخبر اذا وقع العبد في النزع ينادي مناد من قبل الرحمن دعه حتى يستريح ساعة واذا بلغ الروح الصدر قال دعه حتى يستريح ساعة وكذلك اذا بلغ الركبتين والسرة واذا بلغ الحلقوم جاء نداء دعه حتى يودع الاعضاء بعضها بعضا فتودع العين العين فتقول في الوداع السلام عليكم الى يوم القيامة وكذلك الاذنان واليدان والرجلان وتودع الروح النفس فنعوذ بالله من وداع الايمان للسان ونعوذ بالله من وداع المعرفة والايمان للجنان فتبقى اليدان بلا حركة والرجلان بلا حركة والعينان بلا نظر والاذنان بلا سمع والبدن بلا روح ولو بقي اللسان بلا ايمان والقلب بلا معرفة فكيف يكون حال العبد في اللحد لا يرى أحدا لا أبا ولا أما ولا اولادا ولا اخوانا ولا أصحابا ولا فراشا ولا حجابا فلو لم ير ربا كريما فقد خسر خسرانا عظيما وقال الامام أبو حنيفة أكثر ما يسلب الايمان من العبد وقت النزع حفظنا الله واياكم من سلب الايمان

(الباب الثامن في ذكر الشيطان كيف يسلب الايمان)

في الخبر انه يجيء الشيطان لعنه الله فيجلس عند رأس العبد فيقول له اترك هذا الدين فقل الهين اثنين حتى تنجو من هذه الشدة فاذا كان الامر كذلك فالخطر شديد والخوف عظيم فعليك بالبكاء والتضرع واحياء الليل بكثرة الركوع والسجود حتى تنجو من عذاب الله تعالى وسئل أبو حنيفة أي ذنب أخوف بسلب الايمان قال ترك الشكر على الايمان وترك خوف الخاتمة وظلم العباد فان ما كان في قلبه هذه الخصال الثلاثة فالاغلب أنه يخرج من الدنيا كافرا الا من ادركته السعادة ويقال أشد حال الميت حال العطش واحراق الكبد ففي ذلك الوقت يجد الشيطان فرصة من نزع ايمان المؤمن لشدة عطشه في ذلك الوقت فيجيء الشيطان عند رأسه معه قدح ماء من الجمد فيحرك القدح له فيقول المؤمن أعطني من الماء ولا يدري أنه شيطان فيقول له قل لا صانع للعالم حتى أعطيك فان كان على السعادة لم يجبه ثم يجيء الشيطان الى موضع قدميه ويحرك القدح له فيقول المؤمن أعطني من الماء فيقول قل كذبت الرسول عليه السلام حتى أعطيك منه فمن أدركته الشقاوة يجيبه الى ذلك لانه لا يصبر على العطش فيخرج من الدنيا كافرا نعوذ بالله ومن ادركته السعادة يرد كلامه ويتفكر ما امامه كما حكى ان ابا زكريا الزاهد لما حضرته الوفاة اتاه صديقه وهو في سكرة الموت ولقنه الكلمة الطيبة لا اله الا الله محمد رسول الله فاعرض عنه فقال له ثانيا فقال له لا اقول فغشي على صديقه فلما افاق ابو زكريا بعد ساعة وجد خفة فتح عينيه فقال لهم هل قلتم لي شيئا قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثا فاعرضت مرتين وقلت في الثالثة لا أقول فقال أبو زكريا أتاني أبليس ومعه قدح من الماء ووقف عن يميني وحرك القدح فقال لي أتحتاج الى الماء قلت بلى قال قل عيسى بن الله فاعرضت عنه ثم أتاني من قبل رجلي فقال لي كذلك وفي الثالثة قال قل لا اله قلت لا اقول فضرب القدح على الارض وولى هاربا فانا رددت على أبليس لا عليكم فأشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وعلى هذا الخبر روى عن منصور بن عمار قال اذا دنا موت العبد قسم حاله على خمسة المال للورثة والروح لملك الموت واللحم للدود والعظم للتراب

الخلائق وسماها سدرة المنتهى فاذا انقضى أجل العبد بقى من عمره اربعون يوما سقطت ورقته على عزرائيل فتسميه الملائكة ميتا وهو حي على الارض أربعين يوما فان كان من أهل السعادة يجد ملك الموت خطا من نور حول الاسم وان كان من أهل الشقاوة يجده من السواد فاذا مضت الاربعون يوما ينزل ملك الموت الى الشخص فيفزع منه ويقول له من أنت وما تريد فيقول أنا ملك الموت أمرني الله بقبض روحك فاذا سمع الشخص كلامه حول وجهه عنه وشخص ببصره فيقول له ملك الموت أما عرفتني أنا الموت الذي قبضت أرواح أولادك ووالديك واليوم أقبض روحك حتى تنظر أولادك وأقاربك انا الموت الذي أفنيت القرون الماضية اذ كانوا أكثر منك مالا وولدا وقوة فكيف رأيت الدنيا وحالها فيقول الشخص رأيتها مكارة غدارة ثم يأمر الله الدنيا أن تتصور بين يديه وتقول له ياعاصي ربك أذنبت فكم من موعظة سمعتها وكم من المعاصي فعلته ولا انتهي طلبتني وظنك لا تفارقني فأنا بريئة منك ومن عملك ثم انه يرى ماله فيقول له ياعاصي اكتسبتني بغير حق ولو تصدقت بي على الفقراء والمساكين نفعتك فاذا أراد ملك الموت أن يقبض الروح فتقول لا أطيعك حتى يأمرني ربي بذلك فيقول لها ملك الموت قد أمرني ربي بأخذك فتقول له الروح أين العلامة والبرهان فيعجز ملك الموت فتقول له الروح ان

والحسنات للخصماء والشيطان لسلب الايمان ثم قال ان ذهب الوارث بالمال يجوز وان ذهب ملك الموت بالروح يجوز وان ذهب الدود بالعظم يجوز وان ذهب الخصماء بالحسنات يجوز باليت الشيطان لا يذهب بالايمان عند الموت فانه يكون فراقا من الدين فان فراق الروح للجسد غير فراق الرب فانه فراق لا يدرك أحد بعده وخسارته

﴿ الباب التاسع فى ذكر النداء ﴾

وفى الخبر اذا فارق الروح البدن نودى من السماء بثلاث صيحات يا ابن آدم أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك أقتلت الدنيا أم الدنيا قتلتك واذا وضع على المغتسل نودى بثلاث صيحات يا ابن آدم اين بدنك القوى ما أضعفك واين لسانك الفصيح ما أسكتك وأين أحباؤك ما أوحشك واذا وضع فى الكفن نودى بثلاث صيحات يا ابن آدم تذهب الى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من منزلك فلا ترجع وتركب فرسا ولا تركب مثله أبدا وتصير الى بيت ما أهوله واذا حمل على الجنازة نودى بثلاث صيحات يا ابن آدم طوبى لك ان كنت تائبا طوبى لك ان كان عملك خيرا طوبى لك ان كان صحبتك رضوان الله تعالى وويل لك ان صحبتك سخط الله واذا وضع للصلاة نودى بثلاث صيحات يا ابن آدم كل عمل عملته تراه الساعة ان كان عملك خيرا تراه خيرا وان كان عملك شرا تراه شرا واذا وضعت الجنازة على شفير القبر نودى ثلاث صيحات يا ابن آدم ما تزودت فى العمران لهذا الخراب وما حملت من الغنى لهذا الفقر وما حملت من النور لهذه الظلمة فاذا وضع فى اللحد نودى بثلاث صيحات يا ابن آدم كنت على ظهرى ضاحكا وصرت فى بطنى باكيا وكنت على ظهرى فرحا وصرت فى بطنى حزينا وكنت على ظهرى ناطقا فصرت فى بطنى ساكتا واذا أدبر الناس عنه يقول الله تعالى يا عبدى بقيت فريدا وحيدا وتركوك فى ظلمة القبر وقد عصيتنى لاجلهم وللزوجة والولد وأنا أرحمك اليوم رحمة يتعجب منها الخلائق وأنا أشفق عليك من الوالدة بولدها

﴿ الباب العاشر فى ذكر حال الارض والقبر ﴾

قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان الارض تنادى كل يوم عشر كلمات تقول يا ابن آدم تسعى على ظهرى ومصيرك فى بطنى وتعصى على ظهري وتعذب فى بطنى وتضحك على ظهرى وتبكي فى بطنى وتأكل الحرام على ظهري وتأكلك الديدان فى بطنى وتفرح على ظهرى وتحزن في بطنى وتجمع الحرام على ظهرى وتذوب في بطنى وتختال على ظهرى وتذل فى بطنى وتمشى مسرورا على ظهرى وتقع حزينا فى بطنى وتمشى في النور على ظهرى وتقعد في الظلمات في بطنى وتمشى فى الجماعة على ظهرى وتقعد وحيدا في بطنى وفى الخبر أن القبر ينادى كل يوم ثلاث مرات أنا بيت الوحدة والوحشة والعقرب والحية أنا بيت الظلمة وانا بيت الدود وماذا أعددت لى ويقال أن القبر ينادى كل يوم خمس مرات أنا بيت الوحدة فاجعل لك مؤنسا قراءة القرآن وانا بيت الظلمة فنورنى بصلاة الليل وانا بيت التراب فاحمل الفراش وهو العمل الصالح وأنا بيت الافاعى فاحمل الترياق وهو بسم الله الرحمن الرحيم واهراق الدموع وانا بيت سؤال منكر ونكير فاكثر على ظهرى قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليمكن لك أن تجيبه

بل قد خلقنى وأدخلنى فى ذلك الجسد ولم تكن عندى فكيف أخرج بلا اذن منه فعند ذلك يرجع ملك الموت الى الله تعالى ويقول يارب عبدك فلان يقول كذا وكذا وطلب منى البرهان فيقول له ياملك الموت اذهب الى الجنة فخذ منها تفاحة عليها علامة وبرهان اذا رآتها روح عبدى خرجت فيذهب ملك الموت الى الجنة ويأخذ منها تفاحة وعليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فاذا رآها الشخص تنصرف عنه مرارة الموت وتخرج عنه سريعا وفي الخبر اذا أراد الله قبض روح عبد نزل ملك الموت عنده ويريد ان يقبض روحه من قبل الفم فيخرج الذكر منه فيقول له لاسبيل لك من قبل هذه الجهة لان الله تعالى أجرى فيه الذكر فيرجع ملك الموت الى الله تعالى ويقول يارب ان عبدك فلانا يقول كذا وكذا فيقول اقبضه من جهة اخرى فيجىء له من قبل اليد فتخرج له الصدقة فتقول لاسبيل لك من قبل هذه الجهة لقد تصدق بها كثيرا ومسح بها على رأس اليتيم وكتب بها العلم ثم يجىء الى الرجل فتقول لاسبيل لك من قبل هذه الجهة لانه مشى بى الى مجالس العلماء ثم يجىء الى العين فتقول له لا سبيل لك من قبل هذه الجهة لانه نظر بى فى المصاحف ووجوه العلماء فينصرف ملك الموت الى ربه فيقول يارب ان عبدك فلانا قال كذا وكذا فيقول الله تعالى

﴿ الباب الحادى عشر فى ذكر نداء الروح بعد الخروج ﴾

فى الخبر روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت قاعدة متربعة فى البيت اذ دخل رسول الله عليه السلام فسلم علىّ فأردت ان أقوم له كما كانت عادتى عند دخوله فقال عليه السلام اقعدى مكانك ماكان لك أن تقومى ياام المؤمنين قالت فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رأسه على حجرى فنام مستلقيا على قفاه فجعلت أطلب شيبة فى لحيته فرأيت بها تسع عشرة شعرة بيضاء فتفكرت فى نفسى فقلت أنه ليخرج من الدنيا قبلى فتبقى الامة بلا نبي فبكيت حتي سال دمع عيني على خدى وتقاطر منه على وجهه فانتبه من نومه فقال عليه السلام ماالذى ابكاك ياأم المؤمنين فقصصت عليه القصة ثم قال عليه السلام أي حال أشد على الميت فقلت قل يارسول الله فقال عليه السلام بل قولى أنت فقلت لايكون أشد حالة على الميت من وقت خروجه من داره يحزن أولاده خلفه يقولون واداه واباه ويقول الوالد يا ابناه فقال عليه السلام هذا شديد فما أشد منه قلت لاتكون حالة أشد على الميت من حين يوضع في لحده ويغشى التراب عليه ويرجع عنه اقرباؤه وأولاده واحباؤه ويسلمونه الى الله تعالى مع فعله فياتيه منكر ونكير في قبره فقال ياام المؤمنين ماأشد منه قالت قلت الله ورسوله أعلم قال عليه السلام ياعائشة ان أشد حالة على الميت حين يدخل عليه الغاسل فى داره ليغسله فيخرج خاتم الشباب من أصابعه وينزع قميص العروس من بدنه وينزع عمامة المشايخ والفقهاء من رأسه ليغسله فعند ذلك تنادى روحه حين تراه عريانا بصوت يسمعه كل الخلائق الا الثقلين تقول ياغسال اسألك بالله ان تنزع ثيابي برفق فاني الساعة قد استرحت من مجاذبة ملك الموت واذا صب عليه الماء صاح كذلك يقول ياغسال بالله لاتصب ماءك حارا ولا تجعل ماءك حارا ولا باردا فان جسدى يحترق من نزع الروح فاذا غسلوه تقول الروح بالله ياغسال لاتمسنى قويا فان جسدي مجروح بخروج الروح فاذا فرغ من غسله ووضع فى كفنه وشد موضع قدميه ناداه بالله ياغسال لاتشد كفنى رأسى حتى أرى وجه أهلى واولادى وأقربائى فان هذا آخر رؤيتى لهم فأنا اليوم أفارقهم ولا اراهم الى يوم القيامة فاذا أخرج الميت من الدار نادى بالله ياجماعتى لاتعجلوا بى حتى أودع دارى وأهلى واقربائى ومالى ثم ينادي بالله ياجماعتى تركت امرأتى أرملة فعليكم أن لاتؤذوها وأولادي يتاما فعليكم أن لاتؤذوهم فانى اليوم أخرج من داري ولا أرجع اليهم أبدا واذا وضع على الجنازة يقول بالله ياجماعتى لاتعجلوا بى حتى اسمع صوت أهلى واولادى وأقربائى فانى اليوم أفارقهم الى يوم القيامة فاذا حمل على الجنازة وخطوا بها ثلاث خطوات ينادى بصوت يسمعه كل شيء الا الثقلين وتقول الروح ياأحبائى وياأخوانى وياأولادى لاتغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بى واعتبروا بى فانى خلفت ماجمعت لورثتى ولم يحملوا من خطيئاتى شيأ وعلى الدنيا يحاسبنى الله تعالى وانتم تتمتعون بها ثم لاتدعون لى واذا صلوا على الجنازة ورجع بعض أهله وأصدقائه من المصلى يقول بالله يااخوانى انى كنت اعلم أن الميت ينسى فى الاحياء ولكن لاتنسونى بهذه السرعة قبل ان تدفنونى حتى تنظروا لى مكانى ويااخوانى انى كنت أعلم أن وجه الميت أبرد من الزمهرير فى قلوب الاحياء ولكن لاترجعوا بهذه السرعة فاذا وضعوه عند قبره يقول بالله ياجماعتى ويااخوانى ادعوكم ولا تدعونى فاذا وضعوه فى لحده يقول بالله ياوارثى ماجمعت مالا كثيرا من الدنيا الا

اكتب ياعزرائيل اسمي على كفك فيكتب ملك الموت على كفه بسم الله الرحمن الرحيم ويريم الروح المؤمن فتخرج ببركة البسملة وفى الخبر ان ستة أشياء سم قاتل وستة أخرى ترياقها الاول الدنيا سم قاتل والزهد ترياقها الثانى المال سم قاتل والزكاة ترياقه الثالث الكلام سم قاتل وذكر الله ترياقه الرابع العمر سم قاتل والطاعة ترياقها الخامس جميع السنة سم قاتل وشهر رمضان ترياقها السادس جميع الليالى سم قاتل وليلة القدر ترياقها ثم ان العبد اذا وقع فى نزع الروح ينادى مناد من قبل الله تعالى دعه حتى يستريح فاذا بلغت الى صرته نادى مناد دعه حتى يستريح فاذا بلغت الى حلقومه نادى المنادي دعه حتى يستريح ويودع الاعضاء بعضها بعضا فتقول العين للعين السلام عليك الى يوم القيامة وتقول الاذن للاذن السلام عليك الى يوم القيامة وتقول اليد لليد السلام عليك الى يوم القيامة وكذا سائر الاعضاء ثم الروح الجسد فتفارقه فعند ذلك ينادى مناد من السماء ثلاث مرات يا ابن آدم أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك أنت جمعت المال أم المال جمعك يا ابن آدم انت قتلت الدنيا ام الدنيا قتلتك وفى رواية ان العبد اذا اعتبر لسانه عن الكلام يدخل عليه اربعة من الملائكة فيقول الاول السلام عليك ياعبد الله انا الموكل برزقك طفت الارض شرقا وغربا فما وجدت لك من الرزق لقمة فرجعت ثم يدخل عليه الثانى

تركته لكم فتذكرونى بكثرة خيركم وقد علمتكم القرآن والادب فلا تنسونى من دعائكم * وعلى هذا حكاية أبى قلابة رضى الله عنه وهي ماروي أنه رأى فى المنام كان القبور قد انشقت وامواتها قد خرجوا منها وقعدوا على شفير القبور وكان بين يدى كل واحد منهم طبق من نور ورأى فيما بينهم رجلا من جيرانهم لم ير بين يديه شيأ من نور فسألته فقلت مالي لاأرى بين يديك نورا فقال الميت ان لهؤلاء اولادا واصدقاء يهدون اليهم خيرا ويتصدقون لاجلهم وهذا النور مما يهدونه اليهم وكان لى ابن غير صالح لايدعو لي ولا يتصدق لاجلي ولهذا لانور لى وأنا خجل بين جيراني فلما انتبه أبو قلابة دعا ابنه واخبره بما رأى فقال الابن أنا تبت على يدك فلا أعود الي ما كنت عليه أبدا فاشتغل بالطاعات والدعاء والتصدق عن أبيه فلما مضى عليه زمان رأى ابو قلابة مرة اخري في منامه تلك المقبرة على حالها ورأى نورا بين يدى ذلك الرجل أضوأ من الشمس أكثر من نور اصحابه فقال لي ياأبا قلابة جزاك الله خيرا فقد نجوت من خجلة الجيران * وفى الخبر أن ملك الموت دخل على رجل بالاسكندرية فقال من أنت قال انا ملك الموت فارتعدت فرائصه وهي اللحم بين الجنب والكتف فقال ملك الموت ماهذا الذى اري قال خوفا من النار فقال له أكتب لك كلاما تنجو به من النار قال بلى فدعا بصحيفة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم وقال هذه براءة من النار * وسمع رجل عارف رجلا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال اسم الحبيب فى هذه فكيف رؤيته ثم قال الناس يقولون ان الدنيا مع ملك الموت لاتساوي دانقا وأنا أقول ان الدنيا بلا ملك الموت لاتساوي دانقا لانه يوصل الحبيب الي الحبيب

﴿الباب الثانى عشر فى ذكر المصيبة على الميت﴾

روى فى الخبر أن من اصيب بمصيبة فخرق بها ثوبا أو ضرب بها صدرا فكانما أخذ الرمح وحارب الله تعالى روى عن النبى عليه السلام قال من سود بابا أو ثيابا عند المصيبة أو ضرب دكانا أو كسر شجرة أو قطع شعرة بنى له بكل شعرة بيت فى النار ولا يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا مادام ذلك السواد على بابه وضيق الله قبره وشدد عليه حسابه ولعنه كل ملك فى السماء والارض وكتب عليه ألف خطيئة وقام من قبره عريانا ومن خرق على المصيبة جيبه خرق الله دينه وان لطم خدا أو خدش وجها حرم الله تعالى عليه النظر الى وجهه الكريم وفى الخبر اذا مات ابن آدم واجتمعت الصياح في داره يقوم ملك الموت على باب داره فيقول لهؤلاء ماهذا الصياح فوالله مانقصت من أحد منكم عمرا ولا رزقا ولا ظلمت أحدا منكم وان كان صياحكم مني فأنا عبد مأمور وان كان من الميت فهو مقهور وان كان من الله تعالي فأنتم جاهلون بالله تعالى أن لى بكم عودة ثم عودة

﴿الباب الثالث عشر في ذكر البكاء على الميت﴾

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله النوح حرام ولا بأس بالبكاء على الميت والصبر أفضل ان الله تعالى قال انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وروى عن النبى انه قال النائحة ومن حولها من مستمعيها عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ويقال لما مات الحسن بن الحسن بن على اعتكفت امرأته على قبره سنة واحدة فلما كان رأس الحول رفع الفسطاط فسمعوا صوتا من من جانب القبر هل وجدتم مافقدتم وسمعوا صوتا من الجانب الآخر بل اسأتم فانصرفوا وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه لما مات ابنه ابراهيم عليه السلام دمعت عيناه فقال

فيقول السلام عليك يا عبد الله انا الموكل بشرابك من عند ربك طفت الارض مشرقا ومغربا فما وجدت لك من الماء شربة فرجعت ثم يدخل عليه الثالث فيقول السلام عليك ياعبد الله انا الملك الموكل بنفسك طفت الارض مشرقا ومغربا فما وجدت لك نفسا واحدا فرجعت ثم يدخل عليه الملك الرابع فيقول السلام عليك ياعبدالله أنا الموكل باجلك طفت الارض مشرقا ومغربا فما وجدت لك أجلا فرجعت ثم يدخل عليه الكرام الكاتبون فيقولان له السلام عليك ياعبدالله نحن الموكلون بما يخرج من لسانك ثم يعرضان عليه صحيفة سوداء ويقولان له انظر هذا كتابك فعند ذلك تسيل دموعه وينظر يمينا وشمالا واماما وخلفا خوفا من قراءة تلك الصحيفة ثم ينصرفان ببشارة عظيمة وقد ورد ان الكرام الكاتبين ملكان أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات والآخر عن يساره يكتب السيآت فاذا جلس الشخص قعد احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا مشي يمشى احدهما خلفه والآخر امامه واذا نام قام أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه لا يفارقانه الا عند الجماع وعند قضاء الحاجة القلم لسانه والدواة حلقه والمداد ريقه والصحيفة فؤاده يكتبان اعماله من خير وشر الى مماته قال صاحب الجوهرة * بكل عبد حافظون وكلوا * وكاتبون خيرة لن يهملوا * له

له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله أليس قد نهيتنا من البكاء قال عليه السلام انما نهيتكم عن الصوتين الفاجرين الاحمقين وهو صوت النوح والغناء وعن خدش الوجوه وشق الجيوب ولكن هذه رحمة جعلها الله فى قلوب الرحماء ثم قال عليه السلام القلب يحزن والعين تدمع وروى عن وهب ابن كيسان رضى الله عنه أن عمر ابصر امرأة تبكى على الميت فنهاها فقال النبي عليه السلام دعها ياأبا حفص فان العين باكية والنفس مصابة والعهد حديث

﴿ الباب الرابع عشر فى ذكر الصبر على المصيبة ﴾

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عليه السلام أول ماكتب القلم في اللوح المحفوظ بامر الله تعالى انى أنا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولي وخيرتي من خلقى من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر لنعمائي أكتبه صديقا وابعثه مع الصديقين يوم القيامة وأدخله الجنة ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليخرج من تحت سمائى وليطلب ربا سوائى * قال الفقيه رحمه الله الصبر على البلاء وذكر الله عند المصائب مما يجب على الانسان لانه اذا ذكر الله في ذلك المكان كان رضا منه بقضاء الله وترغيما للشيطان وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه الصبر على ثلاثة أوجه الأول الصبر على الطاعة والثانى الصبر على المعصية والثالث الصبر على المصيبة فمن صبر على الطاعة أعطاه الله تعالى مائة درجة كل درجة مابين السماء والارض ومن صبر عن المعصية أعطاه الله تعالى يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مابين السماء والارض ومن صبر على المصيبة اعطاه الله أجره بغير حساب

﴿ الباب الخامس عشر في ذكر خروج الروح من البدن ﴾

وفي الخبر اذا وقع العبد فى النزع حبس لسانه ودخل عليه أربعة من الملائكة فيقول الاول السلام عليكم أنا موكل برزقك طلبت فى الارض شرقا وغربا فما وجدت من رزقك لقمة دخلت الساعة ثم يدخل الثانى فيقول السلام عليكم وانا موكل بشرابك من الماء وغيره طلبت شرقا وغربا فما وجدت لك شربة من الماء قربت الساعة ثم يدخل الثالث فيقول السلام عليكم وأنا موكل بانفاسك طلبت شرقا وغربا فما وجدت نفسا واحدا من انفاسك ثم يدخل الرابع فيقول السلام عليكم وأنا موكل باجالك طلبت فى الارض شرقا وغربا فما وجدت لك ساعة ثم يدخل عليه الكرام الكاتبون عن اليمين وعن الشمال فيقول من في اليمين السلام عليك أنا موكل بحسناتك فيخرج صحيفة بيضاء فيعرضها عليه فيقول أنظر الى أعمالك فعند ذلك يفرح وينشط ويقول من فى الشمال السلام عليك أنا موكل على السيآت فيخرج صحيفة سوداء فيعرضها عليه فيقول انظر اليها فعند ذلك يسيل عرقه ثم ينظر يمينا وشمالا خوفا من قراءة الصحيفة فيمد الملك فيلقيها على الوسادة ثم ينصرف الملك فيدخل ملك الموت وعن يمينه ملائكة الرحمة وعن يساره ملائكة العذاب فمنهم من يجذب الروح جذبا ومنهم من ينزع نزعا ومنهم من ينشط نشطا فاذا بلغت الحلقوم يأخذ ملك الموت روحه فان كان من أهل السعادة نادى ملائكة الرحمة وان كان من أهل الشقاوة نادى ملائكة العذاب فتأخذ الملائكة الروح فتعرج بها الى حضرة رب العالمين ان كان من أهل السعادة فيقول الله ارجعوها الى بدنها حتى تنظر مايكون من جسده ثم تهبط الملائكة ومعهم الروح فيضعونها فى وسط الدار فينظر من يحزن عليه ومن لايحزن عليه وهو لا يطيق الكلام ثم تشييع الجنازة الى قبره فيأمر الله تعالي أن يعود الروح الى جسده كما كان فى الدنيا

من امره شيئا فعل ولو ذهل * حتى الانين في المرض كما قتل فاذا عمل سيئة واراد صاحب الشمال أن يكتبها يقول له صاحب اليمين أمسك يدك فيمسك يده سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتبها وان لم يستغفر الله تعالى كتبها سيئة واحدة فاذا قبض العبد ووضع فى قبره يقول الملكان الموكلان به ربنا وكلتنا بعبدك نكتب عمله والان قبضت روحه فائذن لنا نصعد الي السماء فيقول الله تعالى السماء مملوأة من الملائكة فسبحونى وكبرونى وهللونى تهليلا واكتبوا ثواب ذلك لعبدى حتى يبعث من قبره وقد ورد أن العبد المؤمن اذا حضرته الوفاة ينزل اليه ملك الموت وتنزل معه ملائكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم أكفان من الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ثم يقول اخرجي أيتها النفس الطيبة الى مغفرة من الله ورضوان فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها ملك الموت في يده ثم رفعها الى تلك الملائكة فيأخذونها ويجعلونها فى تلك الاكفان والحنوط فيخرج منها رائحة طيبة كرائحة المسك ثم يصعدون بها الي السماء الاولي فيستفتحون الباب فيفتح لهم فيقولون ماهذه الرائحة الطيبة فيقولون لهم هذه روح فلان بن فلانة وهكذا حتى ينتهوا الي السماء السابعة ويقفوا بها بين يدي الجبار جل جلاله فترى ما أعد

واختلفت الروايات فيه فقال بعضهم يجعل الروح في جسده كما كان ثم يجلس ويسأل وقال بعضهم يكون السؤال للروح دون جسده وقال بعضهم يدخل الروح في جسده الى صدره وقال لآخرون يكون بين جسده وكفنه وفي كل ذلك قد جاءت الآثار والصحيح عند أهل العلم أن يقر العبد بعذاب القبر ولا يشتغل بكيفيته * قال الفقيه رحمه الله من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة أشياء ويجتنب اربعة اشياء أما الاربعة التي يلازمها فالمحافظة على الصلاة والصدقة وقراءة القرآن وكثرة التسبيح فان هذه الاشياء تضيء القبر وتوسعه * وأما الاربعة التي يجتنبها فالكذب والخيانة والنميمة والبول على البدن * وقد قال النبي عليه السلام استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه ثم يهبط الملكان الغليظان يخرقان الارض بمخالبهما وهما منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له من ربك الى آخره وان كان من اهل السعادة فيقول ربي الله ونبيي محمد عليه السلام وديني الاسلام فيقولان له نم نومة العروس ويفتحان له كوة عند رأسه فينظر منها الى منزله ومقعده في الجنة ثم يرجع الملكان مع الروح الى السماء ويجعلان الروح في القناديل المعلقة بالعرش وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال عليه السلام يقول الله تعالى لاأخرج عبدا من عبادي من الدنيا وانا اريد أن اغفر له الا نقصت من سيء عمله بسقم في جسده أو بضيق في معيشته أو بما يصيبه من غم فان بقي عليه من سيئاته شيء شددت عليه عند الموت حتى يلقاني ولا سيئة عليه وعزتي وجلالي لااخرج عبدا من عبادي وانا اريد أن لااغفر له الا وفيته بكل حسنة عملها بصحة في جسده وفرح يصيبه وسعة في رزقه فان بقي من حسناته شيء هونت عليه عند الموت حتى يلقاني ولا حسنة له قال ابو الاسود كنا عند عائشة رضي الله عنها اذا سقط فسطاط على انسان فضحكوا فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مؤمن يشاك بشوكة الا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها سيئة وقد قيل لاخير في بدن لاتصيبه الاسقام ولا خير في مال لاتصيبه النوائب وفي الخبر ان المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال على الآخرة نزلت عليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ومعهم كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون عنده مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول اخرجي ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى مغفرة الله ورضوانه قال عليه السلام فتخرج وتسيل من بدنه كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذونها ويضعونها على ما في ايديهم ويدرجونها في تلك الاكفان ويخرج منها ريح كريح المسك وقال عليه السلام وما يصعدون على ملائكة الا قالوا ماهذه الريح الطيبة فيقولون هذه روح فلان فيذكرونه باحسن اسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا واذا انتهوا بها الى السماء استفتحوا فتفتح لهم ابواب السماء ويشيعها من كل سماء ملائكة حتى ينتهوا بها الى السماء السابعة ثم ينادي مناد من قبل الله اكتبوا كتابه في عليين وردوه الى الارض فانه خلق منها كما بينه بقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى قال عليه السلام فيردون روحه الى جسده ويأتيه ملكان مهيبان فيجلسانه فيقولان له من ربك الى آخره ثم يقولان له ماتقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم يعني محمدا فيقول هو رسول الله انزل القرآن عليه وآمنت به وصدقته فينادي من السما صدق عبدي فافرشوا له فراشا من الجنة والبسوه لباسا من الجنة وافتحوا له

الله لها من الخير والنعيم المقيم

١٤ ثم يقول الله تعالى أعيدوها الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فينزلوا بها الى الارض فاذا غسل الجسد نادت الروح بصوت يسمعه كل شيء الا الانس والجن بالله عليك ياغاسل انزع ثيابه برفق واذا صب عليه الماء تقول ياغاسل لاتمس بيدك على جسده بقوة فانه مجروح فاذا فرغ من غسله ووضعه في كفنه دخلت بين الجسد والكفن ومايتكلم أحد بشيء الا والميت يسمعه لكن منع من النطق فاذا أراد الغاسل أن يربط الكفن نادت الروح فالله لاتربط الكفن حتى أرى وجه أهلي وأولادي وأقاربي لان هذا آخر رؤيتي لهم فاني اليوم أفارقهم فلا أراهم الى يوم القيامة واذا خرجوا به من الدار نادى بالله عليكم مهلوني حتى أودعكم واذا رفع سرير جنازته وخطوا به ثلاث خطوات صاح صيحة يسمعها كل شيء الا الانس والجن بالله ياأخواني ويا أحبابي وياأولادي لاتميلوا الى الدنيا فتغركم كما غرتني ويلعب بكم الزمان كما لعب بي اعتبروا بي لاني خلفت جميع مالي لورثتي ولايحملون من ذنوبي شيئا واذا وضع في قبره يأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك وما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له من أين بابا

بابا من الجنة قال عليه السلام ويأتيه من ريحها وطيبها ويوسع له قبره مد البصر قال عليه السلام يأتي رجل حسن الوجه والثياب طيب الريح فيقول له ابشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد به فيقول له من أنت يرحمك الله تعالى مارأيت فى الدنيا أحسن منك فيقول له انا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى ارجع الى أهلى قال عليه السلام واذ كان من أهل الشقاوة فاذا حضره الموت نزل عليه ملائكه من السما ومعهم لباس من العذاب فيجلسون بعيدا منه ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند راسه فيقول ياأيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط الله قال عليه السلام فتفارق روحه جسده فتستخرج روحه من بدنه كما يستخرج السفود من الصوف المبلول فاذا خرجت من جسده لعنه كل شيء لديه فى السماء والارض فيسمعه كل شيء لا الثقلين فيصعدون بها الى السماء الدنيا فاذا وصلوا بها الى السماء الدنيا أغلق دونها باب السماء فينادى مناد من قبل الرحمن ردوه الي مضجعه فيردونه الى قبره فيأتيه منكر ونكير باهول مايكون من الاهوال وأصواتهما كالرعد وأبصارهما كالبرق الخاطف فيخرقان الارض بأنيابهما فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا أدري فينادى من جانب القبر اضرباه فيضربانه مقمعة من حديد لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقلوها ويشتعل منها قبره نارا فيضمه وتختلط أعضاؤه ثم يأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح فيقول جزاك الله شرا فوالله ماعلمت ال كنت بطيئا عن الطاعات ومريعا فى معصية الله فيقول من أنت مارأيت فى الدنيا اسوا منك فيقول أنا عملك الخبيث ثم يفتح له بابا الى النار فينظر الى مقعده في النار فلا يزال كذلك حتى تقوم الساعة ويقال يفتن المؤمن فى قبره سبعة أيام والكافر أربعين يوما قال النبي عليه السلام من مات يوم الجمعة آمنه الله تعالى من فتنة القبر وفى الخبر عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه اذا توفى الرجل ووضع فى قبره جاء ملك الموت وقعد عند رأسه وعذبه وضربه ضربة واحدة بمطرقة لم يبق عضو منه الا انقطع ويلتهب قبره نارا ثم يقول قم باذن الله فاذا قعد مستويا صاح صيحة يسمعها مابين السماء والارض الا الجن والانس يقول الملك لما فعلت هذا ولم تعذبنى فقد كنت أقيم الصلاة وأؤدي الزكاة واصوم شهر رمضان فيقول أعذبك لانك مررت يوما بمظلوم وهو يستغيث بك فلم تغثه وصليت يوما ولم تتنزه من بولك فبان بهذا الخبر أن نصرة المظلوم واجبة كما روي عن النبي عليه السلام من رأى مظلوما فاستغاث به ولم يغثه ضرب فى قبره مائة سوط من النار وروي عن النبي عليه السلام أربعة نفر يأتي بهم يوم القيامة على منابر من نور ويدخلهم في رحمته قيل من أولئك يارسول الله فقال عليه السلام من أشبع جائعا أو جهز غازيا في سبيل الله أو اعان ضعيفا أو اغاث ملهوفا وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال قال عليه السلام اذا وضع الميت فى القبر واهيل التراب عليه يقول أهله واولاده واسيدا وشريفاه فيقول الملك الموكل اتسمع مايقولون فيقول نعم فيقول أنت كنت شريفا فيقول العبد هم يقولون ذلك ياليتهم يسكتون فيضغطه القبر فتختلط اضلاعه وينادي فى قبره واعظماه واذل مقاماه واندمتاه واعنف سؤالاه حتى تدخل أول ليلة جمعة من رجب من عامه ذلك فيقول الله تعالى أشهدكم ياملائكتى انى غفرت له سيئاته ومحوت خطاياه باحيائه هذه الليلة

علمت أنه رسول الله فيقول قرأت القرآن فآمنت به وصدقت برسالته فينادي من السماء صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة فيأتيه ريحها وريحانها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر ويأتيه رجل حسن الوجه والصورة والثياب طيب الرائحة فيقول له السلام عليك ياولى الله أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح فيقول الحمد لله رب أقم الساعة والملكان اللذان يأتيانه هما منكر ونكير كما فى الحديث أسودان أزرقان أعينهما كقدور النحاس وأصواتهما كالرعد يجران أنيابهما في الارض فتخرج النار من افواههما ومناخرهما ومسامعهما مع كل منهما عمود من حديد لو اجتمعت عليه أهل الارض ماحركوه وفي رواية اخرى لو ضربت به الجبال الراسيات لذابت وأما العبد الفاسق الفاجر الظالم الكاذب عاصى الله ورسوله شارب الخمر وتارك الصلاة اذا دنا أجله ينزل اليه ملك الموت ومعه ملائكة العذاب ثم ان ملك الموت يجلس منه مد البصر ويرسل اليه ملائكة السخط بايديهم سياط من نار فعند ذلك يشخص العبد فيسلبون روحه من جسده سلبا ويجذبونها جذبا وينزعونها نزعا قال ابن عباس رضى الله عنهما سبعون ضربة بالسيف أهون عليه من نزعة واحدة فاذا بلغت الروح الي حلقومه تقول لها الملائكة

﴿ الباب السادس عشر في ذكر الملك الذي يدخل القبر قبل منكر ونكير ﴾

روى عن عبد الله بن سلام يدخل على الميت ملك قبل أن يدخل منكر ونكير يتلألأ وجهه كالشمس اسمه رومان يدخل على الميت ثم يقعد فيقول له اكتب ما عملت من حسنة ومن سيئة فيقول له بأي شيء أكتب أين قلمي ومدادي ودواتي فيقول له ريقك مدادك وقلمك أصبعك فيقول على أي شيء أكتب وليس لي صحيفة قال عليه السلام فيقطع من كفنه قطعة فيناوله اياها فيقول هذه صحيفتك فاكتب فيكتب ما عمل في الدنيا من خير فاذا بلغ سيئة استحيا منه فيقول له يا خاطىء لم لا تستحي من خالقك حيث عملتها في الدنيا وتستحي مني الآن فيرفع الملك عمودا فيضربه فيقول العبد ارفع عني حتى أكتبها فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته ثم يأمره أن يطويها ويختمها فيطويها ويقول بأي شيء أختمها وليس معي خاتم فيقول اختمها بظفرك فيختمها بظفره ويعلقها في عنقه الى يوم القيامة كما قال الله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ثم يدخل بعد ذلك منكر ونكير كذلك واذا رأى العاصي كتابه يوم القيامة فاذا أمره الله بالقراءة يقرأ حسناته فاذا بلغ الى سيئاته سكت فيقول الله تعالى لم لا تقرأ فيقول أستحي منك فيقول الله تعالي لم لا تستحي في الدنيا والآن استحييت مني فيندم العبد ولا ينفعه الندم فيقول الله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه

(الباب السابع عشر في ذكر سؤال منكر ونكير)

في الخبر اذا وضع الميت في القبر أتاه ملكان أسودان أزرقا العينين صوتهما كالرعد وأبصارهما كالبرق الخاطف يخرقان الارض بأنيابهما فيأتيانه من قبل رأسه فتقول الصلاة لا تأتياه من قبلي فرب صلاة صلاها في الليل والنهار حذرا من هذه المواضع ثم يأتيانه من قبل رجليه فيقولان لا تأتياه من قبلنا فقد كان يمشي بنا الي الجماعة حذرا من هذا الموضع فيأتيانه من يمينه فتقول الصدقة لا تأتياه من قبلي فقد كان يتصدق بي حذرا من هذا الموضع فيأتيانه من قبل الشمال فيقول صومه لا تأتياه من قبلي فقد كان يجوع ويعطش حذرا من هذا الموضع فيستيقظ كما يستيقظ النائم فيقول ماذا تريدان مني فيقولان نريد منك توحيد الله فيقول أشهد أن لا اله الا الله فيقولان ماذا تقول في حق محمد عليه السلام فيقول وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان عشت مؤمنا ومت مؤمنا * ثم الحكمة في سؤال الملكين ان الملائكة طعنت في بني آدم عليه السلام حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية لما قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة فرد الله عليهم قولهم وقال اني أعلم ما لا تعلمون فبعث الله تعالي ملكين الى قبر المؤمنين ليسألا الميت من ربك الى آخره فيأمرهم الله تعالى أن يشهدا بين يدي الملائكة بما سمعا من العبد المؤمن لان أقل الشهود اثنان ثم يقول الرب يا ملائكتي قد أخذت روحه وتركت ماله لغيره وزوجته في حجر غيره وجاريته لغيره وضياعه لغيره فسألاه في بطن الارض فلم يرض الا عني ولم يجب عن واحد الا عني فقال الله تعالي ربي ومحمد نبيي والاسلام ديني ألم تعلموا أني أعلم ما لا تعلمون كما ذكر في الكتاب العزيز

(الباب الثامن عشر في ذكر الكرام الكاتبين)

روى أن كل انسان معه ملكان أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات من غير شهادة الآخر

اخرجي أيتها النفس الخبيثة الي سخط الله وعذابه فتخرج من جسده كما يخرج السفود من الصوف المبلول ثم يأمر الله تعالى الروح ان ترفرف وتدور حول جسده ويعمي الله عينيها التي كانت تبصر بها في الجسد فلا تبصر شيئا ولا تسمع شيئا فاذا الحد في قبره أذن الاله لها أن تنزل وتلبس البدن الى نصفه فيسمع خفقان النعال ونفض الايادي من التراب ويصير في قبره فزعا مرعوبا مستوحشا ثم يدخل عليه منكر ونكير يخرج من أفواههما لهيب النار بيد كل واحد منهما مقمعة من حديد لو ضربت بها الجبال الرواسي لذابت فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيفزع ذلك الشخص فزعة لم يفزع مثلها قط ويقول أنتما ربي فيضربانه بالمقمعة فيغوص في الارض أربعين ذراعا ثم يجذبانه جذبا من الارض أسرع من طرفة عين ويقولان له من ربك وما دينك فيرد عليهما المقالة الاولي ويقول لا أعرف لي ربا غيركما فيضيقان عليه القبر كالرمح في السنان ثم تسلط الحيات والعقارب والقردة والخنازير ودواب الارض تنهش لحمه نهشا ثم يفتحان له بابا عند رأسه الى النار ويقولان له انظر ما أعد الله لك من العذاب ويدخل عليه لهيبها وشررها ثم يأتيه رجل قبيح الوجه منتن الرائحة فيقول له جزاك الله شرا من أنت فما رأيت أسوأ منك حالا في دار الدنيا فيقول أنا والثاني

والثاني عن يساره يكتب السيئات ولا يكتبها الا بشهادة صاحبه فان قعد يكون أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فان مشي يكون أحدهما خلفه والآخر امامه فان نام يكون أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه وفي رواية أخرى خمسة أملاك ملكان بالليل وملكان بالنهار وملك لا يفارقه في وقت من الاوقات وذلك قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه والمراد من المعقبات ملائكة الليل والنهار يحفظونه من الجن والانس والشياطين فلكان يكتبان الحسنات والسيئات بين كتفيه وقلمهما لسانه ودواتهما فمه ومدادهما ريقه وهما يكتبان أعماله الى موته * وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام ان صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد سيئة وأراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتب وان لم يستغفر الله كتب سيئة واحدة فاذا قبض العبد ووضع في قبره قال الملكان يارب وكلتنا بعبدك نكتب عمله وقد قبضت روحه فائذن لنا نصعد الى السماء فيقول الله تعالى السماء مملوءة من الملائكة يسبحون فارجعا فسبحاني على قبر عبدي وكبرا وهللا واكتبا ذلك لعبدي حتى أبعثه من قبره وقال الله تعالى كراما كاتبين سماهم كراما كاتبين لانهم اذا كتبوا حسنة يصعدون بها الى السماء ويعرضونها على الله تعالى ويشهدون على ذلك فيقولون ان عبدك فلانا عمل حسنة كذا وكذا واذا كتبوا على العبد سيئة يصعدون الى السماء ويعرضونها مع الغم والحزن فيقول الله تعالى يا كراما كاتبين ما فعل عبدي فيسكتون حتى يسأل ثانيا وثالثا فيقولون الهنا انت ستار العيوب وأمرت عبادك بان يستروا عيوبهم انهم يقرؤن كل يوم كتابك ويرجون سترنا ويقولون كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون الآية فانا نستر عيوبهم وأنت علام الغيوب ولهذا سموا كراما كاتبين

﴿ الباب التاسع عشر في ان الروح بعد الخروج يأتي الى قبره ومنزله ﴾

قال النبي عليه السلام اذا خرج الروح من بدن ابن آدم ومضي ثلاثة ايام يقول الروح يا رب ائذن لي حتى أمشي وأنظر الى جسدي الذي كنت فيه فيأذن الله تعالى له فيجيء الى قبره وينظر اليه من بعيد وقد سال من منخريه ومن فمه دم فيبكي بكاء طويلا ثم يقول أواه ياجسدي المسكين ياحبيبي أتذكر أيام حياتك هذا المنزل منزل الوحشة والبلاء والكرب والحزن والندامة ثم يمضي فاذا كان خمسة أيام يقول يا رب ائذن لي حتى أنظر الى جسدي فيأذن الله له فيأتي الى قبره وينظر من بعيد وقد سال من منخريه ومن فمه وأذنيه ماء صديد وقيح فيبكي بكاء شديدا ثم يقول ياجسدي المسكين أتذكر ايام حياتك هذا منزل الغم والهم والمحنة والديدان والعقارب قد أكلت الديدان لحمك ومزق جلدك وأعضاؤك ثم يمضي فاذا كانت سبعة أيام يقول يا رب ائذن لي حتى انظر الى جسدي فيأذن الله له فيأتي الى قبره وينظر من بعيد وقد وقع فيه دود كثير فيبكي بكاء شديد فيقول يا جسدي أتذكر أيام حياتك اين اولادك واين اقرباؤك واين زوجتك واين اخوانك واصدقاؤك واين رفقاؤك واين جيرانك الذين كانوا يرضون جوارك اليوم يبكون على وعليك وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اذا مات المؤمن دارت روحه حول داره شهرا فتنظر الى ما خلفه من ماله كيف يقسم أو كيف تؤدى ديونه فاذا تم له شهر ردت الى حفرته فتدور بعد ذلك حتى يتم عليه حول فينظر من يدعو له ومن يحزن عليه فاذا تم الحول رفع روحه

قبل منكر ونكير ملك يتلالا وجهه كالشمس اسمه رومان فيقعده ويقول له اكتب ما عملت من حسنة وسيئة فيقول له باى شيء اكتب وليس لى قلم ولادواة ولا مداد فيقول له الملك ريقك مدادك وقلمك أصبعك فيقول في اى شيء اكتب وليس معي صحيفة فيقطع له من الكفن قطعة ويناولها له ويقول له اكتب فيكتب ما عمله من الخير فاذا بلغ الى السيئات يستحي ان فكتبها فيقول له ايا خاطىء انت فعلتها ولم تستح من الله بكيف الآن تستحي مني ثم يرفع له عمودا ويهم ان يضربه به فيقول له الميت أمهلني حتي أكتبها الى أن يكتب جميع السيئات ثم يأمر أن يختمها فيقول بأى شيء أختمها وليس معي خاتم فيقول له بظفرك فيختمها بظفره ويعلقها في عنقه الى يوم القيامة فاذا أمره الله تعالى بقراءة هذا الكتاب فيقرأ الحسنات فاذا بلغ الى السيئات سكت فيقول الله تعالى لم لا تقرأ فيقول يارب استحي منك فيقول الله تعالى عصيتني في الدنيا والآن تستحي مني فيندم العبد ولا ينفعه الندم فيقول الله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه وفي الخبر أن العبد المؤمن

اذا وضع في قبره يأتيه ملكان منكر ونكير من قبل رأسه فتقول صلاته لا تأتياه من قبلي لقد كان يصلي

الى حيث يجتمع الارواح الى يوم القيامة أي يوم ينفخ في الصور قال تعالى تنزل الملائكة والروح الآية ويقال معهم الروح والريحان ويقال الروح ملك عظيم ينزل لخدمة المؤمنين كما قال الله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا الآية قيل معناه روح بني آدم وقيل الروح جبرائيل عليه السلام ويقال الروح روح محمد عليه السلام تحت العرش يستأذن ليلة القدر من الله في النزول ليسلم على جميع المؤمنين والمؤمنات فيمر عليهم ويقال الروح روح الاقرباء من الاموات يقولون يا ربنا ائذن لنا بالنزول الى منازلنا حتى نرى أولادنا وعيالنا فينزلون في ليلة القدر كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا كان يوم العيد ويوم عاشوراء ويوم الجمعة الاولى من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وليلة الجمعة تخرج أرواح الاموات من قبورهم ويقفون على أبواب بيوتهم ويقولون ترحموا علينا في هذه الليلة المباركة بصدقة أو بلقمة فانا محتاجون اليها فان بخلتم بها ولم تعطونا فاذكرونا بفاتحة الكتاب في هذه الليلة المباركة هل من أحد يترحم علينا هل من أحد يذكر غربتنا يا من سكن دارنا ويا من نكح نساءنا ويا من أقام في واسع قصورنا ونحن الآن في ضيق قبورنا ويا من قسم اموالنا ويا من استذل أيتامنا هل منكم أحدا يذكر غربتنا وصحفنا مطوية وكتابكم منشور وليس للميت في اللحد ثواب فلا تنسونا بكسرة من خيركم ودعائكم فانا محتاجون اليكم أبدا فان وجد الميت من الصدقة والدعاء منهم رجع فرحا مسرورا وان لم يجد رجع محزونا ومحروما وآيسا منهم وقد قيل أن الروح في مجموع الحيوانات لا في جميع البدن لكنه في جزء من الاجزاء غير معين بدليل انه يجرح الواحد جراحات كثيرة فلا يموت ويجرح الواحد جراحة واحدة فيموت لانها اصابت المكان الذي حل فيه الروح وقيل الروح حالة في جميع البدن لان الموت في جميع البدن يدل عليه قوله تعالى قل يحييها الذي انشأها أول مرة فان قيل ما الفرق بين الروح والروان قلنا هما واحد ليس بينهما فرق كما أن البدن مع اليد واحد لكن اليد تذهب وتجيء والبدن لا يتحرك قط وكذا الروان يذهب ويجيء ولا يتحرك قط ثم موضع الروح في الجسد غير معين وموضع الروان بين الحاجبين فاذا زالت الروح مات العبد لا شك واذا زال الروان ينام العبد كما أن الماء اذا صب في القصعة ووضعت في بيت ووقعت الشمس عليها من كوة فشعاعها في السقف ولم تتحرك القصعة من موضعها فكذلك الروح سكنت البدن وشعاعها في العرش وهو الروان فيرى الرؤيا في المنام وهو في الملكوت وأما مسكن الروح بعد القبض فقيل مسكنها الصور وفيه ثقب بعدد كل حيوان يخلق الى يوم القيامة وان كان متنعما فهناك وان كان معذبا فهناك ويقال أن ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر في عليين وأرواح الكافرين في حواصل طيور سود في النار ويقال أن ارواح المؤمنين اذا قبضت رفعتها ملائكة الرحمة الى السماء السابعة بالاكرام والاعزاز فينادى مناد من قبل الرحمن اكتبوها في عليين ثم ردوها الى الارض قال فيردون روحه في جسده ويفتح له باب الى الجنة فينظر الى موضعه فيها حتى تقوم الساعة وان أرواح الكافرين اذا قبضت رفعتها ملائكة العذاب الى السماء الدنيا فتغلق دونها أبوابها ويؤمر بردها الى موضع جسدها ويضيق قبره ويفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده حتى تقوم الساعة وعلى هذا قوله عليه السلام حتى انهم ليسمعون صوت نعالكم وانما منعوا من الكلام وسئل بعض الحكماء عن مكان الارواح بعد الموت

فقال

بالليل والنهار حذرا من هذه المواضع فيأتيانه من قبل رجليه فيقولان لا تأتيانه من قبلي لقد كان يمشي بي الى المساجد حذرا من هذه المواضع فيأتيانه من قبل عينيه فتقولان لا تأتياه من قبلي لقد كان ينظر بي الى الطاعات كثيرا حذرا من هذه المواضع فاذا أتياه من قبل يمينه تقول لا تأتياه من قبلي لقد كان يتصدق بي كثيرا حذرا من هذه المواضع فيأتيانه من قبل شماله فيقول صومه لا تأتياه من قبلي لقد كان يجوع ويعطش حذرا من هذه المواضع فيوقظ كما يوقظ النائم فيقولان له ماتقول في محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له كنت مؤمنا نم بنام كنوم العروس ثم ينصرفان عنه (تنبيه) اذا خرجت الروح من البدن ومضى للميت ثلاثة أيام تقول الروح يارب ائذن لي ان أنظر الى الجسد كنت فيه فيأذن لها فتجيء الى القبر وتنظر من بعيد فتري الماء قد سال من منخريه وفمه فتبكي بكاء طويلا وتقول ياجسدي هذا منزل الوحشة والبلاء والغم والحزن والندامة ثم ترجع فاذا مضى خمسة أيام تأتي الى القبر فتجد الدم قد سال من فمه والقيح والصديد من اذنيه فتبكي بكاء طويلا ثم تقول ياجسدي هذا منزل الهم والغم والدود والعقارب الان يأكل الدود لحمك ويمزق جلدك ثم ترجع فاذا مضت

فقال أن ارواح الانبياء عليهم السلام في جنات عدن وتكون في اللحد مؤنسة لاجسادها والاجساد ساجدة لربها وأرواح الشهداء في الفردوس في وسط الجنة في حواصل طيور خضر تطير في الجنة حيث شاءت ثم تأتي الى قناديل معلقة بالعرش وأرواح ولدان المسلمين في حواصل عصافير الجنة وأرواح ولدان المشركين تدور في الجنة ليس لها مأوى الى يوم القيامة ثم يخدمون المؤمنين وأرواح المؤمنين الذين عليهم دين ومظالم معلقة بالهواء لاتصل الى الجنة ولا الى السماء حتى يؤدى عنها الدين والمظالم وأرواح المؤمنين المصرين تعذب في القبر مع الجسد وأرواح الكافرين والمنافقين في سجين في نار جهنم وتعرض عليها غدوا وعشيا وقيل أن الروح جسم لطيف ولذلك لايقال الله تعالى ذو روح لانه يستحيل أن يكون محلا كالاجسام وقد قيل أن الروح عرض وقيل ينشق من الهواء وهذان القولان قولا من أنكر عذاب القبر روي أن اليهود أتوا الى النبي عليه السلام فسألوه عن الروح وعن أصحاب الرقيم وعن ذي القرنين فنزل في شأنهم سورة الكهف ونزل في حق الروح قوله تعالي ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي قيل معناه من علم ربي ولا علم لي به وقيل أن الروح ليس بمخلوق لانه أمر الله تعالي وأمر الله تعالى كلام وقيل معناه يكون من ربي بكلمة كن وان الامر على ضربين أمر التزام كامره بالعبادات كالصلاة والصوم والحج والزكاة وأمر تكوين وهو أمر كن كقوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا وكقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وأما قوله تعالى نزل به الروح الامين وقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا فقيل معناه في سورة بني آدم وأنه ملك عظيم يقوم وحده صفا * وأما قوله تعالى لآدم فاذا سويته ونفخت فيه من روحي الآية فمعناه اذا استوى خلق آدم عليه السلام ونفخت فيه الروح وهذا اضافة خلق وقيل اضافة تكريم كما قال ناقة الله وبيت الله * وأما قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا فاضافة تكريم فنفخت على مابيناه وقيل معناه فنفخنا فيها من روحنا يعني جبريل عليه السلام وعلى هذا قيل الروح روح عيسى ابن مريم لانه خلق من نفخة جبرائيل عليه السلام وقيل معناه الرحمة قال تعالي وأيدهم بروح منه

(الباب العشرون في ذكر الصور والبعث والحشر)

اعلم ان اسرافيل عليه السلام صاحب القرن وخلق الله اللوح المحفوظ من درة بيضاء طوله مابين السماء والارض سبع مرات وعلقه بالعرش مكتوب فيه ماهو كائن الى يوم القيامة ولاسرافيل أربعة أجنحة جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وجناح يستره وجناح يغطى به رأسه ووجهه مصفر من خشية الله تعالى ناكس رأسه شاخص نحو العرش وأحد قوائم العرش على كاهله ولا يحمل العرش الا بقدرته لانه يصغر من خشية الله تعالى مثل العصفور فاذا قضى الله بشيء في اللوح كشف الغطاء عن وجهه ونظر الى ماقضى الله من حكم وأمر وليس في الملائكة أقرب مكانا من العرش من اسرافيل عليه السلام وبينه وبين العرش سبعة حجب من الحجاب الي الحجاب مسيرة خمسمائة عام و بين جبرائيل واسرافيل سبعون حجابا قد وضع الصور على فخذه الايمن ورأس الصور على فيه فينتظر امر الله تعالي متى يأتي فينفخ فيه فاذا انقضت مدة الدنيا دنا الصور من وجه اسرافيل فيضم اسرافيل أجنحته الاربعة ثم ينفخ في الصور وقيل يحمل ملك الموت احدي كفيه تحت الارض

سبعة أيام تأتي الى القبر فتجد الدود ينهشه نهشا فتبكي بكاء ما ويلا ثم تقول أين أولادك وأقاربك واخوانك اليوم يبكون علي وعليك الى يوم القيامة وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اذا مات الرجل المؤمن تدور روحه حول داره شهرا فاذا تم الشهر جاءت الى قبره فتدور حوله سنة فاذا تمت رفعت الي يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا كان يوم العيد ويوم العشر ويوم الجمعة الاولى من شهر رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة يخرج الاموات من قبورهم ويقفون على أبواب بيوتهم ويقولون ترحموا علينا في هذه الليلة بصدقة ولو بلقمة من خبز فانا محتاجون اليها فان لم يجدوا شيئا يرجعوا بالحسرة وقال أنس بن مالك ان الارض تنادي كل يوم عشر مرات يا ابن آدم تمشي على ظهري وتبكي في بطني وتأكل الحرام وتعذب في بطني وتفرح على ظهري وتحزن في بطني وتمشي آمنا على ظهري وتبقى خائفا في بطني وتمشي في النور على ظهري وتصير في الظلمة في بطني وتمشي مع الخلائق على ظهري وتبقى وحيدا في بطني وفي الخبر أن القبر ينادي كل يوم خمس مرات يا ابن آدم أنا بيت الدود يا ابن آدم أنا بيت الوحشة يا ابن آدم انا بيت الوحدة يا ابن آدم أنا بيت الغربة وقد ورد أن الشيطان عليه اللعنة يجلس عند رأسه ويقول اترك هذا الدين حتى تنجو من هذه الشدة وورد أن الميت يشتد عطشه وينقطع ريقه فيفرح

السابعة والاخرى فوق السماء السابعة فيأخذ أرواح أهل السماء وأهل الارض ولا يبقى في الارض الا ابليس لعنة الله عليه ولا يبقى في السماء الا جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وهم الذين استثناهم الله تعالى في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله الآية وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال عليه السلام ان الله تعالى خلق الصور وله أربع شعب شعبة منها في المغرب وشعبة منها في المشرق وشعبة منها تحت الارض السابعة السفلى وشعبة فوق السماء السابعة العليا وفي الصور من الابواب بعدد الارواح وفيه سبعون بيتا في واحد منها أرواح الانبياء وفي واحد منها ارواح الجن وفي واحد منها ارواح الانس وفي واحد منها ارواح الشياطين وفي واحد منها ارواح الحشرات والهوام الثلاثة الي تمام سبعين صنفا أعطاه الله امرافيل عليه السلام فهو واضعه على فمه ينتظر متى يؤمر فينفخ ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث قال حذيفة يارسول الله كيف يكون الخلائق عند النفخ في الصور قال عليه السلام ياحذيفة والذى نفسى بيده ينفخ في الصور وتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمته الي فمه فلا يطعمها والثوب بين يديه ليلبسه فلا يلبسه والكوز على فمه ليشربه فلا يشربه

﴿ الباب الحادى والعشرون في ذكر نفخة الصعق ثم نفخة الفزع ﴾

وينفخ في الصور فيبلغ فزعه أهل السموات والارض الا ماشاء الله وتسير الجبال سيرا وتمور السماء مورا وترجف الارض رجفا مثل السفينة في الماء وتضع الحوامل حملها وتذهل المراضع عن رضعائها وتصير الولدان شيبا وتصير الشياطين حائرة وقد تناثرت عليهم النجوم وكسفت الشمس وكشطت السماء من فوقهم والناس من ذلك في غفلة وذلك قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم ويكون كذلك أربعين يوما * وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأ عليه السلام قوله تعالى ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال أتدرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال عليه السلام ذلك اليوم الذى يقول الله تعالى فيه لآدم عليه السلام قم وابعث من ولدك بعث النار فيقول آدم عليه السلام كم من كل ألف فيقول الله من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فشق ذلك على القوم وغلب عليهم البكاء والحزن فقال عليه السلام انى لارجوا أن تكونوا ربع أهل الجنة ثم قال عليه السلام انى لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ففرحوا فقال النبي عليه السلام انى لارجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة وقال عليه السلام ابشروا فانما انتم في الامم كالشعرة في جنب البعير انما انتم جزء واحد من ألف جزء وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال عليه السلام ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة على الانس والجن والبهائم والهوام في الارض فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ثم يأمر اسرافيل عليه السلام أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ فيقول أيتها الارواح العارية اخرجي بأمر الله تعالى فيصعق ويموت أهل السموات والارض الا من شاء الله تعالى يقال هم الشهداء فانهم أحياء عند ربهم كما قال الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء الآية وفي الخبر عن النبي عليه السلام ان الله تعالى أكرم الشهداء بخمس كرامات لم يكرمها أحدا ولا أنا احدها أن ارواح الانبياء يقبضها ملك الموت وأنا كذلك وأرواح الشهداء يقبضها الله تعالى والثاني أن الانبياء يغسلون بعد موتهم وأنا كذلك والشهداء

الشيطان لسلب الايمان من المؤمن فيجيء في ذلك الوقت ومعه قدح من الماء ويقف عند رأس الميت في قبره فيقول له اسقني من هذا الماء فيقول له اترك هذا الدين وأنا اسقيك منه فان لم يجبه يجيء تحت رجليه ويحرك الماء فيقول المؤمن اعطني من هذا الماء فيقول له قل كذب الرسول وأنا اعطيك منه فمن أدركته الشقاوة يجيبه الى ذلك فيخرج من الدنيا كافرا نعوذ بالله من ذلك ومن أدركته السعادة يترك كلامه ويحكى عن الجلال أن المؤمن يسأل سبعة أيام والكافر يسأل اربعين يوما وقد ورد أن ابازكريا الزاهد لما حضرته الوفاة أتاه صديق له وهو في سكرات الموت فلقنه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض بوجهه ولم يقل فقال له ثانيا وثالثا ولم يقل بل قال لا أقول فغشى على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد ابوزكريا خفة ففتح عينيه وقال هل قلتم لى شيئا فقالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاث مرات فأبيت وأعرضت بوجهك في المرتين وقلت في الثالثة لا اقول فقال الزاهد نعم اتاني ابليس في تلك الساعة ومعه قدح من ماء ووقف عن يمينى وقال لى أتحتاج الى هذا الماء فقلت له نعم انى كنت في شدة نزع الروح عطشان فقال لى قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه فقال لى الثالثة فقلت لا اقول فضرب القدح على الارض وولى هاربا وانا رددت عليه لا عليكم وانا اشهد ان لا اله الا الله وان

والشهداء لا يغسلون والثالث أن الانبياء يكفنون وأنا كذلك والشهداء لا يكفنون والرابع أن الانبياء يسمون الموتي وأنا كذلك يقال مات محمد عليه السلام والشهداء أحياء لا يسمون موتي بل يقال أحياء والخامس أن الانبياء يشفعون يوم القيامة وانا كذلك والشهداء يشفعون كل يوم الي يوم القيامة ويقال في معنى الا من شاء الله يعني يبقى اثنا عشر نفسا جبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام وثمانية من حملة العرش فتبقي الدنيا بلا انس ولا جن ولا شيطان ولا وحش ثم يقول الله تعالى ياملك المـوت انى خلقت لك بعدد الاولين والآخرين أعوانا وجعلت لك قوة اهل السموات والارضين وانى البسك اليوم ثوب الغضب فانزل بغضبي وسطوتي على ابليس عليه اللعنة فأذقه الموت واحمل عليه مرارة موت الاولين والاخرين من الانس والجن اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون ألفا مع كل واحد سلسلة من سلاسل لظى فينادي مالكا ليفتح أبواب النار فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليه أهل السموات والارضين لماتوا كلهم فينتهى الى ابليس ويزجره زجرة فاذا هو قد صعق وله خرخرة لو سمعها أهل السموات والارضين اصعقوا من تلك الخرخرة وملك الموت يقول ياخبيث لاذيقنك الموت اليوم كم من عمر أدركت وكم من قرن أضللت قال فيهرب ابليس الي المشرق فاذا هو عنده ويهرب الى المغرب فاذا هو عنده فلا فلا يزال الى حيث هرب ثم يقوم ابليس في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام فيقول ياآدم من أجلك صرت رجيما وملعونا ومطرودا فيقول ياملك المـوت بأى كأس تسقيني وبأي عذاب تقبض روحي فيقول بكأس لظى والسعير وابليس يقع فى التراب مرة بعـد مرة حتي اذا كان فى الموضع الذى هبط فيه ولعن عليه وقد صبت عليه الزبانية بالكلاليب فيأخذه الزبانية ويطعنونه فيبقي فى النزع فى سكرات الموت ماشاء الله

﴿ الباب الثاني والعشرون في ذكر فناء الاشياء بامر الله تعالي ﴾

يؤمر ملك الموت أن يفنى البحار كما قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فيأتى ملك الموت الى البحار فيقول قد انقضت مدتك فيقـول البحر ائذن لي حتى أنوح على نفسي فيقول أين أمواجي وابن عجائبي وقد جاء أمر الله فيصيح عليها ملك الموت صيحة فكأنماءها لم يكن ثم يأتى الى الجبال فيقول قد انقضت مدتك فتقول الجبال ائذن لى حتى أنوح على نفسى فتقول أين صعودي وأين قوتى وقد جاء أمر الله فيصيح عليهـا صيحة فتذوب ثم يأتي الى الارض فيقول قد انقضت مدتك فتقول الارض ائذن لى حتى أنوح علي نفسى فتقول أين ملوكي واشـجاري وانهارى وأنواع نباتى فيصيح عليهـا ملك الموت صيحة فتتساقط حيطانهـا وتغور عيونها ثم يصعـد الى السماء فيصيح فتنكسف الشمس والقمر وتتناثر النجوم ثم يقول الله ياملك الموت من بقي من خلقي فيقول الهى أنت الحى الذى لايموت بقي جبرائيل وميكائيل واسرافيل وحملة العرش وأنا عبـدك الضعيف فيقول الله تعالى اقبض ارواحهم فيقبض ارواحهم ثم يقول الله ياملك الموت ألم تسمع قولى كل نفس ذائقة الموت وأنت خلق من خلقى مت أنت فيموت * وفى خبر آخر ثم يامره الله بقبض روح نفسه فيجيء الى موضع بين الجنة والنار ويجعل بصره الى السماء فينزع روحه فيصيح صيحة واحدة لو كانت الخلائق كلهم فى الحياة لمـاتوا من صيحته ثم يقول لو علمت أن فى نزع الروح هذه الشدة لكنت على قبض ارواح المؤمنين أشفق ثم يموت فلا يبقى أحـد

محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومما يحكي) ان ملك الموت كان يظهر في الزمان الاول فتراه الناس فدخل يوما على سليمان بن داود عليهما السلام فأخذ ينظر الى شاب عنده فارتعد الشاب فلما مضى ملك الموت قال الشاب يانبي الله انى خفت من ملك الموت خوفا شديدا بالله عليك يانبي الله أن تأمر الريح أن تحملني الى أرض الصين لعل ملك الموت يضل عني فأمر سليمان الريح فحملته الى أرض الصين ثم أن ملك الموت عاد الي سليمان عليه السلام فسأله سليمان عن سبب النظر الى الشاب فقال يانبي الله أمرت بقبض روحه اليوم فى أرض الصين فلما رأيته عندك تعجبت من ذلك فأخبره سليمان بأن الريح حملته في هذه الساعه الي الصـين فذهب وقبض روحه هناك (وفي حكاية اخري) أن رجلا أجري الله على لسانه اللهم اغفر لى ولملك الشمس فنزل عليه وقال له أراك تكثر الدعاء لى فما حاجتك فقال له حاجتي ان تحملني الى مكانك وتسأل ملك الموت أن يخبرنى متى ينقضى أجلى فحمله ذلك الملك الى الشمس وأقعـده مكانه ثم صعد الى ملك الموت وقال له أن عندى رجلا من بنى آدم طلب منى أن اطلب منك أن تعلمه متى يكون أجله فنظر ملك الموت فى كتاب وقال هيهات هيهات لايموت ذلك الرجل حتى يجلس مكانك في الشمس فقال له قد جلس في هذه الساعة فذهب اليه ملك الموت وقبض روحه هناك

وفي خبر آخر يقول الله اذهب ومت بين الجنة والنار فيموت هناك ولا يبقى شيء غير الله فتبقى الدنيا خرابا الى ماشاء الله تعالى

﴿ الباب الثالث والعشرون في ذكر مايحشر الله من الخلائق ﴾

في الخبر اذا أراد الله أن يحشر الخلائق أحيا جبريل وميكائيل عليهما السلام واسرافيل وعزرائيل عليهما السلام أولهم اسرافيل فيأخذ الصور من العرش فيبعث الله الى رضوان فيقول يارضوان زين الجنان ورتب الحلل لمحمد عليه السلام وأمته ثم يأتون بالبراق والتاج ولواء الحمد وحلتين من حلل الجنة فاول ما أحيا الله من الدواب البراق فيقول الله تعالى لهم اكسوه فيكسونه سرجا مرصعا من ياقوتة حمراء ولجامه من زبرجدة خضراء والحلتان احداهما خضراء والاخري صفراء فيقول الله تعالى لهم انطلقوا الى قبر محمد عليه السلام فيذهبون وقد صارت الارض قاعا صفصفا فلا يدرون أين قبره فيظهر نور محمد عليه السلام مثل العمود من قبره الى عنان السماء فيقول جبريل عليه السلام ناد أنت يا اسرافيل فانت الذى يحشر الله الخلائق بيدك فيقول له ياجبريل ناد أنت فانك خليله في الدنيا فيقول أنا أستحي منه فيقول اسرافيل عليه السلام ناد أنت ياميكائيل فيقول ميكائيل السلام عليك يامحمد فلا يجيبه فيقولون لملك الموت ناد أنت فيقول ملك الموت أيتها الروح الطيبة ارجعي الى البدن الطيب فلا يجيبه أحد ثم ينادى اسرافيل عليه السلام أيتها الروح الطيبة ادخلي الى البدن الطيب فلا يجيبه ثم ينادى عزرائيل عليه السلام يا أيتها الروح الطيبة قومي لفصل القضاء والحساب والعرض على الرحمن فينشق القبر فاذا هو جالس في قبره ينفض التراب عن رأسه ولحيته فيعطيه جبرائيل عليه السلام حلتين والبراق فيقول ياجبرائيل أي يوم هذا فيقول هذا يوم القيامة ويوم الحسرة والندامة هذا يوم البراق وهذا يوم الفراق وهذا يوم التلاق فيقول ياجبرائيل بشرني فيقول الجنة قد زخرفت لقدومك والنار قد أغلقت فيقول لست أسألك عن هذا بل اسألك عن أمتي المذنبين لعلك تركتهم على الصراط فيقول اسرافيل وعزة ربي يامحمد مانفخت صور البعث قبل قيامك فيقول الآن طاب قلبي وقرت عيني فيأخذ التاج والحلة فيلبسهما ويركب البراق

﴿ الباب الرابع والعشرون في ذكر صفة البراق ﴾

له جناحان يطير بهما بين السماء والارض ووجهه كوجه الانسان ولسانه كلسان العرب واضح الحاجبين ضخم القرنين رقيق الاذنين هما من زبرجدة خضراء أسود العينين ويقال كالكوكب الدري وناصيته من ياقوتة حمراء ذنبه كذنب البقر مكلل بالذهب الاحمر ويقال هو في الحسن كالطاوس فوق الحمار ودون البغل وانما سمي البراق براقا لان سيره وسرعته كالبرق فلما دنا للنبي عليه السلام ليركب اضطرب وقال ياجبريل وعزة ربي لايركبني الا النبي الهاشمي الابطحي القرشي محمد بن عبد الله صاحب القرآن فيقول أنا محمد بن عبدالله فيركبه ثم ينطلق الى الجنة فيخر ساجدا فينادى مناد ارفع رأسك وسل تعط فيقول الهي ماوعدتني في أمتي فيقول أعطيتك ماترضي كما في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضي ثم يأمر الله تعالى السماء بان تمطر فتمطر السماء ماء كمني الرجال أربعين يوما فيكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعا فينبت الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل اجسامهم كما كانت في الدنيا ثم يبدل الله تعالى الارض التي عمل عليها المعاصي فينصب عليها من حميم جهنم

ومما يحكي عن أبي قلابة أنه رأى في المنام كان جبانة قد انشقت قبورها وخرجت أمواتها وجلسوا عند قبورهم وكان بيد كل واحد منهم طبق من نور ثم انه نظر فرأى بينهم رجلا ليس معه من النور شيء فقال له مالي لا أرى معك من هذا النور فقال ان تلك الاموات لهم أولاد واخوان يدعون لهم ويتصدقون لاجلهم فبعث الله اليهم هذا النور وأما أنا فلي ابن غير صالح لا يدعو لي ولا يتصدق لاجلي فلما انتبه أبو قلابة ذهب الى ولده وأخبره بما رآى من أحوال أبيه فقال ياأبا قلابة اني قد تبت على يديك ثم أن ابنه اشتغل بالطاعات والدعاء الى أبيه ثم أن اباقلابة اتى الى تلك الجبانة بعد مدة فرآي في منامه تلك الاموات على حالها الاولي ورآى الرجل فقال له يا اباقلابة جزاك الله عني كل خير بقولك لولدي نجوت من النار * وماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات يوم الجمعة آمنه الله من فتنة القبر وقال الاسود كنا عند عائشة رضي الله عنها فسقط فسطاط يعني عمود الخيمة على انسان فضحكنا فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن مؤمن يشاك بشوكة الا رفعت عنه سيئة وكتبت له حسنة وروى عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة نفر يؤتى بهم يوم القيامة على منابر من نور فتدخل الجنة من أصبع جاذا فيأتي

فيأتي بارض من فضة بيضاء فينصب عليها من ماء الجنة وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت يارسول الله يوم تبدل الارض غير الارض أين يكون الناس قال عليه السلام ياعائشة سالتيني عن شيء عظيم ماسالني عنه غيرك ان الناس يومئذ على الصراط

* الباب الخامس والعشرون في ذكر نفخة الصور للبعث *

ثم يقول الله تعالى يااسرافيل قم وانفخ في الصور نفخة البعث فينفخ وينادى ايتها الارواح الخارجة والعظام النخرة والاجساد البالية والعروق المتقطعة والجلود الممزقة والشعور المتساقطة قوموا لفصل القضاء فيقومون بامر الله تعالي وذلك قوله تعالى فاذا هم قيام ينظرون ينظرون الى السماء قد مارت والى الارض قد بدلت والى العشار قد عطلت والى الوحوش قد حشرت والى البحار قد سجرت والى النفوس قد زوجت والى لزبانية قد احضرت والى الشمس قد كورت والى الموازين قد نصبت والى الجنة قد أزلفت علمت نفس ما أحضرت وذلك قوله تعالي قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا الآية فيجيبهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيخرجون من القبور حفاة عراة * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معني قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي بل التراب من دموع عينيه ثم قال عليه السلام أيها السائل سألتنى عن أمر عظيم انه يحشر يوم القيامة اقوام من أمتى على اثنى عشر صنفا أما الاول فيحشرون على صورة القردة وهم القتاتون في الناس كما في قوله تعالي والفتنة أشد من القتل والثاني يحشرون على صورة الخنازير وهم أهل السحت كما في قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت والثالث يحشرون عميا متحيرين فيملق بهم الناس وهم الذين يتجاوزون في الحكم كما في قوله تعالى واذ حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا والرابع يحشرون صما بكما وهم المعجبون باعمالهم كما في قوله تعالي ان الله لايحب من كان مختالا فخورا والخامس يحشرون يسيل من أفواههم القيح ويعضون ألسنتهم وهم العلماء الذين تخالف أقوالهم أفعالهم كما قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم الآية والسادس يحشرون وعلى أجسادهم قروح من النار وهم الشاهدون بالزور والسابع يحشرون وأقدامهم على جباههم معقودة بنواصيهم وهم أشد نتنا من الجيفة وهم الذين يتبعون الشهوات واللذات والحرام كما قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة والثامن يحشرون كالسكاري يسقطون يمينا وشمالا وهم الذين يمنعون حق الله كما قال تعالي يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الآية والتاسع يحشرون وعليهم سراويل من قطران وهم الذين لا يتحاشون عن الغيبة كما قال الله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا والعاشر يحشرون خارجة ألسنتهم من أقفائهم وهم أصحاب النميمة والحادى عشر يحشرون سكاري وهم الذين يحشرون كانوا يتحدثون في المساجد بحديث الدنيا كما قال الله تعالى وأن المساجد لله والثانى عشر يحشرون على صورة الخنازير وهم الذين كانوا ياكلون الربا كما قال الله تعالي لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة الآية * وفي خبر آخر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال اذا كان يوم القيامة ويوم الحسرة والندامة يحشر الله تعالى أمتي في قبورهم على اثنى عشر فوجا اما الفوج الاول فيحشرون من قبورهم ليس لهم ايد

فقال ان أرواح الانبياء في جنة عدن وأرواح الشهداء في وسط الجنة في حواصل طيور خضر يطيرون في الجنة حيث شاءوا وأرواح أولاد المؤمنين في حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح أولاد المشركين يترددون ليس لهم مكان مخصوص وأرواح الذين عليهم دين ويأكلون اموال الناس بالباطل معلقة في الهواء لا تصل الى الجنة ولا الى السماء وأرواح فساق الكفار تعذب في القبر مع الجسد وأرواح المنافقين في سجين في نار جهنم وورد أن من أصيب بمصيبة فخرق ثوبا أو ضرب له صدرا فكانما أخذ رمحا وحارب به مولاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سود بابا على لمصيبة او ثوبا اوخرق ثوبا أوضرب له صدرا اوقلع له شعرة بنى الله بكل شعرة بيتا في النار وكانما قتل سبعين نبيا ولا يقبل الله منه شيئا ما دام ذلك السواد على بابه وضيق الله على الميت قبره وشدد عليه حسابه ولعنته كل يوم ملائكة السموات والارض وكتب عليه ألف خطيئة وقام يوم القيامة عريانا ومن لطم على خده أو خدش وجهه حرم الله تعالى النظر الى وجهه يوم القيامة ولا باس بالبكاء على الميت ولكن الصبر أفضل لقوله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وورد

وفي خبر آخر يقول الله اذهب ومت بين الجنة والنار فيموت هناك ولا يبقى شيء غير الله فتبقى الدنيا خرابا الى ماشاء الله تعالى

﴿ الباب الثالث والعشرون في ذكر مايحشر الله من الخلائق ﴾

في الخبر اذا أراد الله أن يحشر الخلائق أحيا جبريل وميكائيل عليهما السلام واسرافيل وعزرائيل عليهما السلام أولهم اسرافيل فيأخذ الصور من العرش فيبعث الله الى رضوان فيقول يارضوان زين الجنان ورتب الحلل لمحمد عليه السلام وأمته ثم يأتون بالبراق والتاج ولواء الحمد وحلتين من حلل الجنة فاول ما أحيا الله من الدواب البراق فيقول الله تعالى لهم اكسوه فيكسونه مسرجا مرصعا من ياقوتة حمراء ولجامه من زبرجدة خضراء والحلتان احداهما خضراء والاخري صفراء فيقول الله تعالى لهم انطلقوا الى قبر محمد عليه السلام فيذهبون وقد صارت الارض قاعا صفصفا فلا يدرون أين قبره فيظهر نور محمد عليه السلام مثل العمود من قبره الى عنان السماء فيقول جبريل عليه السلام ناد أنت يا اسرافيل فانت الذى يحشر الله الخلائق بيدك فيقول له ياجبريل ناد أنت فانك خليله في الدنيا فيقول أنا أستحى منه فيقول اسرافيل عليه السلام ناد أنت ياميكائيل فيقول ميكائيل السلام عليك يامحمد فلا يجيبه فيقولون لملك الموت ناد أنت فيقول ملك الموت أيتها الروح الطيبة ارجعى الى البدن الطيب فلا يجيبه أحد ثم ينادى اسرافيل عليه السلام أيتها الروح الطيبة ادخلى الى البدن الطيب فلا يجيبه ثم ينادى عزرائيل عليه السلام يا أيتها الروح الطيبة قومى لفصل القضاء والحساب والعرض على الرحمن فينشق القبر فاذا هو جالس في قبره ينفض التراب عن رأسه ولحيته فيعطيه جبرائيل عليه السلام حلتين والبراق فيقول ياجبرائيل أى يوم هذا فيقول هذا يوم القيامة ويوم الحسرة والندامة هذا يوم البراق وهذا يوم الفراق وهذا يوم التلاق فيقول ياجبرائيل بشرني فيقول الجنة قد زخرفت لقدومك والنار قد أغلقت فيقول لست أسألك عن هذا بل اسألك عن أمتى المذنبين لعلك تركتهم على الصراط فيقول اسرافيل وعزة ربى يامحمد مانفخت صور البعث قبل قيامك فيقول الآن طاب قلبي وقرت عيني فياخذ التاج والحلة فيلبسهما ويركب البراق

﴿ الباب الرابع والعشرون في ذكر صفة البراق ﴾

له جناحان يطير بهما بين السماء والارض ووجهه كوجه الانسان ولسانه كلسان العرب واضح الحاجبين ضخم القرنين رقيق الاذنين هما من زبرجدة خضراء أسود العينين ويقال كالكوكب الدري وناصيته من ياقوتة حمراء ذنبه كذنب البقر مكلل بالذهب الاحمر ويقال هو في الحسن كالطاوس فوق الحمار ودون البغل وانما سمى البراق براقا لان سيره وسرعته كالبرق فلما دنا النبي عليه السلام ليركب اضطرب وقال ياجبريل وعزة ربي لايركبني الا النبي الهاشمي الابطحي القرشي محمد بن عبد الله صاحب القرآن فيقول أنا محمد بن عبد الله فيركبه ثم ينطلق الى الجنة فيخر ساجدا فينادى مناد ارفع رأسك وسل تعط فيقول الهى ماوعدتنى في أمتى فيقول أعطيتك مارضي كما في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم يأمر الله تعالى السماء بان تمطر فتمطر السماء ماء كمني الرجال أربعين يوما فيكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعا فينبت الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل اجسامهم كما كانت في الدنيا ثم يبدل الله تعالى الارض التى عمل عليها المعاصى فينصب عليها من حميم جهنم

ومما يحكي عن أبي قلابة أنه رأى في المنام كان جبانة قد انشقت قبورها وخرجت أمواتها وجلسوا عند قبورهم وكان بيد كل واحد منهم طبق من نور ثم انه نظر فرأى بينهم رجلا ليس معه من النور شيء فقال له مالي لاأرى معك من هذا النور فقال ان تلك الاموات لهم أولاد واخوان يدعون لهم ويتصدقون لاجلهم فبعث الله اليهم هذا النور وأما أنا فلي ابن غير صالح لايدعو الي ولا يتصدق لاجلي فلما انتبه أبو قلابة ذهب الى ولده وأخبره بما رآى من أحوال أبيه فقال ياأبا قلابة اني قد تبت على يديك ثم أن ابنه اشتغل بالطاعات والدعاء الى أبيه ثم أن اباقلابة اتى الى تلك الجبانة بعد مدة فرآي في منامه تلك الاموات على حالها الاولي ورآى الرجل فقال له ياأباقلابة جزاك الله عنى كل خير بقولك لولدى نجوت من النار * وماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات يوم الجمعة آمنه الله من فتنة القبر وقال الاسود كنا عند عائشة رضى الله عنها فسقط فسطاط يعنى عمود الخيمة على انسان فضحكنا فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن مؤمن يشاك بشوكة الا رفعت عنه سيئة وكتبت له حسنة وروى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة نفر يؤتى بهم يوم القيامة على منابر من نور فتدخل الجنة من أضيع جاذا فيأتي

فيأتى بارض من فضة بيضاء فينصب عليها من ماء الجنة وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت يارسول الله يوم تبدل الارض غير الارض أين يكون الناس قال عليه السلام ياعائشة سالتينى عن شىء عظيم ماسالنى عنه غيرك ان الناس يومئذ على الصراط

❊ الباب الخامس والعشرون فى ذكر نفخة الصور للبعث ❊

ثم يقول الله تعالى ياامرافيل قم وانفخ فى الصور نفخة البعث فينفخ وينادى ايتها الارواح الخارجة والعظام النخرة والاجساد البالية والعروق المتقطعة والجلود الممزقة والشعور المتساقطة قوموا لفصل القضاء فيقومون بامر الله تعالى وذلك قوله تعالى فاذا هم قيام ينظرون ينظرون الى السماء قد مارت والى الارض قد بدلت والى العشار قد عطلت والى الوحوش قد حشرت والى البحار قد سجرت والى النفوس قد زوجت والى الزبانية قد احضرت والى الشمس قد كورت والى الموازين قد نصبت والى الجنة قد أزلفت علمت نفس ما أحضرت وذلك قوله تعالى قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا الآية فيجيبهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيخرجون من القبور حفاة عراة ❊ وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بل التراب من دموع عينيه ثم قال عليه السلام أيها السائل سألتنى عن أمر عظيم انه يحشر يوم القيامة اقوام من أمتى على اثنى عشر صنفا أما الاول فيحشرون على صورة القردة وهم الفتانون فى الناس كما فى قوله تعالى والفتنة أشد من القتل والثانى يحشرون على صورة الخنازير وهم أهل السحت كما فى قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت والثالث يحشرون عميا متحيرين فيعلق بهم الناس وهم الذين يتجاوزون فى الحكم كما فى قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا والرابع يحشرون صما بكما وهم المعجبون باعمالهم كما فى قوله تعالى ان الله لايحب من كان مختالا فخورا والخامس يحشرون يسيل من أفواههم القيح ويمضغون ألسنتهم وهم العلماء الذين تخالف أقوالهم أفعالهم كما قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم الآية والسادس يحشرون وعلى أجسادهم قروح من النار وهم الشاهدون بالزور والسابع يحشرون وأقدامهم على جباههم معقودة بنواصيهم وهم أشد نتنا من الجيفة وهم الذين يتبعون الشهوات واللذات والحرام كما قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة والثامن يحشرون كالسكارى يسقطون يمينا وشمالا وهم الذين يمنعون حق الله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الآية والتاسع يحشرون وعليهم سراويل من قطران وهم الذين لا يتحاشون عن الغيبة كما قال الله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا والعاشر يحشرون خارجة ألسنتهم من أقفائهم وهم أصحاب النميمة والحادى عشر يحشرون سكارى وهم الذين يحشرون كانوا يتحدثون فى المساجد بحديث الدنيا كما قال الله تعالى وأن المساجد لله والثانى عشر يحشرون على صورة الخنازير وهم الذين كانوا يأكلون الربا كما قال الله تعالى لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة الآية ❊ وفى خبر آخر عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام قال اذا كان يوم القيامة ويوم الحسرة والندامة يحشر الله تعالى أمتى فى قبورهم على اثنى عشر فوجا اما الفوج الاول فيحشرون من قبورهم ليس لهم ايد

فقال ان أرواح الانبياء فى جنة عدن وأرواح الشهداء فى وسط الجنة فى حواصل طيور خضر يطيرون فى الجنة حيث شاءوا وأرواح أولاد المؤمنين فى حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح أولاد المشركين يترددون ليس لهم مكان مخصوص وأرواح الذين عليهم دين ويأكلون اموال الناس بالباطل معلقة فى الهواء لا تصل الى الجنة ولا الى السماء وأرواح فساق الكفار تعذب فى القبر مع الجسد وأرواح المنافقين فى سجين فى نار جهنم وورد أن من أصيب بمصيبة فخرق ثوبا أو ضرب له صدرا فكانما أخذ رمحا وحارب به مولاه وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من سود بابا على لمصيبة او ثوبا اوخرق ثوبا أو ضرب له صدرا اوقلع له شعرة بنى الله بكل شعرة بيتا فى النار وكانما قتل سبعين نبيا ولا يقبل الله منه شيئا ما دام ذلك السواد على بابه وضيق الله على الميت قبره وشدد عليه حسابه ولعنته كل يوم ملائكة السموات والارض وكتب عليه ألف خطيئة وقام يوم القيامة عريانا ومن لطم على خده أو خدش وجهه حرم الله تعالى النظر الى وجهه يوم القيامة ولا باس بالبكاء على الميت ولكن الصبر أفضل لقوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وورد

ولا ارجل فينادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين كانوا يؤذون الجيران ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب
بالجنب الآية وأما الفوج الثاني فيحشرون من قبورهم على صورة دابة يقال لها خنازير
فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يتهاونون في الصلاة ماتوا ولم يتوبوا فهذا
جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالي فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
وأما الفوج الثالث فيحشرون من قبورهم وبطونهم مثل الجبال مملوءة من حيات وعقارب
كمثل البغال فينادى المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يمنعون الزكاة ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمي عليها في نار جهنم فيجعل الله تعالي
بكل دانق منها لوحا من النار فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم
لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون واما الفوج الرابع فيحشرون من قبورهم يجرى من
أفواههم دم وأمعاؤهم تجرى على الارض والنار تخرج من افواههم فينادي المنادي من
قبل الرحمن هؤلاء الذين كذبوا في البيع والشراء ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم
الي النار كما قال الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا وأما الفوج الخامس
فيحشرون من قبورهم يستخفون من الناس ريحهم أنتن من الجيفة فينادى المنادى من
قبل الرحمن هؤلاء الذين يكتمون المعاصى سرا من الناس ولم يخافوا من الله ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله الآية وأما الفوج السادس فيحشرون من قبورهم مقطوعة حلاقيمهم من الاقفية
فينادى المنادى من قبل الرحمن هولاء الذين يشهدون الزور والكذب ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى والذين يشهدون الزور الاية وأما
الفوج السابع فيحشرون من قبورهم ليس لهم ألسنة يجرى من أفواههم الدم والقيح
فينادي المنادى هؤلاء الذين يمنعون شهادة الحق ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم
الى النار كما قال الله تعالي ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه الاية وأما الفوج
الثامن فيحشرون من قبورهم ناكسي رؤسهم وأرجلهم فوق رؤسهم تجرى من فروجهم
انهار من القيح والصديد فينادى مناد من قبل الرحمن هؤلاء الذين يزنون ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الاية
وأما الفوج التاسع فيحشرون من قبورهم سود الوجوه زرق العيون بطونهم مملوءة من
النار فينادى المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما ماتوا ولم
يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامي
ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا الاية وأما الفوج العاشر فيحشرون من قبورهم بالجذام
والبرص فينادى المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين عقوا الوالدين ماتوا ولم يتوبوا فهذا
جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين
احسانا الاية وأما الفوج الحادى عشر فيحشرون من قبورهم عمي القلوب وأسنانهم كقرن
الثور وأشفارهم مطروحة على صدورهم وألسنتهم مطروحة على بطونهم وبطونهم
مطروحة على أفخاذهم يخرج من بطونهم القذر فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء

الذين

أن النائحة ومن حولها ومن فعليها عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه لما مات ولده ابراهيم
دمعت عيناه فقال له عبد
الرحمن بن عوف يارسول
الله أليس قد نهيتنا عن البكاء
فقال انما نهيتكم عن الصوتين
الفاجرين الاحمقين صوت
النوح والغناء ثم قال النبي
صلى الله عليه وسلم تدمع
العينان ويحزن القلب
وروى ان عمر رضى الله عنه
رأى امرأة تبكي على ميت
فاراد عمر ان ينهاها عن البكاء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم
دعها يا اباحفص فان العين
باكية والنفس مصابة وعن
علي بن أبي طالب رضى الله
عنه أنه قال الصبر على ثلاثة
أقسام الصبر على الطاعة
والصبر عن المعصية والصبر
على المصيبة فمن صبر على
الطاعة اعطاه الله يوم القيامة
ستمائة درجة علو كل درجة كما
بين السماء والارض ومن
صبر عن المعصية اعطاه الله
يوم القيامة ستمائة درجة علو
كل درجة كما بين السماء
والارض ومن صبر على
المصيبة اعطاه الله يوم القيامة
ثلثمائة درجة علو كل درجة
كما بين السماء والارض وعن
ابن عباس رضى الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال أول ما كتب القلم في
اللوح المحفوظ بامر الله تعالى
انى انا الله لا اله الا انا ومحمد
عبدى ورسولي وخيرتي من
خلقي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي فليخرج من تحت سمائي وليعبد ربا سوائي

الذين يشربون الخمر ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الاية وأما الفوج الثاني عشر فيحشرون من قبورهم ووجوههم مثل القمر ليلة البدر فيجوزون على الصراط كالبرق الخاطف فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يعملون الصالحات وينهون عن المعاصي ويحفظون الصلوات الخمس مع الجماعات ماتوا على التوبة فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى الجنة والمغفرة والرضوان والرحمة والنعمة لانهم رضوا عن الله والله تعالى راض عنهم كما قال لله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون

﴿ الباب السادس والعشرون في ذكر نشور الخلائق من القبور ﴾

يقال ان الخلائق اذا نشروا من القبور يقفون وقوفا على المواضع التي نشروا عليها أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يتكلمون قيل يا رسول الله بم يعرف المؤمنون يوم القيامة قال عليه السلام ان أمتي غر محجلون من آثار الوضوء * وفي الخبر اذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الخلائق من قبورهم فتأتي الملائكة الى قبور المؤمنين ويمسحون التراب عنهم الا مواضع سجودهم فلا يذهب منها ذلك الاثر فينادي المنادي ليس ذلك التراب تراب قبورهم وانما هو تراب محاريبهم دعوا ما عليهم حتى يعبروا الصراط ويدخلوا الجنة حتى ان كل من ينظر اليهم يعلم انهم خدامي وعبادي وروي عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام اذا كان يوم القيامة وبعث من في القبور أوحى الله تعالى الى رضوان يا رضوان اني قد أخرجت الصائمين من قبورهم جائعين عطاشا فاستقبلهم بشواء وفاكهة من الجنان فيصيح رضوان يا أيها الغلمان ويا أيها الولدان الذين لم يبلغوا الحلم فيأتون باطباق من نور ويجتمعون عنده أكثر من عدد قطر الامطار وكواكب السماء وأوراق الاشجار بالفاكهة الكثيرة والاطعمة السمينة والاشربة اللذيذة فاذا لقيهم أطعمهم من ذلك ويقول لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال عليه السلام ثلاثة تصافحهم الملائكة يوم يخرجون من قبورهم الشهداء وصائمو شهر رمضان وصائمو يوم عرفة وعن عائشة رضى الله عنها قال عليه السلام يا عائشة ان في الجنة قصورا من در وياقوت وزبرجد

﴿ فائدة ﴾ اربعة عشر لا يسألون في قبورهم المرابط والشهيد والصديق والميت بوضع البطن والميت بالاستسقاء ومن داوم على قراءة تبارك كل ليلة والميت ليلة الجمعة ومن مات يومها والغريق والميت بالطاعون وكذا الميت بغير طعن في زمن الطاعون ان كان يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله عليه وكذا الانبيا والملائكة ومن قرأ سورة الاخلاص في مرض موته وأما ضمة القبر فلا ينجو أحد منها لكن المؤمن يضمه القبر كما تضم المراة الشفوقة ولدها ضمة حنان وشفقة واما الكافر فيضمه ضمة عداوة وبغضه (فائدة) خمسة لا تاكل الارض اجسامهم الانبياء والعلماء والشهداء الذين يقتلون في سبيل الله وقارىء ٢٥ القرآن والمؤذن احتسابا لله تعالى وقد نظمها بعضهم فقال

لا تاكل الارض جسما للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب أذانه لاله مجري الفلك

(وقد ورد) ان سيدي محمد المهدي اذا ظهر ومكث في الارض يخرج بعده المسيح الدجال وهو كما اخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم انه رجل اعور وله حمار يركبه عرض ما بين اذنيه اربعون ذراعا يقول للناس انا ربكم مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب يسيح في الارض اربعين يوما الاول منها كسنة والثاني كشهر والثالث كجمعة وباقي الايام كايامنا هذه ويدخل سائر المدائن الا مكة والمدينة المنورة وبيت المقدس لان على أبوابها ملائكة يطردونه ومعه جبال من خبز وله جنة ونار ويشتد الكرب على الخلائق حتى أنهم لا يملكون

قوت من اطاعه أطعمه من الخبز ومن لا فلا ومن أطاعه يدخله الذي يسميه الجنة وتكون عليه نارا ومن لم يطعه يدخله الذي يسميه نارا فتكون عليه جنة ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويقال انه يقتل الخضر عليه السلام وصفة قتله أن ينشره بالمنشار فلقتين ويمشي بينهما ثم يقول له قم فيقوم فيقول أتؤمن بي فيقول له الخضر ما أنت اله فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله عليه صفيحة من نحاس فلا يقدر أن يذبحه ثم أن الناس تفر منه الى جبل بالشام يقال له جبل الدخان فيتبعهم الدجال بجنوده ويضايقهم ضيقا شديدا ثم أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء على أجنحة ملكين فيمر في دمشق وينادي

ولا ارجل فينادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين كانوا يؤذون الجيران ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب الآية وأما الفوج الثانى فيحشرون من قبورهم على صورة دابة يقال لها خنازير فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يتهاونون في الصلاة ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وأما الفوج الثالث فيحشرون من قبورهم وبطونهم مثل الجبال مالئت من حيات وعقارب كمثل البغال فينادى المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يمنعون الزكاة ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فيجعل الله تعالى بكل دانق منها لوحا من النار فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون واما الفوج الرابع فيحشرون من قبورهم يجرى من أفواههم دم وأمعاؤهم تجرى على الارض والنار تخرج من افواههم فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين كذبوا في البيع والشراء ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا وأما الفوج الخامس فيحشرون من قبورهم يستخفون من الناس ريحهم أنتن من الجيفة فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يكتمون المعاصى سرا من الناس ولم يخافوا من الله ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الآية وأما الفوج السادس فيحشرون من قبورهم مقطوعة حلاقيمهم من الاقفية فينادى المنادى من قبل الرحمن هولاء الذين يشهدون الزور والكذب ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى والذين يشهدون الزور الاية وأما الفوج السابع فيحشرون من قبورهم ليس لهم ألسنة يجرى من أفواههم الدم والقيح فينادي المنادى هؤلاء الذين يمنعون شهادة الحق ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالي ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه الاية وأما الفوج الثامن فيحشرون من قبورهم ناكسى رؤسهم وأرجلهم فوق رؤسهم تجرى من فروجهم انهار من القيح والصديد فينادى مناد من قبل الرحمن هؤلاء الذين يزنون ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الاية وأما الفوج التاسع فيحشرون من قبورهم سود الوجوه زرق العيون بطونهم مملوءة من النار فينادى المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ان الذين ياكلون أموال اليتامي ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا الاية وأما الفوج العاشر فيحشرون من قبورهم بالجذام والبرص فينادى المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين عقوا الوالدين ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الاية وأما الفوج الحادى عشر فيحشرون من قبورهم عمي القلوب وأسنانهم كقرن الثور وأشفارهم مطروحة على صدورهم وألسنتهم مطروحة على بطونهم وبطونهم مطروحة على أفخاذهم يخرج من بطونهم القذر فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء

أن النائحة ومن حولها ومن سمعها عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما مات ولده ابراهيم دمعت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله أليس قد نهيتنا عن البكاء فقال انما نهيتكم عن الصوتين الفاجرين الاحمقين صوت النوح والغناء ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم تدمع العينان ويحزن القلب وروى ان عمر رضى الله عنه رأى امرأة تبكى على ميت فاراد عمر ان ينهاها عن البكاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا حفص فان العين باكية والنفس مصابة وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال الصبر على ثلاثة أقسام الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر على المصيبة فمن صبر على الطاعة اعطاه الله يوم القيامة ثلثمائة درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض ومن صبر عن المعصية اعطاه الله يوم القيامة ستمائة درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض ومن صبر على المصيبة اعطاه الله يوم القيامة ثمانمائة درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما كتب القلم فى اللوح المحفوظ بامر الله تعالى انى انا الله لا اله الا انا ومحمد عبدى ورسولي وخيرتي من خلقى من استسلم لقضائى وصبر على بلائى ولم يشكر لنعمائى فليخرج من تحت سمائى وليعبد ربا سوائي الذين

الذين يشربون الخمر ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الاية وأما الفوج الثاني عشر فيحشرون من قبورهم ووجوههم مثل القمر ليلة البدر فيجوزون على الصراط كالبرق الخاطف فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يعملون الصالحات وينهون عن المعاصي ويحفظون الصلوات الخمس مع الجماعات ماتوا على التوبة فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى الجنة والمغفرة والرضوان والرحمة والنعمة لانهم رضوا عن الله والله تعالى راض عنهم كما قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون

﴿الباب السادس والعشرون في ذكر نشور الخلائق من القبور﴾

يقال ان الخلائق اذا نشروا من القبور يقفون وقوفا على المواضع التي نشروا عليها أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يتكلمون قيل يا رسول الله بم يعرف المؤمنون يوم القيامة قال عليه السلام ان أمتي غر محجلون من آثار الوضوء * وفى الخبر اذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الخلائق من قبورهم فتأتي الملائكة الى قبور المؤمنين ويمسحون التراب عنهم الا مواضع سجودهم فلا يذهب منها ذلك الاثر فينادى المنادى ليس ذلك التراب تراب قبورهم وانما هو تراب محاريبهم دعوا ما عليهم حتى يعبروا الصراط ويدخلوا الجنة حتى ان كل من ينظر اليهم يعلم انهم خدامي وعبادي وروي عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام اذا كان يوم القيامة وبعث من فى القبور أوحى الله تعالى الى رضوان يا رضوان انى قد أخرجت الصائمين من قبورهم جائعين عطاشا فاستقبلهم بشراب وفاكهة من الجنان فيصيح رضوان يا أيها الغلمان ويا أيها الولدان الذين لم يبلغوا الحلم فيأتون باطباق من نور ويجتمعون عنده أكثر من عدد قطر الامطار وكواكب السماء وأوراق الاشجار بالفاكهة الكثيرة والاطعمة السمينة والاشربة اللذيذة فاذا لقيهم أطعمهم من ذلك ويقول لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال عليه السلام ثلاثة تصافحهم الملائكة يوم يخرجون من قبورهم الشهداء وصائمو شهر رمضان وصائمو يوم عرفة وعن عائشة رضى الله عنها قال عليه السلام ياعائشة ان فى الجنة قصورا من در وياقوت وزبرجد

﴿فائدة﴾ اربعة عشر لا يسالون في قبورهم المرابط والشهيد والصديق والميت بوضع البطن والميت بالاستسقاء ومن داوم على قراءة تبارك كل ليلة والميت ليلة الجمعة ومن مات يومها والغريق والميت بالطاعون وكذا الميت بغير طعن في زمن الطاعون ان كان يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله عليه وكذا الانبيا والملائكة ومن قرأ سورة الاخلاص في مرض موته وأما ضمة القبر فلا ينجو أحد منها لكن المؤمن يضمه القبر كما تضم المراة الشفوقة ولدها ضمة حنان وشفقة واما الكافر فيضمه ضمة عداوة وبغض (فائدة) خمسة لا تاكل الارض اجسامهم الانبياء والعلماء والشهداء الذين يقتلون في سبيل الله وقارىء القرآن والمؤذن احتسابا لله تعالى وقد نظمها بعضهم فقال

لا تاكل الارض جسما للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارىء قرآن ومحتسب أذانه لاله مجري الفلك

(وقد ورد) ان سيدى محمد المهدى اذا ظهر ومكث فى الارض يخرج بعده المسيح الدجال وهو كما اخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم انه رجل اعور وله حمار يركبه عرض ما بين اذنيه اربعون ذراعا يقول للناس انا ربكم مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب يسيح فى الارض اربعين يوما الاول منها كسنة والثانى كشهر والثالث كجمعة وباقي الايام كايامنا هذه ويدخل سائر المدائن الا مكة والمدينة المنورة وبيت المقدس لان على أبوابها ملائكة يطردونه ومعه جبال من خبز وله جنة ونار ويشتد الكرب على الخلائق حتى أنهم لا يملكون

قوتهم فمن اطاعه أطعمه من الخبز ومن لا فلا ومن أطاعه يدخله الذى يسميه الجنة فتكون عليه نارا ومن لم يطعه يدخله الذى يسميه نارا فتكون عليه جنة ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويقال انه يقتل الخضر عليه السلام وصفة قتله أن ينشره بالمنشار فلقتين ويمشي بينهما ثم يقول له قم فيقوم فيقول أتؤمن بى فيقول له الخضر ما أنت اله فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله عليه صفيحة من نحاس فلا يقدر أن يذبحه ثم أن الناس تفر منه الى جبل بالشام يقال له جبل الدخان فيتبعهم الدجال بجنوده ويضايقهم ضيقا شديدا ثم أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء على أجنحة ملكين فيمر في دمشق وينادي

ايها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا الى هذا الكذاب الخبيث فينطلقون اليه فيجدون عيسى فاذا صلوا صلاة الصبح يخرج اليه عيسى فاذا رآه ولى
هاربا فينطلق اليه عيسى ويقتله بحربة من الجنة تنزل معه من السماء ويكسر الصليب ويقتل الخنزير وتنفتح كنوز الارض ويكثر
المال وتهلك في زمانه سائر الملل الا الاسلام وتنزل الامانة في الارض والشفقة بين الخلائق حتى يرعى الاسد مع الابل والنمر مع البقر
والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم ثم أنه يسكن مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويتزوج بامرأة وتلد عنهم
يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه بجانب قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم ٢٦ فاذا انقضت مدة الدنيا فيضم اسرافيل
أجنحته وينفخ في الصور نفخة واحدة فتخرج الارواح من أهل السموات والارض حتى أن الرجل يرفع اللقمة الى فيه فلا يطعمها والثوب بين يديه فلا يلبسه والكوز على فمه فلا يشرب ولا يبقى في الارض الا ابليس لعنة الله عليه ولا في السماء الا الملائكة الاربعة المقربون وحملة العرش ثم يقول الله تعالى انى أجعل لك بعدد الاولين والاخرين أعوانا وأعطيك قوة أهل السموات والارض واعطيك من الزبانية سبعين ألفا بيد كل واحد منهم سلسلة من سلاسل لظى وأرسلك الى ابليس لتذيقه الموت فيقول السمع والطاعة ثم أن مناديا ينادي يامالك افتح أبواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها أهل السموات والارض لماتوا ويقول له ذق ياخبيث
لاذيقنك الموت فيهرب منه الى المشرق فاذا هو عنده فيهرب الى المغرب فاذا هو عنده ثم يقف عند قبر آدم عليه السلام ويقول له يا آدم من أجلك صرت رجيما ملعونا مطرودا ثم يقول يا ملك الموت بأى كاس تسقيني الموت وبأي عذاب تقبض روحي فيقول ملك الموت بكاس لظى والسعير والزبانية تنصب له السلاسل بالكلاليب ويطعنونه فيقع على وجهه فتذهب قوته ويأخذ في نزع الروح فتبقى له خرخشة لو سمعها أهل السموات والارض لماتوا من شدتها ثم يأمر الله ملك الموت ان يفني الارض فيأتي ملك الموت الارض ويقول لها قد انقضت مدتك اذهبي فتقول له الارض يا ملك الموت امهلني حتى أنوح على نفسي فتنوح بلسان

وذهب وفضة قالت يا رسول الله لمن هذه القصور قال عليه السلام لمن صام يوم عرفة
وقال عليه السلام يا عائشة ان أحب الايام الي الله يوم الجمعة ويوم عرفة لما فيه من الرحمة
وان أبغض الايام الى ابليس يوم الجمعة ويوم عرفة يا عائشة من أصبح صائما يوم عرفة
فتح الله تعالى عليه ثلاثين بابا من الخير وأغلق عنه ثلاثين بابا من الشر فاذا أفطر وشرب
الماء يستغفر الله له كل عرق فى جسده يقول اللهم ارحمه الى طلوع الفجر وفى خبر آخر
يخرج الصائمون من قبورهم ويعرفون بريح أفواههم بصيامهم يتلقون بالموائد والاباريق
يقال لهم كلوا فقد جعتم حين شبع الناس واشربوا فقد عطشتم حين روي الناس
واستريحوا فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس فى الحساب وقد جاء فى الخبر لا يبلى
عشرة الانبياء والغازى والعالم والشهيد وحامل القرآن والامام العادل والمؤذن والمرأة اذا
ماتت في نفاسها ومن قتل مظلوما ومن مات يوم الجمعة أو ليلتها وفى الخبر عن النبي عليه السلام
يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم امهاتهم عراة حفاة قالت عائشة رضى الله تعالى عنها الرجال
والنساء معا قال عليه السلام نعم قالت واسوأتاه ينظر بعضهم بعضا فضرب النبي عليه السلام
يده على منكبها وقال يا ابنة أبى قحافة اشتغل الناس يومئذ عن النظر تشخص أبصارهم الى
السماء يقفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ويعرق كل واحد منهم حياء من الله
تعالى فمنهم من يبلغ العرق قدميه ومنهم من يبلغ ساقيه ومنهم من يبلغ بطنه ومنهم من
يبلغ صدره ومنهم من يبلغ وجهه والعرق يكون من طول الوقوف قالت يارسول الله هل
يحشر أحد كاسيا يوم القيامة قال عليه السلام الانبياء وأهلوهم وصائمو رجب وشعبان
ورمضان على الولاء وكل الناس جائع يومئذ الا الانبياء وأهل بيتهم وصائمي رجب وشعبان
ورمضان لانهم شباع لاجوع بهم ولا عطش وقال يسوقهم بأجمعهم الي أرض المحشر عند
بيت المقدس فى أرض يقال لها الساهرة كما قال الله تعالي فانما هى زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة
ويقال أن الخلائق فى عرصات القيامة يكونون مائة وعشرين صفا كل صف مسيرة أربعين
سنة وعرض كل صف مسيرة عشرين سنة ويقال أن المؤمنين منهم ثلاثة صفوف والباقي كفرة
روي عن رسول الله عليه السلام ان أمتى مائة وعشرون صفا وهذا أصح وصفة المؤمنين
انهم بيض الوجوه غر محجلون وصفة الكافرين أنهم سود الوجوه مقرنون مع الشياطين

﴿ الباب السابع والعشرون فى ذكر سوق الخلائق الى المحشر ﴾

يقال يساق الكفار بأقدامهم ويساق المؤمنون بنجائبهم ومراكبهم كما قال الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا * قال علي كرم الله تعالى وجهه يحشر المؤمنون ركبانا على نجائبهم يوم القيامة يقول الله تعالى يوم القيامة يا ملائكتي لا تسوقوا عبادي راجلين بل أركبوهم على نجائبهم فانهم قد اعتادوا الركوب في الدنيا كان في الابتداء صلب أبيهم مركبهم ثم من بعد ذلك بطن أمهم مركبهم تسعة شهور وحين ولدتهم كان حجر أمهاتهم سنتين للرضاع مركبهم حتى اذا ترعرعوا فعنق أبيهم مركبهم ثم الخيل والبغال والحمير مراكبهم في البراري والسفن في البحار وحين ماتوا فعنق اخوانهم مركبهم وحين قاموا من قبورهم لا تمشوهم راجلين فانهم اعتادوا الركوب ولا يقدرون على المشي وقدموا لهم النجائب وهي الاضاحي فيركبونها ويقدمون على المولى عز وجل ولذلك قال عليه السلام عظموا ضحاياكم فانها يوم القيامة مطاياكم أي مراكبكم

﴿ الباب الثامن والعشرون في ذكر حر يوم القيامة ﴾

في الخبر اذا كان يوم القيامة يجمع الله تعالى الاولين والآخرين في صعيد واحد وتدنو الشمس من رؤسهم ويشتد عليهم يوم القيامة حرها فتخرج عنق من النار كالظل ثم ينادي المنادي يا معشر الخلائق انطلقوا الى الظل فينطلقون وهم ثلاث فرق فرقة المؤمنين وفرقة المنافقين وفرقة الكافرين فاذا صار الخلائق الى الظل صار الظل ثلاثة أقسام قسم للحرارة وقسم للدخان وقسم للنور فلذلك قال الله تعالى انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب الآية والحرارة تقوم على رؤس المنافقين لانهم يحترزون من الحرارة في الدنيا كما قيل فيهم وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون * والدخان يقف على رؤس الكافرين لانهم كانوا في الدنيا في النور وفي الآخرة في الظلمات فذلك قوله تعالى يخرجونهم من النور الى الظلمات والنور يقف على رؤس المؤمنين لانهم كانوا في الدنيا في الظلمات وفي الآخرة في النور كما قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال الله تعالى في صفاتهم يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الآية قال عليه السلام سبعة يظلهم الله في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجلان تحابا في الله ورجل طلبته امرأة ذات جمال فقال اني اخاف الله رب العالمين ورجل ذكر الله تعالى خاليا

وفصيح أين ملوكي أشجاري وثماري وبنياني وقصوري ثم يصيح بها ملك الموت صيحة واحدة فتتساقط حيطانها ويغور ماؤها ثم تذهب كانها لم تكن ثم يصعد الي السماء ويقول لها قد انقضت مدتك فتقول يا ملك الموت امهلني حتى انوح على نفسي فيمهلها فتنوح بلسان فصيح أين شمسي وقمري ونجومي وأفلاكي ثم يصيح بها ملك الموت صيحة واحدة فتنطوي كطي السجل للكتب ثم يقول الله تعالى يا ملك الموت من بقي من خلقي فيقول اللهم أنت اعلم بقي جبريل وميكائيل واسرافيل وحملة العرش وأنا عبدك الضعيف فيقول يا ملك الموت اقبض روح جبريل فينطلق اليه فيجده ساجدا أو راكعا فيقول له ان الله تعالي أمرني بقبض روحك فيقول رب هون علي سكرات الموت فيضمه ملك الموت ضمة يقبض بها روحه ثم يأتي فيقول له من بقي فيقول ميكائيل فيقول اقبض روحه فينطلق اليه ويقول قد أمرني الله بقبض روحك فيقول رب هون على سكرات الموت فيضمه ضمة يقبض بها روحه ثم ياتي فيقول من بقي وهو اعلم فيقول بقي اسرافيل فيقبض الله من اسرافيل الصور فيضمه ضمة واحدة يقبض بها روحه فيقول من بقي وهو أعلم فيقول حملة العرش فيقول اقبض ارواحهم فيقبضها ثم يقول الله تعالى من بقي وهو اعلم فيقول بقيت انت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا فيقول الله تعالى أنت خلق من خلقي خلقتك فمت فيذهب الى موضع بين الجنة والنار ويرقد فيه ويجعل بصره الى السماء ويقبض روحه بيده فيمكث أربعين سنة وهو يعالج نفسه ويصيح كل صيحة لو كانت الخلائق أحياء لماتوا من صيحة واحد ويقول لو علمت أن نزع الروح بهذه الشدة لكنت أشفق على ارواح المؤمنين ثم يموت ولا يبقى الا الله تعالى وتبقى الارض خالية ثم يتجلى الله تعالى ويقول لمن الملك اليوم فلم يجبه أحد فيكررها ثلاث مرات فيجيب نفسه بنفسه الملك لله الواحد القهار ثم ان الله تعالي يحيي حملة العرش وهم يومئذ ثمانية أرجلهم تحت تخوم الارض السابعة والعرش على أكتافهم ثم ان الله تعالى يحيي اسرافيل عليه السلام ويعطيه الصور فيضعه على فيه ثم يحيي الله جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وهم يبكون ويقولون سبحانك لا اله الا أنت ما كان عهدنا أن نذيقنا مرارة

تقدافانا الآن استحي منه اذهبوا الى عيسى فياتونه فيقول ألهي لا أسألك مريم أمي وأنا أسألك نفسي اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونه وهم يقولون يا محمداه اشفع لنا عند ربك في فصل القضاء فينطلق معهم حتى يأتي تحت العرش ويخر ساجدا فيبعث الله اليه ملكا فياخذ بعضده ويقول إلهه يا محمد فيقول نعم فيقول أرفع رأسك وسل تعط فيقول الله عز وجل شفعتك فيهم فيرجع المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقف مع الناس ثم تنشق السماء الاولى فتنزل ملائكتها قدر أهل الارض من أنس وجن مرتين فيقفون من خلفهم حلقة ٣٠ واحدة ثم ينزل أهل كل سماء على قدر ذلك من التضعيف ثم ينزل الملك بامر الجبار جل جلاله في ظلل من الغمام والملائكة فيضع كرسيه حيث يشاء من الارض ثم ينادي فيقول يا معشر الانس والجن ان صحفكم ستقرأ عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد شرا فلا يلومن الا نفسه ثم ينطلق ملك الى مالك خازن النار ويقول له سق جهنم الى الموقف فيقول مالك أي يوم هذا فيقول هذا يوم القيامة فيأمر مالك الربانية أن يجروها الى الموقف وهي تهب وتريد أن تلتقط أهل الموقف والاملاك يجذبونها عنهم بيد كل ملك منهم عمود من نار لو اجتمع اهل الارض لم يقدروا ان يحركوه وهو بيد الملك أخف من الريشة واذا تكلم أحدهم تطاير الشرر من شفتيه فيضعونها عن شمال العرش أرضها من رصاص وسقفها من نحاس وحيطانها من كبريت أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى احمرت وألف عام حتى اسودت فهي الان سوداء مظلمة ممزوجة بغضب الله تعالى لا يهدأ لهبها ولا تعالى يخمد جمرها ولو ان جمرة منها سقطت في الدنيا لاحرقت من المشرق الى المغرب ولو ان ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والارض لمات الخلائق من شدة حره ونتنه وهي سبع طباق جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فالطبقة الاولى لعصاة هذه الامة يعذبون فيها بقدر أعمالهم فمنهم من يعذب قدر لحظة ومنهم من يعذب ساعة ومنهم من يعذب يوما ومنهم من يعذب جمعة ومنهم من يعذب سبعة آلاف سنة والطبقة الثانية لليهود والطبقة الثالثة للنصارى والطبقة الرابعة للصابئين والطبقة الخامسة

درهم فلا يزال يستوفى من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيؤخذ من سيئات المظلوم فترد عليه فاذا فرغت حسناته قيل ارجع الى امك الهاوية فانه لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب يعني سريع المجازاة وعلى هذا جاء في الخبر أوحى الله الى موسى عليه السلام أن قل لقومك ان فعلوا خصلة واحدة أدخلهم الله الجنة فقال موسى عليه السلام وما هي قال الله تعالى أن يرضوا خصماءهم قال موسى آلهي فان كانوا قد ماتوا قال الله تعالى يا موسى فاني حي لا أموت أبدا فليرضوني قال كيف يرضونك قال تعالى بأربعة أشياء بندامة القلب والاستغفار باللسان ودمع العين وخدمة الروح

﴿ الباب التاسع والعشرون في ذكر قرب الجنة ﴾

قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وفي الاخبار اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى يا جبرائيل قرب الجنة للمتقين وبرز الجحيم للغاوين فتصير الجنة الى يمين العرش والجحيم الى يسار العرش ثم يمد الصراط على النار وينصب الميزان ثم يقول الله تعالى أين صفيي آدم وأين خليلي ابراهيم وأين كليمي موسى وأين روحي عيسى وأين حبيبي محمد قفوا عن يمين الميزان ثم يقول الله تعالى يا رضوان افتح أبواب الجنان ويا مالك افتح أبواب النيران ثم يجيء ملك الرحمة بالحلل وملك العذاب بالاغلال والسلاسل والاثواب من القطران وينادي المنادي يا معشر الخلائق انظروا الى الميزان فانه يوزن عمل فلان بن فلان ثم ينادي المنادي يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فذلك قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر

﴿ الباب الثلاثون في ذكر عظم الساعة يعني دهشتها ﴾

في الخبر روي أن أعظم ساعة ترد على العبد في الدنيا عند خروج روحه اذا شخصت عيناه وانتشر منخراه وتساقطت شفتاه ولحيتاه وعرق جبينه وانسدت أذناه وانعقد لسانه فلا يجيب جوابا ولا يرد كلاما ففارت عينه واسترخت مفاصله وانقطعت أوصاله وجفاه أحبابه وتفرق عنه أقرباؤه وودعه المكان فبقي متحيرا قد تغير عقله ويتمكن الشيطان من اختلاسه وتلك الساعة عظيمة عليه وقد أغلق باب التوبة عنه فافضل مايتكلم به العبد في ذلك الوقت كلمة الشهادة وأما أعظم ساعة ترد عليه في الاخرة فاذا نفخ في الصور وبعث من في القبور وتعلق المظلوم بالظالم وكان الشهود الملائكة والسائل هو الله

للمجوس والطبقة السادسة لعبدة الاصنام والطبقة السابعة للمنافقين فمن كان فى الطبقة الاولى ينادى ياحنان يامنان ومن كان فى الثانية ينادى ربنا غلبت علينا شقوتنا ومن كان فى الثالثة ينادى ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ومن كان فى الرابعة ينادى ربنا ظلمنا أنفسنا ومن كان فى الخامسة ينادى ربنا أخرنا الى أجل قريب ومن كان فى السادسة ينادى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ومن كان فى السابعة ينادى يامالك ليقض علينا ربك قال أنكم ماكثون وقيل ان مالكا خازن النار ينادى فى الطبقة الاولى ويل للمكذبين وفى الثانية فويل لهم مما كتبت أيديهم وفى الثالثة ويل لكل أفاك أثيم وفى الرابعة ويل لكل همزة لمزة وفى الخامسة وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة وفى السادسة فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وفى السابعة ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اعاذنا الله منها بمنه وكرمه آمين ﴿تنبيه﴾ ورد أن عصاة المؤمنين اذا دخلوا النار يعذبون فيها لحظة يعلم الله مقدارها ثم يموتون فيها حتى لايحسوا بألم العذاب وتلك الامانة كرامة لهم وفى الخبر ان جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أبكاك ياجبريل فقال يامحمد ماجفت لى عين من يوم خلق الله جهنم فقال له صف لى جهنم فقال يامحمد أرضها الرصاص وسقفها النحاس وحيطانها الكبريت * حكى ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر بفتى وهو يصلى على صخرة وحوله دم رطب ودم يابس فقال له عيسى عليه السلام يافتى ما الذى أصابك قال يا روح الله دخل على خوف جهنم فانشق قلبي ولحمى وجلدى وسائر جوارحي فهذا الدم يسيل منها فرجع عيسى وجمع الناس فقال هذا من أبناء الدنيا خاف النار فانشق قلبه فكيف حال من دخلها أعاذنا الله منها بمنه وكرمه ثم ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يخرجون من النار بشفاعته صلى الله عليه وسلم وآخر من يخرج من النار رجل يقال له جهينة وقيل هناد فيقول له ربه اذهب فادخل الجنة فيأتى اليها فيخيل له انها قد امتلأت فيرجع فيقول رب وجدتها ملئت فيقول له اذهب فادخل الجنة فان لك الدنيا عشر مرات وهو أدنى اهل الجنة منزلا فان دخل يقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين * ويحكي ان كان

تعالي والعذاب فى جهنم والنعيم فى الجنة ووضعت كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وصارت الولدان شيبا فى ذلك اليوم كما قال الله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقال ان كانت الا صيحة واحدة الآية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الاية ويقال يشهد عليهم سبعة شهود المكان قال تعالى يومئذ تحدث أخبارها الاية والزمان كما قال فى الخبر ينادى كل يوم أنا يوم جديد وأنا على ما تعمل شهيد واللسان شاهد كما قال فى سورة النور يوم تشهد عليهم ألسنتهم الاية والاعضاء شاهدات كما قال الله تعالي وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون والملكان الحافظان كما قال الله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون والديوان يشهد كما قال الله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق والرحمن يشهد قال تعالى انا كنا عليكم شهودا الاية فكيف يكون حالك ياعاصى بعد ما يشهد عليك هؤلاء الشهود

﴿ الباب الحادى والثلاثون فى ذكر تطاير الكتب يوم القيامة ﴾

حكى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مؤمن الا وله فى كل يوم صحيفة جديدة فاذا طويت وليس فيها استغفار فهي مظلمة واذا طويت وفيها استغفار يكون لها نور يتلألأ (قال الفقيه) رحمه الله تعالى ما من أحد فى الدنيا الا عليه ملكان موكلان من الله تعالى يحفظانه ليلا ونهارا ويكتبان أعماله خيرها وشرها هزلها وجدها قال الله تعالى وان عليكم لحافظين الاية ويرفع له كل يوم كتاب وفى كل ليلة كتاب وتجمع كتب كل سنة فى ليلة نصف شعبان ويطرح لغو كلامه ولغو عمله ويجمع كتاب كل سنة فى سجل فاذا كان أجله ووقع فى النزع تجمع تلك السجلات مع بعضها فاذا خرجت روحه طوى وعلق على عنقه وختم عليه وجعل معه في القبر وهذا معني قوله تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه) أى قلدناه ديوان عمله وانما خص العنق لانه موضع القلادة والطوق ومما يزين ويشين (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أي نعطيه كتابا ويقال له (اقرأ كتابك) الذى أمليته في الدنيا (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) واذا جمع الله الخلائق في عرصات القيامة وأراد أن يحاسبهم تطايرت عليهم كتبهم كالثلج وينادى من قبل الرحمن يافلان خذ كتابك بيمينك ويافلان خذ كتابك بشمالك ويافلان خذ كتابك من

وراء ظهرك فلا يقدر أحد أن يأخذ كتابه الا بما أمر الله تعالى به فالاتقياء يعطون كتبهم
بيمينهم والاشقياء بشمالهم والكفار من وراء ظهورهم كما قال الله تعالى وأما من أوتي كتابه
بشماله الآية وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا الآية وكذلك
الناس في المحاسبة ثلاث طبقات طبقة يحاسبون حسابا يسيرا وهم الاتقياء وطبقة يحاسبون
حسابا شديدا ثم يهلكون وهم الكفار وطبقة يحاسبون ويناقشون ثم ينجون وهم العصاة من
وفي الحديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله تعالى حتى
يسأل عن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه ويسأل عما في كتابه فاذا بلغ آخر
الكتاب يقول الله تعالى يا عبدي كل هذا عملك أو أن ملائكتي زادوا عليك في كتابك فيقول يا رب
لا ولكني فعلته كله فيقول الله تعالى أنا الذي سترت عليك في الدنيا وأنا اغفر لك اليوم اذهب فاني
غفرت لك وهذا حال من يناقش في الحساب ثم ينجو بفضل الله تعالى وأما الذي يحاسب حسابا
يسيرا * فهو من جملة الذين قال الله تعالى فيهم وأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب
حسابا يسيرا * وسئل النبي عليه السلام عن الحساب اليسير فقال عليه السلام ينظر الرجل
في كتابه ويتجاوز به عنه ويقال مثل محاسبة الله تعالى المؤمنين يوم القيامة كمعاملة
يوسف عليه السلام مع اخوته حيث قال لهم لا تثريب عليكم اليوم كذلك
يقول الله تعالى يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وقال يوسف عليه السلام هل
علمتم ما فعلتم بيوسف كذلك يقول الله تعالى لعباده هل علمتم ما فعلتم حين خالفتم أمري
هل تذكرون ما فعلتم حين خالفتم وفي الخبر اذا أراد الله أن يحاسب الخلائق نودي من قبل
الرحمن أين النبي الهاشمي فيأتي رسول الله عليه الصلاة والسلام ربه فيحمده ويثني عليه
فتتعجب الخلائق منه ويسأل من ربه أن لا يفضح أمته فيقول الله تعالى اعرض امتك يا محمد
فيعرضهم فيقوم كل واحد فدق قبره يحاسب حسابا يسيرا لا يغضب عليه وتجعل سيئاته داخل
صحيفته ويوضع على رأسه تاج من ذهب مكلل بالدر والجوهر ويلبس سبعين حلة ويلبس
ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ فيرجع الى اخوانه المؤمنين
فلا يعرفونه من جماله وكماله ويكون في يمينه كتاب أعمال حسناته والبراءة من النار مع الخلد
في الجنة فيقول لهم أتعرفونني أنا فلان بن فلان قد أكرمني الله تعالى وبرأني من النار وخلدني
في دار الجنان فذلك قوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب

نباشا أو مكاسا * ومما حكي عن بعض الصالحين أنه قال رأيت رجلا حدادا يخرج الحديد بيده من النار ويقلبه باصبعه فقلت في
نفسي هذا رجل صالح فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له يا سيدي بحق من عليك بهذه الكرامة أن تدعو لي فبكى وقال
يا أخي ما أنا من القوم الصلحاء ولكن أحدثك بأمري اني كنت رجلا كثير المعاصي والذنوب فوقفت على امرأة من أجمل النساء
قالت هل عندك شيء لله فقلت لها امضي معي الى البيت وأنا أدفع لك ما يكفيك فتركتني وذهبت ثم عادت وقالت والله لقد
أحوجني الوقت الى رجعت اليك فأخذتها ومضيت بها الى البيت ثم أجلستها وتقدمت اليها فاذا هي تضطرب كالسعفة في
الريح فقلت لها مم ذلك
الاضطراب فقالت خوفا من
الله عز وجل أن يرانا في هذه
الحالة فاذا تركتني ولم تصبني
لا أحرقك الله بناره لا في
الدنيا ولا في الآخرة فتركتها
ودفعت لها ما كان معي
فخرجت من عندي وقد
أغمي علي فرأيت في النوم
امرأة أحسن منها وقلت لها
من أنت قالت أنا أم الصبية
التي جاءتك وهي من نسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن يا أخي لا أحرقك الله
بناره لا في الدنيا ولا في
الآخرة فانتبهت فرحا
مسرورا فمن ذلك اليوم
تركت ما كنت عليه من
المعاصي ورجعت الى الله
تعالى قال صلى الله عليه وسلم
أخبرني جبريل ان في النار
كهوفا ومغاير أعدت لقاطع
الرحم وعاق والديه ثم يفتح
باب الجنة عن يمين العرش
وهي سبع جنات جنة
الفردوس وجنة المأوى
وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار اليقين ولها ثمانية أبواب بين كل باب وباب مسيرة الف عام وعلى الى
كل باب جند من الملائكة يدخلون على أهل الجنة ويقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار أرضها من ذهب وترابها من
المسك وحصباؤها من الياقوت ليس فيها شمس ولا قمر ولا نور نورها من نور العرش أكلها دائم واذا أكل أهل الجنة منها شيئا يخرج رشحا
كالمسك واذا شربوا يرشح من أبدانهم مسكا وليس لاهل الجنة أدبار لان الادبار جعلت في الدنيا للغائط والجنة لا غائط فيها ولو أن
رجلا من أهل الجنة يبصق في البحار المالحة لعذبت ولو أخرج أصبعا من أصابعه لغلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر وقدور دان العبد

الى اهله مسرورا وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه وقوله تعالى وأما اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا وكل حسنة عملها فى بطن كتابه وكل سيئة عملها في ظهر كتابه وأما من اوتى كتابه بشماله يكون في العذاب ولوكان له حسنات وذلك الكفار لان الحسنة مع الكفر لا ثواب لها ومن صفة الكافر أنه يكون جسده مثل جبل حراء وأبي قبيس وهما جبلان بمكة وعلى رأسه تاج من النار ويلبس حلة من نحاس ذائب وفى عنقه جمرة فتشتعل فيه النار وتغل يده الى عنقه ويسود وجهه وتزرق عيناه فيرجع الى اخوانه فاذا رأوه فزعوا ونفروا منه فلا يعرفونه حتى يقول أنافلان ابن فلان ثم يجرونه على وجهه الى النار فهؤلاء الكفار الذين يؤتون كتبهم بشمالهم فلا يأخذونها بشمالهم ولكن يأخذونها من وراء ظهورهم كما روى عن النبي عليه السلام أن الكافر اذا دعي للحساب باسمه يتقدم ملك من ملائكة العذاب فيشق صدره ثم يجر يده اليسرى من وراء ظهره من بين كتفيه ثم يعطى كتابه

﴿ الباب الثاني والثلاثون فى ذكر نصب الميزان ﴾

روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ينصب الميزان يوم القيامة على عمد طول كل عمود منها ما بين المشرق والمغرب وكفة الميزان كاطباق الدنيا طولها وعرضها واحد واحدى الكفتين عن يمين العرش وهى كفة الحسنات والاخرى عن يساره وهى كفة السيآت وبين الميزان كالجبال من أعمال الثقلين مملوءة من الحسنات والسيآت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال عليه السلام يؤتى بالرجل ومعه سبع وسبعون سجلا كل سجل مد بصره فيه خطاياه وذنوبه فيوضع فى كفة الميزان ويخرج له قرطاس مثل الانملة وفيه شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فيوضع فى كفة أخرى فترجح عن الذنوب كلها وذلك قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه يعني رجحت موازين حسناته بالخير والطاعات على سيئاته فهو فى عيشة راضية أى عيش في الجنة يرضاه ثم قال وأما من خفت موازينه فامه هاوية وما أدراك ماهيه نار حاميه

﴿ الباب الثالث والثلاثون في ذكر الصراط ﴾

قال النبي عليه السلام ان الله تعالي خلق على النار جسرا وهو الصراط على متن جهنم مدحضة مزلقة عليه سبع قناطر كل قنطرة منها مسيرة ثلاثة آلاف سنة ألف منها صعود وألف

المؤمن يتزوج بسبعين حوراء وعلى كل حورية سبعون حلة مكللة بالدر يرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء كلما أتى الى واحدة وجدها بكرا وله ذكر لا ينثنى وله فى كل دفعة شهوة ولذة ولو وجدها اهل الدنيا لغشي عليهم من شدة حلاوتها وفي الحديث أن الحور العين يأخذن أيديهن بايدي بعض ويغنين باصوات لم تسمع الخلائق أحسن منها نحن الراضيات فلا نسخط أبدا نحن المقيمات فلا نظعن أبدا نحن الناعمات فلا نيبس أبدا نحن الخالدات فلا تموت أبدا وحكي عن ابن مكين الدين الاسمر أنه رأى حوراء في منامه فكلمته فقعد ثلاثة أشهر كلما يسمع كلام أهل الدنيا يتقيأ من قبحه وكل حوراء مكتوب اسمها على صدرها ثم اذا أراد الله تعالى أن يقضى بين عباده فأول من يدعى للحساب البهائم والوحوش فيقضى الله بينهم للجماء من ذات القرن فاذا فرغ من ذلك قال لهم كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ثم يدعى بالمماليك فيقول لهم ماشغلكم عن عبادتى فيقولون ياربنا ابتليتنا بالرق فاشتغلنا بخدمة ساداتنا عن خدمتك فيدعى بيوسف عليه السلام فيقول الله تعالي قد ابتليت هذا فما أشغل عن خدمتى ثم يأمر بهم الى النار ثم يؤتى بأهل البلاء فيقول الله تعالى وما شغلكم عن عبادتى فيقولون ياربنا ابتليتنا بالبلاء فاشتغلنا به عن عبادتك فيدعي بايوب عليه السلام فيقول هذا ابتليته باشد البلاء وماشغله ذلك عن عبادتي ثم يأمربهم الى النار ثم يؤتى باصحاب الاموال فيقول الله تعالى ماشغلكم عن عبادتى فيقولون ياربنا أعطيتنا المال فاشتغلنا به عن طاعتك فيدعى سليمان عليه السلام فيقول الله تعالى هذا أعطيته مالا أكثر مما أعطيتكم وماشغله ذلك عن طاعتى ثم يأمربهم الي النار وقال بعض الصالحين لى أربعين سنة مايغمني شيئا الى طلوع الفجر ثم يدعي بالقتلى فيأتى كل قتيل قتل في سبيل الله وأوداجه تشخب دما فيجعل لله وجهه مثل نور الشمس ثم تزفه الملائكة الي الجنة ومن قتل قتيلا ظلما قتل به فى دار الآخرة فاذا فرغ الله تعالي من حساب الخلائق يجعل الله ملكا على صورة العزير وملكا على صورة عيسى ابن مريم وينادى مناد تسمع الخلائق جميعا صوته ألا فلتتبع كل امة ما كانت تعبد فتتبع اليهود الملك الذى على صورة العزير والنصارى الذى على صورة عيسى الى أن يدخلاهما النار ولم يبق فى الموقف الا المؤمنون وفيهم

المنافقون فيقول الله سبحانه وتعالى أيها الناس الحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما الا الله فيتجلى لهم ربهم فيعرفونه فيخرجون ساجدين على وجوههم لله تعالى ويخر كل منافق على قفاه قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة اختلف العلماء في جرم الميزان ولكن قال ابن عمر له كفتان كاطباق السموات والارض احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض في احدى كفتيه لوسعتهن وهو بيد جبريل آخذ بعموده ينظر الى لسانه احدي كفتيه من نور وهي التي توزن فيها الحسنات ٣٤ والاخرى من الظلمة وهي التي توزن فيها السيئات وصفة الوزن ان عمل المؤمن اذا رجح صعدت حسناته وسفلت سيئاته وان الكافر تسفل كفته لخلو الاخرى من الحسنات فاذا تم وزن العباد يأمر الله ملكين بنصب الصراط على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف على حافتيه كلاليب معلقة تأخذ من أمرت بأخذه طوله مسيرة ثلاث آلاف سنة ألف منها صعود وألف منها استواء وألف منها هبوط وجاء أن جبريل عليه السلام في أوله وميكائيل في وسطه يسألان الخلق عن أربعة أشياء عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فيما أبلوه وعن علمهم ماذا عملوا به وعن مالهم من أين اكتسبوه وفيماذا أنفقوه ونور كل انسان مقصور عليه لا يمشي فيه غيره وأول من يجوز على الصراط محمد صلى الله عليه وسلم وامته ثم عيسى وامته ثم موسى وامته ثم يدعى كل نبي وامته حتى يكون اخرهم نوحا وامته فمنهم من يجوز كالبرق الخاطف ومنهم من يجوز كالريح العاصف ومنهم أسرع من الخيل ومنهم من يجثو على ركبتيه ومنهم من يجوز كالطير ومنهم من يجوز ماشيا ومنهم من يسقط على وجهه في النار ذكر العلماء انه لا يجوز أحد على الصراط حتى يسأل على سبع قناطر الاولى يسأل فيها عن الايمان بالله وعن شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا جاء بها مخلصا جاز ويسأل في الثانية عن الصلاة فاذا جاء بها تامة جاز وفي الثالثة عن صوم شهر رمضان فاذا جاء به تاما جاز ويسأل في الرابعة عن الزكاة فاذا جاء بها تامة جاز ويسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فاذا جاء بهما تامين جاز وفي السابعة وليس في القناطر أصعب منها عن مظالم الناس فاذا نجوا من هذه القناطر وخلصوا منها يشربون من حوض النبي صلى الله عليه وسلم فاذا شربوا منه زال عنهم التعب

منهم هبوط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأظلم من الليل كل قطرة عليها سبع شعب كل شعبة كالرمح الطويل محدد الاسنان يجلس العبد على كل قنطرة منها ويسأل عما أمره الله تعالى به ففي الاولى يحاسب على الايمان فان سلم من الكفر والربا فيها والا تردى في النار وفي الثانية يسأل عن الصلاة وفي الثالثة عن الزكاة وفي الرابعة عن الصوم وفي الخامسة عن الحج والعمرة وفي السادسة عن الوضوء والغسل من الجنابة وفي السابعة عن بر الوالدين وصلة الرحم والمظالم فان نجا منها فيها والا تردى في النار قال وهب انه عليه السلام يدعو يارب سلم سلم أمتي أمتي فيركب الخلائق الجسر حتى يركب بعضهم على بعض والجسور تضطرب كالسفينة في البحر في الريح العاصف فتجوز الزمرة الاولى كالبرق العاصف والزمرة الثانية كالبرق العاصف والزمرة الثالثة كالطير المسرع والزمرة الرابعة كالفرس الجواد والزمرة الخامسة كالرجل المسرع والزمرة السادسة كالماشية والزمرة السابعة قدر يوم وليلة وقال بعضهم قدر شهرين وبعضهم قدر سنة وسنتين وثلاث سنين حتى يكون زمن آخر من يمر على الصراط قدر خمس وعشرين ألف سنة من سني الدنيا وروى ان الناس يمرون على الصراط والنيران تحت أقدامهم وفوق رؤسهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ومن خلفهم وقدامهم وذلك قوله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) والنار تعمل في أجسادهم وجلودهم ولحومهم حتى يجوزوها كالفحم سوادا الا من نجا منها ومنهم من يجوزها لا يخشى شيئا من أهوالها ولا يناله شيء من نيرانها حتى اذا جاوزها يقول أين الصراط فيقال له قد جزته غير مشقة برحمة الله تعالى وقد جاء في الخبر أنه اذا كان يوم القيامة تجيء امة فاذا صعدت على الصراط التفت اليهم عليه السلام فيقول من انتم فيقولون نحن أمتك فيقول هل كنتم على شريعتي فيقولون لا فيتبرأ منهم ويتركهم فيقعون في جهنم ثم تاتي أخري فيقول عليه السلام هل كنتم على شريعة نبيكم وهل سلكتم طريقه فان اجابوا بنعم جازوا الصراط والا وقعوا في النار وبعد الدخول في النار يحتاجون الى شفاعة النبي عليه السلام وفي الخبر ياتي قوم يقفون على الصراط ويقولون من ينجينا من النار ولا يتجاسرون على المرور عليه فيبكون فياتي جبرائيل عليه السلام فيقول لهم ما منعكم ان تعبروا الصراط فيقولون نخاف من النار فيقول جبريل كنتم في الدنيا اذا استقبلتم بحرا عميقا كيف كنتم تعبرون فيقولون بالسفينة فياتي جبريل

والشفاء والظمأ ماؤه أشد بياضا من اللبن وريحه أطيب من المسك كيزانه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة واحدة لا يعطش بعدها أبدا طوله مسيرة شهر وعرضه كذلك على أركانه الصحابة الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم اجمعين فمن كان يبغض واحدا منهم لم يسقه الآخر ويطرده عنه من بدل وغير وهذا الحوض مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم دون غيره من سائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين قال الشيخ الشيباني نفعنا الله به في منظومته وحوض رسول الله حقا أعده له الله دون الرسل ماء مورد ايشرب منه المؤمنون وكل من * سقي منه كاسا لم يجد بعده صدا * أباريقه عدد النجوم وعرضه * ٣٥ كطول شهر في المسافة حددا * وقيل أن لكل نبي حوضا الا صالحا فحوضه ضرع ناقته وورد أن الانبياء يتباهون أيهم أكثر واردا ثم تتلقاهم الملائكة يقولون أهلا بكم وينطلقون بهم الى الجنة فيدخلونها جردا مردا على حسن يوسف وعلى طول آدم ستون ذراعا بالهاشمي والعرض سبعة أذرع في سن عيسى أولاد ثلاث وثلاثين سنة وقيل انهم يدخلون الجنة ويقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال ابن زيد أن المرأة تقول لزوجها في الجنة وعزة ربى ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك مطهرين من البول والغائط والنخام والمني والمخاط والنساء مطهرات من الحيض (فائدة) قال النبي صلي الله عليه وسلم أن في الجنة بابا يقال له باب الضحي فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحي هذا بابكم فادخلوه برحمة الله تعالى وورد أيضا أن في الجنة بابا يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون (تنبيهات. الاول) ذكر العلماء أن الخلائق تقوم من قبورهم على حالتهم التي كانوا عليها في الدنيا الكبير كبير والصغير صغير والطويل طويل والقصير قصير فاذا دخلوا الجنة دخلوا شبابا * الثاني اذ استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يقف بين الجنة والنار وينادى مناد يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيقولون بأجمعهم هذا الموت فاذبحوه حتى لا نموت أبدا وينادى مناديا أهل النار هل تعرفون هذا فيقولون هذا الموت لا تذبحوه وعسى الله أن يقضي علينا بالموت فنستريح من العذاب قال فيذبح بين الجنة والنار ثم ينادي مناديا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود

عليه السلام بالمساجد التى كانوا يصلون فيها كهيئة السفن فيجلسون عليها ويعبرون الصراط فيقال لهم هذه مساجدكم التى صليتم فيها جماعة وفي الخبر ان الله تعالي يحاسب عبدا فترجح سيئاته على حسناته فيامر الله تعالي به الي النار فاذا ذهب يقول الله تعالي لجبرائيل عليه السلام أدرك عبدى واسأله هل كان يجلس مع العلماء فى الدنيا فاغفر له بشفاعتهم فيسأله جبرائيل فيقول لا فيقول جبرائيل عليه السلام يارب انك عالم بحال عبدك فيقول اسأله هل أحب العلماء فيسأله جبرائيل عليه السلام فيقول لا فيقول أسأله هل جلس على مائدة مع العلماء قط فيسأله فيقول لا فيقول هل سكن في مسكن سكن فيه عالم فيسأله فيقول لا فيقول لجبريل عليه السلام سله هل أحب رجلا يحب العلماء فيقول نعم فيقول الله تعالى لجبريل عليه السلام خذ بيده وادخله الجنة فانه كان يحب رجلا فى الدنيا وكان ذلك الرجل يحب العلماء فغفرت له ببركة ذلك الرجل وعلى هذا جاء في الخبر يحشر الله تعالى يوم القيامة مساجد الدنيا كالابل قوائمها من الدر وأعناقها من الزعفران ورأسها من المسك الاذفر وظهرها من زبرجد أخضر يركبها أهل الجماعة والمؤذنون يقودونها والائمة يسوقونها فيعبرون في عرصات القيامة فينادى يا أهل العرصات ما هؤلاء من الملائكة المقربين ولا من الانبياء المرسلين بل هؤلاء من أمة محمد الذين يحفظون صلواتهم مع الجماعة ويقال ان الله تعالى خلق ملكا يقال له دردائيل له جناحان جناح بالمغرب من ياقوتة حمراء وجناح بالمشرق من زبرجدة خضراء مكلل بالدر والياقوت والمرجان ورأسه تحت العرش وقدماه تحت الارض السابعة فينادى كل ليلة من رمضان هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى سؤله هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له حتى يطلع الفجر

﴿ الباب الرابع والثلاثون فى ذكر النار ﴾

في الخبر أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي عليه السلام فقال ياجبرائيل صف لى النار فقال ان الله تعالى خلق النار فاوقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقدها ألف عام حتي اسودت فهي فهي سوداء كالليل المظلم لا يطفأ لهبها ولا تخمد جمرها قال مجاهد ان لجهنم حيات كأعناق البخت وعقارب كالبغال فيهرب أهل النار الي النار من تلك الحيات والعقارب فتأخذ بشفاههم فتكشط ما بين الشعر الى الظفر فما ينجيهم منها الا الهرب الي النار وروي عن عبد الله بن عباس عن رسول الله عليه السلام ان في النار حيات

بلاموت فحينئذ يفرح أهل الجنة بالخلود فيها ويغتم أهل النار بطول العذاب فيها واختلف فيمن يذبحه فقيل يحيى بن زكريا وقيل جبريل عليه السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما فبينما أهل الجنة يتلذذون ويتنعمون فيها واذا النداء من قبل الله عز وجل انطلق يا جبريل الى الجنان وائتنا بحظيرة القدس لأضيف فيها محمدا صلى الله عليه وسلم وامته فينطلق جبريل الى الجنان ويطوفها طولا وعرضا فلم يجد شيئا فيأتى الى ساق العرش ويقول يارب طفت الجنان كلها فما وجدت شيئا فيقول الله عز وجل انطلق الى جنات عدن وانظر فى أعلاها فنها ركن من أركانها فينطلق جبريل الى جنات عدن فيطوفها فاذا هو بجنة من الدر الاحمر مشرفة على الجنان كلها ولها باب من عسجد أعني من ذهب أحمر فلا يقدر أن يصفها أحد الا الذي قال لها كوني فكانت قصورها عالية وأشجارها باسقة قطوفها دانية وأطيارها ناطقة وأنهارها متدفقة تسبح من له الجلال والبقاء قال ابن عباس رضى الله عنهما واذا بملك عظيم قائم على تلك الجنة لو أمر الله ذلك الملك أن ينزع قدمه من مكانه لما وسعته السموات والارض قال فيدنو منه جبريل ويقول السلام عليك يا عبدالله فيرد عليه السلام ويقول من تكون أنت من الملائكة أنا جبريل رسول رب العالمين فيقول الملك سبحان رب العالمين منذ خلقنى الله تعالى ماسمعت هذا الاسم ثم يقول له وما تريد يا جبريل فيقول اريد أن احمل حظيرة القدس بأمر الله تعالى فيقول الملك يا جبريل هل خلق الله تعالى جنة غير هذه فيقول نعم خلق سبع جنان غير هذه فيقول من (باب) خازنها فيقول رضوان فيقول الملك لجبريل من يحملها معك فيقول مامعي أحد بل أنا احملها وحدى فيقول الملك لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم بهذا وعدنى ربى فيقول جبريل أين مفاتيحها يا أخي فيقول في شدقي الايمن منذ خلقني الله وخلقها قال النبي صلى الله عليه وسلم لو آن مفتاحا منها أخرج من مكانه لما وسعه السموات والارض فاذا أخذ جبريل عليه السلام المفتاح يضع جناحه تحتها ويأمر الله تعالى ريح الصبا أن يعينه على حملها فيحملها بقصورها وقبابها وغرفها ومدائنها وأشجارها وحورها وولدانها حتى يضعها تحت عرش الرحمن وبين جنة عدن فيأتيه النداء من قبل الرحمن يا جبريل انطلق وائتنى بمحمد وامته وجميع

مثل اعناق الابل فتلدغ أحدهم لدغة يجد ألمها أربعين خريفا وروي عن زيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من تلك النار لولا أنها ضربت فى البحر مرتين ماانتفعتم منها بشيء فقال مجاهد أن ناركم هذه تتعوذ من نار جهنم روى فى الخبر أن الله تعالى أرسل جبرائيل عليه السلام الى مالك النار بأن يأخذ من النار فيأتي بها الى آدم عليه السلام حتى يطبخ بها طعاما قال مالك ياجبرائيل كم تريد من النار قال جبرائيل مقدار تمرة قال مالك ياجبرائيل لو أعطيتك مقدار تمرة لذاب سبع سموات وأرضين من حرها قال مقدار نواتها قال لو اعطيتك ماتريد لم تنزل من السماء قطرة ولم ينبت في الارض نبات ثم نادي جبرائيل الهي كم آخذ من النار قال الله تعالى خذ مقدار ذرة منها فاخذ جبريل منها مقدار ذرة وغمسها في النهر سبعين مرة ثم جاء بها الي آدم عليه السلام فوضعها على جبل شاهق فذاب ذلك الجبل ثم رد النار الى مكانها وبقى دخانها فى أحجار وحديد الى يومنا هذا فهذه النار من دخان تلك الذرة فاعتبروا منها يامؤمنون قال النبي عليه السلام ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان من النار يغلي منهما دماغه كما يغلى المرجل فيسمعه جيرانه وأضراسه جمر وشفتاه جمر ولهب النار يخرج من أحشاء بطنه من قدميه وأنه ليرى نفسه أشد أهل النار عذابا وانه من اهون أهل النار عذابا قال عاصم ان أهل النار يدعون مالكا فلا يرد عليهم جوابا أربعين عاما ثم يرد عليهم فيقول انكم ماكثون يعني دائمون ابدا ثم يدعون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فلا يجيبها مقدار ما كانت الدنيا مرتين ثم يرد عليهم بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون قال النبي عليه السلام فوالله ما يتكلم القوم بعدها بكلمة واحدة وما كان بعد ذلك الا زفير وشهيق فى النار واصواتهم تشبه أصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق قال جبرائيل عليه السلام والذى بعثك بالحق نبيا لو أن مثل ثقب ابرة فتح منها جهة المشرق لاحترق أهل المغرب من شدة حرها والذى بعثك بالحق نبيا لو ان ثوبا من ثياب اهل النار علق بين السماء والارض لماتوا من حرها لما يجدون من نتنها والذي بعثك بالحق نبيا لو ان ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه وضع على جبل لذاب الجبل حتى يبلغ الارض السابعة والذى بعثك بالحق نبيا لوان رجلا من أهل النار يعذب بالمغرب لاحترق من بالمشرق من شدة عذابه حرها شديد وقعرها بعيد وحطبها الناس والحجارة وشرابها الحميم والصديد وثيابها من قطران

﴿الباب الخامس والثلاثون فى ذكر النار﴾

لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم من الرجال والنساء وروى عن رسول الله عليه السلام أنه سأل جبريل عليه السلام أكانت أبوابها كابوابنا هذه قال لا ولكنها مفتوحة بعضها أسفل من بعض من الباب الى الباب مسيرة سبعمائة سنة كل باب منها أشد حرا من الذى يليه سبعين ضعفا قال عليه السلام من سكان هذه الابواب قال أما الباب الاسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمه الهاوية والباب الثانى فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس ومن تبعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس وفيه اليهود واسمه حطمة والباب السادس منه النصارى واسمه سعير ثم أمسك جبريل فقال عليه السلام ياجبريل لم لا تخبرنى عن سكان الباب السابع فقال يامحمد أتسألنى عنه فقال بلى قال يامحمد أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا فخر النبي عليه السلام مغشيا عليه فلما أفاق قال عليه السلام ياجبريل عظمت مصيبتي واشتد خوفي أيدخل احد من أمتى النار قال ياجبريل نعم يدخل أهل الكبائر من أمتك ثم بكي رسول الله عليه السلام وبكي جبرائيل لبكائه وقال عليه السلام ياجبريل لم تبكى أنت وأنت الروح الامين قال جبرائيل أخاف ان أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذى ابكانى فاوحي الله تعالى ياجبرائيل ويامحمد انى أبعدتكما من النار ولكن لا تامنا من عذابي

﴿الباب السادس والثلاثون فى ذكر جهنم﴾

روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يؤتى بجهنم يوم القيامة وحولها سبعون ألف صف من الملائكة كل صف أكثر من الثقلين يجرونها بازمتها ولجهنم أربع قوائم ما بين كل قائمة وقائمة ألف عام ولها ثلاثون رأسا وفى كل رأس ثلاثون ألف فم وفى كل فم ثلاثون ألف ضرس وفى كل ضرس مثل جبل أحد ألف مرة وفى كل فم شفتان كل شفة مثل طباق الدنيا وفى شفتيه سلسلتان من حديد لكل سلسلة منها سبعون ألف حلقة ويمسك كل حلقة مالا يعد من الملائكة فيؤتى بها عن يسار العرش وهو قوله تعالى انها ترمى بشرر كالقصر

الانبياء والرسل وادعهم الى ضيافتي وكرامتي قال فينطلق جبريل الى الجنات وينادى بصوت يسمعه القريب والبعيد ياحبيبي يامحمد الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويدعوك أنت وامتك وسائر الانبياء والرسل الى ضيافته فيقوم النبي صلى الله عليه وسلم على قدميه وينزل من قصره ويأتي الى أبيه آدم عليه السلام والى الخليل وسائر الانبياء والامم ثم يقدم للنبي صلى الله عليه وسلم نجيب رأسه من ياقوتة وعنقه من زمردة وصدره من ذهب ورجلاه من مرجان ثم ينصب على رأسه قبة الكرامة وينشر لواء الحمد ويركب آدم والخليل وطائفة من الانبياء والرسل عن يساره ويسيرون فى موكب واحد صفا واحدا والاشجار ينادي بعضها بعضا انتحوا عن طريق وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفسدون عليهم صفوفهم وروي ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما يمرون بقصر من فضة طوله ألف عام وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر ثان من ذهب طوله ألف عام ومثل ذلك عرضه فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر ثالث من زمرد أخضر طوله ثلاثة آلاف عام وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر رابع من ياقوت أحمر طوله أربعة آلاف عام وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر خامس من ياقوت أصفر طوله أربعة آلاف عام وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر سابع طوله سبعة الاف عام وعرضه مثل ذلك من زمرد فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر ثامن من طين أبيض طوله ثمانية آلاف عام وعرضه مثل ذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر تاسع من جوهر طوله تسعة آلاف سنة وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر عاشر من جوهر طوله مسيرة عشرة آلاف عام وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين قال ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يبدو لهم نور حظيرة القدس على مسيرة عشرة آلاف عام ويظهر لهم قصورها واشجارها قصورها شاهقة واشجارها باسقة تسبح من له الجلال والبقاء فاذا وصلوا الى حظيرة القدس اذا هي مرج أخضر طوله وعرضه ألف عام وفيه من القصور ما لا يعلم عددها الا الله

تعالى فاذا دخلوا ذلك المرج ورأوا ما أعد الله لهم من النعيم المقيم والكرامة فى ذلك المرج فرحوا واستبشروا فى حظيرة القدس
يجد كل واحد منهم اسمه على قصره ثم ينزلون عن الخيل والنجب وينظرون ما أعد الله لهم من النعيم المقيم ثم يخرجون من ذلك
المرج الى مرج أوسع منه ويجلسون على الكراسى والمنابر والاشجار من فوقهم ساق الشجرة ذهب وأوراقها حلل كل شجرة مثل
الدنيا بين كل شجرتين من الشجر سبعون ألف قصر فى كل قصر سبعون ألف سرير من الذهب طول كل سرير ثلثمائة
ذراع فاذا أراد العبد المؤمن أن يطالع فوق سرير منها يتقاصر حتى يبقى مثل ذراع واذا جلس فوقه عاد الى أصله ٣٨
الاول فاذا أراد ان يمشى به
مشي واذا اشتهي ان يطير
به طار به بين الاشجار واذا
أراد ان ياكل من الثمار قطع
منها ما أراد * (تنبيه) * قد
ورد فى الخبر ان على كل سرير
سبعين فراشا ونمارق من
السندس والاستبرق حول
كل سرير سبعون خادما فى يد
كل خادم قدح من ذهب فى
كل قدح سبعون لونا من
الشراب ولكل ولى سبعون
حورية على كل حورية
سبعون حلة يتمتع ولى الله
بكل ما أراد منهن قال الله
تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا وقد ورد ان أهل
الجنة يأتيهم ملك يقرع
أبوابهم فتقول الحور من
هذا فيقول ملك من عند الله
جئت لسيدكن بهدية صلاة
الصبح التى كان يصليها فى
الدنيا فيفتحن له الباب
فيدخل الملك فيقول السلام
عليكم ربكم يقرئكم السلام
ويقول لكم لقد كنتم فى الدنيا
ترفعون صلاة الصبح فيضع الملك مائدة من الذهب عليها سبعون صحفة عشرة من فضة وعشرة من ذهب (باب)
وعشرة من در وعشرة من عقيق وعشرة من ياقوت وعشرة من زبرجد وعشرة من مرجان فى كل صحفة ستون لونا من
الطعام ليس لون يشبه الآخر ولا يختلط به وعليه خبزا أبيض من اللبن وأحلى من الشهد لم تمسه أيد بل كل ذا بقدرة من يقول للشىء
كن فيكون مغطاة بمنديل من السندس الاخضر يأكلون فيها من ذلك الطعام ما يشتهون فيجدون فى كل لقمة لذة أحلى من الاولى
ان الرجل من أهل الجنة يجد فى كل لقمة ما يتمناه فى دار الدنيا وقال بعض العلماء ان جميع الانبياء والرسل يأكلون من جهة
النبي صلى الله عليه وسلم يأكل من جهة مع أمته تكريما وتشريفا وقد ورد ان جميع أهل الجنة مائة وعشرون صفا وأمة محمد صلى الله عليه

* (الباب السابع والثلاثون فى ذكر سوق الناس الى النار) *

يساق أعداء الله الى النار وتسود وجوههم وتزرق أعينهم وتختم افواههم فاذا انتهوا الى ابوابها استقبلتهم الزبانية بالاغلال والسلاسل فتلك السلسلة توضع فى فم الكافر وتخرج من دبره وتغل يده اليسرى الى عنقه وتدخل يده اليمنى فى صدره وتنزع من بين كتفيه ويشد بالسلاسل ويقرن كل آدمي منهم مع الشيطان فى سلسلة ويسحب على وجهه وتضربهم الملائكة بمقامع من حديد كلما ارادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ثم قالت فاطمة يا رسول الله أولم تسأل عن أمتك كيف يدخلونها قال عليه السلام تسوقهم الملائكة الي النار فلا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا تختم أفواههم ولا يقرنون مع الشيطان ولا توضع عليهم السلاسل والاغلال فقالت يا رسول الله كيف تقودهم الملائكة قال عليه الصلاة والسلام أما الشيخ والشاب فيؤخذان باللحية وأما النساء فبالذوائب والناصية فكم من ذى شيبة من أمتي يقبض على شيبته ويقاد الي النار وهو ينادى واشيبتاه واضعفاه وكم من شاب من أمتي يقبض من اللحية ويقاد الي النار وهو ينادى واشباباه واحسن صورتاه وكم من امرأة من أمتي يقبض على ناصيتها تقاد الى النار وهي تنادى وافضيحتاه واهتك ستراه حتى ينتهي بها الى مالك فاذا نظر اليهم مالك يقول للملائكه من هؤلاء فما ورد علينا من الاشقياء أعجب من هؤلاء لم تسود وجوههم ولم توضع السلاسل والاغلال في اعناقهم فتقول الملائكة هكذا أمرنا ان نأتى بهم على هذه الحالة فيقول لهم يا معشر الاشقياء من أنتم فيقولون نحن من أمة محمد عليه السلام وروى فى رواية أخرى لما قادتهم الملائكة ينادون وا محمداه فلما رأوا مالكا نسوا اسم محمد عليه السلام من هيبته فيقول لهم مالك من أنتم فيقولون نحن من أنزل عليهم القرآن ونحن ممن يصوم شهر رمضان فيقول مالك ما نزل القرآن الا على محمد عليه السلام فاذا سمعوا اسم محمد عليه السلام صاحوا باجمعهم نحن من أمته فيقول لهم مالك اما كان لكم فى القرآن زاجر عن المعاصى فاذا وقفوا على شفير جهنم ونظروا الى النار والى الزبانية قالوا يا مالك ائذن لنا نبكى على أنفسنا فيأذن لهم فيبكون الدموع حتى لا يبقى شىء من الدموع في أعينهم فيبكون دما فيقول مالك ما أحسن هذا البكاء لو كان فى الدنيا خشية من الله ما مستكم النار اليوم

﴿الباب الثامن والثلاثون فى ذكر الزبانية﴾

قال منصور بن عمار بلغني ان ملك النار له أيد وأرجل بعدد أهل النار وبكل رجل ويد يقوم ويقعد ويغل ويسلسل من أراد فاذا نظر مالك الى النار أكلت النار بعضها بعضا من خوف مالك وحروف البسملة تسعة عشر حرفا وعدد رؤساء الزبانية كذلك يأخذونهم بايديهم وارجلهم لانهم يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم فيأخذ الواحد منهم عشرة آلاف من الكفار بيد واحدة وعشرة آلاف بيد أخرى وعشرة آلاف باحدى رجليه وعشرة آلاف بالرجل الاخرى فيلقى فى النار أربعين ألف كافر دفعة واحدة لما فيه من القوة والشدة ورئيسهم مالك خازن النار وثمانية عشرة مثله وهم رؤساء الملائكة تحت يد كل منهم من الخزنة مالا يحصي عددهم الا الله وأعينهم كالبرق الخاطف وأسنانهم كبياض قرن البقر وشفاههم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم وما بين كتفى كل واحد منهم مسيرة سنة لم يخلق الله تعالى في قلوبهم من الرحمة والرأفة مقدار ذرة يغوص أحدهم في بحار النار مقدار سبعين سنة فلا تضره النار لان النور يغلب على النار ونعوذ بالله من النار ثم يقول مالك الزبانية ألقوهم فى النار فاذا ألقوهم في النار نادوا باجمعهم لا اله الا الله فترجع عنهم النار فيقول مالك يانار خذيهم فتقول النار كيف آخذهم وهم يقولون لا اله الا الله فيقول مالك بذلك أمر رب العرش العظيم فتاخذهم النار فمنهم من تاخذه الى ركبتيه ومنهم من تاخذه الي حلقه فاذا قربت من وجوههم يقول مالك لاتحترقى وجوههم فانهم سجدوا عليها للرحمن ولا تحترقي قلوبهم لانها معدن التوحيد والمعرفة والايمان وطالما عطشوا فى رمضان فيبقون فيها ما شاء الله

﴿الباب التاسع والثلاثون فى ذكر أهل النار وطعامهم وشرابهم﴾

قال النبى عليه السلام أهل النار سود الوجوه مظلمة أبصارهم ذاهبة عقولهم رأس كل واحد منهم كالقبة وأبدانهم كالجبال وعيونهم زرق وقاماتهم كالطود وشعورهم كالقصب ليس لهم موت يموتون ولا حياة يحيون لكل واحد منهم سبعون جلدا من الجلد الي الجلد سبع طباق من النار وفى أجوافهم حيات من النار يسمعون صوتها كصوت الوحوش وبالسلاسل والاغلال يطوقون وبالمقامع يضربون وعلى وجوههم يسحبون قال عليه السلام مساكين أهل النار ينادون ياربنا أحاط بنا العذاب وهم مسجونون فيها مغلولون باغلالها ان سكتوا

وسلم ثمانون صفا ثلثا أهل الجنة ثم ان الملك الذى جاء بالهدية يسلم عليهم بخرج فاذا كان وقت الظهر فكذا والعصر كذلك ثم ان الرجل من أهل الجنة يجمع تلك الاطباق والاوانى ويريد أن يعطيها الملك فيضحك الملك ويقول لهم تفعلون هنا كما كنتم تفعلون في الدنيا تاكلون الهدايا وتردون الاوانى الى صاحب الهدايا لأن أهل الدنيا كانوا فقراء محتاجين الى ما يمشون لكم فيه واما هذه فهى هدية من عند الغنى الكريم الذى لا ينقص ملكه ولا تفنى خزائنه فتلك الاوانى وما فيها ومن كان فى الدنيا يرفع أكثر من الخمس فرائض من نوافل وعبادات يدفع له الحق جل جلاله أكثر من الخمس هدايا فاذا فرغوا من ذلك ٣٩ يقول الرب جل جلاله مرحبا بعبادى وزوارى ياملائكتي اسقوا عبادى فتاتى الملائكة باباريق من الذهب والجوهر والياقوت مملوءة من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فيشربون من ذلك ما يشتهون فيجدون في كل شربة منها حلاوة فاذا شربوا من ذلك الشراب انهضم كل شيء أكلوه من ذلك الطعام وقال بعض العلماء في الجنة ثمانية أشربة ماء ولبن وخمر وعسل سلسبيل وزنجبيل وتسنيم ورحيق مختوم فاذا فرغوا من ذلك الشراب يقول الله تعالي مرحبا بعبادى وزوارى ياملائكتي فكهوا عبادى فتاتيهم الملائكة باطباق من الذهب الاحمر مكللة بالدر والجوهر والياقوت والزبرجد مملوأة فواكه من عند الحق تعالى عليها مناديل من السندس الاخضر واستبرق فياكلون من تلك الفواكه ما يشتهون فاذا فرغوا من ذلك يقول الله مرحبا بعبادي وزوارى ياملائكتى اكسوا عبادى فتاتيهم الملائكة بملابس من حلل الجنة مختلفة الالوان مصقولة بنور الرحمن فيكسى كل واحد سبعين حلة كل حلة ملونة سبعين لونا ليس فيها حلة تشبه الاخرى وان الرجل من أهل الجنة يقبض على السبعين حلة كما يقبض على ورقة من شقائق النعمان فاذا فرغوا من ذلك يقول الله تعالى مرحبا بعبادى وزوارى ياملائكتى خلخلوا عبادى فتاتيهم الملائكة بخلاخل من الذهب والفضة فيخلخلونهم الى نصف الساقين قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا سقط الخلخال يسمع له طنين من مسيرة خمسمائة عام لم يسمع السامعون اقوي منه ولو سمع أهل الدنيا رنين ذلك الخلخال لماتوا كلهم شوقا الجنة فاذا فرغوا من ذلك يقول الله عزوجل مرحبا بعبادي وزواري

لم يرحموا وان صبروا لم ينجو وان نادوا لم يجابوا ينادون بالويل والثبور والصغار مقرنين في سجون مخلدين نادمين طويل عذابهم ضيق مدخلهم سائل صديدهم بادية عوراتهم متغيرة ألوانهم الاشقياء يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون قال عليه السلام مساكين أهل النار خلق الله لهم جبالا يقال لها صعود فيصعدون على وجوههم ألف عام حتي اذا صعدوا قذفتهم الجبال في قعر جهنم خاسرين قال عليه السلام مساكين أهل النار اذا استغاثوا بالمطر ترفع سحابة سوداء فيقولون الغيث جاء من الرحمن فتمطر عليهم حجارة من نار تقع على رؤوسهم ثم تخرج من أدبارهم ثم يسألون الله تعالى ألف سنة أن يرزقهم الغيث فتظهر سحابة سوداء فيقولون هذا سحاب المطر فتمطر عليهم حيات كامثال أعناق الابل من لدغته لدغة لايذهب عنه ألمها الف سنة وهذا معنى قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قال عليه السلام مساكين أهل النار ينادون مالكا سبعين ألف سنة فلا يرد عليهم جوابا فيقولون ربنا أن مالكا لم يجبنا فيقول الله تعالى يامالك أجب اهل النار ثم أن مالكا يقول ماتقولون يامن غضب الله عليكم ياأهل النار فيقولون يامالك اسقنا شربة ماء نستريح بها فقد أكلت النار لحومنا وعظامنا وانضجت جلودنا ومزقت عظامنا وقطعت قلوبنا فيسقيهم شربة من الحميم ان تناولوه بالايدى تساقطت الاصابع فان بلغ الوجوه تناثرت العيون والخدود فاذا دخل البطون قطع الامعاء والكبود قال عليه السلام مساكين أهل النار اذا استغاثوا بطعام يجاء لهم بالزقوم فاذا جيء بالزقوم يأكلونه غلى مافي بطونهم وغلى دماغهم وأضراسهم ويخرج اللهب من أفواههم وتتساقط أجسادهم بين أقدامهم قال عليه السلام مساكين أهل النار يلبسون ثيابا من قطران اذا وضعت على الابدان انسلخت الجلود والاشقياء في النار عمي لايبصرون بكم لاينطقون صم لايسمعون وكل جائع يشتهي الطعام الا أهل النار وكل عار يشتهي اللباس الا أهل النار وكل ميت يشتهي الحياة الا أهل النار فانهم يتمنون الموت

﴿ الباب الاربعون في ذكر أنواع العذاب على قدر أعمالهم ﴾

قال النبي عليه السلام ينجو من النار من امتي بعد ألف وستين سنة قوم سمان من اللحوم مهزولون من الدين كساة من الثياب عراة من الطاعات عالمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أي جاهلون وهم أهل الاسواق والهوى يكتسبون من

ياملائكتي ختموا عبادي فتأتيهم الملائكة بخواتم من الذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والعقيق والدر والجوهر الابيض وفصوصها من الجوهر الاحمر والزمرد الاخضر فيختم كل انسان بعشرة خواتم مكتوب على كل خاتم آية من كتاب الله تعالى تدل على خلودهم في الجنة مكتوب على خاتم الابهام سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ومكتوب على الخاتم الثاني سلام قولا من رب رحيم ومكتوب على الخاتم الثالث وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ومكتوب على الخاتم الرابع الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومكتوب على الخاتم الخامس ان المتقين في جنات ونعيم ومكتوب على الخاتم السادس ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ومكتوب على الخاتم السابع وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ومكتوب على الخاتم الثامن ان المتقين في جنات ونهر الى مقتدر ومكتوب على الخاتم التاسع سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ومكتوب على الخاتم العاشر لايمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين فاذا فرغوا من ذلك يقول الله عزوجل مرحبا بعبادي وزواري ياملائكتي توجوا عبادي فتأتيهم الملائكة بتيجان من الذهب الاحمر مكللة بالدر والجوهر فيتوجون بها لكل تاج منها أربعة أركان على كل ركن ياقوتة حمراء لو علقت ياقوتة منها في سماء الدنيا لغلب نورها على نور الشمس والقمر فاذا فرغوا من ذلك يقول الله عز وجل مرحبا بعبادي وزواري ياملائكتي أطيبوا عبادي فتسير الملائكة الى طيور الجنة فيمسكونها ويغمسونها في المسك الاذفر والعنبر والطيب ثم أن تلك الطيور ترفرف على رؤسهم فيطيبونهم من أولهم الي آخرهم فاذا فرغوا من ذلك يقول الله تبارك وتعالى مرحبا بعبادي وزواري ياملائكتي اطربوا عبادي قال فتذهب الملائكة فتحضر مغاني من الحور العين والمزامير معلقة في أغصان الشجر كل شجرة تحمل في كل غصن سبعين ألف مزمار وتهب ريح من تحت العرش فتدخل في تلك المزامير فيسمع لها نغمات لم يسمع السامعون أحسن منها ثم يقول الله تعالى للحور العين اطربوا عبادي كما نزهوا أسماعهم عن المطربات في الدنيا لاجلي وتلذذوا بذكري وسماع كلامي

فاسمعوهم أصواتكم بحمدي وثنائي فتغني لهم الحور العين وتجاوبهم تلك المزامير فتطير أهل الجنة فرحا بذلك السماع في حضرة الوصال ويتواجدون في محبة الاتصال فاذا هاموا من الوجد وشربوا من المطربات يقولون ربنا كنا في الدنيا نحب ذكرك وسماع كلامك العزيز فيقول الله تعالى لهم لكم عندي ما تشتهي أنفسكم وأنتم فيها خالدون ثم يقول الله تعالى الملك الموكل بحظيرة القدس يا كروب قرب المنبر لعبادي فيقرب الملك منبرا من ياقوتة حمراء ارتفاعه ألف عام وله من الدرج بعدد الانبياء والمرسلين فعند ذلك يصعد كل نبي على درجته ويصعد النبي صلى الله عليه وسلم على درجة الوسيلة ويجلس

الاتقياء والاصفياء والصديقون والاولياء والشهداء والصالحون وجميع الامم من أهل الجنان على كثبان المسك والعنبر ثم ينادي المنادي يا ابراهيم قم واخطب بامتك فينهض الخليل قائما على قدميه ويقرأ الصحف التي انزلت عليه الى آخرها ثم يجلس فاذا النداء من العلي الاعلى ياموسى فيقول لبيك يارب فيقول قم واخطب بامتك فيقوم ويقرأ التوراة من أولها الى آخرها ثم يجلس فاذا النداء من قبل الله تعالى ياعيسى قم واخطب بامتك فينهض قائما ويقرا الانجيل الى آخره ثم يجلس فاذا النداء من قبل الله تعالى ياداود قم وارق المنبر واسمع أحبابي عشر سور من الزبور فينهض قائما على قدميه ويقرأ الزبور بسبعين صوتا فيطرب القوم من صوت داود طربا عظيما ويبكون من ذلك الصوت وهو يعدل تسعين مزمارا

فاذا أفاقوا من الطرب يقول لهم الرب جل جلاله هل سمعتم صوتا أحسن من هذا فيقولون لا يا ربنا ما طرق اسماعنا صوت أطيب من هذا فاذا النداء من قبل الله تعالى يا حبيبي يا محمد ارق المنبر واقرأ طه ويس فيرقى المنبر فيقرأهما فيزيد في الحسن على صوت داود عليه السلام سبعين ضعفا فيطرب القوم والكراسي من تحتهم وقناديل العرش وكذلك الملائكة تموج من الطرب وكذلك الحور العين والولدان ولا يبقى ذو روح الا طرب من صوت النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول الله تعالى هل سمعتم قراءة أنبيائي ورسلي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لهم أتريدون أن تسمعوا قراءة ربكم فيقولون باجمعهم أما شوقنا الا الى ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما فعند ذلك يتلو الرب جل جلاله سورة الرحمن وفي رواية سورة الانعام فاذا

أي حال شاءوا ولا يبالي الله تعالى من أي باب يدخلون النار قال الله تعالى ياموسى لو رأيت ناقضي العهد والامانة يسحبون على وجوههم الى النار فاذا طرحوا في جهنم صار كل عضو منهم في مكان وكل عرق في مكان وقلوبهم في مكان وقال ويل لناقض العهد والامانة مصلوبا على شجرة الزقوم والنار تدخل من دبره وتخرج من فمه واذنيه وعينيه وقال تعالى ياموسى لو رأيت ناقض العهد والامانة قد قارنه الشيطان في السلاسل والاغلال معلق بلسانه يسيل دماغه من منخريه لاينام طرفة عين ولا يجد راحة طرفة عين حتى أن الكافر يطلب الامان بالموت من العذاب وكذا ناقض العهد يطلب الامان بالموت وكذا الزاني وآكل الربا وتارك الصلاة يعذبون في النار حقبا قال الله تعالى ياموسى لو كان ماء البحار مدادا والاشجار أقلاما والانس والجن كتابا لخلصت الاقلام والانس والجن كتابا لخلصت الاقلام وفنيت الجن والانس ونفدت البحار كلها قبل أن تكتب عدد حقب جهنم وذلك قوله تعالى لابثين فيها أحقابا لايذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا قال النبي عليه السلام لجبرائيل ما الحقب قال جبرائيل عليه السلام أربعة الاف سنة قال عليه السلام السنة كم شهرا قال أربعة الاف شهر قال عليه السلام الشهر كم يوما قال أربعة الاف يوم قال عليه السلام واليوم كم ساعة قال سبعون ألف ساعة وكل ساعة سنة من سني الدنيا وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يخرج من النار شيء اسمه حريش يتولد من العقرب رأسه في السماء السابعة وذنبه تحت الارض السفلى فينادي سبعين مرة أين من بارز الرحمن وأين من حارب الرحمن فيقول جبرائيل عليه السلام ماذا تريد ياحريش فيقول أريد خمسة أين من ترك الصلاة أين من منع الزكاة وأين من شرب الخمر وأين من أكل الربا وأين من يتحدث بحديث الدنيا في المساجد فيجمعهم في فمه ويرجع بهم الى جهنم نعوذ بالله من الشقاوة

﴿ الباب الحادي والاربعون في ذكر حال شارب الخمر ﴾

روي عن أبيّ بن كعب قال قال النبي عليه السلام يؤتى يوم القيامة بشارب الخمر والكوز معلق في عنقه والطنبور في كفيه حتى يصلب على خشبة من النار فينادي المنادي هذا فلان بن فلان من موضع كذا يخرج ريح الخمر من فمه فيتأذى أهل الموقف حتى يستغيثوا الى الله من نتن ريحهم ثم يكون مصيرهم الى النار فاذا طرحوا في النار ينادون ألف سنة واعطشاه

سمعوا قراءة الحق جل جلاله غابوا عن الوجود وطربت الاملاك والحجب والستور والقصور والأشجار وصفقت الاوراق وغردت الاطيار وتماوجت الانهار طربا بالقراءة العزيز الجبار واهتز العرش طربا ومال الكرسي عجبا ولم يبق فى الجنة شيء الا واهتز حنينا واشتياقا الى الله تعالي وفى الخبر أن اهل الجنة يتمنون أنهم لا يأكلون ولا يشربون اذا سمعوا قراءة الرب جل جلاله بل يريدون التلذذ بذلك لحسنه وحلاوته فاذا أفاقوا من الطرب يقول لهم الرب جل جلاله ياعبادي هل بقي لكم شيء فيقولون نعم لنا النظر الى وجهك الكريم فعند ذلك يقول الرب جل جلاله ياكروب ارفع الحجاب بيني وبين ٤٢ عبادي فيرفع الملك الحجاب فتهب عليهم ريح منها انصقلت ثيابهم وتهللت وجوههم وصفت قلوبهم وسعدت أبدانهم وامبت خيولهم وغردت أطيارهم وقدجاء أن اهل الدنيالو رأوا مافي الجنة لماتوا شوقا اليهاثم يقول الله جل جلاله ياكروب ارفع الحجاب الاعظم بيني وبين عبادي فاذا رفع الحجاب عن وجهه ينادى من أنا فيقولون أنت الله فيقول الله تعالي أنا السلام وأنتم المسلمون وأنا المؤمن وأنتم المؤمنون وأنا المحجوب وانتم المحجوبون هذا كلامى فاسمعوه وهذا نورى فشاهدوه وهذا وجهي فانظروه فينظرون الى وجه الحق جل جلاله بلا واسطة ولا حجاب فاذا وقعت أنوار الحق على وجوههم أشرقت وجوههم ومكثوا ثلثمائة سنة شاخصين الى وجه الحق جل جلاله سبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (فائدة) رؤية الحق سبحانه وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وأما السنة فما فى البخاري ومسلم أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ومن زعم أن الله لا يرى يوم القيامة اوجحد أوشك فهو كافر لتكذيبه الكتاب والسنة وفائدة رؤية الله تعالى فى الجنة زوال الشكوك ألا ترى أن من دخل دارا لم ير صاحبها خاف أن يكون عنه غير راض اه فاذا حصلت لهم الرؤية من ربهم عز وجل يقولون آلهنا ماعبدناك حق عبادتك ائذن لنا في السجود فيقول الله عز وجل هذه دار ليس فيها ركوع ولا سجود وانما هي دار جزاء وخلود وأنا الآن قد دعوتكم الى ضيافتي وكرامتي قد حصل الوعد الذي وعدتكم وقد اذنت لكم

ثم ينادون مالكا فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة فيكون عرقهم منتنا يؤذى جيرانهم فينادون يا ربنا ارفع عنا العرق فلا يرفع عنهم ثم يجاء بهم الى النار حتى يكونوا حمما ثم يعودون خلقا جديدا ويردون الى النار مغلولة أيديهم ويسحبون فى النار بالسلاسل على وجوههم واذا استغاثوا بالشراب يغاثوا بالماء الحميم حتى اذا شربوا تقطعت أمعاؤهم فاذا استغاثوا بالطعام يجاء بالزقوم فاذا جيء به وأكلوا منه غلى مافى بطونهم ومافي دماغهم فيخرج لهب من النار من أفواههم فتتساقط أحشاؤهم على أقدامهم ثم يجعل كل واحد منهم فى تابوت من جمر ألف عام ضيق مدخله ثم يخرج من التابوت بعد ألف عام ويجعل فى سجن من النار وغل من نار ثم ينادون ألف سنة واعطشاه فلا يرحمون وفى السجن حيات وعقارب كامثال البخت تنهش قدميه فلا يبطش ثم يوضع على رأسه تاج من نار ويجعل فى مفاصله الحديد وفى عنقه السلاسل وفى يده الاغلال ثم يخرج بعد ألف عام ثم يجعل في ويل والويل واد من أودية جهنم حرها شديد وقعرها بعيد والسلاسل والحيات والعقارب فيها كثيرة ويبقون فى الويل مقدار ألف عام ثم ينادون يامحمداه فيسمع صوتهم فيقول يارب سمعت صوت رجل من أمتي فيقول الله تعالي هذا صوت الرجل الذي يشرب الخمر فى الدنيا ومات وهو سكران فيبعث الى المحشر وهو سكران فيقول عليه السلام يارب أخرجه من النار بشفاعتى فلا يبقى خالداً فى النار

﴿ الباب الثانى والاربعون فى ذكر الخروج من النار ﴾

ثم ينادون فيها ياحنان يامنان ألف عام وياقيوم ألف عام ويا أرحم الراحمين ألف عام فاذا أنفذ الله تعالي فيهم حكمه وقضاءه أمر جبريل عليه السلام فيقول ياجبرائيل مافعل العاصون من أمة محمد فيقول جبرائيل الهى أنت أعلم بحالهم منى فيقول انطلق وانظر ماحالهم فينطلق جبرائيل الى مالك وهو على منبر من نار في وسط جهنم فاذا نظر مالك الى جبرائيل عليه السلام قام تعظيما له فيقول ياجبرائيل ماأدخلك هذا الموضع فيقول مافعلت بالعصاة من أمة محمد عليه السلام فيقول ماأسوأ حالهم وأضيق مكانهم قد أحرقت النار أجسادهم وأكلت النار لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلالا فيها نور الايمان فيقول جبرائيل عليه السلام ارفع الحجاب حتى انظر اليهم فيأمر مالك الخزنة فترفع الحجاب عنهم فاذا نظروا الى جبريل عليه السلام ونظروه من أحسن الخلق علموا انه ليس من ملائكة العذاب فيقولون من هذا

العبد الذى لا يأتى أحد قط أحسن منه فيقول مالك هذا جبريل عليه السلام كان يأتى محمدا بالوحى فاذا سمعوا ذكر محمد عليه السلام صاحوا بأجمعهم يبكون ويقولون ياجبريل أقرئ محمدا منا السلام وأخبره بسوء حالنا قد نسينا وتركنا فى النار فينطلق جبريل حتى يقوم بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى كيف رأيت امة محمد فيقول ما اسوأ حالهم واضيق مكانهم فيقول الله تعالى هل سألوك شيا فيقول نعم يارب سألونى ان اقرأ محمدا عنهم السلام واخبره بسوء حالهم فيقول الله انطلق اليه فبلغه فينطلق جبريل عليه السلام الى النبي باكيا وهو في الجنة تحت شجرة طوبى في خيمة من درة بيضاء ولها أربعة آلاف باب لكل باب مصراع من ذهب ومصراع من فضة بيضاء فيقول النبى صلى الله عليه وسلم ما أبكاك يا أخى ياجبريل فيقول يامحمد لو رأيت ما رأيت لبكيت أشد من بكائي قد جئت من عند عصاة امتك الذين يعذبون وهم يقرؤنك السلام ويقولون ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا ويصيحون يامحمداه ثم يقول جبريل اسمع صياحهم وهم يقولون يامحمداه فيسمعهم النبى صلى الله عليه وسلم فيقول لبيكم لبيكم يا امتى فيقوم النبى صلى الله عليه وسلم باكيا فيأتى عند العرش والانبياء خلفه ويخر ساجدا فيثنى على الله تعالى ثناء لم يثن أحد مثله فيقول الله تعالى يامحمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول عليه السلام يارب الاشقياء من امتي قد نفذ فيهم قضاؤك وحكم أمرك وانتقمت منهم فشفعنى فيهم فيقول الله تعالي قد شفعتك فيهم فيأتى النبى صلى الله عليه وسلم مع الانبياء ليخرج كل من كان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فينطلق النبى صلى الله عليه وسلم الى جهنم فاذا نظر مالك الى محمد عليه السلام قام تعظيما له فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لمالك ما حال أمتي الاشقياء فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم فيقول النبى صلى الله عليه وسلم افتح الباب وارفع الطبق فاذا نظر أهل النار الى محمد عليه السلام صاحوا باجمعهم وقالوا يامحمداه قد أحرقت النار جلودنا ولحومنا وقد تركتنا ونسيتنا فى النار فيعتذر لهم بأني لا أعلم حالكم فيخرجون منها جميعا وقد صاروا حمما قد أكلتهم النار فينطلق بهم الى نهر عند باب الجنة يسمى نهر الحياة فيغتسلون فيه فيخرجون منه شبابا جردا مردا مكحلين كأن وجوههم القمر مكتوب على جباههم هؤلاء عتقاء الرحمن من النار فيدخلون الجنة فيعيرون فيها فيدعون الله أن يمحو عنهم ذلك الخط فيمحوه منهم فاذا رأى أهل النار أن المسلمين قد خرجوا من النار قالوا ياليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار وهو قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين * و ٠ ء ى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيقولون نعم فينظرون فيعرفون أنه الموت ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيقولون نعم فينظرون فيعرفون أنه الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا أهل النار خلود ولا موت فيها فذلك قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وفي الخبر اذا جيء بجهنم زفرت زفرة فتجثوا كل امة على ركبهم من الخوف والدهشة وهو قوله تعالي وتري كل امة جاثية كل أمة تدعي الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون فاذا نظروا الى النار وسمعوا زفيرها كما قال الله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا من مسيرة خمسمائة عام فيقول كل واحد نفسى نفسي حتي الخليل والكليم الا الحبيب فيقول امتى امتي فاذا قربت يقول يانار بحق المصلين وبحق المتصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصابرين ارجعى فلا ترجع فيقول جبريل عليه السلام لها بحق التائبين ودموعهم وبكائهم على الذنوب ارجعي فترجع ويجاء بدموع العصاة فترش عليها فتخمد

بهذه السجدة ولا سجود عليكم بعدها فمنذ ذلك يخرون لله سجدا ولا يبقى في الجنة شجر ولا نهر ولا قصور ولا قباب ولا خيام ولا غرف ولا أنهار ولا حور لا ولدان الا خروا لله عز وجل سجدا فيبقون فى سجودهم أربعين عاما لا يعلمون شيئا ثم يقول الله تعالى ياعبادى ارفعوا رؤسكم بالتكبير والتهليل والتقديس والتحميد والثناء على رب العالمين فيخاطبهم الحق جل جلاله بلذيذ الخطاب ويناديهم السلام عليكم يا أصفيائي السلام عليكم يامعشر الاحباب السلام عليكم يا أوليائى كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله سلام قولا من رب رحيم تمنوا على ما شئتم فيقولون آلهنا وسيدنا ومولانا نتمنى رضاك عنا فيقول الله جل جلاله ياعبادى رضائى ادخلتكم جنتي وأسكنتكم جوارى ومتعتكم بالنظر الى وجهى الكريم ورضيت عنكم فهل أنتم راضون عنى قال الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وفى رواية الطبرانى رحمه الله تعالى قال اذا قال الله تعالى تمنوا على يقولون ربنا وماذا نتمنى عليك وقد أدخلتنا جنتك وأحللتنا دار كرامتك فيقول الله عز وجل لهم اليوم أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا ولا يزالون فى أكل وشرب مائة ألف عام ثم يأتون الى ضيافة النبي صلى الله عليه وسلم وهي خمسون ألف عام ثم يأتون ضيافة أبى بكر الصديق

حتى تصير كنار الدنيا تطفأ بالماء والتراب وفى الخبر اذا كان يوم القيامة تحشر الخلائق فى المحشر ويجاء اليهم بجهنم مفتوحة أبوابها فتحيط بأهل المحشر من قدامهم وأيمانهم وشمائلهم فيستغيثون الى النبي صلى الله عليه وسلم والى جبريل عليه السلام فيقول الله يا محمد لا تخف انفض غبار رأسك فينفض فيصير الله غبار رأسه سحاب مطر يقف على رؤس المؤمنين ثم يقول الله يا محمد انفض غبار لحيتك فينفض فيصير الله من غبار لحيته سترا بينهم وبين النار ثم يأمره بان ينفض غبار بنفسه فيصير الله تعالى من غبار نفسه بساطا تحت أقدامهم ويمنع عنهم نار لظى ببركته عليه السلام * جاء في الخبر يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيئاته على حسناته فيؤمر به الى النار فتتكلم شعرة من شعر عينيه وتقول يارب أن رسولك محمدا عليه السلام قال أى عين بكت من خشية الله تعالى حرمها على النار فانى بكيت من خشيتك فأجرنى منها فيغفر الله تعالى له ويستخلصه من النار ببركة بكائه من خشية الله فى الدنيا ثم ينادى المنادى نجا فلان ابن فلان ببركة شعرة واحدة

﴿ الباب الثالث والاربعون فى مقدار الجنان السبع ﴾

قال وهب ان الله خلق الجنة يوم خلقها عرضها كعرض السماء والارض وطولها لا يعلمه أحد الا الله فاذا كان يوم القيامة ذهبت الارضون السبع والسموات السبع وصار موضعها مدمة فى الجنة فتقسم الى حد يسع أهلها * والجنان كلها مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام أنهارها جارية وأثمارها متدلية فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فيها أزواج مطهرة من الحور العين خلقهن الله من نور (كأنهن الياقوت والمرجان * فيهن قاصرات الطرف) عن غير أزواجهن فلا ينظرن الى أحد سواهم (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كلما أصابها زوجها وجدها بكرا وعليها سبعون حلة وكل حلة لها لون حملها أخف عليها من شعرة في بدنها يرى مخ ساقها من وراء لحمها وعظمها وجلدها كما يرى الشراب الاحمر من الزجاج الاخضر والشراب الاحمر من الزجاج الابيض رؤسهن مكللة بالدر مرصعة باليواقيت

﴿ الباب الرابع والاربعون فى ذكر أبواب الجنة ﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما للجنان ثمانية أبواب من ذهب مرصع بالجوهر مكتوب على الباب الاول لا اله الا الله محمد رسول الله وهو باب الانبياء والمرسلين والشهداء والاسخياء والباب الثانى باب المصلين الذين يحسنون الوضوء وأركان الصلاة والباب الثالث باب المزكين بطيب أنفسهم والباب الرابع باب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والباب الخامس باب من يقطع نفسه عن الشهوات ويمنعها من الهوى والباب السادس باب الحجاج والمعتمرين والباب السابع باب المجاهدين والباب الثامن باب المتقين الذين يغضون أبصارهم عن المحارم ويعملون الخيرات من بر الوالدين وصلة الارحام وغير ذلك وهي ثمان جنان أولها دار الجلال وهى من لؤلؤ أبيض وثانيها دار السلام وهى من ياقوت أحمر وثالثها جنة المأوى وهى من زبرجد أخضر ورابعها جنة الخلد وهى من مرجان أحمر وأصفر وخامسها جنة النعيم وهي من فضة بيضاء وسادسها جنة الفردوس وهي من ذهب أحمر وسابعها جنة عدن وهى درة بيضاء وثامنها دار القرار وهى من ذهب أحمر وهى قصبة الجنان وهي مشرفة على الجنان كلها ولها بابان ومصراعان مصراع من ذهب ومصراع من فضة ما بين كل مصراعين كما بين السماء والارض وأما بناؤها فلبنة من ذهب ولبنة من فضة وطينها المسك وترابها العنبر وحشيشها الزعفران وقصورها اللؤلؤ وغرفها اليواقيت وأبوابها الجوهر وفيها أنهار الرحمة وهو يجرى فى جميع الجنان حصباؤه

وهى ستة آلاف سنة وما تم للرجال من الضيافة والكرامة يتم للنساء ولكن بين النساء والرجال حجاب من نور ولا ينظر بعضهم الى بعض ثم يقول الله تعالى ياملائكتى ادخلوا عبادى سوق المعرفة فيدخلونهم فياتى الرجل صاحبه فيقول له أين أنت فيقول في الجنة الفلانية فى المحل الفلاني فيتمارفون ثم ينظرون فى ذلك السوق فيجدون فيه حللا باجنحة فتقول لهم الملائكة من اشتهي منكم أن يطير فليأخذ من هذه الحلل فيلبسها فيطير فيلبسونها ويطيرون الى انتهاء ما أرادوا ثم يقول ياملائكتى قدموا لعبادى النجائب فتقدم لهم الملائكة خيلا من ياقوت أحمر مروجها من ياقوت أخضر مكللة باللؤلؤ وفوق كل فرس غلام خلقهم الله فى تلك الساعة لاوليائه ويقدم للنساء نجائب من من الذهب مروجها من ياقوت أخضر ثم يرخي بينه وبينهم حجاب ويقول ارجعوا الى منازلكم فانى عنكم راض فاذا دخل المؤمن منزله تتلقاه الحور العين وتقول له طال شوقي اليك ياولى الله الحمد لله الذى جمع بينى وبينك فيقول لها من أين تعرفيني وما رأيتيني قبل هذا فتقول له ان الله قد خلقني لك وكتب اسمك على صدرى وخلق الغلمان وكتب اسمك على صدورهم أحسن من الشامة اللؤلؤ

اللؤلؤ أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل وفيها نهر الكوثر وهو نهر نبينا محمد عليه السلام
أشجاره الدر واليواقيت وفيها نهر الكافور وفيها نهر التسنيم وفيها نهر السلسبيل وفيها نهر
الرحيق المختوم ومن وراء ذلك أنهار لا يحصى عددها وفي الخبر عن النبي عليه السلام أنه قال ليلة
أسري بي الى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار من ماء غير آسن ونهر من
لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر ونهر من عسل مصفى كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار
من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى الآية فقلت
ياجبرائيل من أين تجيء هذه الانهار والى أين تذهب قال جبرائيل عليه السلام تذهب الى
حوض الكوثر ولا ادرى من أين تجيء فسل الله تعالى أن يعلمك أو يريك فدعا ربه فجاء ملك فسلم
على النبي عليه السلام وقال يا محمد غمض عينيك فغمضت عيني ثم قال افتح عينيك ففتحت فاذا
أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ياقوت أخضر وقفله من ذهب أحمر
لو أن جميع ما في الدنيا من الانس والجن وقفوا على تلك القبة لكانوا مثل طير جالس على جبل
فرأيت هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت هذه القبة فلما أردت أن ارجع قال لي ملك لم
لا تدخل في القبة قلت كيف أدخل وبابها مقفول قال افتحه قلت كيف أفتحه قال مفتاحه
في يدك قلت وما هو قال بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت منه قلت بسم الله الرحمن الرحيم
فانفتح القفل فدخلت في القبة فرأيت هذه الانهار تجرى من أربعة أركان القبة فلما أردت
الخروج من القبة قال لي ذلك الملك هل نظرت ورأيت قلت نعم قال انظر ثانيا فلما نظرت
رأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم
بسم ونهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم
الرحيم فعلمت أن أصل هذه الانهار الاربعة من البسملة فقال الله يا محمد من ذكرني بهذه
الاسماء من امتك فقال بقلب خالص بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار الاربعة
ثم ان الله تعالى يسقي أهل الجنة يوم السبت من ماء الجنة ويوم الاحد يشربون من عسلها
ويوم الاثنين يشربون من لبنها ويوم الثلاثاء يشربون من خمرها واذا شربوا سكروا واذا
سكروا طاروا ألف عام حتى ينتهوا الى جبل عظيم من مسك أذفر خالص يخرج السلسبيل
من تحته فيشربون منه وذلك يوم الاربعاء ثم يطيرون ألف عام حتى ينتهوا الى قصر منيف
وفيه سرر مرفوعة وأكواب موضوعة كما في الآية فيجلس كل واحد منهم على سرير فينزل
عليه شراب الزنجبيل فيشربون منه وذلك يوم الخميس ثم يمطر عليهم غيم أبيض ألف عام
جواهر يتعلق بكل جوهرة حوراء ثم يطيرون ألف عام حتى ينتهوا الى مقعد صدق وذلك
يوم الجمعة فيقعدون على مائدة الخلد فينزل عليهم رحيق مختوم بختام المسك فيكسرون
ختامه ويشربون قال عليه السلام وهم الذين يعملون الصالحات ويجتنبون المعاصي

﴿ فصل في ذكر أشجار الجنة ﴾

قال كعب رضي الله عنه سألت رسول الله عليه السلام عن أشجار الجنة فقال عليه السلام
لا تيبس أغصانها ولا تتساقط أوراقها ولا يفني رطبها وان أكبر أشجار الجنة شجرة طوبى
أصلها من در ووسطها من ياقوت وأغصانها من زبرجد وأوراقها من سندس وعليها سبعون
ألف غصن أغصانها متصلة بساق العرش وأدنى أغصانها في السماء الدنيا ليس في الجنة غرفة
ولا قبة ولا شجرة الا فيها غصن منها يظل عليها وفيها من الثمار ما تشتهي الانفس نظيره

على الحدو أنت في الدنيا تعبد الله وتصوم وتصلي وقد ورد أن الحور العين اذا اشتقن أن يرون ساداتهن في الدنيا
يخرجن من أبواب القصور
فيقول لهن رضوان ادخلن
منازلكن فيقلن لا ندخل
حتى نرى ساداتنا فيحولهن
رضوان الى أعلى الجنان
فتنظر كل حوراء الى سيدها
وهو لا يعلم فاذا وجدته
يصلي في ظلام الليل تفرح
وتقول له استدم تخدم ازرع
تحصد من جد وجد ومن
خسر ندم يا سيدي رفع الله
تعالى درجتك وتقبل
طاعتك وجمع بيني وبينك
بعد عمر طويل فاذا وجدته
غافلا حزنت ثم يرجعن الى
منازلهن اه ثم يسيرون
الى منازلهم ويدخلون
القصور فتقول المرأة
لزوجها ما أشد حسنك اليوم
وما أكثر نور وجهك فيقول
لها نظرت الى وجه ربي فوقع
نوره على وجهي ويقول لها
الرجل وأنت والله قد عظم
حسنك ونار وجهك فتقول
له كيف لا ينور وجهي وقد
وقع عليه نور ربي ثم تهب
عليهم نسمة ريح من تحت
العرش فتفرق شعورهن
وتنثر المسك والعنبر عليهم
وهم مثل ذلك في كل يوم
جمعة فما شئ أحب اليهم من
يوم الجمعة وهو يوم المزيد
فان الرجل من أهل الجنة اذا
رأى صورة وأعجبته صار
مثلها وزالت عنه الصورة
التي كان فيها بقدرة الله تعالى
وقد ورد أن الرجل من أهل الجنة يدخل عليه الملك ومعه ألوان مثل الحلل مطرزة بالذهب مكتوب عليها أسماء من أسماء الله تعالى ويقول

في الدنيا الشمس أصلها في السماء وضوءها واصل الى كل مكان قال على رضي الله عنه أيقنا من الاخبار أن أصل اشجار الجنة من الفضة وأوراقها بعضها من فضة وبعضها من ذهب ان كان أصل الشجرة من ذهب تكون أغصانها من الفضة وان كان أصلها من الفضة تكون أغصانها من ذهب واشجار الدنيا أصلها في الارض وفرعها الى الهواء لانها دار الفناء وليس كذلك أشجار الجنة فان أصلها في الهواء وأغصانها في الارض كما قال الله تعالى قطوفها دانية أي ثمرتها قريبة كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية وتراب أرضها مسك وعنبر وكافور وأنهارها لبن وعسل وخمر وماء صاف واذا هبت الريح يضرب الورق بعضه بعضا فيخرج منه صوت ماسمع أحسن منه وباسناد عن علي رضي الله عنه أنه قال عليه السلام أن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل ذات أجنحة مسرجة ملجمة مرصعة بالدر والياقوت لاتروث ولا تبول فيركب عليها أولياء الله تعالى فتطير بهم في الجنة فيقول الذين هم أسفل منها يارب بماذا بلغ عبادك هؤلاء هذه الكرامة فيقول لهم هؤلاء الذين كانوا يصلون وأنتم نائمون وكانوا يصومون وأنتم تفطرون وكانوا يجاهدون وأنتم تقعدون عند نسائكم وكانوا ينفقون أموالهم في سبيلي وأنتم تبخلون وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها كما قال الله تعالى وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة ونظيره في الدنيا الوقت الذي قبل طلوع الشمس وبعد غروبها الى أن يغيب الشفق ويحيط سواد الليل بالدنيا فانه ظل ممدود كما قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعني قبل طلوع الشمس وبعد غروبها الى أن يدخل سواد الليل روى عن النبي عليه السلام أنه قال ألا أنبئكم بساعة هي أشبه ساعات الجنة وهي الساعات التي قبل طلوع الشمس ظلها ممدود ورحمتها عامة وبركتها كثيرة

﴿ الباب الخامس والاربعون في ذكر الحور ﴾

في الخبر عن النبي عليه السلام أنه قال خلق الله تعالى وجوه الحور من أربعة ألوان أبيض وأخضر وأصفر وأحمر وخلق بدنها من الزعفران والمسك والعنبر والكافور وشعرها من القز ومن أصابع رجلها الى ركبتها من الزعفران والطيب ومن ركبتها الى ثديها من المسك ومن ثديها الى عنقها من العنبر ومن عنقها الى رأسها من الكافور ولو بزقت بزقة في الدنيا لصارت مسكا مكتوب في صدرها اسم زوجها واسم من اسماء الله تعالى وفي كل يد من يديها عشرة أسورة من ذهب وفي أصابعها عشرة خواتم وفي رجليها عشرة خلاخل من الجوهر واللؤلؤ وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عليه السلام ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء خلقت من أربعة أشياء من المسك والكافور والعنبر والزعفران عجنت طينتها بماء الحياة وجميع الحور أشقات لازواجهن ولو بزقت في البحر بزقة لعذب ماء البحر من ريقها مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربه وفي الخبر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال عليه السلام ان الله تعالى لما خلق جنة عدن دعا جبريل فقال له انطلق اليها وانظر الي ماخلقت لعبادي وأوليائي فذهب جبريل وطاف في تلك الجنان فاشرفت عليه جارية من الحور العين من بعض تلك القصور فتبسمت الى جبريل فاضاءت جنة عدن من ضوء ثناياها وجبريل ساجد فظن أنه من نور رب العزة

فنادته

الحلل فان أعجبتك فهي لك وان لم تعجبك انقلبت الى الشكل الذى تريده وسمي الولي له انظر ياولي الله الي هذه وليالانه والى الله بالطاعة وأولاه بالمغفرة وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أفي الجنة ليل أو نهار فأجاب النبي عليه الصلاة والسلام ليس في الجنة ظلمة أبدا مافيها الا نور وانهم في نور العرش أبدا ليلا ونهارا وأن العرش سقف الجنة كما أن السماء سقف الدنيا والعرش نوره يتلألا وهو مخلوق من نور أخضر ومن نور أحمر ومن نور أصفر ومن نور أبيض فمن نور العرش صفت الالوان في الدنيا والآخرة والشمس وضع فيها الحق جل جلاله قدر الخردلة من من نور العرش فأشرقت لها الدنيا وعلامة الليل أن أبواب القصور تغلق وترخى الستور وتسبح الاطيار للواحد القهار وتسلم عليهم الملائكة وتأتيهم بالهدايا والتحف من الحق سبحانه وتعالي وتزورهم اخوانهم في الله تعالى وأولادهم وأقاربهم الذين دخلوا معهم الجنة وقد وردأن المؤمن اذا خطر له أن يرى صاحبه يمشي به السرير أسرع من الفرس الجيد فيتلقى مع صاحبه في ميدان الجنة فيتحدثان ويتفرجان في تلك البساتين ثم يرجع كل واحد الى قصره وفي كل قصر غرفة مشرفة لكل غرفة سبعون بابا منها مصراع من الذهب على كل باب من تلك الابواب شجرة ساقها من المرجان لكل شجرة

فنادته الجارية يا أمين الله ارفع رأسك فرفع رأسه فنظر اليها فقال سبحان الذي خلقك قالت الجارية يا أمين الله أتدرى لمن خلقت قال لا قال لا قالت ان الله خلقني لمن آثر رضا الله تعالى على هوى نفسه وعلى هذا جاء في الخبر أن النبي عليه السلام قال رأيت في الجنة ملائكة يبنون قصورا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فبناؤهم كذلك فلما كفوا عن البناء قالوا قد تمت نفقتنا قلت مانفقتكم قالوا ذكر الله لان صاحب القصور يذكر الله تعالى فلما كف عن ذكر الله كففنا عن بنائه وفي الخبر مامن عبد يصوم رمضان الا زوجه الله من الحور العين فى خيمة من درة بيضاء مجوفة كما قال الله تعالى حور مقصورات فى الخيام أى مخدرات مستورات فيهن وعلى كل امرأة منهن سبعون حلة ولكل رجل سبعون سريرا من ياقوتة حمراء وعلى كل سرير سبعون فراشا ولكل فراش امرأة ولكل امرأة ألف وصيفة مع كل وصيفة صحفة من ذهب تطعمها وزوجها مثل ذلك وهذا كله لمن يصوم شهر رمضان سوى ماعمل فيه من الحسنات

﴿ الباب السادس والاربعون فى ذكر أهل الجنة ونعيمها ﴾

فى الخبر ان من وراء الصراط صحراء فيها أشجار طيبة تحت كل شجرة عينا ماء انفجرتا من الجنة أحداهما عن اليمين والاخرى عن الشمال والمؤمنون حين يجوزون الصراط وقد قاموا من القبور قاموا الى الحساب ووقفوا في الشمس وقرؤا الكتب وجاوزوا النيران وجاؤا الى تلك الصحراء شربوا من أحدى العيون فاذا بلغ ماء العين الى صدورهم خرج كل ما كان فيهم من غل وغش وحسد وزال عنهافاذا استقر الماء فى بطونهم خرج كل ما كان فيها من فساد وداء وبول فيطهر ظاهرهم وباطنهم ثم يجيئون الي العين الاخرى فيغتسلون فيهافتصير وجوههم كالقمر ليلة البدروتطيب نفوسهم وقلوبهم وتطيب أجسامهم كالمسك فينتهون الي باب الجنة فاذا حلقته من ياقوتة حمراء فيضربونها فتستقبلهم الحور بصحائف في أيديهن فتخرج كل حورية الي صاحبها فتعانقه وتقول له أنت حبيبي وأنا راضية عنك وأحبك ابدا وتدخل معه بيته وفي البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا وعلى كل فراش حورية عليها سبعون حلة يري مخ ساقها من لطائف الحلل ولو ان شعرة من شعر نساء الجنة سقطت الى الارض لاضاءت لاهل الارض قال النبي عليه السلام حلل الجنة تتلألأ لاشمس ولا ليل فيها ولا نوم لان النوم أخو الموت وسور الجنة سبع حوائط محيطة بالجنان كلها الاول من فضة والثانى من ذهب والثالث من زبرجد والرابع من لؤلؤ والخامس من در والسادس ياقوت والسابع من نور يتلألأ وما بين كل حائطين مسيرة خمسمائة عام وأما أهل الجنة فهم جرد مرد مكحلون وللرجال شوارب خضراء فاج باج ولا يكون ذلك للنساء لتميزهن عن الرجال وفى الخبر ان أهل الجنة يكون على كل واحد منهم سبعون حلة كل حلة تتلون في كل ساعة سبعين لونا ويرى وجهه في وجه زوجته وترى هي وجهها في وجه زوجها وصدرها وساقها في صدره وساقه لا يبزقون ولا يتمخطون وليس بهم شعر الا الحاجبان وشعر الرأس والعين وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه والذى أنزل الكتاب على نبيه ان أهل الجنة يزدادون كل يوم جمالا وحسنا كما يزدادون فى الدنيا شبابا وهرما يعطى الرجل قوة مائة فى الاكل والشرب والجماع فيجامعها كما يجامع أهله فى الدنيا حقبا والحقب ثمانون سنة لا منى ولا منية وكل يوم يجد مائة

سبعون ألف غصن وفى كل غصن سبعون ألف لؤلؤة فاذا قطعوا اللؤلؤة ينبت مكانها اثنان وشجرة أخرى تحمل زمردا وشجرة أخرى تحمل ياقوتا وفوق تلك الاشجار طيور خضر كل طير قدر الناقة تسبح الله تعالى على الاغصان فاذا أكل الرجل من ثمار الجنة وشرب من أنهارها تنزل له تلك الطيور وتقول ياولى الله أكلت من ثمار الجنة وشربت من أنهارها فكل مني ثم انه يطير طير من تلك القصور الى أن يقع بين يديه بقدرة الله تعالى بعضه مشوى وبعضه مقلى وبعضه مطبوخ وبعضه حامض أى أى مز فيأكل ومن معه من نسائه ومن الحور العين حتى لا يبقوا الا عظامه فيعود كما كان ويقعد يسبح الله تعالى على الغصن بقدرة من يقول للشيء كن فيكون وقصور الجنة وغرفها قطعة واحدة صناعة الملك العلام ليس فيها قطع ولا وصل فيدخل الولى تلك القصور ويتفرج فيها مقدار سبعين عاما ويوجد فيها بساتين وفي تلك البساتين خيل لكل فرس منها لون مشرق وجناحان من الذهب ولها يدان ورجلان فتقول الفرس للرجل من أهل الجنة اركبني ياولى الله فيركب المؤمن من تلك الخيول فكلما ركب واحدة من تلك الخيول افتخرت به على أصحابها ويركب معه من أراد من نسائه وخدمه فتسير بهم مسيرة سبعين عاما فى ساعة واحدة فبينما هو سائر في تلك القصور اذ أشرفت عليه حورية من

قصورها فيرفع بصره اليها فتعجبه ويقع لها في قلبه حب عظيم فيقبل على نفسه باللوم ويقول أنا لا أعشق فتقول الحورية ياولي الله نحن من الذين قال الله فيهم ولدينا مزيدا ولا يزال سائرا في وسط الجنة فيجد قصرا من نور وفيه شجرة من جوهر حملها خيل وورقها حلل تحت كل ثمرة مثل شقة الراوية أحلى من العسل فاذا أكل الثمرة وبقي الحب تخرج من وسط كل حبة جارية وغلام ثم ينظر بين تلك القصور فيري أنهارا من ماء غير آسن وأنهارا من لبن لم يتغير طعمه وأنهارا من خمر لذة للشاربين وأنهارا من عسل مصفى وعلى تلك الانهار قباب من الياقوت وقباب من الزمرد وقباب من المرجان فيها خدم بين حور وولدان فيقولون ياولي الله طال شوقنا اليك فيمكث

في نعيم ولقد مع كل زوجة من أزواجه يتمتع بجمالها وتتمتع هي بجماله مكتوب اسمها على صدره ومكتوب اسمه على صدرها ويرى وجهه في نور وجهها وترى هي وجهها في نور وجهه فبيناهم كذلك واذا ملائكة من عند الله تعالى يدخلون عليهم بهدية ويقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار فيأكل هو وزوجته الادمية لان نصف الهدية لها بما جاهدت في طاعة الله تعالى قال بعضهم ان في الجنة نهرا يسمى المرفك يبيت على شاطئ ذلك النهر الحور العين ثم ياخذن ايديهن بايدى بعض ويغنين جميعا فتهتز شجرة طوبى لتلك الاصوات يقلن نحن الخالدات فلا يفنى أبدا نحن الناعمات فلا نيبس أبدا نحن الراضيات فلا نسخط أبدا نحن المقيمات فلا تظعن أبدا نحن الكاسيات فلا نعرى أبدا نحن الضاحكات فلا نبكى أبدا نحن الصحيحات فلا نسقم أبدا طوبي لمن كان لنا وكنا له وقد سئل حماد بن سليمان من أي شيء خلقت الحور العين قال من النور وقال غيره من الزعفران بياضهن كبياض اللؤلؤ وصفاء لونهن كصفاء الياقوت فذلك قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان ويروي عن الطبراني أنه قال للعبد الصالح مسيرة ألف عام فاذا اراد الرب جل جلاله أن يراسله كتب اليه كتابا مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من الحي الذي لا يموت الى العبد الذي صار حيا لا يموت من العزيز الذي صار عزيزا لا يذل من الغني الذي لا يفتقر الى العبد الذى صار غنيا لا يفتقر ياعبدي زرني فاني مشتاق اليك فيركب ذلك العبد على نجيب من نجيب الجنة ويسير الى زيارة ربه عز وجل فاذا أراد ينصرف الى منزله مر على طريق غير الطريق الذى جاء منه فيمر على قناطر من جوهر أحمر وذلك مما لا يعلمه الا الله لو أن الله تعالى يهديه الى منزله لتاه من عظيم ما حصل له من النور وقال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم الآية

طعام قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاذا أكل ولى الله من الفاكهة ما شاء واشتاق الى طعام امر الله تعالى ان قدموا له الطعام فياتونه بسبعين طبقا وسبعين مائدة من در وياقوت على كل مائدة ألف صحفة من ذهب كما قال الله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وفي كل صحفة ألوان من الطعام لم تمسه النار ولم يطبخه الطباخ ولم يعمل في قدور النحاس وغيره ولكن الله قال لها كوني فتكون بلا تعب ولا نصب فيأكل ولي الله من تلك الصحائف ما شاء فاذا شبع نزل عليه طيور من طيور الجنة كالبخاتي فى العظم فتقوم أجنحتها على رأس ولي الله وتقول كل لحما طريا ياولي الله أنا كذا وكذا وشربت من ماء السلسبيل ومن ماء الكافور ورعيت من رياض الجنة فيشتاق ولي الله الي لحم تلك الطيور فيأمر الله تعالي ان تقع على أى لون شاء فتكون شواء فيأكل ولي الله تعالى من لحومها ثم يرفع طيورا باذن الله تعالى كما كانت فالجنة لا ينفد طعامها وان أكل منه لا ينقص منه شيء نظيره فى الدنيا القرآن يتعلمه الناس ويعلمونه وهو على حاله لا ينقص منه شيء قال عليه السلام ان أهل الجنة ياكلون ويشربون ثم يخرج من أجسادهم ريح كريح المسك وهكذا الي أبد الآباد

﴿يقول الراجي عفو ربه الودود * الشيخ محمد أدريس مسعود﴾

الحمد لله على نعمه والشكر له على مواهب كرمه والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلقه وعلى آله وصحبه ما أضاء نور في أفقه (أما بعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب دقائق الاخبار فى ذكر الجنة والنار محلى الهوامش بالدرر الحسان فى البعث ونعيم الجنان وهو كتاب يرقق القلوب القاسية ويحملها على الاعمال الراقية وذلك طبع بالمطبعة التجارية الكبرى سنة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م

تم بحمد الله

كتاب

قصص الانبياء

(المسمى) بالعرائس

تأليف

الامام العالم العلامة

أبى اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

وبهامشه مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين للعلامة اليافعي

نفع الله تعالى به ومتعه في الفردوس مع اهل قربه

❊ طبع على نفقة ❊

احمد محمد عيد

« بميدان الازهر الشريف بمصر »

مطبعة العلوم الأدبية

لصاحبها احمد محمد عيد

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله (قال) الاستاذ أبو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة بالقرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى اخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم اخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لخمسة امور أي حكم (الحكمة الاولى) منها انه اظهار لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم الى ان كان من امره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فاخذ يحدث الناس باخبار ما مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وانكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض (والحكمة الثانية) انما قص عليه القصص ليكون له اسوة وقدوة بمكارم اخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما اخبر الله تعالى عنهم واثنى عليهم ولتنتهي امته عن امور عوقبت أمم الانبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتمم الله بذلك معالي الاخلاق فلما امتثل امر الله تعالى واستعمل ادب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك انه لما نظر الى اخبار الامم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم في الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التي كانت على الامم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال تعالى يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم ان الله خصه هو وامته بكرامات لم يخص بها احدا من الانبياء والامم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه واداء شكره حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لامته وذلك انه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله العظيم المنان * الرحيم الرحمن * الذي خلق الانسان * وزينه بنطق اللسان * وفضل من شاء من عباده وهداه الى طريق الايمان وشرف هذه الامة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن وجعل منهم الاولياء والاصفياء والشهداء والصالحين اهل العرفان واولى الفضل والايمان شرح لهم صدورهم وغفر لهم ذنوبهم وهداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز المنان وانعم عليهم بانعامه وجاد عليهم باكرامه وسقاهم من كؤس محبته فانتعشت من شراب قربه القلوب والابدان * ووعدهم بالنظر الى وجهه الكريم فتوجهم بتاج الوقار والبسهم من حلل رضائه الوان فسبحان من فضله عميم وجوده عظيم ولطفه قديم وهو الباقي وكل من عليها فان (أحمده) على طول الازمان واتوب اليه واستغفره استغفارا يوجب الغفران واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الرحيم الرحمن * واشهد ان

ثم ذكر في غيره وضع تحذيره اياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الايات وكان الشبلي رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في ابقاء ذكره مثبتاله تعجيل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام في ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والناس احاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما انفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر * وأنشدنا ناصر بن محمد المروزي قال أنشدني الدريدي

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعي

(مجلس في صفة خلق الارض) قال الله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرها كثيرة في القرآن (واعلم) أن الكلام في نعت خلق الارض على سبعة أبواب

(الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها)

روت الرواة بالفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد ان يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فاول ماظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعني أصلها وهي قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه في المشرق والاخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض وهي كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات أو في الارض يأت بها الله الآية * روي ان لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه * فان رزقك بين الكاف والنون

سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير الخلائق من أنس وجان * اللهم فصل وسلم على هذا النبي الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان * (أما بعد) فهذه فوائد جليلة عظيمة نقلت عن كتاب روض الرياحين في مناقب بعض الصالحين أعاد الله علينا من بركاتهم في الدارين فبذكرهم تنزل الرحمات * وتحل البركات * وقد أوردت فيها من أخبار السادات ومناقب القادات ومحاسن أهل السعادات * بروايات صحيحات * ليزول عن مطالعها الهموم والفكر ويطرب سامعها لمحاسن تلك السير فسماعها ينعش الابدان ومطالعتها تزيل الاحزان * وهذا أوان الشروع في ذلك ونسأل الله تعالى ان ينفعنا باوليائه وان يحشرنا في زمرة أهل ولائه (فمنها ما حكى عن سيدي ذي النون المصري رضى الله عنه) قال ركبت البحر مرة وركب معي شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر فقد صاحب المركب كيسا فيه مال

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما * استغني الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدرى ما على ظهرك يالوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتها أو ألقيتهم عن ظهرك اجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت فى منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشىء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذى أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فارساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالي وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم يعني لكيلا تتحرك بكم * قال على بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يارب تحمل على بنى آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فاقرها وخلق الله تعالى جبلاء عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فاحاط بها كلها وهو الذى أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من انت قال انا قاف قال فاخبرني ما هذه الجبال التي حولك فقال هى عروقى فاذا اراد الله ان يزلزل ارضا أمرنى فحركت عرقا من عروقي فتزلزل الارض المتصلة به فقال ياقاف أخبرنى بشىء من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضى دونه الاوهام قال فاخبرنى بادنى ما يوصف منها قال ان ورائى ارضا لمسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها لولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدنى فقال جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالي لهم فى الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعني لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شىء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شىء اشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شىء أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

(الباب الثانى في حدود الارض ومسافتها واطباقها وسكانها)

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل ارض الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام وهي سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بنى آدم وافواههم مثل افواه الكلاب وايديهم كايدى الانس وارجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز واشعارهم كاصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التى أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فيها لاودية من كبريت لو ارسلت فيها الجبال الرواسي لانماعت قال وهب بن منبه هي مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهى التى قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة

اخبرنا

ففتش كل من كان فى المركب فلما وصل الى الشاب ليفتشه وثب من المركب حتى جلس في البحر فقام له الموج على مثل السرير ونحن ننظر اليه من المركب ثم قال يا مولاى ان هؤلاء اتهمونى وانى اقسم عليك ياحبيب قلبي ان تأمر كل دابة من هذا البحران تخرج رأسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة قال ذو النون فما أتم الشاب كلامه حتى رأينا دواب البحر قد اخرجت رؤسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة تتلألأ وتلمع كالبرق ثم وثب الشاب ثانيا من البحر فى الموج وصار يمشي ولم تبتل قدماه وهو يقول اياك نعبد واياك نستعين حتى غاب عن بصرى قال ذو النون فحملنى ذلك على السياحة وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال في أمتي ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد بدل الله مكانه واحدا (وحكى عن سيدي ابراهيم الخواص رضي الله تعالي عنه) أنه قال طالبتني نفسى فى وقت من الاوقات بالخروج

* أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزنى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقرى قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا احمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص القشيرى قال حدثنا على بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما انا اردت الحج اذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابى ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول في بكائه الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولكنى عصيتك اذ عصيتك بجهلى وخالفتك اذ خالفتك اشقوتى فلآن من عذابك من ينقذنى و بحبل من أتصل اذا انقطع حبلك عني واذنوباه واغوثاه يا ألله قال منصور فابكانى والله فوضعت فمى على شق الباب وقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت حجرا على الباب لاعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا باكفان أصلحت وعجوز تدخل لدار باكية وتخرج باكية فقلت لها ياهذه ماهذا الميت لك فقالت اليك عني يا عبد الله لا تجدد على أحزانى فقلت انى اريد هذا لوجه الله الكريم املك تستودعينى دعوة فانى منصور بن عمار واعظ اهل العراق قالت يا منصور هذا ولدي قلت فما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب ما يكتسب فيجعله أثلاثا ثلثا لى وثلثا للمساكين وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار و يقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذ فى بكائه وتضرعه فمر رجل في هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبى يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى (وقال) منصور بن عمار ودخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلى صلاة الخائفين فقلت لنفسى ان لهذا الفتي لشأنا عظيما لعله من اولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد على فقلت له ألم تعلم ان في جهنم واديا يسمي لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدنى فقلت يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بقلم القدرة فهو فى عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته في المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله بك فقال آتانى ثواب اهل بدر وزادنى فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وانا قتلت بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب اهل النار كامثال البغال لها اذناب كامثال الرماح لكل ذنب منها ثلثمائة وستون فقارا في كل فقار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم فى وسط الارض لمات جميع اهل الدنيا من نتنه وفسد منه كل شىء وفيها أيضا حيات أهل النار كامثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر الف ناب كل ناب منها كالنخلة الطويلة فى أصل كل ناب ثمانية عشر الف قلة من السم لو امر الله حية منها ان تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل في الارض لهدته حتى يعود رميما وانها لتلقى الكافر فتسمه فتقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواوين أهل النار واعمالهم وارواحهم الخبيثة واسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس وجنوده وفيها عشه فى احد جانبيه سموم وفى الآخر زمهرير وقد احتوشته من المردة وعتاة الجن ومنها يبث سراياه وجنوده فاعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبنى آدم وروي سلمة بن كهل عن ابى الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم فى السماء السابعة فاذا كان غد جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم فى الارض السفلى فاذا كان غد جعلها الله حيث يشاء * واما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف الله به الارض و بداره و بامواله ففى الخبر انه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ

الى بلاد الروم فخوفت نفسي ان تكفيني ذلك فصرت على نفى الخاطر فلم تلتفت الى ذلك فخرجت اخترق ديارهم واجول اقطارهم والعناية تكفيني والرعاية تحفني لا ألقى نصرانيا الا غض بصره عني وتباعد مني الى ان اتيت مدينة من المدائن فرأيت على بابها رجالا لابسين السلاح وبايديهم آلات الكفاح فلما رأونى اتوا الى وقالوا الطبيب انت قلت نعم فقالوا أجب الملك فحملت اليه فلما رآنى قال انت الطبيب قلت نعم فقال الملك احملوه اليها وعرفوه بالشرط قبل الدخول عليها قال ابراهيم فاخبرونى وقالوا ان للملك ابنة قد اصابها اعتلال شديد وقد أعيا الاطبا علاجها وما من طبيب دخل عليها وعالجها ولم تبرأ الا قتله الملك فانظر الى نفسك قبل الدخول اليها قال ابراهيم فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قلت ان الملك ساقنى اليها فادخلونى عليها فاخذونى ومضوا بى اليها فلما وصلت الى باب القصر اذا هى تنادي من داخل الباب ادنوا بالطبيب فلى وله سر عجيب فبينما أنا

قبرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في برديه و ينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

(الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال ابواسحق قال شبك بيدي أبو بكر محمد بن احمد القطان قال شبك بيدي أحمد بن الحسين بن شاذان قال شبك بيدي ابراهيم بن يحيي قال شبك بيدي صفوان بن سليم قال شبك بيدي أيوب بن خالد الانصاري قال شبك بيدي عبدالله بن ابي رافع قال شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

(الباب الرابع في ذكر اسمائها والقابها)

(قال) وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى اديما والثانية بسيطا والثالثة ثيلا والرابعة بطيحا والخامسة مثقلة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى (وأما اسماؤها المذكورة في القرآن) فهي سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال امن جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال الم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال الم نجعل الارض كفاتا قال خالد بن سعيد كنت امشي مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات (ويحكي) ان عبدالله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من اولاد المجوس شاب متطبب يدعي تحقيق الكلام واظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف منتن في حالة الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب الى زيادة نتنه وان الواجب احراقه واذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبدالله بن طاهر ان اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبدالله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه اخبرنا عن صبي تدعيه امه وحضنته ايهما اولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها ان يردوا اليها فافحم المجوسي وأنشد في معناه لامية بن أبي الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

(وسئل) يحيي بن معاذ الرازي ان ابن آدم يدري ان الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عشه ومنها رزق فهي عيشه واليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة

(الفصل الخامس في ذكر ما زين الله به الارض)

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة باربعة اشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها باربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد المشاعر وزينها ايضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء باربعة ابراهيم الخليل وموسي الكليم وعيسي الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب واصحاب الشرائع وأولوا العزم وزينها ايضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم ايضا باربعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم (وروي) يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلاة

كذلك اذا شيخ كبير قد فتح الباب مسرعا وقال ادخل فدخلت فاذا ببيت مبسوط مفروش بانواع الفرش و بستر موضوع ومن خلفه انين ضعيف يخرج من جسد نحيف قال ابراهيم فقعدت من داخل الباب متفكرا واردت ان اسلم فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فامسكت عن السلام فنادت من داخل الستر اين سلام التوحيد والاخلاص يا أبا اسحق ياخواص قال فتعجبت من اجابتها بخبيئات الضمائر ثم قالت يا ابراهيم سألت رب العزة البارحة ان يرسل الي وليا من اوليائه يكون على يده الخلاص فنوديت سيحضر عندك ابراهيم الخواص قال ابراهيم فقلت لها متى خطر عليك هذا الامر فقالت منذ اربع سنين وقد لاح لي الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس فلما رأوا حالي رمقوني بالعيون ورموني بالجنون فما دخل علي طبيب الا أوحشني ولا زائر الا ادهشني قال ابراهيم فقلت وماهـا

صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال يا معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يارسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال انا الشمس وعلى القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان فى كتاب الله تعالى لا يفترقان حتي يردا على الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بار بعة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضى الله عنهم أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم باربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بانواع الحيوانات والنبات والجمادات

* (الباب السادس فى عاقبتها ومآلها وآخر حالها) *

اعلم ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحوارى لم يعص الله عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوية كالصلاب المهند * والثانى الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يارسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتى الربا كانت الزلزلة واذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا وفى الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضى الله عنه فأخذ بعضادتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم رجفتم وان الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم احدثتم أشياء حتى اعجلتم فهل انتم منتهون أو يفر عمر من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالي وترى الارض بارزة يعني لفصل القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شىء عليها فرقا من ربها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد حتى تتخلى وتلقي ما فى بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان الربيع بن خثيم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بجلد ذراعيه ويقول يا حماه ويا دماه اين انا يومئذ

* (الباب السابع في وجوه الارض المذكورة فى القرآن) *

وهي سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعني ارض مكة والوجه الثانى ارض المدينة قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى ارض المدينة وقال تعالى ان ارضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعني بلاد الشام وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع ارض مصر قال تعالي وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقوله فلن ابرح الارض اي ارض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقال ويستخلفكم فى الارض أي أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان ياجوج ومأجوج مفسدون في الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى الامم فى التصاور أمثالكم في التسخير وقال تعالى ولو ان ما فى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل

الذي أوصلك اليه قالت براهينه الواضحة واياته اللائحة فاذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال ابراهيم فبينما انا أكلمها اذا الشيخ الموكل بها قد دخل عليها وقال لها ما فعل طبيبك هذا قالت عرف العلة وأصاب الدواء وظهر على يديه السرور وقابلني بالبرور قال ابراهيم فسار الشيخ للملك واخبره بمقالتها فصرت اتردد عليها مدة سبعة ايام فقالت يا أبا اسحق أريد الهجرة معك الى بلاد الاسلام فقلت وكيف يكون ذلك ومن يتجاسر على الخروج من تلك العساكر والجنود فقالت يا ابراهيم لا تخف ان الذى ادخلك على وساقك الى هو الذى يخرجني معك ولم يشعر بنا أحد فقلت نعم انه على كل شىء قدير فلما كان الغد خرجنا من باب من الابواب فحجبت عنا العيون بارادة من يقول للشيء كن فيكون فو الذي وفقها وهداها ما رأيت أصبر منها على الصيام والقيام وحرمت على عينها لذيذ المنام وجاورت بيت الله الحرام مدة سبعة أعوام ثم قضت

لكم الارض فراشا والسابع ارض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

(مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به)

وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب لقول وهب بن منبه كادت الاشياء ان تكون سبعا فالسموات سبع والارضون والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب سبعة وهي السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعي بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجمار سبعة وابواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث في السجن بضع سنين ورؤيا ملك مصر سبع سنين وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله احسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة اشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة اعضاء

(الباب الاول في بدء خلق السموات)

يروى في الاخبار المشهورة المأثورة ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظرة هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد ثم فتقها بعد ان كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

(الباب الثاني في جواهرها واجناسها)

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث في هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون قال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر في الخالق فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة تفكروا في ان الله خالق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل ارض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع في أسمائها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دنياح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طقطاف والسادسة سمساق والسابعة اسحافائل واما أسماؤها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا

مجيبا ولحقت بربها وصار بباب المعلى قبرها رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها في الدنيا والآخرة آمين (وحكي عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت من بلدي على عادتي الى سياحتي طالبا مكة من غير ركب ولا قافلة فتهت عن الطريق فبينما انا متحير اذ انا براهب نصراني قد اقبل علي واعترضني في الطريق ثم قال لي يا راهب المسلمين هل الى مرافقتك سبيل فقلت له لا أمنعك عن مرادك فمشينا ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام فقال الراهب لابراهيم يا راهب المسلمين ما نحتاج في أمرنا تخبيرا وقد مضنا الجوع فهات ما عندك قال ابراهيم فتوجهت الى الله عزوجل وقلت الهي وسيدي ومولاي لا تفضحني بين يدي عدوي وعدوك قال فما اتممت دعائي حتى نزلت المائدة عليها خبز ولحم وتمر وماء فأكلنا وشربنا ومضينا ثلاثة ايام أخر لم نأكل فيها شيأ فلما اصبحنا ابتدرت الراهب وقلت له يا راهب النصارى هات ما عندك قال فتوجه الراهب الى الله عزوجل واذا بمائدتين

والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان (وروى) ان الملائكة قالت يارب لوان السماء والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابى فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قالت يارب فأين ذلك المرج قال فى علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط الهوى (وعن) وردعن الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها واسمائها وألقابها وهو ما اخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها و بين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى واسمها برقيعا وبينها و بين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام و بينها و بين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار وهو يقول يامن ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كلون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذوو اجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذي لا يموت أبدا صفوف قيام كانهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة و بينها و بين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التى تليها الى الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة لا يحصى عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم فى امر من اموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذى الى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها الزحقوق ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا ابصارهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها جند الله الاعظم الا كبر الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى اموره الى أهل الدنيا رافعون اصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهى من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبعمائة الف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى سبع سموات وسبع أرضين و يخلق الله سبحانه وتعالى فى كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهى من درة بيضاء ومن السماء السابعة

عليهما كما كان على الاولى من الخبز واللحم والتمر والماء قال ابراهيم فلما رأيت ذلك قالت الراهب وعزته وجلاله لا آكل من ذلك مالم تخبرنى فقال الراهب يا ابرهيم لصحبتك حل نظرك على فعرفت ان الذى عليه نفسي محال وقد ضيعت زمنى في اتباع الضلال فتوسلت الى الله واعتمدت عليه بكرامتك لديه ان لا يفضحني منك وكان ما رايت وقال اقول كما تقول واشهد ان لا إله الا الله واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله قال ابراهيم ففرحت بذلك فرحا شديدا وسرنا حتى دخلنا مكة شرفها الله تعالى فلما قضينا ما كان علينا من فرائض الحج اقمنا بها اياما قلائل فلما كان بعض الايام فقدته فمضيت الى الحرم فوجدته قائما يصلى فلما احس بى اسرع في صلاته فلما سلم من الصلاة التفت الى وقال يا ابراهيم قد آن لقاء الله تعالى فاحفظ حق مرافقتى لك وصحبتى معك ثم شهق شهقة فمات رحمة الله عليه قال ابراهيم فتأسفت عليه اسفا شديدا ثم جهزته ودفنته فلما كان الليل رأيته فى المنام وهو فى أحسن صورة وعليه ثياب

الى مكان يقال له مرهونا مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وانوار شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافعون اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يطرفون لوان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع ارضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع سموات وسبع ارضين والعرش فوق ذلك فى عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

(الباب الخامس في ذكر الايام التى خلق الله الاشياء فيها)

روت الرواة ان الله تعالى ابتدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق في يوم الخميس ثلاثة اشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعه فخلق فى الساعة الاولى الاوقات والآجال وفى الثانية الارزاق وفى الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عزوجل فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى فى كل سماء أمرها الآية

(الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات)

وهى عشرة اشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وهاجا * والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والكواكب قال الله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهى على ضربين منها معلق كتعليق القناديل فى المساجد ومنها مركب كتركيب الفص في الخاتم وهى مع كثرتها مختلفة الصور ما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب (وفى بعض الاخبار) ما يكون من حيوان فى الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفى خلق الكواكب مثلها * والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش (روى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثل جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثمانين الف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة وان لله ملكا يسمي حزقيائيل له ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش فزاده الله تعالى فى الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه ايها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له فى الاجنحة والقوة وأمره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فاوحى الله تعالى اليه ايها الملك لو طرت الى ان ينفخ في الصور مع اجنحتك وقوتك ما بلغت ساق عرشى فقال الملك سبحان ربى الاعلى فانزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم (وقال) كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ اعظم منى فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون الف جناح فى كل جناح سبعون الف ريشة فى كل ريشة سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان يخرج من افواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصي والثرى وعدد ايام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الي نصف الحية وهى ملتوية به * والكرسى قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض (وروي) على بن ابى طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكرسي لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسى أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان (وروى) اسمعيل بن مسلم عن

من السندس والاستبرق فقلت له ألست صاحبي بالامس قال نعم ففرحت بذلك فرحا شديدا ثم قلت له ما فعل الله بك قال يا ابرهيم أتيته بذنوب كثيرة فمحاها عنى لحسن ظنى به وجعلنى كما صحبتك في الدنيا جارك فى الآخرة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به (وروى) ان غلاما كان لجعفر الصادق رضى الله عنه صب الماء على يدي سيده يوما من الايام فسقط الاناء من يده فى الطشت فطار الماء على ثوبه فنظر اليه نظرة منكرة فقال الغلام يا مولاى والكاظمين الغيظ قال جعفر كظمت غيظى فقال الغلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال الغلام والله يحب المحسنين قال جعفر اذهب فانت حر لوجه الله تعالى ولك الف دينار من مالى وهذا من بعض كراماتهم وحسن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم * (وحكى عن بعضهم رضى الله عنه ونفعنا به) * قال رأيت بعض المذنبين فى النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال وزنت حسناتي وسيآتى فرجحت سيآتى على حسناتي فصرت متحيرا فبينما انا كذلك اذ وقعت

أبي المتوكل الناجي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما
ففتح الباب فاذا التمر قد اخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد اخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما
آخر فاذا هو قد اخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك ابو هريرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه
الصلاة والسلام أيسرك ان تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب
ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له ياعدو الله انت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا اعود ما كنت
اخذت منه الا لاهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك ان
تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك ايضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو
قائم بين يديه فقال له ياعدو الله أليس قد عاهدتني ان لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لا اعود فتركه ثم عاد فأخذه
الثالثة فقال أليس قد عاهدتني ان لا تعود لا ادعك اليوم حتى أذهب بك الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا
تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمات اذا قلتها لم يقربك احد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى قال له لتفعلن
ان تركتك قال نعم قال فما هي قال الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك
فذكر ذلك ابو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا ابا هريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث
* واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال)
ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور وعرضه
كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل
ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن (ويروى) ان اول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله
كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم
قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مهموما فقال له
روح عنك يا ابن الزيات فأنشد يقول

الهم فضل والقضاء غالب * وكائن ما خط في اللوح
فالتمس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور (روى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان في السماء الرابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل
فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون الف
قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه
فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة
المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما
يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي واغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل
ورقة منها تظل امة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله
تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم * والجنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة حي لا يموت ومنعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا
يفنى شبابه قيل يارسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها مسك اذفر وحصباؤها اللؤلؤ
والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان السماء أطت وحق لها ان تئط ليس منها موضع اربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم او قاعد

صرة من السماء فسقطت في كفة الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال ثم حلت الصرة فاذا فيها كف من تراب كنت القيته في قبر مسلم فغفر الله لي بذلك وادخلني الجنة فانظر الي كرم الله تعالى وحسن لطفه بعباده (وحكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالي عنه) انه لما بني دارا واحسن بناءها وزينها وصنع فيها طعاما ودعا الناس اليها وأجلس على بابها العبيد والغلمان يسألون كل من خرج ويقولون هل رأيتم عيبا فيقولون لا وهم لا يمنعون أحدا من الدخول حتى جاء أناس في آخر الناس عليهم مرقعات فلما دخلوا واكلوا من تلك الوليمة تلقتهم العبيد والغلمان ثم سألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا نعم رأينا عيبين اثنين قال فحبسوهم ورجعوا للملك فاخبروه بما قال هؤلاء فقال الملك ما كنت ارضى بعيب واحد فكيف ارضى بعيبين ثم قال أئتوني بهم فاحضروهم بين يديه وسألهم عن العيبين ماهما فقالوا تخرب الدار

يذكر الله تعالى لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى صحراء تتجرأون الى الله تعالى

* (الباب السابع في ذكر ما خلقها وآخر حالها) *

اعلم ان الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء احدها المور قال الله تعالى يوم تمور السماء مورا يعنى تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثانى أخبر انها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعنى دردى الزيت والثالث اخبر انها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار اكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى واذا السماء فرجت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أى نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب الآية واحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذى السما * فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

* (مجالس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء امرهما ومعادهما) *

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتى عليه فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قال اخبرنى ابو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقى الحافظ قال حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف السلمي قال حدثنا أبو عصمة يحيى بن أبى مريم الخراسانى قال انبأنا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس انى سمعت العجب من كعب الاحبار يذكر في الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتفز ثم قال وماذا قال قال زعم كعب الاحبار انه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كانهما ثوران عقيران فيقذفان في النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس شظية ووقعت اخرى غضبا ثم قال كذب كعب الاحبار قالها ثلاثا بل هذه يهودية يريد ادخالها فى الاسلام والله تعالى أكرم واجل من ان يعذب اهل طاعته ألم تر الى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعنى دأبهما فى طاعته فكيف يعذب عبدين أثنى عليهما انهما دائبان في طاعته قاتل الله هذا الحبر وقبح حديثه ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به في الارض وظل كذلك ما شاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال الا احدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير امرهما قلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فاما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله ان يطمسها و يحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس في العظم ولكن انما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان بدأ الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدرى الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ اجرته ولا يدرى الصائم الى متى يصوم والى متى يفطر ولا تدرى المرأة كيف تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدرى المدينون متى يحل دينهم ولا يدرى الناس متى يزرعون ومتى يسكنون راحة لابدانهم وكان الله انظر لعباده وارحم بهم فارسل جبريل عليه السلام فامر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى فى جوف القمر مثل

الخطوط

ويموت صاحبها فقال الملك هل تعرفون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها فقالوا نعم فقال الملك فاين فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه اليها وذكروا له النار وخوفوه منها ودعوه الى عبادة الله تعالى فاجابهم الى ذلك وخرج من ملكه هاربا تائبا الى الله تعالى نساله تعالى التوبة والمغفرة (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) ونفعنا به قال كان لى أخ في الله تعالى وكان من الاولياء وكان رجلا جميلا حسن الخلق طيب الحيا وكان له زوجة من اهل الخير والصلاح وكانت على قدمه فكانا يشتغلان في صنعة المراوح والاطباق فكنت اوده وأزوره وألتمس منه الدعاء فكنت كلما دخلت بيته فوجدت عنده ريشا من ريش الطيور العالية مثل العنقاء والنسر والعقاب والطاوس على سائر الجنوس العجيبة يشتغل بذلك الريش صنعة المراوح فكنت اتعجب من ذلك فقلت له يا أخى من يأتيك بهذا الريش مع قلة خروجك للجبال والاودية فقال يا اخى ان الله سبحانه وتعالى سخر لى ملكا

الخطوط فيه انما هو أثر الحوت ثم خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين من الملائكة من اهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب فى اقطار الارض وكنفى السماء ثمانين ومائة عين فى المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائة عين فى المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها كغلى القدر اذا ما اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ما بين اولها مطلعا واولها مغربا اطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعا مشرقا ومغربا باقصر ما يكون النهار فى الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعنى آخرها ههنا واولها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة فى ذلك البحر وهو جار فى سرعة السهم وانطلاقه فهو فى الهواء مستو كانه جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب تجرى الشمس القمر والخنس في سرعة دوران الرحا من اهوال يوم القيامة وزلازلها فى ذلك البحر فذلك قوله تعالى كل فى فلك يسبحون والفلك في دوران العجلة فى لجة غمرة ماء ذلك البحر والذى نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شىء على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ما شاء الله ان يعصمه من اوليائه واهل طاعته قال ابن عباس رضى الله عنه قال على بن ابى طالب رضى الله عنه بابى أنت وامي يا رسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس فى القرآن ومثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنس فقال عليه السلام يا على هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشترى وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر فى الفلك واما سائر الكواكب فكلها معلقات فى السماء كتعليق القناديل في المساجد وهى تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وان احببتم ان تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة فى سرعة دوران الرحا من اهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور دورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشرى اجنحتهم يجرونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف او ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله ان يبتلي القمر والشمس ويرى العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع فى غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا اراد الله تعالى ان يعظم تلك الآية ليشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شيء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهي من كسوفها فاذا اراد الله ان يجعل آية دون آية وقع النصف منها او الثلث او الثلثان في الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف ابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فاى ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم فى ذلك يقودونها

من الملائكة يأتيني بذلك فى كل جمعة لاجل المعونة على القوت فلما كان في بعض الايام فقدته فمضيت اليه فى بعض الاسواق التى كان يبيع فيها المراوح فلم اجده فمضيت الى داره وطرقت الباب فخرجت زوجته وقالت من بالباب فقلت لها فلان اخو زوجك يريد السؤال عنه هل هو غائب ام ضعيف فقالت يا سيدى انه مقيم الا انه مشغول بذكر ربه عز وجل فقلت لها انى احب ان اراه فانى مشتاق اليه فمضت وعادت الى وقالت ادخل فدخلت اليه فرأيته في بيت مبنى له للعبادة وعليه انوار السعادة فلما رآنى قام الى واعتنقنى وسلم على سلام المحبين ثم جلسنا وتحدثنا ساعه فبينما نحن فى الحديث اذا بمائدة وضعت بين ايدينا فيها من جميع الالوان فاكلنا من تلك المائدة فلما رفعت اذا بقدح من ماء قد وضع بين ايدينا فشربنا منه فما اكلت أحسن من ذلك الطعام ولا احلى من ذلك الماء فعرفت ان ذلك الطعام والماء من الجنة ثم سألته بعد ذلك عن سبب امتناعه عن الخروج الى

في الفلك على مقادير ساعات النهار وساعات الليل ليلا كان او نهارا لكيلا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم الله
تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك
السواد الذي يعلوه فهو من غمر ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا اخرجوها كلها اجتمعت
الملائكة كلها فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تتجلى للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ما قوام
لذلك ويتعلقون بعرى العجلة حتى يجروها باذن الله تعالى في لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب
ادخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من افق السماء في العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق
الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة اتعجبين من امر
الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة
آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل
مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية برقيشا وبالعبرانية جابلق واسم المدينة التي
بالمغرب بالسريانية برجيسا وبالعبرانية جابرسا ينوب على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف
رجل في الحراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور
والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج اصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين
تطلع وحين تغرب ومن ورائهم ثلاث امم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منسك وتارس وتاويل ومن ورائهم
يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بي اليهم ليلة أسري بي الى السماء فدعوت يأجوج
ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس
ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاجابوا وأنابوا فهم اخواننا في الدين
من أحسن منهم فهو من المحسنين ومن أساء فهو مع المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين
الله وعبادته فابوا علي وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار
فاذا ما غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن
من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أم من مطلعها وتكسى ضوءا وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل
والنهار ثم ينطلق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فينحدر
حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر عن الصبح فاذا انحدرت
من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضيء النهار
فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام ستة اشهر ثم اذا
رجعت كذلك من عين الى عين في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فعدة أيامها ولياليها
ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر السابع بمقدار عدة الليالي في
الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى يوم تنصرف فاذا كان عند غروب الشمس اقبل ملك من الملائكة الذين قد
وكلوا بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال
أصابعه قليلا قليلا وهو يراعي الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعا ثم ينشر جناحيه فيبلغان اقطار
الارض وكنفي السماء ويجاوزان ما شاء الله خارجا في الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح
والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم
يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التي تناولها من
الحجاب بالمشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هنالك ظلمة الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى

المشرق

تسببه فتبسم وقال يا اخي
وقع لي حكاية عظيمة
فقلت وما هي فقال
خرجت يوما لابيع المراوح
على عادتي فمضيت الى
اسواق بغداد فلم يفتح علي
بشيء ولم يكن عندنا شيء
من القوت فخرجت
ومضيت الى بعض
الحارات حتى انتهيت الى
حارة لبعض الوزراء فبينما
انا مار بها اذا بامرأة جالسة
في قصر عال مشيد الاركان
فلما رأتني ارسلت الى
جارية من بعض جواريها
كانها قطعة من جبل فلما
اقبلت علي لم تمهلني دون
ان احتملتني فلم اشعر
بنفسي الا وانا في وسط
الدار فاحتملتني الجواري
ثانيا الى ذلك القصر فاغشي
علي فلما افقت نظرت الى
سرير من عاج مرصع
باليواقيت مزين بانواع
الذهب والفضة فدهشت
من ذلك واذا بامرأة قد
أقبلت علي كأنها من
الحور العين وعليها من
الحلي والحلل مالا أقدر ان
أصفه فلما دنت مني
أغمضت بصري عنها
فقالت مرحبا بك ضيافة
ثلاثة ايام فتحيرت عند
كلامها حيرة شديدة ولم
اجد لي خلاصا اتخلص به
منها فقلت لها لا بد من ذلك
فقالت نعم فقلت لها يكون

المشرق الى المغرب فاذا نفخ في الصور انقضت ايام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت العرش حتى يأتى الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصي في الارض ويذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه احد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لهما جواب حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون في الارض وهم يومئذ عصابة قليلة في الارض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في اماكنها من اول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتي ام قصرت صلاتي ام قمت قبل حيني قال ثم يقول فيعود الي مصلاه فيصلي نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلي قصرت صلاتي او خففت قراءتي او قمت في اول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء وصارت في اماكنها اول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهجدون من اهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا ما تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما ان ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه انه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعا لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون في غفلتهم اذ نادى مناد ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما اسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ويتصارخ اهل الدنيا وتذهل الامهات عن اولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فاما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي منتصفهما جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغربهما من تلك العيون ولكن تغربهما من باب التوبة فقال عمر بأبي أنت وامي يارسول الله وما باب التوبة فقال ياعمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكلل بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (٢) الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع

(٢) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالاصل ولعله الدنيا فليحرر اه مصححه

ذلك بمقدار اصعد الى أعلى ذلك القصر وارجع فقالت انا ادلك على بيت الماء لقضاء حاجتك واخدمك بنفسي فقلت لا يمكن ذلك الا ان اتوصل الى أعلى ذلك القصر ثم غلبت عليها بالحيلة فقامت وأرشدتني الى باب مغلق يتوصل منه الى اعلاه ثم فتحته وقالت امض ولا تغب عني فصعدت مسرعا الى أعلاه ونظرت الى الارض فرأيتها بعيدة فرفعت بصري الى السماء وقلت سيدى لا يخفى عليك أمري الموت ولا معصيتك ثم هان على الوقوع من أعلى ذلك القصر فالقيت نفسي الى الارض فارسل الله تعالى الي ملكا من الملائكة فاحتملني على جناحه فلم أشعر بنفسي الا وانا على باب داري فحمدت الله تعالى على ذلك وأخبرت زوجتي فسجدت شكرا لله تعالى ثم عاهدت الله ان لا اخرج من بيتي حتى اموت فهذا حديثي يا اخي قال فخرجت من عنده متعجبا وقرأت هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وصار على ذلك الحال حتى مات رحمه الله تعالى ونفعنا به

وحكي عن الامام ابي

الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبي انت وأمي يارسول الله وما التوبة النصوح قال ان يندم العبد على الذنب الذى اصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغر بهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم تقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا فقال أبى بن كعب بأبى أنت وأمي يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبى ان الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا يجرون فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان واما الدنيا فلو نتج للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة لدن من طلوع الشمس من مغربها الى ان ينفخ فى الصور فقال حذيفة جعلنى الله فداك يارسول الله فكيف بهم عند النفخ فى الصور قال يا حذيفة والذى نفسى بيده لينفخن فى الصور ولتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقومن الساعة وقد اخذ ابن لقحته من تحتها فلا يشرب به ولتقومن الساعة وثوب بين الرجلين فلا ينشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالي بين أهل الدارين وميز بين الفريقين اهل الجنة والنار وقبل ان يدخلوهما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما اسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا في الزلازل والبلايا ترعد فرائصهما من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا حذاء العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا فى طاعتك وسرعتنا للمضي في امرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا لم ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما انى قد قضيت على نفسى ان ابدئ واعيد انى معيدكما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه فيلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد قال عكرمة فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من امر الشمس والقمر حتى اتيناه فاخبرناه بغضب ابن عباس وما وجدوه من حديثه وبما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما مما بين مبدئهما الي معادهما فقال كعب الاحبار انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدي وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وانى استغفر الله من ذلك مع انى لم اتقوله من تلقاء نفسى ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدري ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وانت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أحب ان تحدثني بما حدثت به اصحابك من حديث الشمس والقمر فاحفظ عنك الحديث فاذا حدثت بشىء من امر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذى تحدثنى به مكان حديثي الاول قال عكرمة فوالله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وانى لاستقرئه في قلبي بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر فزادنى ذلك في ابن عباس رغبة للحديث حفظا والله اعلم

القاسم الجنيد رضي الله عنه انه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فبينما انا في الطريق اذ سمعت صوتا موزونا يخرج من كبد محزون قال الجنيد فبادرت الي ذلك الصوت حتي أرقمني بغلام كالقمر فلما رآنى قال مرحبا بك يا أبا القاسم قال فتعجبت منه عجبا شديدا وقلت له حبيبي ومن اعلمك باسمى ولم ترنى قبل ذلك فقال التقت روحى وروحك في الملكوت فاعلمني باسمك الحي الذى لا يموت ثم قال بالله عليك يا جنيد اذا أنا مت فغسلني وكفني في ثيابى هذه واطلع على هذه الرابية وناد الصلاة على هذا الغريب يرحمكم الله قال الجنيد ثم ان الشاب عرق منه الجبين واشتد به الانين ثم قال بالله عليك يا جنيد اذا قضيت حاجتك ورجعت فاقصد بغداد واسال عن درب الزعفران واسأل عن والدتى وعن ولدى وقل لهما أن الغريب يقرئكما السلام ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالي عليه * قال الجنيد فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم غسلته وكفنته

اعلم

(مجالس فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)

(الباب الاول فى ذكر وجوه الحكمة وخلق ادم عليه الصلاة والسلام) قال الحكماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف انه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تتأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يحب عبادة العابدين ويثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا تزيد فى ملكه طاعة المطيعين ولا تنقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فأوجدهم ليحسن اليهم وليتفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل وبعضا بالفضل وخلق المؤمنون خاصة للرحمة قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الضحاك بن مزاحم اي للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد (وروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يارب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى انى أحب ان أشكر (قال) ابو الحسن القتال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلقك للمحنة قال تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم * عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال اوحي الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون * وقال على بن طالب رضى الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق أمرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو * وقال الاوزاعى بلغنى ان فى السماء ملكا ينادي كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا علموا ماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا * وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول فى مناجاته الهى غيبت عنى أجلى وأحصيت على عملى ولا أدرى الى اي الدارين منقلبى لقد اوقفتني وقفة المحزونين ابدا ما أبقيتني (وقال) ابو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوي والبلى فما دام الروح في جسده فهو في البلوي فاذا فارق الروح الجسد فهو فى البلى فاتى له السرور وهو بين البلوي والبلى (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك فى الدنيا ان ربك حلف لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت يامسكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروح ساه لاه والله اعلم

(الباب الثاني فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض انى خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما اتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن تاخذ مني شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم ياخذ منها شيأ وقال يارب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فامر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فاتى الارض فاستعاذت بالله ان ياخذ منها شيا فرجع الى ربه ولم ياخذ منها شيأ فبعث الله تعالى ملك الموت فاتى الارض فاستعاذت بالله أن ياخذ منها

وطافت على الرابية كما قال ونادت الصلاة على الغريب يرحمكم الله قال الجنيد واذا بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق كانهم البدور فصلينا عليه ودفناه وانصرفت متحسر عليه فلما قضيت حجى رجعت الى بغداد ثم سألت عن ذلك الدرب فأرشدت اليه فلما دخلت الدرب نظرت فاذا بصبيان يلعبون في الزقاق فنهض من بينهم غلام صغير السن حسن الوجه فصيح اللسان فقال يا أبا القاسم لعلك جئت تخبرني بموت والدي قال الجنيد فتعجبت من كلام الغلام على صغر سنه ومكاشفته ثم سلم على واخذ بيدي واتى الى باب دار وطرق الباب فخرجت لى عجوز عليها سيما الخير والصلاح فسلمت على وهي باكية العين حزينة القلب ثم قالت يا جنيد ابن مات ولدي وقرة عيني فلعله مات بعرفة فقلت لها لا فقالت لعله مات بمنى فقلت لها لا فقالت لعله مات بالمزدلفة فقلت لها لا فقالت لعله مات بالبادية تحت شجرة غيلان فقلت لها نعم قال فصاحت صيحة عظيمة وقالت ياولداه لا الى بيته أوصله ولا معنا تركه ثم شهقت شهقة فارقت

شيأ فقال ملك الموت وانى أعوذ بالله أن أعصي له أمرا فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان فى ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى فامره ان يجلعها طينا ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم امر جبريل عليه السلام ان ياتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام فى ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست في انهار الجنة كلها فلما خرجت من الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة الف قطرة واربعة وعشرون الف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها فى السموات والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم عجنها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها اربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ليئا ثم تركها أربعين سنة حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذى اذا ضربته بيدك صلصل أى صوت ليعلم ان امره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا والقاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفى صحيح الترمذي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير اول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على الوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذيه من ارض اليمن وساقيه من ارض مصر وقدميه من ارض الحجاز ويده اليمنى من ارض المشرق ويده اليسرى من ارض المغرب ثم القاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر ما خلقت ثم ضرب به بيده فاذا هو اجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق اجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم ارأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس في نفسه والله لئن فضل هذا على لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فذلك قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين * وفي الخبر ان جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يمطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في اولاده وتصير عاقبتها الى الفرح والراحة * وانشدنا فى هذا المعنى أبو عوانة المهرجانى

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم محبات ويوم مكاره
وماصدقوا فالدهر يوم محبة * وايام مكروه كثير البدائه

وانشدنى ابن الاعرابى فقال

روحها الدنيا رحمة الله عليهما قال الجنيد فنظر الغلام الى السماء وقال الهى وسيدي ومولاى لا مع أبى اخذتني ولا مع جدتى خلفتني اللهم بهما الحقنى ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليهم أجمعين * قال الجنيد فاخذت فى غسلهما وتجهيزهما ودفنهما رحمة الله عليهما والمسلمين (وحكى عن السرى السقطى رحمه الله تعالى ونفعنا به) قال كنت جالسا ببيت المقدس سنة من السنين عند الصخرة وكان ذلك فى ايام العشر وانا متحسر حزين على التخلف عن الحج في تلك السنة وقلت فى نفسي ان الناس قد توجهوا الي مكة ولم يبق الا ايام قلائل وانا ههنا مقيم قال السرى فبكيت على فواتى وتخلفى عن الحج في تلك السنة فسمعت هاتفا يقول ياسرى لا تبك فان الله سبحانه وتعالى يبعث لك من يوصلك الى الحج فى هذه الساعة قال السرى فقلت كيف يكون ذلك وقد بقى ايام قلائل وانا مقيم ببيت المقدس بعيد عن مكة فقال الهاتف ثانيا لا تخف فان الملك القدير يسهل عليك المسير قال السري فسجدت شكرا

محن الزمان كثيرة لاتنقضى * وسروره يأتيك بالفلتات
وانشدنى ابو بكر الصولى لابن المعتز
أي شيء يكون اعجب من ذا * لو تفكرت فى صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالقفزان

(الباب الثالث فى صفة نفخ الروح)

قال العلماء فلما اراد الله ان ينفخ فى آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى ان قال في الرابعة ادخلي كرها واخرجي كرها فلما امرها الله تعالى بذلك دخلت فى فيه فاول مانفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتى عام ثم نزلت فى عينيه * والحكمة في ذلك ان الله تعالى اراد ان يري آدم بدء خلقه واصله حتي اذا تتابعت عليه الكرامات لايدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت فى خياشيمه عطس فحين فراغه من عطاسه نزلت الروح الى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى ان قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك اول ماجرى على لسانه فاجابه ربه عزوجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت الروح الى صدره وشراسيفه فاخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالي خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام *وفي بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على ام رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال انى اذنبت ذنبا فقال من اين علمت ذلك فقال لان الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده اذا اصاب احدهم مصيبة اومحنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجمل يزداد كل يوم حسنا فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد وبقيت منه بقية فى اناملة ليتذكر به أول حاله (قال عبدالله بن الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النسر ياتى الحوت فى البحر فيخبره بما فى البر ويخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ ليبزاني من وكرى وليخرجنك من البحر فلما أتم الله خلق ادم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشنفه وسوره وختمه ومنطقه والبسه من لباس الجنة وزينه بانواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في سمواتى ليرى عجائبها ومافيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فحملته الملائكة على اعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شيء من اياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه ادم عليه الصلاة والسلام وجبريل اخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله وطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم ياملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى ياادم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء فى هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس اسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اسماء ذريته وقال ابن عباس واكثر الناس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة ثم امر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين واكثر العلماء على ان الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة

الله عز وجل ثم جلست ارتقب صدق الهاتف فبينما انا كذلك اذ ابا اربعة شبان قد دخلوا من باب المسجد كان الشمس تشرق من وجوههم والنور يلمع من جباههم يقدمهم شاب عليه هيبة وجلالة وهم يمشون خلفه وعليهم لباس الشعر وفى ارجلهم نعال الخوص فدنوا من الصخرة ودعوا الله عز وجل فامتلأ المسجد من انوارهم نورا قال السري فقمت اليهم وقلت لعل هؤلاء يكونون هم الذين رحمنى ربى بهم ورزقني صحبتهم قال السرى فدخلوا القبة والشاب قائم يناجي ربه ثم صلى كل منهم ركعتين قال فدنوت من الشاب لاسمع كلامه ومناجاته فبكى وكبر وصلى صلاة سلبت فؤادى فلما فرغ من صلاته جلس وجلس الثلاثة بين يديه قال السرى فدنوت منهم وسلمت عليهم فقال الشاب وعليك السلام ياسري ياصاحب الهاتف الذى هتف بك اليوم وبشرك ان لا يفوتك الحج في هذه السنة قال السرى فكدت ان اصعق وامتلا قلبي فرحا وسرورا ثم قلت نعم ياسيدى هتف بى الهاتف قبل ورودكم

دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لاسجود صلاة وعبادة فلما امرهم بالسجود
سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين

(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)

قال المفسرون لما اسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجانسه ويؤانسه فالقى الله تعالى
عليه النوم فنام فاخذ الله ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير ان احس
آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها
بانواع الزينة واجلسها عند رأسه فلما هب ادم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم
يمتحنون علمه ما هذه ياادم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لانها
خلقت من شيء حي قالوا ولما اذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الي واسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم
من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان
تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة في ان الرجال يزيدون على مرور الايام
والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حدة وجمالا والنساء يزددن على مرور
الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا * وفي بعض الاخبار ان آدم عليه
السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا ادم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة
حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا
آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت * وروى سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله ان يخلق جارية بعث اليها ملكين اصفرين مكللين بالدر والياقوت
فيضع احدهما يده على رأسها ويضع الاخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من
ضعيفة المنفق عليها معان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى ادم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك)

قال اهل التاريخ لما اسكن الله تعالى ادم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة
واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا ياادم اسكن انت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا)
في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة ماهي فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة
العلم وفيها من كل شيء علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وقيل هي الكرمه
فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا منها اخبارهما عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن
لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى اكلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ماذكره
اصحاب الاخبار ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية
وكانت من احسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها اربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة
وكانت لابليس صديقة فسألها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون
فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى مافيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان
خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه فاتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال
ياويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا الف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فادخله
الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى
اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على

بساعة فقال الشاب ياسرى
كنا قبل ان يهتف بك
الهاتف في بلاد خراسان
قاصدين بغداد فقضينا
حوائجنا وعزمنا على
التوجه الى بيت الله الحرام
فاحببنا زيارة قبور
الانبياء بالشام ثم بعد ذلك
نقصد مكة شرفها الله تعالى
وعظمها وقد قضينا
حقوقهم وزيارتهم واتينا
الى هنا نزور بيت المقدس
قال السري فقلت له
ياسيدي وما كنت تصنع
بخراسان قال لاجل
الاجتماع بابراهيم بن أدهم
ومعروف الكرخي
اخواننا فخرجنا جميعا
نقصد مكة فجئت الى
بيت المقدس وذهبا هما من
طريق البادية الى مكة قال
السري فقلت يرحمك الله
ان من خراسان الى بيت
المقدس مسيرة سنة فقال
ياسري لو كانت الطريق
ألف سنة العبيد عبيده
والارض ارضه والزيارة
لبيته والقصد اليه والبلاغ
عليه والقوة والقدرة له أما
ترى الشمس كيف تسير
من المشرق الى المغرب في
يوم واحد فهي تسير بقوتها
ام بقوة القادر وارادته فاذا
كانت الشمس وهي جماد
لاحساب عليها ولا عقاب
تقطع من المشرق الى
المغرب في يوم واحد فليس

باب الجنة ثلثمائة سنة لا يأذن الله تعالى فى خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له ايها الخلق الكريم من انت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال انا طائر من طيور الجنة اسمى طاوس فبكى ابليس فقال له الطاوس من انت وم بكاؤك فقال له ابليس انا ملك من الملائكة الكروبين وانما بكيت تأسفا على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس ايفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم المخلدون من تلك الخلائق فقال الطاوس واين تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال الطاوس ومن يدلنا بمكانها قال ابليس انا أدلك عليها ان ادخلتنى الجنة قال الطاوس كيف لى بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لمكان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكنى سأدلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها فان لما فيه سعادة الابد لعلها تقدر على ذلك فجاء الطاوس الى الحية واخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال انى رأيت بباب الجنة ملكا من الكروبين من صفته كيت وكيت فهل لك ان تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها ابليس نحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لى بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها اتحول ريحا فتجعليني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله ريحا ودخل فى فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان انه ابليس فناح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من ناح فقالا له ما يبكيك فقال ابكى عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما لذلك وبكى ابليس ومضي ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد اثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الحنطة فقال نهانى ربى عنها فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى ان يقبل منه فاقسم لهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان ان أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتي أكلها (روي) محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبى يقول سمعت جدى يقول سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثني آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فاكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر مجمع الخبائث وأم الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولم يستثنيا في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا المنهى عنه * وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول سمعت ابراهيم بن ادهم يقول لقد اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (وقال) الشبلى اول الدندردي هذا ابونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهى عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (والثانية) الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتحير آدم وصار هاربا في الجنة فتلقته شجرة العناب فاخذت بناصيته وناداه ربه افرارا منى يا آدم قال بلى يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمقصر حياء يوم القيامة * و يروي ان آدم لما بدت سوآته

بعيد ان يبلغ عبد من عبيده من خراسان الى بيت المقدس فى ساعة واحدة فان الله تعالى له القدرة وخرق العوائد لمن يحب ويختار ثم قال ياسرى عليك بعز الدنيا والآخرة واياك ان تصل الى ذل الدنيا والاخرة فقلت له ياسيدى ارشدنى الى عز الدنيا والاخرة يرحمك الله تعالى فقال من اراد غنى بلا مال وعلما بلا تعلم وعزا بلا عشيرة فليخرج حب الدنيا من قلبه ولا يركن اليها ولا يطمئن قلبه بحبها قال السري فقلت له ياسيدي بالذي خصك بانواره واطلعك على أسراره اين تقصد قال الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه افضل الصلاة والسلام فقلت له والله لا افارقكم فان فراقكم على أشد من فراق الروح للجسد فقال بسم الله وخرج وخرجت معهم من بيت المقدس فلم نزل نسير حتى قال ياسرى هذا وقت الظهر فما تصلى فقلت بلى وعزمت على التيمم بالتراب فقال ان ههنا عين ماء عذب فعدل بنا عن الطريق فاذا بعين ماء احلى من الشهد فتوضأت وشربت ثم قلت له والله ياسيدى لقد سلكت هذا

وظهرت عورته طاف باشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فزجرته اشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقة فطفقا يعني آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافا الله التين بان سوى ظاهره و باطنه في الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعد ان كان جلده كله كالظفر وألقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أناملة ليتذكر بذلك اول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغي ان يجاورني من عصاني فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر الاية يعني آدم وحواء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحواء بجدة بلد من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية باصبهان والطاوس بارض بابل * و يقال ان الحكمة في اخراج آدم من الجنة انه كان في صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا اخرجهم من صلبه أعاده الله اليها خالدا فيها و يقال ان الله تعالى اخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى انى جاعل في الارض خليفة ولم يقل في الجنة * أخبرني نافل بن أذفر بن أحمد باسناده عن عثمان بن عاية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمنا في دار السباء حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنوا بعيني راقد * ومشاهد الايام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فابحتها * سبل الرجا وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى * درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) المفرقة فرق بينه و بين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب احدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة في يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة التى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدوه والحية عدوته تلدغه اذا امكنها وابليس عدوهم جميعا وفيه اشارة الى ان الاحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى * وروي ان ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالي في أمر آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية (والتاسعة) جعل الدنيا سجنا له ولاولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن له بهما عهد لانه هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لا حر فيها ولا قر (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب

(فصل) وابتليت حواء و بناتها بهذه الخصال و بخمس عشرة خصلة سواهن (الاولى) الحيض يروى انها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن ادميك انت و بناتك في كل شهر مرة كما أدميت

هذه

الطريق مرارا عديدة ولم يكن هنا ماء فتيمم وقال الحمد لله على لطفه بعباده قال السري فصلينا صلاة الظهر وسرنا الى قريب العصر فبانت لنا اعلام الحجاز ولاحت لنا حيطان مكة فقلت هذه ارض الحجاز فقال وصلت الى مكة فاخذني البكاء ثم قال ياسرى تدخل معنا فقلت نعم فدخلنا من باب الندوة فرأيت رجلين احدهما كهل والآخر شاب فلما نظراه تبسما وقاما فعانقاه وقالا الحمد لله على السلامة فقلت له ياسيدى من هؤلاء فقال أما الكهل فابراهيم بن أدهم وأما الشاب فمعروف الكوخى قال السرى فسلمت عليهما ثم جلسنا الى ان صلينا صلاة العصر والمغرب والعشا بالحرم فقام كل منهم الى صلاته وقمت معهم بحسب طاقتى فغلبني النوم في المسجد فنمت فلما انتبهت لم أجد منهم أحدا نصرت كالمجنون الهائم وطفت عليهم في المسجد الحرام وفي مكة وفي منى فلم اجد منهم أحدا فرجعت باكيا حزينا على التخلف عنهم رضي الله عنهم اجمعين وحكى عن عثمان الجرجاني رضى الله) عنه قال خرجت يوما من الكوفة

هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحيض ان هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانيه) ثقل الحمل (الثالثه) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفي الخبر لولا الزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يحضن ولكن حليمات وكن يحملن سرا و يضعن سرا (الرابعه) نقصان دينها (الخامسه) نقصان عقلها عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احدا كن فقلن له وما نقصان عقلنا و ديننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أو ليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها (السادسه) ان ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين (السابعه) تخصيصهم بالعدة (الثامنه) جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار اعندكم (التاسعه) ليس لهن من الطلاق شيء ولا يمكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن الجهاد (الحادية عشر) ليس منهن نبي (الثانيه عشر) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشر) لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم (الرابعه عشر) لا تنعقد بهن الجمعه (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن * وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء * اولها عزله من الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنه * الثانيه أخرجه من جواره واهبطه الى الارض * الثالثة مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعدما كان ملكا * الرابعة غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه ابلس من رحمة الله تعالى * الخامسة جعله امام الاشقياء * السادسة لعنه الله * السابعه نزع منه المعرفه * الثامنه أغلق عنه باب التوبه * التاسعه جعله مريدا أي خاليا من الخير والرحمه * العاشرة جعله خطيب أهل النار * وعاقب الحيه بخمسه اشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد ان كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنه بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما يرونها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفي حال الاحرام * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس منى يعني الحيات اخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبدالله بن يونس قال اخبرنا داود عن محمد عن أبي الاعين العبدي عن أبي الاحوص الجشمي قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكانما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

(الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه)

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما هبط ادم الى الارض على جبل سرنديب وذكران ذروته أقرب من ذرى جبال الارض الى السماء وكانت رجل ادم على الجبل ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان ادم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فحطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع فلما نقص من قامته ذلك قال رب كنت جارك في دار ليس لي رب سواك ولا رقيب دونك اكل فيها رغدا وأسكن حيث احببت فاهبطتني الى هذا الجبل وكنت اسمع اصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك واجد ريح الجنة وطيبها ثم اهبطتني الى الارض وحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني رائحة الجنة فاجابه الله تعالى بمعصيتك يا ادم فقال ادم ذلك بك يارب * وقال وهب بن منبه لما أهبط الله ادم

أريد البصره فرأيت في الطريق امرأة عجوزا عليها جبة من صوف وخمار من شعر وهي تمشي وتقول الهي ما ابعد الطريق على من لم تكن له دليلا وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا قال عثمان فدنوت منها وسلمت عليها فردت على السلام وقالت من انت يرحمك الله فقلت لها عثمان الجرجاني فقالت حياك الله يا عثمان اين تريد فقلت اريد البصرة لحاجة فقالت يا عثمان هلا اعلمت صاحب الحاجة يوجهها اليك ولا يتعبك فقلت ليس بيني و بينه تلك المعرفة فقالت وما الذي قطعك عن معرفته قلت كثرة الذنوب فقالت والله بئس ما صنعت أما والله لو وصلت حبلك بحبله لتمسكت منه باقوى سبب وقضى حوائجك من غير تعب قال عثمان فلما سمعت قولها بكيت وقلت لها اريد منك الدعاء فقالت عانك الله على طاعتـــه وجنبك معصيته قال فلما عزمت على الانصراف اخرجت من جيـــبي دراهـــم كانت معي فقسمتها بيني و بينها وقلت خذي هذه النفقة لتستعيني بها على حالك فقالت يا عثمان من أين لك هـــذه الدراهم فقلت لها اني رجل اصيد

من الجنة واستقرجالسا على الارض عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله ما رأي ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحمم ففزع آدم من ذلك فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه و بكى اربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره و بطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشي فاستراح مما كان يصيبه من الغم * قال شهر بن حوشب ان آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا اربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما اراد الله تعالى ان يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية واختلفوا في تلك الكلمات ماهي فقال ابن عباس هي ان آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها قال لشؤم معصيتك قال اي رب ارأيت ان انا تبت واصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات وقال عبد الله بن عمر ان آدم قال يارب أرأيت ما اتيته شيأ ابتدعته من تلقاء نفسي اوشيء قدرته على قبل ان تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفرلي * وقال محمد بن كعب القرظي هي قول لا اله الا انت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب على انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم و بحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية ثم انزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيها قناديل من نور ثم اوحى الله تعالى الى آدم ان لى حرما بحيال عرشي فأته فطف به كما يطاف حول عرشي وصل عنده كما يصلى عند عرشي فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى ارض مكة لزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمي ذلك الموضع عرفات ولما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن قال أتمني المغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى ارض الهند قال مجاهد حدثني ابن عباس ان آدم حج من ارض الهند اربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج الا كان يركب قال واى شيء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنؤنه بالحج وقبول التوبة فقالوا برحجك يا آدم فداخله من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) ابو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكاليل وتحات الورقه فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان اصل كل طيب بالهند وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في اوديتها وكان اصله من الجنة فامتلأ ماهنالك طيبا فمن ثم يأتي بالطيب من الهند واصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وانزل الله معه الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى

الى الجبل واحتطب منه حطبا واحمله على رأسي وابيعه في اسواق المسلمين وانفق ثمنه فقالت نعم الكسب الحلال احل ما أكل المرء من كسب يمينه ولكن يا عثمان لو صححت معاملة ذى الجلال واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك حمل الاحطاب من رؤس الجبال ثم قالت يا عثمان اريد ان أريك كيف صححت معاملتي مع سيدى وصدق التوكل عليه فقلت بلى فبسطت يديها وهمهمت بشفتيها فاذا ايداها مملوءتان دنانير فقالت خذ هذه انت يا عثمان فوالله ما طبع عليها اسم ملك ولا سلطان واعلم انك لو احببت مولاك لاغناك عن الخلق وكفاك ثم غابت عني فلم ارها نفعنا الله تعالى بها آمين (وحكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه انه قال) كنت ملاحا بنيل مصر اعدي من الجانب الشرقي الي الجانب الغربي فبينما انا يوم من الايام جالس في الزورق اذا انا بشيخ ذى وجه مشرق قد اقبل على وسلم على وقال تحملني لله قلت نعم ثم قال ثانيا وتطعمني لله قلت نعم فطلع الزورق فعديته الى

الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى ارض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بارض الهند فبنق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يارسول الله المسك هو من الدواب ام من الشجر قال اجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله المسك فى سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يارسول الله فاين يقع قال قال لى جبريل فى ثلاث كور لا يكون فى شىء من الارض الا فيها ارض الهند وارض السندى وارض التبت قالوا يارسول الله العنبر انما هي دابة فى البحر قال اجل كانت هذه الدابة بارض الهند ترعى في البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها ومامعها فقذفها في البحر وهي اعظم ماتكون من الدواب غلظها الف ذراع وانما ترمى به كما ترمى البقر اخثاءها فربما يخرج من جوفها العنبرة الف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا في رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فامره ان ياخذ ثمرها ويعصره فقال ان فى هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك لن تتداوي أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقى في جوفك لم تخف منه وان خرج اخرج الداء كله وابرأه فاكله آدم فبرئ (قال) اهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذي الهواء واحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم امره ان يذبح كبشا منها فذبحه ثم اخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على مافاتهما من لباس الجنة فحواء اول من غزلت وآدم اول من نسج ولبس الصوف (عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماتقول في حرفتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماحرفتك فقال انا رجل حائك قال حرفتك حرفة ابينا آدم عليه السلام وكان اول من نسج ادم وكان جبريل يعلمه وادم تلميذه ثلاثة ايام وان الله عزوجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم القبيح فابونا ادم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من ادم ومن لعنكم فقد لعن ادم ومن اذاكم فقد اذي ادم وهو خصمه يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون ادم قائدكم الي الجنة (وعن) أبى امامه الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان النظر في الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طعمه وكل من قل تفكره كثر طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسى بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار قالوا ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ماالذى اصابك فقال اجد فى نفسى قلقا واضطرابا لا اجد الى العبادة منه سبيلا وانى أجد بين لحمى وجلدى دبيبا كدبيب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف اهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثور بن احمرين والالة يعني السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد آدم فطار منه شرارة فوقعت فى البحر فدخل جبريل اليها وانى بها فدفعها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان

الجانب الغربى فكان عليه مرقعة وبيده عصا وركوة فلما نزل قال اريد ان احملك امانة قلت وماهي فقال اذا كان في غد عند الظهر تجدنى ميتا تحت تلك الشجرة فغسلني وكفني فى الكفن الذى تجده تحت رأسى وصل على وادفني تحت تلك الشجرة فان قبرى بها فاذا فرغت من امرى خذ هذه المرقعة والركوة والعصا فاذا جاءك من يطلبهم فادفعهم اليه قال فتعجبت منه ثم تركني ومضى فبت تلك الليلة متفكرا فلما اصبحت انتظرت الوقت الذي قال عليه الشيخ فلما جاء وقت الظهر نسيت فما الهمت الا قريب العصر فسرت اليه مسرعا فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا تحت راسه تفوح منه رائحة المسك قال فغسلته وكفنته فيه وصليت عليه وحفرت تحت الشجرة فوجدت قبرا مبنيا مرخما فدفنته فيه ثم عدت الي موضعي ليلا والمرقعة والركوة والعصا معي فلما طلع الفجر وبان الجو اذا انا بشاب قد اقبل فحددت النظر اليه فعرفته وكان من بعض صبيان الملاهي يرقص ويغني وعليه ثياب رقاق وهو

ناركم هذه جزء من سبعين جزءمن نار جهنم بعد ان غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها في الاثمنة نطقت النار فقالت يا آدم انى لا اطيعك وانى منتقمه من عصاة اولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها ان تطيعك ولكني اسجنها لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع فسجنها في الحجر والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التي تورون أأنتم الآية و يروي أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل مالها تحرق يدى ولا تحرق يدك قال لانك عصيت الله واني لم أعصه ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار الذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سد جوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا في الدنيا وبها تلقى الفتنة أنت وأولادك الي ان تقوم الساعة ثم أمره ان يشد الثورين و يكسر من الخشب و يضعه عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو أول من حرث الارض و بكى الثوران على مافاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الجاورس و بالافنبت منه الحمص وراثا فنبت منه العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله فقال لا اصبر حتي يدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال آكله قال لا وعلمه التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال آكله قال لا وعلمه العجن و يقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لم نخل دقيقه فأمره جبريل ان يبث النخالة في الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فأمره ان يحفر حفيرة و يضع الحطب فيها و يوقد عليها نارا ففعل ذلك ثم وضع عجينه عليه فخبز حتى جعله خبزة فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ماهذا التعب والنصب قال له هذا وعدالله الذى وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدولك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك ان تأكل من كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ماهو فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فبم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه شربة فشرب بها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثانى فقال لجبريل ماهذا الذى أجده قال لا أدرى فبعث الله اليه ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله على آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر اشجارا قد عتقت و يبست فاوقد على ذلك الحديد حتي ذاب وكان أول شيء ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذى ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذى فار بالعذاب بالهند (قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقي الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حمل (وقيل) ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فاما التي هي في القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارنج والرمان والموز وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والمقل واما التى لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثري والعنب والتوت والتين والاترج

مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه قد نامني وسلم علي وقال لي انت فلان بن فلان قلت نعم فقال هات الامانة التي عندك وديعة لى فقلت وماهي فقال مرقعة وعصا وركوة فقلت ومن اين لك هذا فقال لا أدرى الا أنى كنت في عرس فلان بالامس وانا ارقص واغني الى ان اذن المؤذن فنمت لاستريح فبينما انا نائم اذا رجل قد ايقظني وقال لي قم ان الله سبحانه وتعالي قد قبض روح فلان الولى وجعلك مكانه فسر الى فلان ابن فلان فان الشيخ اودع لك عنده وديعة وهي مرقعة وعصا وركوة قال فاخرجتهم اليه فخلع ثيابه واغتسل في البحر وتوضأ ولبسها واعطاني اثوابه وقال تصدق بهذه الثياب ثم سار وتركني فلم ادر اين ذهب فقعدت يومى ابكى الى الليل فلما نمت رأيت رب العزة في المنام وهو يقول يافلان أثقيل عليك أن مننت على عبد من عبادى كان عاصيا وقبلته ان ذلك فضلي اوتيه من شئت ورحمتي وسعت كل شيء (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) انه قال كنت مسافرا كنا ببغداد وكان لى دويرة

والخرنوب والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزر عريشة من عنب وريحانه فغرس آدم العريش فلما طلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك اخرجتني من الجنة ولا تريد ان تجعل لي رزقا فقال له ان لي فيها حقا قال وما حقك قال نشوها واكم سائرها (وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهي سيدة رياحين الدنيا و بالسنبلة وهي سيدة طعام اهل الدنيا و بالعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرني فكلوه فانه يسبح في شجره و يستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما اهبط ادم الى الارض كان اول شيء اكله من الثمار التين وقال كعب اول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما اهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها احدا غيره فقال يارب أما لارضك هذه من عامر يسبحك و يحمدك و يقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني و يقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكري و يسبح فيها خلقي و يذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني حق عبادتي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فاسميه بيتي وأنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي وأجعل ذلك البيت حرما يحرم بحرمته ما حوله وما فوقه وما تحته فمن حرمه بحرمتها استوجب كرامتي بذلك ومن أخاف اهله فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا و يضجون بالبكاء ضجيجا و يعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني واستضافني فحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وان يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره مادمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده واخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قرية بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة و بعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار و بعمل اهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على ذلك فهو من اهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله اوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني و بينك وواحدة فيما بينك و بين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ واما التي لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه واما التي بيني و بينك فمنك الدعاء ومني الاجابة واما التي بينك و بين الناس فان ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم يارب شغلت بطالب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست اعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فاهبط الله تعالى اليه ديكا فأسمعه اصوات الملائكة بالتسبيح فهو اول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح في السماء سبح في الارض فيسبح آدم بتسبيحه (و يروى) ان الله تعالى اوحى الى آدم لما اراد ان يهبطه الى الارض يا آدم اني منزلك انت وذريتك دارا مبنية على اربع قواعد اما الاولى فاني انطع ما تصلون واما الثانية فاني افرق ما تجمعون واما الثالثة فاني اخرب ما تبنون والرابعة اميت ما تلدون ولذلك قيل

خراب فاحتجت بناء حائط سقطت منها فخرجت الى موقف البنائين لا نظر رجلا لبناء الحائط فنظرت الى شاب نحيف ذي وجه نظيف فجئت اليه ووقفت بين يديه ثم قلت له يا حبيبي اتريد الخدمة فقال نعم فقلت سر على بركة الله تعالى فقال بشرط اشترط عليك فقلت وماهو قال الاجرة درهم ودانق فقلت نعم قال وان أذن المؤذن تدعني اصلي مع الجماعة فقلت نعم فسار معي الى منزلي فخدم خدمة لم ار مثلها ولا احسن منها فذكرت له الغداء فقال لا فعرفت انه صائم فلما جاء وقت صلاة الظهر وسمع الاذان قال الشرط ياسيدي فقلت نعم فحل حزامه وتوضأ وضوأ ما رأيت احسن منه ثم خرج الى الصلاة مع الجماعة في المسجد ثم عاد الى خدمته الى ان سمع أذان العصر فقال الشرط ياسيدي فقلت له نعم فخرج وصلى العصر مع الجماعة وعاد الى خدمته فاتيت اليه وقلت له حبيبي ان خدمة البنائين الى العصر فما تستريح فقال سبحان الله انما كانت خدمتي الى الليل قال فلما

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكم يصير الى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبي) انزل ابليس من السماء عليه عمامة لبس تحت ذقنه منها شيء اعور في احدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال انما كره ان يتخصر في الصلاة لان ابليس هبط متخصرا (وروي) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير ان ابليس قال يارب اخرجتني من الجنة من أجل ادم وانى لا استطيعه الا بسلطانك قال فانك مسلط عليه قال يارب زدني قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال يارب زدني قال صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم قال يارب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال ادم يارب قد سلطته علي وانى لا امتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدني قال الحسنة بعشر امثالها واز يدها والسيئة بمثلها واحدة وامحوها قال يارب زدني قال قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال يارب زدني قال التوبة لا انزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدني قال اغفر ولا ابالي قال حسبي (وروى) ان ابليس قال يارب لعنتني واخرجتني من الجنة وجعلتني شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت في بني ادم الرسل وانزلت عليهم الكتب فما رسلي قال الكهنة قال فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال حديثك الكذب قال فما قرانى قال قراءتك الشعر قال فما مؤذنى قال مؤذنك المزمار قال فما مسجدي قال مسجدك السوق قال فما بيتى قال بيتك الحمام قال فما طعامى قال طعامك ما لم يذكر اسمي عليه قال فما شرابى قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدي قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الحرقة والغلمة فنكح نفسه فباض اربع بيضات فمنها ذريته (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغني ان ابليس زوج الحية التي دخل في فيها حين كلم ادم عليه السلام بعد ما خرج من الجنة فمنها ذريته

(الباب الثامن في ذكر ماروى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فراه عيانا وكلمه شفاها)

يروي ان ادم التقى بابليس في ارض فلاة فلامه على صنيعه وقال له ياملعون اى شيء هذا الذي احللت بى غررتني واخرجتني من الجنة وفعلت بى ما فعلت قال فبكى ابليس وقال يا ادم انى فعلت بك ما تقول وازلتك هذه المنزلة فمن فعل بى ما انا فيه واحلني هذه المنزلة (و يروى) ان ابليس تصور لفرعون في صورة الانس بمصر في الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك أما تعرفنى فقال لا قال فكيف وانت خلقتني الست القائل انا ربكم الاعلى (ويروي) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال اي الاعمال احب اليك وابغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ما اخبرتك انى لست اعلم شيأ احب الى وابغض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ادمى الا وقد عمل خطيئة أو هم بها الا يحيي بن زكريا فانه ما عمل خطيئة ولا هم بها ولقد قال رب ارنى ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكتمني شيأ سألته عنه فاوحى الله تعالى الى ابليس ان ائت عبدى يحيي بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ يسألك عنه فاتاه وقال يا يحيي أنا ابليس امرنى ربى ان آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيي فاذا على رأسه خطاطيف تطير وحقواه محفوفتان باكوار كور ههنا وكور ههنا وفي رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التى تطير على رأسك قال بها أخطف عقول بني آدم قال فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال أحركها لبنى آدم حتى يغنى او يغنى

جاء الليل أخرجت له درهمين فلما رآهما قال ماهذا فقلت والله ياسيدى هما من بعض أجرتك لاجتهادك في خدمتك فردهما الى وقال والله لا أزيد على ما بيني و بينك شيأ فرغبته فلم أقدر عليه فاخذ الدرهم والدانق وتوجه فلما كان الغد أتيت الى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه لم يات هنا الا من السبت الى السبت فلما جاء السبت جئت اليه فوجدته فلما رآنى تبسم فقلت له باسم الله على الشرط الذى تعلمه فقال نعم وسار معي فخدم يومه كما تقدم وزاد على ذلك فدفعت اليه الاجرة فاخذها وسار فلما كان السبت الثالث أتيت الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فى خيمة فلانة وكانت امرأة عجوزا لها خيمة فى الجبانة وكانت مشهورة بالصلاح والعبادة قال فسرت اليها فوجدت الشاب بها وهو مضطجع على الارض وليس تحته شيء وتحت رأسه لبنة ووجهه يتهلل نورا قال فسلمت عليه فرد على السلام فقعدت عند رأسه ابكى على صغر سنه وغربته ثم قلت له حبيبي الك من حاجة فقال نعم

له قال فاي ساعة انت على ابن ادم اقدر قال حين يمتلي شبعا وريا قال فهل وجدت في نفسي شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم اليك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته اليك حتي اكلت اكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيي لا جرم لا اشبع أبدا فقال ابليس لا جرم لا انصح ادميا ابدا * وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال على ابن أبي طالب رضى الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا على لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع في قلبي من ذلك شيء وقلت ويلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف اخر يهتف باعلى صوته غسله يا على فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدخل قبره مغسلا قال على جزاك الله خيرا قد أخبرتني أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم (ويحكى) ان قوما من بني اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تقفه بين يدى الله تعالى حسبما كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال انكم لا تطيقون رؤية ذلك فالحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ماتوا عن اخرهم (ويروي) ان رجلا كان يلعن ابليس كل يوم الف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ اتاه شخص وأيقظه فقال قم فان الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت الذى اشفقت على هذه الشفقة فقال له انا ابليس فقال كيف هذا وانا العنك كل يوم الف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت ان تكون منهم فتنال معهم كما ينالون

(الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق اذ قربا قربانا الي اخر القصة قال اهل العلم بقصص النبيين واخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين في كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها ولدته منفردا وكان جميع من ولدته حواء اربعين من ذكر وأنثي في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما واخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ثم كثر الله في نسل ادم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت ادم حتى رأي من ولده وولد ولده اربعين الفا ورأي ادم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي ادم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشي حواء في الجنة قبل ان تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما لطهارة الجنة فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج اى اخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا اخواتهم وامهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما في بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وادركوا امر الله تعالى ادم ان ينكح لبودا اخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر ادم ذلك لولده هابيل فرضى وسخط قابيل وقال هي اختي ولدت معي في بطن وهي احسن من اخت هابيل فانا أحق بها نحن من اولاد الجنة وهما من أولاد الارض فانا أحق باختي فقال له ابوه انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره بذلك وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت

اذا كان في غد تأتى ههنا عند الضحى تجدنى ميتا فغسلنى وكفنى في هذه الخيمة واحفر قبري بها ولا تعلم بذلك احدا وافتق جيب هذه الجبة واخرج ما فيها وامسكه عندك فاذا دفنتني وفرغت من امرى فصل الى هرون الرشيد وادفع له ما تجده في الجيب واقرئه مني السلام قال فلما كان الغد وصلت الى تلك الخيمة فوجدته قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فتاسفت عليه أسفا شديدا ثم أخذت في غسله وتجهيزه وكفنته وصليت عليه في الخيمة وحفرت قبره بها كما قال ثم فتقت جيبه فرأيت فيه ياقوتة تساوي الف دينار قال فتعجبت من ذلك وقلت والله لقد زهد في الدنيا كل الزهد قال فلما فرغت من امره وانصرفت من عنده انتظرت خروج هرون الرشيد فلما خرج في موكبه تعرضت له في بعض الطريق ودفعت اليه الياقوته فلما راها خر مغشيا عليه فاحتوشتني الخدمة وداروا بى فلما افاق قال خلوا عنه ثم اخذ بيدى ومضي بى الى مجلسه وقال يا اخى ما فعل الله بصاحب هذه الياقوته فقلت له مات

جعفر الصادق اكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله او فعل ذلك آدم لما رغبت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولدله بنت فسماها عناق فبغت وهى اول من بغي في الارض فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولدله هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة في صورة انسية وخلق لها رحما وأوحى الله الى آدم ان زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل اهبط الله الى آدم حوراء في صورة انسية وخلق لها رحما وكان اسمها تركه فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى آدم أن زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل ياأبي الست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يابني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكن آثرته على بهواك فقال له ان كنت تريد ان تعلم ذلك فقربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فتأكلها واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلها وتأكلها السباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي أيقبل مني ام لا لا يتزوج اختي ابدا وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر فى نفسه الرضا بالله والتسليم لامره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش فى غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لانه لم يكن بزاكى القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكى القلب فمازال الكبش يرتع فى الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر الى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه الى ان أتى مكة ليزور البيت فلما أراد ان يأتى مكة قال للسماء احفظى ولدى بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فأبيا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة ابيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتنكح أختي الحسناء وانكح اختك الذميمة فيتحدث الناس انك خير مني وافضل ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وماذنبى انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين (قال) عبد الله بن عمران المقتول كان اشد ولكنه منعه التحرج ان يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أى طاوعته وساعدته فقتله قال السدى لما قصد قابيل قتل هابيل زاغ هابيل في رؤس الجبال ثم اتاه يوما من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل اخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقال بعضهم على عقبة حراء وحكى محمد بن جرير الطبرى قال جعفر الصادق بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بنى آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون اين يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له فى الارض ثم القاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال ياويلتي اعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فاواري

الى رحمة الله تعالى ثم وصفت له كل ما كان منه قال فجعل الرشيد يبكى ويقول انتفع الولد وخاب الوالد ثم نادى يافلانه فجاءت امرأة كانها حورية فلما رأتني ارادت ان ترجع فقال لها الرشيد ادخلى فدخلت وسلمت فرمي لها الياقوتة فلما رأتها صاحت صيحة وغشى عليها فلما افاقت قالت ياامير المؤمنين مافعل بولدي صاحب هذه الياقوته فقال لى صف لها صفته وقص عليها قصته قال فقصصت عليها ما كان منه فجعلت تبكى وتقول ماشوقني اليك ياقرة عيني ليتني ما كنت اسقيك اذلم تجد ساقيا وانيسك اذلم تجد مؤنسا ثم بكت بكاء شديدا فقال لى امير المؤمنين ياأخى هذا ولدي كان معي قبل ولايتى هذا الامر فكان يتردد على العلماء ويجالس الصلحاء فلما وليت هذا الامر نفر عني وتباعد مني فقلت لامه هذه ان ولدك انقطع الى الله سبحانه وتعالى فلا بد ان تصيبه الشدائد ومكابدة الاحزان فادفعى اليه هذه الياقوته لينتفع بها عند الاحتياج اليها فدفعتها له فحرمت عليه ان يمسكها فغاب عنا حديثه الى ان

سوأة أخي فاصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى عن الازرعي قال حدثني المطلب عبد الله بن المخزومي لما قتل بن آدم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه اين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده ابدا (وعن) الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجرة وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه ومر الماء وأغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته في ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بني انك وصيي فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر في المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل اذاق الموت هابيل * فوا حزنا لقد فقد المليح
ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها رنين * لهابيلها وقابلها يصيح
لقتل ابن النبي بغير جرم * فقلبي عند قتلته جريح
وجاورنا لعين ليس يفني * عدو لا يموت فنستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس بالثمن الربيح
وما يغني البكاء عن البواكي * اذا ما المرء غيب في الضريح
فابك النفس وانزل عن هواها * فلست مخلدا بعد الذبيح

فاجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما

تنح عن البلاد وساكنيها * ففي الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء * وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري * الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحي * بكفك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن ابي الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم اتى فقيل له حياك الله واضحكك ولا ابكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين

رمى لنا دنيانا واتقي الله تعالى تقيا نقيا ثم قال يا اخي ارني قبره قال فخرجت به الى قبره فبكى بكاء طويلا وسألني الصحبة فقلت له يا امير المؤمنين ان لي في ولدك عظة وعبرة ثم مضيت من عنده حزينا على ذلك الشاب رحمه الله تعالى ورضي عنه (وحكى عن الاصمعي رضى الله تعالى عنه انه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة والسلام فبينما انا في الطريق اذا رجل اعرابي بيده سيف عريض ورمح طويل كان يقطع بهما الطريق لاخذ اسباب المسلمين واموالهم فلما دنا مني اراد ان ياخذ ثيابي فاسرعت نحوه وسلمت عليه فرد على السلام ثم قال من ابن الرجل فقلت له فقير وعابر سبيل فقال ماصناعتك فقلت اقرأ القرآن واعلمه لاطفال المسلمين فقال وما يكون القرآن فقلت كلام الله عزوجل فقال اوالله كلام فقلت له نعم فقال الاعرابي فانشدني من كلامه بيتا قال الاصمعي فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم وفي السماء رزقكم وما توعدون فرمى الاعرابي سيفه ورمحه وقال تبا لقاطع طريق

ولدله شيث وتفسيره هبة الله يعني انه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وانزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من راه فاخذ بيد أخته اقليم وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فاتى اليه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر بواحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى اباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى يدي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل شيث عليه السلام والله اعلم

(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره ان يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بتزويج اخته اقليما فخاف عليه أيضا ان يقتله حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ماعندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به * وروي ابوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهوا وهو أضوأهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا ان تزيده أنت من عمرك فقد جف القلم باعمار بني آدم وكان عمر آدم الف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضي من عمره تسعمائة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت علي يا ملك الموت قال مافعلت بل انت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري اربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال مافعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله أكمل لآدم الف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فامر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي اول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاثة ثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم انت فصل علي ابيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم * وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار ابي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير (وروى) ابوصالح عن ابن عباس انه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت ادم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله اعلم

وخان سبيل رزقه في السماء ويطلبه في الارض ثم تاب الى الله تعالى وعاهده ان لا يعود الى ما كان فيه قال الاصمعي ففرحت بذلك الرحاشد يدا فلما كان العام الثاني خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينما انا طائف بالبيت اذ رجل عليه سيما الخير والصلاح قد اقبل نحوي وسلم علي وقال الست صاحبي بالعام الماضي فقلت نعم فقال انشدني من كلام الله عز وجل بيتا ثانيا قال الاصمعي فقرأت عليه فورب السماء والارض انه الحق مثل ما انكم تنطقون قال فرفع الاعرابي راسه وقال يا اصمعي ومالذي الجاه الي هذا القسم ثم خر مغشيا عليه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به امين (ويحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف اذ سمع اعرابيا يقول يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابي الي جهة الركن اليماني وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابي الى جهة الميزاب وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ باب فى الخصائص التى خص الله بها آدم عليه السلام ﴾

قال الاستاذ خلق الله ادم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه فى أحسن صورة واقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم والهمه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه واسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل واباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وامره بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته في الارض وعرف الملائكة فضله عليها وامن ابليس من اجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو اول حامد واول تائب واول مجتبي واول مصطفى واول خليفة الله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فبعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله اعلم

«(مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام)»

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (قال) اهل العلم باخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن برد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينين بن أنوش بن شيث بن ادم واسمه اخنوخ وسمى ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف ادم وشيث وأمه اشوت وكان ادريس اول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الي السماء على ماقاله ابن عباس واكثر الناس انه سار ذات يوم فاصابه وهج الشمس فقال يارب انى مشيت في الشمس يوما فتاذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما الذى قضيت على فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سالنى ان اخفف عنك ثقلها وحرها فاجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بيني و بينه واجعل بيني و بينه خلة فاذن الله له فكان ادريس يساله وكان مماسأله ان قال اخبرت انك اكرم الملائكة على ملك الموت وامكنهم عنده فاشفع لى اليه ليؤخر اجلى فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي فقال انا مكلمه لك وما كان يستطيع ان يفعل لاحد من بني آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه اتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة فقال له افعل لك كل شيء أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع لى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أعلمته اجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر في ديوانه فاخبره باسمه وقال انك كلمتني في انسان ماأراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال انى لاجده يموت عند مطلع الشمس قال فانى أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله مابقى من أجل ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا (قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم في زمانه فتعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن الله فى زيارته فاذن له فاتاه في صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فابى ان ياكل وفعل ذلك ثلاث ليال فانكره وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استاذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فاذن لى في ذلك فقال له ادريس لى اليك حاجة قال وماهى قال اقبض روحي فاوحي الله تعالي اليه ان اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال لى اليك حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فاذن له فى ذلك

خلفه يا كريم فالتفت الاعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ياصبيح الوجه يارشيق القد انهزأ بى لكونى اعرابيا والله لولا صباحة وجهك ورشاقة قدك اشكوتك الى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم قال فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال اما تعرف نبيك يا اخا العرب فقال الاعرابى لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما ايمانك به فقال آمنت بنبوته ولم أره وصدقت برسالته ولم ألقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اعرابى اعلم انى نبيك في الدنيا وشفيعك فى الآخرة قال فاقبل الاعرابى يقبل قدمى النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم مه يا أخا العرب لا تفعل بى كما تفعل الاعاجم بملوكها فان الله سبحانه وتعالى بعثنى لا متكبرا ولا متجبرا بل بعثني بالحق بشيرا ونذيرا قال فهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك قل للاعرابى لايغرنه كرمنا ولا حلمنا فغدا نحاسبه على القليل والكثير والفتيل والقطمير فقال الاعرابى

فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وماتريد قال تسأل مالكا يفتح لي أبواب النار حتى اردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتني النار فارني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها فتفتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذني دخل الجنة و بامري لا يخرج فهو حي هناك فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة والله أعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال تعالى واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف في مدة زوال ملك سليمان هذا ماعلم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ماملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة انسان فاتى نفرا من بني اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسي سليمان وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا له ادن فقال لا ولكني ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فاما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان واما الجهال والسفلة فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان و بيانا لبراءته فهذه قصة الآية

(وأما قصة هاروت وماروت)

فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن ادريس النبي عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء في الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ماركبت فيهم لفعلتم مثل مافعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو ماروت وعزرائيل وانما غير اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم واهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فاقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله تعالى واما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي رضي الله عنه كانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فابت

وعرضت

أو يحاسبني ربي يارسول الله قال نعم يحاسبك ان شاء فقال الاعرابي وعزته وجلاله ان حاسبني لاحاسبنه فقال صلى الله عليه وسلم وعلى ماذا تحاسب ربك يا اخا العرب فقال الاعرابي ان حاسبني ربي على ذنبي حاسبته على مغفرته وان حاسبني على معصيتي حاسبته على عفوه وان حاسبني على بخلي حاسبته على كرمه قال فبكى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ابتلت لحيته فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول لك يا محمد قلل من بكائك فقد الهيت حملة العرش عن تسبيحهم قل لاخيك الاعرابي لا يحاسبنا ولا نحاسبه فانه رفيقك في الجنة (وحكى عن عبد الرحمن بن المهذب رضي الله عنه انه قال مررت يوما بسوق الرقيق فوجدت دلالا ينادي على عبد و يقول ابيعه على عيبه فقلت للدلال ما العيب الذي في هذا العبد فقال يامولاي سله فدنوت من الغلام وقلت ما العيب الذي فيك فقال يا سيدي عيوبي كثيرة ولا ادري بايها اشهروني فقلت للدلال اخبرني ما العيب الذي في

وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله امر عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن انس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال علي رضي الله عنه والسدى والكلبي انها قالت لا تدركاني حتي تعلماني الذى تصعدان به الى السماء فقالا نصعد باسم الله الاعظم فقالت فما انتما بمدركي حتى تعلمانيه قال احدهما لصاحبه علمها فقال انى اخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا (قال الاستاذ) فعلى قول هؤلاء هى الزهرة بعينها وقال آخرون هى هذا الكوكب الاحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية بادخت يدل على صحة هذا القول ما اخبرنا به يحيي بن اسمعيل باسناده عن علي ابن ابى طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت (وقال) مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لى ارمق الكوكب يعنى الزهرة فاذا طلعت فايقظني فلما طلعت ايقظته فلما نظر اليها سبها سبا شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلقى الملكان منها ما لقيا وكذلك قال ابن عباس وانكر الاخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التى جعلها الله تعالى قواما للعباد واقسم بها فقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس وانما كانت التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجمالها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عبيد عن ابن عباس فى هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فاخبراه بامرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان (واختلف) العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من اقدامهما الى اصول افخاذهما وقال مجاهد ملء جب نارا فجعلا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكسان فى السلاسل يضربان بسياط الحديد (وروي) ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة وجوههما ليس بين السنتهما و بين الماء الا اربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن اى امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمدا الله تعالي وأظهرا الاستبشار فقال الرجل ومم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا (وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من امر السحر وما تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن اختى فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكى حتى رحمتها ثم قالت انى لاخاف ان اكون قد هلكت ثم قالت كان لى زوج غاب عنى فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتنى بكلبين اسودين فركبت أحدهما وركبت هى الآخر فلم يكن كثير حتي وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا ما جاء بك فقالت أتعلم السحر فقال انما نحن فتنة فلا

هذا الغلام فقال به داء الجنون فقلت للغلام كيف يأتيك هذا الصرع في كل سنة ام في كل شهر ام فى كل جمعة ام فى كل يوم فقال يا مولاى اذا استولى داء المحبة على القلب سرى فى الاعضاء واذا استولى على الجوارح نشر خمار المحبة على سائر الجسد فيطيش العقل بذكر الحبيب فيحدث على القلب استغراقا وعلى البدن سكونا فيعتقده الجاهل جنونا قال عبد الرحمن فعلمت ان الغلام من اولياء الله تعالى فقلت للدلال كم ثمن هذا الغلام فقال مائتا درهم فقلت ولك عشرون فوزنت له الثمن واخذت الغلام واتيت به الى الدار ثم امرته بالدخول فابى وقال ياسيدي ألك اهل فقلت نعم فقال ومن يستطع النظر الى غير محرمه فقلت له قد ابحت لك ذلك فقال معاذ الله ولكن مهما كان لك من الحوائج قضيتها وانا دون الباب قال عبد الرحمن فسكت عنه وتركته ثم اخرجت له الغذاء فقال انى صائم فلما كان الليل اخرجت له العشاء فقال انى طاو فاقام عندى فى دهليز الدار فخرجت اليه نصف الليل فوجدته قائما يصلى

تكفرى فارجعي من حيث أتيت فقلت لا قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت لا بول ففزعت فلم افعل فرجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فقلت لم ارشيئا فقالا لم تفعلي شيئا فارجعي الى بلادك ولا تكفرى فابيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت فاقشعر جلدى وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا مارأيت قلت لم ارشيئا قالا كذبت لم تفعلى فارجعى الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس امرك فقلت لا فقالا لى اذهبي الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب حتى ما اراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فمارأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء فلم اره قالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك فاذهبي فقلت والله ما أعلم شيئا ولا قالا لى شيئا فقالا لا تريدين شيئا الا كان خذى هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت افرك ففرك ثم قلت اطحن فطحن ثم قلت اخبز فخبز فلما رأيت انى لا اريد شيئا الا كان سقط في يدى فرجعت وندمت والله ياام المؤمنين مافعلت شيئا قط ولا أفعله ابدا (قال) الاوزاعي بلغني ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياجبريل صف لى النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذى بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب فى ماء الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان حلقة من السلسلة التى ذكرها الله وضعت على جبال اهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل النار وخرج لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه وقال اتبكى يامحمد وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وبكي جبريل فقال ياجبريل اتبكي وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهذا الذى منعني من اتكالى على منزلتي عند ربى فاكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء ياجبريل ويامحمد ان الله تعالى قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

(مجلس فى قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ بن برد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث عليه السلام وامه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن مخوئيل بن أخنوخ ارسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفى نسائهم دمامة وكان فى نساء السهل صباحة وفى الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم اوصى ان لا يناكح بنو شيث بني قابيل فجعل بنو شيث آدم فى مغارة وجعلوا عليها حفاظا لئلا يقربه احد من اولاد قابيل وكان الذى ياتونه ويستغفر لهم بنى شيث فقال مائة من بنى شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بنى قابيل فهبطت المائة الى نساء السهل صباح

ولم يشعر بي فلما فرغ من صلاته سجد وبكى بكا شديدا فسمعته يقول في مناجاته الهى اغلقت الملوك ابوابها وبابك مفتوح للسائلين * الهى غارت النجوم ونامت العيون وانت الحى القيوم الذى لا تاخذك سنة ولا نوم * الهى فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وانت حبيب المجتهدين وانيس المستوحشين * الهى ان طردتني عن بابك فالي باب من ألتجئ * الهى ان قطعتني عن جنابك فالى جناب من التجئ * الهى ان عذبتني فانى مستحق للعذاب والنقم وان عفوت عني فانت اهل الجود والكرم ثم جلس ورفع يديه وبكى وقال ياسيدى لك اخلص العارفون وبفضلك نجا الصالحون وبرحمتك اناب المقصرون ياجميل العفو اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فان لم اكن اهلا لذلك فانت اهل لذلك يامن هو اهل التقوى واهل المغفرة قال عبد الرحمن فدخلت موضعي ولم اشوش عليه فلما اصبح الصباح خرجت اليه وسلمت عليه وقلت له كيف نمت البارحة فقال ياسيدي او

اتوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ماشاء الله فقال مائة اخرى لو نظرنا مافعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنوشيث كلهم فظهرت المعصية وتنا كحوا واختلطوا وكثر بنوقابيل حتى ملؤا الارض واكثروا الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهوابن خمسين سنه فلبث فيهم الف سنة الاخمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى و يخوفهم باسه و يحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله رب انى دعوت قومى ليلاونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين (وروى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد ثم يلقي في بيته فيرون انه قدمات ثم يخرج فيدعوهم حتى أيس من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل و معه ابنه يتوكا على عصا فقال يابني انظر الى هذا الشيخ اياك ان يغرك فقال ياابت مكنى من العصا فاعطاه العصا فقال ضعني في الارض فوضعه فمشى اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قدترى مايصنع بى عبادك فان لم يكن في عبادك حاجة فاهدهم وان لم يكن غيرذلك فصبرني الى ان تحكم بيني و بينهم وأنت خيرالحاكمين فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قدآمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فايسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق فى اصلاب الرجال ولا ارحام النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصونى الآية الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا وهى اسماء اصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا ودمارا فاجاب الله دعاءه وامره ان يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الآية قال نوح يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء حتى اغرق اهل المعصية واريح ارضي منهم قال نوح يارب اين الماء قال يانوح انى على ما أشاء قدير قال نوح يارب واين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج وأتى على ذلك اربعون سنة وكف فى تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فاعقم الله تعالى ارحام نسائهم فلم يولد لهم ولد فلما أدرك الشجر امره ربه ان يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يارب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله ازور على ثلاثة صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها مطبقة واجعل ابوابها فى جنبيها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب و يضرب الحديد و يهيئ عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو فى عمله فيسخرون منه و يقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون الا ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء و يضحكون منه وذلك قوله تعالى و يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فيقول نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم واوحى الله الى نوح ان عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبى على من عصانى فاستاجر نوح اجراء يعملون معه وأولاده سام وحام و يافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها وشدها بالدسر وهي مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر وفجر الله له عين القار بجنب السفينة تغلى غليانا حتى طلاها به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه ان احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران

ينام من يخاف النار والعرض على الملك الجبار والتوبيخ غدا على الذنوب والاوزار ثم بكا بكاء طويلا فقلت له انت حر لوجه الله تعالى فبكى وقال ياسيدي كان لى اجران اجر العبودية واجر الخدمة وقد ذهب عني احدهما اعتقك الله من حر نار جهنم قال عبد الرحمن فدفعت اليه نفقة فابى قبولها وقال ان المتكفل بالارزاق حى لا يموت ثم خرج هائما على وجهه لا ادري اين ذهب رضى الله تعالى عنه * واشوقاه الى ارباب القلوب واحسرتاه على فوات المطلوب * يامحبوسا فى سجن الغفلة لو اشرفت على وادي الدجى لرأيت خيام القوم مضروبة على شاطىء بحر كانوا قليلا من الليل مايهجعون واسمعت اطيار اشجانهم على اغصان احزانهم تترنم بالحان و بالاسحار هم يستغفرون لذلهم السهر وصفا وقتهم من الكدر وخلوا بالمحبوب وفازوا بالمشاهدة والنظر شعر

هذا الحبيب مع المحبوب قد حضرا
وساع الكل عمدا قد مضى وجرى
وقد ادار على العشاق خمرته
صرفا يكاد سناها يخطف

التنور آية بينه و بين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور فار فاركب انت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور راى عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الاية (واختلف) العلماء في قوله تعالى وفار التنور قال على بن أبي طالب رضى الله عنه يعني طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمي وجه الارض تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذى يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته واختلفوا في موضعه فقال مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة (وروى) السدي عن الشعبي انه كان يحلف بالله ما فار التنور الا في ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام في موضع يقال له عين ورد وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من انواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر اربعين يوما وليلة فاقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين اصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك ياعدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج ياعدو الله قال ما أخرج وما كان بذلك ان تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سليمان الهروى ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلايا فلا احملكما قالا احملنا ونحن نضمن لك ان لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه (عن وهب بن منبه) قال لما امر الله تعالى نوحا ان يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف اصنع بالاسد والبقر وكيف اصنع بالعناق والذئب وكيف اصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال انت يارب قال فانا أؤلف بينهم حتى لا يتضاروا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الاولى فالقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * لعمرك ما المحموم وما سوى الاسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة العليا شفقة عليها الثلا يقتلها شىء * واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى واهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد ان ترسو السفينة قال بسم الله فرست واذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام و يافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فاصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاء بالسودان (قال الكلبي) أمر نوح ان لا يقرب ذكر انثي مادام في السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوي نسائهم وهم نوح و بنوه سام وحام و يافث وستة اناث ممن كانوا آمنوا معه وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته و بنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم

نساء

البصرا
ياسعد كررلنا ذكر الحبيب لقد
بليت اسماعنا يامطرب الفقرا
ماركب الحمى مالت ومعاطفه
لاشك ان حبيب القوم قد حضرا
وعندذا تنظر الاعلام قد رفعت
يؤمهم علم الوصل قد نشرا
فمجلس الانس للمحبوب يجمعه
والكاس قد دار فيما بينهم سحرا
ومن سقاهم تجلى لاشبيه له
حاشاه يشبه شمسا ولا قمرا
ومن اتاه فقير الامر دله
سواه يكتبه من جملة الفقرا
هذا السماع الذى تشفى الصدور به
هذا الحبيب الذى قد حيرا الفكرا
صوفية عند ماضاقت صدورهم
ازال عنهم جميع الشك والكدرا
(وحكى عن محمد بن الفضل رضى الله تعالى عنه انه قال) رأيت شابا راقدا على الارض وقد افترش التراب تحته وهو يئن انينا شديدا فقلت لصاحبى اعدل بنا اليه فلعله عليل فقال ماهذا عليل هذا من المحبين وفى الظاهر انه من المجانين فقلبه بحب مولاه

نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معرضا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخل وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر وأمطرت السماء كافواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر يعني التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء و ينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء و بين احتمال الماء الفلك اربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح وكان في معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الي جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد كنعان الجبال انها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك انها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتي استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعته بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله احدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا وقد رفع الله البيت الذى كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودى وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه قال مجاهد تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها الماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودى فلم يغرق فارست السفينة عليه فذلك قوله تعالي واستوت على الجودى (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد باد ما على وجه الارض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والاشجار فلم يبق شيء من الحيوانات الا نوح ومن معه فى الفلك والاعوج بن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أى هلاكا قال ابن عباس كان عوج يحتجز بالسحاب و يشرب منه من طوله و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم ياكله فقال لنوح احملني معك فقال اخرج يا عدو الله فاني لم أؤمر بحملك وأطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتي عوج بن عنق فلما استوت السفينة على الجودى قيل يا أرض ابلعى ماءك اي انشفى ويا سماء اقلعي اى احبسى ماءك وغيض الماء اى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التى في الارض لانها آخر ما بقى في الارض من ماء الطوفان و بقى في الارض اربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسي بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتي انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسي أهكذا هلكت قال لا بل مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب اوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث

مفتون وهو يعرف بعبيد المجنون قال فتقربت اليه فاذا هو شاب نحيف الجسم وعليه جبة من صوف بالية وهو يقول عجبا لمن ذاق حلاوة محبته كيف ينقطع عن خدمته ثم لم يزل يردد القول حتى غشي عليه فقلت لصاحبي والله ما هو بمجنون وانما المجنون الذي لا يصل الى هذا المقام فلما أفاق من غشيته قال ما بالكم تنظرون الى فقلنا الك دواء يشفى من الداء الذى تجده فقال الذى ابلي بالداء عنده الدواء ولكن الذى يتداوي يحتمى قلنا بماذا يحتمي قال بترك الحرام وتجنب الآثام ومراقبة الملك العلام والتهجد بالليل والناس نيام ثم بكى بكاء طويلا وبكينا معه فقلنا له نحن أضيافك فادع لنا فقال لست من خيل هذا الميدان فاقسمنا عليه فقال جعل الله قراكم المغفرة ومثواكم الجنة وجعل ذكر الموت مني ومنكم على بال قال فانصرفنا عنه وقد عجبنا من استواء لفظه وعاشت قلوبنا بكلامه ووعظه يا هذه حالة المجانين من حب الحبيب فكيف بك ايها العاقل اللبيب يدعوك مولاك فلا تجيب ويستحضرك فى حضرة قربه وانت في

فاكلاه فلما كثرت الفأر في السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك انه توالد في السفينة اوحى الله تعالى الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفأر فاكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد يبست قال بعث نوح غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم ان البلاد قد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها ان تكون في انس وامان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله الا ننطلق به الى اهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا * قال اهل الاثار بعث ارسل الله الطوفان لثلاثة عشر يوما خلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتتمة الفي سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن اهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء واقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وامر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر الى الماء فامروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه ابدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ في ناحية من ارض الجزيرة موضعا وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق ثمانين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره الف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو في التوراة وقال عون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان الف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح الفا وثلثمائة سنة (ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة اوصى ابنه ساما وجعله ولي عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره فقال يا بني اوصيك باثنتين وانهاك عن اثنتين فاما اللذان انهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر واما اللذان أوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جمعت السموات السبع والارضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيها واوصيك بسبحان الله فانها صلات الخلق وبها يرزقون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمي بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان اول نبي من أنبياء الشريعة واول داع من الله تعالى واول نذير عن الشرك واول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى اوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وامرتهم بطاعتي فانتهكوا معصيتي فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقي فحلفت اني لا أعذب مثل هذا العذاب أحدا من خلقي ابدا ولكن اجعل الدنيا دولا بين عبادي ثم اجزيهم باعمالهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له اكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من

الرسل

المغيب الى متى انت تضيع عمرك وما نلت منه نصيب اللهم تب علينا ووفقنا لطاعتك يا مجيب (وحكى عن محمد بن ابى الفرج رضى الله تعالى عنه انه قال) احتجت في شهر رمضان الى جارية تصنع الطعام فرأيت في السوق جارية ينادي عليها بثمن يسير وهي مصفرة اللون نحيلة الجسم يابسة الجلد فاشتريتها رحمة لها واتيت بها الى المنزل فقلت لها خذي أوعية وامضي معي الى السوق لنشتري حوائج رمضان فقالت يا سيدي انا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلمت انها من الصالحات فكانت تقوم الليل كله في شهر رمضان فلما كانت ليلة العيد قلت لها امضي بنا الى السوق لنشتري حوائج العيد فقالت يا مولاي اى حوائج العيد تريد حوائج العوام أم حوائج الخواص فقلت لها صفي لي حوائج العوام وحوائج الخواص فقالت يا سيدي حوائج العوام الطعام المعهود في العيد وحوائج الخواص الاعتزال عن الخلق والتفريد والتفريغ للخدمة والتجريد والتقريب بالطاعة للملك المجيد والتزام ذل العبيد فقلت لها انا

الرسل في الدعوة مثل مابالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم وانواع الاذي والجفاء مالقى فلذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثاني المصطفى صلى الله عليه وسلم في الميثاق والوحى قال الله تعالى واذأخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفي البعث هو اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه واجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا واكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك الآية (قال) محمد بن كعب القرظى دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر واصل النسل (وروي) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك وياجوج وماجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام ان لا يعدو اشعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيدا لولد سام ويافث ولما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده اثلاثا فجعل لسام وسط الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين فيسون الى شرقى النيل وما بين مجري الجنوب الى مجرى الشمال وجعل غربى النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وماوراءه الى سيحون الى مجري ريح الدبور وجعل قسم يافث من فيسون فماوراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى والى عاد اخاهم هودا الى تتقون وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر اخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها رمل عالج وهو ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وكثروا وقهروا اهلها لفضل قوتهم التى اتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والعامة مالم يعط غيرهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة أى عظما وطولا وقوة وشدة (قال) ابوحمزة اليمانى كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعا (وقال) وهب كان رأس احدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب اوثان يعبدونها من دون الله تعالى فمنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هرد وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن أرم بن سام بن نوح* وقال محمد بن اسحق ابن يسار وهود بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد أن مضي من عمره ثلاثون سنة فامرهم هود ان يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فابوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتي أضربهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة

الطعام فقالت ياسيدى اى طعام تعني طعام الاجساد أم طعام القلوب فقلت لها صفيهما لى فقالت اما طعام الاجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القلوب فترك الذنوب واصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المطلوب وحوائجه الخشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع الى المولى والتوكل عليه فى السر والنجوى ثم انها قامت تصلى فقرأت فى الركعة الاولى سورة البقرة الى آخرها ثم شرعت فى آل عمران الى آخرها فلم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت الى سورة ابراهيم الى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال فلم تزل تكرر هذه الاية وتبكى الى ان اغمي عليها وسقطت الى الارض فحركتها فاذا هى ميتة رحمة الله تعالى عليها (وحكى عن الاصمعى رضى الله تعالى عنه انه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج علينا أسد عظيم هائل المنظر فقطع عن الركب الطريق فقلت لرجل بجانبي أمافى

عارف بحرمتها ومكانتها عند الله تعالى واهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن سام ابن نوح وكان سيد العماليق اذذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الجبيري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد جهدوا وقالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعبيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما كتم اسلامه وجلهمة بن الخبيري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالى وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ما أدرى كيف أصنع بهم فاستحيى ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مني بمقامهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا له قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يمنحنا غماما
فتسقى ارض عاد ان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجوا * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهموا بخير * فقد أمست نساؤهموا عيامى
وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا يخشى لعادي سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركموا وليلكموا تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض ياقوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك فقال جلهمة ابن الخبيري خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام

أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وامك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وابيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتي ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله بشيء مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطني سؤلى وحدى ولا تدخلني في شيء مما يدعوا به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد وقد أمرهم أن يأمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك وأجعل سؤلنا مع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم انى جئتك وحدي فى حاجتى فاعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقي اللهم لم أجىء لمريض فاداويه ولا لاسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت

هذا الركب رجل يأخذ سيفا يردع هذا الاسد فقال اما رجل فلا أعرف ولكنى اعرف امرأة ترده من غير سيف فقلت وأين هى فقام وقمت معه الى هودج قريب منا فنادى يا بنية انزلى وردى عنا هذا الاسد فقالت ياابت ايطيب قلبك ان ينظر الى الاسد وهو ذكر وانا انثي ولكن قل له ابنتى فاطمه تقرئك السلام وتقسم عليك بالذي لا تاخذه سنة ولا نوم الا ما عدلت عن طريق القوم قال الاصمعى فو الله ما استتمت كلامها حتى رأيت الاسد ذاهبا أمامنا * هذه والله دلائل الصالحين وامارة العارفين نفعنا الله تعالى بهم آمين (وروى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه) انه رأى جارية فى البادية وهى تمشي وتفرح وليس معها احد فقال من اين اقبلت فقالت له من عند الحبيب قال والى اين تريدين قالت الي الحبيب قال فما تستوحشين وحدك في هذه البرية فرفعت صوتها ونادت باعلاه يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير ثم قالت يا بطال من

تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحائب ثلاثا واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه مناد من السحاب الا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه المنادى يقول اخترت يا قيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا الاولدا تتركه ولا والدا الا جعلتهم رمما همدا الا بنو اللو يدة المهداو بنو اللويدة رهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بامر ربها أى كل شيء مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رايت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرا) الحسن بن محمد بن الحسين انبأنا محمد بن جعفر انبأنا الحسن بن علوة انبأنا اسمعيل بن عيسى انبأنا اسحق بن بشر اخبرنى المثنى بن الصباح عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال اوحى الله تعالى الى الريح العقيم ان تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على منخر ثور حتى رجفت الارض ما بين المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليها ان ارجعى فاخرجي على قدر خرمة الخاتم وهي الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما اى دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا اهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها من عاد لظعن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدى بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الي الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما اهلكهم الله تعالى ارسل عليهم طيورا سودا التقمتهم في البحر فالقتهم فيه (قال) ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كانهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان قال الى الجبل فاخذ بجانب منه فهزه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه * يالك من يوم دهاني امسه

ثبات الوطء شديدا بطشه * لو لم يجئني جئته وحبسته

فقال له هود ويحك يا خلجان اسلم تسلم فقال له مالى عند ربك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين اراهم فى السحاب كانهم البخت قال هود ذلك الملائكة قال اذا اسلمت ايقيدنى ربك منهم اقومي قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل مارضيت فجاءت الريح فالحقته باصحابه واهلكته وافنى الله عادا سوي من بقي من قومهم بمكة ونواحيها (اخبرنا) الحسين بن محمد الدينورى اخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السني أخبرنا ابو يعلى الموصلى اخبرنا اسحق بن أبى امرائيل وعبيد الله بن عمر القوارير ى أخبرنا جعفر بن سليمان الضبيعي اخبرنا فرقد السبخى عن عاصم عن عمرو البجلى عن ابى امامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم

استأنس بالله استوحش مما سواه ومن طاب رضاه صبر على قضاه ثم غابت عني فلم ارها رضى الله تعالى عنها (وحكى عن السري السقطى رضى الله تعالى عنه انه قال) ارقت ليلة من الليالى فلم أستطع الغمض فقلت فى نفسي اخرج الى المقابر لعلى اعتبر برؤية القبور والتفكر فى البعث والنشور فيزول همي وغمي فخرجت اليها فما وجدت قلبي منشرحا لديها فقلت ادخل الاسواق لعلى باختلاط الناس يزول عنى الباس فلم اجد ذلك فلم انشرح قلبي هنالك فقلت أدخل المارستان وانظر الى المرضي والمجانين والى افعالهم لعلى اعتبر باحوالهم فدخلت اليه فوجدت قلبي مقبلا عليه فقلت الهى وسيدى الي ههنا سيرتنى ولاجله من منامى ايقظتني فنوديت فى سرى ما اتينا بك الى هذا المكان الا ولنا فيه نبأ وشان قال السرى فتقدمت الى مكان المجانين فرأيت فيه جارية مصفرة اللون متغيرة ويداها مغلولتان الى عنقها وهى مشغولة بذكر الله تعالى قال السرى فقلت للقيم على المجانين ماشأن هذه الجارية فقال جارية اختل عقلها فحبسها

خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببني فلان وليرسلان عليهم الريح العقيم التي اهلكت عادا بشربهم الخمر واكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبيناهم عنده اذا اقبل رجل على ناقته في ليلة مقمرة من امصار عاد فاخبرهم بهلاك عاد فقالوا له اين فارقت هودا واصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنور بن يعفر ابن أخي معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتكم مناكم فاختاروا لانفسكم فقال مرثد اللهم اعطني براوصدقا فاعطى ذلك وقال قيل اختاران يصيبني ما أصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فاصابه الذى اصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يارب اعطني عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر لا يمسها القطر او عمر سبعة انسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستحقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر سبعة أنسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى اذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى اتى الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن اخ للقمان ياعم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبدا لم ينهض مع النسور قام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهنا لم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل رأى نسره لبدا واقعا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل اتى ابد على لبد وقال النابغة الذبيانى

أضحت قفارا واضحى اهلها احتملوا * أخنى عليها الذى اخنى على لبد

وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذى اخبر بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا ماتبلهم السماء
وسيروفدهم شهرا ليسقوا * فاردفهم مع العطش العماء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
الا نزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء
من الرب المهيمن اذ عصوه * وماتغني النصيحة والشفاء
فنفسي وابنتاى وام ولدى * لنفس نبينا هود فداء
اتانا والقلوب مصميات * على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود * يقابله صدى والهباء
* فابصره الذين له أنابوا * وادرك من يكذبه الشقاء
وانى سوف الحق من آل هود * واخوته اذا جن المساء

ثم انه لحق بهود ومن آمن معه وبقى هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال ابو الطفيل عامر ابن وائلة سمعت عليا رضى الله عنه يقول لرجل من اهل حضرموت هل رأيت كثيبا احمر يخالطه مدرة حمراء واراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا امير المؤمنين انك لتنعته لى نعت رجل قد رآه قال لا ولكنني قد حدثت عنه فقال الحضرمى وماشأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام أخبرنا ابو عمرو أحمد بن أبى العرابى أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام

مولاها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وانشدت تقول هذه الابيات شعرا

معشر الناس ماجننت ولكن
انا سكرانة وقلبي صاحى
قد غللتم يدى ولم آت ذنبا
غير هتكى في حبه وافتضاحى
انا مفتونة بحب حبيب
لست ابغي عن بابه من براح
فصلاحى الذي رأيتم فسادي
وفسادى الذي رأيتم صلاحي

قال السري فلما سمعت كلامها اقلقني وابكانى وهيج لوعتى واشجانى فلما رأت دمعي ينحدر على وجهى قالت ياسرى ماجهلت منذ عرفت ولا فترت منذ خدمت ولا قطعت منذ وصلت ولا حجبت منذ وقفت واهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا قال السرى فقلت لها ياجارية اراك للمحبة تذكرين وللتوحيد تظهرين فلمن تحبين فقالت لمن تعرف علينا باكرامه وتحبب الينا بانعامه وجاد علينا بجزيل عطائه فهو قريب الى القلوب مفرج للكروب حليم على من عصاه مجيب لمن دعاه قال

أنبأنا الفضل بن يحيي الجندى أنبانا يونس بن محمد أنبانا يزيد بن ابى حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط انه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام فى تلك البقعة (وفي رواية اخري) كان النبي من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتى مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله اعلم

﴿ مجلس فى قصة صالح عليه السلام ﴾

قال الله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا وهو ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس واراد ههنا القبيلة قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمودا لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ماذكره محمد بن اسحق بن يسار والسدى والكلبي ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم فى بعض ان عادا الاولي لما اهلكهم الله تعالى وانقضي امرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا فى الارض فحلوا فيها فكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبني المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا فى الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والي عبادته فلم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح الدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه ان يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال الاهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أى آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه باصنامهم فى يوم معلوم من السنة فتدعوا الهك وندعوا الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح فى شىء مما يدعوا به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود ياصالح اخرج لنا من هذه الصخرة يعنى الصخرة المنفردة عن الجبال في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ماشاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فاخذ عليهم صالح الميثاق انه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود ان يؤمنوا بصالح و يتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم و رياب بن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فاراد ان يسلم فنهاه أولئك الرهط فاطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهمت ان تجيب لواجابا
لاصبح صالح فينا عزيزا * وماعدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها فى ارض

السرى فقلت من حبسك في هذا المكان فقالت حاسدون مبغضون تعاونوا على ورموني بالجنون وهم أحق بهذا الاسم مني وانشدت تقول

يامن رأي وحشتي فانسني
بالقرب من وصله فانعشني
ياما كني لاخلوت من سكني
دهري وياعدتي على الزمن
اوحشني مافقدت منه فقد
عاد باحسانه يقربني
وجادا يضا على متعطفا
كذاك قد كنت حين عرفني
حسبي من الكون من شغفت به
اصحبه مؤنسا ويصحبني
وكنت في غفلة فنبهني
وكنت في رقدة فايقظني

قال السرى فقلت لها ما الاسم فقالت دع الاسم يكفيك فاسمعت يغنيك فبينما نحن كذلك اذاقبل سيدها فقال الموكل عليها أين بدعة فقال قد دخل عليها الشيخ السرى فكلمها بكلام اصغت اليه فدخل سيدها فرأى السرى عندها فعظمه وقبل يده وقال ياسيدى لقد رحمت ببركتك فقال له اي شىء انكرت منها فقال ياسيدي هذه جارية كانت تضرب بالعود فاعجبتني

ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترتفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتتفحج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ما شاؤا فيشربون ويدخرون ويملؤن اوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذى وردت منه لانها لا تقدر ان تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال ابو موسى الاشعرى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤ وقدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادى فتهرب منها اغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادى فى حره وجدبته فكانت كل المواشى تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة فى بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى في البرد والحدة فضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار فكان مراتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا في عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مخلد وتكنى أم غنم وهى من بنى عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانت هاتان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا يحبان الدار فى عقر الناقة من كفرهما بصالح عاضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من اصحاب صالح عليه الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فابت عليه واخذت أولادها فغيبتهم فى بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردى على أولادي فلما الح عليها قالت حتى احاكمك الى بني عمي وذلك ان بنى عم زوجها كانوا مسلمين فابت ان تحاكمه اليهم فقال لها وعمها والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا في عقر الناقة للشقاء الذى كتب عليهما فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب فامرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا واكثرهم مالا واحسنهم كمالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من اهل قدح واسم امه قديرة وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا ويزعمون انه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له يا قدار اعطيك من بناتى اية شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها رجل عزيز في قومه مثل ابى زمعة قالوا فانطلق قدار ومصدع فاستعانوا بغواة من ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيهم هديات بن مبلع خال قدار ومن عزيزا من اهل الحجر وزعر بن غنم بن داعرة اخى مصدع وخمسة لم نذكر اسماؤهم فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا فى هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا اولادهم وولد للعاشر ابن فابى ان يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر ازرق احمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل اولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فيرى الناس انا

فشريتها بجميع مالي وهو عشرون الف درهم لفرط حسنها وحسن ضربها بالعود واملت ان اربح فيها مثل ثمنها فدخلت عليها فى بعض الايام والعود في حجرها وهي تغني وتنشد هذه الابيات شعرا

وحقك ما نقضت الدهر عهدا
ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحى والقلب وجدا
فكيف اقر يا سكنى واهدا
فيا من ليس لى مولى سواه
لقد صيرتنى في الناس عبدا

قال فلما فرغت من غنائها بكت بكاء طويلا ثم ضربت بالعود في الارض فكسرته وجعلت تهيم وتصيح وهى ذاهلة العقل فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم كشفت عن حالها فلم أجد لذلك أثرا قال السرى فقلت لها يا جاريه اهكذا جرى عليك فاجابته بهذا الكلام تقول شعرا

جاذبنى الحق من جنانى
وكان وعظى على لسانى
قربني منه بعد بعد
وخصني منه واصطفانى
اجبت لما دعيت طوعا
ملبيا للذي دعانى
وخفت مما جنيت فيه
ما يوقع الحب بالامانى

قال السري فقلت لسيدها أطلقها وعلى دفع ثمنها

قد خرجنا لسفر فنأتي الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم نرجع الي الغار فنكمن فيه ثم ننصرف بعد ذلك الي رحالنا فنقول ماشهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا و يظنون انا قد خرجنا الي سفر وكان صالح لاينام الليل معهم في القرية وكان يأوي الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه في الليل فاذا اصبح اتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار واضمروا انهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الغار فاذاهم رضخ فرجعوا يصيحون في القرية ياعباد الله ماقنع صالح ان أمرهم بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجمع اهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطؤا على اصحابهم اتى اصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لاتقتلونه أبدا فقد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الاغضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ماتريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك (قال) السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدارا وكان يشب في كل يوم شباب غيره في الجمعة و يشب في الجمعة شباب غيره في الشهر و يشب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كنا نأخذ الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه انعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم ان اعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان اتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لانطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها اطعناكما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع واصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتي صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل شجرة اخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقيها وخرجت أم غنم وعنيزة وامرت ابنتها وكانت من أحسن النساء وجها فتراءت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فارادها وطعن في لبتها فنحرها وخرج اهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوء وقيل اسمه قارة وروي ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له ادرك ناقتك فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه و يعتذرون اليه و يقولون يانبي الله انما عقرها فلان ولاذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فاوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء حتي ماتناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا

فصاح سيدها وافقراه من اين لك ثمن هذه الجارية قال السري فقلت لاتعجل وامكث في هذا المكان حتى آتيك بثمنها قال السري فمضيت الي منزلي وعيناى تذرفان بالدموع وقلبي بسبب حبها مودوع وصرت اتضرع الى الله تعالى واتوجه اليه واتوكل في قضاء حاجتي عليه فبينما انا كذلك اذا قارع يقرع الباب فقلت من بالباب من حبيب من الاحباب فنظرت فاذا هو شاب من احسن الناس وجها ومعه خادم على رأسه خمس بدر فقلت من انت يرحمك الله فقال احمد بن المثنى قد اعطاني الجبار جل جلاله وما بخل على بعطائه ورزقني من الاموال مايعجز عن حمله الرجال فبينما انا نائم اذ هتف بي هاتف من قبل الله عز وجل فقال يا أحمد هل لك في معاملتنا فقلت وقد زال النوم عني ومن اولي بذلك مني فناداني ان احمل الى الشيخ السري خمس بدر يعطيها لمولى بدعة ليفك اسرها من الرق ويحظى منها بالعتق فلنا بها عناية ولطف ورعاية فحملت اليك هذا المال واطلعتك على الحال قال السري فسجدت شكرا لله تعالي واخذت بيد احمد

في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع واخوه ذؤاب ولدمهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله والقوا لحمه مع لحم امه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وفيه يقول الشاعر

أؤمل ان اعيش وان يومي * بأول او بأهون او جبار
أو المردى دبار فان افته * فمؤنس أو عروبة او شبار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غرة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فاصبحوا يوم الخميس ووجوهكم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنوغنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى اباهدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على اصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يانبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك افندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فاتوا اباهدب فكلموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما انزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا ان العذاب واقع بهم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين اظهرهم وخرج معه من آمن به حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت اكفانهم الانطاع ثم القوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم ينج منهم الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجليها بعدما عاينت العذاب أجمع فخرجت كاسرع شيء يكون حتى اتت قرحا وهو وادي القرى حد ما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينت من العذاب وما اصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت (وروى) ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم ثم قال أما بعد فلا تسئلوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل

ومضينا الى المارستان واذا بالموكل عليها يلتفت يمينا وشمالا فلما رآني قال مرحبا ادخل عليها فانها لها ما تقولها عند الله حرمة ومكانة قال فدخلنا عليها فسمعناها تقول شعرا

قد تصبرت الى ان
عيل في حبك صبري
وكتمت الوجد لكن
ليس يخفى فيك امري
ان تكن عني راض
لا أبالي طول دهري
أنت لي خير انيس
يامناي سؤلي وذخري
من برد يعتق رقي
ويفك اليوم اسري
غيرك اللهم ربي
انت لي كاشف ضري

قال فبينما هي تنشد اذ اقبل مولاها وهو يبكي وينتحب قال السري فقلت له لا باس عليك قد اتيناك بالذي وزنته في الجارية بربح خمسة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح عشرة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح المثل فقال لا والله ولو اعطيتني الدنيا بما فيها لما قبلت منها شيأ ولكن هي حرة لوجه الله تعالى قال السري فقلت له اخبرني ما الخبر فقال يااستاذي اتاني البارحة آت في النوم وبخني في المنام واغاظ علي في الكلام وقال تهين

حين ارتقي في الغار فمتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك الله تعالى من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابورغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله تعالى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج اصابه ما اصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب واراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم و بحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن من الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه واسرع السير حتى جاوز الوادى وقال اهل العلم توفى صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعد ما اهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد اقام في قومه عشرين سنة (اخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون (قال) اخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن ابيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على اتدري ما اشقى الاولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال يا على اتدرى من اشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك والله اعلم

(مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ)

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام ابن نوح وكان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالقبطية الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم

(الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام)

اختلف العلماء في الموضع الذى ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من ارض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من ارض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذى كان به نمرود من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن ابوه نقله الى ارض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان و بين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاث آلاف وثمانمائة وسبع وثلاثين سنة ونمروذ الذى ولد في ملكه ابراهيم وهو نمروذ بن كنعان بن سنجار يب ابن كورش بن حام بن نوح (وفي الحديث) ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ و بختنصر وكان نمروذ أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدى رأى نمروذ في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك اهل بيتك على يديه قال فامر نمروذ بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلى بينه و بينها اذا أمن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام (وقال) محمد بن اسحق بعث نمروذ الى كل امرأة

وليه لنا يا عبد والله فانتبهت مرعوبا وقد هانت على الدنيا وخرجت عن جميع ما أملكه لله تعالى وانا هارب اليه عسى ان يقبلني ثم بكى وخرج على وجهه هائما قال السرى فالتفت الى احمد بن المثنى فوجدته يبكى و ينتحب ودموعه تجرى على خده وقد ظهرت آثار القبول عليه فقلت ما يبكيك يا احمد فقال ما رضيني مولاى الى ما ندبني اليه ولا وجدت لمالى قبولا بين يديه أشهدك انى قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله تعالى قال السرى فقلت ما كان اعظم بركات بدعة على الجميع ثم قامت بدعة ونزعت جميع ما كان عليها ولبست جبة من صوف وخمارا من شعر وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهي تنشد وتقول شعرا

هربت منه اليه
بكيت منه عليه
وحقه وهو مولي
لا زلت بين يديه
حتى انال وأحظى
ماقد رجوت اليه

(قال السروى) فما زلنا نتبعها حتى خرجت الى ظاهر المدينة وهي تنشد و تقول هذه الابيات شعرا

حبلى بقريته فخبئها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها (وقال السدى) خرج نمروذ بالرجال الى المعسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود ان يكون فمكث كذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها احدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لى اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم ابعثك الا لثقتي بك فاقسمت عليك الا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر انا أشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الي أهلى فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتي وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان للنمروذ ان الغلام الذى اخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فامر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته في حلفاء ورجعت فاخبرت زوجها بابنها وانها قد ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه (قال السدي) لما عظم بطن ام ابراهيم خشي آزر ان يذبح فانطلق بها الى ارض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فانزلها فى سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من اصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام فى ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة اسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه ان له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلة الي مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام واصلحت من شانه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال ابو زريق كانت ام ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لانظرن الي اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل ام ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى ابيه آزر فاخبره انه ابنه واخبرته بما كانت صنعت فى شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

(الباب الثانى في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الي قومه
ومحاجته اياهم فى الدين والقائهم اياه في النار وما يتعلق بذلك)

(قال اهل العلم) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارأيت الغلام الذى يحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال لها فاتاه ابوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا ابتاه من ربى قال له امك قال فمن رب امى قال انا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال له اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه اخرجانى فاخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل اباه قال ما هذا فقال هذا ابل وبقر وغنم فقال ما لهذه بد من ان يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقنى ورزقني واطعمني وسقانى لربى ما لى اله غيره ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة فى آخر شهر فراي الكوكب قبل القمر فقال هذا ربى فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا احب الآفلين

يا حبيب القلوب انت حبيبى
يا سرور السرور انت سرورى
يا حياة النفوس انت حياتى
والذى انت نور لنورى

قال السرى ثم مضت حتى غابت عن اعيننا ثم اتى مولاها وصحبني وكذلك أحمد بن المثني برهة من الزمان الى ان توفي سيدها وبقيت انا واحمد بن المثنى فعزمنا على الحج الى بيت الله الحرام فبينما نحن نطوف بالكعبة اذا بصوت مقروح يخرج من كبد مجروح وهو ينشد ويقول هذه الابيات

قد تهتكت بحبك
كيف لى منك بقربك
فترفق بفؤاد
يشتكى شدة بعدك
حيث يا نفس اذا لا
يضر ربك ذنبك
فاسألي العفو جهارا
والرضا من عند ربك

قال السرى فاتبعت الصوت فاذا بامرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال فلما رأتني قالت السلام عليك يا سري فقلت عليك السلام من انت يرحمك الله فقالت لا اله الا الله وقع التناكر بعد المعرفة انت الى الآن محجوب وقلبك مسلوب ثم قالت انا بدعة قال السري فقلت لها

فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر لانه رأي ضوأها اعظم فلما افلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين قالوا وكان ابوه يصنع الاصنام فلما ضم ابرهيم الى نفسه جعل يصنع الاصنام و يعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم عليه السلام فينادي من يشتري ما يضر ولا ينفع فلا يشتري احد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربي كسدت استهزاء بقومه و بما هم عليه من الضلالة والجهالة حتي فشى عيبه اياها واستهزاؤه بها في قومه واهل قريته فحاجه قومه في دينه فقال لهم أتحاجوني في الله وقد هدان الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتي خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا اباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ الى آخر القصة فابى أبوه الاجابة الى مادعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الارب العالمين قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا تعني نمروذ فقال لا الذى خلقني فهو يهدين الى آخر القصة ففشا ذلك في الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال يا ابراهيم أرأيت الهك الذي بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي و يميت قال نمرود انا احيي وأميت قال ابراهيم كيف تحيي و تميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فاقتل أحدهما فاكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فاتركه فاكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يري قومه ضعف الاوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة و يحتال فيه الى ان حضر عيدلهم (قال السدى) كان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه و يجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقي نفسه وقال اني سقيم اشتكى رجلي فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادي فى آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس وتالله لاكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعوها منه (وقال مجاهد) وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى افشاه عليه قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا فى البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه أصغر منه الى باب النهر واذاهم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا رجعنا وقد باركت الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر ابراهيم الى الاصنام والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم تجبه قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتي لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذي نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه انه هو الذى فعل ذلك وكرهوا ان يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من ان تعبدوا

ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الناس فقالت شعرا

افادنى كل المنى
وخص قلبي بالغني
وقد ازال سيدى
عن باطني ثقل العنا
ان لم يداركني بما
أرجو والامن أنا

قال فلما فرغت من كلامها بكت وانتحبت وهاجت واضطربت ثم رفعت رأسها وقالت ياسيدى ومولاى فاز أهل التقى ونجا من اتقى وخاب من حظه الطرد والشقا فاسالك ياسيدي الاما قربت الوصل واللقا وقد توانيت عليك فخذنى اليك فلاحاجة لى في البقا ثم صرخت ووقعت الى الارض فحركتها فاذاهي ميتة رحمة الله عليها قال فنظر اليها احمد بن المثني فطار قلبه وحار لبه ثم بكى وانتحب واهتز واضطرب واصعد الزفرات واظهر الجمرات ثم صرخ ووقع على الارض فحركته فاذا هو قد مات قال السرى فتعجبت من حالهما وقرب آجالهما وأخذت فى غسلهما وتجهيزهما ودفنهما رحمة الله تعالى عليهما ونفعنا بهما (وحكى عن السرى ايضا رضي الله

معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها في الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض لسارة هي اختي فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التى فعل بها مافعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ماتراه الا كما قال (وقيل) انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين في أمره وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله بن عمران الذي اشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائى اسمه هينون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما اجمع نمرود وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه في بيت و بنوا له بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عزوجل قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له من أصلب الحطب واصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لان عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ماتطلب مما تحب ان تدرك لان اصابته لتحتطبن حطبا وتجعله في النار التى يحرق بها ابراهيم احتسابا في دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ما ارادوا اشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى اذا كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من القائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله تعالى عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة وقالوا اى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق في النار فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشىء منكم اودعاه فلينصره فقد أذنت لكم في ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى و بينه فلما ارادوا القاءه فى النار أتاه ملك المياه فقال ان اردت اخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدى واتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد فى السماء وفى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيري وروى المعتمر عن ابى بن كعب عن ارقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به المنجنيق الى النار فى موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى حسبي الله ونعم الوكيل وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل قال الله عزوجل يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدى) كان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها بامر الله تعالى قال على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يكن حينئذ نار الا طفئت ظنت انها تعنى قال كعب الاحبار روي قتادة والزهري ما انتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا احرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة الا اطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدى فاخذت الملائكة بضبعي ابراهيم عليه السلام فاقعدته على الارض فاذا عين ماء وورد أحمر

ونرجس

تعالى عنه أنه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة والسلام فبينما انا فى الطريق اذ أنا بامرأة حسناء ذات جمال بديع فقلت لها يا جارية أين تريدين فقالت الى بيت الحبيب فقلت لها ان الطريق بعيدة فقالت بعيدة على كسلان اوذى ملالة واما على المشتاق فهى قريبة ثم قالت انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا قال فلما وصلت الى بيت الله الحرام رأيتها تطوف بالبيت فقالت يامعري أنا تلك الخادمة لمولاي جئته بضعفى فحملني بقوته هذه صفات قوم فارقوا ديار اللهو وخلعوا ثياب الزهو آثروا المحبوب بالنفوس والآثار ووقفوا بين يديه فى حلل الانكسار هجروا الراحة فى الاوطان والاوطار فتقدرهم خلعوا ثياب الاصطبار ومزقوا ستر الاستتار وافشوا وجدهم مع كتمان الاسرار ناداهم بالعناية في الاصلاب والارحام حرام عليكم ان تنظروا الى غيرى حرام وجمع لهم مجالس مناجاته وسقاهم لذيذ شراب مصافاته ياهذا هل لك فى هذا المجلس نديم هل لك فى هذا الغرام غريم هل لك

ونرجس قالوا فاقام ابراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم مني عيشا في الايام التي كنت فيها في النار (قال) ابن اسحق وغيره وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو يؤنسه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر احبابي وألبسه القميص ثم أشرف نمروذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما يشك انه قد هلك فرآه جالسا في روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه نمروذ يا ابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان اقمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رايت معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الى ربي ليؤنسني فيها فقال نمروذ يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزمه فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده انى ذابح له اربعة آلاف بقره فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال يا ابراهيم لا استطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبي) القى ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشر سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضى الله عنها وهى ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت في اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عزوجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ وملائهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو اخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما اخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران ابو لوط وناحور ابو تنو يل وتنو يل ابو لابان ورفقا بنت تنو يل امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على ان لا يغيرها (قال ابن اسحق) خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من ارض العراق مهاجرا الى ربه عزوجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربي فخرج حتى نزل فمكث بها ما شاء الله تعالى ان يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عزوجل ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعنى الشام فبركتها ان بعث منها اكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغنى والفقير (قال أبي بن كعب) ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله اعلم

(الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال اهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق

في هذا الربع أنيس هل لك في هذه الروضة جليس فاذا اردت ايها المبدر ضا الرب اللطيف فتقرب اليه بقلب منكسر وجسم نحيف (قيل) انه لما نزل البلاء على ايوب عليه السلام أتاه طاوس السماء جبريل عليه السلام بامر الله عز وجل فقال له يا ايوب سينزل بك ولاك من البلاء والاهوال ما يعجز عن حمله الجبال فقال أيوب ان دمت على مواصلة الحبيب سأصبر حتى يقال عجيب عجيب فنودى يا أيوب استعد لبلائي واصبر على نزول حكمي وقضائي وكان السبب في ابتلائه ان ابليس اللعين حسده وتحيل عليه بانواع الحيل والمكر فلم يقدر عليه فقال الهي انما سبب شكر ايوب لك وطاعته ما وسعت له في الاموال والاولاد والارزاق والعافية فلو سلطتني عليه وسلبته ذلك لما اطاعك طرفة عين فقال الله جل جلاله اذهب فقد سلطتك عليه الا بغيره ذلك قال فاول يوم ابتلاه باخذ الاولاد فزاد في الخدمة واجتهد غاية الاجتهاد وفي اليوم الثاني اخذ الاموال فاحرقها ومزقها فقال

قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ايها المعبودون من دون الله
و بدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء ايها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام
مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس
الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ان يمكث ثم خرج منها مهاجرا
حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاول وكانت سارة من أحسن النساء واجملهن وكانت لا تعصى
ابراهيم عليه السلام في شيء و بذلك اكرمها الله تعالى قال فاتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة
من احسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فارسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ما هذه المرأة
منك فقال هي اختي وتخوف ان قال هي امرأتي ان يقتله فقال له زينها وارسلها الي حتى انظر اليها فرجع
ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار سألني عنك فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني عنده
فانك اختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري وغيرك ثم اقبلت سارة الى الجبار
وقدم ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورآها اهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما
رأى الجبار ذلك اعظم امرها وقال لها سلي ربك ان يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان
صادقا فاطلق له يده فاطلق الله تعالى يده (وفي بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد ان
يتناولها فتيبس يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فاقبلت الى ابراهيم
فلما أحس بها ابراهيم انفتل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر واخدمني هاجر قال محمد بن
سيرين كان ابو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلك امكم يا بني ماء السماء
(وفي بعض الاخبار) ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها
من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت لها جارية ذات
هيئة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت اني اراها امرأة وضيئة لعل الله تعالى ان يرزقك منها ولدا وكانت سارة
قد منعت الولد حتى اسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام (روى) محمد بن اسحق
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم
مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذي ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر ام اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك
الملك الذي كان بها واشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان
ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه تردها فاقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان اهلها آذوه فيها
ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من ارض فلسطين بين الرملة وايليا ببلد يقال لها قطة فلما خرج من
بين اظهرهم نضب ماء تلك المعين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ماصنعوا وقالوا اخرجنا من بين اظهرنا رجلا
صالحا فاتبعوا اثره حتى ادركوه وسألوه ان يرجع فقال ما انا براجع الى بلد اخرجت منه قالوا ان الماء الذي كنت
تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة اعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا
أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز
قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهي على تلك الحالة حتى اتتها امرأة طامث فاغترفت منها
فركد ماؤها الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلدة وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله
تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله
يامرونه بالخروج من بين اظهرهم وامرهم ان يبدؤا بابراهيم عليه السلام و يبشروه وسارة باسحق

ايوب العطايا عطاياه ان شاء
سلبها وان شاء أطلقها وفي
اليوم الثالث نفخ ابليس في
جسده وهو في صلاة
الفجر فاصاب الدود في جميع
بدنه ولم يزل يذكر الله تعالى
في سره وعلانيته وقال
الحمد لله الذي اصطفاني
لخدمته ومن علي بفضله
وخيره ولم يشغلني غيره
قال ولم يزل ايوب ذاكرا
لربه حامدا وشاكرا الى ان
تمزق جلده وذاب لحمه
ودق عظمه فسار الدود
يغدو في جسده و يروح
وهو بالشكوي لا يبوح
وكان كلما سقط من جسده
دودة الى الارض يردها
الى مكانها و يقول كلي
فهذه مائدة من جسدي
ممدودة قال فنزل الامين
جبريل عليه السلام فسلم
عليه فلم يرد عليه السلام
لاشتغال لسانه عن الكلام
فسلم عليه ثانيا قال فرد عليه
السلام فسأله عن عدم الرد
في أول مرة فقال يا اخي
يا جبريل ان الملك الودود
أرسل الى اضيافا من الدود
لاطعمهم من لحمي على مائدة
عظامي فكان بعض اضيافي
على لساني فخشيت ان ارد
عليك السلام فتسقط من
مكانها فاكون سببا لمنع
قوتها وأطالب برزقها
وأكون عاصيا لربي وربها
(وحكى عن الامام محمد بن

ومن

ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر
يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما امكنه فلما رآهم في صورة الرجال سر بهم ورأى
ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حنيذ وهو
المشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه
نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا
ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما
السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف ولا تحزن انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة
قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة
واختلف العلماء في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدي انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم
وقالت يا عجبا لاضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من
غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين
خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هي
بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدي قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها
بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذ
ذبيح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت
وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسماعيل
فوضعتا معا فشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق
اسماعيل فاخذه واجلسه في حجره واجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت
الى ابن الامة فاجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد جعلت ألا تضرني ولا تسوءني
وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت
متحيرة في ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها وانقبي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم
ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا
تساكنيني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فاوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام
أن يأتي بهاجر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبحواليها خارج مكة
ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا
أمرت ان تضعهما قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فانزلهما فيه وامر هاجر أم اسمعيل ان تتخذ عريشا ثم قال
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس
تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد
عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر
شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت اي الجبال ادنى من الارض فصعدت الصفا
وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت اصوات سباع الوادي نحو
اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما ترید السعي كالانسان المجهود فهي
أول من سعي بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى
استيقنت وجعلت تدعو اسمعيل تعني يا ألله قد اسمعتني صوتك فاغثني فقد هلكت وهلك من معي فاذا

درويش الشافعي رضي الله
تعالى عنه انه قال) رأيت
بمكة نصرانيا يدعى
بالاسقف وهو يطوف
بالكعبة فقلت له ما الذي
زهدك عن دين آبائك
فقال بدلت خيرا منه فقلت
كيف كان ذلك فقال وقع
لي حكاية عجيبة ونكتة
غريبة وذلك اني ركبت
البحر في مركب فلما
توسطنا البحر كسرت بنا
المركب فنجوت على لوح
منها فما زالت الامواج
تدفعني حتي رمتني في
جزيرة من جزائر البحر
فرأيت فيها اشجارا كثيرة
ولها ثمار احلى من الشهد
والين من الزبد ورايت فيها
نهرا عذبا فقلت الحمد لله على
ذلك فها انا آكل من تلك
الثمار واشرب من ذلك
الماء حتى يأتي الله بالفرج
فلما ذهب النهار وجاء الليل
خفت على نفسي من
الدواب والهوام فعلوت
شجرة وجلست على
غصن من اغصانها فنمت
على ذلك الغصن فلما كان
وسط الليل اذا دابة على
وجه الماء تسبح الله تعالى
بلسان فصيح وتقول لا اله
الا الله العزيز الغفار محمد
رسول الله النبي المختار أبو
بكر صاحبه في الغار عمر
مفتاح الامصار عثمان
القتيل في الدار علي سيف

هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال لقد وكلكما الى كريم كاف ثم جاء بها وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت شنة لها وجعلت تستقي فيها وتدخره فقال لها جبريل عليه السلام انها رى وجعلت ام اسمعيل تحبسها حبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافي الظمأ على اهل هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها ان ابا هذا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالي بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فاشرفوا فاذاهم بالماء فقالوا لهاجر ان شئت كنا معك فانسناك والماء ماؤك فاذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول تلبيتها

لهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بهم فهم أولاد العرب المتعربة* ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزورها جر وابنها فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد فخص بالقنص والفروسية والرمى والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام اوشراب قالت ليس عندى شيء وما عندى أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئى زوجك السلام وقولي فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ماشاء الله تعالى ثم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو برأو شعير أو تمر لكانت مكة اكثر ارض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى اغسل رأسك وشعثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقى اثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبت بابك فلما جاء اسمعل وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت نعم جاءني شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لى كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) انس بن مالك رأيت فى المقام اثر اصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه واخمص قدميه غير انه أذهبه مسح الناس بايديهم (واخبرنا) محمد بن احمد بن عبدون قال اخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح القرشي قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول اشهد ثلاث مرات انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمس الله نورهما لأضا آما بين المشرق والمغرب

الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة الملك الجبار وماواه جهنم وبئس القرار فما زالت تقول هذه الكلمات الى أن طلع الفجر فلما هممت بالانصراف قالت لا اله الا الله الملك المجيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الصديق الصادق الشديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان بن عفان القتيل الشهيد على ابن ابى طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد قال فلما وصلت تلك الدابة الى البراد رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسي منها فالتفتت الى وقالت قف فوقفت لها فقالت لى ما دينك فقلت لها دين النصرانية فقالت بئس الدين ويحك ياخاسر ارجع الي دين الحنيفية فانك قد حللت بفناء قوم من مؤمنى الجن ولا ينجو منهم الا كل مسلم قال فقلت لها وكيف الاسلام فقالت تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال فقلتها فقالت كمل اسلامك بالترضى عن ابى بكر وعمر وعثمان وعلى فقلت ذلك ثم قلت لها من اخبركم بذلك فقالت قوم حضروا عند

(الباب الرابع فى القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال لى احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثانية جاءنى فقال احفر درة قلت وما درة فذهب عني ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فقال احفر المصونة قلت وما المصونة فذهب عنى فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فنمت فجاءنى فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يستقي الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف انه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا شيء خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم اخاصمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت فى اطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشي على أنفسنا ان يصيبنا مثل ما اصابكم فلما رأي عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا انما رأينا تبع لرأيك فامرنا بما شئت قال فانى أرى ان يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منا دون صاحبه دفنه فى حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب ومالنا لا نضرب فى الارض فعسى الله تعالى ان يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب اصحابه حتى رووا وملؤا اسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلم والى الماء فقد سقانا الله تعالى واياكم فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضي الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم ابدا ان الذى سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب فى منامه كان قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم
وهى تراث من أبيك الاعظم * تسقى الحجيج حافلا لم ينقم

فلما سمعه عبد المطلب قال واين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث امر فقامت قريش اليه وقالوا والله لا نتركك ان تحفرها ووثنانا ومنحرنا عندها وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم اخبروا ان جرهما لما سكنت مكة أودعت في زمزم أموالا واسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما اخبرت ان الله تعالى باعث فى هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى تمثالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ووجد فيها سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب انا معك في هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف

رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادي بلسان طلق اللهم انك قد وعدتني ان تشيد اركانى فيقول لها الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم اجمعين ثم قالت لى الدابة تريد ان تكون عندنا او الرجوع الى اهلك فاخترت الرجوع الى اهلى فقالت امكث مكانك حتى تاتيك مركب قال فمكثت مكانى ونزلت الدابة الى البحر فما غابت عن عيني غير ساعة واحدة حتى مرت على مركب عظيمة وفيها ركاب فاشرت اليهم فحملونى معهم فنظرت فاذا في المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فاخبرتهم بخبرى وقصصت عليهم قصتى فاسلموا كلهم فعلمت ان لهؤلاء الاقوام سرا عظيما اذ ببركتهم حصل لنا الاسلام ونلنا اعلى مقام ولله الحمد على التوفيق و بلوغ المرام وانشدت أقول شعرا

قوم لهم عند رب العرش منزلة
وحرمة وبشارات واكرام
فازوا بصحبة خير الخلق واتصفوا
بوصفه فهم للناس اعلام

نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلاشيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين اصفرين للكعبة وقدحين اسودين لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش ثم اعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب في الباب الغزالين الذهب فكان اول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها واخرج منها ما اخرج ازداد بذلك في قريش عظما وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التي كانت بمكة ونواحيها واقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها ولكونها من اثر اسمعيل عليه السلام وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله اعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء امرها الى وقتنا هذا)

(اخبرنا) أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد الفراتي اخبرنا الحسن ابن المغيرة بن عمرو بن الوليد المغربي بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن المفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال اليماني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام وان الله تعالى اهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء فاخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بارض الهند فمكث هناك ماشاء الله ان يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع بالليل وبالنهار خمسة أسابيع فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فاوحي الله تعالى اليه اني معمره بنبي من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضي عليه عمارته وانيط له سقايته واورثه حله وحرمه ومواقفه واعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا ايها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فاسمع ما بين الخافقين فاقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سال ربه عز وجل فقال يارب اسالك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئا ان تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئا بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) باسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض كانت رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام اهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم ويانس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من اصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى

فنمى أبي بكر الصديق قد وردت
آثار فضل لها في الذكر احكام
وبعده عمر الفاروق صاحبه
به تمكن في الآفاق اسلام
وهكذا البر عثمان الشهيد له
في الليل ورد وبالقرآن قوام
والامام على المرتضى منح
له احترام واعزاز واكرام
هم الصحابة للمختار قد وضحوا
طرق الهدى وعلى الخيرات قد داموا
عليهم من سلام الله اطيبه
ما افطر الناس يوم الشك او صاموا

(وروى عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دخلت الجنة فبينما انا اطوف برياضها وانهارها واشجارها اذ رأيت شجرة فضربت بيدي الى ثمرة فاخذتها فانفلقت في يدي عن اربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت طرفها لفتنت أهل السموات والارض وان اظهرت كفها لغلب ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والارض مسكا فقلت لمن انت فقالت

الى آدم عليه السلام ان لى حرما بحيال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثم حف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشى فهنالك استجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لى بذلك ولا اقوى عليه ولا اهتدى اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة و بمكان يعجبه قال للملك انزل بى هنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فاراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى ارض الهند فمات على نور * قال ا و يحيي بائع القت قال لى مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس ان آدم نزل حين نزل بالهند ولقد حج منها اربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج الا كان يركب قال وأى شىء كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة ايام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض فرأى سعتها ولم يرفيها أحدا غيره قال يارب اما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك و يقدسك غيرى قال الله تعالى انى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى و يقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى و يسبح فيها خلقى و يذكر فيها اسمى وسأجعل من تلك البيوت بيتا اخصه بكرامتى وأوثره باسمى واسميه بيتي انطقه بعظمتى وعليه وضعت جلالى ثم اجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف اهله فقد ضيع ذمتى وخفر ذمتى واباح حرمتى اجعله اول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يضجون بالتلبية ضجيجا و يثجون بالبكاء ثجيجا و يعجون بالتكبير عجيجا فمن آمه لا يريد غيره فقد وفد الى وزارني وضافني وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وان ينعم و يتفضل و يسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم [illegible]نت على ذلك الى ايام الطوفان فلما كان ايام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه و يذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في اي موضع يبنيه فسال الله عز وجل ان يبين له ذلك (واختلف) العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليهم السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى على بن ابى طالب رضي الله عنه فقال الا تخبرني عن البيت اهو اول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت انبأتك كيف بنى ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام ان ابن لي بيتا في الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهى ريح خجوج ولها رأسان فاتبع احدهما صاحبه حتي انتهيا الى مكة فتطوقت على موضوع البيت كتطوق الحجفة وأمر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون ارسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الي ان قدم مكة فوقفت فى موضع البيت ونودى يا ابراهيم ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذى خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الاية قال فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فالهم الله تعالى احدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لى كينا يعنى هات لى حجرا فيقول له اسمعيل هاك خذه فبنيا الكعبة من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي و ينبت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر في مكانه

لابى بكر الصديق رضي الله عنه فقلت لها امضي الى قصر بلال فمضت وقلت للثانية لمن أنت فقالت لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بلال فمضت ثم قلت للثالثة لمن انت فقالت للمختضب بدمه المقتول ظلما وعدوانا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بلال فمضت وقلت للرابعة لمن أنت فسكتت ثم قلت يارسول الله ان الله سبحانه وتعالي خلقني على حسن فاطمة وقد سماني باسمها وزوجني لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه قبل ان يتزوج بفاطمة الزهراء بألف عام * فهم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وانصاره واتباعه وهم حافون به يوم القيامة الى دار الكرامة رضي الله تعالى عنهم ورضي الله عنا بهم آمين (وحكى عن رافع ابن عبد الله رضى الله عنه أنه قال) قال لى هاشم بن يحيي الكنانى الا احدثك حديثا رأيته بعيني وسمعته باذني وشهدته بنفسي ونفعني الله به فعسي ان ينفعك فقلت حدثني يا أبا الوليد فقال غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له

فقال يا ابت من أتاك بهذا الحجر فقال له اتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فناداه ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فهاك فخذها فاخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم الي قوله تعالى وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم فاجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتي اصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هنالك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتي طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتي اذا اسفر الصبح أفاض بهما الى منى فاراهما كيف يرميان الجمار ثم امرهما بالذبح واراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم افاض بهما الى البيت فاوحى الله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج فقال يارب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلى البلاغ فعلا ثبيرا ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنا بيتا فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فاجابه كل من آمن بالله ممن سبق في علم الله تعالى ان يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير ما استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والمشرق والمغرب والشام فدعا الى الحج فاجيب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الايات فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها * وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار ان الكعبة كانت رضمة فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمي بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فهيأ لهم في انفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونه وذلك انه كان لا يدنو منها احد الا كشرت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا لنرجوا ان الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وان عندنا عاملا رفيقا وخشبا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما اجمعوا امرهم على هدمها وبنائها قام ابو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر ابن عمرو بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معاشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة انا أبدأ لكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننتظر فان اصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضى الله تعالى ما فعلنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتي انتهى الهدم الي الاساس فافضوا الى حجارة خضر كانها اسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع احدهما فلما تحرك الحجر تحركت

سعيد بن الحرث وكان ذا حظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فان سرنا درس القرآن وان اقمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة خفنا فيها فخرجت انا واياه نحرس القوم وكنا محاصرين العدو عند حصن من الحصون صعب علينا أمره فرأيت من سعيد من العبادة في تلك الليلة وصبره على التعب ما تعجبت منه فلما طلع الفجر قلت له يرحمك الله ان لنفسك عليك حقا فلو رحمتها كان خيرا لك فبكى وقال أخي انما هي انفاس تعد وعمر يفني وأيام تنقضى وانا رجل ارتقب الموت قال فابكاني ذلك فقلت له اقسمت عليك بالله ما دخلت الخيام واسترحت فدخل ونام قليلا وانا جالس ظاهر الخيمة فسمعت كلاما في الخيمة ولم يكن في الخيمة سواه فتقدمت اليه فاذا هو يضحك في نومه ويتكلم بكلام فحفظت من كلامه ان قال لا أحب ان ارجع ثم مد يده اليمني كانه يلتمس شيأ ثم ردها ردا رفيقا وهو يضحك ثم قال والليلة ثم وثب من نومه وهو يرتعد فاحتضنته الى صدري مليا وهو يتلفت يمينا وشمالا حتي سكن وعاد اليه فهمه

مكة بامرها فلم يزالوا أنهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة ارادت ان تضعه في صفة دون الاخرى حتى تخالفوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت وادخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا اربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة ان ابا أمية بن المغيرة كان حينئذ اسن قريش كلها فقال لهم يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان اول من دخل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال هلموا الى ثوبا فاتوا به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى سنة اربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق واخذوا يرتجزون ويقولون

حطارة مثل الفنيق المزبد * ترمى بها اعواد هذا المسجد

وقال آخر منهم

كيف ترى صنيع أم فروه * تأخذهم من الصفا والمروه

أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وانهدمت مع ذلك احترقت وكان السبب فيه انهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال الواقدى) حدثني عبد الله بن زيد قال حدثنى عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبى يوم احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورايت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما اصاب الكعبة فاشاروا الى رجل من اصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأس رمحه فطارت الرمح به فضربت استار الكعبة ما بين الركن اليمانى والحجر الاسود (وقال) بعضهم كان السبب في ذلك ان امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس فى القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناه وقال ان امي أسماء بنت أبى بكر حدثتنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم فازيد فى الكعبة الحجر وان قريشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت ولجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فامر به ابن الزبير فحفر فوجدوا قلاعا امثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال اقروها على اساسها فبناها ابن الزبير وادخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من احدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة اربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولى الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذى كان بناه ابن الزبير بامر عبد الملك واعادها الى بنائها الاول بشهد مشايخ من قريش فهى اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطى صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام اوقع بالحجيج بمكة فذهب به مع أسر من الحاج الى البحرين

فجعل يهاله ويكبر فقلت ما الخبر حدثنى فقال نعم قلت سمعتك يا اخي تقول لا احب ان ارجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها برفق فقال لا أخبرك فاقسمت عليه فقال وتكتم ذلك فقال نعم يا سيدى فقال رأيت القيامة قد قامت وخرج الناس من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما انا كذلك اذ اتانى رجلان لم أر احسن منهما فسلما على فرددت عليهما السلام فقالا لى يا سعيد ابشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم فانطلقت معهم حتى اخرجانى من الموقف واذا أنا بخيل لا تسبقها خيل كانها البرق الخاطف أو هبوب الريح العاصف فركبنا وسرنا حتى انتهينا الى قصر شاهق لا يبلغ الطرف منتهاه كانه صنع من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا اليه انفتح بابه من قبل ان نستفتح فدخلنا فرأينا شيأ لا يبلغه الواصفون ولا يخطر على قلب بشر وفيه من الحور والوصائف والولدان بعدد النجوم فلما رأونا

ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيي البرمكي النيسابوري رحمة الله عليه

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يابني اني اري في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين في الذي امر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع اهل الكتاب على انه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن ابي طالب ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد ابن جبير والقاسم بن أبي برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وابي الهذيل والزهري والسدى (روى) شعبة عن ابي اسحق عن ابي الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال انا فلان ابن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن زيد بن اسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن ابيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون ياإله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بي شيئا قط الا اختارني عليه وان اسحق جاد لي بالذبح فهو بغير ذلك اجود وان يعقوب كلما ازدته بلاء زادني حسن ظن (وروي) حمزة بن الزيات عن ابي اسحق عن ابي ميسرة قال قال يوسف عليه السلام للملك مصر انرغب ان تاكل معي وانا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وابو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك في ان الذي أمر بذبحه من ابني ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهي رواية عطاء بن ابي رباح عن عبد الله بن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي امر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة الحق عن ابراهيم عليه السلام وما امر به من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول يا ابن وابن ابن فلم يكن يامره بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ماوعده وما الذي امر بذبحه الا اسمعيل قال محمد بن كعب القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لي عمر ان هذا الشيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يري انه من علماء اليهود فساله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال له اى ابني ابراهيم الذى كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معاشر العرب على ان يكون ابوكم الذى كان امر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذي ذكر انه كان منه بصبره على ما امر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه عبد الله الى غيره * فاما الرواة التي روت عنه ان الذبيح اسحق فاخبرني ابو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اراد ابراهيم ان يذبحه اسحق وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذى فداه الله بذبح عظيم اسحق واخبرنا ابو عبد الله اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان اخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان اخبرنا موسى

اخذوا في حسن أنغام من القول الحسن مختلف الالحان وهم يقولون هذا ولى الله قد جاء فرحبا به وسهلا فمرنا حتي انتهينا الي مجلس ذات اسرة من ذهب وهاج مكللة بالجواهر محفوفة بكراسى من اليواقيت وعلى كل سرير جارية احسن من الشمس والقمر لا يستطيع احد من الخلق ان يصفها وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وكمالها وجمالها فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء اهلك وهنا مقيلك ثم انصرفا عني فوثبت الجواري الى بالترحيب والاستبشار كما يكون من اهل الغائب عند قدومه عليهن ثم حملوني حتي اجلسوني على السرير الاوسط الى جانب الجارية ثم قلن هذه زوجتك ولك اخري مثلها وقد طال انتظارهن اليك فكلمتها وكلمتني فقلت لها واين انا فقالت في جنة المأوي فقلت من انت فقالت انا زوجتك الخالدة فقلت واين الاخرى فقالت في قصرك الآخر فقلت لها اقيم اليوم عندك واتحول في غد الى الاخري ثم مددت يدى اليها فردتها ردا رفيقا ثم قالت اما اليوم فلا فانك

ابن اسمعيل انبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدى فيقول يارب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبيح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ قال فيقول الله وعزتى لا أدخل النار من لا يشرك بى شيأ وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزنى قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أنبأنا جدى أبو بكر ابن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الائمة انبأنا على بن حجر انبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرنى بين ان يغفر لنصف امتى و بين ان اختبي شفاعتي فاخترت شفاعتى ورجوت ان يكون ذلك اعم لامتى ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت منها دعوتى وذلك ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعطي فقال اما والذى نفسي بيده لاتعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وادخله الجنة * وأما الرواة التى روت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابى باسناده عن الصباحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا ان الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يارسول الله اعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لئن سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولديه قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى اخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع سارة ولوط وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين انه دعا فقال رب هب لى من الصالحين يعنى ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان تصير له ام اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم ان يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس في القرآن انه بشر بولد ذكر الا باسحق واما الدليل على انه اسمعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبران قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت فاحترق القرنان فى ايام ابن الزبير والحجاج وهذا ادل دليل على ان الذبيح اسمعيل

﴿ وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم عليهما السلام ﴾

قال السدي باسناده لما فارق ابرهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هاربا بدينه كما قال تعالى وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين دعا الله ان يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لى من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام و بلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك الذى نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب في امر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله تعالى واخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابت أين قربانك فقال يا بني انى أري في المنام انى اذبحك أى رأيت لفظه مستقبل ومعناه الماضى فانظر ماذا تري قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زارها جر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة و يرجع من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأى فى المنام ان يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمديه ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير اخبره بما أمر به وقال

راجع الى الدنيا وستقيم ثلاثا فقلت لا احب ان ارجع فقالت لا بد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاثة ايام ان شاء الله تعالى ثم نهضت من مجلسها فنهضت اودعها فاستيقظت يا اخى ولا صبر لى عنها قال هشام فغلبني البكاء وقلت هنيأ لك يا سعيد جدد لله شكرا فقد كشف الله لك عن ثواب عملك فقال هل رأى احد غيرك ما رأيت فقلت لا فقال بالله عليك يا اخى اكتم ما سمعت منى مادمت في الحياة ثم قام فتطهر وتطيب واخذ سلاحه وتوجه الى موضع القتال وهو صائم فقاتل الى الليل ثم انصرفت فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا مثل ما فعل سعيد اليوم حتى انه كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم فكلهم يثنون عليه قال فقلت في نفسي لو يعلمون شأنه لتنافسوا في مثل عمله ثم مكث قائما يصلى الى آخر الليل ثم اصبح صائما يقاتل ابلغ مما فعل بالامس قال أبو الوليد فانطلقت معه لانظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقى نفسه في المهالك الى غاية النهار وهو لا يصل اليه شيء مما كانوا

يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك الآية فقال له ابنه الذي اراد ان يذبحه يا ابت أشدد رباطي حتي لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون للموت على فان الموت شديد فاذا اتيت أمي فاقرئها مني السلام فان رأيت ان ترد قميصي اليها فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عنى فقال له ابراهيم نعم العون يا بني أنت على ما امر الله به ففعل ابراهيم ما أمر ابنه ثم انه اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استنقع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم يعمل السكين شيأ قال السدى وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا ابت كبني على وجهي فانك ان نظرت الي وجهي رحمتني وادركتك على رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها اربعين خريفا وروى عنه أيضا ان الكبش الذي فدي به عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فارسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان اول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وحش يعني يبس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابيه انه كان يقول مافدي اسمعيل الا بكبش من الاروى اهبط عليه بثبير وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروى) ابو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأي ابراهيم في المنام ان يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم والالم افتن احدا منهم ابدا فتمثل لهم الشيطان رجلا فاتى أم الغلام فقال لها اتدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ماذهب به الاليذبحه قالت كلا هو أرحم به مني وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه وفي استسلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال ياغلام هل تدرى اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله مايريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله امره بذلك قال له فليفعل ما امره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله اني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك يامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم فقال له اليك عني ياملعون فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم واهله شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده (وروى) ابو الطفيل عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما ان ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتي ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبري فرماه بسبع حصيات حتي ذهب ثم مضي ابراهيم عليه السلام لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن ابى الصلت الثقفى في ذلك شعرا

ولابراهيم الموفي بنذر * احتسابا وحامدا لاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه في معشر اقتال

يرمونه عليه من الحجارة وغيرها حتى غربت الشمس فجاءه سهم في منحره فخر صريعا وأنا أنظر اليه وهو يضحك فضجت الناس وبادروا اليه فاخذوه وجاؤا به الى الخيام وقد مات رحمة الله تعالى عليه فقلت له هنيئا لك ياسعيد ماذا تفطر الليلة ياليتني كنت معك قال هشام فعض على شفته السفلى وضحك في موته وقال الحمد لله الذي صدقنا وعده قال فصحت ياعباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون فاستمعوا اخبركم بأعجب مما رأيتموه من اخيكم هذا فاقبل الناس باجمعهم فاخبرتهم بحكايته وما كان منه فما رأيت باكيا كاليوم ثم كبرنا تكبيرا اضطرب له العسكر وشاع الحديث وبلغ الخبر الى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلي عليه فقلت صل عليه ايها الامير فقال بل يصلي عليه الذي عرف من أمره ماعرف فصلينا عليه ودفناه في موضعه وبات الناس يتحدثون به فلما طلع النهار تذاكرنا حديثه وصاح المسلمون صيحة واحدة وحملوا على المشركين وفتح الله تعالى ذلك الحصن في ذلك اليوم ببركته رحمة الله تعالى

* ابنى انى نذرتك لله شحيطا فاصبر فذلك حالى
واشدد العضد عند جبذى للسكين جبذ الاسير للاغلال
وله مدية تخايل فى اللحم غلام جبينه كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه * فكه ربه بكبش حلال
فخذ ذا فدا لابنك انى * للذى قد فعلتما غير قالى
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

(الباب السادس فى هلاك النمروذ بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (روت الرواة) باسانيد مختلفة ان اول جبار كان فى الارض النمروذ بن كنعان وكان الناس يخرجون اليه و يمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمروذ اذا مر به الناس قال لهم من ربكم قالوا انت حتى مر ابراهيم فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي و يميت قال انا احيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد ابراهيم بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر بكثيب أعفر فقال لآخذن من هذا فآتي به اهلى فتطيب به قلوبهم حين ادخل اليهم فاخذ ابراهيم منه فاتى به اهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو باجود دقيق رأته فاخذته وصنعت منه طعاما فلما افاق قدمته اليه وكان عهد اهله انه ليس معهم شيء ولا عندهم طعام فقال لهم من اين هذا فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار لما حاجة ابراهيم عليه السلام في ربه قال ان كان مايقول ابراهيم حقا فلا انتهى حتى اعلم من في السماء فبنى صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى اربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم والخبز ورباها حتى شبت واستفحلت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من اعلاه وبابا من اسفله ثم ربط التابوت بارجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا فى اللحم حتى ابعدت فى الهواء فقال النمروذ لفتاه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال اري الارض مثل الحبة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها و بين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودى ايها الطاغى الباغى اين تريد قال عكرمة فامر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا فى ذلك السهم من اي شيء تلطخ فقال عكرمة من سمكة فى بحر معلق فى الهواء بين السماء والارض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم اصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه ان يصوب العصا و ينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت انه امر حدث في السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم اى جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ علي وعمرو وابن مسعود وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى ارسل ريحا على صرح النمروذ فالقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وانقلبت بيوتهم واخذت النمروذ رعدة وتبلبلت

عليه ونفعنا به في الدارين آمين (حكى عن أبى يعقوب الطبرى رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت في سفر أريد الشام فوقعت في التيه اياما حتى اشرفت على الهلاك فبينما انا كذلك اذ رايت راهبين سائرين كانهما قد خرجا من مكان واحد يريدان ديرا لهما بالقرب فملت اليهما وقلت لهما اين تريدان فقالا لاندري فقلت لهما فمن اين اقبلتما فقالا لاندرى الا انا في ملكه و بين يديه قال فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي ان هذين الراهبين متحققان التوكل دونك فقلت لهما اتأذنان لى في الصحبة معكما فقالا ذلك اليك فسرنا حتى أمسينا قاما الى صلاتهما وقمت الى صلاة المغرب فتيممت وصليت فلما نظرا الى حين تيممت وصليت تعجبا من ذلك فلما فرغا من صلاتهما بحث احدهما في الارض فانفجرت عين ماء والى جانبه طعام موضوع فزدت تعجبا من ذلك فقالا لى ادن وكل واشرب قال فاكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم غار الماء وذهب الطعام فلما كانت الليلة الثانية فعل الثاني كما فعل الاول فلما

ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا ان آمن حتى اتركك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فابى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك ان يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث اربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فارحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا اربعمائة سنة فعذبه الله اربعمائة سنة كمدة ملكه ثم ان البعوضة اكلت دماغه واهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة ازواج ابراهيم وولده)

قال الله تعالى اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته الآية قال اهل العلم باخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من ارض كنعان في جيرون في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومدا واشنيق بن وشوخ وتزوج ايضا بامرأة اخرى من العرب اسمها حجون بنت اهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ واهيم ولوطان ونافس فكان جميع بني ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل بكره واكبر اولاده فانزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقالوا لابراهيم يا أبانا انزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وامرتنا ان ننزل بارض الغربة والوحشة قال بذلك امرت ثم علمهم اسما من اسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

(الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال اهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل الله اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدي باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاهم قدم اليه الطعام فجعل الشيخ ياخذ اللقمة ويريد ان يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي اذنه مرة ثم اذا ادخلها في فيه وحصلت في جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين راى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم انت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة جبرون

(الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان (روى) في الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو ابو الضيفان وكان لا يتغذى ولا يتعشى الا مع ضيف وربما مشى ميلين او اكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قائمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى ان يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة

كانت الليلة الثالثة قالا لي يا مسلم الليلة نوبتك قال محمد بن يعقوب فاستحييت من قولهما وداخلني غم شديد وامر غريب وقلت في نفسي اللهم اني اعلم ان ذنوبي لم تدع لي عندك جاها ولكن أسالك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ان لا تفضحني عندهما ولا تشمتهما بدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فاذا بعين ماء قد انفجرت وبطعام كثير الى جنبها فاكلنا وشربنا ثم حمدنا الله تعالى على ذلك قال فلم نزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبني البكاء فلم استطع رده فاصابهما مثل ما اصابني وارتفعت اصواتنا بالبكاء فلما فرغنا قالا لي ما يبكيك فقلت اني رجل مسرف على نفسي وليس لي عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغني هذه الكرامة فقالا لي وكيف ظهر لك فقلت انما توسلت اليه بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يفضحني معكما فاستجاب لي فقالا قد عرفنا ان دينه هو الحق وهو عند الله عظيم فامدد يديك فانا نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال فاسلما وخرجنا

في شعبي اسمعيل واسحق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بنى اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق فى الاخرين فليس من نبي تجرى السنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضيله تبجله كل امة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لى لسان صدق في الاخرين وهو المبتلى بانواع البلاء المشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وقال ابراهيم الذى وفى اي بما امر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتالله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة ان كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وانواع الفضل ما يجمع في امة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

وهو الذى اوتى رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة فى التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية واول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية وهو اول من اختتن (قال) ابو منصور الخشارى حدثنا ابو عباس المعقلى اخبرنا عبد الحكيم اخبرنا ابن وهب اخبرنا يحيي بن نصر قال قرأ على بن وهب اخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة رضي الله عنه انه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (واخبرنا) الحسين بن محمد بن فتحويه اخبرنا محمد بن مخلد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من اضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين واول من قسم الفيء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه فى موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك انه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم اصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل (اخبرنا) الحسن الدينورى اخبرنا احمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان اخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان اخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك اكرم اهل الارض على فاذا سجدت فلا ترى الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو اول من شاب فلما رآه عاله ذلك فقال يارب ماهذا قال الوقار فقال يارب زدنى وقارا وهو اول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وارنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذى بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعد دروسه حتى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من القي فى النار فى الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب ارنى كيف تحيي الموتى الآية وهو الذى كان اذا سافر وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبي عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وهو أول من يكسي ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط واول من استاك وأول من فرق شعره واول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجي بالماء واول من هاجر لله قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالي واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى انى جاعلك للناس اماما وقال تعالي قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وامر محمدا خير الانبياء

جميعا الى مكة شرفها الله تعالى فقمنا بها مدة وخرجنا الى الشام فتفرقنا فوالله ما ذكرتهما الا وهانت على الدنيا وصغرت في عينى (يانشدت شعرا في المعني)

لما رأيتك حاضرا
في القلب زاد بى الحار
وبقيت فيك محيرا
والقلب ليس له قرار
فامزج كؤسى بالرضا
جهرا فما عنها اصطبار
دارت على موسى الكليـ
ـم فلاح نحو الطور نار
لطفت فلما ذاقها ا
لاحباب نحو الحب طاروا
بذلوا اليه نفوسهم
وعلى خيول القوم غاروا
واليه في بحر الهوي
ركبوا وبالارواح ساروا
طلبوه حقا بالقلو
ب وعندما نظروه حاروا
هاموا به حتى لقد
أنست بقربهم الديار
ورأوا اشارات الهوى
لاحت لديهم فاستناروا

هذان راهبان لاح لهما قدر خرم ابرة من الايمان فرأوا الطريق وسلكوا منهج التصديق وانت يامسكين عمرك قد انقضي ومضى فى العصيان وزمانك قد ذهب في الخسران وانت فى بحر الغفلة غريق وقد هبت نسمات القبول والتوفيق انت سكران بخمر المعاصى

وأمته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا
وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب
والاواه الذي يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ست وأربعون خصلة
من خصاله التي أكرمه الله بها (ويروي) ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى
الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) ابو ادريس
الخولاني عن ابي ذر الغفاري قال قلت يارسول الله كم كتابا انزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب
أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم
عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم
قال كانت أمثالا كلها ايها الملك المبتلى المسلط المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك
لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن
يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه
على ماقدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل ان
لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا
على شانه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه

﴿مجالس في بعض اخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام﴾

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ
النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قدمنا ذكره ثم طلقها بامر أبيه ثم تزوج بامرأة
أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء
زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثني عشر رجلا
ثابتا وقيذار واديل وبسام ومسمع وذوما ومسا وحراه وقيما وبطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيذار
ابني اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الي العماليق وقبائل اليمن فلما
حضرت اسمعيل الوفاة اوصى الى اخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل
مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز انه قال شكا
اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فاوحى الله تعالى اليه اني فاتح لك بابا من الجنة يجري عليك روحها الى يوم
القيامة وفي ذلك المكان دفن * واما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له
عيصا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدي قال حملت رفقا في
بطن واحد بغلامين فلما ارادت ان تضع اقتتل الغلامان في بطنها فاراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال
عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن امي فاقتلها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمي عيصا
لانه عصا فخرج قبل يعقوب وسمي الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب اكبرهما
في البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب احبهما الى امه وكان
عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمي قال لعيص يا بني اطعمني لحم صيد واقترب مني ادع لك بدعاء
دعا به أبي وكان عيص رجلا اشعر ويعقوب رجلا اجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت امه الكلام
فقالت ليعقوب يا بني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدها ثم قدمها الى ابيك وقل له انا
ابنك عيص ففعل ذلك واتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من انت قال انا عيص فمسه وقال المس مس عيص

والريح

ولاتفريق (وعن عبد الله
القرشي رحمه الله تعالى ا ه
قال) كنت أصحب ابراهيم
ابن ادهم رحمه الله تعالى
واسرح معه فسرنا يوما من
الايام نريد الحجاز فمشينا
ثلاثة ايام لم نستطعم فيها
بطعام ولا شراب فقلت له
اتعرف ما بي من الجوع
يا سيدي قال فرمق بطرفه
الى السماء بعد ان جلس
وجلست بجانبه فاذا
رغيف سخن قد سقط في
حجري فرفع ابراهيم رأسه
الي وقال كل فاكلت نصفه
وشبعت ثم سرنا فمررنا
بقافلة قد حبسها الاسد عن
المسير فتقدم ابراهيم اليه
وقال له يا قسورة ان كنت
قد امرت فينا بشيء فامض
الى ما امرت به والا
فاذهب فولى الاسد هاربا
وسار القوم فقالوا له بالله
عليك يا سيدي الا ما دعوت
لنا ونحن نخاف في السفر
فقال لهم قولوا اللهم
احرسنا بعينك التي لا تنام
واكنفنا بكنفك الذي
لا يرام وارحمنا بقدرتك
علينا فلا نهلكنا وأنت
رجاؤنا قال عبد الله
فلقيت رجلا من اهل
القافلة بعد مدة فسألته
فقال والله ما كنا ندعوا
بهذا الدعاء الذي علمه لنا
الشيخ ما رأينا سبعا وقال
الصائم ٧ ركب معنا ذلك

والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال له ادن مني فدنا منه فدعا له ان يجعل في ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئتك بالصيد الذي أردته فقال يا بني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فهلم ادع لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال ان تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم احد غيرهم ثم انام يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه ان يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير في الليل و يكمن في النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو اول من سرى بالليل فاتى يعقوب الى خاله وكان اسحق امره ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وامره ان ينكح امرأة من بنات خاله ليان بن ناهر وان يعقوب لما مكث عند خاله فخطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له هل لك من مال فازوجك عليه فقال لا لكن اخدمك اجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له ان صداقها ان تخدمني سبع حجج فقال يعقوب تزوجني راحيل لانها الصغرى ولاجلها اخدمك فقال له خاله ذلك بيني و بينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبري ليا وادخلها عليه ليلا فلما اصبح وجد غير الشرط فجاءه يعقوب وهو في نادمن قومه فقال له غررتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين ودلست على غير امرأتي فقال له خاله يا ابن اختي أردت ان لا يدخل علي في ذلك العار والسبه وانا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغري قبل الكبري فهلم فاخدمني سبع سنين اخرى حتى ازوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى ان بعث موسى وانزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين اخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا اربعة اسباط روبيل وكان اكبرهم ويهوذا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمي بنيامين لان امه راحيل ماتت في نفاسها ويامين بالعربية الشكل وكان ليان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب امتين يقال لاحدهما زلفة والاخرى بلهة فوطىء الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتالى وروبالون وولدت له بلهة جاد ويشجر وآشر فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا اثنان من راحيل واربعة من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بنى اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله ليان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه المذكورات الى منزل ابيه من فلسطين على تخوف شديد من اخيه عيص فلم ير منه الا خيرا فنازل اخاه وتالفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتنقل في الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده *وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه نسيمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيص فكل بني الاصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمي آدم لادمته ولذلك سمي ولده بنى الاصفر قالوا وعاش اسحق بعدما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه ابناه عند قبر أبيه ابراهيم عليهما السلام في مزرعة جبرون والله اعلم

(مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

وهو لوط بن هاران بن تارح بن أخي ابراهيم عليه السلام وانما سمي لوطا لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام اى تعلق به والصق ومنه حديث ابى بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا لولا دالة ألوط اى الصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من امر لوط فيما ذكراهل العلم باخبار الانبياء وذكر

الرجل في مركب في البحر فعصفت الريح وهاجت الامواج واضطرب المركب خففنا من الغرق فخافت الناس وبكوا وضجوا فقال الرجل يا قوم معنا في السفينة رجل صالح كان من امره كذا وكذا فاسألوه ان يدعو لكم فاتوا اليه وهو نائم في ناحية المركب ملفوف رأسه في الكساء قال فايقظناه وقلنا له يا سيدى ما ترى من حالنا وما نحن فيه من الشدة والغرق فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم اريتنا قدرتك وقدرتك فارنا حلمك وعفوك قال فما استتم كلامه حتى سكن الريح وهدا الموج وسارت السفينة قال عبد الله فلما نزلنا من السفينة سرنا اياما فهلكت من الجوع وشكوت اليه فاخذ المزود ورقى الى شجرة البلوط فملا المزود من اوراقها ثم اتى به الى وقال كل فاذا هو رطب جنى ما كلت الذ منه ولا اطيب قال وعطشت معه في بعض السياحات ليلا فشكوت اليه ذلك فقال لى اشرب فنظرت الى دلو تدلى في الهواء وفيه ماء لم اذق اطيب منه طاما ولا احسن منه بحافشربت منه حتى رويت فكنت

وهب في المبتدا انه شخص من ارض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح ابو ابراهيم مخالفا لابراهيم في دينه ومقيما على كفره الى ان وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارح وهو آزر ابو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن علوان بن عبيد بن عوج ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا وعادوا الى ارض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وانزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى ارض سدوم وما يليها وكانوا اهل كفر بالله وركوب فواحش كما اخبر الله عنهم بقوله تعالى اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل في ذكر اهل التأويل اتيانهم الفاحشة مع من ورد بلادهم واتيانهم المنكر في ناديهم قال المفسرون هو انهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون في مجالسهم وينكح بعضهم بعضا في الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق وروى ابو صالح عن ام هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا بعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه ان ينصره عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام باهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة في صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك واخبروا ابراهيم ان الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم في ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط وكان جداله اياهم على ما ذكره ابن عباس وغيره انهم لما قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قاله اشفاقا منه عليه فقالت له الرسل نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته (قال) قتادة في هذه الآية لا نرى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها لقوا لوطا في أرض له يعمل فيها قال قتادة راويا عن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه فقالوا انا متضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض وما أعلم على وجه الارض أناسا أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أي شديد (قال السدى) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا ابنت لوط

بعد ذلك اصوم في الهواجر فلا اجوع ولا اعطش فهذا كله ببركته فلله در رجال ما تركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجالا قد سبلوا العبرات على الوجنات (شعر)

لله در رجال واصلوا السهرا
واستعذبوا الوجد والتبريح والفكرا
فهم نجوم الهدى والليل يعرفهم
اذا نظرتهم هم سادة برر
كل غدا قلبه بالله مشتغلا
عمن سواه وللذات قد هجرا
يمسي ويصبح في وجد وفي قلق
مما جناه من العصيان منذعرا
يقول يا سيدي قد جئت معترفا
بالذنب فاغفره لي يا خير من غفرا
حملت ذنبا عظيما لا أطيق له
ولم اطع سيدي في كل ما امرا
عصيته وهو يرخي ستره كرما
يا طالما قد عفى عني وقد سترا
يا طالما كان لي في كل نائبة
اذا استغثت به في كربة نصرا
واني تائب مما جنيت وقد
وافيت بابك يا مولاي معتذرا
لعل تقبل عذري ثم تجبرني

تستسقى الماء لأهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها ياجارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لاتدخلوا حتي آتيكم وفزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت ياأبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة مارأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقدكان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا له خل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ننهك عن العالمين فجاء بهم لوط الى منزله مايعلم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت ان فى بيت لوط رجالا مارأيت مثلهم حسنا قط (قال أبو حمزة الثمالى) بلغنا ان العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومه اذا أتتهم الضيفان يقول رسولها هيئوا لنا ملحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة باضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها باضياف زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أى يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط ياقوم اتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن العالمين أن تضيف الرجال وقالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم مانريد فلما لم يقبلوا منه ماعرض عليهم قال لوأن لى بكم قوة أوآوى الى ركن شديد قالوا فما بعث الله نبيا بعده الا فى شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخى لوط لقد كان يأوى الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وغلق بابه والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يالوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير مردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لايعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء ان فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض وقالوا يالوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم لوط ان اضيافه رسل ربه وانهم ارسلوا بهلاك قومه قال لهم اهلكوهم الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره ان يسرى باهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم احد الا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت ارضهم فاقتلع قرى قوم لوط الاربع وكان فى كل قرية مائة الف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها ثم اتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد أى ممن يفعل كفعلهم * أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأسمع العواصف والقواصف من الرعد فاخشى انها الحجارة التى اعدت لقوم لوط او من يفعل بفعلهم واخبرنا ابو بكر بن محمد بن احمد بن عقيل القطان اخبرنا ابو الفضل عبدوس بن الحسن بن منصور اخبرنا ابوحاتم الرازي اخبرنا ابو اليمان الحكم بن نافع الحمصي عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى ان اتى شعيب قاضى

يوم الحساب اذا قدمت منكسرا
وقد انيت بذل راجيا كرما
اليك ياسيد السادات مفتقرا
ها قد تشفعت بالهادى النبي ومن
فاق النبيين والاملاك والوزرا
تالله لولم يكن فى الارض مانبتت
زرعا ولاأنزل البارى لها مطرا
متى اسيرالى ذاك الجناب متى
احظى برؤيته اقضى بها وطرا
صلى عليه اله العرش ماركضت
نوق وما زمزم الحادى لها وسرى

(وحكى عن ابى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى ونفعنا به) أنه كان يقول في بعض مناجاته سيدي لئن طالبتني بذنبي لاطالبنك بعفوك ولئن طالبتني ببخلى لاطالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتنى باساءتى لاطالبنك باحسانك ولئن ادخلتني النار لاخبرن اهلها بحبى لك فنودى ياأبا سليمان لاندخلك النار ولا نعذبك بها ابدا بل ندخلك الجنة لتخبر اهلها بحبنا لك ولا تخبر اهل النار

حمص وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطي قال ان يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قريته التي يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم الآية (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين اخبرنا موسى بن محمد بن علي اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسي قال اخبرنا المسيب قال سمعت ابا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين اي خلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا فأما سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية اربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت المؤتفكات اي المنقلبات واما القرية الخامسة فانها تسمي صغرة ونجت من العذاب لان اهلها آمنوا بلوط (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك باسماء ففسرها لي قال وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فاخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتي سمعت ملائكة سماء الدنيا اصواتهم واصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فاخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما او كلفتهما فتح ابواب الجنان اوالنيران فتحاها قال فاخبرني عن قوله تعالى امين قال ان الله تعالى انزل من السماء مائة واربعة كتب على انبيائه لم يأتمن عليها غيري (اخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفي اخبرنا ابو عثمان بن احمد بن سمعان البزاري اخبرنا عبد الله بن قحطبة اخبرنا يزيد بن نوبة اخبرنا احمد بن راموز اخبرنا ابو بكر بن عياش قال سألت اباجعفر اعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى اعدل من ذلك بل استغني الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا (اخبرنا) ابن فنجويه اخبرنا مخلد بن جعفر اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا ابا الحجاج هل بقي من قوم لوط احد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم اربعين يوما بين السماء والارض حتى قضي الرجل حاجته فلما خرج اصابه الحجر خارج الحرم فقتله (عن مقاتل) عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الى اربعين فاهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم العقوبة جميعا

(مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فانزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الاية فدلهم الله تعالى في هذه الآية على احسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص احسن القصص فقال بعض أهل المعاني الآية قصة حسنة لفظة لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو اهون عليه قال الشاعر

ان

بمحبتك لنافان مكان المحبين الجنة ومكان الاعدا النار اخوانى المحبة عروس مهرها النفوس ولها تخضع الرقاب والرؤس وهي تجلي على أهلها الاسرار وتصفو بها الاكدار وتروق معاني ابكار الافكار وهي للعارف نور وللجاهل نار اذا امزجت خمرة المحبة على أهل جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والاصال والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب فالذين يتلون كتاب الله طوبى لهم وحسن مآب متكئين فيها على الارائك نعم الثواب (وحكى عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى) انه قال سمعت ذا النون المصري رضي الله عنه يقول بينما أنا في شوارع مصر اذ رأيت جارية مسفرة عن وجهها وهي تمشي من غير خمار فقلت لها يا جارية أما تستحي من الله تعالى فقالت يا ذا النون وما يصنع الخمار بوجه علاه الاصفرار قال ذو النون فقلت لها عساك تناولت شيأ من شراب القوم فقالت اسكت يا بطال شربت البارحة بكاس وده مسرورة فاصبحت بحبه مخمورة قال ذو النون فقلت لها يا جارية عسى فائدة منك أو وصية أحفظها

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز وأطول

أراد عزيزة طويلة واجراه الباقون على الظاهر فقالوا هي احسن القصص ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة باحسن ما فيها فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص يعني ان قصص القرآن احسن مما في التوراة وقيل سمى الله هذه القصة احسن القصص لانها ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب وقيل سماها احسن القصص لحسن مجازاة يوسف اخوته وصبره على اذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه في العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها ايضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت احسن القصص لما فيها من الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله احسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

(الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام)

هو يوسف الصديق ابن يعقوب الصفي ابن اسحق الذبيح ابن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم واختلفوا في معنى اسم يوسف فقال اكثر الفقهاء هو اسم عبري فلذلك لا يجر وقال بعضهم هو اسم عربي سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبي يقول سمعت ابا الحسن الاقطع وكان حكيما سئل عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمي يوسف

(الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته)

قال الله تعالى فلما رأينه اكبرنه الآية (اخبرنا) ابو عبد الله الثقفي اخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان اخبرنا محمد بن محمد ابن سليمان اخبرنا محمد بن حميد الرازي اخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال حدثني عمارة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي الى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر واخبرني الحسن بن محمد اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان اخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا أبي اخبرنا يعقوب اخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطي يوسف شطر الحسن وعن ابي اسحق بن عبد الله بن ابي فروة قال كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فاراه الانبياء عليهم السلام نبيا نبيا واراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا برداء الكرامة متقمصا بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون ألف ملك وعن يساره سبعون الف ملك ومن خلفه امم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال وتحول معه حيثما حال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي ابحت له بحبوحة الكرامة ورفعته الدرجة العالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم انحله قال آدم قد انحلته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم ضم يوسف الى

عنك فقالت يا ذا النون عليك بالكسوة حتى يتهموك أنك مبهوت وارض من الله باليسير من القوت يبن لك بيت في الجنة من الياقوت قيل أوحى الله تعالى الى نبيه داود عليه السلام يا داود أحببني وأحب من يحبني وحببني الى عبادي فقال داود يا رب كيف أحبك واحب من يحبك واحببك الى عبادك فقال تذكرني لهم وتذكرهم آلائي ونعمائي فانهم لم يعرفوا مني الا الجميل والاحسان * قيل أوحى الله تعالى الى نبيه الخليل عليه السلام يا ابراهيم انك لي خليل وأنا لك خليل فاحذر أن أطلع على قلبك فاجده مشغولا بغيري فينقطع حبك مني فاني انما اختار لحبي من لو احرقته بالنار لم يلتفت قلبه عني ولم يشتغل بغيري فاذا كان كذلك اسكنت محبتي في قلبه فتواترت عليه الطاف قربتي ووهبته محبتي فأي نعيم يعدل ذلك عندي واي شرف اشرف منه لدي فوعزتي لاشفين صدره بالنظر الي وذلك اني محب لمن احبني (اخواني) اذا كانت محبته سبقت للعبد بالعناية القديمة كيف لا يسلك العبد الطريق المستقيمة

صدره وقبله بين عينيه وقال يا بني لا تأسف فانت يوسف فاول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية وقد كان الله اعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك ان الله تعالى احب ان يري العباد انه قادر على ما يشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه احد من الناس ثم اعطاه العلم بتأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل ان يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم الاسماء كلها آدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف ابيض اللون جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن اقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كانها القمر ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم رؤي النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام ويقال انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان احسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاءهن واعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة ما لم يعطه احدا من العالمين وانه كان اذا أكل البقول والفواكه فترى حين يزدردها في حلقه وفي صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حواء (وقال وهب) الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من احسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو احسن في عيني من القمر

(القول في القصة)

قال اهل العلم بقصص الانبياء واخبار الماضين كان ابتداء امر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده أن الله تعالى انبت ليعقوب شجرة في صحن داره فكان كلما ولد له ولد اخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيئا فلما كبر وشب قال لابيه يا نبي الله انه ليس احد من اخوتي الا وله غصن الا انا فادع الله تعالى ان يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم اني اسألك ان تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبي كان قضيبه غرس في الارض فعلق وتدلت اغصانه واثمر من كل ثمرة ثم اتى باغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف اقصرها واصغرها فلم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت اغصان اخوته من غصونها والقتها في البحر وثبت غصن يوسف في الارض قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له ابوه ما الذي دهاك يا بني فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا يوشك ان تدعى انك

كما قيل ان الله تعالى يقول يا جبريل انم فلانا وايقظ فلانا فالمحب بين يدي محبوبه قائم وبخدمته ملازم وفي حبه هائم فما عليه من العاذل واللائم (شعر)

يا عاذل القلب في صبابته
ولائم الصب في تصابيه
اترك ملامي وخل عن عذلي
فالحب مني واست تدريه
وفي ضميري من لا ابوح له
وفي فؤادي من لا اسميه
قد ادهش الطرف في محاسنه
وحير القلب في معانيه
محجب والقلوب تشهده
مغيب والغرام يبديه
ووجهه حيث كنت واجهني
لاشي يخفيه او يواريه
ان جئته ضارعا فيا أملي
يقول لبيك في تعاليه
ها انا ذا ومنك مقترب
خذ من الوصل ورد صافيه

(وعن ذي النون المصري رحمه الله تعالى) انه قال رأيت فتى ظاهره الجنون وباطنه الفنون فعلمت انه محب لمولاه مفتون فسمعته يبكي ويقول في مناجاته مولاي قربت المحبين وطردتني فما ذنبي وخصصتهم بالوصل منك وهجرتني فوا كربي وايقظتهم للقيام بين يديك وانمتني فوائدي ولذذتهم

مولانا

ولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسده بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعني الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأي وهو ابن اثنتى عشر سنه الرؤيا التي قصها الله علينا في كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه ياابت انى رأيت احد عشر كوكبا الآية وكان ينومه الى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي اذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال ياحبيب ابيه ما الذي اصابك فقال ياابت رايت رؤيا افزعتني فقال يابني خيرا رايت ما الذى رايت قال يوسف رأيت كان ابواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم واشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بانواع اللغات ورأيت كانى ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت كان مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدى فبينما انا كذلك اذ رأيت احد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا لى ساجدين فقال يعقوب يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمى ماقال يوسف ولاتخبرى اولادك بذلك فقالت نعم فلما أقبل اولاد يعقوب من مراعيهم اخبرتهم بالرؤيا التى امرها يعقوب بكتمها فانتفخت اوداجهم واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ماعنى بالشمس غيرابينا ولابالقمر غيرك ولابالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريد ان يتملك علينا فيقول انا سيدكم وانتم عبيدى فحسدوه على ذلك فلذلك قيل فى الحكمة لاتأمن قارئا على صحيفة ولاشابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم بن ظهير عن اسمعيل السدي عن عبدالرحمن عن جابر بن عبدالله قال جاء رجل من اليهود يقال له بستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشيء حتي نزل جبريل عليه السلام فاخبره باسمائها فارسل الى اليهودي ودعاه وقال له ان أخبرتك باسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذوالكتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح رآها يوسف فى افق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال ارى شيئا مشتتا و يجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله اسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن ورؤياه في الكواكب سبع سنين فلما كان من امر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على ان تآمروا بينهم في ان يفرقوا بينه و بين أبيه بضرب من الاحتيال و يهلكوه فيما بينهم كما أخبرالله عنهم فى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين اى خطا بين في ايثاره يوسف واخاه علينا اقتلوا يوسف اواطرحوه ارضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اي تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو يهوذا وكان افضلهم واعقلهم لاتقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب وهو البئر غيرالمطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن ايحسد المؤمن فقال للسائل ماأنساك بنى يعقوب ولهذا قيل الاب جلاب والاخ سلاب فعندذلك اجمعوا رأيهم ان يدخلوا على يعقوب و يكلموه فى ارسال يوسف معهم الي البرية فقال لهم روبيل وهو اكبر ولد يعقوب ان اباكم لاياْمنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا الى يوسف حتي نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يلعبون ويتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فاقبل عليهم وقال يااخوتاه هكذا تلعبون في مراعيكم فقالوا نعم يايوسف انك لورأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت ان

فى السحر بمناجاتك وما لذذتنى فوالمي ثم اخذ فى البكاء والنحيب قال ذو النون فحرك مني ما كان ساكنا وهيج من شوقى ما كان كامنا فقلت له يافتى ماهذا البكاء فقال ياذا النون اخبرنى سواد الثوب يزول بالماء والصابون وسواد القلب يزول بماذا قال ذوالنون فقلت انا والله في طلب ما انت فى طلبه وماوقعت منه الافى الحيرة والتيه وانشد يقول شعرا

راى سوادي فقلت و بلى
اشدمنه سواد قلبي
طلبت منه لذاك غسلا
فقال لى ليس ذا بصعب
كذاك قلبي به سواد
فازددت كربا لعظم كربى

(اخوانى) سكنت نارالمحبة فى القلوب فاستنارت بانوار المحبوب قال بعضهم سبعة أشياء لاتتم معرفة الرب الابها اخلاص النية لله عزوجل وصدق العزيمة مع الله والصدق في الله والشوق الى الله وحسن الظن بالله والخوف من الله فهذه السبعة لاتتم معرفة الله الابها كما ان المصباح لا توقد الابسبعة اشياء لابد منها الزناد والحجر والحراق والكبريت المسرجة والزيت والفتيلة فبدون هذه السبعة اشياء لاسبيل الى ايقاد المصباح

تكون معنا فشوقوه الى ذلك حتي كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا الى ابى واسالوه ان يرسلني معكم فاقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفوفا كانوا يفعلون هكذا اذا ارادوا ان يسالوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه حتى نرده اليك ارسله معنا غدا يرتع ويلعب فى الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزنني ان تذهبوا به وأخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه رأى فى منامه كان يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليا كلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكان الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأي يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم واخاف ان ياكله الذئب (اخبرنا) الحسين ابن محمد بن فتحويه اخبرنا عبدالله بن شبة أخبرنا أبو نعيم وعبد الرحمن بن قريش اخبرنا محمد بن عمرو ابن الحكم الهروي اخبرنا مالك بن سليمان الفروي اخبرنا عبيدالله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يا كل الانسان حتي لقنهم ابوهم فلما لقنهم وقال انى أخاف ان ياكله الذئب قالوا اكله الذئب فقال بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى عشرة رجال انا اذا لخاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبي الله كيف يا كله الذئب وفينا شمعون اذا غضب لا يسكن غضبه حتى يصيح فاذا صاح لا تسمعه حامل الا وضعت ما في بطنها وفينا يهوذا اذا غضب شق السبع نصفين فلما سمع منهم يعقوب ذلك اطمان اليهم واقبل يوسف حتى وقف بين يدي ابيه ثم قال له يا أبت ارسلني معهم قال اوتحب ذلك يا بني قال نعم قال اذا كان غدا أذنت لك فى ذلك فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عمد يعقوب الى السلة التي حمل فيها ابراهيم زاد اسحق فحمل فيها زادا ليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يا نبي الله ارجع فقال يعقوب يا بني أوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف أسألكم بالله ان جاع فاطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تغضبوه ولا تخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كانا لك ولد وهو أخونا كاحدنا بل له الفضل علينا بحبك اياه فقال نعم يا بنى الله خليفتي مع أنى خائف ان اكون قد ضيعته ثم انه اقبل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعك الله رب العالمين وانصرف راجعا (وروى) السدى ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسحق بن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الاحبار وسعيد بن ابى عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فاخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا يرى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا فقال لهم اسقونى جرعة من ماء قبل أن تقتلونى فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأي يوسف ان ليس احد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما تصنع بابنك بنو الاماء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس انكم قد أعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك اجمعوا على القائه فى الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبريه والقدس على قارعة الطريق فى واد من اوديتها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع واعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة

فاذا أردت ياهذا ايقاد مصباح قلبك بمشاهدة ربك فلا بد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وحراق الاشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الشكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح في سلاسل التضرع الى ربك فعند ذلك يتوقد نور فى قلبك (وحكى عن محمد بن احمد المقيد رحمه الله تعالى) انه قال سمعت الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول كنت نائما عند السرى السقطي رضى الله تعالى عنه ليلة من الليالى فايقظنى وقال يا جنيد رأيت كانى وقفت بين يدى الله تعالى فقال ياسري خلقت الخلق فادعى كلهم محبتى وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم وبقى العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة اعشار العشر وبقى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة اعشار عشر العشر وبقى عشر عشر العشر فقلت للباقين لا الى الدنيا اردتم ولا الى الجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فما الذى تريدون وما الذى تطلبون فقالوا انت المراد ولو قطعتنا بالبلاء لم نحل عن المحبة

أسفلها الا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما أرادوا ان يلقوه فيه جعلوا يدلونه في البئر يتعلق بشفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي استر به عورتي ويكون لى كفنا بعد مماتى واطلقوا يدى اطرد بهما عني هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فاخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة لماعة لينة ورفعها الى يوسف فوقف عليها وجعل يوسف يبكى فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فهموا ان يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد أعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه قالوا فلما ألقي يوسف في الجب اضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا فحل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فاخرج القميص والبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (وروي) ان الملك اتاه بسفرجلة من الجنة فاطعمه اياها فلما امسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عني استوحش فقال له الملك قل اذا هبت شيئا يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شيء من امري فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحفوا به وآنسوه في البئر ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع اتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا في هذا الجب قال إخوتي لابي قال ولم قال حسدوني على منزلتي من ابي قال أتحب ان تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملأ ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا محيي الموتى لا إله إلا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وان تجعل لى من أمري ومن ضيقي فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد إخوته فرجا وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئن إخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون انك يوسف فذلك قوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يثغر وجمع الله بينهما وهو ابن اربعين سنة (أخبرنا) ابو عبد الله الدينوري اخبرنا ابو العباس احمد بن محمد بن يوسف الصرصرى اخبرنا ابو جعفر محمد بن جرير الطبري اخبرنا عمران القزاز اخبرنا عبد الوارث اخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها واكلوا لحمها ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب انهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوا اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق اى ننتضل وكذلك هو في قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك

والوداد فقلت لهم اني مسلط عليكم من البلاء والاهوال ما لا تقوم بحمله الجبال اتصبرون على البلاء قالوا يا بني اذا كنت انت المبلي لنا فافعل ما شئت بنا فهؤلاء عبادي حقا واحبابي صدقا (اخواني) البلاء موكل بالمحبين قد اضني منهم الاجساد وتمكن من القلوب فلا يزالون كذلك حتى يصلوا الى المحبوب وانشد بعض العارفين يقول شعرا

بنى الله للاحباب بيتا سماؤه
هموم واحزان وحيطانه الضر
وحصباؤه كرب وغم وسقفه
صغام وآلام يضيق به الصدر
وادخلهم فيه واغلق بابه
وقال لهم مفتاح بيتكم الصبر

(وعن ابراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه) ونفعنا به انه قال كان عتبة الغلام من الخواص المعروفين بالاخلاص وكان يزورني في بعض الايام والليالي وكان صائم الدهر قائم الليل فبات عندي ليلة فقدمت اليه العشاء ليفطر عليه فلم يفطر عندي الا على الماء فلما صلى العشاء الاخيرة احرم وقام يصلي الى السحر فسمعته يقول في

قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا فى الظلمة أجرأ على الاعتذار وتزوير مامكروا فقد قالوا لا تطلب الحاجة فى الليل فان الحياء فى العينين ولا تعتذر فى النهار من قبيح فعلك فتتلجلج فى الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبي قال جاءت إمرأة الى شريح فجعلت تبكى فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكى فقال شريح قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد فى معناه

أغرك من شيخ بكاء ومملقه * أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه

فان بني يعقوب جاؤا أباهم * عشاء وهم يبكون زورا وخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق اى ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذب بدال غير معجمة اى طرى فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم أرونى قميصه فاروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يشق له جيبا ولا خرق له شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم اخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (اخبرنا) ابن فتحويه اخبرنا احمد بن ابراهيم بن شاذان اخبرنا عبيد الله بن ثابت اخبرنا ابو سعيد الاشج اخبرنا اسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى ابيه فقالوا أكله الذئب فقال ابوه لئن اكله الذئب ليشق قميصه وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف فعرف العزيز انه لو كان هو الذى راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقي على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح إخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب ابيكم البارحة فان اردتم ان يصدقكم ويخرجكم من الملامة فمروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين اضلاعه ولحمه ونجىء به فقال لهم يهوذا يا إخوتاه أين العهد الذى بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لأخبرن يعقوب بما كان منكم اليه ثم لا كونن لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم انهم رجعوا الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين ان الذئب اكله فاين الذئب ائتونى به فعمدوا الى حبالهم وعصيهم فاخذوها ومضوا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم حملوه الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله خلوه فقال له يعقوب أقبل فاقبل الذئب يتخطي القوم حتى وقف بين يدى يعقوب منكسا رأسه فقال له يعقوب أيها الذئب أكلت ولدى وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادى لقد أورثتني حزنا طويلا وألما عظيما قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبي الله ما أكلت لك ولدا وان لحومكم ودماءكم معشر الانبياء لمحرمة علينا واني لمظلوم مكذوب علي واني لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك ارض كنعان قال جئت لاجل قرابة لى من الذئاب ازورهم واصلهم فعند ذلك قال يعقوب لاولاده بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوي والله المستعان علي ما تصفون * قال ابن عباس انما كان سبب بلاء يعقوب انه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جاره فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بامر يوسف قال فمكث يوسف في الجب ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة اى رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فاخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب فى قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه مالحا فعذب حين التي فيه يوسف فلما نزلت السيارة ارسلوا رجلا من العرب من اهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيء الارشية والدلاء فوصل الوارد الى البئر فادلى دلوه اى ارسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر

مناجاته سيدى ان تعذبني فانا لك محب وان ترحمني فانا لك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قلت له يا عتبة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا ابراهيم ذكر العرض على اسرع الخائبين قطع اوصال المحبين ثم غشي عليه فلما افاق رفع رأسه وقال ياسيدى أتراك تعذب من أحبك بالنيران او تبتلى قلبه بالهجران فسمع هاتفا يقول حاشاه ان يعذب من أحبه واجتباه واختاره واصطفاه وانشد يقول شعرا

في وصف حبك ما يغني عن الغزل
وفى حديثك ما يلهي عن العذل
ملكت كلى فكلى منك محتمل
فالامر أمرك ليس الامر من قبلى
وحق حبك ما قلبي بمنقلب
الى سواك وما حبي بمرتحل
ولو سفكت دمي عمدا بلا سبب
لكان عين الرضا حقا بلا ملل

(وعن ابى بكر بن عبدالله رضى الله تعالى عنه) انه قال

فرأى احسن ما يكون من الغلمان فقال مالك يا بشراي هذا غلام يبشر اصحابه انه اصاب عبدا واسروه بضاعة قال المفسرون اسر مالك بن دعر واصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض الناس الى مصر خيفة ان يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرا من إخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فاذا هو بمالك واصحابه نزولا و يوسف معهم فرجع يهوذا واخبر اخوته بذلك فاتوا الى مالك وقالوا له هذا عبدنا ابق منا وكتم يوسف حاله مخافة ان يقتلوه فقال مالك انا اشتريه منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اي باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من اوقية اربعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ اوقية وزنوه لان اقل اوزانهم واصغرها يومئذ اوقية اربعون درهما (واختلف) العلماء في عدد الدراهم التي باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة اربعون درهما وانما باعوه بهذا الدون لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله و يقال ان السبب في استرقاق يوسف و بيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر في بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى اربعة فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فاوحى الله اليه انك لم تنزل لعبادي وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بان يباع ولد من أولادك في هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو واصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة له وساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر امه فلما رأى قبر امه لم يتمالك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا أمي يا راحيل حلي عنك عقدة الردي وارفعي رأسك من الثري وانظري الى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلايا أماه لو رأيت ضعفي وذلي لرحمتيني يا اماه لو رأيتيني وقد نزعوا قميصي وشدوني وفي الجب القوني وعلى حر وجهي لطموني و بالحجارة رجموني ولم يرحموني وكما تباع العبيد باعوني وكما يحمل الاسير حملوني (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده مالك على الناقة التي كان عليها فلم يجده فصاح في القافلة الا ان الغلام قد رجع الى اهله فطلب القوم يوسف فرأوه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد اخبرنا مواليك بانك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما ابقت ولكنكم مررتم على قبر امي فلم اتمالك ان رميت نفسي على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته و يروي انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما زلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت انظر الى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر امره مالك بن دعر ان يغتسل فاغتسل والبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ويروي ان هذا الملك ما مات حتي آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات و يوسف حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمر بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فابى ان يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقي قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعال وثوبين ابيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه

فتهت في العراق أياما بادية فلم أجد احدا ارافقه فبينما انا سائر ذات يوم اذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فاذا على باب تلك الخيمة ستر مسبل فسلمت على من في الخيمة فردت على السلام عجوز من داخل الخيمة ثم قالت من اين الرجل قلت من مكة قالت واين تريد قلت الشام فقالت اري سبحك سبح البطالين هلا لزمت زاوية تعبد الله فيها ثم قالت هل تحسن شيأ من القرآن قلت نعم فقالت اقرأ على آخر سورة الفرقان قال فقرأتها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها فلما أفاقت قرأت على آيات فاقشعر جلدي لقراءتها ثم قالت اقرأ على ثانيا ما قرأته قال فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها في المرة الاولى ثم مكثت طويلا فقلت في نفسي أتري ماتت أم لا فرجعت ذاهبا وتركتها مقدار نصف ميل فاشرفت على واد فيه عربان فابتدرني غلامان ومعهما جارية فقال لي احدهما أتيت على الخيمة الشعر التي في الفلاة قلت نعم قال أبها حس يسمع قلت لا فقال ماتت ورب الكعبة فمضيت مع الغلامين حتى انتهينا الى

للبيع فترافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتي بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه اتى به منزله وقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعيائيل قاله اسحق بن يسار * واخبرني ان فنجويه اخبرنا ابن ابي شيبة اخبرنا ابو حامد المسيلمي اخبرنا ابو هاشم الرفاعي قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا نتبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتي النساء وكانت إمرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا (اخبرنا) ابو بكر الجوزقي اخبرنا ابو العباس الدعولي سرحين اخبرنا علي بن الحسين الهلالي اخبرنا ابو نعيم اخبرنا زهير عن ابن اسحق عن ابي عبيد عن عبد الله بن مسعود قال افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف وقال لامرأته اكرمي مثواه والمرأة التي انت موسي فقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني ارض مصر قال اهل الكتاب لما تم ليوسف في الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث الآية قالوا فلما اتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته اكرمي مثواه فتأملته إمرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها وعشقته فراودته اى طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك اى هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربي أحسن مثواي يعني زوجك قطفير سيدي انه أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا خنته في أهله بعد ما أكرمني وائتمنني فانا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعني الهم بالشيء ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

همت ولم افعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكى حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف اهل العلم في ذلك قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول شيء ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هو أول ما يسيل في الارض قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتطمعه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل يجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن يسار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شيء يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربي تعالى صورني في الرحم قالت يا يوسف قد انحلت جسمي بصورة وجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد التهبت نارا قم فاطفئها فقال ان اطفأتها فمنها احتراقي قالت يا يوسف الجنينة قد عطشت قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق ان يسقيها مني قالت يا يوسف بساط الحرير قد بسط لك قم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة قالت يا يوسف ادخل معي تحت الستر فاستترك به قال ليس شيء يسترني من ربي تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدري تشفني بذلك قال سيدي أحق بذلك مني قالت أما سيدك فاسقيه كاس فيه زئبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عظمه ثم القيه في الاستبرق والقيه في القيطون يعني المخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوليك ملكه قليله وكثيره قال فان الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف اني كثيرة الدر والياقوت والذمرذ فاعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في السماء فابى يوسف (قال ابن عباس) فجري الشيطان فيما بينهما فضرب

باحدي

الخيمة ودخلت الجارية فكشفت عن وجهها عجوز فاذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ثم قلت للجارية من هذان الغلامان فقالت هما شريفان جعفر يان وهذه أختهما ولها منذ ثلاثين سنة لم تستأنس كلام احد من الناس واذا نزلوا بواد اعتزلت عنهم بعيدا وضربت خيمتها في الفلاة فكانت تأكل في كل ثلاثة ايام مرة واحدة رضى الله عنها (اخواني) الي متى تشتغلون باللذات الفانيات عن الباقيات الصالحات فبادروا الى الاوقات واستدركوا الهفوات وكفوا عن الشبهات اما ايقظكم منادي الشتات اما هزكم حديث الصالحين والصالحات اذا جاء النهار قطعوه بمقاطعة اللذات واذا أقبل الليل ضجوا بحنين الاصوات ليس لهم الى غير محبوبهم التفات

(شعر)

حياتنا باطل غرور
وعمرنا ذاهب قصير
والناس في غفلة نيام
وقد دعتهم لها القبور
والعمر يمضي وليس ندرى
مثل سنين بنا تدور
يا نفس ما سر فهو حزن
لا تحسبي انه سرور
فاذكري الموت واستعدي
له فقد جاءك النذير

باحدى يديه الى جنب يوسف و باليد الاخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم
يوسف الى ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن الضحاك عن ابن عباس
همت بيوسف ان يفترشها وهم بها يعني تمناها ان تكون له زوجة * وأما البرهان الذى رآه يوسف وكان سبب
العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه (اخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبرانى أخبرنا
حسن بن عطية عن اسرائيل بن أبى حصين عن أبى سعيد قال ابن عباس فى قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه
قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة
والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل بنى يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا
الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة ابيه فاستحيا منه وقال
قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء
(وقال السدي) نودى يا يوسف لا تواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق
ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع في الارض لا يقدر ان يدفع عن نفسه ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور
الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذى يموت فيدخل النمل في اصل قرنيه فلا
يستطيع ان يدفع عن نفسه (اخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهاني اخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد
السكونى اخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصرى ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد
البصرى اخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فقد حل
سراويله وقعد منها مقعد الرجل من المرأة فاذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا فارا فلما ذهب عنه الروع والرعب
عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم
مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما
قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذ الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما
قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل ادرك عبدى قبل ان يصيب
الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (اخبرنا)
يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعمانى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطبرستانى حدثنى أبى قال
حدثنى على بن موسى الرضا حدثنى أبى عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثنى ابى عن أبيه عن على بن الحسين
فى قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فظللت دونه بثوب قال فقال لها
يوسف ما هذا قالت استحي ان يرانا فقال لها يوسف اتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا
استحي انا ممن خلق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا
مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل الى الباب اما يوسف
ففرارا من ركوب الفاحشة واما المرأة فطلبا ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فادركته فتعلقت بقميصه
من خلفه فجذبته اليها مانعة له من الخروج فقدت اى خرقت وشقت قميصه من دبر أى من خلفه لان يوسف
كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا الفيا سيدها لدى الباب اي وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن
عم لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد باهلك سوأ يعني الزنا الا ان يسجن

(وعن العمرى الس[...]
رضي الله تعالى عنه) انه
مررت بسكران وهو ملقى
على الارض والخمر يطفح
من فيه وهو يقول الله الله
قال فتعجبت من ذلك
ورفعت بصرى الى السماء
وقلت الهى انسان يذكرك
لا يكون هكذا ثم طلبت
ماء فغسلت له فمه
وانصرفت فلما أفاق
اخبره جماعة من الناس ان
العمري المقطى فعل معك
كذا وكذا فخجل الرجل
واستحى لام نفسه ووبخها
وقال ويحك يا نفسى اذا لم
تستحى من الله ومن
اوليائه فممن تستحيين ثم
ندم وتاب مما كان فيه
واقسم على نفسه ان
لا يعود قال العمرى فبت
تلك الليلة متفكرا في امر
ذلك الرجل فرأيت رب
العزة في المنام وهو يقول
يا عمري انت طهرت فمه
من أجلنا ونحن طهرنا قلبه
من اجلك قال العمرى
فلما اصبحت فرحت
بذلك فرحا شديدا ثم
سألت عن ذلك الرجل
فوجدته في بعض المساجد
وهو قائم يصلي فلما فرغ
من صلاته سلم علي وقال
جزاك الله عني خيرا قال
العمرى فقلت ما حالك
فقال يا سيدى وكيف
تسأل عن حالى وقد

اوعذاب اليم يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) رهذا كالمثل السائر خذ اللص قبل ان يأخذك فقال يوسف
بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فادركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد
ان يذكره فلما قالت ماجزاء من اراد باهلك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها
واختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد انطقه الله تعالى يدل عليه
حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا
حكيما وله رأي وكان من خاصة الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما
اخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن
ان كيدكن عظيم ثم اقبل على يوسف فقال يا يوسف اعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامرأته
واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما
استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن
امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة العزيز
تراود فتاها عن نفسه اي عبدها الكنعاني قد شغفها حبا اي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا
لنراها في ضلال مبين أي خطأ بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن
وحديثهن وقال ابن اسحق يعني بكيدهن وذلك انهن قلنه مكرا بها لتريهن يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله
فاتخذت راعيل مائدة ودعت اربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرنها فذلك قوله تعالى وأرسلت اليهن
واعتدت لهن متكأ اعتدت أي هيأت لهن مجالس الطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد (عن ابن
عباس) وسعيد ابن جبير وقتادة يعني هيأت طعاما وقرأ مجاهد متكا خفيفا غير مهموز وهو كل طعام يحز
بالسكين وقال وهب اعتدت لهن اترجا وبطيخا وموزا ورمانا وزبدا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت
ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته في مجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف
فلما رأينه أكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن
الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسسن الا بالدم ولم يجدن من حز الايدي ألما لشغل
قلوبهن بيوسف عليه السلام (قال وهب) بلغني أن سبعا من الاربعين امرأة متن في ذلك المجلس وجدا
بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أي معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت راعيل عند ذلك
للنسوة فذلكن الذي لمتنني فيه أي في حبه وشغفني به ثم انها أبدت لهن الميل الذي عندها فقالت ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل لئن لم يفعل
ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حين عاودته المرأة وتوعدته بالسجن على المخالفة
السجن فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن أي أمل وأنا بهن
وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أي العزيز وأصحابه من
بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن
ليسجننه حتى حين (قال السدي) وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس
يعتذر اليهم ويخبرهم اني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري فاما أن تأذن لي أخرج فاعتذر واما ان
تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته دفعا للتهمة عن امرأته وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا

لم
أخبرك به المولى الكريم
حين قال لك وقد طهرنا
قلبه من اجلك قال السري
فتعجبت من ذلك وقلت
من أخبرك بذلك فقال
الذى طهر قلبي من سواه
وجاد على بعفوه ورضاه
(وعن السري أيضا رضى
الله تعالى عنه) انه قال
دخلت الجبانة فرايت
بهلول المجنون على قبر
متمرغا على التراب فقلت
له ما جلوسك ههنا فقال
عند قوم اذا حضرت
عندهم لا يؤذوني وان
غبت عنهم لا يغتابوني
فقلت له يا هذا ان الخبز قد
غلا فقال والله ما أبالي ولو
صارت كل حبة بدينار
علينا ان نعبده كما أمرنا
وعليه ان يرزقنا كما وعدنا
(وقيل) ان رابعة العدوية
رضى الله عنها مرت برجل
وهو يذكر الجنة وما أعد
الله فيها لاهلها فقالت له
يا هذا الى متى تشتغل
بالاغيار عن الواحد القهار
ويحك عليك بالجار ثم
الدار فقال لها اذهبي
يا مجنونة فقالت انت
مجنونة وانما المجنون من
لم يفهم ما أقول ثم قالت
يا مسكين الجنة سجن من لم
يكن الله انيسه وجليسه الا
ترى الى آدم عليه السلام
لما كان في الجنة يرتع فلما
تعرض له ابليس الاكل

ليوسف من همه وتكفير لزلته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل
* ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه يونص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك انه بلغه عنهما ان خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه ان جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما لا ليسما طعام للملك والشراب فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام في دابة من الدواب فاكلته فهلكت فامر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله انى أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبرانى فنتراءى له فسألاه من غير ان يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود ما رأى صاحبا يوسف شيأ وانما كانا تحالما ليجربا علمه وقال قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاه عنها وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد احببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف انشدكما الله تعالى لا تحبانى فوالله ما احبني احد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد احبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم احبني ابى فدخل على من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما قال فابيا الا حبه والفه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريا من فهمه وعقله وقد كانا رايا حين دخلا السجن رؤيا فاتيا يوسف فقال الساقى ايها العالم انى رايت كانى فى بستان فاذا انا باصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى قال احدهما انى ارانى اعصر خمرا يعنى عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود اعصر خمرا اى عنبا وقال الخباز انى رايت كان فوق راسى ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين اخبرنا ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن عقيل اخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه (اخبرنا) محمد بن يزيد السلمى اخبرنا ابو الربيع الزهرانى اخبرنا خلف بن خليفة اخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم فى قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل في السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا وتؤجروا ان في هذا الاجر ثوابا فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك انا لا نحب ان نكون في غير هذا المكان منذ رايناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن انت يا فتي قال انا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك واحسن ايثارك فكن فى اى بيت شئت قال فكره يوسف ان يعبرلهما ما سالاه لما علم فى ذلك من المكروه على احدهما فاعرض يوسف عن سؤالهما واخذ فى غيره قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما انا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمني ربى ثم بين لهما دينه ومذهبه

من الشجرة صارت عليه سجنا وابراهيم الخليل لما حفظ سر مولاه قربه واجتباه ولما طرح فى النار صارت عليه بردا وسلاما وأنشدت تقول شعرا

فروحى وريحانى اذا كنت حاضرا
وان غبت فالدنيا على محابس
اذا لم انافس في هواك ولم غر
عليك ففى من ليت شعري انافس

(وقيل) كان حبيب النجار رحمه الله تعالى من الاولياء الاخيار وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر بطعامه عند الافطار ويبيت طاويا فى خدمة الملك الغفار فاذا كان وقت الاسحار ناجى ربه بلسان الذل والانكسار وقال الهي غرقت فى بحار غفلتى وركضت في ميدان صبوتى وعثرت فى اذيال ذلى فى بزية شقوتى ومالى غيرك اعتمد عليه ولا اعرف بابا غير بابك التجيء اليه وها انا عبدك الذليل المذنب قد وقفت ببابك ولذت بجنابك فان لم تغفر لى فواذلى وحسرتى وان لم تعف عنى فواطول حيرتى ثم يسجد فلا يرفع راسه حتى يطلع الفجر فاذا صلى

فقال انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فاراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام واقبل عليهما وعلى اهل السجن وكان بين ايديهم اصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة ياصاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما الذاعليه فقال ياصاحبي السجن اما احدكما وهو الساقى فيسقي ربه خمرا يعني الملك يعودالي منزلته التى كان عليها واما العناقيد الثلاثه فانها ثلاثة ايام يبقى فى السجن ثم يخرج واما الآخر فيصلب والسلال التى رآها في المنام ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتا كل الطير من راسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا مارايننا شيئا انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اى فرغ الامر الذي عنه تسالان (اخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد بن الوزان اخبرنا علي بن عبدالله الصفار أخبرنا احمد بن مهران عن ابى رزين العقيلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لاتقصها الا على ذى رأى وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذى علم انه ناج منهما وهو الساقى اذ كرنى عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع مابين الثلاثة الى العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه اصاب ايوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا كلمته مالبث في السجن مالبث يعني قوله اذ كرنى عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس (وقال مالك) بن دينار لما قال يوسف للساقى اذ كرنى عند ربك قيل له يايوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب انسى قلبي كثرة البلوي فقلت كلمة فويل لاخوتى (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين مالى اراك بين الخاطئين فقال له جبريل عليه السلام ياطاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين و يقول لك ما استحييت مني ان استشفعت بالآدميين فوعزتى لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف ياأخى ياجبريل وهو في ذلك راض عني قال نعم قال اذا لاابالى (وقال كعب الاحبار) قال جبريل ليوسف ان الله تعالي يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى ابيك قال الله تعالى قال فمن آنسك في البئر والبئر وانت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبلها وذلك انه حبس خمس سنين قبل ان يستشفع بالساقي وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقي وقال له اذ كرني عند ربك بقى فى السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة فهالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت فى بطونهن فلم ير منهاشيأ ورأى سبع سنبلات خضر قدانعقد حبها وافركت وسبعا اخر يابسات قداستحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقصها عليهم وقال ياايها الملا افتونى في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون أي تفسرون قالوا اضغاث احلام مخلطة مشتبهة التأويل اباطيل ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين

وفرغ من صلاته شرع فى قراءة القرآن من اول الختمة الى آخرها بقية اليوم كله فلما مات كان آخر آية تلاها فى سورة يس قوله تعالى انى اذا لفي ضلال مبين فلما دفن في قبره حضر اليه الملكان فقالا له ماربك ومادينك فقال انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلني من المكرمين فلله درهم من اقوام قاموا يناجون الحبيب والناس فى غفلاتهم نائمون ويتحملون اثقال الوجد والغرام ويفرحون بالليل اذا جن الظلام فهم فى جنات الخلد يتنعمون والى وجه الحبيب ينظرون الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون شعر

الله قوم بذكره اشتغلوا
وفي حمى قربه لقد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرج
فهم حقيقا مرادهم حصلوا
من ذاق وصل الحبيب هام
ولم يكنه منزل ولا طلل
بروحهم في وصاله سمحوا
وحققوا بحبهم وماجهلوا
قاموا يناجونه وقد علموا
انهم لله اذ قد عملوا
فاستعذبوا الصعب في هواه وقد
لذهم في رضاه ماحملوا

(قيل كان ابويزيد البسطامى رحمه

وقال الذي نجا منهما أي من الفتيين وهو الساقي وادكر بعد امة اى وتذكر حاجة يوسف بعد
حين قال ابن عباس بعد امة اى بعد سنين انا أنبئكم بتاويله فارسلون اى الى السجن قال ابن عباس رضي الله
عنهما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فاتى ليوسف فقال ايها الصديق يعني فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق
هو كثير الصدق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون اى فضلك وعلمك
فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دابا الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقي الى الملك واخبره بما أفتاه به
يوسف من تاويل رؤياه كالنهار وعرف الملك ان الذي قال كائن فقال الملك ائتوني بالذي عبر رؤياى هذه فلما
جاء الرسول الى يوسف أبى ان يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف صحة امره من قبل النسوة فقال
للرسول ارجع الى ربك اى سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم
قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك شانه ما زالت في نفسه منه حاجة يقول هو هذا
الذي راود امرأتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من اخي يوسف وكرمه وصبره والله
تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجوني
ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرت ولم ابتغ العذر والله انه كان حليما
ذا أناة قال فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن ايديهن
وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت
امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك
ليعلم اني لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال
يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وكفايته وديانته وعلمه
وعقله قال ائتوني به استخلصه لنفسي فلما جاء الرسول الى يوسف قال له اجب الملك الآن ودعا لاهل
السجن بدعاء يعرف الى اليوم وذلك انه قال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم اعلم
الناس بالاخبار الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت
الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا حسانا
وقصد الى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياى حسبي ربي من خلقه عز جاره
وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره
فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم انه دعا له
بالعبرانية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان ابي يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما
كلم يوسف بلسان اجابه بذلك اللسان فعجب الملك مما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك
حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده ان هذا علم تاويل رؤياى ولم يعلمه الكهنة والسحرة ثم اجلسه وقال
له اني أحب ان اسمع رؤياى منك شفاها فقال يوسف نعم ايها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان
غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما انت كذلك تنظر
اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات
عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف
الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان وافترسنهن افتراس السباع واكلن لحمهن ومزقن
جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن
سمن ولا زيادة بعد اكلهن اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في

الله تعالى يقول في مناجاته
الهي لست اعجب من حبي
لك وانا عبد حقير وانما
اعجب من حبك لي وانت
ملك قدير (وكان) يحيي بن
معاذ الرازي يقول في
مناجاته الهي ليس العجب
من عبد ذليل يحب ربا
جليلا بل العجب من رب
جليل يحب عبدا ذليلا قال
بعض العارفين رضي الله
تعالى عنه الحب حب زرع
في ارض القلوب ويسقى
بماء العقول فينمو على قدر
طيب الارض وصفو الماء
والبلد الطيب يخرج نباته
باذن ربه والذي خبث
لا يخرج الا نكدا (وعن)
انس بن مالك رضي الله عنه
انه قال ثلاثة من كن فيه
وجد بهن حلاوة الايمان
ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وان يحب
المرء اخاه لله تعالى وان يكره
ان يعود للكفر بعد ان
انقذه الله تعالى منه كما يكره
احدكم ان يقذف في النار
(وعن) أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى يقول
يوم القيامة أين المتحابون
في جلالي اليوم اظلهم في
ظلي يوم لا ظل الا ظلي
(وقيل) كان لعبد الله
ابن الحسين جارية أعجمية
وكانت من اولياء الله تعالى

الثرى والماء فبينما انت تقول فى نفسك ما هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذهبت ريح فردت اوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فاشعلت فيهن النار فاحرقهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر مارأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ماشان هذه الرؤيا وان كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياى أيها الصديق فقال يوسف الصديق انى ارى ايها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون ابقى له و يكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتامر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تاتيك الخلق من جميع النواحي فيمتارون منك بحكمك فيجتمع عندك من الكنوز مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه و يبيعه لى و يكفيني الشغل فيه فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم اي كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بسني المجاعة و بلغة من يأتيني فقال له الملك ومن احق به منك وولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرني) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى بن مخلد بن علوية أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقري اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسي قال اخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخر عنه ذلك سنة فاقام عند الملك في بيته سنة وروى سفيان عن ابى سنان عن عبد الله بن أبى الهذلي قال قال الملك ليوسف انى أريد ان تخالطني فى كل شيء غيرانى آنف ان تأكل معي فقال له يوسف انى أحق ان آنف بذلك منك لانى انا ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة اذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون مرفقة ثم امره ان يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى فيه من بياض وجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه امر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف راعيل إمرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين مني فقالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت إمرأة حسناء ناعمة كما رأيت في ملك و دنيا وكان صاحبي لا ياتى النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرائيم وميشا ابني يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فاقام فيهم العدل فاحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعني أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين وللبحترى في هذا المعني

أما فى رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الي الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخلت السنين المخصبة ودخلت الجدبة جاءت بهول لم تعهد الناس مثله

فاصاب

قال فرايتها في بعض الليالى وقد قامت من منامها فاحسنت الوضوء وقامت الى صلاة فلما فرغت من صلاتها خرت ساجدة لله تعالى وهي تقول سيدى بحبك لى الا ما غفرت لى قال فقلت لها ويحك لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبي لك فقالت اليك عني يا بطال فلولا حبه لى ما أنامك واقامنى واوقفنى بين يديه وبحبه لى اخرجني من ديوان المشركين وكتبني في ديوان المؤمنين قال عبد الله فقلت لها اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى فقالت مولاى كان لى اجران فصار لى اجر واحد اعتق الله جسدك من النار ثم قالت هذا عتق مولاى الاصغر فكيف عتق مولاى الاكبر ثم خرت ساجدة لله تعالى فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها فقلت هذه والله صفات المحبين المتعلقة قلوبهم بمحبة رب العالمين وانشدت اقول شعرا
الحب فيه حلاوة ومرارة وتنسك وتهتك ببشائر ماشاء يصنع بالحب فانما حكم الهوى بيد الحبيب الآمر
لو كنت املك فى الهوى امرى الذى

فاصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط والجوع فلما دخل اول سنة من سني الجدب هلك فيها كل شيء اعدوه من السنين الخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في اول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم يبق في ايدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها اجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا اخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم في السنة السادسة باولادهم فان الرجل كان يشتري بولده الحنطة او الشعير من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا صار اليك له وباعهم في السنة السابعة برقابهم وارواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من امر يوسف وقالوا ان الله ما رأينا ملكا اجل من هذا واعظم ثم قال يوسف الملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا فقال له الملك الرأى رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم واولادهم (وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني اخاف ان شبعت ان أنسي الجائع (وروى) ان يوسف امر طباخ الملك ان يجعل غذاءه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلة واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن الي المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وان كان عظيما من اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه * قالوا واصاب ارض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما اصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فارسل بنيه الى مصر يطلبون الميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من ارض فلسطين من ثغور الشام وكانوا اهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه لما اراد الله تعالي ان يبلغ يوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في الجب وبين ان دخلوا عليه ارض مصر اربعون سنة فلذلك انكروه وقيل انه كان متزييا بزى فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك انكروه قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال الله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني انكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن إخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق الله نبي من انبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم انتم قالوا نحن كنا اثنى عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان أحب الى أبينا منا قال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عند أبينا لانه اخو الذى هلك من امه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذى تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها فقال يوسف فأتوني باخيكم الذى من ابيكم ان كنتم صادقين فاني ارضى بذلك قالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني باخيكم فاقترعوا بينهم فاصاب القرعة شمعون وكان أبرهم بيوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال عند ذلك يوسف لفتيانه اى لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم اى ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت

اهوى المكان مؤانسي ومسامري (وقيل) لبعض المحبين كيف رأيت المحبة قال وقفت على ساحل بحر زاخر ليس له آخر وقرب مني قارب من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا فركبت موافقة له واتباعا له فاجابت الروح من دعاها بسم الله مجراها ومرساها فلما توسطت اللجة توعرت سبيل الحجة فما زلت حتى جمعني في مجمع بحر يحبهم ويحبونه فانا بين البقاء والفناء حتى وصلت الى ذلك الفناء والهناء مشعر

حروف المحبة ممزوجة
تبشرنا ببلوغ المنا
فميم الممات وحاء الحياة
وباء البلاء وهاء الهنا
فلا تطمئن بطيب اللقا
وطول البقاء بدون الفنا
حمينا الوصال بحد النصال
فان تلق سمر القنا تلقنا
فلا تجزعن لمر النكال
وحر الوبال ففيه الهنا
ومت مثل ما مات اهل الهوى
فماتوا اشتياقا فنالوا المنى

وما ضرهم حين ناديتهم على طور سينا اني انا (وحكى عن ابي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه) انه قال كنت يوما في سياحتي متلذذا بخلوتي وراحتي مستغرقا في

بضاعتهم النعال والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحالهم اعلمهم بمعرفتها اذا انقلبوا الى اهلهم اعلمهم يرجعون واختلف العلماء في السبب الذى فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال الكلبي تخوف يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل خشي ان يشق اخذ ذلك منهم على ابيه اذ كانت السنة سنة جدب وقيل رأى لؤما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا له انا أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما اوليتنا ثم انه قال لهم اين شمعون فقالوا ان الملك ارتهنه لنأتيه ببنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم اخبرتموه بذلك فقالوا انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا ابانا منع الكيل فارسل معنا أخانا يعني بنيامين نكتل وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لاردن عليك كلاهما بعد ما توكلت علي قالوا ولما فتحوا متاعهم الذى حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم اي ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا (وروي) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لتأتنني به الا ان يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا تغدروا باخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اي شاهد بالوفاء فلما ارادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم وكان لمصر اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في الكرة الثانية قالوا أيها العزيز هذا اخونا الذى أمرتنا ان نأتيك به قد جئناك به قال لهم احسنتم واصبتم وستحمدون على ذلك عندي ثم انه انزلهم واكرمهم واضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فريدا ثم اجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل امرهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما اصبح قال لهم اني لارى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الي ليكون منزله معي ثم ان يوسف انزلهم منزلا واجرى عليهم الطعام والشراب وانزل اخاه لامه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه اخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له وما بنيامين قال المثكل وذلك انه لما ولد فقد امه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت ليان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتققت اسماءهم من اسم أخ لي من أمي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك ذلك الى حزن شديد فما اسماؤهم قال بالع وأخير

فكري متأنسا بذكري اذ نوديت في سري يا ابا يزيد امض الى دير سمعان واحضر مع الرهبان في يوم عيدهم والقربان فلنا في ذلك نبأ وشان قال فاستعذت بالله من هذا الخاطر وقلت لست أخاطر فلما كان الليل أتاني الهاتف في المنام واعاد على ذلك الكلام فانتبهت من منامي مرعوبا وفي هذا الامر مفكرا مكروبا فنوديت جهارا يا أبا يزيد لا باس عليك انت عندنا من الاولياء الاخيار ومكتوب في ديوان الابرار فالبس زي الرهبان واشدد من اجلنا الزنار فما عليك في ذلك جناح ولا انكار قال ابو يزيد فقمت مسرعا من باكر وامتثلت الاوامر ولبست زي الرهبان وحضرت معهم في دير سمعان فلما حضر كبيرهم واجتمعوا وانصتوا ارتج عليه المقام فلم ينطق الكلام كأن في فيه لجام فقال له القسيسون والرهبان ما الذي يمنعك عن الكلام ايها الرهبان فنحن بقولك نهتدي وبعلمك نقتدي فقال ما منعني عن ان أتكلم وابتدي الا رجل بينكم محمدي وقد جاء لدينكم مجدنا وعليكم معتمدي

وأشكل واحيا وخير ونعمان وورد ورأس وحيثم وعيتم قال فما هذه الاسماء قال اما بالعا فان أخي ابتلعته الارض وأما أخير فانه كان بكر أمي وابي واما اشكل فانه كان اخي لابي وامي ومني واما احيا فلكونه كان حييا واما خير فانه كان خيرا حيث كان واما نعمان فانه ناعما بين ابويه واما ورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن واما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد واما حيثم فاعلمني ابي انه حي واما عيتم فلو رأيت غرته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب أن اكون اخاك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشيء من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له انى انا اخوك قال بنيامين فانى انا لا أفارقك قال يوسف انى قد علمت باغتمام الوالد فان حبستك زاد غمه ولا يمكنني حبسك الا بعد اشتهارك بامر فظيع فقال لا أبالي افعل ماتريد فقال يوسف انى ادس صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كاسا من الذهب مكللا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكتال بها ثم انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف امر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم ونفعل بكم مالم نفعل لغيركم قالوا بلى وماذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد احدا بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل اضررنا احدا او افسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين مارددناها وفي الحديث انهم لما دخلوا مصر كموا افواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيأ فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذي يتكهن فيه وانه ائتمنني عليه فلم اجده تخوفت ان تسقط منزلتي عنده وافتضح فى مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وانا به زعيم اى كفيل قالوا معاذ الله ان نسرق فقال المؤذن واصحابه فما جزاؤه اى جزاء من وجد فى رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين فقال الرسول عند ذلك لا بد من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى افتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه لازالة التهمة وكان يفتش امتعتهم واحداً واحداً (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء احد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ماأظن ان هذا الغلام اخذ شيأ فقالت اخوته والله مانتركك حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك ولانفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما اخرج الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤسهم من الحياء ثم اقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء اخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي الى البرية فاهلكتموه ان الذى وضع الصاع فى رحلي هو الذي وضع الدراهم فى رحالكم ثم انهم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر عذره شر من جرمه * واختلف العلماء فى السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجده ابى أمه من ذهب فكسره والقاه في الطريق وقال ابن جريج امرته امه وكانت مسلمة ان يسرق صنما لخاله من ذهب فاخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوما فسرق بيضة من البيت واعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فعيروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره كان اول ما دخل على يوسف من البلاء أن

فقالوا ارنا اياه لنقتله الآن فقال لا نقتله الا بدليل وبرهان فقالوا له افعل ماتريد فنحن ماحضرنا الا لنستفيد قال فقام كبيرهم على قدميه ونادي يا محمدى بحق محمد عليك الا مانهضت قائما على قدميك لننظر اليك فقام ابو يزيد ولسانه لايفتر عن التسبيح والتقديس والتحميد فقال له البترك يا محمدى اريد ان اسألك عن مسائل فان أجبت عنها اتبعناك وان عجزت عنها قتلناك فقال سل عما تريد من المعقول والمنقول والله شاهد على مانقول قال فاخبرني عن واحد لا ثاني له وعن اثنين لا ثالث لهما وعن ثلاثة لا رابع لهم وعن أربعة لا خامس لهم وعن خمسة لا سادس لهم وعن ستة لا سابع لهم وعن سبعة لا ثامن لهم وعن ثمانية لا تاسع لهم وعن تسعة لا عاشر لهم وعن عشرة كاملة وعن احد عشر وعن اثني عشر وعن ثلاثة عشر وعن اربعة عشر تكلموا مع رب العالمين واخبرنا عن قوم كذبوا وادخلوا الجنة وعن قوم صدقوا وادخلوا النار واخبرنا اين مستقر روحك في جسدك وعن الذاريات ذروا وعن الحاملات وقرا وعن

عمته بنت اسحق كانت اكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل
أم يوسف ماتت فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع حبه
في قلب يعقوب فاتاها وقال لها يا أختاه سلمي الي يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما انا بتاركته
فلما ألح عليها يعقوب قالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من
عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا
من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه لسلم لي اصنع فيه
ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم في السارق فاتاها يعقوب فاخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك
لا أستطيع غير ذلك فامسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان
يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قال
الرواة لما دخلوا على يوسف واستخرج الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم ادناه من اذنه ثم
قال ان صاعي هذا ليخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم انطلقتم باخ فبعتموه فلما سمع بنيامين ذلك قام فسجد
ليوسف وقال ايها الملك سل صواعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال له حي وسوف تراه فقال بنيامين
اصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضأ فقال بنيامين
أيها الملك اني اريد ان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحله فنقره ثم انه قال ان
صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقني وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو
يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال ايها الملك والله لئن لم تتركنا وتترك اخانا لاصيحن صيحة
لا يبقى في مصر امرأة حامل الا القت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو
يعقوب اذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم الي جنب روبيل ومسه فقام
الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان في هذا البيت لشيء من ولد يعقوب فقال يوسف من
يعقوب فغضب روبيل وقال ايها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
خليل الله قال يوسف انت اذا ان كنت صادقا صادق فلما أراد يوسف ان يحتبس اخاه عنده ويصير بحكمه
وانه أولى به منهم واحتبسه ورأوا انه لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم ويعطونه واحدا منهم
بدله فقالوا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا كانما يحبه فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله
ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان اخذنا بريئا بسقيم
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اي خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين قال كبيرهم يعني في العقل وهو
شمعون عن مجاهد وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو روبيل الم تعلموا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقا من
الله في هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم في يوسف اي من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف فلن ابرح
الارض يعني ارض مصر حتي يأذن لي ابي فارجع الى الملك فاناجزه القتال أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين
ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أي نحن رأينا سرقته معه وما كنا للغيب
حافظين حين سألناك ان ترسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسأل القرية يعني واسأل
اهل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها يعني قوما صحبوهم من اهل كنعان وانا لصادقون لك في قولنا
فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه
عسى الله ان يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على
يوسف وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال

يا اسفا

الجاريات يسرا وعن المقسمات امرأ واخبرنا عن شيء تنفس بغير روح وعن قبر مشى بصاحبه وعن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الارض وعن اربعة لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر أب ولا من بطن أم واخبرنا عن اول دم اهريق في الارض وعن شيء خلقه الله ثم استعظمه وعن افضل النساء وعن افضل البحار وعن افضل الجبال وعن افضل الدواب وعن افضل الشهور وعن أفضل الليالي وعن الطامة وعن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنان منها في الشمس وثلاثة في الظل وعن شيء حج الى بيت الله الحرام وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة واخبرنا كم نبي خلقه الله وكم رسل منهم وغير مرسل وعن اربعة أشياء مختلف طعمها ولونها والاصل واحد واخبرنا عن النقير والفتيل والقطمير وعن السبد واللبد والطم والرم واخبرنا عما يقول الكلب في نبيحه وما يقول الحمار في نهيقه وما يقول الثور في نعيره وما يقول الفرس في صهيله وما يقول

يااسفا على يوسف والاسف اشد الحزن (وروي) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه على ابنه ما اصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يااسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند ابيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض اكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكا وبكى قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا اى مريضا ذاهب العقل من الهم او تكون من الهالكين فقال يعقوب لما راى غلظتهم وجفوتهم انما اشكو بثي وحزني الى الله الآية وفى الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ اخوك فما بلغ بك ما ارى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحي الله تعالى الى يعقوب اتشكونى الى خلقي فقال يارب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله (اخبرنى) الحسين بن فتحويه اخبرنا احمد بن الحسن بن حامد اخبرنا الحسين بن ايوب اخبرنا عبد الله بن أبى زياد اخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط سمعت ابى يقول بلغنا ان رجلا قال ليعقوب ما الذى اذهب بصرك قال حزنى على يوسف قال فما الذى قوس ظهرك قال حزنى على أخيه فاوحي الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك انما اشكو بثي وحزني الى الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لاخرجتهما لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم فلم يطعموه منها شيأ وان احب الناس الى من خلقى الاسخياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ويقال ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف انه كان له بقرة ولدها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فاخذه الله بذلك فابتلاه بفقد اعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية قال السدى لما اخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله احست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف (وروى) انه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حى يرزق (وروي) انه رأي ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسي بابى كيلا يدخل على احد واشكوا بثى وحزني الى الله فقال له يانبي الله انا الذى ايتم الاولاد وأرمل الازواج وافرق بين الجماعات قال فانت اذا ملك الموت قال نعم فقال ياملك الموت انشدك الله الا اخبرتني هل تقبض روح من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرنى عن الارواح اتقبضها مجموعة أو متفرقة روحا روحا قال اقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف في الارواح قال لا قال فجئتني زائرا أم داعيا فقال يانبي الله ما جئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التى عليها قرار الارضين وما أذن الله لى فى زيارتك الا لابشرك وأجيبك عما تسألني عنه وان شئت اعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمني ياعزرائيل فقال يااسرائيل الله هل تذكرت الجارية التى اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت بينها وبين ابويها قال نعم ياملك الموت كانه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال امرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها في يوم كذا وشهر كذا فمر نعيم العابد العبد الصالح بك

النار فهم اليهود
... ايست
...
يقول ...
وما يقـ...
... في
تسبيحه وما يقـول
الناقوس فى نقيره واخبرنا
عن قوم اوحى الله اليهم
لا من الجن ولا من الانس
ولا من الملائكة واخبرنا
أين يكون الليل اذا جاء
النهار وأين يكون النهار
اذا جاء الليل * فقال ابو
يزيد هل بقى مسائل غير
هذه المسائل فقال لا فقال
ان فسرتها لكم واجبت
عنها تؤمنوا بالله ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم
فقالوا نعم فقال اللهم أنت
الشاهد على ما يقولون (اما)
سؤالكم عن واحد لا ثانى
له فهو الله عز وجل
(واما) سؤالكم عن اثنين
لا ثالث لهما فهما الليل
والنهار لقوله تعالى وجعلنا
الليل والنهار آيتين (وأما)
سؤالكم عن ثلاثة لا رابع
لها فهي العرش والكرسي
والقلم (وأما) سؤالكم عن
اربعة لا خامس لها فهى
الكتب المنزلة وهي التوراة
والانجيل والزبور والفرقان
(وأما سؤالكم) عن خمسة
لا سادس لها فهى الصلوات
الخمس المفروضات على كل
مسلم ومسلمة (وأما)
سؤالكم عن ستة لا سابع

وهو صائم ما افطر منذ اسبوع فاشتم قتار الشوى فلم اطعمه شيأ فعند ذلك اعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وامران يذبح كل يوم من أغنامه كبشان و يفرق لحمهما على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكره عليه واتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا ان نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى في طول بلائه ساعة قط من ليل او نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز اى الملك بلغة مصر مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أى قليلة ردية لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها واختلف المفسرون فى هذه البضاعة ما هي فقال ابن عباس كانت دراهم ردية زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبى مليكة رضى الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال رثة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت امتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلى فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا أنه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلائى سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على احد من الانبياء سوى نبينا محمد صلي الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا اراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ أنتم جاهلون واختلف العلماء في السبب الذى حمل يوسف على هذا القول الذى كان بدء فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا انهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وادركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حكى لاخوته ان مالك بن دعر قال انى وجدت غلاما فى بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعنا هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يبكى و يحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان انت فعلت بنا ذلك فابعث بامتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم و بكى وقال لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك ان يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل والموفي الكيل أما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدى فابتلى بالنمروذ فشدت يداه ورجلاه والقى فى النار فجعلها الله بردا وسلاما واما ابى فشدت يداه ورجلاه ووضعت السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما أنا فكان لى ابن وكان احب أولادى الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان اخاه من امه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل اخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم قال ثلاثة بنين قال فما سميتهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لك ولذكرك قال فما سميت الثانى قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لاذكرك به قال فما سميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك ان قال لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا له أئنك لانت يوسف قال ابن اسحق لما قال

الجاريات يسرا ثم التي المقسمات ... في كتابه العزيز ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام (وأما) سؤالكم عن سبعة أيام لا ثامن لها فهي السموات السبع لقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا (وأما) سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (وأما) سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط الذين يفسدون فى الارض لقوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون (وأما) سؤالكم عن عشرة كاملة فهى فروض مكة التى وجبت على الحاج وهو محرم لقوله تعالى فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة (وأما) سؤالكم عن احد عشر فهم اخوة يوسف عليه السلام (وأما) سؤالكم عن ثلاثة عشر فهى رؤية يوسف عليه السلام لقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر (وأما) سؤالكم عن قوم كذبوا وادخلوا الجنة فهم أخوة يوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب (وأما) سؤالكم عن قوم صدقوا

يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا ائنك
لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف
هل علمتم ما فعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كان ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف
فقالوا له مستفهمين أئنك لانت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى
وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها
شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له ائنك لانت يوسف قال انا يوسف
وهذا اخي قد من الله علينا بان جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين
ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وبجريمتهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال
يوسف وكان حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين (قال) السدي وغيره
فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل ابي من بعدي قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه (قال
الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح
وعوفي فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصي
هذا فالقوه على وجه أبي يات بصيرا وأتوني باهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان
قال ابوهم يعقوب اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اي تسفهون (ويروي) ان ريح الصبا استأذنت
ربها ان تأتي يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتته بها قال ابن عباس وجد
يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال مجاهد وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت
الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك
القميص فمن ثم قال اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان
جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدي العير وقال السدي قال يهوذا ليوسف
انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فاخبرته ان يوسف اكله الذئب فاعطني اليوم قميصك لاخبره انك
حي فافرحه كما احزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا وجعل يعدو حتى أتى اباه
وكان معه سبعة ارغفة فلم يستوف اكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص
القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم
وسروره بعد الحزن (عن) أبي هريرة رضي الله عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم اهل الارض على
ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه في أن ياتي يعقوب فاذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت
أسألك بالذي خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت
يا يعقوب ألا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال
فدعا بها يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرحوا القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند
ذلك ألم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال
سوف استغفر لكم ربي الآية (قال) اكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة
عاشوراء وذلك ان الدعاء في الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة
بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر
لولدي ما جنوا على أخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل
ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه اخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة اخبرنا

وادخلوا النار فهم اليهود
وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على
شيء فهم تصدقوا وادخلوا
النار (وأما) سؤالكم عن
مستقر الروح في الجسد
فانها تكون بين اذنيك في
صورة الوجه (واما) سؤالكم
عن الذاريات ذروا فهي
الرياح الاربع (وأما)
الحاملات وقرا فهي
السحب (واما) سؤالكم
عن الجاريات يسرا
فهي السفن الجارية في
البحار (وأما) سؤالكم
عن المقسمات أمرا فهم
الملائكة الذين يقسمون
على الناس أرزاقهم في ليلة
النصف من شعبان (واما)
سؤالكم عن أربعة عشر
تكلموا مع رب العالمين فهي
السموات السبع
والارضون السبع لقوله
تعالى فقال لها وللارض
ائتيا طوعا أو كرها قالتا
اتينا طائعين (واما)
سؤالكم عن قبر مشى
بصاحبه فهو حوت يونس
عليه السلام (وأما) سؤالكم
عن شيء تنفس بغير روح
فهو الصبح (وأما)
سؤالكم عن ماء لا نزل من
السماء ولا نبع من الارض
فهو الذي بعثته بلقيس
الى سليمان عليه السلام في
قارورة وكان من عرق

احمد بن ابى السفر بن ثوبان البصري اخبرنا اسحق بن زياد الاردلى اخبرنا الفضل بن حميد البغدادي اخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن ابى سلمة عن عطاء الخراسانى قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ ألا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى (وروي) ان يعقوب قال للبشير لما اخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثورى) لما التقي يعقوب و يوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه و بكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتي ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني و بينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتي راحلة وسأله ان يأتيه باهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذى فوقه فخرج مع يوسف فى أربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب افضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وابوه يعقوب وخالته ليا فسمى الخالة اما كما سمي العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد إلهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا الرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأي يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم ثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسي ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة و بضع وسبعون رجلا سوى الذريه والهرمي والزمني وكانت الذرية الف الف سوى المقاتلة ❊ وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال يا بني لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب الى كتابا فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما ازداد شوقى وكثر حنيني آخذ ورقة حتى اكتب اليك يا أبت فيمنعني جبريل ان اكتب اليك فاتركها في هذه الخزانة حتي بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعني ربى فسأل الله عن ذلك فاوحي الله اليه لانك قلت أخاف ان يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري (وروى) صالح المرى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما اجمع ليعقوب شمله خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب و بيوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على ان يأتوا الشيخ فاتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقال يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء ارحم البرية فقال ما بكم يا بني فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفوتما عنا قالا بلى قالوا فان عفوكما لا يغني عنا شيأ اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا نريد أن تدعوا الله لنا فاذا جاءك الوحي من عند الله بانه هل عفا الله عنا فان اجابك بانه قد عفا عنا جميعا اقرت أعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين فى الدنيا ابداً فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة قال صالح

الخيل (واما) سؤالكم عن اربعة لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر اب ولا من بطن ام فهى كبش اسمعيل وناقة صالح وآدم وحواء (وأما) سؤالكم عن شيء خلقه الله ثم انكره فهو صوت الحمار كما قال الله تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الحمير (وأما) سؤالكم عن أول دم اهريق على وجه الارض فهو دم هابيل لما قتله قابيل (وأما) سؤالكم عن شيء خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى ان كيدكن عظيم (واما) سؤالكم عن شيء اوله عود وآخره روح فهى عصا موسى عليه السلام لقوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسي الآية (وأما) سؤالكم عن أفضل النساء فحواء أم البشر وخديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران (وأما) سؤالكم عن أفضل البحار فسيحون وجيحون والفرات ونيل مصر (وأما) سؤالكم عن أفضل الجبال فهو الطور (وأما) سؤالكم عن أفضل الدواب فهى الخيل (وأما) سؤالكم عن افضل الشهور فشهر رمضان (وأما) سؤالكم عن أفضل الليالى فليلة القدر (واما) سؤالكم

المري ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى بعثني اليك أبشرك بانه قد أجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك على النبوة قالوا فاقام يعقوب بمصر بعد موافاته باهله وولده اربعة وعشرين سنة باغبط حال واهنأ عيش وأنعم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بين بنيه وقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصي الى يوسف ان يحمل جسده الى الارض المقدسة حتي يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس في تابوت من ساج وخرج معه يوسف في عسكره واخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا في يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة سنة وسبعا واربعين سنة لانهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد (قال) فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وانه لابد من فراقه فاراد نعيم الجنة اذ هو افضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمني الموت ودعا به ولم يتمن نبي قبله ولا بعده الموت فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث الآية (وروى) ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا واعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يا نبي الله نحب ان تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعد خروجك من بين اظهرنا والى ما يؤل اليه أمرنا وديننا وملتنا فقال لهم ان أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى ان يبعث رجل جبار عات من القبط يدعى الربوبية فيقهركم ويذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدي القبط على يده قال فجعل كل من بني اسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسي قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم امركم ما دام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت مدة ولايته وأذن الله تعالى بمولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبي الله في الارض فما زالوا يراعون الحال الان سكن صراخ الديك فوجموا واكتأبوا وايقنوا بوهي اركان دينهم واظلال ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا الذلك واجمين الى ان صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصي الي أخيه يهوذا واستخلفه على بني اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته حتي هموا بالقتال فرأوا ان يدفن في النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره في النيل الى ان حمله موسي عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بارض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروي) يونس بن عمران عن ابي موسي قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرمتنا فاحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعنزة نحلبها أهلي فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بني اسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بني اسرائيل فقال ان بني اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبني اسرائيل فبعث اليها موسى فاتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت له وتعطيني حكمي قال وما حكمك قالت ان اكون معك في الجنة فكره ان يعطيها حكمها فاوحي الله اليه ان اعطها حكمها فافعل

عن الطامة فهي يوم القيامة وأ(ما) سؤالكم عن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنان في الشمس وثلاثة في الظل فهي السنة والاغصان هي الشهور والاوراق هي الايام والخمس زهرات هي الخمس صلوات في اليوم والليلة (واما) سؤالكم عن شيء حج الى البيت الحرام وطاف وليس له روح ولا وجب عليه فريضة فهي سفينة نوح عليه السلام (واما) سؤالكم عن اربعة مختلف طعمها ولونها والاصل واحد فهي العينان والاذنان والانف والفم فماء العين مالح وماء الاذنين مر وماء الانف حامض وماء الفم حلو (واما) سؤالكم عن النقير والفتيل والقطمير فالنقير النقرة التي في ظهر النواة والفتيل هو الذي في باطنها والقطمير هو القشر الذى فوقها (واما) سؤالكم عن السبد واللبد فهو شعر الضأن والمعز (واما) سؤالكم عن الطم والرم فهي الامم الماضية قبل آدم عليه السلام (واما) سؤالكم عما يقول الحمار في نهيقه فانه يرى الشيطان ويقول لعن الله العشار (واما) سؤالكم عما يقول الكلب

(ويروى) من طريق آخران هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتي تعطيني اربع خصال تطلق رجلي وتعيد الي بصري وشبابي وتجعلني معك في الجنة قال فكبر ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه ان اعطها ما سألت فانك انما تعطي على فقمل فانطلقت بهم الى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطىء النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال اهل التاريخ) عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ مجلس فى قصة يوسف بن ميشا بن يوسف عليه السلام ﴾

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضي ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان احدهما يقال له افرائيم والآخر ميشا وابنة يقال لها رحمة وهي امرأة النبي أيوب عليه السلام فولد لافرائيم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسي بن عمران وخليفته على بني اسرائيل واما ميشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وافسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن ميشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله واداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسي بن عمران بمائتى سنة فاطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال) وهب بن منبه وغيره كان مما أوحى الله اليه ان قل لقومك انى بريء ممن سحر اوسحر له اوتكهن اوتكهن له اوتطير اوتطير له من آمن بى صادقا وتوكل على فانى كنت له كافيا ومغيثا وكفيته همّ دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بى ومن عدل عني ووثق بغيري فانا أغنى الشركاء عن الشرك اكله الى من وثق به دوني ومن وكلته الى غيرى فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عني كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الى كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادى لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله ان يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

﴿ مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبى وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج فى طلب ابل له قد ضلت أى شردت فبينما هو في بعض صحاري عدن فى تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها احدا الا داخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير فى الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت اصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من ابواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك احدا اخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا في كل زقاق منها اشجار قد اثمرت وتحتها انهار تجرى في قنوات من فضة اشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التى وصفها

الله

فى تسبيحه فانه يقول ويل لاهل النار من غضب الجبار (واما) سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فانه يقول سبحان حافظى اذا التقت الابطال واشتغلت الرجال بالرجال (واما) سؤالكم عما يقول البعير فى رغائه فانه يقول حسبى الله وكفى بالله وكيلا (واما) سؤالكم عما يقول البلبل في تغريده فانه يقول فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (واما) سؤالكم عما يقول الضفدع فى تسبيحه فانه يقول سبحان المعبود فى البرارى والقفار سبحان الملك الجبار (واما) سؤالكم عما يقول الناقوس في نقيره فانه يقول سبحان الله حقا حقا انظر يا ابن آدم فى هذه الدنيا غربا وشرقا ماترى فيها احدا يبقى (واما) سؤالكم عن قوم اوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة فهو النحل لقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل الآية (وأما) سؤالكم عن الليل اين يكون اذا جاء النهار وعن النهار اين يكون اذا جاء الليل فانهما يكونان في غامض علم الله تعالى ثم قال ابو يزيد هل بقى معكم مسائل غير ذلك فقالوا لا فقال اخبرونى عن مفتاح

الله لعباده فى الدنيا والحمد لله الذى أدخلني الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها و بنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها شيئا ولا من يواقيتها لانها كانت مثبتة فى أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فاخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفوا اثر ناقته حتي رجع الى اليمن فاظهر ما كان معه واعلم الناس بامره و باع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه فشا خبره حتى بلغ معاوية بن ابى سفيان فارسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فاشخص حتى قدم على معاوية فخلا به ثم سأله عما عاين فقص عليه امر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وانكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معى من متاعها الذي هو مفروش فى قصورها وغرفها فقال له وما هو قال اللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران فقال له ارني اياه فعرض عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ و بنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فامر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفران فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف اصنع حتي اعرف اسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها والله ما أعطي احد مثل ما اعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة فى زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين ان يبعث اليه و يامر باشخاصه و يغيب عنه هذا الرجل فى موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها الآن مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا ان يكون قد سبق له في الكتاب دخولها فيعرف ذلك فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا ابا اسحق انى دعوتك لامر رجوت ان يكون علمه عندك فقال له يا امير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له اخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد و ياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وانهارها فى الازقة تجرى تحت الاشجار فقال كعب والذى نفس كعب بيده لقد ظننت انى سأسأل قبل ان يسألنى احد عن تلك المدينة وما فيها ولكن اخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هى ومن بناها اما تلك المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له واما الذى بناها فشداد بن عاد واما المدينة فهى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فقال له معاوية يا ابا اسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمي احدهما شديدا والاخر شدادا فهلك عاد و بقي ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد واخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد فى زمانهما الا دخل في طاعتهما الا فى شرق الارض ولا فى غربها وانهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد و بقي شداد فملك وحده ولم ينازعه احد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه ان يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك في نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هي ارم ذات العماد وامر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى اطيب بقعة فى الارض وأوسعها واعملوا لى فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد و ياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها واجروا فيها الانهار تحت الاشجار فانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى احب ان اتخذ مثلها فى الدنيا واتعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضه فتبنى منها مدينة كما

الجنة ومفتاح السموات ما هو قال فسكتوا ولم يتكلموا فقال ابو يزيد سألتمونى عن مسائل كثيرة فاجبت عنها وقد سألتكم عن مسئلة واحدة فلم تجيبوا عنها اعجزتم عنها فقالوا نعم ثم التفتوا الى كبيرهم وقالوا او عجزت عن ذلك فقال ما عجزت ولكن أخاف ان لا توافقونى فقالوا بل نوافقك فانك كبيرنا ومهما قلت لنا سمعناه ووافقناك عليه فقال مفتاح الجنة والسموات لا إله إلا الله محمد رسول الله فقالوها واسلموا عن آخرهم وحسن اسلامهم وخرجوا من الدير وخربوه و بنوه مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودى ابو يزيد شددت من أجلنا زنارا فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار (إخوانى) انظروا الى هؤلاء كلهم قد كانوا كفارا في ظلمات العمى فانقذهم الله تعالى من الردى بنور الهدى فكل ذلك ببركه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانظروا الي كلمة الاخلاص ما أعظم بركاتها وما أنجع حركتها فرطبوا السنتكم بها لتنالوا بركة احسانها وتظفروا بحلاوة امتنانها وتدخلوا

وصفت لنافقال لهم شداد ألستم تعلمون ان ملك الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأي بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم مافى كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى مافي ايدى الناس من ذلك تخذوه سوي مايأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك ومافيها لاتعلمون أكثروأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك في الدنيا كتابا يأمرهم ان يجمع له مافي بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارمة واعطوا كل ملك من الملوك كتابا بأخذ مايوجد فى مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا مايحتاجونه الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية ياأباسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الفعلة والقهارمة فتفرجوا فى الصحاري ليتخذوا مايوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا في ارض ابين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال واذاهم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التى أمرنا بها فاخذوا بقدر ماأمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التى فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع اليماني وعجنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والحلب فلما فرغوا من وضع الاساس واجروا فيها القنوات ارسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفروغا منها فدفعوا كل ذلك الى أولئك القهارمة والوزراء فاقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ماأراد شداد فقال له معاوية ياأباسحق انى لاحسبهم اقاموا في بنائها زمانا من الدهر قال نعم ياأمير المؤمنين انى لاجد في التوراة انهم اقاموا في بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له ياأباسحق لقد اخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال ياأمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من اجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت وليس في الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال التى لم يخلق مثلها فى البلاد (قال كعب) انهم لما أتوه واخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم اتوه فاخبروه بالفراغ مما أمرهم قال فامر الف وزير من خاصته ان يهيئوا أسبابهم ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وأمر رجالا ان يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من اراد من نسائه وخدمه ان يتجهزوا الى ارم ذات العماد فاقاموا في جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى ارض ابين وخلف من قومه اكثر مما سار به فلما استقبل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها مرضا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالي عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك هذا يرى مافيها فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية ياأباسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل احمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له فى تلك الصحاري فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأي الرجل فقال له هو ذاك الرجل ياأمير المؤمنين قد دخلها فسأله عما حدثت به فقال معاوية ياأباسحق ان هذا من خدمي ولم يفارقني قال قد دخلها والى سوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين في

اخر

حرم امانها فانها حصن منيع ودرع رفيع وقد قال الله تعالى في كتبه المنزلة اكثروا من قول لا إله إلا الله فانها حصني ومن دخل حصني أمن من عذابى وقال بعض الصحابة من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه ومدها بالتعظيم غفر الله تعالى له اربعة آلاف ذنب فان لم يكن عليه ذلك يغفر من ذنوب أهله وجيرانه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الليل والنهار اربعة وعشرون ساعة وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله اربعة وعشرون حرفا فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر الله بكل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب فانظروا ياإخواني كيف خص الله هذه الامة بهذه الرحمة فاجعلوا استكرارها شغلكم تفوزوا برضوان ربكم (وعن وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه) انه قال لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه ففتح عينيه فنظر الى باب الجنة فرأي مكتوبا عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال يارب وهل خلقت خلقا أعز عليك مني فقال الجليل جل جلاله نعم ياآدم هو نبي من ذريتك ابعثه آخر الزمان بالآيات والبرهان

آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد اعطيت من علم الاولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله في الارض شيأ الا وقد فسره في التوراة لعبده موسى تفسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبي) اخبرنا دغفل الشيباني عن رجل من حضرموت يقال له بسطام انه وقع على حفيرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت أصبع فى صباي الى ان اكتهلت بمغارة في جبل من جبالها وان الناس تهيب دخولها فلم أحفل بما كنت اسمع من ذلك فبينما انا فى نادى قومى اذا انشدوا حديث تلك المغارة واطنبوا فى ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومى انى غير منته عن هذه المغارة حتى ادخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن انا أصاحبك فقلت يا ابن أخي أتجسر على ذلك قال عندى ما عند رجل من شدة الجاش وقوة القلب فهيأنا شمعة وحملنا معنا أدوات عظيمة مملوأة ماء وطعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وهو مشرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب المغارة حزمنا علينا ثيابنا وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها علوا نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو بنا فى طريق أملس مستو ثم افضينا الى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة اذرع فحملنا انفسنا على نزول تلك الدرجة فقلت لصاحبى هلم الى يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلى على منكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا ثلاثة يوما حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فافضينا الى ازج عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض اربعين ذراعا وسمكه في السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد بصنوف الجواهر وفوقه رجل عادي عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج وعرضه وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضيء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة اذرع خارجا الى فضاء لم يدر ما هو واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة ما لها مثل وهى كتابة كاتب عاد كتبها في زمانه محفورة تلك الكتابة في اللوح حفرا فطلعنا ودنونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار مائة رطل فحملناها فى ازرنا وأرديتنا وأردنا قلع شيء من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لوثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا فى ذلك الازج وطفئت الشمعة التى كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ما ترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وأنا لا نستطيع صعوده لا سيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فانى أرجو ان نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمري ان هذا لهو الرأى فنهضنا بما معنا من تلك القضبان التي من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذي كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشى في طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتقوت ببقية الماء والطعام الذي كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل في البحر فلوحنا اليه فنظر الينا اهله فارسلوا الينا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بقسطي ثم ان انفسنا دعتنا الى العود الي ذلك السرير مما يلي الثقب فركبنا قاربا وسرنا فى البحر نحو المكان الذى خرجنا منه فخفى علينا مكانه

فهو خير الانبياء وأمته خير الامم قال فلما خلق الله تعالى حواء ركب فيه الشهوة فقال آدم يارب زوجني بها فقال الله تعالى هات مهرها فقال يارب وما مهرها فقال تصلي على صاحب هذا الاسم مائة مرة وانا ازوجك بها فقال آدم يارب ان فعلت ذلك تزوجنيها فقال الله عزوجل نعم فصلى آدم عليه السلام مائة مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فزوجه الله بها (وقال بعض الصوفية رضى الله تعالى عنه) كان لى جار مسرف على نفسه بالمعاصى فلما مات رأيته فى المنام وهو فى دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت بمجلس الذكر فسمعت المحدث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول انه من صلى على صلاة ورفع بها صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة ورفعنا أصواتنا وجميع القوم فغفر لنا فى ذلك اليوم (قال) ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت على ذلك و بكت ثم رأته بعد ذلك فى النور والرحمة قالت فسألته عن ذلك فقال مر بنا رجل فوقف بوسط المقبرة وصلى على النبي صلي

فلما انالم نرزق منه الاما اخذنا فرجعنا وان اللوح مكث عندي حولا لا أجد احدا يقرؤه لي حتى اتانا رجل من أهل صنعاء حميري كان يحسن قراءة تلك الكتابة فاخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبر بي ايها المغرور بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد * صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ * ساء والملك الحشيد
دان اهل الارض طرا * لي من خوف وعيد
وملكت الشرق والغر * ب بسلطان شديد
وبفضل الملك والعد * ة فيه والعديد
جاءنا هود وكنا * في ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا * كان بالامر الرشيد
فعصيناه ونادينا الاهل من محيد
فأتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد
فتوافينا كزرع * وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سألت علماء حمير عن شداد وقلت انه اصيب وقد دنا من ارم ذات العماد فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة تلك المدينة ملك من بعده مرثد بن شداد وقد كان ابوه خلفه على ملكه بحضرموت فامر بحمل ابيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله اعلم

(مجلس في ذكر قصة اصحاب الرس)

قال الله تعالى وعادا وثمود واصحاب الرس اختلف العلماء من أهل التفسير واصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل اخبر بطائفة من حديث اصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم اصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بارضهم جبل يقال له فتج مصعد في السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهي كاعظم مايكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت في ذلك الجبل تنقض على الطير تأكلها فجاعت ذات يوم واعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تاخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فاخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فاصابتها صاعقة فاحترقت فلم يرلها اثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا في أشعارها وحكمها وأمثالها ان اصحاب الرس قتلوا نبيهم فاهلكهم الله تعالى (وقال بعض العلماء) بلغني انه كان رسان أما احدهما فكان اهله اهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولي فقتلوا الرسول وجاهدهم الولي حتى افحمهم وكانوا يقولون الهنا في البحر وكانوا على شفيرة وكان يخرج اليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم الولي أرأيتم ان خرج الهكم الذي تدعونه وتعبدونه الي واطاعني اتجيبونني الى مادعوتكم اليه قالوا بلى فاعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتي خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الولي اليه وقال له ائتني طوعا أو كرها بسم الله الكريم فنزل عند ذلك من على اخوته فقال له الولي ائتني راكبا عليهن لئلا يكون القوم من امرهم على شك فاتى الحوت واتت به الحيتان حتي أفضوا به الى البرية يجرونه ويجرهن فلما رأوا ذلك سخروا به وكذبوه ونقضوا العهود فبعث الله اليهم ريحا فالقتهم في البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فاتى الولي الصالح الى البحر واخذ الذهب والفضة والاواني فقسمها على اصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك

الله عليه وسلم وأهدى ثواب صلاته لجميع الاموات فجعل نصيبي من ذلك الرحمة والمغفرة فغفر لي (وقال بعض العارفين رضي الله تعالى عنه صليت ليلة من الليالي صلاة العشاء الاخيرة فلما جلست للتشهد نسيت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته في المنام وهو يقول ياهذا نسيت الصلاة علينا فقلت يارسول الله اشتغلت بالثناء على الله فقال اما علمت ان الله سبحانه وتعالى لا يقبل الثناء عليه الا بالصلاة على أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقمت من نومي وانشدت شعرا

صلوا على من أنت حقا بشائره
الهاشمي الذى طابت عناصره
هو النبي الذى شاعت رسالته
فى الخلق طرا وقد عمت مآثره
هو الرسول الذي تسعى الملوك له
على لرؤس فتاتيهم مفاخره
هذا الطبيب لهدى الناس كلهم
يشفي العليل وللمكسور جابره

النسل (وأما الآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم انبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبي الا قتلوه وذلك النهر بمنقطع اذربيجان بينها و بين ارمينية فاذا قطعته مدبرا دخلت في حد ارمينية واذا قطعته مقبلا دخلت في حد اذربيجان وكان من حولهم من أهل ارمينية يعبدون الاوثان ومن قدامهم من أهل اذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجواري والعذاري فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع في كل يوم وليلة حتى يبلغ انصاف الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف و يدور ثم يرجع اليهم فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وايده بنصره و بعث معه وليا فجاهدهم في الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه وكان في أوان وقوع الحب في الارض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون الى الماء فحفر نهرهم في البحر وانصب ما في اسفله وأتى الى عيونه من فوق فسدها وبعث الله اليه خمسمائة من الملائكة اعوانا له ففرقوا ما بقي في وسط نهرهم ثم امر الله جبريل فنزل فلم يدع في ارضهم عينا ولا نهرا الا ايبسه باذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق الى المواشي فاماتها دفعة واحدة وامر الرياح الاربع الجنوب والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع والقى الله تعالى عليهم الثبات ثم خففت الرياح الاربع بذلك المتاع اجمع فرمته في رؤس الجبال وبطون الاودية وأما ما كان من حلي ونحو آنية فان الله تعالى امر الارض فابتلعته فاصبحوا لا شاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما ياكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار في جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحدا وعشرين رجلا واربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقي من الرجال والنساء والذراري ستمائة الف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صار اعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين لله ان يحييهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلا لئلا يطغوا فاجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله رسولا الى من يليهم ويقاربهم الا اعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فاطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فاقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم اطاعوا الله في الظاهر ونافقوا في الباطن واملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معاصيهم اكثر من طاعتهم وخالفوا اولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فاسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقي نهرهم ومنازلهم ومافيها مائتي عام لا يسكنها احد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين فاقاموا فيها ستين سنة ثم احدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو بنته واخته وزوجته فيبيت معها جاره واخاه اوصديقه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنى الرجال بالرجال فجاءت للنساء شيطانة في صورة امرأة وهي الدلهان بنت ابليس وهي اخت الشيطان وكانا في بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فاصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في اول ليلهم وخسفا في آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا احسب منازلهم اليوم مسكونة (وروي) عن علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من اشراف بني تميم يقال له عمر أتاه فقال يا امير المؤمنين أخبرني عن اصحاب الرس في أي عصر كانوا واين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وبماذا اهلكوا فاني أجد في كتاب الله عزوجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا

صلى عليه اله العرش ما طلعت
شمس وما ناح فوق الغصن طائره
(وعن سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما انا أطوف بالبيت اذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا هذا انك تركت التسبيح والتهليل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك في هذا شيء فقال من انت عافاك الله فقلت سفيان الثوري فقال لولا انك غريب اهل زمانك لما اطلعتك على حالي واخبرتك بسري ثم قال خرجت من بلدي انا ووالدي حاجين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة والسلام فبينما نحن في بعض المنازل اذ مرض والدي مرضا شديدا فمكثت نعالجه فبينما انا عند رأسه اذ هو قد مات واسود وجهه قال فحللت ازراري وغطيت به وجهه وحصل عندي غم عظيم وحل بي خطب جسيم حيث مات على تلك الحالة في بلاد الغربة ولا يمكنني اخفاء تلك الحال عن الناس وصرت مفكرا في امري لا ادري ما اصنع

يحدثك به أحد بعدي كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه
درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت نبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان
وانما سموا أصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم
اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الارض
نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان اعظم منازلهم اسفنديا وهي التي
كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوش بن سارب بن النمروذ بن كنعان فرعون ابراهيم
عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها الصنوبرة التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من
طلع تلك الصنوبرة فتنبت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون
منها هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لاحد ان ينقص من حياتها
ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع
اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها
قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها
في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها ان ترضى عنهم
وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم
فطيبوا نفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون
على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم
فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر بابا كل
باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليه الذبائح أضعاف ما قربوا
للشجرة التي في قراهم فيجيء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما
جهورا يعدهم ويمنيهم باكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفعون رؤسهم من السجود وبهم من الفرح
والسرور مالا يفيقون ولا يتكلمون معه فيدعون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنا عشر يوما
وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا
من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم ربوبيته
فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الغي والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من
الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقي ودعوتي اليهم وما أرادوا
الا تكذيبي والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فايبس شجرهم أجمع وارهم قدرتك
وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهالهم ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين فرقة قالوا سحر هذا
الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم
آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها
وجمالها لكي تغضبوا لها فتنتصروا منه فاجمعوا امرهم على قتله فاتخذوا مثل بيت واتخذوا أنابيب طوالا
من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا
ما فيها من الماء ثم حفروا في قعرها بئرا ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم والقوا على فيها صخرة عظيمة ثم
أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجوا ان ترضى عنا آلهتنا اذا رأت انا قتلنا من يقع فيها ويصد عن
عبادتها وانا دفناه تحت كبيرها يتشفى فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم

ويسمعون

فبينما انا كذلك اذ غلبني
النوم فنمت فاذا انا برجل
لم أر احسن منه وجها ولا
أنظف منه ثيابا ولا اطيب
منه رائحة وهو يرفع قدما
ويضع قدما حتى دنا من
والدي ثم كشف الازار
عن وجهه ومر بيده عليه
فعاد ابيض يلوح منه نور ثم
ولى راجعا فتعلقت بثوبه
وقلت من انت الذي من
الله علي والدي بك في هذه
البرية قال فتبسم وقال انا
محمد رسول الله صاحب
القرآن كان والدك مسرفا
على نفسه وكان يكثر الصلاة
علي فلما نزل به ما نزل
استغاث بي فاغثته وانا
غياث من اكثر الصلاة
علي فانتبهت فرأيت وجه
أبي أبيض يلوح منه نور
ساطع (اخواني) اكثروا
من الصلاة على هذا النبي
الكريم فان الصلاة عليه
تكفر الذنب العظيم
وتهدي الى صراط مستقيم
وتقي قائلها من عذاب
الجحيم وتحظي بالجنة دار
النعيم (وعن عبد الرحمن بن
جعفر) رحمه الله تعالى انه
قال كنت بالبصرة اصلي
الخمس في مسجد بجواري
وكان ذلك المسجد يعرف
بالخشابين وكان فيه امام
مغربي يدعى بابي سعيد
وكان رجلا مشهورا بالخير
والصلاح وكان يتكلم في

ويسمعون انين نبيهم وهو يقول سيدى ومولاى ترى ضيق مكانى وشدة كربى فارحم ضعف ركنى وقلة حيلتى وعجل قبض روحى ولا تؤخر اجابة دعوتى حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انظر عبادى هؤلاء الذى غرهم حلمي وأمنوا مكرى وعبدوا غيرى وقتلوا رسلى وانا المنتقم ممن عصانى ولم يخش عقابى وانى حلفت بعزتى لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينما هم في عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فالقت عليهم حجرا كالقبة يلتهب فاذاب ابدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله اعلم

(مجلس فى ذكر قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادي ربه انى مسني الضر وأنت ارحم الراحمين قال وهب وكعب وغيرهما من اهل الكتاب كان ايوب رجلا من الروم وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو ايوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤديا لحقه قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغني من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولا (قال وهب) ان لجبريل عليه السلام بين يدى الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله في القربة والفضيلة وان جبريل هو الذى يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع ذلك فى الملائكة المقربين صليت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد ومن هناك وصل الى آدم حين اخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يصعد فى ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب عن الثلاثة الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادركه البغى والحسد وصعد سريعا حتي صعد فى السماء موقعا كان يقفه فقال يا الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت

المسجد بعد صلاة الصبح بكلام لا يفهمه احد فخرجت فى بعض السنين حاجا الى بيت الله الحرام وكانت سنة شديدة الحر فكنت اسبق الركب حتى يلحقني رفاقى فنمت ليلة من الليالى على عادتى وكنت عادلا عن الطريق فسار الركب ولم يشعر بى فصرت نائما حتى طلعت الشمس وانتبهت وانا لا ادرى كيف الطريق فرفعت طرفي الى السماء وقلت الهى وسيدى الى ههنا حملتنى وعن بيتك قطعتني فما يضرك لو وصلتنى ثم سرت حتى عييت من المسير وقوي على حر الهجير فايست من الحياة وانطرحت على كثيب من رمل انتظر الموت فبينما انا كذلك اذا شخص ينادينى باسمى فقمت ونظرت فاذا هو الشيخ ابو سعيد قال فسلمت عليه فرد السلام على ثم ناولنى رغيفا سخنا فاكلته فاستدر وقي ثم ناولنى ركوة فيها ماء احلى من الشهد وابرد من الثلج وابيض من اللبن فشربت منها وغسلت وجهى فعادت روحي ثم قال اتبعني ياعبد الرحمن ففرحت بذلك فقال البث ههنا فالركب يأتيك بعد ثلاثة ايام ثم ناولني رغيفا

الشياطين وعظماءهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هو
المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت
تحولت أعصارا من نار فاحرقت كل شيء آتي عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق
يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها ونبتت في مراعيها فما شعر الناس حتى ثارت من تحت الارض
أعصار من نار تنفخ فيه رياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها
فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعودها في صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال له
يا أيوب قال لبيك فقال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بابلك ورعاتها فقال أيوب انها
ماله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت وطيبت النفس اني ومالي للفناء
والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها وبقي الناس مبهوتين ووقوفا
عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان
اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل
فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء نزع مني عريانا
خرجت من بطن أمي وعريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربي ابليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك
الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك
مع تلك الارواح وصير لك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فاخرك وخلصك من البلاء كما يخلص
الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة اني لم أكلم
قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت
مهجة نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا ماتت
منه الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم
يصلي فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل ما قال في النوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه
فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما اذا شئت
تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه حتى لا يبقى منه شيء فقال له ابليس فأت الفدادين
والحرث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى في الحرث وأولادهم رتوع فلم يشعروا حتى
هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان
الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فأجابه أيوب بمثل جوابه الاول فجعل
ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله
حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقي له مال فلما رأى
ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيأ ولا نجح في شيء من أفعاله شق عليه ذلك وصعد سريعا ووقف
الموقف الذي كان يقفه وقال الهي ان أيوب يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فانت معطيه المال
فهل أنت مسلطي على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها
صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بني نبي الله أيوب وهم
في قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح جدره بعضها ببعض فرماهم
بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان ابليس انطلق
الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من

وبقي فكنت كلما اكلت
من ذلك الرغيف لقمة
شبعت فاقام الرغيف
عندي ثلاثة ايام الى ان جاء
الركب واجتمعت برفاقي
فلما وقفنا بعرفة رايت
الشيخ وهو واقف عند
الصخرات مشغول بالدعاء
فلما فرغ سلمت عليه فرد
على السلام وقال الك
حاجة يا عبد الرحمن فقلت
يا سيدي اريد دعاءك فدعا
لي ثم نزلنا من الجبل ولم اره
بعد ذلك فلما قضيت الحج
وسرت الى البصرة اتيت
الى مسجده لانظره فلما
نظرته قام الي وسلم علي
وصافحني وعصر على يدي
ففهمت منه ان اكتم سره
قال فلما اقيمت الصلاة
وفرغنا سالت المؤذن عن
غيبة الشيخ في ايام الحج
عن المسجد فحلف المؤذن
ان الشيخ اباسعيد لم يكن
قطع الصلوات الخمس في
المسجد ابدا ولا ساعة
واحدة قال عبد الرحمن
فعلمت انه من الخواص
الابدال السادة الرجال
اعاد الله علينا من بركاتهم
وصالح دعواتهم في الدنيا
والآخرة آمين
(وعن عبد الصمد
البغدادي رضي الله تعالى
عنه انه قال كنت اتجر
من بغداد الى بلاد اليمن
واحج في كل سنة فبينما انا

دماغه فاخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة من التراب فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يا الهي انما هون على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان والله أعلم به انه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل ان يرفع رأسه اتاه من قبل الارض فى موضع وجهه ونفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فوقه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتمالك عن حكها فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه وهو فى بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به (قال) وكان حضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لاسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتم ومن الراى اصوب رأيتم ومن الامر اجمل من الذى أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان ايوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من اهل الارض فى يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على انه سخط شيأ من امره منذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا علمتم انه نزع منه شيأ من الكرامة التى اكرمه الله بها ولا ان ايوب غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا انكم آخيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحكيم ان يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى معه ويستغفر الله ويحزن لحزنه ويدله على رشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول فقد كان لكم فى عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النبلاء البلغاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا استبقوا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون انفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم برآء ويعدون انفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لا كياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه

في بعض السنين فى الطريق بين منى وعرفة اذ رايت شابا حسن الشباب نقى الاثواب كان على وجهه قنديلا من نور وهو راقد على الرمل وتحت راسه حجر وهو يعالج سكرات الموت قال فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت الك حاجة ايها الشاب فقال نعم تقيم عندى ساعة حتى اقضي نحبي والحق بربى فقلت ما الذى تريد قال اذا انامت فوارنى فى التراب وخذ هذه المضدة وروح الى صنعاء اليمن واسأل عن الدرب الفلانى وقل لاهلى عثمان يقرئكن السلام ثم غاب عن الكلام ساعة طويلة حتى حسبت انه مات ثم افاق بعد ذلك وهو يقرا هذه الآية هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ثم شهق شهقة فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الصمد فغسلته وكفنته ووجهه يضىء ويتلألأ ثم صليت عليه فى جماعة ثم دفناه واخذت المضدة معى فلما وصلت الى صنعاء اليمن سألت عن الدرب فارشدت اليه فخرجت الى عجوز وبنات فدفعت اليهن تلك الوديعة فلما راوها جدوا فى البكاء والنحيب ثم خرت العجوز مغشيا عليها فلما افاقت قالت ابن

بالاعمال فهم مرعوبون مفزعون خاشعون مستكينون فقال ايوب ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في
قلب المؤمن الكبير والصغير فمتى نبتت في القلب اظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل
السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون
من الله تعالى نور الكرامة ثم ان ايوب اقبل على الثلاثة وقال أتيتموني غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم
قبل ان تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني باموالكم لعل الله يخلصني وقربوا عني قربانا لعل الله يتقبلها
ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم انفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم فهنالك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما
بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله عليكم بالعافية التي البسكم اياها وقد كنت فيما خلا
الرجال توقرني وانا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأى
ولا كلام معكم فانتم اليوم اشد علي من مصيبتي ثم انه اعرض عنهم واقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال
رب لاي شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني ما خلقتني ياليتني كنت حيضة ألقتني امي اوليتني قد عرفت الذنب
الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني والحقتني باآبائي فالموت كان
اجمل لي الهي ألم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي انا عبد ذليل ان احسنت
فالمنة لك وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع على بلاء لو سلطته على
جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي الهي تقطعت اصابعي فاني لارفع الاكلة من الطعام بيدي
جميعا فما يبلغان فمي الا على الجهد مني الهي تساقطت لهواتي ولحم رأسي فما بين اذني من سداد بل احداهما
ترى من الاخرى وان دماغي ليسيل من فمي الهي تساقط شعر عيني كانما احرق بالنار وجهي
وحدقتاي متدليتان على خدي وورم لساني حتى ملأ فمي فما ادخل فيه طعاما الا غصني وورمت
شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني وتقطعت امعائي في بطني واني لادخل الطعام فيخرج كما
دخل ما أحسه ولا ينفعني وذهبت قوة رجلي فكانهما قد يبستا ولا أطيق حملهما وذهب المال فصرت
اسأل بكفي ويطعمني من كنت اعوله اللقمة الواحدة فيمن بها علي ويعيرني الهي هلك اولادي ولو بقي
واحد منهم اعانني على بلائي ونفعني قد ملني اهلي وعقني ارحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي
وقطعني اصحابي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي اصرخ فلا يصرخونني واعتذر فلا يعذرونني دعوت
غلامي فلم يجبني وتضرعت لامتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي اذلني وادناني واهانني واقامني وان
سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري فاطلق لساني لاتكلم بملء فمي
ولو كان ينبغي للعبد ان يحاج عن نفسه لرجوت ان يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه القاني وتخلى عني فهو يراني
ولا أراه ويسمعني ولا اسمعه ولا نظر الي فرحمني ولا دنا مني ولا ادناني فاتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي
فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظلته غمامة حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا أيوب ان الله
تعالى يقول لك ها انا قد دنوت منك فلم ازل منك قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن
نفسك واشدد عليك ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلي ولا ينبغي ان يخاصمني
الا من يجعل الزمام في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللجم في فم التنين ويكيل مكيالا من النور
ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد امس لقد منتك نفسك امرا ما يبلغ بمثل قوتك
ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت اي مرام رامت بك أأردت ان تكاثرني بضعفك
ام اردت ان تخاصمني بعيك ام اردت ان تحاججني بخطئك اين كنت مني يوم خلقت الارض
فوضعتها على اساسها هل علمت باي مقدار قدرتها ام كنت معي تمر باطرافها ام تعلم ما بعد زواياها ام على أي

صاحب هذه المضرة
فاخبرتها بخبره فقالت هو
والله ولدي عثمان وهؤلاء
اخوانه ترك اهله وحشمه
وخدمه وزهد في الدنيا
وخرج سائحا على وجهه
لا ندري اين ذهب فجزاك
الله عن ولدي خيرا الهي ان
كنت لا ترحم الا المجتهدين
فمن للمقصرين وان كنت
لا تقبل الا على المخلصين
فمن للمسيئين وان كنت
لا تقبل الا الطائعين فمن
للعاصين وان كنت لا ترحم
الا المحسنين فمن للخاطئين
انت اكرم الاكرمين وارحم
الراحمين (وعن ابي الاشهل
السائح رحمه الله تعالى ونفعنا
به) قال رايت غلاما
بطريق مكة وهو قائم
يصلي عند بعض الاميال
قد انقطع عن القافلة
فوقفت انظر اليه فاطال
صلاته فلما سلم قلت له
سلام عليك فقال وعليك
السلام فقلت له انك قد
انقطعت عن الركب الك
رفيق يؤنسك حتى تلحقه
فبكى وقال نعم فقلت واين
هو فقال امامي وخلفي وعن
يميني وعن شمالي فعلمت انه
عارف فقلت له امعك زاد
فقال نعم فقلت واين هو
فقال في قلبي اخلاصي
لربي فقلت له فهل
لك في مرافقتي فقال الرفيق
يشغل عن ذكر الله ولا

شيء وضعت اكنافها بطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض على الماء غطاء أين كنت
مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق تمسكها ولا بحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري
وتسير نجومها ام هل بامرك يختلف ليلها ونهارها اين كنت مني يوم سجرت البحار وانبعت الانهار
اقدرتك حبست امواج البحار على حدودها ام قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت
مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك ان تطيق حملها ام كنت تدرى كم مثقال
مافيها اين الماء الذى انزلته من السماء هل تدرى كم بلدة أهلكتها وكم من قطرة احصيتها وقسمت
الارزاق ام قدرتك تثير السحاب وتنشر الماء هل تدرى ما اصوات الرعد ام من اى شيء لهب البرق
وهل رأيت عمق البحر ام هل تدري ما بعد الهواء ام هل تدري أين خزانة النهار بالليل واين طريق
النور وباى لغة تتكلم الاشجار أين خزانة الريح واين جبال البرد ام هل تدري من جعل العقول في
أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن قهر الجبارين بجبروته
وقسم ارزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد ارزاقها وعرف الطير معاشها وعطفها على افراخها
ومن اعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تانس بالاصوات ولا تهاب السلاطين
أبحكمتك عطفت عليها أمهاتها حتى اخرجت لها طعاما من اجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها ام
بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد واصبح فى اماكن القتلى اين انت يوم خلقت البهموت مكانه في منقطع
التراب واللوتيا يحملان الجبال والقرى والعمران انيابهما كانها شجر الصنوبر الطوال ورؤسهما كانها
الجبال وعروق افخاذهما كانها عمد النحاس أ أنت ملأت جلودهما لحما أم انت ملأت رؤوسهما دماغا هل
لك في خلقهما من شرك ام لك بالقوة التي غلبتهما يدان ام هل يبلغ من قوتك ان تضع يديك على رؤوسهما
ام تقعد على طريق فتحبسهما او تصدهما عن قوتهما أين انت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر ومسكنه
في السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا اذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كانه
اعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر كامثال الصخور وكأن ضرب اسنانه اصوات
الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل زبر
الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يخشى وقع الصخور على
جسده ويطير فى الهواء كأنه عصفور فيهلك كل شيء يمر به هل أنت آخذه باحبولتك وواضع اللجام
فى شدقه هل تحصى عمره ام هل تعرف اجله أم تعرف رزقه ام هل تدرى ماذا خرب من الارض وماذا
يخرب فيما بقي من عمره ام هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله أحسن الخالقين
فقال ايوب عليه السلام قصرت عن هذا الامر الذي ورد علي ليت الارض انشقت لى فذهبت ولم
أتكلم بشيء يسخط ربى حين اجتمع على البلاء إلهى قد جعلتنى لك مثل العدو وقد كنت تعرفني وتعرف
نصحى وقد علمت ان كل الذى ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من هذا لو شئت علمت أن
لا يعجزك شيء ولا تخفي عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن ان يسر عنك سرا وأنت
تعلم مايخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائى هذا ما لم أكن اعلم وخفت ان يكون امرا اكثر مما
كنت اخاف انما كنت اسمع بصوتك فاما الآن فهو نظر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرنى
وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت عن لسانى فلن أعود وقد وضعت يدى على في وعضضت على
لساني وألصقت بالتراب خدى ودسست فيه وجهى لصغارى وسكت حين اسكتتنى خطيئتى فاغفرلى
ماقلت فلن أعود لشيء تكرهه عنى فقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمى وسبقت رحمتى غضبي اذ

احب احدا يشغلنى عن
ذكر الله تعالى طرفة عين
فقلت من أين نا كل فقال
الذى غذانى فى ظلمة
الاحشاء صغيرا يتكفل
برزقى كبيرا فمتى احتجت
الى طعام حضر بين يدى
فقلت له هل من حاجة
فقال نعم اذا رأيتنى بعد هذا
اليوم فلا تكلمنى فقلت
بالله أسألك ياسيدى ان
تدعوا لى فقال حجبك الله
عن كل معصية وشغلك
بما يقربك اليه فقلت
ياسيدى فاين اللقاء بعد
ذلك اليوم فقال ما بقى لقاء
بعد هذا اليوم فان كنت
من اهل القرب فاطلبني
غدا في منازل المقربين ثم
غاب عن عيني فلم أره رضى
الله تعالى عنه ونفعنا به آمين
(وعن مالك بن دينار
رضي الله تعالى عنه) انه قال
كان لى جار مسرف على
نفسه لا يعرف يومه من
أمسه فاجتمعت الجيران
الي يشكونه فاحضرته
وقلت له ياهذا قد كثر
عصيانك فاما ان تتوب
واما ان تخرج من هذا المحل
فقال انا في ملكى لا أخرج
منه فقلت له نشكوك الى
السلطان فقال انا من
أصحاب السلطان فقلت
ندعوا الله عليك فقال ربى
ارحم منكم ثم نهض من
عندى فلما كان الليل

أخطأت فقد غفرت لك ماقلت برحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج وجلس فاقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فمرت به فقالت ياعبدالله هل لك علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ها أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته (قال) ابن عباس والذي نفسي بيده مافارقته من عناقه حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر الآية * واختلف العلماء في وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذى قال لاجله مسنى الضر (حدثنا) الامام ابو الحسين محمد بن على بن سهل املاء في شهر ربيع الاول سنة اربع وثمانين وثلثمائة اخبرنا ابو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر اخبرنا يحيي بن ايوب العلاف اخبرنا سعيد بن ابى مريم اخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي الله ايوب لبث فى بلائه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الارجلين من إخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال احدهما لصاحبه والله لقد أذنب ايوب ذنبا ما اذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ادراك قال منذ ثمانى عشرة سنة له في البلاء لم يرحمه الله ويكشف ما به فلما راحا الى ايوب لم يصبر الرجل حتي ذكر ذلك فقال ايوب ما أدري ماتقولان غير ان الله تعالى يعلم انى كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتى فاكفر عنهما كراهة ان يذكر الله تعالى الا في حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضي حاجته امسكت إمرأته بيده حتي يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وذلك ان الله تعالى اوحى الى ايوب فى مكانه ان اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت لتنظر ماشأنه فاقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما اصابه من البلاء وهو احسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبي الله المبتلى فقال انى انا هو وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الاخري فى اندر الشعير الورق حتى فاض (ويروي) ان الله تعالى امطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثوا منه فى ثوبه فناداه ياأيوب ألم أغنك عما تري قال بلى يارب ولكن لاغني لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان ايوب عليه السلام مطروحا على كناسة فى مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين واشهرا تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بايوب اكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدي النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا احد يقربه غير رحمة إمرأته صبرت معه تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وايوب على ما به لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من اقطار الارض جزعا من صبر ايوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ماحاجتك قال لهم أعيانى هذا العبد سألت ربى أن يسلطنى على ماله وولده فلم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا إمرأته وقد افتضحت من ربى فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له أين مكرك اين علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى ايوب فاشيروا علي قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل إمرأته قالوا فشانك وايوب من قبل إمرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق

رفعت يدى الى السماء في وقت الاسحار واردت ان ادعو عليه فهتف بى هاتف يامالك لاتدع عليه فانه من أوليائنا قال مالك فقمت من ساعتي وطرقت عليه الباب فخرج وظن انى جئت اليه لاخرجه من محله فخرج وهو يبكى و يعتذر ويقول ياسيدى السمع والطاعة انا اخرج من المحل فقلت له لا باس عليك ما جئتك لهذا انما جئت اليك لاخبرك بما كان منى انى رفعت يدى واردت ان ادعوا عليك فهتف بى هاتف يامالك لاتدع عليه فانه من اوليائنا قال فبكى الرجل بكاء شديدا وتاب من وقته وساعته فاصبح الناس يزورونه ويتبركون به وكثر الازدحام عليه فخرج حاجا الى مكة في العام القابل فبينما انا في المسجد الحرام وقت الظهيرة مستظل بحائط واذا بجماعة قد اجتمعوا الى جانب المسجد وبينهم رجل ملقى على التراب فتاملته فاذا هو صاحبي وهو يعالج سكرات الموت قال مالك فجلست عند رأسه ابكى ففتح عينيه فرآنى ثم قال يامالك أترى مولاي يعفوا عن تلك الذنوب والسيئات ويرحم

حتى اتى إمرأته وهي تطلب الصدقة فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك
يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمع منها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها
ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وماهو فيه اليوم من الضرر وان ذلك
لا ينقطع عنه ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال لها ليذبح
ايوب هذه لي ويبرأ قال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين
الماشية أين الولد اين الصديق اين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد واين جسمك الحسن قد بلي
وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك فاجبتيه
ويلك أرأيت ماتبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من انعم به علينا قالت الله قال فكم
متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ماعدلت
ولا انصفت ربك الا صبرت في هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء والله لئن
شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذى تاتيني به على
حرام لا أذوق مما تاتيني به شيئا بعد ان قلت هذا فاعزبي عني لا اراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب
امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسني الضر ثم رد الامر
الى ربه وسلم فقال وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآية فركض
برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شيء ظاهر الا سقط اثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل
سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وافضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى
فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا اخرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى
شيئا مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان
امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردني الى من اكله أدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتاكله
السباع فوالله لارجعن اليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التى كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت
تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وايوب ينظرها قال وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسأله فارسل اليها
أيوب فدعاها وقال لها ماتريدين يا أمة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على هذه الكناسة
لا أدرى أضاع أم ماذا فعل به فقال ايوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلى فهل رايته فقال وهل
تعرفينه اذا رايته قالت وهل يخفي على ثم انها جعلت تنظر اليه وهي تهابه وقالت اما انه كان اشبه خلق الله
بك اذا كان صحيحا قال فانا أيوب أمرتيني أن أذبح لابليس فانى أطعت الله وعصيت الشيطان فرد على
ماترين (وقال) كعب كان ايوب في بلائه سبع سنين وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد
يوما واحدا فلما غلب ايوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بني
آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة
ايوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفينني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذى صنعت بصاحبك ماصنعت
وذلك انه عبد اله السماء وتركني واغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليكما ما كان لكما من مال وولد
فانهم عندى ثم اراها اياهم في بطن الوادى الذي لقيها فيه (قال وهب) وقد سمعت انه قال لها لو ان صاحبك
اكل طعاما لم يسم عليه لعوفي مما هو فيه من البلاء والله اعلم واراد عدو الله ان ياتيه من قبلها ورايت في بعض
الكتب ان ابليس قال لرحمة وان شئت اسجدى لى سجدة واحدة حتى ارد عليك الاولاد والمال واعافى
زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراد فقال لقد اراد عدو الله ان يفتنك عن دينك ثم ان ايوب

هذه العبرات فقد فارقت
اهلي ووطني وخرجت
من ذلك المكان حياء منك
وانت مخلوق فكيف
اقف غدا بين يدي الخالق
جل وعلا ثم تنفس وشهق
شهقة فمات رحمة الله تعالى
عليه آمين (وعن الجنيد
رضى الله تعالى عنه) انه قال
عزمت على الحج الى بيت
الله الحرام في بعض
الاعوام فركبت ناقتي
ووجهتها نحو الكعبة شرفها
الله تعالى وعظمها فلويت
عنقها ووردته نحو
القسطنطينية فرددتها
مرارا وهي تعود فقلت في
نفسي لله في ذلك سر خفي
فاطلقتها وقلت إلهي
وسيدى ومولاي ليس
لى حيلة ان كنت تريد
ان تردني عن بيتك فالامر
اليك قال فجعلت الناقة
تسير سيرا جيدا حتى
دخلت القسطنطينية فلما
دخلت البلد رأيت الناس
في هرج ومرج فسألت عن
الخبر فقال بعض الناس ان
ابنة الملك قد ذهب عقلها
وهم يلتمسون لها طبيبا
يداويها فقلت في نفسي
وعزة ربي لهذا صرفني عن
بيته في هذا العام قال الجنيد
فقلت لهم قد حضر
الطبيب فقالوا أنت
تداويها فقلت لهم نعم ان
شاء الله تعالى قال فاخذوا

اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها واراد ان يبر يمين ايوب فامره ان ياخذ جماعة من الشجر يبلغ مائة قضيب خفافا لطافا فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة ايوب تكتسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها اين قرنك فاخبرته فقال عند ذلك مسني الضر وقيل انما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه فخشي ان يبقى عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذه فاخذها وردها الي موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله طعامك فعضته عضة زاد المه على جميع ما قاسي من عض الديدان وقال عبدالله بن عمر كان لايوب أخوان فاتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما نرى قال فما سمع أيوب شيأ كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شيء أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة شبعان قط وانا أعلم بمكان جائع فصدقني فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم أني لم أتخذ قميصا قط وانا اعلم بمكان عريان فصدقني فصدقه وهما يسمعان فخر ساجدا لله وقيل معناه مسني الضر من شماتة الاعداء يدل عليه ما روى انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الاعداء وأنشد بعضهم في معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد

ان المصائب تنقضى أيامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال الجنيد) في هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله الآية (واختلف العلماء) في كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله ايوب في الدنيا مثل له أهله فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وانما وعد الله ايوب ان يؤتيه اياهم في الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه باعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا احياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر) ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه اوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده بشر ابن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وامره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالي بعث بعده شعيبا عليه السلام والله اعلم

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة في المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لي ان يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال انا فقال له اجلس ثم انه أعاده مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال انا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب انا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان في صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فارسل اليه رجلا فقال لا ارضي بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لا ارضي فخرج اليه فاخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان في السوق خلاه فذهب فسمي ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه

الله

يدي واتوا بي الي انا لك واخبروه بما لمت فاشترط على شروطا فامتثلت واستعنت بالله ثم ادخلت نخدعا فسمعت خشخشة الحديد وقائلا يقول يا جنيد تجذبك الناقة الينا وأنت تجذبها نحو الكعبة قال الجنيد فطاش عقلي من ذلك الكلام ثم دخلت فرأيت جارية لم ار الراؤن احسن منها وهي مقيدة بالحديد ومسلسلة فقلت لها ما هذه الحالة فقالت يا طبيب القلوب صف لى صفة أنجو بها من الكروب قال الجنيد فقلت لها قولي لا إله إلا الله محمد رسول الله فرفعت صوتها بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فتساقطت الاغلال والاسلاسل عنها فلما رأى ابوها ذلك قال ما أحسنك من طبيب اسالك بالله عليك ان تداوي بما داويت به ابنتي هذه قال الجنيد فقلت له قل لا إله إلا الله محمد رسول الله فقالها واسلم وحسن اسلامه ثم أتت أمها واسلمت واسلم كل من كان في البلد معهم قال الجنيد فعزمت على التوجه فقالت الجارية لا تعجل ياسيدي بالخروج فاني سألت الله ان يتوفاني وانت حاضر حتى تقف على غسلي وتصلى على ثم

الله بعد أبيه رسولا الى ارض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى امرهم بالجهاد فكعوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره ان نعصى الله تعالى ورسوله فلو سألت الله ان يطيل اعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد اعداءه فقال لهم بشر لقد سألتموني عظيما وكلفتموني شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وامرتني أن اجاهد اعداءك وانت تعلم أني لا املك الا نفسي وان قومي قد سألوني فى ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فاوحى الله تعالى اليه يا بشر انى سمعت مقالة قومك وانى قد أعطيتهم ماسألونى طولت اعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فاوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك أن اختيارى لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا دارهم خمسة أسداسها الروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس فى ذكر قصة شعيب النبى عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء فى نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن نابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى أخبارا عن قومه وانا لنراك فينا ضعيفا أى ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله و بخس للناس وتطفيف فى المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم فى الرزق و بسط لهم فى العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها فى الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك انهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ليؤمن به انه كذاب فلا يفتنك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدى) وأبو روق كانوا عشارين (قال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بى خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شيء الا خرقته فقلت ماهذا يا جبريل فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى فى سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أى السفيه الغاوى وهو على الضد كما يقال للحبشي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال ابن عباس) رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاءه فيهم فاهلكهم

تشهدت وخرت ميتة فغسلناها ودفناها رحمة الله تعالى عليها (وعن ابى بكر بن الفضيل رضى الله تعالى عنه (انه قال سألت بعض أصدقائى وكان أصله روميا عن سبب اسلامه فامتنع أن يحدثنى فما زلت أقسم عليه حتى حدثنى قال نزل بنا عساكر المسلمين فحاصرونا سنة من السنين فخرجنا اليهم وقاتلناهم فقتلوا منا جماعة وقتلنا منهم جماعة واسروا منا جماعة واسرنا منهم جماعة كما هي عادة العساكر في القتال فامرت انا وحدي من المسلمين عشرة رجال وكان لى فى الروم المنزلة فسلمت العشرة الى غلمانى فقيدوهم وحملوهم على البغال حتى تركوهم فى السجن عندى فبينما انا يوما من الايام جالس بقصرى اذ جاءنى بعض غلمانى وقال ياسيدي ان احد الموكلين قد أخذ من احد المأسورين مالا وتركه يصلي قال فلما سمعت ذلك أحضرت الموكل بهم وقلت له اخبرني ما الذى اخذته من هذا الاسير حتى تركته يصلى فقال نعم ياسيدى انه فى كل وقت صلاة يدفع الى دينارا اذهبا فقلت هل معه شيء من ذلك فقال لا ياسيدي

بالرجفة وهي الزلزلة عن الكلبي ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغني ان رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب اقشعر جلده وقال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم شميرا وعمران بن شداد
انى ارى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنانة الوادي
فانه لن يرى فيها ضحاء غد * الا الرقيم يمشي بين أنجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبيد الله البجلي أبو جاد وحطي وهوز وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة في زمن شعيب كلمن فقالت أخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن هدم ركني * هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الـ * ـحتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أي لهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة

(مجلس في ذكر صفي الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب)

(الباب الاول في ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوى وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح نابتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهث ثم ان قاهث بعد أن مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهي بنت مبين بن تنويل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشمان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصهر نحيب بنت شمويل بن بركيا بن يشمان بن ابراهيم فولد له هرون وموسى واختلف في اسم أمهما فقال ابن اسحق نحيب وقيل ناجية وقيل يوخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم

(الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام)

(قال أهل التاريخ) لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك

ولكنه اذا فرغ من صلاته يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار قال فتعجبت من ذلك واحببت ان اعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغد أحضرت الموكل به ولبست ثيابه ووكلت نفسي بذلك فلما جاء وقت صلاة الصبح أومأ الى بانه يريد الصلاة ويدفع الى الدينار على عادته فاشرت اليه وقلت له ما آخذ الا دينارين فقال نعم فاطلقته يصلى فلما فرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الى الدينارين فازددت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أومأ الي كالمرة الاولى فقلت له ما آخذ الا خمسة دنانير قال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى الخمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر اشار الى كعادته فقلت له ما آخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى العشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب اشار الى فاشرت اليه لا آخذ الا خمسة عشر دينارا فقال نعم فلما فرغ دفع الى ذلك فلما جاء وقت العشاء الاخيرة أومأ الى فقلت له لا آخذ الا عشرين دينارا فقال نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الى العشرين

بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشه بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام و ... أغني من قابوس وأكبر وأفجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف و يعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله و لا أعظم قولا و لا أقسى قلبا و لا أطول عمرا في ملكه و لا أسوأ ملكا لبنى اسرائيل منه وكان يعذبهم و يستعبدهم وجعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة ومن لم يكن اهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء المعدودات و يقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد ابن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فاسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من اهل مصر الا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت تاموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قال فعمر فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا يقال انه ار بعمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله ان يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ماذكره السدى عن رجاله ان فرعون رأى فى منامه كان نارا قد اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد فى بني اسرائيل غلام يسلبك الملك و يغلبك على سلطانك و يخرجك وقومك من أرضك و يبدل دينك وقد اظلك زمانه الذى يوجد فيه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بني اسرائيل فجمع القوابل من النساء من اهل مملكته وقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية الا تركتنها ووكل بهن وكلاء وكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد بلغني انه كان يامر بالقصب فيشق حتى يجعل امثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فتجرح اقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين في وقته و يقتل من يولد بعدهم و يعذب الحبالى حتي يضعن مافي بطونهن واسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع في مشايخ بنى اسرائيل وانت تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون في السنة التى لا يذبح فيها احد فترك وولد موسي في السنة التي يذبحون فيها قال فولدت هرون امه علانية آمنة فلما كان في العام الذي امر فيه بقتل الولدان حملت بموسي فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فاوحى الله تعالى اليها أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته في خفية ارضعته ثم انها اتخذت لها تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردى فاتخذت ام موسي التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وسترت رأسه ثم القته فى النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها اتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت في نفسها ماذا صنعت بابني لو ذبح عندى ورأيته وكفنته كان أحب الي من ان القيه بيدى في البحر وادخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة و يخفضه اخرى حتى ادخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هي مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير فى دار فرعون فى داخل بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن و يستقين فوجدن التابوت فاخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتي أدخلنه الى آسية

دينارا وقال اطلب ماشئت فان سيدي غني كريم لا يبخل على عائلته قال فبت تلك الليلة متفكرا فى امره متعجبا مما رأيته منه وقد داخلني منه هيبة وامر عظيم وعلمت انه من اولياء الله تعالى فلما اصبحت دعوته للحضور عندي ثم اكرمته وفككت قيوده وألبسته ثوبا حسنا وعظمته وبجلته ثم قلت له يا سيدي هل لك في الاقامة عندنا في بلادنا وانت في أعز مكان واكرم محل ونكرمك غاية الاكرام أو الرجوع الى بلادك فاختار الرجوع الى بلاده فاحضرت له زادا وحملته بنفسي على بغل وانفذت معه من اصحابى وغلمانى عشرة رجال واوصيتهم بايصاله الى بلاده معظما مكرما وان لا يعترضه عارض ولا يؤذيه أحد ويمتثلوا جميع مايأمرهم به و يفعلوا جميع مايختاره ثم احضرت دواة وقرطاسا وجعلت له علامة بيني وبينه وقلت له انه اذا وصل الى بلاده سالما يكتب تلك العلامة في القرطاس خوفا عليه في الطريق ثم ودعته وحملته بنفسي فقال لي نوفك الله على احب الاديان اليه فوالله يا ابن الفضيل ما استتم كلامه حتى وقع في قلبي حب الاسلام قال

لما افتحته رأت فيه الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون
بامره اقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد في بني اسرائيل
فانا آتي فرعون واستوهبه اياه فان وهبه لي كنتم قد احسنتم وان امركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها اتت به فرعون
وقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون ان يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى
به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد ان يذبحه وقال اني اخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل وان
يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما أمنت آسية أرادت
ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موشي لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشى الشجر
فعرب فقيل موسى (اخبرنا) ابن فتحويه اخبرنا مخلد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علويه اخبرنا اسمعيل بن
عيسى اخبرنا ابن بشير اخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر
استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم اشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله
عليهم القبط فاستضعفوهم يسومونهم سوء العذاب وذبحوا ابناءهم قال وقال ابو الياس قال وهب بلغني انه ذبح
في طلب موسى سبعون الف ولد قال ابن اسحق عن ابن عباس ان ام موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من
القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها أم موسى
فقالت نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي فقالت لها نعم فعالجت قبالتها فلما وقع موسى على الارض اهالها
نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت لها ياهذه ما جئت اليك حين
دعوتني الا في رأي قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء
مثله فاحتفظي بابنك فاني أراه هو عدونا فلما اخرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاء الى بابها
ليدخل على موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به خوفا على موسى
فلفت موسى في خرقة والقته في التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما اراد الله بعبده موسى
فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما ادخل عليك هذه القابلة قالت
هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت لأخت موسى اين الصبي قالت
لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فاحتملته
(قال اسحق) ابن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان ام موسى لما رأت الحاح فرعون
في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل فانطلقت
الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت
فقالت اخبأ فيه ابنا لي وكرهت ان تكذب قال ولم قالت اخشى كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته
وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامرها فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير
بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى
موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم فاخذ الله تعالى بلسانه وبصره
فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه واخرجوه فوقع في واد يهوي فيه حيران فاشهد الله تعالى عليه ان
رد له لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره
فخر لله ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فامن به وصدقه فانطلقت أم موسى به والقته في البحر وذلك بعد
ما ارضعته ثلاثة اشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان

لها

وكان مسيرة بلاده من بلادنا
خمسة ايام ذهابا وخمسة ايام
ايابا فلما كان يوم السادس
قدم على اصحابي وغلماني
ومعهم القرطاس بخطه
والعلامة التي كانت بيني
وبينه فسألتهم عن سرعة
مجيئهم فقالوا لما خرجنا من
عندك وهو معنا وصلنا الى
بلاده في ساعة واحدة من
غير تعب ولا نصب فلما
رجعنا سرنا في الطريق
خمسة أيام بالجهد والتعب
والنصب فقلت عند سماع
ذلك منهم أشهد أن لا اله الا
الله وأن محمدا رسول الله وان
دين الاسلام حق ثم
خرجت من بلاد الروم الى
بلاد الاسلام وصار امري
الى ما ترى والحمد لله وحده
(حكي عن بعضهم عفا الله
عنه) أنه قال كان في
زمن خلافة معاوية بن أبي
سفيان رضي الله تعالى عنهما
امرأة علوية وكان لها
ثلاث بنات فضاق الحال
عليها واشتد بها الفقر
فبكت بناتها يوما من الايام
من الم الجوع فقالت المرأة
لبناتها اصبرن حتى اطلب
لكن شيأ من عند القاضي
من بيت مال المسلمين قال
فصبرت بناتها عند سماع
ذلك منها الى الصباح ثم
مضت والدتهن الى بيت
القاضي فلما وصلت
استأذنت في الدخول

لها كل يوم ثلاثة حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر
والسحرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك انا لانرى برأها الا من قبل البحر شيء يؤخذ منه شبه الانسان
فيؤخذ من ريقه و يلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة
كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه
امرأته آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون وجوار يها حتى جلست على شاطىء النيل مع جوار يها
يتلاعبن و ينضحن الماء على وجوههن فبينماهن على ذلك اذ اقبل النيل بالتابوت تضرب به الامواج فقال فرعون
ان هذا الشئ في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدروه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا
فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره
غيرها للامر الذى أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في مهده
والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فالقى الله تعالى محبة موسى في قلبها وأحبه فرعون
وعطف عليه واقبلت بنت فرعون عليه فلما اخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من
ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون ايها الملك انا نظن
ان المولود الذى تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا ارم به في البحر أو اقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه
آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد سميته موسى لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان ام موسى قالت
لاخته وكانت تسمي مريم قصيه اى اتبعي اثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحي هو أم قد اهلكته دواب
البحر ونسيت وعد الله فبصرت به عن جنب أي عن بعد وهم لا يشعرون انها اخته وكانت آسية قد ارسلت
الى من حولها من كل انثى بها لبن لتختار له ظئرا تربي به موسى فجعل كلما اخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها
حتى أشفقت آسية ان يمتنع من اللبن فيموت فاحزنها ذلك فامرت به فاخرج الى السوق لتجتمع عليه الناس
ترجوان تصيب له ظئرا يقبلها و يأخذ ثديها و يرضع منها فلم يقبل ثدي امرأة فذلك قوله عزوجل وحرمنا
عليه المراضع من قبل فقالت اخت موسى حين اعياهم امره وأعيا الظؤرة هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
وهم له ناصحون فاخذوها وقالوا لها ما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت
ما اعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم في ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى
أمها فاخبرتها بالخبر فاتت فلما وضعته على ثديها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبيه فانطلق البشير
الى آسية يبشرها ان قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاتى بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها امكثي عندى
ترضعي ابني هذا فاني لم احب شيأ مثل حبه قط فقالت لا استطيع ان ادع بيتي وولدي فيضيعوا فان طابت
نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي وولدى فيكون معي ولا اولى له الا خيرا فعلت والا فاني غير تاركة بيتى
وولدي وتذكرت ام موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وايقنت ان الله سبحانه وتعالى
منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها
وذلك قوله عزوجل فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت به امه الى بيتها كادت تقول هو ابني
فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وانبته
الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسى احب ان تريني ابني فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت
آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فاني باعثة بامينة تحصي
ما تصنع كل قهارمة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت ان اخرج من بيت امه الى ان دخل على
امرأة فرعون فلما ان دخل عليها اكرمته وفرحت به واعجبها ما رأت من حسن اثرها عليه ثم قالت لها انطلقي

فدخلت * وسلمت على
القاضى فرد عليها السلام
ثم قال ما حاجتك يا شريفة
فقالت له يا سيدي ان لى
ثلاث بنات وقد تركتهن
بالجوع وجئت اليك لاجل
ان تتصدق علينا بشيء من
بيت مال المسلمين قال فلما
سمع القاضي كلامها قال
لها غدا أعطيك شيأ قال
فخرجت من عنده وجاءت
الى البنات وهن يبكين من
شدة الجوع فقالت لهن
يا بناتى طيبن قلوبكن فقد
وعدنا القاضى بانه في غد
يتصدق علينا وان شاء الله
تعالى غدا ارجع اليه كما قال
وآتيكم بشيء من عنده قال
فبتن تلك الليلة مستبشرات
فلما اصبح الصباح ذهبت
والدتهن الى بيت القاضي
فوجدته جالسا على باب
داره فسلمت عليه فرد
عليها السلام ثم قالت له
يا سيدى كنت وعدتني
بالامس بشيء وقد جئتك
طامعة فى طلبه فلما سمع
كلامها شتمها ونهرها وقال
اذهبي عني فرجعت المرأة
محزونة باكية وجاءت الى
خرابة كانت مجاورة لبيتها
فدخلت اليها وبكت بكاء
شديدا وقالت الهي باى
وجه ارجع الى بناتى وباى
عين انظر اليهن وباى
لسان اجيبهن وطال
بكاؤها وزاد تضرعها
وانتحابها قال وكان بالبلد

به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون اخذه ووضعه فى حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه لطم وجهه (وفي بعض الروايات) انه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على راس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوى المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذى قد وهبته لى فاخبرها بما فعل فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق واضع له حليا من الذهب والياقوت واضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجمرة علمت انه صبي ثم انه وضعت له طستا فيه الذهب والياقوت وطستا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على انه ياخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها فى فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذى قال في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية الا ترى الى فعله وانه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (ويروى) انه سئل ابليس هل احببت احدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى قال والقيت عليك محبة مني فلذلك انا احببته

(الباب الثالث فى ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان أطول من موسي وكان على رأسه شامة وعلى طرف انفه ايضا شامة سوداء وكان موسي بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كانه من رجال ازدشنوأة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان ايضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتلة القبطي وخروجه من مصر وورده مدين)

قال اهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران اشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعي موسي بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسخر التى كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الامن قبل الرضاعة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسي فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسي في اثره وادركه المقيل بارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد اغلقت اسواقها وليس في طرقها احد وهى التى قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشى فى ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان احدهما من بني اسرائيل والاخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذى من شيعته يقال له السامري والذى من عدوه رجل من القبط كان خباز الفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطبا للمطبخ فسخر السامري ليحمله فامتنع السامرى فلما مر به موسي استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطى دعه فقال الخباز لموسي انما آخذه فى عمل أبيك وأبى ان يخلى سبيله فغضب موسي فبطش به وخلص السامرى من يده فنازعه القبطى فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضي عليه قال موسي هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم (وقال وهب) اوحى الله الي موسي بن عمران وعزتى وجلالى لوكانت النفس التى قتلت اقرت لى طرفة عين انى اله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تقر لى ساعة واحدة انى اله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطى لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلى فلما قتله اصبح في المدينة

نصرانى يقال له سيدوك وكان ذا مال كثير وغلمان وكان قلبه رقيقا للاسلام فمضي مارا بتلك الخربة فسمع بكاء المرأة ونحيبها فطاش عقله وقال لبعض غلمانه ائتونى بهذه المرأة فذهب غلمانه اليها واحضروها بين يديه فنظر اليها ودموعها تجرى على خدها فقال ما يبكيك ايتها الشريفة فقالت ان لى ثلاث بنات وقد تركتهن بالجوع وقصت عليه قصتها فقال سيدوك لغلمانه أعطوها الف دينار وبدله من القماش قال فاعطوها ذلك فاخذتهم المرأة ودعت له بالاسلام وذهبت الى بناتها فاشترت لهن بدينار من ألوان الطعام ودخلت اليهن فاكلن وشبعن ثم قالت اللهم ارزقه من نعمائك فى الجنة ثم فصلت لبناتها من ألوان الثياب قال فلما كان الليل راي القاضى في منامه كان القيامة قد قامت ثم أخذ القاضي ومضى به الى الجنة وجيء به الى قصر عالى البناء وهو من ذهب احمر شرافاته من الدر الابيض يضيء بين كل شرافتين جارية من الحور العين اشرق من الشمس وابهى من القمر فلما رأوه صاحوا في وجهه

خائفا يترقب الاخبار فاتوا فرعون وقالوا له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال فرعون ائتوني بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم ان يقضي بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فبينماهم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسي من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسي وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذي رآه فغضب موسي فمد يده وهو يريد ان يبطش بالفرعوني وقال للاسرائيلي انك لغوي مبين فنظر الاسرائيلي من موسي وظن انه يبطش به من أجل انه اغلظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن انه يريد قتله فقال له ياموسي أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسي وظن ان يكون موسى اراده ولم يكن اراده وانما اراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلي وذكر ان موسى هو الذى قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل احرى عليك من الصديق الاحمق وينشد في معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وامرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدي الى الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسي يسلك الطريق الاعظم فجاء رجل من شيعته من أقصي المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان اول من صدق بموسى وآمن به (ويروي) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو افضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما امر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق الذباحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فتحير موسى ولم يدر اين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق الى مدين (وروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقول لترى من بطنه

(الباب الخامس في دخول موسي مدين وتزويج شعيب ابنته اياه)

قالت العلماء لما انتهى موسى الى ارض مدين في ثمان ليال نزل في اصل شجرة واذا تحتها بئر وهى التى قال الله تعالي ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان اى تحبسان اغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتي يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا واشيهم سقينا اغنامنا من فضول حاجتهم ومابقي من حياضهم وابونا شيخ كبير تعنيان شعيبا (وروى) حماد بن سلمة عن ابى حمزة عن ابن عباس قال اسم ابى امراة موسي الذي استأجره تبرون صاحب مدين ابن اخى شعيب النبي عليه السلام واسم احدي الجاريتين ليا ويقال حنونا والاخرى صفورا وهى امراة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على راسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتي يرفعوها عن راسها وحكى الاستاذ ابو سعيد عبد الملك بن ابى عثمان الواعظ ان تلك البئر غير التي تسقى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورايتها قال فرفع موسي الصخرة عن راسها واخذ دلوا لهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما اغنامهما حتى ارواها فرجعتا الى ابيهما سراعا بما قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسي ولو شاء

وقالوا يامحروم لما لك كانا وكان لك هذا القصر وهذه الجنة بما فيها من النعيم المقيم والان صار لسيدوك النصرانى ثم طردوا القاضى واخرجوه من الجنة وأروه مقامه فى النار قال فانتبه القاضي فزعا مرعوبا وهو يقول ياويلتاه على ما فرط منى ثم خرج من وقته مسرعا حتى جاء الى بيت سيدوك النصرانى وطرق عليه الباب فخرج له غلام من غلمان سيدوك النصرانى وقال من بالباب فقال القاضي فرجع الغلام وأخبر مولاه ان القاضي بالباب فاذن له بالدخول فدخل فلما رآه سيدوك رحب به واجلسه وقال ماحاجتك في هذا الليل فقال له القاضى هل عملت من خير في هذه الليلة فقال سيدوك انى بت فى هذه الليلة سكران فمن اين لى فعل الخير قال فلم يصدقه القاضى وقال الذي عملته فى هذه الليلة بعنيه بألف دينار فقال سيدوك حرصا على هذه القضية اخبرنى حتى ابيعك قال فاخبره القاضي بما رآه فى منامه وما وقع من القاضي فلما سمع سيدوك النصرانى هذه الرويا وثب قائما على قدميه واغتسل ولبس ثيابا جديدة وجلس بين يدى القاضي

انسان ينظر الى خضرة امعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا اكلة وقال ابو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى ابيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما الليلة قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحدهما اذهبي فادعيه الى فجاءته احداهما وهي التي تزوجها موسى وهي تمشي على استحياء فقالت له ان ابي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة بردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق فاذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتي أنهج نهجا فانا بني يعقوب لا ننظر الي اعجاز النساء فنعتت له الطريق الى منزل ابيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسي عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسي يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا في موسى فاصابتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وانما قالت القوي الامين لانه ازال الحجر العظيم الذي لا يرفعه الا عشرون رجلا فقال لها أبوها هبك انك عرفت قوته فما أعلمك بامانته فاخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال انى اريد ان أنكحك احدي ابنتي هاتين على أن تاجرني ثماني حجج الي قوله من الصالحين أى في حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بيني و بينك أيما الاجلين قضيت الآية (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الاجلين قضى موسي قال اكملهما وأفضلهما وروي انه قال قضي اوفاهما وتزوج بصغراهما

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى و بدء امرها)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وماظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا امر ابنته ان تاتيه بعصا ليعطيها موسي فيستعين بها في رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وامرها ان تاتيه بعصا اخرى فما زالت ترجع وتاتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها وارادت ان تاخذ غيرها سقطت هى في يدها فمازالت كذلك حتى أخذها شعيب واعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فابى ان يردها عليه فتنازعا الى ان شرطا على أنفسهما ان يرتضيا حكم اول رجل يدخل عليهما فاتاهما ملك يمشي فتحاكما اليه فقال ضعها على الارض فمن حملها فهى له فوضعها موسي على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فاخذها موسى بيده فرفعها فلما رأي شعيب ذلك تركها له وفي رواية اخرى ان موسى لبث عند شعيب ماشاء الله ثم استاذنه فى الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصى الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسي البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد اخبر بامر العصا ولم يدر شعيب ان صاحبها هو موسى فردها موسي الى البيت فالقاها وذهب لياخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب الم اقل لك خذ غيرها فقال موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فعلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته و رعى له موسي عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب * قالوا ولما خرج موسي من مدين و وافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسي على رأسه ثم يكسر له الخبز و يلقيه بين يديه و يقول له كل (وقال

مقاتل

وقال امدد يدك فانى اشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا رسول الله ارسله جاءنا بالهدى ودين الحق قال فخرج القاضي من عنده باكيا حزينا فانظر يااخى الي البخل كيف جعل القاضي من اهل النار لبخله وجعل النصرانى من اهل الجنة بكرمه وختم له بالخير والاسلام ما اعجب هذا وما احسنه (وحكى عن ذى النون المصرى رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما انا امشي على شاطيء النيل اذ رأيت عقربا يمشى فاخذت حجرا واردت قتله فهرب منى مسرعا حتي وقع فى البحر فخرجت اليه ضفدعة فوثب العقرب على ظهرها ثم عامت به حتي طلعت الى الجانب الآخر وانا انظر اليها فتعجبت من ذلك وتبعته فلما نزل العقرب عن ظهرها سار حتي اتى الى مكان فيه رجل نائم سكران وقد اتى اليه تنين عظيم يريد ان يلدغه فاسرع اليه ذلك العقرب ولدغ التنين فقتله فازددت تعجبا ثم حمدت الله سبحانه وتعالى وجئت الى ذلك الرجل فايقظته فقام من نومه فزعا مرعوبا فلما راى الثعبان ولى هاربا فقلت له لا تخف قد كفيت

مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبدالله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ماوضع في الارض وعن أول شجرة غرست في الارض فسئل عنها فقال عبدالله أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود وأما أول ماوضع للناس في الارض فبئر برهوت باليمن يردها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فأظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وما علمي بما ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدى به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعبانا * وقال أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى أن وصلت الى شعيب فاعطاها موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل ابن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم باخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضيء شعبتاها كالشمعتين من نار تضيئان له مد البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر و يصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج مايأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها و يقال كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها في الارض فاورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان اذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقي وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق و بدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا في طريقه ركبها فتحمله الى أي موضع شاء من غير ركض و لا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب و يطيب ثوبه واذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه و يدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك و لا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ماتريده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا بالتنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت الى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية

شره ثم قصصت عليه القصة فاطرق رأسه ساعة ثم رفعها وقال يارب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن اطاعك ثم قال وعزتك وجلالك ماعصيتك بعد هذا اليوم ابدا ثم ولى تائبا الى الله تعالى رحمة الله تعالى عليه (وحكى عن ذي النون المصري أيضا رضي الله تعالى عنه انه قال بينما انا طائف بالبيت الحرام سنة من السنين اذ نظرت الى شاب في الطواف من احسن الناس وجها وعليه مدرعة من الصوف وهو يضحك في طوافه ويقول يامولاي هذه حضرة من يفتخر بعزك ولايأنس بسواك قال ذو النون فدنوت منه وسلمت عليه وقلت حبيبي ومن الذي تعني بهذا الكلام وانه يفتخر فقال ياعم انظر الى صاحب هؤلاء العبيد والغلمان فنظرت فاذا بشاب جميل وهو يمشي ويتبختر في مشيه واثوابه تجر على الارض فقلت له ياحبيبي ومن يكون هذا الشاب فقال ياعم هذا عبد لاميرمكة يفتخر بكونه عبد لاميرمكة فكيف لاافتخر وانا عبد الملك المتعال الذى أميرمكة عبده والسلاطين واهل السموات والارض تحت قضائه

والتنين مقتولا فعلم موسى ان في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأنا فهذه مآرب موسى اذا كانت في يده * وأما اذا ألقاها فيرى انها كانت تنقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فمها وفيه اثنا عشر نابا وضرسا لها صرير وصرير يخرج منها لهب النار و يصير محجنها عرفالها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيأ الا أحرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى ان الصخور في جوفها لتتقعقع وتمر بالشجر فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تتلمظ وتتبرم كأنها تطلب شيأ تأكله وكانت تكون في عظم الثعبان و في خفة الجان ولين الحية و ذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع فاذاهى ثعبان مبين و في موضع آخر كأنها جان و في موضع آخر فاذاهى حية تسعى

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الى فرعون واستعانته باخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة)

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وأبلق من نتاج أغنامى التى تنتجها في هذه السنة يعني السنة العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فاوحي الله الى موسى ان اضرب بعصاك الماء الذي في مستقي الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها مرتين ما بين أبلق و بلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التى وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما * فلما قضى موسى الاجل وسار باهله منفصلا من أرض مدين وكان في ايام الشتاء ومعه امرأته واغنامه وهى في شهرها لاتدرى أتضع ليلا او نهارا فانطلق في برية الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه يومئذ طلب اخيه هرون واخراجه من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسى في البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربى في عشية شاتية شديدة البرد واظلم عليه الليل واخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر واخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم ينور فتحير وقام وقعد اذلم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند واخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم اخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا او حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى يعنى من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واختلفوا في تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأي نارا عظيمة ليس لها دخان وهى تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لاتزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا موسي منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطىء الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسي فنظر فلم يراحدا فنودى انى انا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم انه ربه تعالى فناداه ربه ان ادن واقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كميت الا ان روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وارسل الله اليه ملكا يشد ظهره ويقوي قلبه فلما ثاب اليه عقله نودي فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوي وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهانى قال حدثنا يحيي السدي قال حدثنا احمد بن نجدة قال حدثنا الجمالى قال حدثنا عيسى بن يونس

وقدره قال ذو النون فدنوت من ذلك الشاب المعجب بنفسه وقلت له ياهذا كم تتبختر وانت عبد لامير مكة وهذا الشاب متاخر وهو عبد مالك السموات والارض و يحك تاخر عنه فهو احق بالتقدم منك فطوبى لك لو كنت مثله قال فطاف الشاب صاحب المدرعة الصوف وطاف الشاب الآخر وذهب الى بيته وقد أثرت فيه الموعظة فاشترى نفسه من سيده امير مكة وتصدق بجميع ما معه وما تملكه يده ولبس مثل ما كان على الشاب صاحب المدرعة الصوف وأقبل يطوف بالبيت في اليوم الثانى قال ذو النون فلما رآنى قال ياسيدى أما تعرفني فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا الذي كنت بالامس افتخر بعبودية اميرمكة فانا اليوم أفتخر بعبودية ملك السموات والارض ثم قال يا سيدي اترى مولاى يقبلني على ما كان مني من تلك الذنوب قال ذو النون فقلت نعم أبشر فانك اليوم حبيب رب العالمين أما علمت انه ملك يدعو المدبرين عنه فكيف بالمقبلين عليه فقال الشاب الآن طيبت قلبي بعد ما

عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفي بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نعليك كى تمس راحة قدميه الارض الطيبة فتناله بركتها لانها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من امارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة لتحصل من بركة الوادى وقال اهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تاويله فى المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل اهلك ثم قال له تعالي تسكينا لقلبه وادهابا لدهشته وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي الآية فقال الله تعالى ألقها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قد صارت شعبتاها فمها ومحجنها عرفها في ظهرها وهى تهتز لها انياب وهي كما شاء الله أن تكون فرأي موسى امرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه به تعالى ان ياموسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى اي نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى امر الله تعالي اياه بالقاء العصا قبل ان يصل الى فرعون لكيلا يفزع منها موسي اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما اقبل موسي قال له خذها اذ كانت عصاك ولا تخف لأنه كان ادعى الملك فقال هي عصاى فنبه على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فلف كمه على يده وهوله اهائب فنودي ان احسر يدك فحسر كمه عن يده ثم ادخل يده تحت لحييها فلما ادخل يده قبض فاذا هى عصاه فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له ادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال في جيبك لانه لم يكن للبوسه كم واسع فضاق عليه فادخل يده في جيبه ثم أخرجها فاذا هي نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغي فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى هرون هو افصح مني لسانا الى قوله يكذبون فقال له ياموسي انى اوقفتك موقفا لا أجعل بعده لاحد عليك سلطانا دونى ولا ينبغى لمن بعدك ان يسمع كلامى وانت فى اقرب الاماكن منى وعلى موسي يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بالخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويعهد اليه ويقول له ياموسى انطلق برسالتى وانت بعيني وسمعي ومعك قوتى وبصرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وامن مكرى وعبد دونى وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيي وزعم انه لا يعرفنى وانى احلف بعزتى وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلو اذنت للسماء لحصبته وللارض لابتلعته وللجبال لدكدكته وللبحار لغرقته ولكن سقط من عينى وهان على وصغر عندي ووسعه حلمى وانا الغني عنه وعن جميع خلقي وحق ذلك لى وانا خالق الغنى والفقير لا غني الا من اغنيته ولا فقير الا من افقرته فابلغه رسالتى وادعه الي عبادتى وتوحيدى والاخلاص لى وحذره نقمتي وباسي وذكره آياتى واعلمه انه لا يقوم لغضبي شيء وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ولا تجله فى خطابك اياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شيء الا بعلمى واخبره بانى من العفو والمغفرة اسرع مني الى الغضب والعقوبة وقل له اجب ربك فانه واسع المغفرة وقد امهلك في طول هذه المدة وفي كلها تدعي الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفي كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك الارض ويلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولوشاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم امسك الكلام عن موسى سبعة أيام بلياليها ثم قيل له بعد سبع ليال اجب ربك ياموسي فيما كلمك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله تعالى

كان انصدع فجزاك الله عني خيرا قال ذو النون فلما كان اليوم الثالث طلبته فلم اجده فسألت عنه فقال لى رجل امض معى الى بيته فمضيت معه الى بيت الشاب فوجدته قد مات فتأسفت عليه أسفا شديدا وسألت عنه فقيل لي انه دخل بيته أمس ولزم محرابه وبكى على نفسه طول ليلته هذه فاصبح كما ترى قال ذو النون وعظناه فاصلحنا امره ولم يبق احد بمكة حتي حضر جنازته من الرجال والنساء والولدان بغير داع لهم وخرجوا يشيعون جنازته فلما دفناه وانصرفنا من عنده اخذنى البكاء والنحيب عليه فلما كان الليل رأيته فى المنام وهو فى احسن صورة وعليه ثياب من السندس والاستبرق فلما رآنى قام الى واعتنقنى وقال ياسيدي أما تعرفنى قلت بلى ما فعل الله بك قال غفرلي وتجاوز عنى وقال ياعبدي هذه جنتى وقد أبحتها لك فدونك ما شئت فانا اليوم في مقعد صدق عند مليك مقتدر اللهم انفعنا به وبعبادك الصالحين آمين (وحكى عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال ركبت فى مركب بسنة من السنين الى بيت

بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى فجاهد بنفسك واخيك وكان قد خطر في قلب موسى
ان فرعون في باس عظيم وجند كثير وانا واخي وحيدان فريدان فقال الله تعالى له انكما جندان عظيمان من
جندي وانا معكما اسمع وارى وابصركما واكون معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولوشئت ان آتيه
بجنود لا قبل له بها لفعلت ولكن ليعلم ذلك الشقي الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجنوده ان الفئة القليلة
ولا قليل معي تغلب الفئة الكثيرة باذني ولا يعجبنكما زينته ولا يهولنكما عدته فلوشئت ان أزينكما من
زينة الدنيا بهجتها مايبهت فرعون وملأه اذا نظروا اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما آتيتكما فعلت فلا
تأسفا عما أزويه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبي في أوليائي وأصفيائي اذودهم عن نعيم الدنيا
ولذاتها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن المراتع الرديئة لكي تستكملوا نصيبكم من كرامتي في الآجل واعلم
انه لا يتزين احد من عبادي بزينة هي ابلغ من الزهد في الدنيا وهي زينة الابرار ويقال ان الله تعالى كلمه
في تلك المدة مائة الف كلمة واربعة عشر الف كلمة يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى
عليه السلام بم عرفت ان الله تعالى هو الذي كلمك فقال لان كلام المخلوق انما يسمع من جهة واحدة بحاسة
واحدة وهي السمع واني كنت اسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحي كلها فعرفت انه كلام الله
تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عتيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته
الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده واراد ان يختنه فامر الله تعالى ملكا
فمد يده ولم تزل قدمه عن موضعها حتي جاء به الملك ملفوفا في خرقة وناوله الى موسى فاخذ حجرين فحك
أحدهما بالآخر حتي حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه
فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذي جاء به منه ولم يزل اهل موسى مقيمين في ذلك
المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من اهل مدين فعرفهم فاحتملهم وردهم الى مدين فكانوا
عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوزه ببني اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم
شعيب الي مصر لموسي قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما ابتعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله
تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شيء من الاشياء غير العصا
ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد وبقول الارض
حتى ورد مصر فلما اقرب من مصر اوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه
هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره انه قد جعله وزيراله ورسولا معه الى فرعون وأمره ان يمر يوم
السبت غرة ذي الحجة متنكراً الى شاطىء النيل ليلتقي بموسى تلك الساعة قال فخرج هرون واقبل
موسى فالتقيا على شاطىء النيل قبل طلوع الشمس واتفق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون
أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون إذ ذاك في مدينة
حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وانهار ذات مزارع وارض واسعة في
ربض لكل سور سبعون الف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها
وسقاها بالنيل واسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل
خلال تلك الغيضة طرقا تفضي بمن سلكها الى ابواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن
أخطأها وقع في تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم
تصدر مع الليل قال فلما التقي موسى بهرون وكان يوم ورودها فلما رأتهما الاسد مدت أعناقها ورؤوسها
اليهما وشخصت بابصارها نحوهما وقذف الله في قلوبها الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على

وجوهها

الله الحرام وكانت معي
زوجتي وكانت حاملا فبينما
نحن سائرون اذ كسرت
بنا المركب فنجوت أنا
وزوجتي على لوح من
ألواح السفينة فبينما نحن
على ذلك اللوح اذا بها قد
ولدت غلاما فصاحت
بي يا رجل ادركني فاني
عطشانه فقلت أما ترين
حالنا وما نحن فيه من
الغرق ثم رفعت بصري الى
السماء واذا برجل صالح في
الهواء وبيده سلسلة من
ذهب فيها ركوة من ياقوتة
حمراء فيها ماء اشد بياضا
من اللبن وابرد من الثلج
واحلى من العسل فقال لي
هاك اشرب فاخذتها منه
وسقيت المرأة وشربت
فاذا هي اطيب رائحة من
المسك فقلت له من انت
يرحمك الله فقال عبد من
عباد الله تعالى فقلت له بم
وصلت الى هذه المرتبة
فقال تركت هواي لهواه
فاسكنني في الهواء ثم غاب
عن بصري فلم اره رضي
الله تعالى عنه ونفعنا به
آمين (وحكى عن بعضهم
رضي الله تعالى عنه) انه قال
كان عندنا رجل حداد
كان يدخل يده في النار
ويخرج بها الحديد المحمى
ولم تمسه النار فقصده
رجل لينظر صدق ذلك
الامر فلما دخل البلد سأل

وجوههما يطأ بعضها بعضاً حتى اندست في الغيضة وكان لهما ساسة يسوسونها وذادة يذودونها أي يغرونها وبسلطونها على الناس فلما اصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا في تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فاقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما اهل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحداً من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذي فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندي أعظم واشنع وافظع مما أصابنا في الاسد وما كانا يقدران أن يقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم واخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول حتى انتهى الى فرعون قال السدى باسناده سار موسى باهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أمه وهي لا تعرفه فأتاها في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل فنزل في جانب الدار فجاء هرون فلما ابصر ضيفه سأل عنه أمه فاخبرته انه ضيف فدعاه فأكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق معي الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فابيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فاتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب فقال فرعون من هذا الذى يضرب بابي في هذه الساعة فاشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأتى فرعون واخبره بما سمع وقال له ان ههنا انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حتى قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ احد ان يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجيبا يزعمان ان لهما إلها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

﴿ الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون ﴾

قال الله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى في هذه الآية قال قال لهما اعذرا اليه لعله يتذكر او يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر او يخشى وعيدكما وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال الكيلا يقول أهلكته قبل ان اعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأ بك فى نحره وأعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحول ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمن الله خوفه ونفس كربته وهون عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين معنا على ديننا هذا الذى هو الآن تعيبه قال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى من

عن الحداد فدل عليه فلما نظر اليه وتأمله رآه يصنع كما وصف له فامهله الرجل حتى فرغ من صنعته فأتاه وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرجل انى ضيفك فى هذه الليلة فقال له الحداد حبا وكرامة فمضى به الى منزله وتعشى معه وبات هو واياه فلم يزد على فرضه ونام الى الصبح فقال الرجل فى نفسه لعله استترمني فى هذه الليلة فبات عنده ثانى ليلة وهو على حاله لا يزيد على الفرض فقال له الرجل يا أخى انى سمعت ما اكرمك الله به ورأيته باديا عليك ثم نظرت الى اجتهادك فما رأيت عليك كثرة عمل ولم تزد على فرضك فمن أين لك هذه المرتبة فقال له الحداد يا أخى انه كان لى حديث عجيب وامر مطرب غريب وذلك انه كان لى جارة جميلة وكنت بها مولعا فراودتها عن نفسها مرارا عديدة فلم اقدر عليها لاعتصامها بالورع فجاءت سنة قحط وجدب وعدم الطعام وعم الجوع الانام فبينما أنا يوما من الايام جالس ببيتى واذا بقارع يقرع الباب فخرجت لانظر اليه فاذا بها واقفة بالباب فقالت

الخاطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ثم اقبل موسى ينكر عليه ما ذكره له من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا تنتزع ابناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أي انما صيرني اليك ذلك قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من ملائه ألا تستمعون انكارا لما قال موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون يعني ما هذا بكلام رجل صحيح العقل اذ يزعم ان الها غيري قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين تعرف به صدقي وكذبك وحقي وباطلك قال فرعون فأت به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحيها الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره واحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا في كل أربعين يوما مرة واحدة وكان اكثر ما يأكل الموز لانه لا يكون له ثفل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ما قال لانه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح يا موسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع إلا ما أخذتها وأمسكتها عني وأنا اومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم ان موسى نزع يده من جيبه فاخرجها فقال له فرعون هذه يدك فما فيها فادخلها موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع في السماء تكل عنه الابصار قد أضاء ما حولها ودخل ضوؤها البيوت ورؤي من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى الى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها الاول فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم انه قال له بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد فقال فرعون لموسى أمهلني اليوم وغدا فاوحى الله لموسى ان قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شابا طريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فاخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ في منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فاتى بالوسم فخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فاوحى الله تعالى اليه لا يهولنك ما رأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الاولى (وفي بعض الروايات) ان موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فاتيا على عجوز من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاء الطلب الى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر اليها فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما

﴿ الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الى الفضاء للمغالبة ﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء ان موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتياه من سلطان

يا أخي أصابني جوع شديد فهل لك ان تطعمني لله فقلت لها ما تعلمين ما أنا فيه من حبك وما أقاسيه من أجلك فما أطعمك الا ان مكنتيني من نفسك فقالت الموت ولا معصية الله تعالى ومضت الى منزلها فلما كان بعد يومين عادت الي وقالت لي كالمرة الاولى فاجبتها مثل جوابي الاول فدخلت وقعدت في البيت وقد اشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها بالدموع ثم قالت هذا لله فقلت لا إلا أن تمكنيني من نفسك فقامت ولم تأكل منه شيأ وخرجت من عندي الى منزلها فلما كان بعد يومين اذا بها تقرع الباب فخرجت اليها وهي واقفة بالباب وقد قطع الجوع صوتها وقصم ظهرها فقالت يا اخي اعيتني الحيل ولم اقدر على التوجه لاحد غيرك فهل لك ان تطعمني لله فقلت مالم تمكنيني من نفسك فاطرقت رأسها ساعة ثم دخلت وقعدت في البيت ولم يكن عندي طعام فقمت واضرمت النار وصنعت لها طعاما فلما تجهز الطعام ووضعته بين يديها تداركني لطف الله تعالى وقلت في نفسي

الله تعالى على السحر فقال للملأ حوله ان هذان لساحران عليمان ثم اذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن من آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملأ من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر إذا أحزنه (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى في اليد والعصا ما رأى انا لا نغالب موسى الا بمن هو مثله فاخذ غلمانا من بني اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الفرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجيء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لا تطيقه سحرة الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط في مملكته فلم يتركوا في مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا في عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني اسرائيل (وقال الكلبي) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال) كعب كانوا اثني عشر ألفا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين الفا وقال عكرمة سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين الفا والجامع لهذه الاقاويل ما روي ان فرعون جمع السحرة وهم سبعون الفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة باقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لامهما دلينا على قبر أبينا فدلتهما عليه فاتياه وصاحا باسمه فاجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شيء حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فاجابهما ابوهما وقال انظرا اذا هما ناما فان قدرتما ان تسلا العصا فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع اهل الدنيا ثم انهما أتياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا قالوا ثم انه واعد موسى غدوة يوم الزينة وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيد لهم تجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم كان تجمعهم بالميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحر يومئذ قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين يعني في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه اخوه هرون حتى أتيا المجمع وفرعون في مجلسه مع اشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصي والحبال يحملها ستون بعيرا فلما ابوا الا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فالقوا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لعصيا في أيديهم ولقد

و يحك يا هذا ان هذه إمرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من طعام لا قدرة لها عليه وهي تتردد المرة بعد المرة من ألم الجوع وأنت لا تنتهي عن معصية الله تعالى ثم قلت اللهم اني تائب اليك مما كان مني اني لا أقربها في معصية أبدا فدخلت اليها وهي تأكل فقلت لها كلي ولا روع عليك فانه لله سبحانه وتعالى فلما سمعت ذلك رفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم ان كان صادقا فحرم عليه النار في الدنيا والآخرة قال فتركتها انا كل وقت لا تزيل النار وكان ذلك في زمن الشتاء فوقعت جمرة على قدمي فلم تحرقني فدخلت اليها وانا فرح مسرور وقلت ابشري فان الله تعالى اجاب دعاءك فرمت اللقمة من يدها وسجدت شكرا لله تعالى وقالت اللهم أريتني مرادي فيه فاقبض روحي هذه الساعة فقبض الله روحها وهي ساجدة رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها وهذا حديثي يا اخي والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

(وحكى عن بعضهم عفا الله تعالى عنه) انه قال كان في بني اسرائيل رجل عابد في كهف في الجبل لا يراه

عادت حيات وماعصاى هذه فلما احدث نفسه بذلك أوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألق
ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ففرح موسي ثم انه ألقي
عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم ما يكون من الثعابين اسود مدلهم يدب على اربع قوائم قصار
غلاظ شداد وهو اعظم واطول من بختي عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه
وعنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شيء الاحطمه وقصمه ويكسر بقوائمه الصخور الصم الصلاب
ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار وله عينان تلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما
وعلى معرفته شعر كامثال الرماح وصارت الشعبتان له فما سعته اثنا عشر ذراعا وفيه انياب واضراس لها
نخيج وكشيش وصريف وصرير فاستعرضت ما ألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل في أعين
الناس وعين فرعون انها تسعى فجعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتي لم ير في الوادى لا قليلا ولا كثيراً
مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطىء بعضهم بعضا حتى مات منهم
يومئذ فى ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم متخوفا مرعوبا ذاهبا عقله وقد
استطلق عليه بطنه من يومه ذلك اربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك اربعين مرة فى كل يوم وليلة على
الدوام الى ان هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحراً ما غلبنا ولا خفي
علينا امره ولو كان سحرا فاين حبالنا وعصينا فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسي
وهرون وكان فيهم اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء ورؤساء وكان
رؤس السحرة خمسة نفر سابور وغادور وحنظ وخطط ومصفا وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من
سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك اسف وقال لهم متجلدا آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى
علمكم السحر الى قوله تعالى اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الآية فقطع أيديهم
وارجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو اول من فعل ذلك فاصبحوا سحرة كفرة وامسوا
شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا ثم ابى الا الاقامة على الكفر والتمادى في الشر
فتابع الله عليه الآية واخذه وقومه بالسنين الى ان اهلكهم ثم ان موسي عاد راجعا الى قومه والعصا
على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الالوف بصاحبه والناس ينظرون اليها
ويتعجبون منها وقد ملؤا رعبا فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون وينظرون اليها ويتضاعفون
ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكره بني اسرائيل فاخذ برأسها فاذا هي عصا كما كانت
اول مرة وشتت الله على فرعون امره ولم يجد الي موسي سبيلا واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره
وكانوا مجتمعين الي ان صاروا ظافرين

﴿ الباب الثانى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته
ومقتله وأولاده رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قالت الرواة كان حزقيل من اصحاب فرعون نجارا وهو الذى صنع لام موسي التابوت حين ولدته
والقته فى البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى ان
ظهر موسي على السحرة فظهر حزقيل امره فاخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلبا وهو الذى ذكره الله
فى القرآن في قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون
وعلى مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم واما إمرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون

٩١

الناس ولا يرى
ه عين ماء كان
يتوضأ منها ويشرب منها
ويقتات من نبات
الارض وكان يصوم النهار
ويقوم الليل لا يفتر عن
العبادة وعليه انوار السعادة
فسمع به موسي عليه
السلام فقصده بالنهار
فوجده مشغولا بالصلاة
والاذكار ثم قصده بالليل
فوجده مشغولا بمناجاة
الجليل فسلم عليه موسي
عليه السلام وقل له ياهذا
ارفق بنفسك فان المولى
كريم فقال يانبي الله أخاف
أن أؤخذ على غفلة فيقضى
نحبي فاكون مقصرا بخدمة
ربي فقال له موسى عليه
السلام هل من حاجة الى
مولاك ياهذا فقال نعم سله
ان يعطيني رضاه ولا
يشغلني باحد سواه حتى
يقضى نحبي والقاه قال فلما
صعد موسى عليه السلام
الى مناجاة ربه واستغرق
في لذة كلام خالقه نسى
كلام العابد فقال الله
عز وجل ياموسى ما قال لك
عبدى العابد فقال موسى
يارب انت اعلم بما قال فقال
الله تعالي ياموسي اذهب
اليه وقل له يتعبد ماشاء فى
الليل والنهار فانه من اهل
النار لما سبق له من الذنوب
والاوزار فاتاه موسي عليه
السلام واخبره بما قاله

وكانت مؤمنة من اماء الله الصالحات الا أنها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا
به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسري بي مررت
برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ما هذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها
كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت لا بل
ربي ورب أبيك فقالت لها لاخبرن بذلك أبي فلما اخبرته دعاها وبولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربي
وربك الله فامر بتنور من نحاس فاحمي وأمر بها وبولدها ان يلقوا فيه فقالت له ان لي اليك حاجة فقال وما
هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال ولك ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر باولادها فالقوا
واحدا واحدا في التنور حتى اذا كان آخر أولادها ولدا صبيا رضيعا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق
فالقيت في التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد اربعة عيسى بن مريم
وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

﴿ الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم إمرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى ﴾

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا إمرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بني اسرائيل
وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعلل في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في
مبرزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى ان قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من
كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية
الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا
فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية
الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها الملك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت
ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها
الجنون الذي أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت او لتكفر باله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة
فرعون فيما أراد فابت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فامر بها فرعون فمدت بين
اربعة اوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد عن ابن
عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت
اليه باصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى ان ماتت في عذاب
فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني الآية فاوحى الله اليها ان ارفعي رأسك
ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في
العذاب

﴿ الباب الثالث عشر في بناء الصرح ﴾

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل
باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى
استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فتبعوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود
والشوكة والعدة والمدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته انه ربما
لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شيء الا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط
ولا يتنحنح ولا يسعل ولا يأخذه وجع في بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة
قالوا وبلغ من املاء الله تعالى له انه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون

مولاه وما سبق من ذنوبه
وخطاياه فقال العابد
مرحبا بقضائه وحكمه
وكل شيء بعين قدرته ثم
بكى وقال يا موسي وعزته
وجلاله ما برحت عن بابه
ولو طردني ولا حلت عن
جنابه ولو احرقني ومزقني
ثم انشد يقول من الدوبيت
لو قطعني الغرام اربا اربا
ما ازددت الى لقائك الا
حبا
مازلت به أسير وجد
وضني
حتى يقضى على هواه نحبا
قال فلما صعد موسي عليه
السلام الي المناجاة قال
إلهي انت اعلم بما قال
عبدك العابد فقال الله
عزوجل يا موسي اذهب
اليه وبشره انه من اهل
الجنة وقد ادركته الرحمة
والمنة وقل له تلقيت
قضائي بالصبر والرضا
ورضيت مني بما صعب
الحكم والقضا فلو ملأت
ذنوبك السموات
والارض والفضا وملأت
جميع الاقطار لغفرتها لك
وانا العزيز الغفار قال
ففرح موسي عليه السلام
واخبره بما قاله العزيز العلام
فخر العابد ساجدا لله
تعالى وحمد ربه فما زال في
سجوده حتى قضى نحبه
رضي الله تعالى عنه ونفعنا
به وغفر لنا ولوالديه آمين

ار بعمائة سنة لا يري مكروها ولو كان في تلك المدة أدرك جوع يوم او حمي ليلة لما ادعي الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدراجا منه فلما عاين من أمر موسي ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم ان يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد اركانه فقال لوزيره ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسي وانى لاظنه كاذبا فامر هامان ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك احدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص ويتخذ الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح ويسر الله تعالى له أمره استدراجا له منه وأتاه الامر على ما يريده الى ان فرغ منه فى سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه ان دعه وما يريد فانى مستدرجه وآخذه بغتة وانى مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعته ثلاث قطع فوقعت قطعة منه فى البحر وقطعة في الهند وقطعة فى المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفى ألف رجل قالوا ولم يبق احد ممن عمل فيه الا أصابه موت اوحريق اوعاهة فما من نجار اوحداد او بناء الا يبست يده واما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم واما القهارمة والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ فعزم على قتال موسي وقومه فامر أصحابه فنصبوا آلة الحرب ثم ان عسكر فرعون قالوا لموسى انك لساحر وانت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألقتك أمك في اليم قبحا لك وبغضا لك لما علمت ما أنت صائر اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من الموت فآواك وكفلك ورباك واتخذك ولدا ثم فررت منه آبقا كافرا وجئتنا عدوا محاربا فلسنا بممتنعين عنك حتى نردك الى عبادته وخدمته او نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم انه لا يغني عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب وبالآيات

﴿ الباب الرابع عشر فى ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنا هلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا موسي تسع آيات بينات قال المفسرون هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (قال قتادة) اما السنون فكانت ببواديهم ومواشيهم واما نقص الثمرات فكان في أمصارهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون) في ذلك الطوفان ماهو (قال) ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغي فوق حروثهم فأهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى

ذلك

(وحكى عن الضحاك رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت ليلة جمعة بالكوفة اريد المسجد وكانت ليلة مقمرة فاذا بشاب حسن الثياب نظيف الاثواب فى بعض أرجاء المسجد ساجد لله تعالى وهو يجود بالبكاء فلم اشك انه ولي لله تعالى فدنوت منه لاسمع منه ما يقول فاذا هو يقول

عليك ياذا الجلال معتمدى
طوبى لعبد تكون مولاه
طوبى لمن بات خائفا وجلا
يشكو الى ذى الجلال بلواه
ومابه علة ولا سقم
اكثر من حبه لمولاه
اذا خلا في الظلام مبتهلا
أجابه الله ثم لباه

قال ولم يزل يكرر من قول عليك ياذا الجلال معتمدى وهو يبكى وانا ابكى شفقة عليه ثم ذكر كلاما معناه انه رأى نورا ساطعا وسمع قائلا يقول هذا الجواب

لبيك عبدى فانت في كنفي
وكل ما قلت قد سمعناه
صوتك تشتاقه ملائكتى
وذنبك الآن قد غفرناه

قال فقلت اهل هذه الرؤية والسماع المذكورين في حالة النوم او في غيبة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له بارك الله لك فى لبيك وبارك فيك من انت ترحمك الله فقال راشد بن

ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فافتضهن في ليلة فلم يبق منهن باقية وقال ابو قلابة الطوفان الجدري فهم اول من عذب به فبقي في الارض والجراد والقمل (واختلفوا) في القمل ما هو فقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وروى عن أبي طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي وغيرهم الجراد الطيارة التي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن اسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال ابو عبيدة هو الحنان وهو ضرب من القردان قال ابو العالية ارسل الله الحنان على دوابهم فاكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على المسير قال أميه بن ابى الصلت الثقفى

ارسل الذر والجراد عليهم　　وعذابا فاهلكتهم دبورا

(باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم في حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسي وهرون الى عسكر بني اسرائيل فامر فرعون قومه ان يكلفوا بني اسرائيل ما لا يطيقون فكان الرجل من القبط يجيء الى الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس حشي واعلف دوابى واستق لي وتجيء القبطية الى الكريمة من بني اسرائيل فتكلفها ما لا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لانفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك الى موسي فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا يا موسي اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا كنا نظن اذا استعملونا من قبل ان تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسي عسي ربكم ان يهلك عدوكم يعني فرعون والقبط ويستخلفكم في الارض يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادي على الكفر والاقامة على المر والظلم دعا موسي ربه فقال يارب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك واخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في اثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء ارسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه اراضيهم وركد فلم يقدروا على ان يحرثوا ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فقالوا لموسي ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسي ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى اشر ما كانوا عليه فانبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة ما لم ينبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم واخصبت فقالوا هذا ما كنا نتمني وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما يسرنا انا لم نمطر فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم واوراق اشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بنى اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وقالوا

سلمان فمرفقته لما كنت اسمع من امره وخبره وكنت تمنى لقاءه فلم أقدر على ذلك حتى يسره الله تعالى لى فقلت له هل لك ان تصحبنى فقال هيهات وهل يانس بالمخلوقين من يتلذذ بمناجاة رب العالمين اما والله لو خرج على عصرنا هذا أحد من أصحاب النيات الصحيحة لقالوا هؤلاء أحزاب لا يؤمنون بيوم الحساب ثم غاب عن بصرى فلم أره فاشتقت مرافقته ثم سألت الله تعالى ان يجمعني به قبل الموت فلما كان بعض الاعوام خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فاذا به في ظل الكعبة واذا بنفر يقرؤن عليه سورة الانعام فلما نظر الى تبسم وقال هذا لطف العلماء او تواضع الاولياء ثم قام الى واعتنقني وسلم على وقال هل سألت الله تعالى ان يجمع بيننا قبل الموت قلت نعم فقال الحمد لله على ذلك ثم قلت له برحمك الله اخبرنى عما رأيت تلك الليلة وسمعت فشهق شهقة فظننت انه قد انفتق حجاب قلبه وخر مغشيا عليه ثم تفرق النفر الذين كانوا يقرؤن عليه فلما افاق قلت يا أخى ما هؤلاء النفر الذين كانوا يقرؤن عليك فقال هم نفر

يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فاشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن

(فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد)

أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بافواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك أنت سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يارسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم * وباسناده عن جابر بن عبدالله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فاغتم لذلك فارسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيئا من الجراد أو لا فاتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فالقاه في يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فاول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه * وباسناده عن أبي امامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحما لادم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع فقلت يا أبا المغيرة ما الشياع قال الصوت وباسناده عن عبدالله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكتي التي لاتخطيء أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعى كان يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر انه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول بيده هكذا فحيثما أشار استاق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد قال فاقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسي أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشي موسي الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فاكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتليء قملا حتى ان أحدهم ليبنى الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لا يرتقى فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده مليء قملا فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كانها الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد ابن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا ترد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسي وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أى أيها العالم انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا العذاب فدعا موسي ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا فى أقطار الارض واطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الي السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق ان نستيقن أن موسى ساحر لنا الا اليوم فيجعل

من الجن فهم يقرؤن علي القرآن ويحجون معي فى كل عام ثم ودعني وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لافرقة ولا تعب ولا نصب ثم غاب عن بصري فلم اره رضي الله تعالى عنه (وحكى عن عبدالله بن الاحنف رضي الله عنه) انه قال خرجت من مصر اريد الرملة لزيارة الشيخ الزيادي رضي الله تعالي عنه فرآني عيسي بن يونس المصري فى الطريق فقال هل ادلك على خير لك فقلت نعم فقال عليك بصور فان فيه شيخا وشابا جالسين على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغنتك باقى عمرك قال فسرت اليهما حتى دخلت عليهما وانا جائع عطشان وليس على ما يسترني من الشمس فوجدتهما مستقبلين للقبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلماني فقلت اقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتماني فرفع الشيخ راسه وقال يا ابن الاحنف ما اقل سعيك حتى تفرغت الينا ثم اطرق راسه فقمت بين ايديهما حتى صلينا الظهر والعصر وذهب عني الجوع والعطش والتعب فقلت للشاب عظني بشيء ياسيدي انتفع به فقال نحن اهل المصائب ليس لنا

الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن و نرسل معك بني اسرائيل فقد اهلكت زرعنا وحروثنا وأذهبت اموالنا فأقام موسى أن يفعل اكثرهم فعل وعزة فرعون لا نصدق به أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعد ما أقام واشهرا في عافية وقيل اربعين يوما فاوحى الله تعالى اليه وأمره ان يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه و يشير بالعصا الى أدناه وأقصاه واعلاه وأسفله ففعل ذلك فتتابعت له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضا وأسمع أدناها أقصاها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلات منه أفنيتهم وآنيتهم وأبنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع و يهم ان يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان احدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاما حتى لا يستطيع ان ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان احدهم يفتح فاه لاكلته فتسبقه الضفدعة فيه وكانوا لا يعجنون شيئا من العجين الا انشدخت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلات منه وكانت تثب في نيرانهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تفور وفي التنانير وهي مسجورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يطؤنها باقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا نعود فاخذ على هذا عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما يروي ان موسى امر ان يهتف بعصاه و يميلها ففعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا فلحق بالنيل وارسل الله على الميتة ريحا فنحتها عن مدينتهم بعد ما اقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية وقيل اربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عليهم الدم وذلك ان الله تعالى أمر موسى ان يذهب الى شاطىء البحر فيضربه بعصاه ففعل ذلك فسال عليهم النيل دما وصارت مياههم كلها دما وما يستقون من الانهار والآبار الا وجدوه دما احمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون مايلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما عبيطا وكان القبطي والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطي دما وماء الاسرائيلي ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التي فيها ماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بني اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها او تصب لها من قربتها فتعود في الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه في فتاخذ في فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها ملحا اجاجا ومرا زعاقا فمكثوا في ذلك سبعة ايام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن اسلم) كان الدم الذى سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك ان موسى امر ان يضرب النيل بعصاه ضربة اخري فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالى ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسي في آل فرعون

لسان الوعظ، وأقمت عندهما ثلاثة ايام بلياليها لم آكل ولم اشرب فلما كان عشية اليوم الرابع قلت في نفسي لابد من سؤالهما في موعظة أنتفع بهما فرفع الشاب رأسه وقال عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى بنظره و يعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم ارهما فحزنت على فراقهما رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما و ببركاتهما آمين

(وحكى عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه) أنه قال وصف لي رجل من السادة باليمن من الخائفين سما على المجتهدين وهو بصلاح الناس معروف وبالقلب والحكمة والخشوع موصوف قال فخرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فلما قضيت حجي قصدت زيارته لاسمع كلامه وأنتفع بموعظته وكان معى جماعة يطلبون كما أطلب من البركة والدعاء وكان في جملتهم شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين مصفر اللون من غير سقم أعمش العينين من غير رمد يحب الخلوة ويانس بالوحدة كأنه قريب عهد بمصيبة فقيل له ان يرفق بنفسه فلم يجب وانشد يقول شعرا

عشرين سنة بعد ماغلب السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لايزدادون الا الطغيان والكفر والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاجاب الله دعاءهما كما قال الله تعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من اثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت وأنواع الحلي والجواهر مالايحصيه الا الله تعالى وكان اصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط فبقى ذلك في يد القبط فاوحى الله الى موسى عليه السلام انى مورث بنى اسرائيل مافي ايدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازا وعيادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تعتكف عليه أنت وقومك تشكروني وتذكروني وتعظموني ذلك اليوم وتعبدوني فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلي وانواع الزينة فانهم لايمنعون عنكم للبلاء الحال بهم في ذلك الوقت ولما قذفت في قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما امره الله تعالى فامر فرعون بزينة اهله وولده وما كان في خزائنه من أنواع الحلى فاعيرت لبني اسرائيل لما اراد الله بذلك ان يفئ على موسى وقومه افضل اموال اعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا رجل لطفا منه بهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظى سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى اراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال عمر لايكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان اصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا اموال فرعون فاخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها لحجر والجوزة مشقوقة وانها لحجر والحمصة والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من اهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وماشككت انه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ في ارقائهم دون احرارهم اذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ماخلا الذي بيد بني اسرائيل من الحلي والجواهر وانواع الزينة وقال ابن عباس اول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا بلغنا ان الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببني اسرائيل وخبر فلق البحر لهم)

قال الله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون قال العلماء باخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين اراد اظهاره على عدوه ان اجمع بني اسرائيل كل اهل اربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على أعدائكم عذابا وانى سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه الدم وسآمرها ان تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم واموالهم فتسلمون انتم ويهلكون هم ثم اخبزوا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى بهم الى البحر فيأتيك أمري فامر موسى بني اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبني اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى لمرسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة

أيها العاذلون في الحب مهلا
حاش لي عن هواه انى اسلا
كيف أسلو وقد تزايد وجدى
وتبدلت بعد عزى ذلا
قيل تبلى فقلت تبلى عظامي في هواكم وحبكم ليس يبلى
حبكم قد سرى لوسط فؤادى
من قديم الزمان مذ كنت طفلا

قال ولم يزل الشاب فى جملتنا حتى انتهينا الى اليمن فسألنا عن منزل الشيخ فارشدنا اليه فطرقنا عليه الباب فخرج الينا كانه قد خرج من القبور فلما جلسنا بين يديه بدأ الشيخ الشاب بالسلام والكلام والمصافحة وأبدي له البشر والترحيب من دوننا فقال الشاب ياسيدى ان الله جعلكم أطباء للقلوب ولاوجاع الذنوب وان بى جرحا أعضل وداء تمكن واعضل فان قدرت ان تتلطف ببعض مراهمك فافعل وانشد يقول شعرا

ان داء الذنوب داء عظيم
كيف لى بالخلاص من داء ذنبي
هل طبيب مناصح لى فانى
اعجز الخلق والاطباء طبي
آه واخجلتي وطول حزنى
من وقوفي اذا وصلت لربى
وانقطاع الجواب مني ولملا

واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بني اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا أن ساروا بانفسهم حتى ذهبوا باموالنا معهم فنادى فرعون في قومه كما قال الله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون ثم ان فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج ارسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان ادهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس واشرقت كما قال الله تعالى فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا ياموسى اين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر امامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا ولقد اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه ياقوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا ولما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وارادوا ان يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسالهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا اخبرني ومن لا يعلم صمت اذناه عن قولي فكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارايتك ان دللتك عليه اتعطيني ما سالتك فابى عليها وقال حتى استاذن ربي فامره ربه ان يعطيها اياها فاعطاها ذلك فقالت له اني اريد ان لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت فاني عجوز كبيرة لا استطيع ان امشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسر عنه فقالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه في الارض المقدسة قال عروة ابن الزبير وقد كان الله تعالى امر موسى ان يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من امر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل نبيهم ذلك * اخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابن ابي موسى الاشعري عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فاتاه الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقة يارسول الله برحلها واعنز يحلبها اهلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غيرها فقال عليه السلام ان عجوز بني اسرائيل كانت احسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت ترمي بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه

وبلائي قد جل عن كل خطب

فقال له الشيخ سل عما بدا لك فقال الشاب ياسيدي ما علامة الخوف من الله تعالى فقال ان يؤنسك خوفه من كل خوف قال فخر الفتى مغشيا عليه فلما أفاق قال يرحمك الله متى يتيقن العبد خوفه من الله تعالى فقال اذا انزل العبد نفسه من الدنيا منزلة العليل فهو يحتمي من الطعام مخافة طول السقام ويصبر على غصص الدواء مخافة طول الضنى قال فصاح الشاب صيحة وغشي عليه فلما أفاق قال ياسيدي ما علامة المحب لله تعالى فقال الشيخ ان درجة المحبين رفيعة فقال الشاب احب ياسيدي ان تصفها لي فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى شق لهم عن قلوبهم فابصروا بنور القلوب الى جلال عظمة المحبوب فصارت ارواحهم روحانية وقلوبهم نورانية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاكل الامور باليقين والاعيان فعبدوه مبلغ استطاعتهم لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره قال فشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه فبكى الشيخ عليه بكاء شديدا وقال

بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدر وانجدل موسى لايدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله تعالى اليه ان كنه فضربه ثانيا وقال انفلق ياابا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذي اقتحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وظهر في البحر اثنا عشر طريقا لاثنى عشر سبطا لكل سبط طريق وارسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لاتخاف دركا ولا تخشي قال سعيد بن جبير ارسل معاوية الى ابن عباس يساله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الامرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذى انفلق عنه البحر لبني اسرائيل (اخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يامن كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمكم الكلمات التى تكلم بها موسي حين جاوز البحر ببني اسرائيل فقلنا بلى يارسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنواسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الي جبال الماء ان تشبكي فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فاخذا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أى فلقنا وميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون وذلك انه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فاراد موسى ان يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فاوحى الله اليه ان اترك البحر رهوا اى ساكنا على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر راوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهيبتي حتى ادرك اعدائي وعبيدي الذين ابقوا مني فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون انثي وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له انثي وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فظن اصحاب فرعون ان الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر فى اثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا باصحابكم فلما اراد فرعون ان يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له انى قد اتيت الى هذا الموضع مرارا ومالى عهد بهذا الطريق وانى اخاف ولا آمن ان يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك اصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فحمحم اليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون فاقحمه البحر فلما تواقفوا فى البحر وهم اولهم ان يخرج من البحر امر الله تعالى البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم فغرقهم اجمعين وذلك بمرأى من بنى اسرائيل فذلك قوله تعالى واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون يعني الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما ادركه فرعون الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنواسرائيل وانا من المسلمين فقال له جبريل الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراه

فتياه

هكذا مصرع الخائنين رضي الله تعالى عنهم اجمعين (وحكى عن أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه) انه قال كنت فى مسجدلى واذا برجل قد دخل على وصلى ركعتين ثم امتد فى ناحية من المسجد وأشار الى فلما جئته قال لى ياأبا القاسم قد آن لقاء الله تعالى فغسلني وكفني وصل على وادفني فاذا فرغت من امرى فسيدخل عليك شاب مصرى مغن فاذا حضر اليك فادفع له مرقعتى وعصاى وركوتى هذه قال الجنيد كيف يكون ذلك الى مغن قال ياجنيد انه بلغ رتبة القيام بخدمة الله تعالى واقيم فى مقامى قال فلما قضى الرجل نحبه وفرغنا من مواراته فى التراب دخل علينا شاب مصرى وسلم وقال أين الوديعة ياأبا القاسم فقلت له وكيف ذلك أخبرنا أيها الشاب بحالك فقال ياسيدى انى كنت فى مشربة بنى فلان فهتف بى هاتف ان قم الى الجنيد واستلم ما عنده من الوديعة التى تركها لك فلان وهي كذا وكذا فانك قد جعلت مكانه من الابدال قال الجنيد فقمت اليه تلك الوديعة فنزع ثيابه واغتسل ولبس المرقعة واخذ الركوة والعصا

فتياه وترقيمه الذي فيه وقال انما هذا فتياك الذى افتيت ثم جعل يدس في فيه من حما البحر مخافة ان يسيد تلك الشهادة وفي الحديث ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت احدا من الخلق ما بغضت رجلين اما احدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين ابى ان يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال انا ربكم الاعلى ولو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حما البحر وأدسه في فيه مخافة ان يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا ولما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا ماهذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد اهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت ألم تر انه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه الانسان فامر الله تعالى البحر فالقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لولم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببني اسرائيل البحر اتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون (اخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودي الي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت اقدامكم من حما البحر حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما اغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجي موسي ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بنى اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الي مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد اهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فامر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالي كم تركوا من جنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين

(الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسي الى الجبل لميقات ربه وصفة ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ واعدنا موسى اربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا خرجوا منها واهلك عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بني اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا ياموسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فامره الله ان يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل انكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب (قال ابو العالية) اخذ من لحاء الشجر فمضغه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك فاوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة ايام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من رائحة المسك وكانت فتنتهم في العشرة الايام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسي ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها بعشر يعني من ذي الحجة (اخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن ابي هريرة ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر أي من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة فلما مضت اربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه لميقات ربه فلما

وتوجه نحو الشام فلم أره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكي عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) أنه قال كان لي مسجد وكان بجانبه جار شرطي كنت أعرف منه أخذ أموال المسلمين فلما حضرته الوفاة اتوا به الي مسجدي لاصلي عليه فامتنعت من الصلاة عليه وقلت خذوه عني وصلوا عليه في أي مسجد كان بعيدا عن مسجدي فاخذوه ومضوا به من عندي فلما كان الليل رأيت الشرطي وعليه ثياب خضر وهو يتبختر في الجنة قال الجنيد فقلت له ألست الذي طردتك بالامس فقال نعم فقلت له أخبرني بحالك فقال لما كان من امري ما كان وطردتني وامتنعت من الصلاة علي دخل عندي رعب شديد فلما ضوابي من عندك سمعت قائلا يقول لا تحزن فانك قادم على كريم فزال ما كان عندي من الخوف فلما وقفت بين يديه جعلت اعتماذي عليه فقال الله عز وجل يا عبدي ماقال الجنيد فقلت ياسيدي انت اعلم بمقاله فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي ان كان قد طردك الجنيد فقد قبلتك فانا أقبل

أتى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وقربه وادناه كما قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله وبين
موسى سبعون حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتخلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته
وطمع فيها فقال رب أرني انظر اليك (قال السدى) لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس في الارض حتى
خرج من بين قدمى موسى فوسوس فى قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فمنذلك سأل الرؤية فقال
الله تعالى لن ترانى وليس يطيق البشر النظر الى فى الدنيا من نظر الى مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت
للنظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت أحب الى من أن أعيش ولا اراك فقال انظر الى الجبل وهو
أعظم جبل في مدين يقال له زبير وذلك ان الجبال لما علمت أن الله يريد ان يتجلى لجبل منها تعاظمت
وتشامخت رجاء ان يتجلى الله لها وجعل زبير يتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن
وخصه الله بالتجلى قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فتجلى الله تعالى للجبل (واختلف
العلماء) في معرفة التجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك اظهر الله تعالى من نور
الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ماتجلى من عظمة الله تعالى للجبل
الا كسم الخياط حتى صار دكادكا وقال السدى ماتجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ماروى ثابت عن
أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى
من الخنصر فساخ الجبل يعني غار وقال الحسن أوحي الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتى فغار
الجبل وساخ في الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب اجمع وقال ابو بكر بن عمر الوراق حكى عن
سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى اظهر من بين سبعين الف حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا
قال ابو بكر فعذب اذذاك كل ماء وافاق كل مجنون وبرىء كل مريض وزال الشوك عن الاشجار
واخضرت الارض وازهرت وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدى ماتجلى للجبل
الا قدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع فى البحر قال عطية
العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا أى مكسرا جبالا صغارا * وبالاسناد عن أنس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته
ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء
وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبي خر موسى صعقا يوم الخميس
يوم عرفة واعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت الملائكة مالابن
عمران وسؤاله الرؤية (وفي بعض الكتب) ان ملائكة السموات والارض اتوا موسى وهو مغشى
عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وقال وهب
لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل
الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات ان يعرضوا على موسى اربعة فراسخ من كل
ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثيرا مثل البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس
بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى
فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل
شعرة في جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل ينجيني من مكانى الذي أنا فيه شىء ان خرجت احترقت
وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سئلت فقليل من كثير مارأيت ثم هبطت
ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح

والتقديس

المطرودين وأعتق عن
المذنبين أمضوا بعبدى الى
الجنة برحمتي وانا أرحم
الراحمين اللهم ارحمنا كما
رحمته وارحم جميع المسلمين
(وحكى عن أبى العباس
الخضر عليه السلام) انه
قال كنت بصنعاء اليمن فى
مسجد عبد الرزاق الواعظ
وكان من اكابر العلماء
والاولياء اسمع منه مايقول
فنظرت الى شاب منفرد
بناحية من المسجد مختل
بنفسه واضعا رأسه بين
ركبتيه فاتيت اليه وحركته
وقلت ياهذا لم لاتحضر
مجلس عبد الرزاق وتسمع
منه مايقول فقال قد
سمعت من الله عز وجل
فادهشني ذلك فقلت له ان
كنت صادقا فمن انا فقال
ان صحت الفراسة فانت
الخضر عليك السلام ثم
غاب عن بصري فلم أره
نفعنا الله تعالى به آمين
(وحكى عن عبد الله
التسترى رضى الله تعالى
عنه) انه قال غزا والدي
سنة من السنين مع
المجاهدين في سبيل الله
تعالى فلما كان بين الصفين
وقع المهر الذى كان تحته
فمات فقال والدى يارب
اعرنى اياه حتى ارجع من
مجاهدتى الى قريتى فليس
معي غيره قال فما تم كلامه
حتى قام المهر في الحال حيا

والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شيء من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة في سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي أراد أن يراني فاعترضوا عليه فهبطوا وفي يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوءا من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سبحوا وقدسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه بصوته يسبح معهم ويبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك لا أدري هل أتخلص مما أنا فيه أو لا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذي كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بأنك ربي وصدقت بأنه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء تبت اليك لك الحمد لا شريك لك أنت رب العالمين (قال السدي) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرني) الحسن باسناده عن عروة بن رويم اللخمي قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وشقوق قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي اتخذ منها الالواح من زمرد أخضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول مما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى ان يأخذها بقوة ويقرئها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها لثقل العهود والمواثيق التي فيها فقالت يارب كيف أطيق ان احمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فبلغها موسي فلم يطق حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسي وعرضوا الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا في القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم

باذن الله تعالى لي فقرأ والدي عليه فلما رجع قال يا ولدي خذ السرج عن المهر فقلت يا والدي انه عرقان حتى يستريح فقال يا ولدي انه عارية فلما أخذت السرج عنه وقع المهر في الحال ميتا وهذا من بعض كراماته رضى الله تعالى عنه (وحكى عن بعض الصالحين نفعنا الله تعالى بهم) انه قال كان عندنا رجل نباش كان يسرق الاكفان من القبور فماتت امرأة من المتعبدات فصلى عليها كثير من الناس وصلى النباش معهم وخرجوا الى قبرها والنباش معهم ليعرف قبرها فلما جن الليل اتى النباش الى قبرها ونزل اليها فانطقها الله عز وجل وقالت سبحان الله رجل مغفور له ياخذ كفن امرأة مغفور لها فقال النباش ان الله غفر لك فكيف غفر لي فقالت ان الله غفر لي ولمن صلى علي قال فخرج النباش من عندها وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته ببركتها ولزم العبادة حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا وعلى اموات المسلمين آمين (وحكى عن عبد الواحد بن زيد رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما نحن جلوس ذات يوم في مجلسنا

يتفكرون كما نزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدى موسى وذلك
عند صلاة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك
قوله ياموسى انى اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له فى الالواح الآية

(فصل فى نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه فى الالواح
وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة)

وهى بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن
عمران أن سبحنى وقدسنى لا إله إلا أنا فاعبدنى و لا تشرك بى شيئا واشكر لي و لوالديك الى المصير
أحييك حياة طيبة و لا تقتل النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باقطارها والارض برحبها
و لا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر و لا أزكى من لا يعظم إسمى و لا تشهد بما لا يعي سمعك و لا تنظر
عينك و لا يقف عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة واسألهم عنها و لا تحسد
الناس على ما آتيتهم من فضلى و رزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتي و لا تزن و لا تسرق فاحجب
عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات و لا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان
الارض إلا ما ذكر عليه اسمى و لا تفجرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى واحبب للناس
ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك فهذه نسخة العشر الكلمات وقد اعطاها الله جميعها لمحمد
صلى الله عليه وسلم فى ثمان عشرة آية وهى قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وقضي ربك ان لا تعبدوا
الا اياه الى قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث آيات من سورة الانعام وهى قوله
تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (اخبرنا) ابو عمر محمد
الفريابى باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعطى موسى الالواح نظر فيها
فقال يارب لقد اكرمتنى بكرامة لم تكرم بها احدا من العالمين قبلى قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس
برسالاتى و بكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اى بقوة وجد ومحافظة وتموت على حب
محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد قال احمد الذى اثبت اسمه على عرشي قبل ان اخلق
السموات والارض بالفي عام وانه نبيي وصفيي وخيرتي من خلقي وهو احب الى من جميع خلقى وجميع
ملائكتى فقال موسى يارب ان كان محمد احب اليك من جميع خلقك فهل خلقت امة اكرم
عليك من امتى قال الله تعالى ان فضل امة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلى على جميع الخلق
قال يارب ليتني اراه واراهم قال يا موسي انك لن تراهم ولو اردت ان تسمع كلامهم اسمعتك قال
يا رب فانى اريد ان اسمع كلامهم قال الله تعالى يا امة محمد فاجبنا كلنا من اصلاب آبائنا
وارحام امهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك فقال الله تعالى يا امة محمد
ان رحمتي سبقت غضبي وعفوى سبق عقابى قد اعطيتكم من قبل ان تسألونى وقد اجبتكم
من قبل ان تدعونى وقد غفرت لكم من قبل ان تعصونى من جاء يوم القيامه بشهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا عبدي ورسولى دخل الجنة ولو كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت
بجانب الغربى اذ قضينا الى موسي الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالي وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا (اخبرنا) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن على بن نصير المكى قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج
قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبدالرحمن المعافرى عن أبيه ان كعب الاحبار رأي حبرا
من اليهود يبكى فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما

اذ قد تهيأنا للخروج للغزو
فى سبيل الله تعالى وقد
امرت اصحابى ان يتهيؤا
فقرأ رجل منهم فى مجلسنا
ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة فقلت نعم فقال غلام
يا عبد الواحد اشهد انى
بعت نفسى ومالى بان لى
الجنة فقلت له ياغلام ان
حد السيف اشد من
ذلك وانت صغير السن
يخاف عليك ان لا تصبر
وتعجز عن ذلك فقال
الغلام ياعبد الواحد ابايع
الله تعالى بالجنة ثم اعجز
اشهد الله انى بعته نفسي
ومالي فى سبيله قال
عبد الواحد فتعجبنا من
ذلك وقلنا صبي يعقل
ونحن لا نعقل فخرج من
عندنا وتصدق بجميع ماله
في سبيل الله الا فرسه
وسلاحه ونفقته فلما كان
يوم الخروج كان اول من
طلع علينا هو فقال السلام
عليك ياعبد الواحد فقلت
وعليك السلام يا حبيبي
ربح البيع ثم سرنا وهو معنا
يصوم النهار و يقوم الليل
و يخدمنا و يخدم دوابنا
و يحرسنا اذا نمنا حتى
انتهينا الى بلاد الروم فبينما
نحن جلوس اذا به قد اقبل
وهو ينادي واشوقاه الى
العيناء المرضية فقال اصحابى
لعل هذا الغلام وسوس

أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام
اذ موسى نظر في التوراة فقال انى أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر
و يؤمنون بالكتاب الاول والآخر و يقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى
رب اجعلهم امتى قال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد فى كتاب الله
المنزل على موسى ان موسى نظر في التوراة فقال انى اجد امة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا ارادوا
امرا قال انفعله ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتى فقال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب
أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة ياكلون كفاراتهم
وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يجد
عبدا مملوكا ولا أمة الا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر والقاه ثم دفنه كى لا يرجعوا
فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتى قال
هي أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة
فقال انى أجد امة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد
لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث
لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هي أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب
أنشدك الله هل تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب انى أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها
كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها
كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل
تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مرحومة اصفياء يرثون الكتاب
فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى قال
هم أمة أحمد ياموسى فقال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر
فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة يصطفون
فى صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد
ومنهم من لا يرى الحساب الامثل ما يرى الحر من وراء الشجر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ياموسى
قال الحبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين
قال موسى ياليتنى من اصحاب محمد فاوحى الله تعالى اليه بثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى ياموسى انى
اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين
وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما
صار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ما تبتغى قال جئت أبتغى الهدى قال وجدته ياموسى قال
موسى يارب اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى
بالحق ولا يتبع الهوى قال اى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى
هدى اوترده عن ردى (وقال عبدالله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا
في ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر بوالديه
لا يمشى بالنميمة قال موسى يارب اغفرلى ما جرى من ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به منى أعوذ
بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء عملى قال قد كفيت ذلك ياموسى قال موسى يارب اى الاعمال

واختلط عقله قال عبد
الواحد فقلت له ياحبيبي
وما هذه العيناء المرضية
فقال الغلام ياسيدى انى
غفوت قليلا فرايت فى
منامي كانه قد اتانى آت
فقال لى اذهب الى العيناء
المرضية ثم اخذ بيدي
وهجم بى على روضة فيها
ماء غير آسن واذا على شاطىء
ذلك النهر جوار عليهن
من الحلى والحلل مالا اقدر
ان اصفه فلما رايننى
استبشرن بى وقلن هذا
زوج العيناء المرضية فقلت
السلام عليكن افيكن
العيناء المرضية فقلن نحن
خدمها واماؤها امض
امامك فمضيت امامي فاذا
بنهر من لبن لم يتغير طعمه
فى روضة فيها من كل زينة
وجوار حين رأيتهن
فتنت بحسنهن وجمالهن فلما
رأيننى استبشرن وقلن
هذا زوج العيناء المرضية
فقلت السلام عليكن
افيكن العيناء المرضية
فقلن وعليك السلام ياولى
الله نحن خدمها واماؤها
امض أمامك فمضيت
امامى فوصلت الى خيمة
من درة بيضاء وعلى باب
تلك الخيمة جارية عليها من
الحلى والحلل مالا أقدر ان
اصفه فلما رآنى استبشرت
بى ونادت من فى الخيمة
ايتها العيناء المرضية هذا

أحب اليك ان أعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه مؤمن في خلق حسن قال فأي عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سيء جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد آتاهم بالتوراة ابوا أن يقبلوها و يعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال ابو صالح عن ابن عباس امر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر الملح من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا ياموسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك وروي قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدي وجهه لاحد مخافة ان يموت (وأخبرني) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزويني قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هانئ بن يحيي السلمي قال حدثنا الحسن بن ابي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيي بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن شيبة قال حدثنا ابو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته

﴿ باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل ﴾

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة وهي بلقاء أنثى لا تصيب شيئا الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي (وقال الكلبي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر و بعث الله تعالى جبريل على فرس بلقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت خيولهم قوم فرعون ريحها فخاضت في اثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين امر بذبح اولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار في جبل فاخفته فيقيض الله ملكا من الملائكة يطعمه و يسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربى السامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد ابهاميه سمنا ومن الآخر عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع الطفل يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق و يقال ان جبريل عليه السلام وكل السامري وعلا لبونا تسقيه اللبن بالغداة والعشي

حتى

بملك قد قدم قال فدنوت من تلك الخيمة ودخلت اليها فاذا هي قاعدة على سرير من ذهب احمر مكلل بالدر والياقوت والجوهر فلما رأيتها افتتنت بها فقالت مرحبا بك ياولي الله قد دنا لك القدوم علينا قال فتقدمت لاعانقها فقالت مهلا فانه لم يؤذن لك ان تعانقني لان فيك روح الحياة ولكن انت تفطر الليلة عندنا ان شاء الله تعالى فانتبهت من منامي وليس لي صبر يا عبد الواحد عنها قال عبد الواحد فما فرغ من كلامه حتي اقبلت علينا سرية من العدو فحمل الغلام فيهم فعددنا تسعة رجال قتلهم وهو العاشر فجئت اليه وهو يتشحط في دمه وهو يضحك حتى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الواحد فحزنت عليه وانشدت

يامن يعانق دنيا لا بقاء لها
يمسي و يصبح مغرورا وغرارا
هلا تركت لذي الدنيا معانقة
حتى تعانق في الفردوس ابكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها
فينبغي لك ان لا تأمن النارا

﴿ وحكى عن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه ﴾ انه

حتى كبر واختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بنى اسرائيل لانه هو الذي رباه (١) وكان ابو عمرو السكندرى يقال دابة موسى وفرعون دابة موسى أزاهل بهشت وفرعون أزاهل دوزخ ودابة سامرى وجبريل دابة جبريل أزاهل بهشت والسامرى أزاهل دوزخ وقال قتادة والسدي كان عظيم من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامرى من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من أهل باجرمى واسمه منجا وقال ابن عباس اسمه موسى ظفر وكان رجلا منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل فى قلبه حب البقر فلما ذهب موسى لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة واتمها الله بعشر حتى صارت اربعين فعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسى اخلفنا الوعد فاغتنمها السامري حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد وعدهم اربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا فاتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغي لكم ان تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فينبغى لكم ان تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامرى لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم فقالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الاية فاغتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضي من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد واهلك الله فرعون وقومه وبقى ذلك الحلى بايدي بنى اسرائيل فلما خرج موسي قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسي فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامري بالقبضة التي اخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يانبي الله هل أقذفها فيه فظن هرون انه من الحلى بريد به مايريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) اوقد هرون نارا وامرهم ان يقذفوها فيه فقذف السامري تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك ان السامري قال لهرون أألقى مافي يدى وهو يظن انه من تلك الحلى فقال نعم ويقال ان الذي قال لبني اسرائيل ان الغنيمة لاتحل لكم هو السامري فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا في ثلاثة ايام ثم القى فيه القبضة فجثا وخار خورة ثم لم يعد وقال السدي كان يخور ويمشى فلما أخرج السامري العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كاحسن مايكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسى أى أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واخلف الموعد وفى بعض الروايات ان السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل وعدا وخار فصار له لحم ودم ويروي ان ابليس خار في وسطه ويقال ان السامري جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر في الجانب الآخر في الارض واجلس فيه انسانا فوضع فمه في دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى فلبس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهالهم حتي اضلهم وقال لهم ان موسي قد اخطأ ربه فاتاكم ربه أراد ان يريكم انه قادر على ان يدعوكم الى نفسه بنفسه وانه لم يبعث موسي لحاجة منه اليه وانه قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسي من الشجرة قال على بن ابى طالب رضي الله عنه انما سمي العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسي اليهم (وقال الحسن البصرى) اسم عجل بني اسرائيل الذى عبدوه بهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر الفا وكان مع هرون ستمائة الف فعكفوا عليه

(١) قوله وكان ابو عمرو الخ عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل عليهما السلام من أهل الجنة ودابة فرعون والسامرى من أهل جهنم اه

قال أصابتني علة فى ساقى سنة من السنين فكنت اتحامل عليها للصلاة فقمت عليها من الليل فاجهدنى وجعي منها فجلست ثم لففت ازارى فى محرابى ووضعت راسى عليه ونمت فبينما انا نائم اذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسنا وهي تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على راسي والجوارى من خلفها ثم قالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فاقبلن نحوي فاحتملنني وانا انظر اليهن فى منامى ثم قالت للجواري اللاتى معها افرشن له ومهدنه ووسدنه قال عبد الواحد ففرشن تحتي سبع فرش لم أر لهن في الدنيا مثلا ووضعن تحتي مرافق خضرا حسانا ثم قالت اللاتى حملنني اجعلنه على الفراش رويدا قال فجعلت على الفراش وصرت انظر اليهن متعجبا مما تأمر به من شأنى ثم قالت أين العلة فاشرت اليها فوضعت يدها عليها وقالت قم شفاك الله الى صلاتك غير مضرور فاستيقظت من منامي كانى والله قد نشطت من عقال فما شكوت بعد ذلك اليوم بهذه العلة أبدا ولا ذهبت عن قلبي حلاوة منطقها وحسن قولها قم الى صلاتك

يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيأ قط فقال لهم هرون يا بنى اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن معه من المسلمين واقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين ان يقول له موسى فرقت بين بني اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة في هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم (اخبرنى) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى اربعين يوما قال الله تعالى يا موسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وانعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الهاً من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح قال انا قال انت وعزتك فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يا رأس النبيين يا ابا الاحكام انى رأيت في قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسي من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يزفون و يرقصون حوله ولم يخبر موسي اصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قتال فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى ولما رجع موسي الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يصنعون به ألقى الالواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذي كان فيها الاسدسها ثم اعيدت له في لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالخبر قال الله تعالى لموسي ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها (عن تميم الدارى) قال قلت يارسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبا من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية اما ان في غار من غيرانها رضاضا من الواح موسي وما من سحابة شرقية ولا غربية تمر بها الا القت عليها من بركاتها ولن تذهب الايام والليالى حتى يسكنها رجل من أهل بيتى يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما راي موسى ما صنع قومه من بعده عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم في اثنى عشر الفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذا رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن افعصيت أمري هلا قتلتهم اذا علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن أم الآية قال المفسرون كان هرون اخا موسى لابيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اى بذوائبي انى خشيت ان قاتلتهم ان يصيروا احزابا يقتلوا بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولى اى ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم أن موسى اقبل على السامرى وقال له ما خطبك ياسامرى أى ما أمرك وشأنك فقال السامرى بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول يعنى أخذت ترابا من اثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها في العجل وكذلك سولت لى نفسى اي زينت لى قالوا فلما علم بنو اسرائيل انهم اخطؤا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في ايديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا و يغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا له فاى شىء نصنعه وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم أى ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم أي ليقتل البرىء المجرم ذلكم يعني القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله أن يقبل توبة بنى اسرائيل الا بالحال الذي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسي بالقتل استسلموا لأمره وقالوا نصبر لأمر الله فجلسوا فى الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان

الرجل

غير مضرور وهذا من مناقبهم عفا الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم (وحكى عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) انه قال سالت الله تعالي ليلة من الليالى ان يرينى رفيقى فى الجنة فقيل لى ياعبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء فقلت واين هي فقيل لى في في فلان بالكوفة فخرجت الى زيارتها فلما وصلت الكوفة سألت عنها فقيل الى هي امرأة عجوز مجنونه ترعي غنيمات فقلت اريد ان اراها فقالوا اخرج الى البساتين فانك تراها فخرجت فاذا هى قائمة تصلى و بين يديها عكازة وعليها جبة من صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشري ورأيت الغنم مع الذئاب ترعى فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف من الذئاب فلما رأتني أوجزت فى صلاتها ثم قالت ارجع ياابن زيد ليس الموعد هنا فقلت لها يرحمك الله فمن اعلمك باسمي فقالت ياعبد الواحد أما علمت ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها عظيني فقالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت مامن عبد اعطي شيأ فابتغي اليه ثانيا الا سلبه الله حب

الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نصنع فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيهم القتل و بلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وجزعا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية الباقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح و يكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقى منهم مكفراً ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى أن يبرد العجل بالمبرد و يحرقه ثم يذروه في النيل فمن شرب ماءه من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت شفتاه وقيل نبت على شاربه الذهب فكان علما لجرمه فاخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامرى بالبول عليه استخفافا به وتصغيراً له ثم ذراه فى الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فاقروا بحب العجل وعبادته وقالوا ياموسى اذ قد ندمنا على ماصنعنا وتبنا الى الله فلو أمرنا أن نقتل نفوسنا لتقبل توبتنا قتلناها فقيل لهم فاقتلوا أنفسكم ثم ان موسى هم بقتل السامرى فاوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخى فلعنه موسى وقال له فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه أى بعذابك فى القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لا يخالطوه و لا يقربوه فصار السامرى وحشيا لا يألف أحدا و لا يؤالف و لا يدنو من الناس و لا يمس أحدا منهم فمن مسه قرض ذلك الموضع بالمقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أى لا مساس و في بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو واحدا منهم حم كلاهما فى الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه في ناس من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما أمرت بسبعين رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فأمر موسى السبعين أن يصوموا و يتطهروا و يطهروا أثوابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه و ذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه لا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشي الجبل كله ودنا موسي ودخل فيه وقال للقوم ادنو وكان موسي اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد من بنى اسرائيل ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتي دخلوا في الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسي و يأمره و ينهاه واسمعهم الله تعالى اننى أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدونى ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسي من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا يوما وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم ياموسي لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال موسي رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يارب كيف أرجع الى

الخلوة معه وبدله بعد القرب وحشة ثم انشدت تقول

ياواعظا قام لاحتساب
يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وانت السقيم حقا
هذا من المنكر العجيب
لو كنت اصلحت قبل هذا
عيبك أو تبت من قريب
تنهي عن الغي والتمادي
وانت في الغى كالمريب

قال عبد الواحد فدهشت عند سماع ذلك وقلت لها ياميمونة انى ارى هذه الاغنام مع الذئاب ترعى فلا الغنم تخاف من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فقالت اليك عنى يا بطال فانى اصلحت ما بيني و بين سيدي فاصلح ما بين الذئاب وغنمي قال فمضيت من عندها وقلت من اطاع الله اطاعه كل شيء نفعنا الله تعالى بهم وغفر لنا ببركاتهم واسرارهم ومددهم آمين (وحكى عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال اشتريت غلاما للخدمة فلما كان الليل طلبته فلم اجده ورايت الابواب مغلقة على حالها فلما اصبحت اذا به قد اعطانى درهما مكتوبا عليه سورة الاخلاص بقلم القدرة الربانية فقلت له يا غلام من اين لك هذا فقال يا سيدي لك عندي فى كل يوم مثل هذا بشرط انك لا تطلبني فى الليل

بني اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسي يناشد ربه حتي أحياهم الله لهجيما رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثنا كم من بعد موتكم الآية (أخبرني) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسي الى ربهم وأفضل

(باب في قصة قارون حين عصي ربه واستكبر وأورثه ماله
الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم الآية قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهت بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماويب بن بركيا ابن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران يحيب بنت شمويل ابن بركيا بن يقشان فولدت هارون وموسي ابني عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون عمه لابيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وافضلهم واجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرى فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا في معني هذا البغى قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا بمصر (واخبرني) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسي فبغي عليهم قال كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخرساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغي عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان اغنى اهل زمانه واثراهم كما قال الله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء الآية أى لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها واختلف المفسرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول اربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن خيثمة قال وجدت في الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا واختلفوا في سبب جمع تلك الأموال فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسي يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وفى الخبر ان الله تعالى علم موسي الكيمياء فعلم موسي اخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندى أو بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر انواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الاموال ما اخبرنا الثقفى باسناده عن أبى الحوارى قال سمعت اباسليمان الداراني كان يقول تبدي ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل اربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بنى اسرائيل في العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون وقال له ابليس ياقارون قد رضينا بهذا الذى نحن فيه لا نشهد لبني اسرائيل جماعة ولا نعود لهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فاحدره من الجبل الى البيعة فكانوا

فقلت له نعم فكان يغيب كل ليلة ويأتى بعد صلاة الصبح بذلك الدرهم المكتوب قال فمكث على ذلك مدة من الزمان فبينما انا جالس ببيتى اذ جاءنى بعض اصحابى وقال يا ابن زيد اما غلامك هذا فانه نباش القبور قال فغمني ماسمعته منهم وقلت لهم امسكوا فانى احفظه في هذه الليلة فلما صلينا العشاء قام ليخرج والابواب مغلقة فاشار بيده فانفتح له كل باب اشار اليه واذا انظر اليه فتبعته ومضيت خلفه حتى بلغ ارضا فلاة فنزع ثيابه ولبس مسحا وصلى الى الفجر فلما فرغ من صلاته رفع رأسه نحو السماء وقال ياسيدي الكبير هات اجرة سيدي الصغير فوقع عليه من السماء درهم فاخذه فتحيرت في امره ودهشت من حاله فقمت وتوضأت وصليت واستغفرت الله تعالى مما كان مني ونويت عتقه ثم طلبته فلم اجده فانصرفت حزينا متحيرا وما كنت اعرف تلك الارض فبينما انا متحير اذا بفارس قد اقبل على فرس اشهب فقال ياعبد الواحد ما سبب جلوسك ههنا فاخبرته بقصتى فقال لا تعترض اتدرى كم بينك وبين بلدك فقلت الله اعلم

يؤتون بالطعام فقال له ابليس ياقارون قد رضينا ان نكون هكذا كلاًّ على بني اسرائيل فقال له قارون فاى رأى
عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق ونعطي قال فلما كسب يوما وتعبد يوما جلس ابليس وتركه
ففتحت على قارون ابواب الدنيا فبلغ ماله اخبرنا ابن فتحويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ان
مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت اربعمائة الف في اربعين خزانة فصار في الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به
الامثال انشدني ابو العباس سهل بن محمد المروزي عن بعضهم

وعدتني وعدك حتى اذا * أطمعتني في كنز قارون
جئت من الليل بغداله * تغسل ماقلت بصابون

فبغي قارون وطغي وتجبر حين استغنى واثرى حتي هلك فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان اول طغيانه
وعصيانه انه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال وكان يخرج في زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى
فخرج على قومه في زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها
المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك اول
يوم ظهرت المعصفرات في الارض* فيما كان أبي يذكر لي عن مقاتل انه خرج على بغلة شهباء عليها سرج
من الذهب عليه الارجوان ومعه الف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن
الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذي أوتيه فقالوا ياليت لنا مثل
ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم فانكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا
عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ومايلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهوتها
قال الله تعالى ومايلقاها الا الذين صبروا أي لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة
الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسي عليه السلام ان يأمر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطا اربعة
في كل طرف خيط اخضر لونه كلون السماء فقال موسي يارب لم أمرت بني اسرائيل تعليق هذه الخيوط
الخضر في أرديتهم فقال الله تعالى ان بني اسرائيل في غفلة وقد اردت ان اجعل لهم علما في ثيابهم ليذكروني
به اذا نظروا اليه ويذكرون اني السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسي يارب افلا تامرهم ان
يجعلوا ارديتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحقر هذه الخيوط قال له ياموسي ان الصغير من امري ليس بصغير
وان لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير قال فدعى موسى بني اسرائيل ثم قال لهم ان الله امركم
ان تعلقوا في ارديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنواسرائيل ماامرهم
به واستكبر قارون فلم يطعه وقال مايفعل هذه الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان ايضا من
بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسي ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رياسة المذبحة وبيت القربان
لهرون فكانت بنواسرائيل ياتون بهديهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله
فوجد قارون في نفسه من ذلك فاتى موسى وقال ياموسي لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست انا
في شيء من ذلك وانا أقرأ للتوراة منكما ولاصبر لي على هذا فقال موسى والله ماجعلتها أنا في هرون بل الله
جعلها له فقال له قارون والله لا اصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال
هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو احق بالحبارة فجمعوا العصى وجاؤا بها وكتب كل واحد
اسمه على عصاه فحزمها موسى والقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتي اصبحوا
فاصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسي ياقارون ترى هذا من
فعلي فقال قارون والله ماهذا باعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى باتباعه وجعل

فقال مسيرة سنتين للفارس
المجد المسرع فدهشت من
ذلك فقال لا تبرح من هذا
المكان حتى يأتيك غلامك
قال عبد الواحد فمكثت
يومي الى ان جن الليل فما
افقت الا وقد اقبل ومعه
سفرة عليها من كل الطعام
فقال لي ياسيدي كل ولا
تعد لمثلها فاكلنا فلما فرغنا
قال ياسيدى الكبيرهات
اجرة سيدي الصغير واذا
بدرهمين سقط في حجره
فاعطانيهما ثم قام فصلى
الى الفجر ثم أخذ بيدى
وخطا بي خطوات يسيرة
فاذا بي على باب داري فقال
ياسيدى أنت نويت عتقي
فقلت نعم انت حر لوجه
الله تعالى قال وكان خلف
باب الدار حجر عظيم كنا
نغلق به الباب فقال
ياسيدي خذ هذا عني
وانت ماجور ان شاء الله
تعالى واذا بالحجر صار
ذهبا فدهشت من ذلك
واسرعت نحو اصحابي
لاقص عليهم مارأيت
فطرق الغلام الباب
فخرجت اليه ابنتي الصغيرة
وقالت ياعبد السوء اين
والدي انت قتلته من أجل
نبشك القبور ثم لطمته على
عينه لطمة ففقأتها فلما
رجعت الى المنزل وجدت
الغلام على تلك الحالة
فعلمت ان ذلك فعل ابنتي

موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة
لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملا من
بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله انزل
الزكاة على موسى فلما اوجب الله الزكاة عليهم اتى قارون موسى فصالحه عن كل الف دينار دينار واحد
وعن كل الف درهم درهم واحد وعن كل الف شاة شاة واحدة وعن كل شيء شيء ثم رجع قارون الى بيته
وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ياقوم ان موسى قد امركم بكل شيء
فاطعتموه وهو الآن يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا له انت كبيرنا وسيدنا فامرنا بما شئت فقال آمركم ان تجيؤا
بفلانة البغي فنجعل لها جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه
فاسترحنا منه فاتوا بها فجعل لها قارون الف درهم وقيل الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال
لها انا أموّنك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد
جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين
لهم اعلام دينهم واحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال
فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة
جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال ان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى
يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني اسرائيل وانزل التوراة
على موسى الا صدقت فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها الان احدث اليوم توبة أفضل
من ان أوذي رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فلما تكلمت
بهذا الكلام سقط في يده قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف انه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا
لله يبكي ويقول يارب ان عدوك هذا قد اذاني واراد فضيحتي وشيني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي
وسلطني عليه فاوحى الله تعالى اليه ان ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال موسى يابني اسرائيل ان
الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن
قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى ياارض خذيهم فاخذتهم الى كعابهم ثم قال ياارض خذيهم فاخذتهم
الى ركبهم ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى جنوبهم ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى أحقابهم
ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى
ويناشده قارون بالله والرحم حتى روي في بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك
لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال ياأرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى
ياموسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني
قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يجلجل بهم فيها لا يبلغون
قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال احمد بن محمد بن الحسين
أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير واحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ابن راشد
عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه
وينظر في عطفيه وقد اعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا
فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما

الصغيرة فقطعت يدها ثم
أخذت في الاعتذار اليه
فاخذ الغلام عينه بيده
ووضعها مكانها ورمق بها
الى السماء فاذا هي أحسن
ما كانت ثم أخذ بيد ابنتي
وتفل عليها فاذا هي كما
كانت فلما رأيت ذلك منه
قلت هذا نباش النور
لا نباش القبور ثم ذهب
الغلام عن بيتي فحزنت على
فراقه ولم أدر أين ذهب
رضي الله تعالى عنه
(وحكى عنه رضي الله تعالى
عنه) انه قال ركبت في
مركب سنة من السنين
ومعي جماعة من التجار
فثارت علينا ريح شديدة
حتى طرحتنا الى جزيرة
من جزائر البحر فاذا رجل
فيها يعبد صنما فلما رأيناه
قلنا له يارجل ماذا تعبد
فاوما الى الصنم فقلنا له ان
ان الهك هذا مصنوع وما
هو باله يعبد فقال الرجل
وما تعبدون انتم قلنا نعبد
الها في السماء عرشه وفي
الارض بطشه وفي الاحياء
والاموات قضاؤه قدرته
تقدست اسماؤه وجلت
عظمته وكبرياؤه فقال من
اعلمكم بهذا قلنا وجه الينا
رسولا كريما أخبرنا بذلك
فقال وما فعل بالرسول قلنا
لما ادى الرسالة قبضه الملك
اليه واختار له ما لديه قال
وهل ترك الرسول عندكم

دعا على قارون ليستبد بداره وامواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وامواله الارض واوحى الله تعالى اليه انى لا اعيد الارض لاحد بعدك ابدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وانذروه بأس الله كما اخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين اى لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وماله وحاله كما قال الله واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة واهلك اعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآيات

(باب فى قصة موسى حين لقي الخضر وماجرى بينهما من العجائب
الى ان بلغ من امرهما ما بلغ)

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء فى السبب الذى قصده موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من اهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم عن كعب ان موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى نبي بنى اسرائيل سال ربه فقال يارب ان كان فى عبادك احد هو اعلم مني فدلنى عليه فقال الله عز وجل نعم فى عبادي من هو اعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام واذن له فى لقائه وروى هرون بن عنترة عن ابيه عن ابن عباس قال سال موسى ربه فقال يارب اى عبادك احب اليك فقال الذي يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب اى عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تهديه الى هدى او ترده عن ردى قال فهل فى الارض احد اعلم مني قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت وجعل الحوت علامة ودليلا وقال اذا احياه هذا الحوت فان صاحبك هناك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفى عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار انزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم فى الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم افضل اهل الارض وانتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة انعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بني اسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض احد اعلم منك يا نبي الله قال لا قال فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له ياموسى مايدريك اين اضع علمى بل ان لي عبدا بمجمع البحرين اعلم منك فسال موسى ربه ان يريه اياه فاوحى الله اليه ان ائت البحر فانك تجد على شاطىء البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطىء البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني ابن عمران لفتاه اى لصاحبه يوشع بن نون ابن افرائيم

من علامة الملك قلنا انه ترك عندنا كتابا يسمى قرآنا فقال ائتونى بكتاب الملك فانه ينبغى ان تكون كتب الملوك حسانا قال فاتيناه بالمصحف الشريف فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكى حتى ختمنا السورة ثم قال ينبغى لصاحب هذا الكلام ان لا يعصى ثم اسلم وحسن اسلامه فعلمناه شرائع الاسلام وسورة من القرآن فلما كان بعض الليالي صلينا العشاء واخذنا مضاجعنا فقال ياقوم هذا الاله الذي دللتمونى عليه اذا جن عليه الليل ينام كما تنامون فقلنا لا يا عبد الله هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فقال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام قال فاعجبنا كلامه فلما أصبحنا قلت لاصحابى هذا قريب عهد بالاسلام فاجمعوا له دراهم ينفقها فجمعناله ذلك فلما رآها قال ماهذ قلنا دراهم تنفقها قال لا اله الا الله دللتمونى على طريق ما سلكتها ولم تسلكوها انى كنت أعبد صنما من دونه ولم يضيعني وانا لا أعرفه فكيف يضيعني الآن وانا اعرفه فتعجبنا من كلامه قال عبد الواحد فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لى انه فى سكرات قال فاتيت اليه وقلت له هل

ابن يوسف عليه السلام لا ابرح اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين يعنى بحر فارس والروم مما يلى المشرق قال قتادة وقال ابى بن كعب هو افريقية وقال محمد بن كعب طنجة او امضى حقبا دهرا وزمانا طويلا فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا قال معقل بن زياد وهى الصخرة التى دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيئا الا عاد حيا فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعنى موسى وفتاه مجمع بينهما يعنى البحرين نسيا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه يدل عليه قوله تعالى انى نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما والمراد به احدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من المالح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا اى مذهبا ومسلكا واختلفوا فى كيفية ذلك فروى ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فلم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس راى اثر جناحيه فى الطين حين وقع فى الماء وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن ابى ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه وسقط فى البحر هاربا فاتخذ سبيله فى البحر سربا فامسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله الى الحوت روحه فسرب حتى افضي الى البحر ثم سلكه جعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يابسا وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو فى المكتل فعاش ووثب فى الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسي عليه السلام خمسة اسفار الاول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثانى سفر الطور وهو قوله تعالى فلما اتاها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما اتاها نودى من شاطئ الوادي الايمن الآية والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالي واوحينا الي موسي ان اسر بعبادى والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول قومه فاذهب انت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما القي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت اى تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فانى نسيت ان اذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتي حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من اثر جرى الحوت اخدود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي نطلب فارتدا فارتجعا على آثارهما الذي جا آمنه قصصا أي يقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر عليه السلام

﴿فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام واحواله﴾

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتى عليه قال أخبرنا أبو حامد احمد بن محمد بن الحسين الشرقى

من حاجة فقال لم تقضيت حوائجه وقعدت عند رأسه فغلبني النوم فنمت فرأيت روضة خضراء وفيها قبة عظيمة وفى القبة سرير وعلى ذلك السرير جارية حسناء لم أر احسن منها وهي تقول بالله لاما عجلتم به فقد اشتد شوقى اليه فاستيقظت من منامى فوجدت الرجل قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فغسلته وكفنته وصلينا عليه ودفناه فلما نمت رأيته فى المنام فى تلك القبة على السرير والجارية بجانبه وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون رضى الله تعالى عنهم اجمعين ونفعنا بهم آمين (وحكى عن ذى النون المصري رضى الله تعالى عنه) أنه قال بينما أنا أسير فى نواحى الشام اذ وقعت على روضة خضراء وفيها شاب يصلى تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانيا فاوجز فى صلاته وكتب باصبعه فى الارض هذا الشعر

منع اللسان من الكلام لانه
كهف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا
لا تنسه واحمده فى الحالات

قال

قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق انبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال انبأنا مكي بن عبدان قال انبأنا ابو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال انبأنا معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء واخبرنا ابو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال انبأنا ابو بكر محمد بن الحسن القصار قال انبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال انبانا محمد بن يوسف الفريابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه اينما صلى اخضر حوله

﴿ فصل في بدء امر الخضر عليه السلام ﴾

يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل يمر به اذ يجد رائحة طيبة فقال ياجبريل ماهذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في اهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال اصحاب الاخبار وكان ابوه ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فاعجبه حاله فاتاه وكان يجلس عنده والمعلم يظن انه في المنزل وابوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشا واخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله ان يرزق اولادا فعرض عليه ابوه التزويج فابى ثم عاوده فعرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها اني مخبرك بامر ان انت سمعتيه صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان افشيت سري عذبك الله في الدنيا والآخرة قالت وماذاك قال اني رجل مسلم لست على دين ابي وليست النساء من حاجتي فان رضيتي ان تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك اليك وان انت ابيت لحقت باهلك فقالت المرأة بل اقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا يولد له ولد فسأله ابوه فقال ماذلك بيدي وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسالها فردت عليه مثل مارد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب ان تطلق امرأتك هذه وازوجك امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فكره ذلك الخضر وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت اقيم معك فلبثا زمانا ثم ان اباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس بولدك فقال ليس ذلك بيدي ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها انت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابني ولست تلدين عند ابني فقالت لم يمسني منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه فعزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى اين توجه فندم أبوه على مافعل فارسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا في طلبه فادركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم اني أقول لكم شيأ واحدا فاكتموه عني فان كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان ابيتم ذلك وافشيتم سري عذبكم الله في الدنيا والآخرة قالوا له قل ماشئت قال هل بعث ابي في طلبي أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا امري ولا تخبروا ابي انكم رأيتموني وقولوا مثل قول نظرائكم الذين أرسلهم في طلبي فلم يروني لانكم لو أخبرتموه بي اوذهبتم بي اليه قتلني وصرتم انتم مؤاخذين بدمي قال فخلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على ابيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه وقال العاشر مالنا به علم ومالي به خبر والتسعة قالوا بلى قد ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا في طلبه وأتوني به وان الخضر خاف ان يظفروا به فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فاتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقتلهم ابوه قال وان اباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها

قال ذوالنون فبكيت بكاء شديدا ثم كتبت باصبعي في الارض

وما من كاتب الا سيبلى
ويبقي الدهر ماكتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيامة ان تراه

قال فصاح الشاب صيحة فمات رحمه الله تعالى فقمت لاغسله فاذا بقائل يقول خل عنه فان الله تعالى وعده ان لا يتولى امره الا الملائكة قال ذو النون رضي الله تعالى عنه فملت الى شجرة فركعت عندها ركعات ثم اتيت الموضع الذي مات فيه الشاب فلم اجد له اثرا ولا وقعت له على خبر رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته آمين (وعن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه) انه قال كنت ماشيا في ازقة البصرة يوما من الايام فرايت جارية من جواري الملوك راكبة ومعها خدم وغلمان فاتيت اليها وقلت ايتها الجارية ايبيعك مولاك فقالت الجارية ولو باعني مولاي كان مثلك يشتريني فقلت نعم وخيرا منك قال فضحكت وامرت بي ان احمل معها الى بيت مولاها فحملت معها فلما دخلت الى مولاها اخبرته بذلك فضحك وامر ان ادخل فدخلت اليه وسلمت عليه

أنت صنعت هذا بابني حتى هرب فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذى أنكر رؤيا الخضر مايؤمنني أن يقتلني كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا في تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت فاخبرته خبرها فقال ياهذه انا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك ان أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا انامت فادفنيني في هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فاني لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصى ان يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم أنهم يوحدون الله و يعبدونه فجيء بالمرأة الى حضرته فامرها ان ترجع عن دينها فابت فامر بقدر من نحاس فملئت ماء وغلي غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعي عن دينك والا القيتك أنت واولادك في هذا القدر فابت عليه فامر بولدها الاكبر فالقى فيه فتفسخ فيه وكذلك الثاني وكان في حجرها ابن رضيع فارادوا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم في شانه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبري فانا جميعا في الجنة فلما أرادوا ان يلقوها في القدر قالت لهم لي اليكم حاجة يسيرة قالوا وماهي قالت اذا رميتموني في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ماهذه ياجبريل فاخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم وروى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر في تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من الواحها فضربتهم الامواج حتى أسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يجولان في الجزيرة فاذاهما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من انتما قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا فى هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما ان تقيما في هذا الموضع تعبدان الله تعالى ونأتيكما ارزاقكما وان شئتما ارد كما الى منازلكما قالا بل تردنا الى منازلنا فقال لهما على أن تعطياني عهد الله وميثاقه على انكما لاتخبران بشيء مما تريانه فاعطياه العهد والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحائب تمر فدعاهن وسالهن فقالت كل واحدة منهن اريد بلد كذا وكذا فدعا التي تريد بلادهما فقال لها احملى هذين حتى تضعيهما على سطوحيهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطوحيهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فادخل على الملك فقال له مانصيحتك فقال رأيت ابنك فى موضع كذا وكذا وصنع بى كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقي فبعث اليه وساله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من الواحها فلم تزل الامواج تضرب بنا حتي صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا ارض وتضعنا أخري حتي انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معي رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فامر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب ان وفي صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يات به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيئا فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا اكذب خلق الله مارأينا مما قال شيئا فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان اهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتي غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثني الله تعالى اليهم فادخلت جناحي تحتها واقتلعتها فرفعتها حتي سمع

فلما رآني قال ما حاجتك قلت بعني جاريتك فقال مولاها انطيق اداء ثمنها فقلت نعم قيمتها عندى نواتان مسوستان قال فضحك وقال كيف يكون ثمنها عندك هذا القدر فقلت لكثرة عيوبها افعال وما عيوبها فقلت ان لم تتعطر ذفرت وان لم تتسوك بخرت وان لم تتمشط وتدهن قملت وان عمرت هرمت ذات حيض وبول واقذار وحزن وغم واكدار واملها لاتودك الا لنفسها ولا تحبك الا لتنعمها لا تفي بعهدك ولا تصدق في ودك ولا تخلف عليها احدا بعدك الا رأته مثلك وانا اجد بدون ماسالت من الثمن في جاريتك هذه جارية خلقت من سلاسل الكافور ومن المسك والعنبر والنور لو مزج بريقها الاجاج لطاب ولو دعي بكلامها ميت لاجاب ولو بدا معصمها للشمس لاظلمت وكسفت ولو بدا جبينها في الظلمات لانارت واشرقت ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت وتزخرفت نشات بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت في خيام النعيم وغذيت بماء

اهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتها فجاءت تهوي بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقي بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران في حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل ايتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم يفلت غيري وغيرك فباى شيء نجونا فاخبريني وانا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة وانما نجاهما الكتمان فقال لها هل لك ان تزوجيني نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك وتكتسبين على حتى يقضي من امرنا ما يشاء فقبلت فذهبا الى مدينة فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت ربي فقالت لها وان لك لربا غير أبي فقالت نعم هو ربي ورب ابيك ورب كل شيء فهبطت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولا عجيبا تقول كذا وكذا فارسل اليها فحضرت فقال لها ماهذا الذي بلغني عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم اهلي وصبيتي فبعث اليهم وامتحنهم فاذاهم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نقركم على ما انتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فابوا ان يكفروا فاخذهم وطرحهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فابى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان انت رجعت الى ديننا والا القيناك في القدر فقالت له اصنع ما انت صانع ثم انها قالت له ان لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فمر ببيتنا ان يحفر فيه حفرة ثم تامر بالقدر فتحمل بما فيها ثم يأتون بها منزلنا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة رائحة المسك تسطع من بينهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدء امره وكان في زمن افريدون الملك ابن القباء على قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذى قضى ببئر السبع وهي بئر كان احتفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوما من اهل الاردن ادعوا الارض التي احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فحاكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذى القرنين الذى كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من ارض بابل (وروي) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو أرميا بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذى بعثه الله نبيا في أيام ناشئة بن أموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق واولى بالعدل والصدق لان ناشئة بن اموص كان في عصر كرفشت بن كراشت في أيام بختنصر وبين افريدون وكرفشت من الدهور والازمان ما لا يجهله ذو علم بايام الناس واخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى ابن عمران الذى امر بطلبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران انما نبي في عصر متوشهر الملك وكان متوشهر الملك ملك بعد جده افريدون فدل هذا على خطا من قال انه ارميا بن خلقيا لان ارميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى

الذى لا تخلف عهدها ولا تبدل ودها فانها حينئذ احق برفع الثمن من جاريتي هذه فقال الملك يا اخي فاين التي وصفت قال الموجودة الثمن القريبة الخطاب في كل زمن فقال ما قيمتها يرحمك الله قال اليسير المبذول لنيل الخطير المامول وهو ان تفرغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تخلصهما لربك وان تدع طعامك فتؤثر جائعك وان ترفع عن الطريق حجرا وقذرا وان تقطع ايامك بقلة البلغة وان ترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش في الدنيا بعز القناعة وتاتى الى الموقف آمنا غدا وتنزل في الجنة دار النعيم في جوار المولى الكريم مخلدا فقال الملك يا جارية اسمعت ما قال شيخنا هذا فقالت نعم قال اصدق ام كذب فقالت بل صدق ونصح فقال مولاها فانت حرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وانتم ايها الجواري والخدم أحرار لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة لكم وهذه الدار وما فيها صدقة وجميع مالي في سبيل الله ثم مد يده الى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كان

و يختصرون المدة مالا يخفى على أهل العلم اللهم الا ان يكون الامر كما قال من قال انه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم يبعث في أيام ابراهيم ومن بعده الى ايام ناشئة بن اموص فبعث حينئذ نبيا والله اعلم والصحيح انه نبي معمر محجوب عن الابصار (وروى محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان فى كل عام في الموسم واخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال اخبرنا ابو بكر احمد بن محمد بن يعقوب قال اخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطى اخبرنا على بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض مادام القرآن فيها فاذا رفع القرآن ماتا واخبرني ابو عمرو العمراني اخبرنا ابو احمد محمد بن على الرازي اخبرنا ابراهيم بن اسحق الانماطى اخبرنا ابو همام الوليد بن شجاع السلمى اخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمى عن ابن ثوبان عن بعض اهل العلم عن انس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال يا انس انطلق فابصر ما هذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلى و يقول اللهم اجعلنى من امة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته بذلك فقال لى انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام و يقول لك من انت فاتيته فاعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى اقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له اخوك الخضر يقول لك ادع الله ان يجعلني من امتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها (رجعنا الى حديث موسى وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلى على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب اخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بارضك السلام فقال انا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال ياموسي لقد كان في بني اسرائيل شغل قال موسي ان ربى ارسلني اليك لاتبعك واتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر ياموسي خطر ببالك انك اعلم اهل الارض ما علمك وعلمي وعلم جميع الاولين والاخرين فى جنب علم الله تعالى الا أقل من الماء الذى حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أى نبوة وحكمة وعلمناه من لدنا علما (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا لانى اعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا بمنى على ما لم تعلمه قال موسي ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء علمته مما تنكره حتى احدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال اصحاب السفينة هؤلاء لصوص وامروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص ولكني أرى وجوههم وجوه الانبياء وقال ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا يمشيان على ساحل البحر اذ مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما دخلوا في البحر اخذ الخضر عليه السلام فاسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسي بثوبه وقال له اخرقتها لتغرق اهلها وقد حملونا واحسنوا الينا فخرقت سفينتهم ما هذا جزاؤهم منا لقد جئت شيأ امرا أى عجبا منكرا قال الخضر ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعنى لا تكلفنى ولا تضيق على امرى (قال ابن عباس) لما خرق الخضر السفينة تنحى موسي ناحية وقال في نفسه ما كنت أصنع بصاحبة هذا الرجل كنت في بنى اسرائيل اتلوا عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعونى فقال له الخضر ياموسى اتريد ان اخبرك

عليه من الحرير والديباج فلما رأت الجارية ما فعل مولاها قالت لاعيش لى بعدك يامولاي ثم رمت كسوتها ولبست مثل مولاها وخرجت معه فودعهم مالك ودعا لهما واخذ طريقه فتعبدا حتي جاء الموت ولقيهما على حال العبادة عفا الله عنهما ونفعنا الله بهما آمين

﴿ وحكى عن جعفر بن سليمان رضي الله تعالى عنه ﴾ انه قال مررت انا ومالك بن دينار بالبصرة فبينما نحن ندور بها اذ مررنا بقصر واذا بشاب جالس ما رأيت أحسن منه وجها وهو يامر ببناء القصر و يقول افعلوا كذا واصنعوا كذا فقال مالك اما تري ياجعفر الي هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على بناء هذا القصر ما اشوقني الى ان اسأل ربى ان يخلصه فيجعله من شباب الجنة ثم قال ياجعفر ادخل بنا اليه قال فدخلنا اليه وسلمنا عليه فرد علينا السلام وكان لم يعرف مالك ابن دينار فلما عرفه قام اليه وقال هل من حاجة يامولاي فقال مالك كم نويت ان تنفق على هذا القصر قال مائة الف درهم فقال مالك الا تعطيني هذا المال فاصرفه لمستحقه

بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانطلقا يمشيان حتى أتيا أيلة فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو اظرفهم واضوؤهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فتأذى منه ابواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا أصبح لجأ الى ابويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسنود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم ابيه ملاس واسم أمه رحمة قال فاخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية اخرى أدخل أصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى اقتلت نفسا زكية يعني طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد اخبرنا احمد بن عبيد الله اخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان اخبرنا يحيي أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسي ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان اخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي ابن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى اخي موسي لو لبث مع صاحبه لابصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا فى القرية قال ابن عباس هى انطاكية وقال محمد بن سيرين وهى أبعد ارض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصاري قالوا فوافياها قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما فاقوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة فى هذه الآيات شر القري لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القريه قري ولا ماء ولا ماوي وكانت ليلة باردة فالتجؤا الي حائط على شارع الطريق يريد ان ينقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع تلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه و بناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا ليكون لنا قوتا و بلغة على سفرنا اذا استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني و بينك سانبئك بتاويل مالم تستطع عليه صبرا ثم اخذ يفسره له فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فاما العمال منهم فاحدهم كان مجذوما والثانى أعور والثالث اعرج والرابع آدر والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذي لا يطيقون العمل اعمى واصم واخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم (و يروي) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة كانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوي الف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه

واضمن لك على الله تعالى قصرا خيرا لك من قصرك هذا بولدانه وخدمه مكللا بالدر والياقوت مرصعا بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لا يخرب ولا تمسه يدان ولا يبنيه بان قال له الجليل كن فكان فقال له الشاب يا سيدى فامهلني الليلة الى غد فقال نعم قال جعفر فبات مالك متفكرا في الشاب فلما كان وقت السحر دعا الله تعالى فاكثر من دعائه فلما اصبحنا غدونا اليه فاذا بالشاب جالس فلما عاين مالك بن دينار قال ما تقول بالامس فقال تفعل قال نعم فاحضر المال لوقته واحضر دواة وقرطاسا فكتب مالك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمنه مالك ابن دينار لفلان بن فلان انى ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وصف والزيادة على الله تعالى واشتريت لك بهذا المال قصراً في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب و دفعه الى الشاب وحملنا المال من عنده فما امسى مالك حتى لم يبق معه مقدار قوت يوم واحد وما أتى على الشاب اربعون يوما حتى وجد

الف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على قلة الا ما وقي الله تعالى فاردت ان اعيبها قطعا لطمع الطامعين فيها ودفعا لشرهم وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا وراءهم اي امامهم قال الله تعالى من ورائهم جهنم ومن ورائهم برزخ الي يوم يبعثون اي امامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فاعلم الله تعالى الخضر خبره وكان ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرؤها ابن عباس فخرقتها وعبتها كيلا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا في اسم ذلك الملك فقال اكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه منواه بن جلندى الازدنى وقال شعيب الجبائي كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا في كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة وبعدها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا اى فعلمنا ان يرهقهما يغشاهما طغيانا وكفرا وفيها لكهما وقيل خشى ان يدركه فيدعو ابويه الى الكفر فيجيباه ويدخلا معه في دينه لفرط محبتهما له وقيل خشي على الغلام ان يعمل عمل الفساق فيتمنا فلان ابواه فيدخلان النار فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا واقرب رحما (قال ابن عباس) يعني واصلا للرحم و برا بوالديه فابدلهما الله جارية مؤمنة ادركت يونس بن متى وتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم (واخبرنا) عبدالله بن حامد قال اخبرنا حامد بن احمد قال اخبرنا ابو محمد عبدالله بن يحيي ابن الحرث اخبرنا عبد الوهاب بن فليح اخبرنا ميمون بن عبدالله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه فى هذه الآية قال ابدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج ابدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافر وقال قتادة فى هذه الآية قد فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما يحبه * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة واسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنزلهما واختلفوا في ذلك الكنز ماهو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الحمشادى المزكى أخبرنا أبو الحسن احمد بن قيدوس الطرائفي أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقي أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعانى عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وكان تحته كنزلهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالحا تقياً أمينا فحفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء (أخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يابني لأزيدن في صلاتي من أجلك املي أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيي بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لي أخت أسن مني فاختلطت وذهب عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت بجة فقلت أختي قالت أختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من

عشرين

مالك كتابا موضوعا في محرابه عند ما فرغ من صلاة الغداة فاخذه مالك فاذا في ظهره مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار قد وفينا الشاب القصر الذي ضمنته له و زيادة على ذلك بسبعين ضعفا قال فتعجبت من ذلك وذهبت أنا وجعفر الى منزل الشاب فاذا بالباب مسدود والبكاء في الدار فقلت ما فعل بالشاب فقيل مات بالامس فاحضرنا الغاسل وقلنا انت غسلته فقال نعم فقال مالك حدثنا كيف صنعت فقال الغاسل ياسيدي انه احضرني قبل موته وقال اذا غسلتني وكفنتني اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدني ففعلت ذلك و دفنته معه قال فاخرج مالك الكتاب فقرأه الغاسل وقال له ياسيدي والله انه هذا الكتاب بعينه قال فكثر البكاء والنحيب ثم قام شاب آخر وقال يامالك خذ مني مائتي ألف درهم واضمن لي مثل ماضمنت للشاب المتوفي فقال مالك هيهات كان ما كان وفات مافات والله يحكم ما يريد فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى وقال هنيأ له و دعا له بالرحمة رحمنا الله بهم

عشر بن سنة فقلت يا أختي خيراً فقالت خيراً يا أخي بت الليلة فأتاني آت في منامي فقال لي السلام عليك
يا بحة فقلت وعليك السلام فقال لي ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك
بابيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر
رضى الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولابد من اختياري
أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل لخلقه لا يتعاظمه شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما
لي قالت فقيل لي قد جمعهما الله لك ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر قانزلي فان الله أذهب
ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه
أكرمه وخلى سبيله فقيل له بما دعوت حتى نجاك الله قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح
أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي فاراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار
وما فعلته عن أمري وانما فعلته بامر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاب موسى
على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا مجانا قال له ياموسى أتلومني على خرق السفينة
مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله وتلومني على قتل
الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر وتلومني على ترك أخذ الاجرة في إقامة
الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا
ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم
في التيه (وروى) عن على بن ابى طالب وغيره ان موسى لما اراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال
له موسى أوصني فقال له الخضر لا تكن مشاء في غير حاجة واياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب
ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) أبو أمامة الباهلي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يارسول الله قال بينما الخضر يمشي في
سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضي
الله من أمر سيكون ما معي من شيء أعطيكه فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك فاني أرى الخير
في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي الله من امر سيكون ما معي شيء
أعطيكه فقال له السائل أسالك بالله لما تصدقت على فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضي الله من أمر
سيكون ما معي شيء أعطيكه الا أن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فتبيعني قال الرجل وهل يكون
مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبتك فخذ بيدي وأدخلني السوق
فبعني فاخذ بيد الخضر فادخله السوق فباعه باربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله في شيء
فقال له الخضر استعملني فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم
فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في
ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض
للرجل سفر فقال للخضر اني أراك أمينا صالحا ناصحا فاخلفني في أهلي قال نعم ان شاء الله تعالى
فاستعملني في شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لي لبنا أريده لقصر لي
ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذا هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه
على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتني فقال له سألتك بوجه الله
أن تخبرني من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذى أوقعني في العبودية أما انا فسأخبرك انا الخضر

أجمعين (وحكى عن محمد
ابن السماك رضى الله عنه)
انه قال كان محمد بن سليمان
ابن موسى الهاشمى من
انعم بنى امية عيشا
واكرمهم بالاعطاء نفسا
وكان منهمكا فى شهوات
نفسه من اصناف اللذات
في المأكل والمشرب والملبس
والطيب والجوارى
والغلمان ليس له فكرة ولا
همة الا فى الذى هو فيه من
ذلك وكان شابا جميلا وجهه
كاستدارة القمر وكانت
نعمة الله سابغة عليه فكان
يستغل كل حول نحو ثمانمائة
الف وثلاثة آلاف دينار
ذهبا يصرف كل ذلك فيما
هو فيه من عيشه ولذته
وكان له مستشرف عال
يقعد فيه يشرف على الناس
وله ابواب مشرعة الى
بساتينه وقد ضرب قبة
من عاج مطلية بالفضة
والذهب وهو على سريره
عليه غلالة من قصب وعلى
رأسه عمامة مكللة باللآلىء
ومعه فى تلك القبة ندماؤه
وجلساؤه وقد اوقف على
راسه الخدم والغلمان فى
مجلس خارج القبة بحيث
يراهم فاذا اشتهى سماع
القيان نظر نحو الستارة واذا
اراد سكوتهم اوما بيده نحو
الستارة فهذا كان دابه الى
ان يذهب الليل فتخرج
الندماء ويخلو مع من شاء

سألني سائل بوجه ربي ان اعطيه ولم يكن معي شيء اعطيه فامكنته من نفسي حتي باعني و بلغني ان من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله و يقول له بابي انت وامي شققت عليك ولم اعرفك فاحكم علي في مالي واهلي وان احببت ان اخلي سبيلك فعلت قال نعم بل احب ان تخلي سبيلي اعبد ربي وكان الرجل كافرا فاسلم على يديه واعطاه ربمائة دينار وخلى سبيله فاوحى الله اليه قد نجيتك من الرق واسلم الكافر على يديك واعطاك مكان كل درهم دينارا اياك ان لا تخبر احدا في ما اماني فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله اعلم

(باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل في بني اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي كان في بني اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له ما لها في بني اسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتلها ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية اخرى فالقاه هناك وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثناعشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه وقيل القاه بين القريتين فاختصم اهلهما وجاء اولياؤه الى موسى واتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسالوه القصاص فسالهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه امر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسالوا موسى ان يدعوا الله ليبين لهم امر ذلك القتيل فسال موسى ربه فامرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا نجيئك لنسالك عن القتيل فتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين في الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة امر من الله تعالى قد لزمهم سالوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على انفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره ان رجلا في بني اسرائيل كان بارا بابيه وبلغ من بره ان رجلا اتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين الفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع اعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان ابي نائم ومفتاح الصندوق تحت راسه فامهلني حتى يستيقظ واعطيك الثمن فقال ايقظ اباك واعطني المال فقال ما كنت لافعل ولكن ازيدك عشرة آلاف وانظرني حتى ينتبه ابي فقال الرجل انا احط عنك عشرة آلاف ان ايقظت اباك وعجلت النقد فقال انا ازيدك عشرين الفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ اباه فلما استيقظ ابوه اخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له احسنت يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من اهل الكتب) كان في بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فاتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة اثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس

فاذا اصبح اشتغل بالنظر الى اللاعبين بالشطرنج وغيره لا يذكر بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ولا حزن ولا غم ولا هم الا ذكر الفرح والسرور والنوادر المضحكة وينثر كل يوم من انواع الطيب والشمامات وما يكون في اوانه حتي مضت له سبعة وعشرون سنة فبينما هو ذات ليلة من الليالي في قبته وقد مضى نصف الليل اذ سمع نغمة من صوت شجي بخلاف ما يسمع من مطرباته فاخذت بقلبه وصار ولها عما كان فيه فاوما الى جلسائه ان امسكوا ثم اخرج راسه من بعض طاقات القصر الى جهة الخلاء يسمع الذى وقع بقلبه فاذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه فصاح بغلمانه ان اطلبوا صاحب هذه النغمة وكان يومئذ قد عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فاذا هم بشاب نحيف الجسم مصفر اللون قد لصق بطنه بظهره وعليه طمران لا يتوارى بغيرهما حافي القدمين ذابل الشفتين قائم في المسجد يناجي ربه عز وجل قال فاخرجوه من المسجد وانطلقوا به حتي ادخلوه

عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فاحتطب على ظهره فياتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه و يأكل بثلثه و يعطي والدته ثلثه قالت له امه يوما يا بنى ان اباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها باله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يتخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها وصفاء لونها وصفرتها فاتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب ان تردى على فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون لك فقال ان امي لم تامرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة واله بنى اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر على ابداً فانطلق فانك لو امرت الى الجبل ان ينقلع من اصله و ينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال له ايها الفتى انى راع من رعاة البقر اشتقت الى اهلي فاخذت ثوراً من ثيراني وحملت عليه زادى ومتاعى حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لاقضى حاجتى فعدا وسط الجبل وما قدرت عليه وانى لاخشى على نفسي الهلكة فان رايت ان تحملني على بقرتك هذه وتنجيني من الموت واعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتي وقال اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة امثالها فقال له الفتى ان امى لم تامرني بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدى البقرة فنفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال باسم اله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار فانه ابليس عدو الله اختلسنى أما انه لو ركبني لما قدرت على أبداً فلما دعوت باله ابراهيم جاءنى ملك انتزعني من يد ابليس وردنى اليك ببرك بامك وطاعتك لها فجاء بها الفتي الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك و يشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاى ومشورتى وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتي كيف بره بوالدته وكان الله به خبيراً فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر امك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه واخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاى فانطلق الفتي بالبقرة الى السوق الملك فاتى فقال له استأمرت والدتك فقال الفتي نعم أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك انى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها فابى الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرني أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فامسكا البقرة وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما سمتها قال موسى انه يعني الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لأن العين تسر وتولع بالنظر الى

بين يديه فنظر اليه وقال من هذا فقالوا صاحب النغمة التي سمعتها فقال اين اصبتموه قالوا في المسجد قائما يصلى و يقرا فقال ايها الشاب ما كنت تقرا قال كلام الله تعالى قال فاسمعني تلك النغمة فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ثم قال ايها المغرور انها خلاف مجالسك ومستشرفك انها ارائك مفروشة بطائنها من استبرق على رفرف خضر وعبقرى حسان شرف ولى الله تعالى منها على جنتين فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان لا مقطوعة ولا ممنوعة في عيشة راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة في ظلال وعيون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا

الشيء الحسن وقال علي بن ابي طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لأن الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها
تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أسائمة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون
الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب
لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف
معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أي بالوصف التام البين فطلبوها
فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بامه فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا وقال السدي اشتروها
بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها وقال القرطبي وما كادوا يذبحونها
باجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعني عاميل وهذه الآية اول القصة فادارأتم فيها أى
فاختلفتم فيها والله مخرج أى مظهر ما كنتم تكتمون أى تخفون فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها أى
ببعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو
المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل
كلامه واللسان آلته وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان
عجب الذنب أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها
وقال عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وقيل باذنيها ففعلوا ذلك فقام
القتيل حيا باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك
يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما
كان من أمر عاميل ما كان أوحي الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة ببني اسرائيل لينظر
الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله
سلموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية
ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم لتضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات
والارض إله بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا
برؤا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى ان مات وكذا بنو اسرائيل
حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية
(أنبأنا) محمد بن حمدويه باسناده عن وهب بن منبه قال اوحى الله الى موسى ان يتخذ مسجدا
لجماعتهم وبيت قدس للتوراة والتابوت والسكينة وقبابا للقربان وان يجعل لذلك المسجد سرادقات
باطنها وظاهرها من الجلود المدبغة عليها وان تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها
التي تمد بها من اصواف تلك الذبائح وعهد اليه ان لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب
وامره ان ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها اربعون ذراعا ويجعل فيها
اثني عشر قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثني عشر جزءا جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا من
أسباط بني اسرائيل وامره ان يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع في ستمائة ذراع وان ينصب

وعقبى الكافرين النار
نار واي نار ان المجرمين في
عذاب جهنم خالدون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
في ضلال وسعر يوم
يسحبون في النار على
وجوههم ذوقوا مس سقر
يود المجرم لو يفتدي من
عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه وفصيلته
التي تؤويه ومن في الارض
جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى
نزاعة للشوى تدعو من ادبر
وتولى وجمع فاوعى في جهد
جهيد وعذاب شديد
ومقت من رب العالمين
وما هم منها بمخرجين قال
فقام الهاشمي من مجلسه
وعانق الشاب وبكى على
نفسه وقال لجلسائه انصرفوا
عني وخرج الى صحن داره
وقعد على حصير مع الشاب
ينوح على شبابه ويندب
نفسه هذا والشاب يعظه الى
ان اصبح وقد عاهد الله
تعالى ان لا يعود الى معصية
ابدا فلما اصبح اظهر توبته
وامر بالفضة والذهب
والجواهر وانواع الملابس
فباعها كلها وتصدق بها
وقطع الاجور عن نفسه
ورد الضياع المقتطعة وباع
ضياعه وعبيده وجواريه
واعتق من اختار العتق
وتصدق بجميع ماله كله
ولبس الصوف الخشن
واكل الشعير بعد التنعم

فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله اربعون ذراعا وعليها اربعة سموت من ثياب محلات الباطن الاول سندس اخضر والثانى ارجوان احمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التى تمد بها من صوف القربان وان يجعل ستة اسار بعين ذراعا وان ينصب في جوفه موائد من فضة مربعة يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها اربعة اذرع في اربعة اذرع كل مائدة منها على اربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة اذرع لا ينال الرجل منها الا قائما وامره ان ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على سبيكة من ذهب احمر طولها تسعون ذراعا مرصع بانواع الجواهر وان يجعل اسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وان يجعل حبالها التى تمدها من اصواف القربان وان يجعله مصبوغا بالوان من احمر واصفر واخضر وان يلبسه سبعة من الجلال محلاة الباطن الاول منها سندس اخضر والثانى ارجوان احمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك اثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشى والظاهر له غاشية من جلود القربان وقاية من الاذى والندى وامره ان يجعل سعته سبعين ذراعا وان يفرش القباب بالقز الاحمر وامره ان ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بالوان الجوهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرد الاخضر وقوائمه من ذهب وان يجعل سعته سبعة اذرع في اربعة اذرع وعلوه قامة موسى وان يجعل له اربعة ابواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه اولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وامر الله نبيه موسى عليه السلام ان ياخذ من كل محتلم فيها من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فينفقه على هذا البيت وان يجعل باقي ذلك المال الذى لا يحتاج اليه من الحلى والحلل التى ورثها الله بني اسرائيل وموسى واصحابه من فرعون وقومه دفينا في ارض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة الف وسبعة خمسين رجلا فاخذ منهم ذلك المال واوحى الله اليه انى منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيئا ولا تطفأ ابداً لتأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التى في بيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلىء وانواع الجواهر وامره ان يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانونا لتلك النار التى تنزل من السماء فدعا موسى اخاه هرون وقال له ان الله قد اصطفانى بنار تنزل من السماء تاكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل واوصانى بها وانى قد اصطفيتك بها واوصيتك بها فدعا هرون ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بامره واوصاه به وانه قد اصطفانى له واوصانى به وانى قد اصطفيتكما له واوصيتكما به وكان اولاد هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وامر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت واسرجوا القناديل من هذه النار التى في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاحرقتهما وموسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من امر الله شيئا فاوحى الله تعالى الى موسى هكذا افعل بمن عصانى ممن يعرفني فكيف افعل بمن لا يعرفني من اعدائى وهذا آخر القصة والله اعلم

(باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الارض المقدسة ماهي فقال مجاهد هي الطور وما حوله وقال

بافخر الا كل
وازم المسجد
يحيي الليل ويصوم
حتى كان يزوره الصالحون
والابرار ويقولون له
ارفق بنفسك فان المولى
كريم يشكر اليسير ويعفو
عن الكثير فيقول يا قوم
دعونى فانا اعرف بنفسى
ان جرمى عظيم عصيت
مولاى بالليل والنهار
ويبكى ويكثر البكاء ثم
خرج حاجا على قدميه
حافيا ما عليه غير خيشة
وما معه غير ركوة وجراب
حتى قدم مكة وقضى
حجه فاقام بها الى ان
توفى الى رحمة الله تعالى
وكان يدخل الحجر بالليل
ويبكى على نفسه ويقول
ياسيدى ذهبت شهواتى
وبقيت تبعاتى فالويل لى
يوم الملك فالويل ثم الويل
لى من صحيفتى اذا نشرت
مملوءة من فضائحى
وخطاياى ثم انشد يقول
شعرا

عصيتك جاهلا يا ذا المعالى
تفرج ما ترى من سوء حالى
الى من يرحم المملوك الا
الى مولاه يا ولى الموالى
فانك اهل مغفرة وعفو
وتواب ومفضال النوال

(وحكى عن عبد الله بن مهران رضي الله تعالى عنه انه قال) حج الرشيد هرون رحمه الله تعالى سنة

مقاتل هي ايليا و بيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض وقال عكرمة والسدي هي اريحاء وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين و بعض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن و فلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام واهله) قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يارسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليهم عن عبد الله بن خولة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم ارض فارس والروم وارض حمير وحتى تكونوا اجناداً ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يارسول الله اختر لي ان ادركني ذلك فقال اختر لك الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبي صفوته من عباده يااهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشام واهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة اجزاء فجعل منه تسعة اجزاء في الشام و واحداً في العراق وقسم الله الشر عشرة اجزاء فجعل منه تسعة في العراق و واحدا بالشام و دخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما ادركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فلذلك قوله تعالى ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدى أمركم ان تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال اكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن ايد بن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ماذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي والكلبي وغيرهم ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل ارض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا و يقتلنا و يحلها بني اسرائيل وانا قومك و بنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وانت رجل مجاب الدعوة فقم الينا واشر علينا في هذا الرجل العدو والذي قدارهقنا فادع الله ان يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعوا عليهم وانا أعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى استأمر ربي وكان لا يدعو احتى ينظر مايؤمر به في المنام فتآمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لاتدع عليهم فقال لقومه اني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لي شيأ فقالوا لو كره ربك ان تدعوا عليهم لنهاك كما فعل في المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به و يناشدونه و يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا لبعضهم أهدوا اليه فيقال انهم اهدوا اليه هدية فقبلها و يقال ان بلعام ابن باعوراء لما أبى ان يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصغي الي رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوأة ورقا فاهدوها

وعشر سنين فاتى الكوفة فاقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس يودعونه وخرج بهلول المجنون رضي الله تعالى عنه فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه و يولعون به حتى اذا أقبلت هوادج هرون الرشيد كف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته ياأمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يابهلول لبيك يابهلول فقال ياأمير المؤمنين حدثنا ايمن ابن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم عنى على جمل وتحته رحل رث فلا طرد ولا ضرب وكان متواضعا في سفره فتواضع في سفرك هذا ياأمير المؤمنين خيرا من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون الرشيد حتى تساقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يابهلول فانشد

فهب ذا أن ملكت الارض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا
أليس تري مقيلك جوف قبر
ويحثون التراب عليك هذا

* قال فبكى هرون ثم قال أحسنت يابهلول هل

لها فاقبلت على صاحبها والحت عليه حتي قالت له ارجع الى ربك فاسأله ان يؤذن لك في مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب اليه بشئ فقالت له انه قد خيرك في الدعاء عليهم فلم لم يأذن لك لنهاك قالوا فركب اتانه متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حسان وكانت من راكب العباد الاولين الاتن فما سار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى ازلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا ازلقها أذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام اين تذهب الا تري ان الملائكة امامي تردني عن وجهي هذا اتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع راسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب اتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتي اشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعوا عليهم بشئ من الشر الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعوا لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه اتدري ماتصنع يا بلعام انما تدعوا لهم وتدعوا علينا فقال هذا أمر لا املك منه شيأ قد غلبني الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسأمر لكم واحتال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وأمروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل ارادها فانهم لو زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كبشها بنت صور يا برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم فقام اليها واخذ بيدها حين اعجبه حسنها وجمالها ثم وقف على موسى وقال اني ساظنك أن تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله لا اطيعك في هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فارسل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكان فنحاص بن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد اعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن سلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس في بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما في حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بني اسرائيل من الطاعون فيما بين ان اصاب زمري المرأة الى ان قتله فنحاص فوجدوه قد اهلك الله منهم سبعين الف نفس في ساعة واحدة فمن هناك يعطي بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففي بلعام انزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية (وقال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والا قتلتك فقال انه من أهل ديني ولا ادعو عليهم فجيء بخشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على اتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت له لم تضربني وانا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار امامي قد منعتني ان أمشي فرجع فاخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب باى ذنب وقعنا في التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ان تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وانزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعام أوتي النبوة فرشاه قومه على ان يسكت ففعل وتركهم

غيره فقال نعم يا أمير المؤمنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله كتبه الله تعالى في ديوان الابرار فقال أحسنت يا بهلول سر مع الجائزة فقال اردد الجائزة على من أخذتها منه فلا حاجة لي بها فقال يا بهلول ان كان عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين اردد الحق الى اهله واقض دين نفسك بنفسك قال يا بهلول ان كان لنا حاجة فنجري عليك ما يكفيك فرفع البهلول رأسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني فاسبل هرون السجاف ومضى فلما قضى حجه وانى أوان الحج ثانيا خرج هرون الرشيد حاجا وحلف ان لا يحج الا ماشيا الى مكة ففرش له من جوف العراق الى اليمن لبود من فراء فاستند يوما الى ميل وكان قد تعب من المشي فبينما هو كذلك اذا بسعدون المجنون قد عارضه في الطريق وأنشد يقول

هب الدنيا تواتيكا
أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بذا الدنيا
وظل الميل يكفيكا
الا يا طالب الدنيا

على ماهم عليه (وقال) عبدالله بن عمر وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي كانت قصته انه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا ان يكون هو ذلك الرسول ولما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه فلما مات أمية أتت اخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة اخيها فقالت بينما هو راقد اذ اتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد احدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه اوعي قال وعى قال ازكا قال زكا قالت فسألته عن ذلك فقال خيرأريد بي ثم قطرت عينه ثم غشي عليه فلما افاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر أمره الي ان يزولا
ليتني كنت قبل ماقد بدالي * في قلال الجبال أرعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأطيبه من شعر سألتك بالله ان تنشدي شعر اخيك فانشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء اعلى منك جدا وامجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وانشدته حتى أتت على آخرها ثم انها انشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذى العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ماقال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة انا ارجو * أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافاة ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فاني * سوف ألقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماهذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك ادخلت فيها ماليس منها فقال ابو عامر أمات الله الكاذب منا في مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين اعدوا القوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر وآتي بجند لنخرج محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انتظار المجيئة فمات في الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت في البسوس وكان رجلا قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد فقالت له اجعل لى منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة فى بني اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة فى بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا بها فادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

﴿ باب

ادع الدنيا الشانيكا
كما اضحكك الدهر
وكذاك الدهر يبكيك
قال فشهق هرون الرشيد شهقة واغشي عليه حتى فاتته ثلاث صلوات فلما افاق طلب سعدون فلم يجده رحمة الله تعالى عليهم اجمعين ونفعنا بهم وببركاتهم آمين (وحكى عن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال) بينما انا جالس على سريرى ماكي شاكرا لله على ماأولاني من النعم اذ أوحى الى أن اخرج الى ساحل البحر الفلاني تر عجبا من خلق الله تعالى قال سليمان عليه السلام فخرجت ومعى من الانس والجن والوحوش والطيور وما أشبه ذلك فلما وصلت الي الساحل نظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت لعفريت من الجن غص فى هذا البحر وائتني بما تجده فيه فغاص العفريت ورجع بعد ساعة قال يانبي الله غصت مسيرة كذا وكذا فلم اصل الي قاعه ولا نظرت فيه شيأ فقال سليمان عليه السلام لعفريت آخر غص فى هذا البحر وائتني بما تجده فغاص العفريت ورجع بعد ساعتين وقال مثل ماقاله الاول فتعجب سليمان عليه السلام من

*(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسي ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثه اياهم الى ارض كنعان جواسيس له ولقومه

قال الله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل و بعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وذلك ان الله تعالى وعد موسى ان يورثه وقومه لارض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعده الله ان يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت ببني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى اريحاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال ياموسى انى قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصركم عليهم وخذ من قومك اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمره عليهم وهذه اسماؤهم من سبط روبيل شموع بن ذكور ومن سبط شمعون شوقط بن حورى ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط جادجاذ بن يوسف ومن سبط ريالون حدي بن سورى ومن سبط اشير شايون بن ملكيك ومن سبط يقالي حي بن وقسى ومن سبط دان حمل بن وكيل بن خمل ومن سبط لاوى خولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرانيم ومن سبط افرانيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميشاحي بن موسى ومن سبط بنيامين ناظم بن زقون ثم انه سار ببنى اسرائيل قاصدا اريحاء فبعث موسي اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له و يعلمون حالها وحال اهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل في ذكر جمل من اخبار عوج بن عنق واحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج يحتجز السحاب و يشرب منه الماء و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله (و يروى) انه اتى نوحا فى أيام الطوفان فقال له احملنى معك في سفينتك فقال له اذهب ياعدو الله فانى لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسي وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة اذرع وطول عصاه عشرة اذرع وقفز الى فوق عشرة اذرع فما اصاب منه الا كعبه وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره سنة قالوا وكانت امه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه و يقال انها كانت أول من بغى على وجه الارض وكان كل اصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين في كل اصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها خربة من الارض ولما بلغت بعث الله اليها أسودا كالفيلة وذئابا ونمورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها واكلوها (قالوا) فلما القيهم عوج يعنى أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب اخذ الاثناعشر نقيبا وجعلهم فى حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لاطحننهم برجلى فقالت له امرأته لاتفعل بل خل عنهم حتي يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لايحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم فى خشبة و يدخل في قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض ياقوم انكم ان اخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا شأنهم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فاخذ بعضهم على بعض الميثاق

ذلك فقال العفريت يانبي الله غصته مثل ماغاصه الاول مرتين فلم اجد شيأ فقال سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا وزيره امض فى هذا البحر وائتني بما فيه قال فغاص آصف فى البحر ساعة واتاه بقبة عظيمة من الكافور الابيض لها اربعة أبواب باب من الدر وباب من الياقوت وباب من الجوهر وباب من الزبرجد الاخضر والابواب كلها مفتحة ولم يدخل فيها قطرة من الماء وهي في مكان عميق فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام فنظر فيها فاذا فى وسطها شاب جميل حسن الشباب نظيف الاثواب قائم يصلى فدخل سليمان اليه وسلم عليه وقال ما انزلك الى قاع هذا البحر فقال يانبي الله احدثك بقصتى قال نعم فقال كان لى اب مقعد ووالدة عمياء فقمت فى خدمتهما سبعين سنة فلما حضرت وفاة والدتى قالت عند موتها اللهم اطل حياة ولدي في طاعتك ولما توفي والدى قال عند موته اللهم استخدم ولدى فى مكان لايكون للشيطان عليه سبيل فاجاب الله دعاءهما فخرجت يوما من الايام اريد النزهة فجئت

بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم واخبروه بما رأوا ثم ان
النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم واخبرهم بما رأوا من حالهم
الا رجلين منهم وفيا بما قالا وهما يوشع بن نون بن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته
مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا فى ارض
مصر أو ليتنا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم
وجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى
اخبارا عنهم قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة كان لهم اجسام وخلق عجيب ليس
لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض
المقدسة التى كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذى انجاكم من آل فرعون وفلق لكم
البحر هو الذي ينقذكم و يظفركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه امره وهموا بالانصراف
الى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان اخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة
في قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعنى باب
مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم فكانت جسومهم
عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنو اسرائيل ان يرجموهما
بالحجارة وعصوهما وقالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب
بالهدي فناحره عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى انا والله لا نقول لك
كما قال قوم موسى لموسى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون
والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك و بين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا لعلوناه ولو
ذهبت بنا الى برك الغماد يعنى مدينة بالحبشة لتبعناك فلما سمع ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تابعوه
على ذلك فشرق لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان اكون صاحب هذا المشهد أحب
الى من الدنيا ومافيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل مافعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوي
يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب انى لا املك الا نفسي وأخى فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين أى العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى واوحى الله تعالى الى موسى
الى متى يعصيني هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الآيات لاهلكنهم جميعا ولاجعلن لك شعبا
أقوى واكثر منهم فقال موسى الهى لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم كرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا
ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم في البرية وانك طويل
صبرك كثيرة نعمك وانت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولا توبقهم فقال
الله تعالى لموسى انى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتى لاحرمن
عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة
مكان كل يوم من الايام التي تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما ولياتينهم حتفهم فى هذه القفار واما
بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة
عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة في ستة
فراسخ وكانوا ستمائة الف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا هم أمسوا فاذا هم بالموضع الذى منه

الى ساحل هذا البحر
فنظرت الى هذه القبة
موضوعة على ساحل
البحر فدخلتها لانظر
مافيها فاحتملها ملك من
الملائكة وانزلها فى قاع
هذا البحر كما ترى يانبي الله
فقال سليمان فى أى
زمان كان قال في زمان
ابراهيم عليه السلام فحسب
سليمان عليه السلام التاريخ
فوجده الفي سنة وأربعمائة
سنة وهو شاب لم يشب
فتعجب سليمان عليه السلام
من ذلك وقال له فما طعامك
وشرابك فى هذا البحر
فقال يانبي الله ياتيني طائر
أخضر كل يوم فى منقاره
شيء أصغر من رأس
الانسان فآكله فاجد فيه
طعم كل نعيم فى دار الدنيا
فيذهب عنى الجوع
والعطش والحر والبرد
والنوم والوحشة فقال
سليمان اتحب ان تكون معنا
او ترجع الى موضعك فقال
ردنى الى موضعى يانبي الله
فقال سليمان رده يا آصف
الى مكانه فرده الى مكانه
فقال سليمان انظروا كيف
استجاب الله تعالى دعاء
والديه فاحذروا عقوق
والديكم يرحمكم الله ثم مضى
سليمان عليه السلام متعجبا
من ذلك والله اعلم (وحكى
عن الشيخ عبد العزيز
الديرينى رضى الله تعالى

ارتحلوا وسئموا الموضع الذى هم فيه فارتحلوا ومات اولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في تلك المدة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل احد أريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت الاربعون سنة ونشأت النواشيء من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم

﴿ باب في ذكر النعمة التي انعم الله بها على بني اسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام ﴾

قال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعد لا يقع على الواحد التي أنعمت عليكم اي على أجدادكم واسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وانجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وانزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون اليه واعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك انهم قالوا لموسى أهلكتنا واخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لا ظل فيها ولا كن فانزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل ارق واطيب وابرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فاين الطعام فانزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البر يختبز وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدى كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاجي المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا ياموسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فانزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس واكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فامطر به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمعط ريشه وزغبه وكانت الريح تاتي به اليهم فيصبحون وهو في معسكرهم وقيل انه كان يأتيهم فيسترسل اليهم فيأخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند اكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لانتم * ألذ من السلوى اذ ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوي وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤا لغد فداد وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال الله تعالى وما ظلمونا أى أضرونا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا انفسهم يظلمون باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبي (أخبرنا) شعيب بن محمد قال اخبرنا مكي بن عبدان قال اخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عون بن عبدالله عن خلاس بن عمرو عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم

عنه انه قال كنت سائحا في جماعة من اصحابي فانتهينا الى قبر في بعض البراري كنت اعرف صاحبه وكان من اولياء الله فجلست عند قبره ابكى فسألني بعض أصحابي عن ذلك فقلت اتفق لي مع صاحب هذا القبر حكاية عجيبة وذلك انه عرض لي حاجة في بعض البلاد فسافرت لها فادركتني الصلاة فعدلت عن الطريق الى المسجد الذي كان يصلي فيه فصليت خلفه فاذا هو يلحن في قراءته فتشوش بالي من ذلك وقلت في نفسي سرا اقيم عند هذا الفقير اعلمه واترك حاجتي فهذا اولى فلما سلمنا من الصلاة التفت الي وقال ياعبدالعزيز الحق حاجتك التي جئت بطلبها وماعليك من اللحن والتعليم فعجبت من مكاشفته علي وخرجت في الحال مسرعا الى حاجتي كما اشار فلما دخلت البلد وجدت صاحبي الذي عنده حاجتي يريد السفر ورجله في الركاب كما قال فلما رآني نزل ورحب بي وقضى حاجتي وسافرت فازددت تعجبا من ذلك فما لبث الا مدة يسيرة وتوفي الى رحمة الله تعالى وهذا قبره رضي الله عنه آمين (وحكى عن الشيخ ابى بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه) انه قال

نحن انثي زوجها ومنها انهم عطشوا في التيه فقالوا ياموسى من اين نشرب فاستقى لهم موسى فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر في أرض الحجارة فينفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في جدول السبط الذي أمر بسببهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرعن الحجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى الرمل والى الارض التي ليس فيها حجارة فامره موسى ان يحمل معه حجرا فحيثما نزل القاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل امر ان يحمله فحمله فكان يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضرب به بعصاه فيتفجر عيونا كما ذكرنا فسقاهم قال قال ابو روق كان الحجر من الكذان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أى حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فياخذونه واذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقي ستمائة الف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال ياموسى ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله ياايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد المخلدى باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح في أثره موسى يقول ثوبي ياحجر ثوبي ياحجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس وقال فقام الحجر بعد ما نظر اليه بنو اسرائيل فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان اثر ضرب موسى بالحجر ستة اوسبعة قال عبد العزيز الكتاني كان موسى ضرب الحجر اثنتي عشرة ضربة فكان يظهر في كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) انهم قالوا لموسى في التيه من اين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الايام ومرور الاعوام الا جدة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى وتنموا على صبيانهم كما تنموا فمكثوا على ذلك زمانا طويلا والله اعلم

﴿باب فتح أريحاء ونزول بنى اسرائيل الشام﴾

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح اريحاء موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني اسرائيل فقام فيها ماشاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم احد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء ان عوج بن عنق قتله موسى وقال آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان ابى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه

﴿ قصة وفاة هرون عليه السلام ﴾

قال السدى أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام انى متوف هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها و بيت مبني وفيه سرير عليه فرش واذا

خرجت يوما على اصحابي
وكانوا نيفا واربعين رجلا
فقلت لهم ياقوم ان الله تعالى
قد تكفل بارزاق العباد
فقال عز من قائل ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب
فتوكلوا على الله واعتمدوا
ثم تركتهم ومضيت وقاموا
ثلاثة ايام لم يفتح عليهم بشئ
فلما كان اليوم الرابع دخلت
عليهم وقلت لهم ياقوم ان
الله تعالى قد ابيح الاسباب
للعباد فقال هو الذي جعل
لكم الارض ذلولا فامشوا
في مناكبها وكلوا من رزقه
فانظروا الى اصدقكم نية
فليخرج عنى ارباتكم حتى
من القوت قال فخرجوا
رجلا كبيرا منهم خرج
ومشي في شوارع بغداد فلم
يفتح الله عليه بشئ فاخذه
الجوع واعياه العطش
فجلس عند دكان طبيب
نصراني عليه من الناس جمع
كثير وهو يصف لكل منهم
دواءه فنظر النصراني الى
الفقير وقال ما بك وما عليك
فكره الفقير ان يشكوا الجوع
الى نصراني ثم مد يده اليه
ليجسها فلما جسها النصراني
قال انا أعرف علتك هذه
وعندي دواؤها ثم التفت
الى غلامه وقال له امض
الى السوق وائتني برطل
خبز ورطل شوى ورطل
حلوى فمضى الغلام الى

ه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال ياموسى انى أحب ان انام على هذا السرير فقال نم عليه
ال انى أخاف أن ياتي رب هذا البيت فيغضب على قال له موسى لاتخف أنا اكفيك رب هذا البيت فنم
ال ياموسي نم معي فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسي وأخذ هرون الموت فلما وجد
سه قال ياموسي خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما
جع موسي الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسي هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم
هرون اخي ووزيري فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى
ظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون
ل موسى وكانا خرجا فى التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا
ن هارون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بنى اسرائيل فتضرع موسى الى ربه
شكا الى ربه مالقى من بني اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فانى باعثه حتى يخبرهم انه مات
تا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له انا قتلتك
لا والله ولكني مت فعاد وانصرفوا والله اعلم

﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾

ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد الله ان يحبب اليه الموت ويكره
ه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يانبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع
بي الله الم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شىء مما أحدث الله اليك حتى تكون انت
ى تبتدي به وتذكره ولايذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ
سناده حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسي عليه السلام انه ضاق
ني اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه الف نبي يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد
وسي في نفسه غيرة فاماتهم الله لكرامته في يوم واحد واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا
و سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك
وت الي موسي فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله عز
جل فقال يارب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدي
قل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بعدد
شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يارب فادنني من الارض
قدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند
كثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشرقى يقول سمعت محمد بن
ي يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها
كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتى الناس
انا حتى أتى موسي ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية (قال السدي) في خبر ذكره
ن ابى مالك وابى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب
بي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء
ما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فقال تقوم أظن انها الساعة وانى ملتزم بموسى نبي الله فانسل من تحت
قميص وترك القميص في يدى يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي

السوق واتاه بذلك فقال
خذ هذا دواء علتك فقال
الفقير للنصراني ان كنت
صادقا في حكمتك فهذه العلة
بار بعين رجلا مثلي فقال
النصرانى لغلامه امض الى
السوق مسرعا وأتني باربعين
رطلا من ذلك فمضى الغلام
الي السوق واتى بذلك بجميعه
على حمال فقال النصرانى
اذهب بذلك الى اصحابك
فذهب الفقير والحمال معه
وتبعهما النصرانى من ابعيد
ليختبر صدق ذلك الفقير
فلما دخل الفقير الى اصحابه
بالدويرة وقف النصرانى
خلف طاقة ينظر اليهم
فوضع الفقير ذلك بينهم
ثم نادوا للشيخ أبى بكر
الشبلى فحضر وسألهم عن
ذلك فاخبره الفقير بقصته
مع ذلك النصرانى فقال لهم
الشبلى اترضون ان تاكلوا
طعام نصرانى بغير مكافاة
فقالوا وما نكافئه قال ان
تدعوه الى الاسلام قبل ان
تاكلوا طعامه قال فدعوه
بالاسلام وهو يسمع فلما
راى النصرانى امساكهم عن
الطعام مع حاجتهم له ترك
الطاقة وقطع الزنار ودخل
اليهم وقال ياشبلى امدد
يدك فانى أشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله وحسن اسلامه
وصار من جملة أصحاب
الشبلي رضي الله تعالى

الله فقال والله ما قتلته ولكنه انسل مني فلم يصدقوه وارادوا قتله فقال لهم اذ لم تصدقوني فاخروني ثلاثة أيام فدعا الله فاتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام واخبره ان يوشع لم يقتل موسي وانا قد رفعناه الينا فتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضي حاجة فمر برهط من الملائكة فعرفهم فاقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذاهم يحفرون قبرا لم ير شيئا قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى ان هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة مارأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة ياصفي الله أتحب ان يكون لك قال وددت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الي ربك ثم تنفس أسهل نفس تتنفسه فاضطجع فيه ثم توجه الي ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب قيل انه اتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (ويروي) ان يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال له كيف وجدت الموت يانبي الله قال كشاة تسلخ وهي في الحياة (ويروي) ان موسي لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفي الله موسي بن عمران فمن الذي يطمع في البقاء وكان عمر موسي مائة وعشرين سنة عشرون منها في ملك افريدون ومائة سنة في ملك منوجهر (قال الاستاذ رجعنا الى قصة حرب اريحا وخبر الفتح) قال فلما انقضت اربعون سنة ومات موسي بعث الله يوشع بن نون نبيا فاخبرهم انه نبي الله وان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني اسرائيل الي أريحا ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوه وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقي منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فخشي يوشع ان يعجزوه فقال اللهم اردد الشمس على اوانه قال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمران يقيم حتى ينتقم من اعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيدله في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم اجمعين (اخبرنا) احمد بن عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت على رضوان الله عليهما فرأيت في عنقها خرزا ورأيت في يدها مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت انه يكره للمرأة ان تتشبه بالرجل ثم حدثتني ان اسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد اوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل كذلك حتى ادبرت الشمس تقول غابت او ارادت ان تغيب ثم ان نبي الله سري عنه فقال اصليت ياعلى قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد على عليه الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد * قال ثم ارسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فارسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتي اهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله باحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فامر بهم يوشع فاخرجهم وصلبهم ثم انزلهم فطرحهم في ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصار الشام كله لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فامرهم ان يبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال له هلم ما عندك فاتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال للقوم لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبني بها ولا آخر قد بني له بيتا ولم يرفع سقفه ولا

عنهم اجمعين ونفعنا بهم آمين (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم) قال رأيت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم تسعة من الاولياء أصحاب الخطوة فتبعتهم فالتفت الى احدهم وقال اين تريد فقلت لهم انا اسير معكم اين تسيرون لحبي فيكم فقال احدهم انك لا تقدر على المسير الى الموضع الذي نقصده فانه لا يصل اليه الا من بلغ عمره اربعين سنة فقال الآخر دعه لعل الله يرزقه قال فسرت معهم والارض تطوي من تحتنا طيا والحب يقول للعشاق هنيا فلم نزل نسير حتي انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة واشجارها معتانقة وانهارها رائقة وفواكهها فائقة قال فدخلناها واكلنا من ثمرها ثم أخذت معي ثلاث تفاحات فلم يمنعوني من اخذها فسألتهم عند الانصراف عن هذه المدينة فقالوا هذه مدينة الاولياء فاذا أراد الاولياء النزهة ظهرت لهم تلك المدينة اينما كانوا فما دخل فيها احد قبل الاربعين غيرك قال فلما رجعنا ودخلنا مكة أعطيت الدامغاني تفاحة فقذفها فلامني أصحابي وقالوا اردد

آخر قد اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انت مامورة وانا مامور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة منكم رجلا فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فاخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فالقوه في الغنيمة وهي بالصعيد فجاءت النار فاكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك ان الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا قالوا ثم امرهم الله ان يدخلوا أريحاء متواضعين مستغفرين خافضين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة ابواب سجدا أى منحنين متواضعين وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا قال وهب انهم اذنبوا ذنبا وكان توبتهم اذا أذنبوا دخول اريحاء فلما فصلوا من التيه احب الله ان يستنقذهم من الخطيئة قال ابن عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وذلك انهم دخلوا متزحفين على استاههم وقالوا هطا سمقاثا يعنى حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالي فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء اى عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى ارسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا فى ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفي الله نبيه يوشع ودفن فى جبل افرائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبيره امر بنى اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

﴿مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام﴾

قالت العلماء باخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين انعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فاحسن الخلافة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه يوساقوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له ايها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي ان يردهم فلما أكثروا خاف الفتنة فسال الله ان يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فاصابه الجدري فصار مجدورا ملوجا فلبث فيهم مائة واربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله اعلم

﴿ ذكر خبر حزقيل عليه السلام ﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بعث الله تعالى الى حزقيل الى بنى اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بورى ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان امه سالت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذى احيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فاحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته فى قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال) أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التى لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة والحياة اذا هم بملك من اسفل الوادى وآخر من اعلاه يناديهم كل واحد منهما ان

ما اعطيت الى مكانه فكنت كلما جعت اكلت من تلك التفاحة وهي لا تنقص فرجعت الى اهلى وقد بقى منها تفاحة واحدة غير التى ادخرتها لنفسي فعانقتني أختى وقالت اين الذى اتحفتنا به من سفرك فقلت لها وما الذى اتحفكم به وانا بعيد عن الدنيا وعن الراحة فقير الحال فقالت أختى فاين التفاحة فقلت واى تفاحة فقالت يا مسكين والله لقد أدخلوني تلك المدينة وانا بنت عشرين سنة وما انت فلم ترها الا بعد ان طردوك وانا والله جذبت اليها جذبة وخطوت اليها خطوة قال فتعجبت من كلامها وقلت يا أختى ان البدل الكبير منهم قال لى لم يدخلها احد قبل الاربعين غيرك قالت نعم يا أخى من المريدين واما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت اريتكها فقلت قد شئت فقالت يا مدينة احضري فوالله لقد رأيت تلك المدينة بعينها وهي تتدلى عليها وتدفع اليها فمدت يدها وقالت اين تفاحك قال فتساقط على من التفاح شيء كثير فضحكت وقالت من عنده هذا الملك

موتوا فماتوا جميعا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة خطار * قد يصبح الله امام السارى

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروي) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبي انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم ان في الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم موتة رجل واحد فاتى عليهم ثلاثة ايام حتى انتفخوا وأروحوا وأروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال عطاء الخرساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا اربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين الفا وقال السدي بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن ابي رباح سبعين ألفا قال فاتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يا رب فاحياهم الله جميعا هذا قول السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل فلما اصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أوتحب ان افعل ذلك قال نعم يا رب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا يا ليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فاوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا انهم ودوا لو ماتوا استراحوا وأي راحة لهم في الموت ايظنون أني لا أقدر أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها اقواما ماتوا فاتاهم فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت اجسادهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطيور والسباع فنادى حزقيل ايتها العظام ان الله يأمرك ان تعودي وتكتسي اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا فكانت اجسادا فنادى ايتها الارواح ان الله تعالى يامرك ان تعودي الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعدما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد رمما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فاماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى امرهم بالجهاد وقال وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم

يحتاج الى نفاحتك قال فاستحقرت نفسي والله عند ذلك وما كنت اعرف ان اختي من اكابر الاولياء رضي الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين وامدنا من مددهم وانفاسهم الطاهرة آمين (وحكى عن الشيخ ابى الربيع المالقي عفا الله عنه) انه قال سمعت بامرأة من المتعبدات الصالحات في بعض القرى اشتهر امرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كرامتها فنزلنا القرية التي هي بها فذكروا لنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شيء ثم مضينا اليها وسلمنا عليها وقلنا لها نريد هذه البركة التي ذكرت لنا عنك من هذه الشاة فقالت حبا وكرامة ثم احضرت لنا الشاة فحلبناها في ذلك القدح ثم شربنا فوجدنا لبنا وعسلا كما وصف فلما رأينا ذلك سألنا المرأة عن قصة هذه الشاة فقالت نعم اخبركم بها وذلك انه كان لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن عندنا غيرها فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا امضي بنا حتى نذبح هذه الشاة في هذا اليوم وهو

﴿ باب في قصة الياس عليه السلام ﴾

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحاق والعلماء من اصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس ابن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من احكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون في ارض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح ارض الشام وملكها بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فاحل سبط منهم ببعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل واضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له اربعة وجوه وقال ابن اسحق فسمعت بعض اهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه الا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من امر لاجب الملك الذي كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم امره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها أربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة او غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكي وامرأته اربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما احرى ان تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من امر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته اربيل ان تتم هذه الحيلة على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت اربيل جمعا من الناس وامرتهم ان يشهدوا على مزدكي بالزور انه يسب لاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البينة فاحضرت مزدكي وقالت له بلغني عنك انك شتمت الملك واغتبته فانكر مزدكي ذلك فقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فامرت بقتله فقتل واخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من سفره اخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا ارانا نفلح بعدها ابدا وانا كنا عن جنينته لاغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك

نفسه وزوجه ولكن اطلقت لفظ ظاهر العموم مع ارادة التخصيص عن تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى في ذلك اطابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب ما عندكم رضي الله تعالى عنهما آمين ﴿ وحكي عن بعض اصحاب السري السقطي رضي الله تعالى عنه ﴾ انه قال كان للسري السقطي تلميذة وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثه المعلم يوما الى الرحا فنزل الصبي في الماء فغرق فخاف المعلم على نفسه وأتى الى السري السقطي فاخبره بذلك فقام وقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم الجنيد فتكلم السري السقطي مع أم الصبي في علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة يا أستاذي وأي شيء تريد بذلك فقال لها السري ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت المرأة

وتوافقانوا جميعا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة طيار * قد يصبح الله امام السارى

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروي) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبي انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا للملك ان في الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتى عليهم ثلاثة ايام حتى انفجروا وأروحوا وأروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال عطاء الخرساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا اربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين الفا وقال السدي بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن ابي رباح سبعين ألفا قال فاتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يارب فاحياهم الله جميعا هذا قول السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل فلما اصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أو تحب ان افعل ذلك قال نعم يارب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا ياليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فاوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا انهم ودوا لو ماتوا استراحوا وأي راحة لهم في الموت ايظنون أني لا أقدر أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها الوفا ماتوا فاتاهم فاوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت اجسادهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير والسباع فنادى حزقيل ايتها العظام ان الله يامرك ان تعودي وتكتسي اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا فكانت اجسادا فنادى ايتها الارواح ان الله تعالى يامرك ان تعودي الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعدما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون أنهم كانوا موتى بسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد رميما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانها ليوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فاماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى امرهم بالجهاد وقال وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم

يحتاج الى تفاحتك قال فاستحقرت نفسي والله عند ذلك وما كنت اعرف ان اخس منا اكابر الاولياء رضى الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين وامدنا من مددهم وانفاسهم الطاهرة آمين (وحكى عن الشيخ ابي الربيع المالقي عفا الله عنه) انه قال سمعت بامرأة من المتعبدات الصالحات في بعض القرى اشتهر امرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كرامتها فنزلنا القرية التي هي بها فذكروا لنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شيء ثم مضينا اليها وسلمنا عليها وقلنا لها نريد هذه البركة التي ذكرت لنا عنك من هذه الشاة فقالت حبا وكرامة ثم احضرت لنا الشاة فحلبناها في ذلك القدح ثم شربنا فوجدنا لبنا وعسلا كما وصف فلما رأينا ذلك سألنا المرأة عن قصة هذه الشاة فقالت نعم اخبركم بها وذلك انه كان لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن عندنا غيرها فقال لي زوجي وكان رجلا صالحا امضى بنا حتى نذبح هذه الشاة في هذا اليوم وهو

{ باب في قصة الياس عليه السلام }

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحاق والعلماء من اصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عزوجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس ابن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من احكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون في ارض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح ارض الشام وملكها بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فاخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل واضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذي كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم امره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها أربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة اوغيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكي وامرأته اربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما احرى ان تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من امر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته اربيل ان تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت اربيل جمعا من الناس وامرتهم ان يشهدوا على مزدكي بالزور انه يسب لاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البينة فأحضرت مزدكي وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك واغتبته فانكر مزدكي ذلك فاقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فامرت بقتله فقتل واخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر اخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا ارانا نفلح بعدها ابدا وانا كنا عن جنينته لاغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك

نفسها وزوجها ولكن اطلقت لفظ ظاهر العموم مع ارادة التخصيص عن تستر وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى في ذلك لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب ما عندكم رضي الله تعالى عنها آمين { وحكى عن بعض اصحاب السرى السقطي رضى الله تعالى عنه } انه قال كان للسرى السقطى تلميذة وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثه المعلم يوما الى الدجلة فنزل الصبي في الماء فغرق فخاف المعلم على نفسه وأتى الى السرى السقطى فاخبره بذلك فاغتم وقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم الجنيد فتكلم السرى السقطى مع أم الصبي في علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة يا أستاذى وأى شيء تريد بذلك فقال لها السرى ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت المرأة

فقال لها ما كان يسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقالت قد كان ما كان
فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وامره ان يخبرهم ان الله تعالى قد غضب عليه لوليه حين
قتلوه بين اظهرهم ظلما وقد آلى على نفسه انهما ان لم يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكي لاهلكهما
يعني لاجب وامرأته في جوف الجنينة أشر مايكون ينفك دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى
تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبر الملك بما اوحى الله اليه في امره
وامر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له ياالياس والله ما أرى ماتدعونا اليه الا
باطلا والله ما ارى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الا على مثل مانحن عليه يأكلون ويشربون
ويتمتعون مملكين ماينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذي تزعم انه باطل شيء ومانرى لكم علينا من فضل
قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق
الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل فارتقى الياس الى اصعب جبل واشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقي فيه سبع
سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في
طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون اخباره ويجتهدون في اخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه
البلاء فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فامرض الله تعالى ابن الملك لاجب
وكان احب اولاده اليه واعزهم عليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل
فعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعلبك وجعلوا له اربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم امناءه وجعل
الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بانواع الكلام والاربعمائة يصغون بآذانهم الى مايقول الشيطان
ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن
الملك طلب الملك ان يشفعوا له الى بعل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه له فلم يجبهم ومنع الله تعالى
بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون في التضرع اليه والمريض
لايزداد بذلك الا ألما وجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب ايها الملك ان في ناحية الشام آلهة اخرى وهي في
العظم مثل الهك فابعث اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها ان تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا
غضبه عليك لكان قد اجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لاي شيء غضب علي وانا اطيعه واطلب رضاه
ولم اسخطه ساعة قط قالوا من اجل انك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سالما وهو كافر بالهك يعبد غيره
فذلك الذي اغضبه عليك قال لاجب وكيف لي ان اقتله في يومي هذا وانا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس
لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفي ابني تفرغت لطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى آخذه
واقتله واريح الهي منه وارضيه قال ثم انه بعث الاربعمائة نبي ليشفعوا الى الآلهة التي بالشام ويسألوها ان
تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان الولوج في الاصنام
ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبره بذلك فقال الملك وكيف لي ان اقتل الياس في هذا اليوم قال فخرج
الاربعمائة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس اوحى الله اليه ان يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم
ويكلمهم وقال له لا تخف فاني ساصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم
استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله ارسلني اليكم والى من وراءكم فاسمعوا ايها القوم رسالة ربكم لتبلغوها
صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يالاجب اني انا الله لا اله الا انا اله بني اسرائيل
الذي خلقهم ورزقهم واحياهم واماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على ان تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك
من غيري ممن لا يملكون لانفسهم شيئا الا ما شئت واني آليت باسمي لاغيظنك في ابنك ولاميتنه من فوره

هذا

يوم العيد فقلت له لا تفعل ذلك فان الله تعالى قد رخص لنا في الترك والله يعلم حاجتنا اليها فبينما نحن كذلك اذ استضافنا ضيف في ذلك اليوم ولم يكن عندنا مانقري به هذا الضيف فاحتجنا لذبحها فقلت له يارجل هذا ضيف وقد امرنا باكرامه فخذ تلك الشاة واذبحها فقال نخاف ان تبكي عليها صغارنا فقلت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجدار فاخذها ومضى فلما أراق دمها فرفرت من أعلى الجدار ونزلت الينا فحسبت انها قد انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذاهو يسلخ فيها فقلت له يا رجل رأيت عجبا وذكرت له قصة هذه الشاة التي نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعل الله تعالى بدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لبنا وهذه تحلب لبنا وعسلا وهذا كله ببركة اكرام الضيف قال فتعجبنا من ذلك ثم قالت يا أولادي ان شويهتنا هذه ترعى في قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تغيرت قلوبهم تغير لبنها فطيبوا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك

هذا حتى تعلم ان احدا لا يملك له شيأ دونى فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا الى الملك ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس واخبروه بان الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وتمعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا فقذف له فى قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت السنتنا ونحن فى هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر ان نكلمه ونراجعه وملأ اعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا انتفع بالحياة مادام الياس حيا ما الذى منعكم ان تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به وانتم تعلمون انه طالبى وعدوى قالوا له قد اخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه والبطش به فقال لاجب اذا ما نطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والباس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وان يطمعوه بانهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويغتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون باعلى أصواتهم ويقولون يانبى الله ابرزلنا واشرف علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنا بك واجبناك الى مادعوتنا اليه فهلم الينا فانت نبينا ورسول ربنا فاقم بين اظهرنا واحكم بيننا فانا ننقاد الى ما امرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع الينا وكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع فى قلبه ايمانهم وخاف الله واشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو انى دعوت الله تعالى فسألته ان يعلمنى مافى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة امرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعون قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتال ثانيا فى امر الياس فقيض لهم فئة اخرى مثل عدد اولئك واقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأي فاقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يانبى الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين اتوك قبلنا اولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليمكروا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله امرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فامطر عليهم نارا فاحترقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك اصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه واراد ان يخرج فى طلب الياس بنفسه الا انه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس اليه فينزل معه واظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما اظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما وجهه نحوه ارسل معه فئة من اصحابه وعهد اليهم دون الكاتب ان يوثقوا الياس ويأتوه به ان اراد التخلف عنهم وان جاء معهم آمنا بالكاتب وانما بمكانته لم يوحشوه ولم يروعوه ثم انه اظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لى ان اتوب وانعظ فقد اصابتنا بلايا من حريق اصحابنا والبلاء الذى فيه ابنى وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست آمن ان يدعوا علىّ وعلى جميع قومى فنهلك بدعوته فكن رسولنا اليه واخبره انا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع اصنامنا الا ان يكون الياس بين اظهرنا يأمرنا وينهانا

أين غرق ولدى فقال المعلم ههنا فصاحت به ابنى محمد فاجابها من النهر لبيك يا أماه فنزلت وأخذت بيده ومضت الى منزلها فالتفتت السرى الى الجنيد وقال أى شىء هذا فقال الجنيد أقول ان هذه المرأة مراعية لله عز وجل عليها وهذا حكم من كان مراعيا لما لله عز وجل عليه فلهذا لا تحدث حادثة حتى تعلم بها فلما كان دأبها ذلك لم تكن حادثة الا علمتها فانكرت ذلك وقالت ان ربى لم يفعل ذلك وهذا من صدقها مع مولاها رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها فى الدنيا والآخرة وأمدنا من مصدرها آمين

﴿ وحكى عن مالك بن دينار عفا الله عنه انه قال ﴾ خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة من السنين فبينما انا فى الطريق واذا بشاب يمشى بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت أيها الشاب ومن أين أنت قال من عنده فقلت والى أين قال اليه فقلت وأين الزاد والراحلة فقال عليه فقلت له الطريق لا تقطع الا بالماء والأكل والمشرب فهل معك شىء قال نعم قد تزودت عند خروجى من

ويخبرنا بما يرضى ربنا قال ثم انه امر قومه ان يعتزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس بانا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد وقد اهملنا امرها حتي ينزل الينا فيكون هو الذى يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وانس به وكان مشتاقا الى لقائه فأوحي الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى اخيك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغي وقومه وقص عليه مقالته وقال اني لخائف ان رجعت اليه ولست معي ان يقتلني فامرني بما شئت ان افعله وانتهى اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت ارسلتني اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان اخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يات بك اليه فانه يتهمه ويعرف انه قد داهن في امرك ولم يامن ان يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذره وبراءته عند لاجب واني ساشغله عنكما واضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم اميته على شر حال فاذا مات هو فارجع انت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لاجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع واخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك لاجب واصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب وفرغوا من امره وقر جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذى جاء به فقال له ليس لي به علم وذلك انه قد شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم اكن احسبك الا قد استوثقت منه فاطرق عنه لاجب وتركه لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث في الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتي نزل بامرأة من بني اسرائيل وهي ام يونس بن متى ذي النون فاستخفى عندها ستة اشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد قعوده في الجبال ودوحها فاحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه في الجبال فجزعت ام يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتي مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت في طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتي عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له اني فجعت بعدك بموت ابني وعظمت به مصيبتي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد غيره فارحمني وادع ربك تعالى ان يحيى لى ابني ويجبر مصيبتي فاني قد تركته مسجى لم ادفنه وقد اخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما امرت به وانما انا عبد مأمور أعمل بما امرني ربي به ولم يامرني بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت منذ سبعة ايام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة ايام حتى انتهى الي منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحيا الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا واجهده البلاء فاوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي فاسألني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني وابغضتهم فيك وابغضوني فاوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذى اعرى منك الارض واهلها وانما قوامها وصلاحها بك واشباهك ولكن سلني اعطك قال الياس فان لم تمتني يا الهي فاعطني ثاري من بني اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه فأي شيء تريد ان اعطيك يا الياس قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة الا بدعوتي ولا

بلدي بخمسة أحرف فعلت وما هي فقال قوله تعالى كهيعص فعلت وما معني كهيعص فقال أما قوله كاف فهو الكافي واما الهاء فهو الهادي واما الياء فهو الذي يأوي واما للعين فهو العالم واما الصاد فهو الصادق فمن صحب كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا فلا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج الى الزاد والراحلة قال مالك فلما سمعت منه هذا الكلام نزعت قميصي لأ لبسه فابى ان يقبله وقال ياشيخ العرى خير من ثياب الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب فكان اذا جن الليل يرفع وجهه نحو السماء ويقول يامن لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى ما لا ينفعك واغفر لى ما لا يضرك فلما احرم الناس والبوا قلت له لم لا تلبي فقال ياشيخ اخاف ان اقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا اسمع كلامك ولا انظر اليك ثم مضى وغاب عن بصري فما رايته الا بمني وهو يبكي ويقول ان الحبيب الذى يرضيه سفك دمي دمي حلال له في الحل والحرم والله لو علمت روحي لمن عشقت

تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا ارحم بعبادي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فاربع سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين ولكنني اعطيك ثارك منهم ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك ولا انشر عليهم سحابة الا بدعوتك ولا انزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فبأي شيء اعيش قال اسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع يتساق له فيه الرزق ويأتيه حيثما كان وقد عرفه بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويلقى منهم اهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس اصاب بني اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فجاءته بشيء من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنوا اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله اعلم

﴿ قصة اليسع عليه السلام ﴾

ثم ان الياس اتى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب وكان به ضر فآوته واخفت امره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد اسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس عليه السلام انك قد اهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعصوني سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله اعلم ان الياس قال رب دعني اكون الذي ادعوا لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي اصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهداً وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا ان اصنامكم التي تدعونها من دون الله لا تغني عنكم شيئاً فاخرجوا باصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور فنزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم ان يفرج عنكم ما انتم فيه من البلاء قالوا انصفت فخرجوا ومعهم اوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بان يفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم ارسل الله عليهم المطر فاغاثهم واحييت بلادهم قال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا ليست لنا حبوب فاوحى الله تعالى اليه ان يامرهم بان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فانبت الله لهم منه الحمص وامرهم ان يبذروا الرمل فانبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به

قامت على راسها بهم بدلا عن القدم
يا لائمي لا تلمني في هواه فلو عاينت منه الذي عاينت لم تطرف بالبيت
قوم لو بجارحة لله طافوا لاغناهم عن الحرم
ضحى الحبيب بنفسي يوم عيدهم والناس ضحوا بمثل الشاة والغنم
للناس حج ولا حج الى سكني تهدى الاضاحي واهدى مهجتي ودمي
ثم قال اللهم ان الناس ذبحوا وتقربوا اليك بضحاياهم وهديهم وليس لي شيء اتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة فخر ميتا رحمة الله تعالى عليه واذا بقائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله قال فجهزته وواريته بالتراب ثم بت تلك الليلة متفكرا في امره فرايته في المنام وعليه ثياب من السندس والاستبرق فقلت له ما فعل الله بك فقال فقال فعل بي كما فعل بالشهداء يوم بدر فهم قتلوا بسيف الكفار وانا قتلت بمحبتي الملك العزيز الجبار قال فتعجبت منه رضي الله تعالى عنه (وحكي عن البهلول رضي الله عنه انه قال) بينما انا في يوم من الايام مار في شوارع

الفرس فناداه اليسع ياالياس ماتامرني به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته رقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان مزدكي فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام و بعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل واوحى الله تعالى اليه وايده بمثل ما ايد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه و ينتهون الى رأيه وامره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع (اخبرنا) ابو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن ابى داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس و يوفيان الموسم في كل عام (وأخبرني) ابن فتحويه عن رجل من اهل عسقلان انه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال ياعبد الله من انت فقال انا الياس قال فوقعت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله لى ان يرفع عني ما اجد حتى افهم حديثك واعقل عنك قال فدعا لى بثمان دعوات وهن يابر يارحيم ياحنان يامنان ياحي ياقيوم ودعوتين بالسريانية لم افهمهما وقيل هما باهيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت اجد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدى فقلت ايوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الى قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم احياء قال اربعة اثنان في الارض واثنان في السماء اما اللذان في السماء فعيسى وادريس عليهما السلام واما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطيء الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدن كلما اذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه و بهم يدفع الله عن الناس البلاء و بهم يمطرون قلت فالخضر اين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت اين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين اهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان بن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول الشاهد في النار قلت فاني قد شهدت ولم اطعن برمح ولا رميت بسهم ولم ضرب بسيف وانا استغفر الله من ذلك المقام ان اعود الى مثله ابدا قال احسنت فهكذا فكن قال فبينما انا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان اشد بياضا من الثلج فاكلت انا وهو رغيفا و بعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفع باقى الرغيف الآخر فما رأيت احدا وضعه ولا رأيت احدا رفعه قال وله ناقة ترعى في وادى الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت و بركت بين يديه فركبها فقلت له اني اريد ان اصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني خلو لا زوجة لى ولا عيال قال تزوج واياك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت اني احب ان القاك قال واذا رأيتني فقد لقيتني اني اعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني و بينه شجرة فوالله ما ادرى كيف ذهب وهذا اخر القصة

﴿ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام ﴾

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لى بثلاث استخلفه يصوم النهار و يقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال انا اعمل ذلك فاستخلفه

البصرة فاذا بصبيان يلعبون بالجوز واللوز واذا بصبي ينظر اليهم وهو يبكى فقلت في نفسي هذا الصبي يبكى تحسرا على ما في أيدى هؤلاء الصبيان ولا شيء معه فتقدمت اليه وقلت له ياولدى ما يبكيك أشترى لك من ذلك ما تلعب به مع الصبيان قال فرفع الصبي رأسه وقال ياقليل العقل ما للعب خلقنا فقلت له ياولدى فلما ذا خلقنا فقال للعلم والعبادة فقلت له من أين لك هذا بارك الله فيك فقال من قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون قال البهلول فتعجبت من كلام الصبي على صغر سنه وقلت له ياولدى أراك حكيما فعظني فانشد يقول شعرا

اري الدنيا تجهز بانطلاق مشمرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحي ولا حي على الدنيا بباقي
كأن الموت والحدثان فيها الى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مغرور بالدنيا رويدا ومنها خذ لنفسك بالوثاق

قال ثم رمق بطرفه الى السماء وأشار اليه بكفه ودموعه تجرى على خده وخر مغشيا عليه فرفعت رأسه الى حجرى ومسحت التراب عن وجهه فلما افاق

قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعوني واياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فاني آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر ايرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة واخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من هذا فقال انا الشيخ المظلوم ففتح له وقال الم أقل لك اذا قعدت فائتني فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فائتني وفاتته القائلة فراح واقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى اقوم فانه قد شق على عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له احد فلما اعياه نظر فاذا كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان الم آمرك ان لا تاذن لاحد على فقال اما من قبلي فلم اتى فانظر من قبل من اتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الشيخ معه في البيت فقال له اتنام والخصوم بباب فعرفه فقال له يا عدو الله ما الجأك الى هذه الفعال فقال له انك اعييتني في كل شيء اردت بك ففعلت معك ما ترى لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر توفى به (اخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبي هاشم (اخبرنا) ابن المفضل قال اخبرنا الاعمش عن عبدالله بن عبيد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم اسمعه الا مرة او مرتين لم احدث به سمعته منه اكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على ان تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فعلت من هذا العمل فاني ما فعلته قط فقال لها اكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا اعصى الله بعدها قط ابدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل ＊ وقال ابو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله اعلم بالصواب

﴿ مجلس في قصة عيلي وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت
وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على ابواب كثيرة ﴾

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل الآية

﴿ فصل في سياق الآية ومقدمة القصة ﴾ قال وهب بن منبه لما انبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ما شاء الله ان يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف فعظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويزحفون به معهم الا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في ارزاقهم فكان احدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج الله له ما يأكل منه هو وعياله ويكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة فلما كثرت احداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون

قلت له يا ولدي ما نزل بك وأنت صبي صغير ولم يكن عليك ذنب فقال اليك عني يا بهلول فاني رأيت امي توقد النار في صغار الحطب قبل الكبار فقلت لها لم لا توقدين النار في الكبار فقط فقالت يا ولدي لا توقد الكبار الا بالصغار واني أخشي أن اكون من صغار حطب جهنم قال البهلول فغشي على ساعة وانصرف الغلام من بين يدي فلما افقت نظرت الى الصبيان فلم أر الصبي بينهم فسألتهم من يكون ذلك الصبي فقالوا أو ما تعرفه فقلت لا فقالوا هذا من اولاد الحسين بن على ابن ابي طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ونفعنا بهم وبانفاسهم الطاهرة ﴿ وحكى عن حبيب العجمي رضى الله تعالى عنه ﴾ انه قال كان لى زوجة سيئة الخلق كنت اخشاها اسوء خلقها فقالت لى يوما من الايام اذا لم يفتح عليك فلا تدخل الينا ولا ترنا وجهك قال فخرجت من عندها الى الجبانة مهموما مغموما فصرت أصلى الى العشاء ثم أتيت الى البيت خجلا من توبيخها مشغول القلب من شرها فلما دخلت البيت قامت على وقالت أين اجرتك التى

غزة وعسقلان وساحل البحر مابين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتمادون احيانا في غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا الى التوبة احيانا ويكفيهم الله شر من بغى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة مابين وفاة يوشع بن نون التي آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى الساسة منهم وفي بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويتملك عليهم الى ان تبدت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام اربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلى الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بامرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

﴿القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم﴾

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما عجوز عاقر لم تلد له ولداً وهي أم شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة اولاد قال وكان لبني اسرائيل عيد من اعيادهم اقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين فحضر ابو شمويل وامرأتاه واولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة انصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما مايعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت ام الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرني بولدي وقللك فرجعت العجوز وجوماً شديداً فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها علي بنعمك التي انعمتها عليها وانت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولداً تقيا رضيا واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فالم بها زوجها فحملت وكتمت امرها ولقي بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم فكانوا يسألون الله تعالى ان يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من امرها وقالوا ماحملك هذه الا نبي لان اليائسات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فاخذوها وحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى ان يرزقها ولدا ذكراً فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلى وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلى الكاهن وكان لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ ياشمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ وقال ياأبتاه أدعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يابني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فاتبه الغلام وقال أدعوتني ياأبتاه فقال الشيخ ماشأنك قال امادعوتني قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فاجب وقل لبيك انا طوعك فامرني بماشئت افعل ماتامرني به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك انا طوعك فامرني بامرك افعل ماتامرني به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عزوجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذرأك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذي تاهت

عليها

اتيت بها وفقات لها ان الذي ستاجرني كريم واستحيت ان استعجله في الاجرة قال فسكتت عني فمكثت على ذلك الحال اياما وانا اذهب الى الجبانة واصلي الى الليل وارجع فلما طال عليها الحال قامت علي وقالت اطلب أجرتك منه أو اجر نفسك لغيره فسمر على ذلك ووعدتها بان افعل ذلك ثم خرجت الى عادتي فلما جاء الليل رجعت الى منزلي خائفا منها فلما وصلت البيت رأيت دخانا ومائدة منصوبة وزوجتي فرحة مسرورة فتعجبت من ذلك فلما دخلت البيت اتت زوجتي وقالت ان الذي استاجرك بعث الينا مايبعث الكرماء الى الفقرا وقال رسوله الذي جاء بهذا قولي لحبيب يجد في العمل فان مستاجره لا يؤخر الاجرة بخلا ولاعدما فيقر عينا وبطيب نفسا ثم ذهبت الى بيت آخر في لدار واحضرت منه كيسا مملوأة دنانير ذهب أحمر قال حبيب فبكيت عند ذلك وقلت لها أتدرين من بعث الينا ذلك فقالت الذى استاجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كريم بيده خزائن السموات

عليها ضرتها فيه فلا احد اليوم اشد منها عضدا ولا ملاذا فانطلق الى عيلى فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بامره حاكما بكتابه محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ورق عظمك وذهبت قوتك وفني عمرك وقرب أجلك وصرت افقر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطلت الحدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات واضعفت حكم الحق حتى عز الباطل واهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفي المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك فبئسما ختمت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وتم بعده بالخلافة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلى ووبخه عليه انه كان له ابنان شابان فاحدثا شيئا في القربان لم يكن فيه وذلك انه كان مسواط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما أخرجا كان للكاهن الذى كان يسوطه فجعل ابناه كلاليب فاوحي الله الى شمويل ان انطلق الى عيلي فقل له منعك حب الولد ان تزجر ابنيك ان يحدثا فى قربانى وان يعصيانى فلانزعن الكهانة منك ومن ولديك ولاهلكنك واياهما فاخبر شمويل عيلى ففزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فامر عيلى ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تاهبوا للقتال جعل عيلي يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فاخبره بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبر ان التابوت قد سلب وان عيلى قد مات فمات كمدا فلما مات الامير والوزير واخذ التابوت مرج امر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله وذلك بعدما دبر شمويل امرهم عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبي من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك للانبياء وكان الملك هو الذي يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبي منهم هو الذى يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالي (قال وهب بن منبه) بعث الله شمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة فى احسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام ان يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله يعني شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل ابن بالي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفاقا ولم ينسبه اكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فاجابوا بما قص الله في كتابه قالوا ومالنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما اخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا

﴿ ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالي ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى في القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا انفسهم بالعصا فلم يكونوا امثالها وكان طالوت بطولها واسمه بالسريانية سادل وبالعبرانية شاول بن قيس بن أفيل بن صارو بن نحورت بن افيح بن انيس بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه

والارض قال فلما سمعت ذلك تغير لونها وارتعدت وتابت الى الله تعالى مما كان منها وقسمت ان لا تعود الي ذلك أبدا رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بهم اجمعين ﴿وحكى عن عطاء بن الازرق رضي الله تعالى عنه أنه قال ﴾ دفعت الى زوجتي درهمين لاشتري بهما دقيقا ولم يكن عندنا شيء نقتات به فى ذلك اليوم فخرجت الى السوق لشراء الدقيق فرأيت مملوكا في السوق يبكى فقلت له ما يبكيك فقال ياسيدى ان مولاى دفع لى درهمين لاشترى له بهما شيأ فسقطا من يدى واخاف ان ارجع اليه خائبا فيضربني قال عطاء فحزنت عليه ودفعت له الدرهمين فاخذهما ومضي الى حاجته ثم توجهت الي المسجد فصرت اصلى الى وقت المغرب وانتظرت شيا فلم يفتح على بشيء فخرجت من المسجد عند الغروب وجلست في السوق على دكان صديق لى وكان نجارا فلما رأى الجراب معى قال خذ هذه النجارة فى جرابك لتحمى بها التنور قال فاخذت منه شيا من النشارة فى الجراب وذهبت الى البيت خائفا من شرها فطرحت الجراب في البيت

السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدى يقولان كان سقاء يستقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لابي طالوت فارسله وغلاما له يطلبانها فمر ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه في أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر اذ نش الدهن في القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل قرب رأسك الى فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له انت ملك بني اسرائيل وقد امرني ربي ان املكك عليهم فقال طالوت انا فقال نعم قال اوما علمت ان سبطي أدنى اسباط بني اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتي ادنى بيت في بني اسرائيل قال بلى قال فباي آية قال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد أميرا على الجيش فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم يعني بالطول في قومه والقوة وانما سمى طالوت لطوله ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت اجمل رجل في بني اسرائيل واعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية

﴿قصة التابوت وصفته وابتداء امره الى انتهائه﴾

قال اهل التفسير واصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة حين اهبط الي الارض فيه صور الانبياء من اولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا اول من يتبعه من امته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ومن وراءه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا اخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء انصار الله وانصار رسوله نور حولهم يزهر يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى ان مات ثم عند شيث الى ان مات ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده قيدار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطنا التابوت فكان يمتنع عليهم و يقول انه وصية ابي ولا اعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا يا قيدار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب

ورجعت مسرعا الى صلاة العشاء ثم جلست في المسجد حتى مضى نصف الليل خوفا منها ثم جئت الى البيت ونظرت من وراء الحائط فوجدتها تخبز خبزا ذا رائحة مقرمة فتعجبت من ذلك وقلت من أين أتاهم هذا الدقيق ثم دخلت وانا متعجب ثم قلت اين لكم هذا الخبز فقالوا من الدقيق الذى في الجراب ثم قالت لى زوجتى من هذا اليوم لا تشتر لنا الا منه لانه دقيق طيب قال فحمدت الله تعالى على لطفه بعباده وكرمه وفضله (وحكى عن شقيق البلخى رضى الله عنه أنه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما انا أنظر الى الناس وزينتهم وكثرتهم اذ نظرت الى فتى من احسن الناس وجها وهو متوشح ثوب من صوف من فوق ثيابه مشتمل بشملة وفى رجليه نعلان من خوص قد جلس منفردا عن الناس فقلت في نفسى هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس فى طريقهم والله لامضين اليه وامتحنه واوبخه فدانوت منه فلما رآنى قال يا شقيق

اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد ارض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه اقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سعى اليه باكيا وقال يا قيذار مالي ارى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أأرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد ابيك اسمعيل قال ما ارهقني عدو ولا اتيت معصية ولكن انتقل من ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب افي بنات اسحق قال لا ولكن في العربية الجرهمية وهي العامرية فقال يعقوب بخ بخ شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيذار وانا مبشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم ان العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك يا ابن عمي وانت بارض الشام وهي بارض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لاني رأيت ابواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر الممدود بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من اجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى اهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى ان مات ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل امر التابوت بما فيه وكان فيه ما ذكر الله في كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا في السكينة) ما هي فقال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل في السكينة رأس هرة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة ايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (وروى) السدى عن ابي مالك عن ابن عباس قال هي طشت من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء (وروى) بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك ان موسى لما القى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه ايضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال اقاموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك في ايام عيلي الكاهن الذي ربى شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبي قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بني اسرائيل الى ان بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه فقال لهم شمويل ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت (وكانت قصة) ذلك التابوت ان القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فاخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا من الغد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه واصبح ملقى تحت التابوت فاصبحت الاصنام كلها منكسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه من مدينتكم قال فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا فبيت الرجل صحيحا فيقرضه الفار فيصبح ميتا وقد اكلت ما في جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه في مجري لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فاخرجوه ووضعوه في بيت

ان الله تعالى قال في كتابه العزيز يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ثم تركني ومضى فقلت في نفسي ان هذا لامر عظيم قد تكلم على ما في نفسي ونطق باسمي ما هذا الا عبد صالح والله لالحقنه واستحله مما كان مني فاسرعت نحوه فلم الحقه وغاب عن عيني فلما نزلنا واقصة اذا به قائم يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي فمضيت اليه وصبرت حتى فرغ من صلاته واقبلت نحوه فلما رآني مقبلا قال يا شقيق أقرأ قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركني ومضى فقلت ان هذا الفتى لمن الابدال قد تكلم على ما في سري مرتين فلما نزلنا الى منى اذا بالفتى وقف على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي بها فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر اليه فرمق طرفه الى السماء وقال

انت ربي اذا ظمئت من الماء
وقوتي اذا عدمت الطعاما

ثم قال اللهم مالي سواها فلا تعدمني اياها قال شقيق فوالله لقد رايت البئر قد ارتفع ماؤها فمد الفتى يده

فمكث فيهم عشر سنين وسبعة اشهر لا يدنو احد منه الا احترق واصابهم في المدينة الآفات والعاهات وفي مواشيهم الموت وفي نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بني اسرائيل من اولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بارض الا كانت مقدسة فاقبلا حتى وقفا على ارض فيها حصاد لبني اسرائيل فكسر برنتهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى ارضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة اى تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته في دار طالوت فاقروا بملكه قال الله تعالى ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله اعلم

﴿باب في قصة شمويل حين اوحي الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بني اسرائيل وصفة تمام الابتلاء﴾

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما اوحي الله الى شمويل عليه السلام ان يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه او مريض لمرضه او ضرير لضره او معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت قالوا قد اتانا التابوت وهو نصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيما ارى لا يخرج معي رجل بني بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعني الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون الفا على شرطه فخرج بهم وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم و بين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى ان يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت بامر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر مختبركم ليرى طاعتكم وهو اعلم بكم وهو نهر بين الاردن و بين فلسطين عذب يقال له ادمي فمن شرب منه فليس مني أي من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه لم يشرب به فانه مني ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال السدي) كانوا اربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر انتم اليوم على عدة اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما امر الله تعالى قوي قلبه وصح ورجع ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا و بقوا على شاطيء النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون اي يعلمون و يوقنون انهم ملاقو الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت اوكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية ومروا قاصدين الجهاد

﴿باب في ذكر امر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله﴾

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابناله وكان داود

واخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى اربع ركعات ومال الى كثيب رمل فصار يقبض بيده من ذلك الرمل و يطرحه في الركوة ويحركه ويشرب فقال شقيق فقمت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا اخي اطعمني من فضل ما انعم الله عليك فقال يا شقيق كم تري نعمة الله علينا ظاهرة و باطنة فاحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت الذ منه ولا اطيب رائحة فشبعت ورويت واقمت اياما لم اشته طعاما ولا شرابا ثم مضى فلم اره حتى دخلنا مكة فرايته ليلة من الليالي وهو في جنب قبة الشراب وهو قائم يصلي بخشوع وانين وبكاء ولم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلي صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف سبعا ثم خرج فتبعته فاذا له حاشية وموال وهو على خلاف ما رايته في الطريق ودار به الناس من حوله وهم يسلمون عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال

اصغرهم واحقرهم فاتى ذات يوم اباه فقال يا ابتاه ماقذفت بمقلاعى هذه شيأ الا اصبته وصرعته فقال ابشر يابني
فان الله قد جعل رزقك في قذافتك يعني في مقلاعك ثم اتاه يوما آخر فقال يا أبتاه انى دخلت بين الجبال
فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت باذنيه فلم يهجني فقبضت على فكيه ففطرتهما برأسه وعنقه الى ابيه
بيدى من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير اعطاكه الله
ثم اتاه يوما آخر وقال يا أبتاه انى لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معى قال ابشر يابنى فان هذا
خير أعطاكه الله وسيكون لك شان عظيم قال فلما وصلت غزاة بنى اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت
ارسل جالوت الى طالوت ان ابرز الى او ابرز الى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق
ذلك على طالوت فنادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته مملكتى فهاب الناس قتال جالوت
فلم يجبه احد فسال طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى فى ذلك فاتى بقرن فيه دهن القدس
وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن حتى
يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا
يتقلقل فيه فدعا طالوت اشداء بني اسرائيل واقوياءهم فجربهم فلم يوافقه منهم احد فاوحى الله الى
شمويل عليه السلام ان في ولد ايشا من يقتل جالوت وانى اريد ان اجعله خليفة فى الارض من بعدك اعلمه
فصل الخطاب وهو راعى الغنم فقال لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض
على بنيك فاخرج له اثني عشر ولدا أمثال السوارى وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا
يرى شيأ و يقول لذلك الجسم ارجع فيردده على التنور فاوحى الله تعالى اليه انا لا ناخذ الرجال على صورهم
ولكنا ناخذهم على صلاح هممهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقى لك ولد غيرهم قال لا قال شمويل رب قد
زعم أنه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربى كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لى ابنا
صغيرا يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا
وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سقيما مصفرا أزرق العينين فدعاه طالوت و يقال خرج اليه فوجدا
وادى قد حال بالماء بينه و بين الزريبة التى كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل
ولا يخوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو ارحم بالناس فدعاه فوضع
القرن على رأسه ففاض واجلسه فى التنور فملأه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك ان تقتل جالوت وازوجك
ابنتى واجرى حكمك في مملكتى قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوي به على قتله قال نعم انا راعى الغنم
فيجىء الاسد والنمر والذئب ليأخذ شيأ فاقوم اليه واقبضه وأفتح لحييه عنها واخرقهما الى قفاه فلما سمع
طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فانى حجر هرون
الذى قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملنى فانى حجر موسي عليه
السلام الذى قتل به ملك كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملنى فانى حجرك الذى تقتل به
جالوت وقد خبأنى الله لك فوضعه فى مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسال المبارزة فانتدب له داود
وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد في نفسه زهوا
فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ماشانك
فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرنى فما يغنى عني هذا السلاح شيأ فدعني اقاتل كما اريد فقال له طالوت
افعل ماتريد فاخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من
اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديد وكان له فرس ابلق مثله

هو موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة آمين (وحكي عن ابى عبد الله الجوهري رضى الله تعالي عنه) انه قال كنت سنة من السنين في عرفات فلما جن الليل نمت فرايت ملكين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه كم وقف على هذا الجبل فى هذه السنة من الحجاج قال ستمائة الف نفس فلم يقبل الله تعالى منهم غير ستة انفس فهممت ان الطم وجهى وانوح على نفسى فقال له ما فعل الله بباقى الجمع قال نظر الله اليهم حتى لا يخيب سعيهم فوهب لكل واحد من الستة مائة الف فغفر الله بستة انفس لستمائة الف نفس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال عبد الله فحمدت الله تعالى وزال ما كان عندى (وحكى عن الشيخ ابى الفوارس شاه بن الشجاع الكرمانى عفا الله عنه) أنه قال خرجت يوما للصيد والنزهة وكنت يومئذ ملك كرمان فامعنت نظرى في صيد رأيته وسرت فى طلبه حتي وقعت في برية مقفرة

في الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود القى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له انت تبرز الي قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس ابلق وعليه السلاح التام فقال له يا في تاتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر قال نعم انت اشر من الكلب قال لاجرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء واخذ حجرا منها وقال بسم اله ابراهيم ووضعه في مقلاعه واخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم اخرج ثالثا وقال بسم الله اله يعقوب ووضعه في مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وادار المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى اصاب الحجر انف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعدما خرج من قفاه تكسر وتفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم احد الا وقد اصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا واسرع داود عليه السلام فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه واقبل برأسه يجرد حتى القاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين

﴿ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت﴾

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في انفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له انجز الي ما وعدتني واعطني امرأتي فقال له طالوت اتريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتي وشانك بها فقال داود لطالوت ما شرطت علي صداقا وليس لي شيء فتحكم في الصداق بما تريد واقرضني مهرها وعلي الاداء والوفاء لك به فقال طالوت اصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا تظلمه وانجز له ما وعدته فلما رأى طالوت ميل بني اسرائيل الى داود احسن ثناءه عليه وقال لا حاجة لابنتي في المال ولا اكلفك ما لا تطيق انت رجل جريء وفي جبالنا اعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني برؤسهم زوجتك ابنتي فاتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه في خيط حتى انتظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت والقاهم بين يديه وقال له ادفع الي امرأتي فزوجه امرأته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبه بنو اسرائيل واكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فاراد قتله (قال وهب ابن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكؤن على العصي ويغرزون في اطراف العصي ازجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا في ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصا بغتة ليقتله بها صبرا فلما احس داود بذلك حاد عن رميته واما نفسه من غير ان يبرح من مكانه فارتكزت العكازة في الجدار فقال له داود اردت قتلي قال له طالوت لا بل اردت ان اقف على ثباتك عند الطعان وربط جاشك للاقران فقال له داود عليه السلام افلقيته على ما قدرته في قال نعم ولكنك لملك فزعت قال معاذ الله ان اخاف الا الله ولا الجأ الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار وهزها هزة منكرة وقال له اثبت لي كما ثبت لك فايقن طالوت بالهلاك فقال له انشدك بالله وبحرمة المصاهرة التي بيني وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب في التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادي اظلم قال طالوت افلا تقول قول هابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين فقال داود قد عفوت عنك لوجه الله تعالى ولبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على ان ياتيه ويقتله في داره فاخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود اخبرها رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود انك لمقتول الليلة

قال

ولم يكن عندي من عسكري أحد فبينما أنا كذلك اذا بشاب جميل الخلقة راكب على سبع وحوله سباع كثيرة فلما رأتني السباع ابتدرت الي فزجرها الشاب فتاخرت عني فسلم علي وقال ياشاه ماهذه الغفلة عن الله تعالى اشتغلت بدنياك عن أخراك وبلذتك عن خدمة مولاك انما أعطاك الدنيا فتستعين بها على خدمته جعلتها ذريعة الي الاشتغال عنه فلما سمعت ذلك منه طاش عقلي ودهشت في نفسي فبينما هو يحدثني اذ خرجت عجوز بيدها كوز فيه ماء فتناوله الشاب منها وشرب ودفع الباقي الي فشربته فما رأيت ألذ من ذلك ولا أحلى منه ثم غابت العجوز عن عيني فتعجبت من ذلك وقلت للشاب من أين هذه العجوز فقال ياشاه هذه الدنيا وقد وكلها الله تعالى على تخدمني فكلما احتجت الي شيء حضرت لي به حين يخطر ببالي ثم قال ياشاه أما بلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يادنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال شاه

قال ومن يقتلني قالت ابى قال وهل اجرمت جرما قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك باس ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك لا استطيع خروجا لكن ائتيني بزق من خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال فدخل طالوت نصف الليل واراد ان يقتل داود فلم يجده فقال لابنته اين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره مني ثم انه استتر بحجابه وحراسه واغلق دونه الابواب قال فاتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون واعمي الله عنه الحجاب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني لو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذى آمنه فلما كانت الليلة القابلة اتاه داود ثانيا واعمي الله عنه اعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فاخذ ابريق طالوت الذى كان يتوضأ منه وكوزه الذى كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتواري فلما اصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وشدد في طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم اقتل داود انا راكب وهو ماش وكان داود اذا فزع لم يدرك فركض طالوت في اثره واشتد داود في الجرى فدخل غارا فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضي خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني اسرائيل على عالم ويطيق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى اتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازة بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادى أنشد الله عبدا يعلم لي توبة الا أخبرني بها فلما اكثر عليهم بكاؤه ناداه مناد من القبور ياطالوت أما ترضى انك قتلتنا أحياء حتي تؤذينا امواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز وقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الارض عالما اسأله هل لي من توبة فقال له الخباز ايها الملك هل تدرى ما مثلك قال لا قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد ان ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فايقظونا حتي ندلج فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وانت هل تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم الملك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالايمان واخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها اسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألست اعظم الناس عليك منة انجيتك من القتل وأويتك عندى قالت بلى قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكره غشى عليها من الفرق فلما افاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة قالت لا والله ما له من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت ياصاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه

فلما رأيت ذلك وسمعته منه تركت الدنيا وتنزهت عن الملك وتبت الى الله من وقتي واشتغلت بخدمة مولاى وخالقي ولله الحمد على ذلك اللهم انا نسالك التوبة والتوفيق آمين

﴿ وحكى عن بعض الاكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الاموال أنه قال ﴾ بينما انا واصحابى قد خرجنا لقطع الطريق وأخذ أسباب الناس اذ انتهينا الى مكان فيه ثلاث نخلات فواحدة منها ليس عليها ثمر والنخلتان عليهما الثمر فنظرت فاذا بعصفور يحمل رطبا من النخلة المثمرة الي النخلة التى ليس عليها ثمر ففعل ذلك عشر مرات فتعجبت منه ثم خطر بنفسي ان أنظر ذلك فقمت وصعدت علي النخلة فنظرت فاذا بحية عمياء فاتحة فاها والعصفور يضع ذلك الثمر في فيها فلما رأيت ذلك بكيت وقلت هذه حية أمر نبينا بقتلها فلما أعماها الله تعالى سخر لها عصفورا يقوم لها بالقوت وانا عبد من عباده اقامني لقطع الطريق وخيانة السبيل ثم قلت اللهم انى تائب اليك مما كان مني ولا اعود ابدا

فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم اقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل مافعلت ياطالوت بعدي قال لم أدع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت اطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن مايكون وخاف ان لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت اشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه اولاده فقال لهم ارأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تفدونني قالوا نعم نفديك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ماأقول لكم قالوا فأعرض علينا مقالتك فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قدطابت انفسنا بالذي سألت فتجهز باولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتي قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه

﴿ مجلس في خلافة داود عليه السلام ومايتعلق بها ﴾

قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت العلماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على انفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

﴿ باب في ذكر نسبه ﴾

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن يوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص ابن يهوذ بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

﴿ باب في ذكر صفته وحليته ﴾

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة العينين يمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر ابيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقيه

﴿ باب في ذكر ماخص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامة حين أعطاه الله النبوة والملك ﴾

(فمنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسون سورة في خمسين منها ذكر مايكون من بختنصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل أيرون وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمي عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ باعناقها وتظله الطيور مضحية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وماصنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون مادهاكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا مايضاده ويحاده في مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهي على اجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا اليها فاغتروا بها

ثم كسرت سيفي ووضعت التراب على راسي وناديت الاقالة الاقالة فسمعت قائلا يقول قد اقلناك فاتيت رفاقي فلما راوني قالوا ما بالك بتلك الحالة فقلت لهم اني كنت مهجورا وصولحت ثم قصصت عليه مارايت فلما سمعوا ذلك قالوا ونحن نصالح كما صولحت فرموا اسلحتهم جميعا وتابوا الى الله تعالى ثم أحرمنا وقصدنا مكة شرفها الله تعالى فمشينا ثلاثة ايام حتى انتهينا الى قرية فيها امراة عجوز عمياء وكانت من الصالحات فخرجت الينا وقالت افيكم فلان الكردي فقلنا نعم فاخرجت ثيابا وقالت ان ولدي مات عن قريب وخلف هذه الثياب فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي اعط هذه الثياب لفلان الكردي هو واصحابه قال فاخذنا الثياب وسرنا من عندها حتي دخلنا مكة والحمد لله على ذلك (وحكي عن الامام أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه انه قال ﴾ كنت جالسا ببغداد انتظر جنازة لأصلي عليها وأهل بغداد في طرقاتهم جلوس ينتظرون

ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغى له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها ونقصت نغمته فقال الهى ما هذا فاوحى الله تعالى اليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هى التى غيرت صوتك وحالك فقال الهى أوليس قد غفرتها لى قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن احمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يامر بدوابه ان تسرج فكان يقرأ القرآن قبل ان تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور * وبالاسناد اخبرنا ابو بكر الجوزقى عن ابى موسى الاشعرى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت اما والله يارسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا (واخبرنا ابو بكر) قال أخبرنا ابو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت ابى موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالى لاعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخلته وحشة فاوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود فى نفسه كيف يسمع صوتى مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام واخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفجر له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهي به الى الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة فى هذا الموضع (قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق) قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة فى الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعني علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتتعتع فى القضاء بين الناس وقال على ابن أبى طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعي واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبى صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايمان عن الشعبى قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التى أعطاها الله تعالى له ليعرف الحق من المبطل فى المحاكمة اليه (وهو ما روى) الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكان علامة دخول قومه فى الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون بأكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه وأنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت

ما انتظره فاذا بفقير عليه آثار الدلال ولا نسك يسأل الناس فقلت فى سرى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه عن السؤال كان خيرا له فلما انصرفت الى منزلى وكان لى شىء من الورد فى الليل من الذكر والصلاة والبكاء وغير ذلك فثقل على جميعه وسهرت سهرا شديدا ثم غلبني النوم فنمت فرأيت في نومى ذلك الفقير وقد جاؤا به فى خوان ممدود وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبته وكشفوا لى عن الخوان فقلت انا ما أغتبته انما قلت فى نفسي شيأ فقيل لى ما انت ممن يرضي منهم بمثل هذا اذهب اليه فاستحله مما كان منك قال الجنيد فاصبحت ولم أزل مترددا عليه حتى رأيته في موضع ظاهر البلد وهو يلتقط من الماء ما يتساقط من اوراق البقل فاتيت اليه وسلمت عليه فرد على السلام ثم قال لا تعد الى مثلها يا أبا القاسم فقلت استغفر الله العظيم فقال اذهب غفر الله لى ولك ثم ولي فلم أره رضى الله تعالي عنه ورضي عنا بهم اجمعين آمين (وحكي عن الجنيد ايضا رضى الله تعالى

فيهم الى أن ظهر فيهم المكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحا كما الى السلسلة فعلم الرجل الذى كان عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر ومعه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك وديعة فقال خصمه ماأعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال صاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فاخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم أن هذه الوديعة التى يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فاصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ماأحوجكما الى سلسلة بنى اسرائيل كانت تاخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد يعنى القوة فى العبادة انه أواب أى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل ومامرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أى قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون الف رجل وقال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبدالله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بنى اسرائيل تعدي على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتي فسال داود الرجل عن ذلك فجحد وسال الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتي أنظر في أمركما فقاما من عنده فاوحي الله تعالى اليه فى منامه أن يقتل الرجل الذى تعدي فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فاوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فاوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فارسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الى أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك انى والله ماأخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت ولد هذا فقتلته فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه الف رجل من الانبياء وعلى يساره الف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروي انه مافر ولا انحاز من عدوله قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك ماروى في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ماتقول فى داود واليكم هذا أي الرجل هو فيثنى عليه ويقول خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا في صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ماهي ياعبدالله قال ان داود ياكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسال الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله فالان له الحديد فصار فى يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالي صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها باربعة آلاف درهم فيا كل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين

فذلك

عنه انه قال) دخلت الكوفة فى بعض اسفاري فرأيت دارا كانت لبعض الرؤساء عليها اثر النعيم وعلى بابها عبيد وغلمان وبعض اروقتها جارية تغني وتنشد هذه الابيات

الايا دار لايدخلك حزن ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف اذا ماالضيف اعوزه المكان

قال الجنيد فمررت بعد ذلك بمدة يسيرة فاذا بذلك الباب مسدود والجمع مبدود وقد ظهر عليها كابة الذل والهوان وعلى ذلك الباب مكتوب هذان البيتان

ذهبت محاسنها وبان شجونها والدهر لايبقى مكانا سالما
فاستبدلت من انسها بتوحش بعد السرور بها عزاء دائما

قال الجنيد فسألت عن خبرها فقيل مات صاحبها وصار امرها الى ماترى قال الجنيد فقرعت الباب الذي كان لايقدر احد ان يصل اليه فكلمتني جارية بكلام ضعيف فقلت لها ياجارية اين بهجة ذلك المكان وانواره واين

فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أى دروعا كوامل واسعات وقدر في السرد أى لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتد من ذلك مالا (وروي) ان لقمان الحكيم راى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ماهو فاراد ان يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان مايراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

﴿ باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك ﴾

قال الله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وساله أن يمتحنه بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذى اعطاهم (فروي) السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه بنسائه ويوما لعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب بآبائي الذين كانوا قبلي فاوحي الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها احد فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار النمروذ وبذبح ولده وابتلى اسحق بالذبح وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وانك لم تبتل بشيء من ذلك فقال داود عليه السلام يارب فابتلني كما ابتليتهم واعطني كما أعطيتهم فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر ولما كان في اليوم الذى وعده الله دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها (وفى بعض الروايات) ليدفعها الى ابن له صغير فلما أهوى اليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة في بستان على شط بركة تغتسل هذا قول الكلبي وقال السدي رآها تغتسل على سطح لها فرآها امرأة من احسن النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاده بذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هي سابغ بنت شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ايوب صاحب بعث البلقاء ان ابعث أوريا الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع الي ورائه حتي يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود أيضا ان ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه باسا فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهى أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه ان نفسه حدثته ان يطيق قطع يوم غير مقارفة سيئة وعن الحسن اخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر اربعة اجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء حوائج المسلمين ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه يسألهم ويسألونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شيء حسن قد وقعت بين يديه فاهوي

شموسه واقماره واين قصاده وزواره فبكت الجارية بكاء شديدا وقالت ياشيخ كانوا فيه على سبيل العارية ثم نقلتهم الاقدار الى دار القرار وهكذا حالة الدنيا ترحل من سكن اليها وتعطي من أحسن اليها قالت فقلت لها ياجارية مررت في بعض الاعوام على هذا القصر فسمعت فيه جارية تغنى بصوت شجي فمن تلك الجارية قال فبكت وقالت هو انا ولم يبق احد من أهل هذه الدار غيرى فالويل لمن غرته الدنيا فقلت لها ياجارية كيف يقر بك القرار فى هذا الموضع الخراب فقالت ياشيخ ما أعظم جفاك اما علمت أن هذا منزل الاحباب كيف افارقه ثم جعلت تقول هذه الابيات

قالوا انقضى وقوفا فى منازلهم
ونفس مثلك لا يقفي تحملها
فقلت والقلب قد ضجت اضالعه
والروح تنزع والاشواق تبذلها
منازل الحب في قلبي معظمة
وان خلا من نعيم الوصل منزلها
فكيف اتركها والقلب يتبعها
حبا بمن كان قبل الموت

اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فمازال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فاعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب اليه ان سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فاصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد ان داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين ملك والله لاعدلن فيكم ولم يستثن فابتلى (وقال ابو بكر) بن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فاعجب بعمله فقال هل فى الارض أحد يعمل عملى فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة فان اعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يارب كلنى الى نفسى سنة فقال انها لكثير قال فشهرا قال فانه لكثير قال فاسبوعا قال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير قال فساعة قال فشانك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو فى نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان امر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أورياء لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين فى صورة رجلين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحراس ان يدخلا عليه فتسورا المحراب وهو يصلى فما شعر الا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أى ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكنى عنها بالقاب كالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش فى اشعارهم فقال اكفلنيها وعزنى في الخطاب قال الضحاك أعطنيها وتحول لى عنها واجعلها كفلى اى نصيبي وعزنى في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح منى وان حارب كان ابطش منى فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدي) باسناده ان احدهما لما قال ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لى تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فاريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعنى طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل ياداود انت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاورياء الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية الا ان داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود أنما فتناه أى ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير فى قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص معتقدا صحته جلدته حدين لعظم ما ارتكب وجليل ما احتقب يعنى ما اكتسب من الوزر والاثم برمى من قد رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتنزيه المرسلين في هذه القصة ان لا ذنب انما كان تمنى أن تكون له امرأة أورياء حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فارسل أورياء فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما

قال الجنيد فتركتها ومضيت وازداد قلبى ترلها ووقع شعرها في قلبي موقعا وانما اعجبني قولها لانها ذكرت صفة الحب والمحبوب وصدقت في الوصف الذى ذكرته وصبرت على منازل الاحباب وملازمتها على ما هي فيه من شغف الحال وتجدد احزان الفراق سبحان من قهر العباد بكاس الموت (وحكى عن ابراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه انه قال) خرجت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا امشى اذ عارضنى عارض فى طريقى يقتضى الخلوة والخروج عن الطريق الجادة فاخذت طريقا غير الطريق التى كنت ماشيا فيها فصرت امشي ثلاثة ايام بلياليها ما خطر على ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة مطلقا حتى انتهيت الى برية خضراء فيها من كل الثمرات والرياحين ورأيت فى وسطها بحيرة فلما رأيتها قلت هذه جنة وصرت متعجبا فبينما انا كذلك اذا بنفر قد اقبلوا على سيماهم سيما الآدميين وعليهم المرقعات الحسان

كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فنبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود ان أورياء كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أورياء غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرناه به عقيل بن محمد الفقيه المعافرى عن ذكريا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة فطمع على بني اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البعث اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصا عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكى حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده زل داود زلة هى أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على ان يغفر الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعني أورياء اذا جاء يوم القيامة فقال يارب دمي الذي عند داود وقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يارب فاقول ان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك * أخبرنا ابن فتحون باسناده عن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا فى صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما فتناه فخر ساجدا اربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلى الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب الهى خليت بيني وبين عدوى ابليس فلم أثبت لفتنته اذ نزل بى قدمى سبحان خالق النور الهى تبكى الثكلى على ولدها اذا فقدته ويبكى داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لى لا تذهب عنى سبحان خالق النور الهي لم أتعظ بما وعظت به غيرى سبحان خالق النور الهى أمرتنى ان أكون لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور الهى خلقتنى وفى سابق علمك كان ما انا صائر اليه سبحان خالق النور الهى الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطىء سبحان خالق النور الهى بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهي باى قدم أقوم أمامك يوم يزل اقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهى مضت النجوم وكنت أعرفها باسمائها تؤنسني فتركتني والخطيئة لازمة لى سبحان خالق النور الهى امطرت السماء ولم تمطر حولى واعشبت الارض ولم تعشب حولى لخطيئتى سبحان خالق النور الهى انا الذي لا اطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى انا الذى لا أطيق صوت رعدك فكيف اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى

فاتوا الى وسلموا على فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم وقع فى خاطرى سؤالهم عن كونهم من الجن أم من الانس وان البقعة بقعة غريبة فقال قائل منهم قد جرت بيننا مسئلة واختلفنا فيها ونحن نفر من الجن قد سمعنا كلام الله من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى فسلبتنا نغمة كلامه جميع الدنيا وقد قيض الله لنا هذه البحيرة في هذه البرية قال ابراهيم فقلت كم بيني وبين اصحابى وهل حضر هذا الموضع غيرى فقالوا ان هذا الموضع لم يحضر اليه آدمي قبلك غير شاب من أصحابك وتوفي هنا وهذا قبره ثم اشاروا الى شفير تلك البحيره فرأيت قبرا حوله رياحين وروضة خضراء لم أر أحسن منها ثم قالوا اتدرى كم بينك وبين اصحابك فقلت الله اعلم فقالوا مسيرة سنة قال ابراهيم فتعجبت من ذلك فقلت اخبرونى عن الشاب صاحب هذا القبر فقال قائل منهم بينما نحن قعود على شفير هذه البحيرة نتذاكر المحبة ونتحاور فيها اذا نحن بشخص قد اقبل الينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام وقلنا

كنت تستر الخاطئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور الهي رق الصلب وجمدت العينان من محاذاة الحريق على جسدي سبحان خالق النور الهي الطير تسبح لك وانا العبد الخاطىء الضعيف الذي لم ارع وصيتك سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي اصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور الهي انا المستغيث وأنت المغيث فما يدعوا المستغيث الا المغيث سبحان خالق النور الهي اسألك بابي ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب ان تعطيني سؤلي سبحان خالق النور اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني فانك ارحم الراحمين سبحان خالق النور الهي اني اعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور الهي اني اعوذ بك و بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور الهي فررت اليك من ذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم يبعثون سبحان خالق النور الهي فرغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتي وخطيئتي الزم لي من جلدي سبحان خالق النور قالوا فاذا النداء اجائع انت فتطعم أو ظمآن انت فتسقى او مظلوم انت فتنصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فصاح صيحة فهاج منها ما حوله ثم نادى يا ربي الذنب الذي أصبته فنودي يا داود ارفع راسك فقد غفرت لك فلم يرفع راسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام اتاه نداء اني قد غفرت لك فقال يارب كيف وانت لا تظلم احدا فقال اذهب الى قبر أورياء فناده وانا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه يا أورياه فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني قال انا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال جئت أتحلل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وانت في حل فاوحي الله تعالى الي داود عليه السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي الا بالحق الا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه يا أورياه فاجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي قال انا داود قال يا نبي الله ما حاجتك أليس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك واني قد تزوجتها قال فسكت أورياء ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور قال فاتاه النداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول مكانك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف لي ان تعفو عني وصاحبي لم يعف عني قال يا داود وان يعف أو لم يعف فانا أعطيه يوم القيامه ما لم ترعيناه ولم تسمع أذناه فاقول له قد رضيت عبدي فيقول يا رب من أين هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من أجل عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي فقال داود يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وازله عنه الزاني وحسن مآب وروى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا في قوله تعالى وان له عندنا لزلفي وحسن مآب ان أول من يشرب الكاس يوم القيامة داود عليه السلام (أخبرنا) أبو الحسين محمد بن محمد بن علي اخبرنا بكر بن احمد بن مقبل أخبرنا عمر بن محمد الشرقي قال النضر السكي قال حدثنا أبو سعيد عبد الله المزني قال حدثنا محمد بن المنكدر عن

له من ابن اقبل الشاب فقال من مدينة سابور فقلنا له متى خرجت منها فقال منذ سبعة ايام فقلنا له وما الذى ازعجك منها واخرجك من وطنك فقال سمعت قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فقلنا له ما معنى الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة ان يرجع بك منك اليه ولم يذكر التسليم في الاصل ولعله اراد ان العبد يسلم نفسه لله تعالى و يعلم انه اولى به ثم قال والعذاب وصاح صيحة عظيمة ومات رحمة الله عليه فواريناه بالتراب وهذا قبره رضي الله تعالى عنه قال ابراهيم فتعجبت مما وصفوه لي فدنوت الى قبره فوجدت عنده باقة نرجس كانها رحا عظيمة ومكتوب على ورقة منها هذا حبيب الله قتيل الغيرة وعلى ورقة اخرى صفة الانابة قال ابراهيم فقرأت لهم ماهو مكتوب على النرجس وفسرته لهم فوقع بهم الطرب فلما افاقوا قالوا قد وجدنا جواب مسئلتنا فوقع النوم على فما انتبهت الا قريبا من اصحابي بمسجد

محمد بن عبدالرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى رأيت الليلة فى منامي كانى تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الي السجدة سجدت فسمعتها تقول فى سجودها اللهم اكتب لى بها أجرا واحطط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسجدت انت يا أبا سعيد قال قلت لا يارسول الله فقال انت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة (قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعة ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني اربعة ايام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسبح فى الفيافى والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو فى داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدنه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى فيرفع صوته كالمزامير ويبكى فيبكى معه الشجر والمدر والطير والوحش حتي يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجىء الى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجيء الي الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسي رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها وتجىء الرهبان اربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفى أيديهم العصى ثم يجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكى حتي يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فاجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفرلى ماترى فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فتحويه عن عثمان ابن أبى عاتكة انه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك الهى اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحى الاهى أتيت أطباء عبادك ليداونى فكلهم عليك دلونى وقال صلى الله عليه وسلم خد الدمع في وجه داود مثل خد الماء في الارض أخبرنا ابن فتحويه عن الحسن بن عبدالله القرشى قال لما اصاب داود الخطيئة فزع الى العبادة فاتى راهبا في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما اكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي ينادينى قال انا داود نبي الله قال صاحب القصور الحسنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات لئن نلت الجنة بهذا لانت انت قال داود فمن انت قال انا راهب راغب منز ومترقب قال فمن انيسك ومن جليسك قال اصعد تراه ان كنت تريد ذلك قال فتخال داود الجبل ورقى الى القلة فاذا هو بميت مسجى فقال له هذا انيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة فى لوح من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا فيه انا فلان بن فلان ملك الملوك عشت الف عام وبنيت الف قصر والف مدينة وهزمت الف عسكر وتزوجت الف امرأة وافتضضت الف بكر فبينما انا فى ملكى اذ اتانى ملك الموت فاخذنى واخرجني مما كنت فيه فهذا التراب فراشي والدود جيرانى قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه * وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون انه مريض ومابه الا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا دعا

عائشة رضى الله تعالى عنها فوجدت فى وطائى باقة نرجس فمكثت معى سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد مدة يسيرة فقدتها فتأسفت عليها اسفا شديدا ورجعت باكيا حزينا (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه انه قال) رأيت فى منامى كان اهل القبور قد خرجوا من قبورهم الى ظاهر المقبرة فاذاهم يلتقطون شيأ لاادرى ماهو فتعجب من ذلك ورأيت رجلا منهم جالسا منفردا وحده لم يلتقط معهم فدنوت منه فسلمت عليه وسألته ما الذى يلتقطه هؤلاء فقال يلتقطون مايهدى المسلمون من القراءة والصدقة والدعاء فقلت له لم لاتلتقط معهم فقال انى غني عن ذلك فقلت له باى شىء انت غني فقال بختمة يقرؤها ولدى يهديها الى في كل يوم وليلة فقلت واين هو فقال شاب يبيع الزلابية فى السوق الفلانى قال فلما استيقظت من نومى ذهبت الى السوق فاذا الشاب جالس يبيع الزلابية ويحرك شفتيه فاتيت اليه وقلت له باي شىء تحرك شفتيك فقال

فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر للخاطئين فعسى ان تغفر لداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين ثم يقول تعالوا الى داود الخاطىء ولا يشرب شرابا الا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب اغفرت لي قال نعم قال فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها لي وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوشم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا الا بكي اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة (واخبرنا) عبد الله بن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالى تخلعت اوصاله ولا يشدها الا الانين فاذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن ابي عبد الله البجلي) قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

﴿باب في ذكر خروج ابن داود على ابيه وما كان من امرهما﴾

قال وهب وغيره من اهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى ان كان من أمره وامر امرأة أوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو اسرائيل واستضعفوه واجتمع اهل الزيغ من بني اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له شالون وقيل ايشا وقالوا له قد كبر ابوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف امر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين اظهرهم مع ابن اخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فاشار قومه على ابنه ان يقتل اباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت انت بنبي اذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد اذن لك في هلاكه فلا تباشره انت فانه لا يحمل في الاخرة حوبه منك فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب ابنه فهزمه ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه ان يتوقي حتفه ويتلطف في اسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فرابض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقاة العدو فكره داود ان يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت اوصي ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي الى ان قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

﴿باب في قصة اصحاب السبت﴾

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الآية (قال) ابن عباس ووهب بن منبه ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطيء البحر بين مصر ومدين يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وامرهم ان يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمن داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضي السبت تفرقن ولزمن مقر

ختمة اقرأها واهدي ثوابها الى والدي في قبره قال فمكثت بعد ذلك مدة من الزمان فرأيت في بعض الليالي كما رأيته أولا وهو اول اهل القبور يلتقطون واذا بالرجل يلتقط معهم كما يلتقطون فاستيقظت متعجبا وذهبت الى السوق لانظر ما فعل بالشاب فوجدته قدمات رحمة الله تعالى عليه فسألت الله تعالى ان يريني مقامات اهل المقابر فرأيت في نومي كان القيامة قد قامت والقبور قد انشقت فاذا منهم النائم على السندس ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على الريحان ومنهم النائم على السرير ومنهم الضاحك ومنهم الباكي فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم في في الكرامة الواحدة فنادي مناد من اهل القبور ياهذا انما هي منازل الاعمال ومحطات الرجال (فاما) اصحاب السندس فهم اهل الخلق الحسن (واما) اصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء (واما) اصحاب الريحان فهم الصادقون (واما) اصحاب الضحك فهم اصحاب التوبة (واما) اصحاب البكاء فهم المذنبون

البحر لا يرى منهم الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون
لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت ابا القاسم) قال سمعت ابى يقول سئل الحسن بن الفضيل
هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم فى قصة داود عليه السلام
وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا
الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج
بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم
كانوا ينصبون الحبال والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم
السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد فاخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه
الى خشبة في الساحل ثم تركه فى الماء الى يوم الاحد فاخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان
انى اجد في بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع الجار فى تنوره فاذا هو فيه فقال له انى ارى الله سيعذبك
فلما رأى العذاب لم يأخذه اخذ في السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم اخذوا واكلوا وملحوا
وأكلوا وباعوا واثروا وكثرت اموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب
وقالوا ماترى السبت الا قد احل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك
صار اهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك
ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثنا عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول النصيحة قال
الناهون والممسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم فى قرية واحدة ثم قسموا القرية
بينهم بجدار ومكثوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم
على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما
أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذاهم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا
به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أى شديد بما كانوا يفسقون
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا
من بنى اسرائيل على لسان داود يعنى عصاة أهل ايلة وعيسى بن مريم يعنى كفار أصحاب المائدة
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة انسباءهم
من الانس ولم تعرف الانس انسباءهم من القردة فجعل القرد يأتى نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكى
فيقول له الرجل ألم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ خنازير
فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين
ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم
يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم في البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى
صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو النصر عن أبى سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة
على وجه الارض غير أهل القرية التى كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله
تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

﴿ باب فى قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث ﴾

قال الله تعالي وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين

قال فاستيقظت من نومى متفكرا فيهم رحمة الله تعالى عليهم اجمعين ورحمنا والمسلمين آمين بجاه سيد المرسلين (وحكى عن صالح المرى رضي الله تعالى عنه انه قال (أقبلت ليلة جمعة الى الجوامع فمررت على مقبرة فجلست عند قبر هناك فغلبني النوم فنمت فرأيت فى منامى كان اهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا يتحدثون واذا بشاب عليه ثياب دنسة جالس بجانب القبر مهموما مغموما فريدا بنفسه ثم لم يلبثوا الا ساعة حتى اقبلت الملائكة بايديهم اطباق من نور مغطاة بمناديل من نور فاخذ كل واحد منهم طبقا من تلك الاطباق ودخل في قبره الا هذا الشاب فتعلقت به وقلت له يا عبد الله مالي اراك حزينا وما هذه الاطباق فقال هذه صدقات الاحياء ودعاؤهم لموتاهم تأتيهم كل ليلة جمعة و يومها ثم بكى بكاء شديدا وذكر ان له والدة قد اشتغلت عنه بالدنيا وتزوجت وتركته وقد تخلف له الحزن والبكاء والنحيب اذ ليس له من يتذكره قال صالح فسألته عن منزل والدته اين هو فوصف لي الموضع فلما

(قال ابن عباس وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فافسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعي بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شيء. قال ابن عباس وقتادة أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فاخبرا بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله و يأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح أن راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فسار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمرا بسليمان وهو ابن احدي عشرة سنة فقال لهما ماقضي بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعاد الى داود فاخبراه بذلك فدعا سليمان وقال بحق النبوة والابوة الا ماأخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها و يعمل الراعي في اصلاح الكرم الي أن يعود كهيئته ثم يسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ماقضي به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب

﴿باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء امر الخاتم﴾

قال ابو هريرة رضي الله عنه انزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسئلة فاوحى الله تعالى اليه ان سل عنها ابنك سليمان فان هو اخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا واجلس سليمان بين ايديهم وقال يابني ان الله تعالى انزل على كتابا من السماء فيه مسائل وامرني ان اسألك عنها فان اخرجتها فانت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيقي الا بالله قال داود يابني ما اقرب الاشياء وما ابعدها وما آنس الاشياء وما اوحشها وما احسن الاشياء وما اقبحها وما اقل الاشياء وما اكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام اما اقرب الاشياء فالآخرة واما ابعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وما انس الاشياء فجسد فيه روح واما اوحش الاشياء فجسد لاروح فيه وما احسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما اقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وما اقل الاشياء فاليقين واما اكثر الاشياء فالشك واما القائمان فالسماء والارض واما الساعيان فالشمس والقمر واما المشتركان فالليل والنهار واما المتباغضان فالموت والحياة واما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب واما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب قال ففكوا الخاتم فاذا جواب المسائل سواء على مانزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لانرضي حتى نسأله عن مسئلة فان اخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلوني

اصبحت ذهبت الي بيت والدة الشاب وطرقت عليها الباب فكلمتني من خلف الستر فقصصت عليها القصة فلما سمعت ذلك بكت بكاء شديدا ثم قالت ياصالح خذ هذه الالف درهم فتصدق بها على ولدى وقرة عيني وانا لم انسه بقية عمري ان شاء الله تعالى قال صالح فتصدقت عليه بتلك الدراهم فلما كانت الجمعة الاخرى اقبلت اريد المسجد على العادة فاتيت المقبرة واسندت ظهرى الى القبر فنمت فاذا بالناس قد خرجوا من قبورهم واذا بالشاب عليه ثياب بيض وهو فرح مسرور فقبل نحوى حتى دنا مني وقال جزاك الله عني خيرا ياصالح قد وصلت الهدية قال صالح فقلت له أنتم تعرفون يوم الجمعة فقال نعم وان الطيور يعرفون يوم الجمعة و يقولون ليوم الجمعة سلام سلام اللهم ارحمنا برحمتك واغفر لنا وللمسلمين (وحكى عن ذى النون المصرى رضي قال الله تعالى عنه) انه بينما انا سائر في واد من الاودية اذ مررت على واد كثير الاشجار والنبات من خضرته وانهاره وكثرة عشبه وازهاره

سلوني وما توفيقي الا بالله فقالوا له ما شيء الذي اذا صلح صلح كل شيء من الانسان واذا فسد فسد كل شيء من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يامرني ان استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو افضل منه واعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء اسباط بني اسرائيل وقال لهم انه قد بلغني مقالتكم فاروني عصيكم فاى عصا اثمرت فان صاحبها ولي هذا الامر بعدي قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم ادخلت بيتا واغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه رؤس اسباط بني اسرائيل فلما اصبح صلى بهم الغداة ثم اقبل ففتح الباب فاخرج عصيهم كما هي واما عصا سليمان فقد اورقت واثمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال ان هذا خليفتي عليكم من بعدي (قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يابني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج المداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء واياك وكثرة الغيرة على اهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء اقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغني واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك ومايعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت ان يكون يومك خيرا من امسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء وتردد على عالم بلا تماره في الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شيء (قالوا) ثم ان سليمان بعد ان استخلف أخفى امره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس واقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بابي انت وامي ما أكمل خصالك واطيب رائحتك ولا اعلم لك خصلة اكرهها الا انك في مؤنة ابي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت ان لايخيبك الله فقال سليمان اني ماعملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان اعينك وتعطيني شيأ قال نعم قال فاعانه فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصره في ثوبه وحمد الله عزوجل واخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في اصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث ابوها ان مات فلما مات حمل المرأة واباها الى اصطخر والله اعلم

﴿ باب في ذكر وفاة داود عليه السلام ﴾

(قال الشيخ ابو يزيد) سمعت الشيخ ابا عمرو الفارابي يروي ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة فاغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فخذ حذرك فقال لها انا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها علي به فاتاه فقال داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له انا الذي ادخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له

فسمعت صوتا اهطل مدامعي وهيج بلبالي فتبعت الصوت حتى اوقفني بباب مغارة فاذا فيها رجل من أهل التعبد والاجتهاد فسمعته يقول سبحان من اوصل الفهوم الى عقول ذوي البصائر فهي لاتعتمد الا عليه سبحان من اورد حياض المودة نفوس اهل المحبة فهي لاتحن الا اليه ثم امسك فقلت السلام عليك ياحليف الاحزان وقرين الاشجان فقال عليك السلام ياذا النون ماالذي أوصلك الى من افرده خوف المسئلة عن الانام فاشتغل بمحاسبة نفسه عن التلفظ بالكلام قال ذوالنون فقلت له اوصلتني اليك الرغبة في الصفح والاعتذار والتماس المواهب من قلوب المقربين الابرار فقال الرجل بلغني ان الله سبحانه وتعالى عباداقدح في قلوبهم زند الشغف ونار الاسف فارواحهم لشدة فرحها تمرح في رياض الملكوت وتنظر الى دخولها في حجب الجبروت قال ذو النون فقلت له ياسيدى صفهم لي فقال أولئك هم قوم آدوا الى كهف رحبته وشربوا من كؤس شرب

اذا اتانت ملك الموت قال ثم قال اجئت داعيا ام ناعيا فقال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا ارسلت الى قبل ذلك وآذنتني لاستعد للموت فقال كم ارسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التي ارسلت الى فقال يا داود اين ابوك ايشا واين امك اين اخوك واين جارك اين قهارمتك اين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال اما علمت انهم رسلي اليك وان النبوة تبلغك (قال) الاستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرء يتمنى اخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجاء فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال

واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول
واذا وليت أمور قوم مدة * فاعلم بانك عنهم معزول

وقال اهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه اربعين سنة وقد مضى في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

(مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به)

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام اعظم ملكا من ابيه داود واقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين واما الكافران فالنمروذ بن كنعان وبختنصر

(باب في صفة حليته عليه السلام)

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان ابيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان ابوه في ايام ملكه يشاوره في كثير من امور مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا وعليه وسلم

﴿باب في ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من انواع المناقب والمواهب وغير ذلك﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبارا عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فاجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها احدا من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب اي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من اصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الارض الا اتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى اذا اقلتها أمر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته الى حيث اراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكر لي ان رجلا نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض اصحاب سليمان أما من الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا

محبته وخلوا بمنادمة انسه ثم انشد يقول
قد كان لي دمع فأفنيته
وكان لي جفن فادميته
وكان لي جسم فابليته
وكان لي قلب فاضنيته
وكان لي يا سيدي ناظر
أرى به الخلق فاعميته
عبدك اصبح سيدي موثقا
لو شئت قبل الموت اطلقته
ثم قال مخاطبا الله تعالى
سيدي بهم فالحقني
ولما وفقتهم وفقني
قال ذو النون فقلت سيدي أوصني بوصية انتفع بها فقال عليك بتقوى الله في السر والعلانية فان من احبه الله شوقه الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه على أوليائه ثم غاب عن بصري فلم اره نفعنا الله تعالى بهم وبعلومهم ومدنا من مددهم آمين (وحكى عن الواسطي رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما انا سائر في البادية اذ رأيت اعرابيا جالسا منفردا بنفسه فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام فاردت ان اكلمه فقال اشتغل بذكر الله تعالى فان ذكره شفاء القلوب ثم قال كيف يفتر ابن آدم عن خدمة خالقه ورازقه وكيف يشتغل عن ذكره والموت في اثره وكيف يستعين بغيره وهو ناظر اليه ثم بكى فبكيت

وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون ان شاء الله تعالى فبائتون الشام قال وكان
فيما بلغني تمر بعسكره الريح الرخاء تهوي به الى حيث اراد وانها لتمر بالمزرعة فلا تحركها واخبرنا
الحسن بن محمد بن فنجويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب
الريح يوما فمرت بحراث فنظر اليها الحراث وقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فحملت الريح
كلامه والقته في اذن سليمان عليه السلام فنزل حتى اتى الحراث وقال له اني سمعت قولك وانما
نزلت اليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ان تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتي آل داود فقال
له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام
بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه
وحوله ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير باجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع
ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (اخبرنا)
ابن فنجويه باسناده عن محمد ابن كعب القرظي قال بلغني ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة
فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة
وعشرون منها للطير وكان له الف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة
فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحي الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض
اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلائق بشيء الا جاءت به الريح اليك فاخبرتك به (ومنها)
تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال الله تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فنجويه)
باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا
للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا
الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال
أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال
انه يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح
الطيطوى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف
فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء
سمائه وملء أرضه وصاح قمري فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحي الذي لا يموت
ابدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشار بن والحدأة تقول كل شيء هالك
الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازي يقول سبحان ربي
الاعلى وبحمده والضفدع تقول سبحان ربي القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان
(وأخبرنا ابن ميمون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون
ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المري عن الحسن قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح اذكروا الله يا غافلون (وروى) عن جعفر بن محمد
الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش
ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم

معه مشفقة عليه ثم قلت له
يا حبيبي مالي اراك وحيد
فقال ما انا بوحيد والله معي
وما انا بفريد والواحد
يؤنسني ثم قام ومضى
مسرعا وقال سيدي ان
اكثر خلقك مشغول عنك
بغيرك وانت عوض عن
جميع ما فات مني يا صاحب
كل غريب ويا مؤنس كل
فريد وجعل يمشي وانا
خلفه فالتفت الي وقال
ارجع عافاك الله الى من
هو خير لك مني ولا تشغلني
عمن هو خير لي منك ثم
غاب عن بصري فلم اره
رضي الله تعالى عنه ونفعنا
به وبمددنا من مدده في الدين
والدنيا والآخرة آمين
(وحكي عن ذي النون
المصري ايضا رضي الله
تعالى عنه) انه قال بينما
أنا في الطواف اذ لمع نور
ملحق بعنان السماء
فتعجبت من ذلك النور
فاتممت طوافي وأسندت
ظهري الى الكعبة متفكرا
في ذلك النور فسمعت
صوتا شجيا بنغمة ذى
خشية فتبعت
الصوت حتى اوقفني
بجارية متعلقة باستار
الكعبة وهي تبكي وتنشد
وتقول

انت تدري يا حبيبي
من حبيبي انت تدري
ونحول الجسم والدم

العن مبغضى آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين و يمد الضالين كما يمدها القارىء
(وقال فرقد السنجى) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه و يميل ذنبه فقال لاصحابه
اتدرون مايقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء
(وأخبرنا) ابوعبدالله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن ابيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في سفرة فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما
(وروي) أن قنبرة باضت في طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك ان تبيضي في طريق
سليمان الملك لو ركب إلينا لحطم بيضنا فقالت الانثى ويحك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فسمع سليمان
قولهما فبعث إليهما جنيا حين أراد ان يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجليك واياك أن تصيبه بشيء
فلما مر سليمان في موكبه وجاوزهما قالت الانثى ألم اقل لك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فقال الذكر
للانثى عندي للملك هدية قالت وما عندك قال عندي جرادة ادخرتها لولدي فقالت الانثى عندي تمرة
ادخرتها لولدي قال فأخذا التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدي سليمان وهو على سريره في مجلسه
فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما ومسح بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التي على
رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما * قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان
الله العظيم ما أعظم ما أوتى آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال ألا انبئكم بخبر
هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل
في الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقى ومعه الانس والجن فمر بنملة
عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لاغنى لنا عن رزقك فلا
تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكى)
(وحكى) ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ماهذه الصولة وماهذا البطش
اما علمت انى امة من انت عبده فغشى على سليمان فلما افاق قال ائتونى بها فاتوه بها فسألها فقالت له جلدى
رقيق و بدنى ضعيف واخذتنى ورميتني فقال لها سليمان اجعلينى فى حل فانى لم اقصد ذلك فقالت
بشرط ان لاتنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولاتستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين احد
بجاهك الا بذلته له قال قد فعلت ذلك قالت فانت في حل (ومنها قصد وادي النمل) قال الله تعالى
وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أى يحبس اولهم على آخرهم حتى اذا
اتوا على وادى النمل الآية قال الشعبي وكعب وغيرهما من اهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان
اذا ركب حمل اهله وحشمه وخدمه وكتابه في مركبه الذي هيء له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل
فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين الدواب امامه فيطبخ
الطباخون و يخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوى بهم فساروا
من اصطخر الى اليمن وتوغل فى البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان
هذه دار هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم اتى ارض الحرم فرأى حول
البيت اصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوز سليمان بكى البيت فاوحى الله تعالى الى البيت
مايبكيك فقال يارب هذا نبى من انبيائك وقوم من اوليائك مروا على فلم يهبطوا بى ولم يصلوا عندي ولم
يذكروك بحضرتى وهذه الاصنام تعبد حولى من دونك قال فاوحي الله تعالى اليه لاتبك فانى سوف

املؤك

مع يبوح ان بسرى
قد كتمت الحب حتى
ضاق بالكتمان صدرى
قال ذو النون فلما رأيتها وسمعت ذلك بكيت فقالت الهي وسيدى ومولاى بحبك الا ما غفرت لى فقلت لها ياجارية اما تتقين الله فى مثل هذا المقام تتكلمين بمثل هذا الكلام وتقولين بحبك لى من اين عرفت انه يحبك فقالت اليك عني ذا النون اما علمت ان الله سبحانه وتعالى اقواما يحبهم ويحبونه فهو احبهم قبل ان يحبوه اما سمعت قوله تعالى فى كتابه العزيز فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له قال ذو النون فقلت ياجارية من اين عرفت انى ذو النون ولم تريني قبل ذلك اليوم فقالت اليك عنى يابطال جالت القلوب في ميدان الاسرار فعرفنى بك العزيز الغفار قال ذو النون فقلت لها ياجارية مالى أراك ضعيفة البدن نحيلة الجسم وما بك سقم فانشدت تقول

محب الله فى الدنيا عليل
تطاول سقمه فدواه داه
كذا من كان للبارى محبا
يهيم بذكره حتى يراه

ثم قالت ياذا النون انظر

املؤك وجوها سجدا لي وانزل فيك قرآنا جديدا وابعث منك في آخر الزمان نبيا هو احب الانبياء الي
واجعل فيك عبادا من خلقي يعبدونني وافرض على عبادي فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف
النسور الى اوكارها و يحنون اليك حنين الناقة الي ولدها والحمامة الي بيضها واطهرك من الاوثان
وعبدة الشيطان ثم امر الله سليمان عليه السلام ان ينزل عليه و يصلي فيه و يقرب عنده قربانا ففعل ذلك
قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن حضر من اشراف
قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي و يعطى النصر على جميع من نواه و يكون السيف على رقبة
من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تاخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن
ادركه وصدقه قالوا فكم بيننا و بين خروجه يا نبي الله قال قريب من الف عام (قال) ثم ان سليمان
مضى حتى اتى على وادي السدير واد من الطائف فاتى على وادي النمل فقامت نملة تمشي وكانت عرجاء
تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقيل الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا في اسمها فاخبرني ابن ميمونة
باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل حرمى فنادت لما رأت سليمان في موكبه يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم خلق الا حملته الريح
والقته في مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال فتبسم ضاحكا من قولها
وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي الآية وفي بعض الاخبار ان سليمان لما
سمع قولها نزل عليها وقال ائتوني بها فاتوه بها فقال لها حذرت النمل هل سمعتم اني ظالم اما علمتم اني
نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده قالت النملة يا نبي الله اما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني
ما اردت حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يتمنين ما اعطيت فيفتتن و يشتغلن بالنظر
اليك عن التسبيح فقال لها عظيني فقالت له النملة هل علمت لم سمي ابوك داود قال
قالت لانه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم ركنت الى
ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك ان تلحق بابيك داود ثم قالت اتدري لم سخر الله تعالى لك الريح قال
لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي
أنعمت علي وعلى والدي الآية (اخبرني) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قتل اربعة من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة (ومنها قصة العنقاء في اثبات القضاء
والقدر) اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير
في بعض عتابه فقال لها انك تاتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدي
ولكن قضاء الله يأتي الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة في القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا
فقال لها سليمان الا اخبرك باعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا
ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان في امنع المواضع بقدرة الله تعالى واهولها على سفاح
في جزيرة في وسط البحر فقالت العنقاء يا نبي الله أوقد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الليلة
قالت فهل اخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم ابيهما قال بلى اسمهما كذا وكذا واسم ابيهما كذا
وكذا فقالت العنقاء يا نبي الله انا ابطل القدر وافرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت
بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفلها البومة فمرت العنقاء وكانت في كبر الجبل عظما ووجهها وجه انسان
و يداها يدا انسان وثدياها ثدي امرأة واصبعها كذلك فحملت في الهواء حتى اشرفت على الدنيا فابصرت
كل دار وما فيها وكل انسان وابصرت الجارية وهي في مهدها وقد اجلوها فاختلست الجارية من المهد
وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة عالية

فلم أر أحدا فرددت وجهي نحوها فلم ارها ولم ادر اين ذهبت فتاسفت على فراقها وتوسلت الى الله تعالى بها فرأيت ببركتها الاجابة والقبول وحصول الخير نفعنا الله بها (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) امسك الغيث عن بغداد سنة من السنين حتى كاد اهلها ان يهلكوا فاغتسلوا وتطهروا وخرجوا الى الصحراء يسألون الله تعالى ان يسقيهم غيثا فلم يسقوا وكان ذلك في ايام خلافة هرون الرشيد رحمة الله تعالى عليه فبينما هم يلوذون ويتوسلون الى الله تعالى واذا برجل من اهل الخير والصلاح والعبادة قد أقبل من ظاهر البرية أشعث اغبر لا يلتفت اليه ومعه ثلاث بنات عذارى كانهن الاقمار فوقف ببناته في الطريق فمر عليه الناس وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال ياقوم ما بالكم مجتمعين فقالوا له ياشيخ خرجنا الى الصحراء ندعوا الله تعالى ان يسقينا غيثه فلم يسقنا فقال لهم الشيخ هل هو غائب عنكم من المدينة حتى خرجتم

لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على الف غصن كل غصن كاعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا في وسط الشجرة عجيبا واسعا مضيا وطيا وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تاتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها كي يتم امرها وهي تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فلم يعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه منالا طويلا وأمرا عظيما فقال يوما لاصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد نلت منه فلو ركبت البحر فانال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو اكثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فامر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون مما يريده ويشتهيه من الملاهي وركب السفن ومر في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيء غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فارسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين سنة في منتهي خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى واصبح الغلام فراى سفينته راكدة فاخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طويلة لا يدرى اين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق وورقها في عرض اذن الفيلة تفوح بريح الاقحوان ليس لها ثمرة بيضاء الساق فقال لاصحابه انى أرى عجبا ارى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وارى شجرة فيها كل حسن قد اعجبني منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها وقال لاصحابه أقيموا ههنا حتى امضى وابصر هذا الجزيرة وهذا الجبل الذى في وسطها هل عمارة او أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ما هي لانها اخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها احد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذا احس حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ اصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد اخرجت رأسها لتنظر الى السفينة فحانت منه التفاتة الي أعلى الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح اجنية انت أم انسية قالت لا والله انا من خيار الانس فمن انت فافهمها لغته فقالت لا ادرى ما تقول وما انت الا انى أري وجهك كوجهي وكلامك ككلامي واني لا أعرف شيأ غير العنقاء وهي امي التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام واين العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه لملك عظيم على ما تصفه لي امي العنقاء عن ملكه وانها تخبرني انه احسن الناس وجها وانم خلقا مني قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبي وسبي

...الدس
... موجودا
...ه لجميع خالقه
... ما سمعتم قوله
تعالى وهو اينما كنتم
والله بما تعملون بصير
قال فبلغ هرون كلامه
فقال هذا كلام رجل بينه
وبين مولاه سريره ثم قال
ائتوني به فلما احضر بين
يديه وسلم بعضهم على
بعض صافحه هرون
واجلسه بجانبه ثم قال له
ياشيخ ادع الله تعالى ان
يسقينا غيثه عسي ان
يكون لك عند الله جاه قال
فتبسم الشيخ وقال ياهرون
اتريدان اسأل لك الهى
ومولاي فقال نعم توبوا
بنا الى الله تعالى قال
فنودى بالتوبة فتابوا الى
الله تعالى ثم تقدم الشيخ
وصلى ركعتين خفيفتين
فلما سلم اخذ بناته عن
يمينه وعن شماله وبسط
يده الى خالقه وأسبل
دمعه على خده وجعل
يدعو بدعوات لم يسمع
احسن منها قال فما استتم
دعاءه حتى تجللت السماء
بالسحاب وأرعدت وابرق
وأمطرت كافواه القرب
قال ففرح الرشيد بذلك
واجتمع اليه خواص
رعيته وأهل مملكته
يهنئونه ويبشرونه بذلك
فقال هرون على بالرجل

دولته وانى لمن طلقائه وممن يؤدى اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت الجارية ما يبكيك قال وجدتك في مثل هذا الموضع الذي لا انس فيه ولا أحد ان مثلك في الدنيا عدد الشجر والمدر وكلهم في مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنيء والرغد واللذة الحسنة مع الارواج يتعانقون و يتنعمون ويتوالدون الاولاد مثل خلقك وخلقى أرايت اذ هاجت الريح فازعجتك من وكرك من عشك ان تقعى في البحر وان وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزعت الجارية من قوله قالت وكيف لى أن يكون معي انسى مثلك يحدثني بمثل حديثك و يحفظنى مما ذكرت فقال لها الغلام اولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذى رحمك وساقنى اليك لا كون لك الفا وصاحبا وانيسا وانى لمن اولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصيرلى وأصيرلك وان العنقاء هذه تروح وتجىء وتحضني الي صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك و بكاءك على العنقاء ليلتك هذه فاذا جاءت اليك وقالت لك ماتحبين وماتريدين وماشأنك فاخبريها بوحدتك فى نهارك ثم انظري مايكون من ردها عليك فاخبريني بذلك ففعلت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يا بنية مالك فقالت الوحدة والوحشة قتلتني وانى لمزعجة على نفسي من ذلك فقالت لها يا بنية لاتخافي ولا تحزني فانى استأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوما ويوما لا آتيه فيكون ذلك أنسا لك فلما اصبحت اخبرت الغلام بجوابها فقال لها أوتصبرين على ذلك لا ولكنى سانحر من دوابى هذه فرسا وأبقر بطنه واخرج مافيه واطيبه بطيب معى وادخل انا في جوفه والقى على رأس سفينتى هذه فاذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجبا أرى خلقة ملقاة على كوثل هذه السفينة فلو اختطفتيها وحملتيها الى لكانت معى فى وكري فانظر اليها وآنس بها كان احب الى من تراب كونك عندى نهارا وانصرافك عنى ومساءك عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذانها اياه فى المقام يوما والغد و يوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عنى اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها انى لا أريد ان تتخلفى عنه نهار المكان اخبار سليمان واخبار المسلمين وانى أرى عجبا فى البحر أرى شيأ مرتفعا فما هو قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيارة راكبين في البحر قالت فما الذي اراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة ألقوها قالت فاحتمليها الى لاستأنس بها وانظر اليها فانقضت العنقاء فاختطفت الفرس وكان الغلام فى بطنها فحملتها الي عشها فقالت الجارية يا أماه ما احسنه وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بني لو علمت لكنت اتيتك بمثل هذه منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولامسها وافتضها واحبها من ساعتها وفرح كل واحد منهما لصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه خبر اجتماعهما من قبل الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام للطير فى مرتبته ودعا بعرفاء الطير وامرها ان لاتدعوا طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم امر عرفاء الجن ان يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والمغارات والفلوات والامصار فحشروا اليه وامر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيأتهم ثم كل دابة تدب على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا في انفسهم نشهد بالله ان نبي الله قد اهمه عظيم فاول سهم قد خرج فى تقديم الطير سهم الحدأة وكانت الطير لاتتقدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحداة تدعي على زوجها وكان قد جحد ها ولدها فقالت يا نبي الله انه سفدنى حتى اذا احتضنت بيضي وأخرجت ولدى جحدنيه فقال سليمان للذكر ما تقول فقال يانبي الله انها لاتمتنع من الطير وهى تحوم البرارى فلا

الصالح فطلبوه فوجدوه ساجدا فى الصحراء فى الماء والطين لله رب العالمين فقالوا للبنات ما بال أبيكن لم يرفع رأسه فقالت انه من عادته اذا سجد لله عز وجل لا يرفع رأسه الا بعد ثلاثة ايام قال فاخبروا الرشيد بذلك فبكى وقال اللهم انى اسألك وأتوسل اليك بحرمة الصالحين عندك ان تهبنا لهم وان تفيض علينا من بركاتهم فى الدارين وجميع المسلمين ياارحم الراحمين ﴿وحكى عن مالك بن دينار عفا الله عنه انه قال﴾ امسك الغيث عنا سنة من السنين فخرجنا الى الصحراء نسال الله تعالي ان يسقينا غيثه حتى خرج معنا أكابرنا واصاغرنا واولاد المكاتب فلم نزل ندعو ونتضرع الى الله تعالى وهم يؤمنون على دعائنا ولم يزدد النهار الا صحوا ولا الشمس الا حرا فمل الناس ومضوا الى حوائجهم حتى صرت انا ورفيقى فى الصحراء فجلسنا بمسجد خرب هناك فبينما نحن جلوس اذ أقبل علينا غلام أسود عليه خرقتان قديمتان تساوى قيمتهما درهمين فدخل المسجد وصلي ركعتين فلما سلم قال الهى وسيدى ومولاى

أدرى هل هو مني أو من غيري قال فامر سليمان بولدها فجيء به فوجد الشبه واحدا فالحقه بالذكر ثم قال
لها لا تمكنيه من الفساد حتى تشهدي عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجحد بعدها الى يوم القيامة فهى
اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور سفدنى اشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء
فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك في القدر فقالت يا نبي الله لي من القوة والاستطاعة ما ادفع الشر وافعل
الخير فقال لها سليمان فاين الشرط الذي كان بيني و بينك زعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك
بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله اكبر فأتيني بها الساعة يا الخالق شهود لاعلم صدق قولك
ثم أمر عريف الطيران يكون معها لا يفارقها حتى تأتي بها فمرت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت
الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف اجنحتها فيبادر الغلام و يدخل جوف الفرس فلما رأتها
البنت قالت لها كالفزعة ان لك شانا اذ رجعت من ساعتك قالت لها اي امري ان لى شانا هذا سليمان قد
امر باحضارك الساعة لامر كان بيني و بينه في أمرك واني لأرجو انصرني اليوم فيك قالت لها كيف
تحمليني قالت على ظهري قالت وهل استقر على ظهرك واني أرى اهوال البحر فلا آمن أن انزل فاسقط
واهلك قالت في منقاري قالت فكيف اصبر في منقارك قالت لها كيف اصنع ولا بدلى من أحضارك عند سليمان
وهذا عريف الطير معي وقد دعا بكفيلتي البومة فقالت لها ادخل فى جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على
ظهرك او فى منقارك فلا ارى شيئا ولا اسقط ولا افزع من شي فقالت اصبت قال فدخلت جوف الفرس
واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس فى منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدى سليمان
عليه السلام فقالت يا نبي الله هى الآن فى جوف الفرس فاين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها
أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لا حيلة لاحد فى دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن على خير وشر
فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة مشيئة العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت
ما جعل الله من المشيئة للعباد شيئا ولكن من شاء الله ان يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون
كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد ان يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا يفعل ولا يعلم وان الغلام الذى قد ولد
بالمغرب مع الجارية التى ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن فى مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية
من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يا نبي الله هذا فان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان الله اكبر
اين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا نبي الله قال سليمان انت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر
الله السابق قبل الخلق اخرجهما على قضائه ومشيئته قال فامر البومة ففتحت جوف الفرس واخرجتهما جميعا
من جوف الفرس فاما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت في السماء فاخذت نحو المغرب واختفت فى بحر من
بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر فى وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال
وقالت أما بالنهار فلا خروج لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا و بختها الطير واجتمعت عليها
وقالت يا قدرية فهى تخضع لهذا وهذا ما كان من شان العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب
(ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التى أخرجها الله من البحر في قول
أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على
ثلاث قوائم وقد اقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغني انها
كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبي غزا سليمان أهل نصيبين فاصاب منهم الف
فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود الف فرس وكان ابوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان
صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت

الشمس

لم رددت عبادك وفقراءك
وعيالك افرغ ما عندك
أم نفدت خزائنك ثم
قال بحبك لى الا ما سقيتهم
الغيث قال مالك فوالله
ما فرغ من دعائه حتى
تجللت السماء بالسحاب
وأرعدت بالبرق واسبلت
مطرا كافواه القرب قال
مالك فقلت والله ان هذا
لعظيم الجاه عند الله تعالى
ثم قام وخرج من المسجد
فتبعناه ونحن نخوض في
الماء للركب فما زال يمشى
ونحن نتبعه من بعيد حتى
دخل بيت رجل نخاس
كنا نعرفه فلما دخل البيت
انصرفنا الى بيوتنا وقد
اشتغلت بحبه فلما اصبح
الصبح جئت الى النخاس
لشراء الغلام فلما رآنى
سلم على وقال ما تريد يا مالك
فقلت أريد غلاما عندك
فقال النخاس وأى غلام
هو فان عندى مائة غلام
قال مالك فتحيرت في نفسى
حيرة شديدة اذ لم اكن
أعرف للغلام اسما فقلت
اعرض على الغلمان
فعرض على ثمانين غلاما
واحدا بعد واحد فلم أر
فيهم ذلك الغلام ثم التفت
خلفي فرأيت موضعا
خربا فمضيت الى ذلك
الموضع فاذا بالغلام قائم
يصلى فلما نظرت اليه
قلت هو هذا ورب الكعبة

الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلمه احد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فردوها فعقر بها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقى منها مائة فرس فما في ايدى الناس من الخيل العراب فهى من نسل تلك المائه (وقال كعب) كانت الافراس اربعة عشر فامر بضرب اعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه اربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها (قال الحسن) فلما عقر الخيل لاجل الله ابدله الله تعالى مكانها خيرا منها واسرع وهي الريح تجرى بامره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدوا من ايلياء فيقيل فى اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروى) ان سليمان سار من ارض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزها الى ارض الصين ثم عطف يمينه على مطالع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان قد امر الشياطين قبل خروجه من الشام الى العراق ان يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والرخام الابيض والاصفر وفى ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذقال المليك له * قم فى البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجيش انى قد ابحت لهم * بناء تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة فى صخرة بارض كسكر أنشاها بعد اصحاب سليمان ابن داود عليهما السلام

ونحن ولاحول سوى حول ربنا * نروح الى الاوطان من ارض تدمر
اذانحن رحنا كان امر رواحنا * مسيرة شهر والغدو لآخر
اناس سروا والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للنبي المطهر
لهم فى معالى الدين فضل ورأفة * وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متى ركبوا الريح المطيعة اسرعت * مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوفا عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

﴿رجعنا الى القصه﴾ وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها فى سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهرى مسح سوقها واعناقها من الغبار قال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه ثم ان الله امر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر فى وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصارى باسناده عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائى ومذلة لاعدائى وجمالا لاهل طاعتى فقالت الريح الهى وسيدى ومولاى انى مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحونني ويحمدونني ويكبرونني فتسبحني اذا سبحوا وتهللني اذا هللوا وتكبرني اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقتها قالوا ربنا نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا بلقا اعناقها كاعناق البخت فلما ارسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه

فقال النخاس وما تصنع بهذا الغلام يامالك وهو غلام مشؤم مكار قال مالك وماشؤمه ومكره فقال النخاس خذه وارحني منه قال مالك فاخذته بعشرين دينارا فقال النخاس يامالك هذا الثمن كثير فى هذا العبد فقال مالك والله انه قليل فى ثمنه وانى راغب فيه ثم اخذت بيده فقلت له مااسمك ياغلام فقال ميمون قال فلما مضينا من عند النخاس قال الغلام يامولاى ماتصنع بى فقلت له للخدمة فقال والله لم أخدم أحدا من المخلوقين وانما خدمتى لله رب العالمين فما حملك على شراء الغلام المشؤم قال مالك حملنى على ذلك مارأيته منك بالامس في المسجد الخرب الذي بالصحراء قال مالك فتغير وجه الغلام عند سماع ذلك فلما اقبلنا الي مسجد كان قريبا من المنزل قال يامولاي تاذن لى ان اصلى في هذا المسجد ركعتين فقلت نعم فدخل وصلى ركعتين وجلست على باب المسجد أنتظره فلما فرغ من صلاته قال الهى وسيدى ومولاي كانت المعاملة بيني وبينك سرا والآن قد علم بها المخلوقون فاقبضني اليك الساعة ثم شهق شهقة

عليها صهل فقيل له بوركت من دابة اذ بصهيلك اذل الله المشركين واذل بك اعناقهم وملأ بك اذانهم وارعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شيء قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا بركتي عليك وعليهم ما خلقت خلقا احب الى منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين القطر أذبنا له عين النحاس أسيلت ثلاثة ايام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرجه الله لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس وطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء كما قال الله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه ضربة احرقته فما عملت له الشياطين بامره واحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون واشياء كثيرة واحتفروا له نهر الملك والقواترابه بين خانقين وقصر شيرين ومما عملوا له الفياصة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون انواع اللآلىء والدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وانواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم اول من فعل ذلك

﴿ حديث القبة ﴾

قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظم امواج البحر فدعته نفسه ان يعلم ما في قعر البحر فامر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسي ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له اختر لي من اصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل فقال اختر لي من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر البحر وتاتيني بالخبر فقال سمعا وطاعة لك يا نبي الله فغاص البحر وابعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذى رأيت قال يا نبي الله ما رأيت الا امواجا وحيتانا غير اني رأيت ملكا عظيما فقال لي اين تريد فقلت له ان نبي الله سليمان ارسلني انظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه مني السلام وقل له ان قوما ركبوا هذا البحر منذ اربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من احدهم قدوم فهو يتجلجل في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه واخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك ولها عما كان قصد قال فبينما هو على شاطىء البحر اذ رأى قبة من زجاج تضربها الامواج في لجة البحر فارضها وقال للغواصين غوصوا في اثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب ابيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدى سليمان فقال له سليمان يا فتى من الجن انت ام من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يا نبي الله كانت لي والدة وكنت من ابر الناس بها اطعمها واسقيها بيدى ولا اترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعو الى فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت بر ولدى فارزقه العبادة في موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتني نفسي ان ادخلها فلما دخلتها انطبقت على ابوبها وتزاخرت الامواج وكان هذا آخر عهدى يا نبي الله فقال له سليمان فمن اين مطعمك ومشربك فقال يا نبي الله اذا كان الليل جاءني طائر ابيض في

فات رحمة الله تعالى عليه قال مالك فدخلت اليه فوجدته يضحك في موته فتأسفت عليه فبينما أنا كذلك اذا بشابين جميلين كانهما الاقمار قد دخلا من باب المسجد فسلما على وقالا عظم الله أجرنا وأجرك في ميمون ثم أعطاني أحدهما كفنا جديدا يفوح منه رائحة المسك قال مالك فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام وكانت سنة كثيرة الحر فلما كانت ذات ليلة غفوت قليلا فلما استيقظت اذا بي قد انقطعت عن الركب وصرت وحدي في البرية ولم ادر كيف أصنع فبينما أنا كذلك اذ لاح لي شخص امامي فاسرعت نحوه فاذا هو غلام لا نبات بعارضيه كانه القمر المنير أو الشمس الضاحية وهو يمشي ويتبختر كانه في صحن داره فتقدمت اليه وسلمت عليه فقال وعليك السلام يا أبراهيم فتعجبت منه ثم قلت سبحان الله

منقاره شيء ابيض فيدفعه الى فآكله فهو يقيتني من الطعام والشراب فقال له سليمان ومن اين تعرف الليل والنهار وانت فى ظلمة هذا البحر قال يانبي الله فى القبة خيطان خيط ابيض وخيط اسود فاذا رأيت الخيط الابيض زائدا علمت انه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت انه الليل فقال له سليمان هل لك فى صحبتنا رغبة قال يانبي الله ان تشأ تاذن لى ان اعود الى قبتى فاذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام الف رجل فيجتمعون عليها ياكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول يسع القدر الواحد عشرة جزر

﴿قصة مدينة سليمان عليه السلام التى كان يسافر بها فى الهواء﴾

(ومما) عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع فى عشرة آلاف ذراع فيها الف سقف ما بين كل سقفين عشرة اذرع فى كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق اسفلها اغلاظ من الحديد واعلاها ارق من الماء يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم ابيض يستضىء به فى الليل الداجى العسكر كله يتلالأ شعاعه مد البصر وبها من الاركان الف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه واولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا ياكل ويشرب وينام ويتمتع بها وفى اسفلها مرابط واصطبلات وأوارى وأواخى لخيله ودوابه (ومما) عملوا له كرسى ملكه

﴿صفة كرسي سليمان عليه السلام﴾

قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبي الله سليمان عليه السلام امر الشياطين باتخاذ كرسى يقعد عليه للقضاء وامران يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل اوشاهد زور ارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من انياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وانواع الجواهر وحفوه باربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسى قالوا وكان سليمان ان اراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض باذنابهما وكذلك يفعل فى كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى باعلاه اخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانهما عليه ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسى التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهى الف كرسي على يمينه وتجىء عظماء الجن فيجلسون على كراسى الفضة عن يساره وهى الف كرسى حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسى بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحا المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذى كان يدير ذلك الكرسي قال بلبلان

من أين عرفتني ولم ترني قبل ذلك اليوم فقال ماجهلت منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت قال ابراهيم فقلت له ما الذى أوصلك الى هذه البرية فى مثل هذه السنة الكثيرة الحر قال ياابراهيم ما أنست بسواه ولا رافقت أحدا غيره وأنى منقطع بالكلية مقر له بالربوبية قال ابراهيم فقلت من اين المأكول والمشروب فقال تكفل بى المحبوب قال ابراهيم فقلت له ياغلام أما تخاف من بعد السفر وطول المشقة فانشد يقول شعرا

من ذا يخوفنى بالبر أقطعه ✻ الي الحبيب وقد قدمت إيمانا

الحب اقلقني والشوق أزعجنى ✻ فلا يخاف محب الله انسانا

فان اجوع فذكر الله يشبعني ✻ ولا أكون بحمد الله عطشانا

وان ضعفت فوجدى فيه يحملني ✻ الى الحجاز ومن اقصى خراسان

قال ابراهيم فتعجبت من كلامه على صغر سنه ثم قلت له بالله عليك ياغلام ما عمرك فقال أنتا عشرة سنة فقلت والله لقد

من ذهب وذلك الكرسي مما عمله له صخر الجني قالوا فاذا دار الكرسي بسط الاسدان ايديهما و يضربان الارض باذنابهما و ينشر النسران والطاوسان اجنحتهما فتفزع منه الشهود و يداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فاخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فاراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج و يتوجع منها حتى مات و بقي الكرسي بانطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سدداد فهزم خليفة بختنصر و رد الكرسي الي بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى أين هو والله أعلم (ومنها) بيت المقدس

﴿ صفة بنيانه و بدء أمره ﴾

قال الله تعالى سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصي الآيه وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت اصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين وروى خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من انهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما ينظمان حلي أهل الجنة الى يوم القيامة * وأما بدء بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ما ذكره اهل البصيرة بالسير هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام ابث فيهم مدة مديدة بارض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فاعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل كم هم فامر بعدهم و بعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم ان يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام واوحى اليه يا داود قد علمت اني وعدت اباك ابراهيم يوم امرته بذبح ولده فصبروا ئتمر امري بان اباركه في ذريته حتي يصيروا بعدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصي عددهم فاردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيري وانا قد اقسمت لابتلينهم ببلية يقل منها عددهم و يذهب عنك اعجابك بهم وكثرتهم فاختاروا اما ان ابتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة اشهر أو الموت ثلاثة ايام فجمع داود بني اسرائيل واخبرهم بما اوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا انت اعلم بما هو ايسر لنا وانت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لانه بيده لا بيد غيره فامرهم داود ان يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والاهلين وامرهم ان يضجوا الى الله تعالى و يتضرعوا اليه لعله يرحمهم فارسل الله اليهم الطاعون فاهلك منهم في يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدري عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما اصبحوا في اليوم الثاني خر داود عليه السلام ساجدا لله تعالى يبتهل الى الله تعالي و يقول يارب انا آكل الخل الحامض و بنو اسرائيل يضرسون يعني اذنبت و بنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شيء فبي انزله واشف عن بني اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم

فجددوا

أدهشني ما سمعت منك فتبسم وقال الحمد لله الذي أولانا من نعمه وفضلنا على كثير من عباده فتعجبت من حسن وجهه وحلاوة منطقه وقلت سبحان الخالق المصور فاطرق رأسه ساعة ونظر الى وقال ياابراهيم ان المنقطع من قطعه الحبيب والمواصل من أخذ من أخذ من الطاعة بنصيب فهل أنت منقطع عن الحجاج ياابراهيم قلت له نعم سألتك بالله ان تدعوا لي ان ألحق من سبقني من أصحابي قال فنظر الى السماء وحرك شفتيه فاخذتني سنة من النوم فما استيقظت الا وانا في وسط الحجاج ورفيقي يقول لي أحذر أن تقع من على الراحلة ولم أدر أين ذهب الغلام فسألت الله أن يجمعني به قبل الموت فلما دخلنا مكة اذا بالغلام متعلق باستار الكعبة وهو يبكي و ينشد و يقول شعرا

تملقت بالاستار والقبر زرته
وانت بما في القلب والسر أعلم
أتيت اليه ماشيا غير راكب
واني على صفر محب متيم
هو يتك طفلا حيث لا أعرف الهوى
فلا تعذلوني انني متعلم

فجددواله شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم ان تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا
لايزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكرا لله تعالى فاخذ داود في بنائه فلما أرادوا ان يبتدؤا بالبناء جاء رجل
صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبني اسرائيل ان لي فيه موضعا أنا محتاج اليه
ولا يحل لكم ان تحجبوني عن حقي فقالوا ياهذا مامن أحد من بني اسرائيل الاوله في هذا الصعيد
حق مثل حقك فلا تكن ابخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال انا أعرف حقي وانتم لاتعرفون حقكم فقالوا
له أما ترضي وتطيب نفسك والا اخذناه منك كرها فقال لهم اتجدون هذا في حكم الله وحكم داود وقال
فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم ناخذه منه يانبي الله قال خذوه بمائة شاة فقال
الرجل زدني يانبي الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يانبي الله فانما
تشتريه لله تعالى والله كريم لايبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم اعطكه قال تشتريه بحائط
مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل انت تشتريه لله تعالى فلا تبخل قال سل ماشئت قال انت اكرم
على الله مني ولكن ابن لي حوله جدارا مشرقا ثم املأه ذهبا وان شئت ورقا قال داود هذا هين فالتفت
الرجل الى بني اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب الخالص ثم قال لداود يانبي الله لان يغفر الله لي ذنبا
واحدا أحب الي من كل شيء وهبت لي ولكني كنت اختبرتكم فجدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما
قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك اخيار بني اسرائيل
حتي رفعوه قامة وعجزوا فاوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء ولست بانيه
ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اسلمه من سفك الدماء واقضي اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره
واجره لك باقيا فصلوا فيه زمانا الى ان توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان فامره الله تعالى باتمام بيت
المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها
وارسل الجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والبلور الابيض الصافي من معادنه وامر ببناء المدينة
بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا لكل ربض منها سبط من الاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا
فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة
والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون انواع الدر وفريق يقطعون انواع الرخام
وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وانواع الطيب من اماكنها فاتى بشيء
من ذلك لايحصيه الا الله تعالى ثم انه احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها الواحا
واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان تلك
الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يانبي الله
ليس في الجن اكثر تجاربا ولا اكثر علما من صخر العفريت فارسل اليه من يأتيك به فطبع سليمان خاتمه
طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف
فكان لايراه احد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فارسل الطابع مع عشرة من
الجن فاتوه به وهو في بعض جزائر البحر فاروه الطابع فلما نظر اليه كاد ان يصعق خوفا فاقبل مسرعا مع
الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما احدث العفريت في طريقه فقالوا يانبي الله انه
كان يضحك في بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان مارضيت بتمردك علي وترك المجيء الى طاعتي
حتى صرت تسخر من الناس فقال يانبي الله اني لست اسخر منهم غيران ضحكي كان تعجبا مما كنت
اسمع وارى في طريقي فقال له سليمان وماذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريدان

بك الى هذه البرية وهي
[illegible] فقال يا ابا اسحق
[illegible] وقد سالت
[illegible]
وحركـ[illegible] ت اليه
وحركته فاذاهو قد مات
رحمة الله تعالى عليه
فتاسفت لذلك ومضيت
الى رجل لآخذ له منه
كفنا واستعنت برفيقي
حتى ساعدني على تجهيزه
فاتينا اليه فلم نجده
فتعجبت من ذلك وسالت
عنه من الحجاج فلم يخبرني
به احد فعرفت انه مستترعن
أعين الناس وما رآه احد
غيري فرجعت الى مكاني
ولم افتر عن ذكره فلما جن
الليل نمت فرأيته في المنام
وهو في موكب عظيم وعليه
نور ساطع وعليه من
الحلي والحلل مايعجز عن
وصفه الواصفون قال
ابراهيم فقلت له ألست
صاحبي بالامس فقال نعم
فقلت له والله لقد طلبتك
لاغسلك وأكفنك فلم
أجدك فقال ياابراهيم ان
الذي اخرجني وبحبه
شوقني وعن أهلي غربني
هو الذي كفنني وما
[illegible] وجني قال ابراهيم
فقلت له ما فعل الله بك بعد
ذلك قال أوقفني بين يديه
وقال ما بغيتك قلت انت
بغيتي فقال الله عزوجل

يسقيها وجرة يريد ان يستقي بها في البغلة فملأ الجرة ثم اراد ان يقضي حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث توهم ان الجرة تحبس البغلة ومررت ايضا برجل آخر وهو جالس عند اسكاف يستعمله في اصلاح خف له فسمعته يشترط عليه ان يصلحه بحيث يبقى معه اربع سنين ونسي نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما يأتي من امور السماء وقد كنت شهدت رجلا دفن في موضع فراشها ذهبا كثيرا في الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بامر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وكان به داء فيما قبل فاكل البصل فبرأ من دائه فصار يطب الناس وكان لا يأتيه احد يسأله عن علة الا امره باكل البصل وانه لا اضر شيء حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت في بعض الاسواق فرأيت الثوم وهو افضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فحل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم واخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجوالك وجولانك في البحار شيأ ينحت لي هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت قال نعم يا نبي الله اعرف حجرا ابيض كاللبن يقال له السامور غير اني لا اعرف معدنه الذي هو فيه وليس في الطير شيء احيل ولا اهدي من العقاب فامر بفراخه ان تجعل في صندوق من تلك الجواهر فانه يأتي بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى اولاده قال فامر سليمان بفرخ العقاب أن تضم فيه صندوق من حجر منها يوما وليلة فحجب عن افراخه فمر مسرعا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى افراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى اتوه منه بقدر ما علم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك في ادوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده من المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وانواع الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يوجد يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد وكان يضيء في الليل كالقمر في ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بني اسرائيل واعلمهم انه بناه لله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا لم يتخذ في الارض قط اعظم عيد من ذلك اليوم ولا أطعمة اكثر منه فذبح فيه من الجزر الف جزور ومن البقر خمسة وعشرين الفا معلوفة ومن الغنم اربعمائة ألف شاة * قالوا ومن عجائب ما اتخذه سليمان ببيت المقدس انه بنى بيتا وطين حائطه بالجص وصقله فكان اذا دخله البار استبان خياله في ذلك الحائط ابيض واذا دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط اسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس فكان من مسها من اولاد الانبياء لم يضره منها شيء ومن مسها من غيرهم احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربانا على الصخرة ثم قال اللهم انت وهبت لي هذا الملك منا منك علي وجعلتني خليفتك على ارضك واكرمتني به من قبل ان اكون شيأ فلك الحمد اللهم اني اسألك لمن دخل هذا المسجد خصالا ان لا يدخله احد يصلي فيه ركعتين مخلصا فيهما الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ولا يدخله مذنب الا تبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شفيته ولا مجدب الا أخصبته واغنيته واذا اجبت دعوتي واعطيتني طلبتي فاجعل علامته ان تتقبل قرباني قال فنزلت نار من السماء فسدت ما بين

أنت عبدي حقا ولا أحجب عنك كل ما تريد فقلت سيدي أريد ان تشفعني في القرن الذي مت فيه فقال الله عز وجل قد شفعتك فيه قال ابراهيم ثم صافحني فاستيقظت من منامي فرحا مسرورا فلما اصبحت قضيت ما كان علي من فرائض الحج ولم يفترقلبي عن ذكر الغلام وسرت في حملة الحاج والناس يقولون يا ابراهيم أزعجت الناس من طيب رائحتك قال ولم تزل رائحة الطيب تفوح من يد ابراهيم حتى مات (وحكي عن ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى) انه قال كنت سائرا في طريق مكة على الوحدة فملت عن الطريق فمكثت أمشي يومي وليلتي حتى أدركني المساء فاغتممت لذلك غما شديدا لاجل الوضوء وفقد الماء وكانت ليلة مقمرة فسمعت صوتا ضعيفا وهو يقول لي يا أبا اسحق فدنوت منه فاذا هو شاب حسن الشباب نظيف الاثواب فسلمت عليه فرد علي السلام فوجدته مطرحا على الارض وليس فيه حركة وعند رأسه رياحين مختلفة الالوان فتعجبت من ذلك وقلت له ما الذي اتى

الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بني اسرائيل فخرب بيت المقدس والقي فيها الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيها من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى ارض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامره والله اعلم

﴿باب في قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به﴾

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين الآية قالت العلماء باخبار القدماء ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وامر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم اقام به ما شاء الله ان يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر اهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم احب ان يسير الى ارض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى احدكم كاسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب يستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطي له بقدر اصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمي البصر وروى قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاكم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك انه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من اين اقبلت والى اين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن اين انت قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر الف قيل مع كل قيل مائة الف مقاتل والقيل هو القائد بلغة اهل اليمن فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى اتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك انه نزل على غير ماء فسال الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسال الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو فقال اكثر

بك الى هذه البرية وهي مقفرة فقال يا ابا اسحق قد دنت وفاتي وقد سالت الله أن يحضر عندي وليا من أوليائه فرديت يحضر وفاتك ابراهيم الخواص وها أنا منتظرك فقلت له يا اخي ما الذي حبسك ههنا فقال يا أخي كنت عند أهلي في عزة وسرور فخطر على السفر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت في هذه البقعه منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت ألك والدان فقال نعم ولي اخت صالحة فقلت له هل اشتقت لهم وخطر بالك بهم فقال لا الا اليوم فاني احببت ان أشم منهم رائحة أو أجدد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش كثيرة وانواع هذه الرياحين فبكيت وبكوا معي وصرت متحيرا في امره متفكرا في حاله ووقع حب الشاب في قلبي وانجذب اليه سري فبينما أنا كذلك اذ أقبلت حية عظيمة وفي فمها باقة نرجس لم أر احسن منها ولا أذكى من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا ابراهيم اعدل عن ولي الله تعالى فان الله تعالى

ينير على أوليائه قال ابراهيم فلحقني من ذلك حال وصحت صيحة عظيمة وغشي علي فلما أفقت وجدت الشاب قد فارق الدنيا رحمه الله تعالى عليه فقلت انا لله وانا اليه راجعون ماهذه الا محنة عظيمة كيف أصنع في تجهيزه قال فارسل الله علي النوم فنمت فما افقت الا بعد ليلة وقد طلعت على الشمس فنظرت لموضع الشاب فلم اجد له أثرا فتعجبت من ذلك وسرت حتي دخلت مكة فلما قضيت حجي توجهت الى بلد الشاب فاستقبلني نساء عليهن مرقعات وفي أوائلهن امرأة عليها مرقعة وثوب من شعر و بيدها ركوة وهي لا تفتر عن ذكر الله تعالى فتاملتها فما رايت أشبه بالشاب منها فقالت ياأبا اسحق اني في انتظارك لتحدثني عن اخي وقرة عيني ثم بكت وارتفع بكاؤها فبكيت معها ثم وصفت لها الشاب وما كان عنده من الرياحين فلما بلغت قوله احببت ان أشم منهم رائحة أو أجدد بهم عهدا قالت اختـه قد بلغ الشم ثم سقطت الى الارض ميتة فاحتوشها أهلها وقالوا جزاك الله خيرا

المفسرين كان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه و يدعه ممعطا ثم يلقيه في بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لاانتفنه ولاشدن رجليه ولاشمسنه وقال مقاتل لاطلينه بالقطران ولاشمسنه وقيل لاودعنه القفص وقيل لافرقن بينه و بين الفه وقيل لامنعنه من خدمتي اوليأتيني بسلطان مبين اي حجة واضحة (وروي) عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتي التصق بالهواء فنظر الي الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم فنظر يمينا وشمالا فاذاهو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ان العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال بحق الذى قواك وأقدرك على الارحمتني ولاتتعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبي الله سليمان قد حلف ان يعذبك اويذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى المعسكر تلقاهم النسر والطير كله وقالوا له اين غبت في يومك هذا ولقد توعدك نبي الله سليمان واخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال اوليأتيني بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتي اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يانبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى رأسه فجذها وقال اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يانبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه (اخبرني الحسين) بن محمد الثقفي باسناده عن عكرمة فقال انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله ما الذى ابطاك عني قال الهدهد مااخبرالله به احطت بمالم تحط به اى علمت مالم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهدهاذ وقيل هى بلمعة بنت شراحيل بن ذى جدن بن البشرخ بن الحرث بن قيس بن صنعاء بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ابو بلقيس الذى يسمى البشرخ و يلقب بالهدهاذ ملكا عظيم الشأن وكان ملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لي وابى ان يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلمعة وهى بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة باسناده عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان احد ابوى بلقيس جنيا فلما مات ابو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من ارض اليمن ثم ان هذا الرجل الذى ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته يفجر بهن فاراد اصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الملك الى ذلك وقال مامنعني ان ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لاارغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجالى وقومى واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا لانراها تفعل هذا فقال انما هى التى ابتدأتني وانى احب ان تسمعوا قولها فتشهدوا عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم انى احببت الولد ولم احبه منذ كنت ارغب عن هذا والساعة قد رضيت له فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في اناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتي سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب داره علموا ان تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها انت احق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والنار ماقتلته ولكن رأيته قد عم فساده فاخذتني الحمية ففعلت به مافعلت فملكوها واستتب امرها في المملكة وروي ابن ميمونة

باسناده

باسناده عن الحسن بن على عن ابى بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوما ولوا امرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

﴿ صفة القصر الذي بنته بلقيس ﴾

قال الشعبي روي ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعا فامرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة اذرع ثم جعلت فيها سقفا منظومة بالواح الرخام والحم بعضها الى بعض بالرصاص حتى صارت كانها لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص فى كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر المربعة وجعلت فيه اى في باب ذلك القصر مما يلى المدينه برخام من الرخام الابيض والاخضر والاحمر وفي جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم

﴿ صفة عرشها ﴾

كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بالوان الجواهر وله اربع قوائم قائمة من ياقوت احمر وقائمة من ياقوت اخضر وقائمة من زمرد اخضر وقائمة من در اصفر وصفائح السرير من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا فى الهواء فذلك قوله عزوجل وأوتيت من كل شىء أى مما تحتاج اليه في الملك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم أى سرير ضخم حسن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك انها قالت لوزرائها ما كان يعبدوا آبائي الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء قالت واين هو قالوا هو في السماء وعلمه في الارض قالت فكيف اعبده وانا لا اراه ولست اعرف شيأ اشد من نور الشمس فهي اولى ماينبغى لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وهي الآبار التى لم تطو ببطن كل واد فروي الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبدالله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا على وائتونى مسلمين قال ابن جريج وغيره ولم يزد سليمان على ماقص الله تعالى في كتابه شيأ وكان ابلغ الناس في كتابه واقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون اى يردون من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بارض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة ايام فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فاتاها الهدهد وهى نائمة مستلقية على ظهرها فالقي الكتاب على نحرها هذا قول قتادة، قال مقاتل حمل الهدهد بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتي رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب فى حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة يعنى طاقة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة في وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم

ياأبا اسحق لقد ارحتها مما كانت فيه قال ابراهيم فلم يبق احد فى مدينة شمشاط حتي حضر جنازتها فلما دفنت اقمت عند قبرها الى الليل فلما نمت رأيتها فى روضه خضراء والشاب بجانبها وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون (وحكى عن الشيخ ابى بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه) انه قال مررت بمجنون في بعض الايام والصبيان يرجمونه بالحجارة وقد ادموا وجهه وشجوا رأسه فزجرتهم عنه وهم يقولون دعنا نقتله فانه كافر فقلت وما الذى تبين لكم من كفره فقالوا يزعم انه يرى ربه ويخاطبه قال الشبلى فمنعتهم عنه وتقدمت اليه فوجدته يحدث نفسه ويضحك ويقول اجميل منك ان تسلط على هؤلاء الصبيان حق فقال ماالذى يقولون عنى فقلت له يقولون انك ترى ربك وتخاطبه قال فصاح صيحة وغشى عليه فلما افاق قال ياشبلى وحق من تيمني بحبه وهيمني بقربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من الم البين قال الشبلى فعرفت انه من الخواص أرباب

تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا يكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر الف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة الف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا حزبها أمر اسفرت عن وجهها فلما جاؤا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس اني القى الي كتاب كريم أي شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما يدل عليه ما اخبرني به ابو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على واتوني مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ افتوني في امري وأشيروا على فيما عرض لي ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون أي تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو باس شديد عند الحرب والامر اليك فانظري ماذا تأمرين تجدينا لامرك طائعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا انفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا اشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون انشدني ابو القاسم الجنيد في هذا المعنى قال انشدني ابي في معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم ظل
ماذا تأمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان ارضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على ابوابهم ذل

قال الله تعالى مخبرا عنها واني مرسلة اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الامر وساستها اني مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية اصانعه عن ملكي واختبره بها أملك أم نبي فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا ان نتبعه على دينه ثم انها اهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس البستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد البست الغلمان لباس الجواري والبست الجواري لباس الغلمان واختلفوا في عددهم فقال الكلبي عشرة جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وارسلت اليه ايضا بصفائح الذهب واختلفوا في كيفيتها وعددها (اخبرني) ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البناني في قوله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية قال اهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان امر الجن فموهوا له الاجر بالذهب ثم امر به فالقي في الطريق في كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصغر في أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت اربع لبنات من ذهب (وقال وهب) ابن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فالبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم اساور من ذهب وفي أعناقهم اطواقا من ذهب وفي آذانهم اقراطا وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة

الاخلاص ثم قالت

ياسيدي فما علامة المحبة فقال يا شبلي لو قطرت منها قطرة في البحار لصارت سعيرا ولو وضعت منها ذرة على الجبال لصارت هباء منثورا فكيف بقلوب كثرها الغرام قلقا وزفيرا وزادها الهيام حرقا وتحييرا ثم جعل يقول شعرا

كشف الحبيب لمن دعاه ستورا
وسقاه كاسا فاغتدا مخمورا
واعتاده حر اللهيب ولم يرد
الا الحبيب فنال منه حبورا
يا فوز من كان الحبيب نديمه
وغدا اليه من الجميع مشيرا
فاذا رأيت محبه في سكره
خلع المذار رأيته معذورا
من ذا يطيق الصبر عن محبوبه
حاشا المحب يكون عنه صبورا

(وحكى عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) انه قال مررت يوما في بعض الاسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعة رجال وليس معها أحد فقلت والله لامضين مع هؤلاء واكون خامسهم لا زال الاجر فمضيت معهم لما أتوا الى الجبانة فقلت لهم ياقوم اين ولي هذه

لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وارسلت اليه ايضا بالمسك والعنبر والعود والانجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب رأى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت فى الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء واخبرنا بما فى الحقة قبل ان تفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيطا في الخرزة ثم امرت بلقيس الغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وامرت الجوارى ان يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأي الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان واخبره بالخبر كله فامر سليمان الجن ان يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم امرهم ان يبسطوا له من موضعه الذى هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم اى الدواب احسن مما رأيتم في البر والبحر فقالوا يانبي الله انا رأينا فى بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها اجنحة واعراف ونواص فقال سليمان على بها الساعة فاتوه بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفة فيها ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما اقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وامرهم ان يتركوا في طريقهم على قدر اللبنات التى معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموا بذلك فطرحوا امامهم فى ذلك المكان قال فلما جاءوا الى الميدان ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ماوراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطوه كتاب الملكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم اين الحقة فاتى بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام فاخبره بما في الحقة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فانقب الدرة وادخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال الشياطين فقالوا له ارسل الى الارضة فارسل اليها فلما اتت اخذت شعرة فى فيها ومرت في الخرزة حتي خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك قالت أن تصير رزقى فى الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يانبي الله فاخذت الدودة خيطا فى فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ماحاجتك فقالت ان تصير رزقى فى الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجوارى والغلمان بان امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجارية تاخذ الماء من الانية باحدى يديها ثم

الجنازة حتي يصلى عليها فقالوا ياشيخ كلنا فى الاجر سواء ليس فينا احد يعرفه قال ذو النون فتعجبت من ذلك عجبا شديدا ثم تقدمت وصليت عليه وانزلناه فى لحده وواريناه بالتراب فلما هموا بالانصراف قلت لهم ماشأن هذا الميت اخبرونى بحاله فقالوا لا نعلم غير ان امرأة اكترتنا لنحمله وهى لاحقة بنا فبينما نحن فى الحديث اذ اقبلت امرأة علينا عليها سيما الخير والصلاح وهي باكية العين حزينة القلب فلما وقفت على القبر كشفت وجهها ونشرت شعرها ورفعت يديها الى السماء وهي تتضرع وتبكى ساعة وتدعو ساعة ثم سقطت الى الارض مغشيا عليها ثم أفاقت بعد ذلك وهى تضحك قال ذو النون فقلت لها اخبرني بخبر هذا الشاب المتوفى وكيف الضحك بعد البكاء فقالت من انت يرحمك الله فقلت لها ذوالنون فقالت والله لولا انك من اعيان الصالحين مااخبرتك بخبره ثم قالت ياأخى ان هذا الشاب ولدى وقرة عينى وكان تائها بشبابه لابسا ثياب اعجابه لم يترك سيئة لا الا ارتكبها ولا معصية

تجعله فى اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام ياخذه من الاناء بيديه و يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدونن بمال فما اتانى الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل المفاخرة والمكاثرة فى الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتى لان الله تعالى قد مكنني منها واعطانى مالم يعط احد من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم قال للمنذر بن عمرو ارجع اليهم ارجع اليهم بالهدية فلناتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم ان بلقيس امرت بعرشها فجعل في سبعة ابيات بعضها داخل بعض فى آخر قصر من قصورها ثم اغلقت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا تخلص اليه احدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها امرت مناديا ينادي فى اهل مملكتها ليؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة الف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشىء حتي يكون هو الذى يسال عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يارسول الله قال اوقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال ايكم ياتيني بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين أي طائعين خاضعين واختلف العلماء فى السبب الذى لاجله امر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها (وقال قتادة) لانه اعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاراد ان يراه قبل ان يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه فى معجزة ياتى بها في عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوى أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك أى مجلسك الذي تقضى فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار * واختلفوا في اسمه فقال وهب انه كودى وقال شعيب انه كوذان وانى عليه لقوى أي قوى على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذى عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى و دعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهى طرفك قال فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمين فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتي انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدى سليمان واختلف العلماء في الدعاء الذى دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (فروي) عن عائشة رضى الله عنها وعن ابيها ان الاسم الاعظم الذى دعا به آصف بن برخيا ياحى ياقيوم وروي عن الزهرى قال دعا الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها وقال مجاهد ياذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال

سعى اليها وطلبها قد بارز مولاه بالمعاصى والآثام فحصل له ألم عظيم منذ ثلاثة ايام فلما كان فى معاناة الموت قال لى يا أماه سالتك بالله الا ما قضيت وصيتى اذا انا مت فلا تعلمى بموتى أحدا فانهم لا يترحمون على لسوء فعلى وكثرة ذنوبى ثم بكى وانشد يقول شعرا

لى ذنوب شغلتني
عن صيامى وصلاتى
تركت جسمى عليلا
مات من قبل وفاتى
ليتني تبت لربى
من جميع السيآت
أنا عبد لالهى
مغضب في الخلوات
بحت جهرا بذنوبى
وعيوبى قاتلات
قد توالت سيآتى
وتلاشت حسناتى

قالت ثم بكى بكاء شديدا وقال آه مما فرطت فى جنب الله آه على قلبى ما أقساه ثم قال بالله عليك يا أماه اذا أنا مت فضعى خدي على التراب وضعى قدمك على وجهى وقولى هذا جزاء من عصى مولاه وترك أمره واتبع هواه فاذا دفنتينى فقفى على قبري وارفعى يديك الى السماء وقولي اللهم انى رضيت عنه فارض عنه ففعلت ما امرنى به وجميع ما اوصانى عليه ياذا النون

قال الذى عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان فى جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الارض وهل يعبد الله او لا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من اسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فاتى به سليمان عليه السلام من قبل ان يرتد اليه طرفه * وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهل بن حرب قال زعم ابن ابى بردة ان اسم الذى عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بنى اسرائيل انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال انت النبى ابن النبى وليس احد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجىء بالعرش فى الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أى لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم الافضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أى زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ننظر أتهتدي الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما حمل سليمان على ذلك ماذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من اهل العلم ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان و يستولدها فتفشي اليه اسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فارادوا أن يزهدوه فيها فاساؤا الثناء عليها وقالوا له ان فى عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها و ينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها اهكذا عرشك قالت كانه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها فى بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم واجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بابتلائها ومجيئها طائعة من قبلها أى من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم صحة نبوة سليمان عليه السلام بالايات المتقدمة من قبلها اى من قبل هذه الاية وكنا مسلمين أى منقادين لك مطيعين لامرك من قبل ان جئناك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان سليمان لما اقبلت بلقيس تريده امر الشياطين فبنوا له صرحا أى قصرا من زجاج كانه الماء بياضا واجروا من تحته الماء والقي فيه السمك ثم وضع سريره فى صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما امر ببناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ما سخر و بلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية والسخرة ابدا فارادوا ان يكرهوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء الساقين لان امها كانت جنية فاراد سليمان ان يعلم حقيقة ذلك و ينظر قدميها وساقيها فامر ببناء الصرح (وقال وهب ابن منبه) انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يعاييها بذلك كما فعلت بتوجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكر والانثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهى معظم الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له ياسليمان انى

ولما رفعت طرفي الى السماء سمعت صوتا بلسان فصيح وهو يقول انصرفى يا أمه قد قدمت على كريم ووجدته راضيا عني غير غضبان فلما سمعت ذلك ضحكت واستبشرت وهذا حديثي يا اخى فانظر الى كرم الله تعالى ولطفه بعباده المذنبين والله تعالى أعلم (وحكى عن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه) أنه قال رأيت بالبصرة قوما يحملون جنازة وليس معهم احد يشيع الجنازة فسألت عن ذلك فقيل هذا رجل كان من كبار المذنبين والعصاة المسرفين قال مالك فسرت معهم حتى صلينا عليه وانزلناه فى لحده وانصرف عنه من كان معه ثم ملت الى ظل عند قبره فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل احدهما اليه وقال لصاحبه اكتبه من اهل النار فما فيه جارحة سلمت من المعاصى والاوزار فقال له صاحبه يا أخى لا تعجل عليه واختبر عينيه فقال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر الى محارم الله تعالى قال فاختبر سمعه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بسماع الفواحش والمنكرات قال فاختبر

اريد أن أسألك عن شيء قال سلي قالت أسألك عن ماء ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا
جاءه شيء لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين
فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما اهون ذلك أؤمر بالخيل ان تجرى ثم املأ الآنية من عرقها فقال لها
سليمان عرق الخيل فقالت صدقت ثم قالت اخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا
وصعق فقامت وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك
قال يا جبريل ربي اعلم بما قالت قال فان الله يأمرك ان تعود الى سريرك فترسل اليها والى من حضرها من
جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها
عماذا سألتيني قالت عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فاجبت قال وعن أي شيء سألتيني أيضا قالت
ما سألتك عن شيء الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وانساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب
ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح
فاجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر واسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في
امرها بعد الاسلام فقال اكثرهم لما اسلمت بلقيس أراد سليمان ان يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى
من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما اقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسي فقالت المرأة
ما مسني حديد قط فكره سليمان الموسي وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل
الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندرى فلما الح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتي يكون كالفضة
البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها
سليمان عليه السلام (اخبرني) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسي يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال
أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى
قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا واقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلاثة
حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان و بنيون ثم ان سليمان كان يزورها
في كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها و يقيم عندها ثلاثة ايام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى
الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ
من أمرها اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت ومثلي ينكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في
ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي
ما أحل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن
وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه
قال فصنع لذى تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتي مات سليمان عليه السلام قال
فلما حال الحول و بلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن
صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى
حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحميرية نحن بنينا سلحين وبينين و بنينا صرواح
ومرواح وفنقون وهندة وهنيدة ودلوم وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ
بتهامة لما رفعوا أيديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام
والله اعلم

لسانه فقال اختبرته
فوجدته مملوأ بالحرص
وارتكاب المحرمات قال
فاختبر يديه فقال
اختبرتهما فوجدتهما
مملوأتين بتناول الحرام
وما لا يحل من اللذات
والشهوات قال فاختبر
رجليه فقال اختبرتهما
فوجدتهما في سعي
النجاسات والامور
المذمومات فقال الآخر
أخي لا تعجل عليه
ودعني انزل اليه فنزل
الملك الثاني اليه ومكث
عنده ساعة وقال يا اخي
قد اختبرت قلبه فوجدته
مملوأ بالايمان فاكتبه
سعيدا مرحوما ففضل
الله عظيم ورحمته وسعت
كل شيء قال مالك فانتبهت
من منامي متعجبا مما رأيت
فسمعت قائلا يقول هذا
الكلام

لما رأوه مبعدا عن طاعتي
حكموا باني لا اجود برحمتي
حلمي أجل وان يضيق
على الورى
من ذا يحد أرا مري
ومشيئتي

قال مالك يا ما حصلت هذه
السعادة لهذا الرجل الا
بعناية سابقة وما تحصل
هذه لكل عاص فلا يغتر
الانسان بهذه فالعاصون
كلهم في خطر المشيئة بل
الطائعون لا يدرون بماذا

﴿ باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه ﴾

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وروى محمد بن اسحق عن بعض العلماء ان سليمان أخبران في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى مافيها فاصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على يده في الظاهر على خفية منه وقلة ثقة فاحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ فقالت انى اذكر أبى وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان فقد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين يصورون لى صورته في دارى التي انا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزنى ويسليني عن بعض ما أجد فى نفسى فامر سليمان الشياطين ان يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى تنكروا منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدوا اليه في ولائدها فتسجد له ويسجدون له معها كما كانت تصنع معه فى ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أى ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فأتاه فقال يا نبي الله كبر سني ودق عظمي ونفد عمرى وقد حان الذهاب مني وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضي من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضي من أنبياء الله تعالى وأثني على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتي انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضي من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا فى كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتني أثنيت على بخير في صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال له أن غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان في دارى قال نعم في دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت أنك ما قلت ما قلت الا عن شيء بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر فأتى بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتي جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغى لآل داود ان يعبدوا غيرك وان يقروا فى دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أمسى

يختم لهم فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة والعفو والمغفرة بمعونته ورحمته وعفوه وفضله وكرمه واحسانه وجوده ومنه آمين (وحكى عنه ايضا عفا الله تعالى عنه) انه قال سألني بعض اصحابي عن سبب توبتي فقلت له كنت منهمكا على شرب الخمر فاشتريت جارية جميلة فاستولدتها فولدت لى بنتا نفيسة ذات حسن وجمال فاحببتها وشغفت بها فلما كبرت وترعرعت ألفتني وألفتها فكنت اذا وضعت آنية السكر تجاذبني عليه وتهريقه على الارض فلما بلغ عمرها سنتين ماتت فاكمدني الحزن عليها فلما كان ليلة النصف من شهر شعبان وكانت ليلة جمعة بت ثملا بالخمر فلما نمت رايت كان اهل القبور قد قاموا من قبورهم وحشروا الى الله عز وجل وكأنى قد حشرت معهم فبينما انا كذلك اذ سمعت صوتا من خلفي فالتفت نحوه فاذا بثعبان كانه نخلة سحوق قد لحق بي وفتح فاه ليلقمني ففررت منه مسرعا فزعا مرعوبا واذا بشيخ نقي الثياب عليه رائحة طيبة وهو جالس في طريقي فسلمت عليه فرد على

ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها امينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فاتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرا فظنته سليمان لانها لم تنكر منه شيأ فقال يا أمينة خاتمي فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان فاتى لى أمينة وقد تغير من حاله وتغيره ما كان معهودا منه عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهاهو جالس على سرير ملكه فعرف أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأى شيء يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فمكث كذلك أربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد فى داره فانكر آصف بن برخيا وعلماء بنى اسرائيل حكم عدو الله الشيطان فى تلك الاربعين يوما فقال آصف يا معشر بنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم فقال امهلونى حتى ادخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه فى خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما انكرنا فقلن أشد ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بنى اسرائيل فقال ما فى الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضت أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر فى البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التى ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخري فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذي دخل عليه لما أحدث فى داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتونى بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به فنحت له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهذا حديث وهب بن منبه ﴿وقال السدى﴾ فى سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتى حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان أخى بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخدع فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها ان تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس حكمه واجتمع قراء بنى اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن

السلام فقلت له اجرنى واغثنى من هذا الثعبان فقال الشيخ انى ضعيف وهذا اقوى مني ولكن اسرع فى الهرب فلعل الله تعالى يسخر لك من ينجيك منه ففررت هاربا حتى صعدت على شرف من شرائف القيامة واشرفت على طبقات النيران والثعبان فى طلبي فكدت ان اسقط في النار من فزعي منه فصاح صائح من النار ياعزيز ارجع لست من اهلها فاطمان قلبي لذلك ورجعت الى الشيخ فقلت له يا شيخ استغثت بك واستجرت فيك فأبيت أن تجيرني من هذا الثعبان فلم تجيرني قال فبكى وقال يا مالك ما بلغك انى ضعيف سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين عسي ان يكون لك فيها وديعة تنصرك تجيرك من عدوك وهو اقوى مني قال مالك فسرت الى الجبل فاذا هو جبل عظيم وفيه كوات مخرمة وستور معلقة على كل كوة ستر من الذهب لاحمر مرصع باليواقيت والدر واللؤلؤ والجوهر واذا ملك ينادى ارفعو الستور واشرفوا كلكم فلعل ان يكون لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عده قال مالك فرفعت

ما أنكروا وملئ زحن فدأنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه فليس لنا صبر على ذلك وبكى الناس عند ذلك قال فاقبلوا يمشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال انى سليمان بن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطىء البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم أنه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين مما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطىء البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن احداهما فاخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذى أخذ خاتمه فاتى به فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فالقى في البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك واسير في عملك واهل بيوتك بسيرك الى ان يتوب الله عليك ويردك الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه واخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وان الجسد الذى قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف في ملك سليمان وعالمه يسير بسيرته ويعمل بعمله اربعة عشر يوما الي أن رجع سليمان الى منزله تائبا الي الله تعالى ورد الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت (وقيل) سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد العجلى باسناده عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه أن ياسليمان احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال في آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى انبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول اصح الاقوال واليق بانبياء الله تعالى واقرب الى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان انه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما اصاب بنت الملك صيدون اعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له ان اكرهتني على الاسلام اقتلت نفسي فخاف سليمان ان تقتل نفسها فتزوجها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة اربعين صباحا في خفية من سليمان الى ان اسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه اربعين يوما (وقال الشعبي) في سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان ذلك فامر السحاب ان تأخذ ابنه وامر الريح فحملته وغدا ابنه في السحاب فامن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فالقي على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله والقينا على كرسيه

الستور واشرفت اطفال على بوجوه كالاقمار فصاح بعضهم على بعض أشرفوا كلكم فقد قرب منه الثعبان وهو متحير في امره قال مالك فاشرفوا كلهم على فنظرت فاذا ابنتي فيهم فلما رأتني بكت وقالت هذا ابي والله ثم اشارت بيدها الي الثعبان فولى هاربا ومدت يدها الى فتعلقت بها فجذبتني وادخلتني مكانا هي فيه يكل عنه الوصف فحمدت الله تعالى على ذلك فقرات ابنتي قوله تعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال مالك فبكيت عند ذلك وقلت لها انتم تعرفون القرآن فقالت نعم فقلت لها اخبريني عن هذا الثعبان الذى اراد ان يهلكني فقالت ياولدى هذا عملك السوء قويته على نفسك حتي كاد ان يلقيك في النار ولولا انك لم تكن من اهلها لوقعت فيها فقلت لها ومن هذا الشيخ الضعيف الذى استغثت به فلم يغثني فقالت هذا عملك الصالح اضعفته حتى لم يكن له قدرة على ان يدفع عنك شيأ فقلت لها وما تصنعون ههنا فقالت نحن مقيمون ههنا حتى تقوم الساعة ننتظر قدومكم علينا فنشفع لكم قال مالك فانتبهت من منامي فلما

يحمدا ثم اناب والله تعالى اعلم

{باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام}

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال اهل التاريخ لبث سليمان في ملكه بعدان رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث احب قال فتزيا لهم ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف انتم قالوا مالنا طاقة لما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لاتحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فبلغت الريح ذلك سليمان فامرهم ان يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف انتم فشكوا اليه واخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس اتنامون بالليل قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فبلغت الريح ذلك سليمان فامرهم ان يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف انتم قالوا لاطاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فله قالوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الاقليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء امره في ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا نبتت له ببيت المقدس شجرة فيسألها سليمان مااسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لاى شيء انت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس كتب عليها غرسها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلي يوما اذرأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها مااسمك قالت الخرنوبة قال ولاى شيء نبتك قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم غم على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لايعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون مايكون في غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ثم بقي على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحدوهم مع ذلك يعملون و يخافون أن يخرج فيعاقبهم (وقال) عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بي فاعلمني قال فاتاه فقال ياسليمان قد امرت بك وقد بقي لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا الاصرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتاني من الملك ماترون وما مر على يوم في ملكي صاف من الكدر وقد احببت ان يكون لي يوم واحد يصفولي الى الليل ولاغم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصرا له وأمر باغلاق ابوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيا يسوؤه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى مماليكه اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك ياسليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذني وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتني حين دخلت قصري بغير اذني فقال أنا الذي لايحجبني حاجب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان

اصبحت كسرت اواني الخمر وتبت الى الله تعالى فكان هذا سبب توبتي والحمد لله على ذلك والله اعلم (وحكى عن بعضهم رضي الله سبحانه وتعالى عنه) انه قال بينما انا في الطواف وكانت ليلة مظلمة اذ سمعت صوت حنين ينطق بحال حزين وهو يقول يا كريم لطفك القديم فان قلبي على العهد مقيم قال فتطاير قلبي لسماع ذلك حتى اشرفت على الموت فقصدت نحوه فاذا هي امرأة فقلت السلام عليك ياأمة الله فقالت وعليك السلام ياعبدالله فقلت لها اسألك بالله العظيم ماالعهد القديم الذي قلبك عليه مقيم فقالت ياهذا لولا انك اقسمت على بالجبار ما اطلعتك على الاسرار انظر الى هذا الصبي الذي بين يدي فنظرت فاذا بصبي ينطق في نومه وجهه كالقمر فقالت خرجت من بلدي وانا حاملة به لاحج هذا البيت فركبت البحر في سفينة وسرنا فبينما نحن كذلك اذ خرجت علينا ريح فكسرت المركب وغرق ركابها فنجوت على لوح فبينما أنا على تلك الحالة اذا خذني الطلق فوضعت هذا الصبي

فمن اذن لك في دخوله فقال له ربي قال فارتعد سليمان وعلم انه ملك الموت فقال له انت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت قال لاقبض روحك قال ياملك الموت هذا يوم اردت ان يصفولي ولا اسمع فيه مايغمني فقال ياسليمان انك اردت يوما يصفولك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لامرد له قال فاقبض كما امرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكي على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه اينما كان وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس ان سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا منساته وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الارضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك (وفي رواية ابن مسعود) فمكثوا يدانون له بعد موته حولا كاملا فايقن الناس ان الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلوانهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك اعذب الشراب ولكنا ننقل اليك الماء والطين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ماتاتيها به الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته الآية (قال اهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها اربعون سنة وذلك انه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه اسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتريه عرق النسا فطمع فيه الملوك لضعفه وافترقت ملوك بني اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى القت اثقالهم وأموالهم وسلبهم الى محلة بني اسرائيل ونودوا أن خذوا ماغنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى الى ان ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

(مجالس في قصة بختنصر ومايتصل به وخبر شعياء وارمياء ودنيال وعزير عليهم
وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام)

قال الله تعالي وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

﴿ قصة شعياء عليه السلام ﴾

قال محمد بن اسحق وغيره من اهل السير والاخبار كان مما انزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل

فبينماهو في حجري اذ رجل ملاح من رجال السفينة قد وصل الي وحصل معي على ذلك اللوح فقال والله مازلت اهواك وانا في السفينة وقد حصلت معك الآن فمكنيني من نفسك والا رميتك في البحر فقلت ياهذا ويحك اما كان لك فيما رأيت تذكرة وعبرة فقال لي قد رايت ذلك مرارا عديدة ونجوت وانا لا ابالي ثم الح علي فخفت منه وقلت له مهلا حتي ينام هذا الصبي فاخذه من حجري ورمي به في البحر فلما رايت جراءته ومافعل بالصبي طار قلبي وزاد كربي فرفعت طرفي الى السماء وقلت يامن يحول بين المرء وقلبه حل بيني وبين هذا الفاسق فوعزته وجلاله مافرغت من الكلام الا ودابة عظيمة من دواب البحر خرجت رأسها واختطفته من على اللوح وغاصت به في الماء فحمدت الله تعالى على ذلك وصرت وحدي على ذاك اللوح فزاد شوقي الى ولدي وقرة عيني وبكيت على فقده بكاء شديدا وانشدت شعرا

قرة العين حبيبي ولدي
ضاع مني لتناني جلدي
ان يكن جسمي غريقا فلقد

من احداثهم وماهم فاعلون بيده كما قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنواسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان اول مانزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما اخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ان ملكا منهم كان يدعي صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده و يرشده و يكون واسطة فيما بينه و بين الله تعالى فيما يحدث من امورهم ولا ينزل عليهم كتابا وانما يامرهم ان يامروهم باحكام التوراة والنهى عن المعاصى والمنكرات والدعاء الى ماتركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن امضياء وذلك قبل مبعث زكريا و يحيى وعيسى وشعياء هوالذي بشر بيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال ابشر فانه ياتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني اسرائيل و بيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعياء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعياء فقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده فى ستمائة الف راية واقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس بقدها بهم الناس وتفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال يانبي الله هل اتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا و بعدونا سنجاريب وجنوده فقال النبي لم يات وحى فبينما هم كذلك اذ أوحي الله تعالى الي شعياء عليه السلام ان ائت ملك بني اسرائيل فامره ان يوصى بوصيته و يستخلف على مملكته من يشاء من اهل بيته وعترته فاتى شعياء صديقة فقال ان ربك قد اوحي الى ان آمرك ان توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة أقبل على الله تعالي وصلى ودعا وبكى وقال فى دعائه وهو يبكى و يتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يارحمن يارحيم يارؤف يامن لاتاخذه سنة ولا نوم اذكرنى بنيتى وفعلى وحسن قضائى في بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سرى وعلانيتى لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا صالحا فاوحي الله تعالي الى شعياء وأمره ان يخبر صديقة الملك ان ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه الله من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فاتى شعياء اليه واخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا الهى واله آبائى لك سجدت و سبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعياء أن قل للملك صديقة أن يامر عبدا من عبيده فياتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له انى كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بنى اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب هو ومن معه فى خمسة نفر من كبرائه فى مغارة أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوابهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من

ظلت اشكوا باحتراق الكبد

يا الهى قد ترى ماحل بى
فافرغ الصبر على يدى
فاجمع الشمل وكن لي راحما
فرجائى فيك اقوى عددى

قالت ثم بقيت يومى الى الليل وحيدة فريدة فلما اصبح الله بالصباح اذا انا بقلع بلوح فى البحر فمازالت الامواج تقذفه والرياح تسوقه حتى وصل الى فاذا هو بسفينة عظيمة فاخذوني من على ذلك اللوح ووضعونى بينهم فنظرت فاذا بولدى هذا بينهم فتراميت عليه وقلت لهم ياقوم من أين لكم هذا الصبى فقالوا بينما نحن سائرون اذ جنحت السفينة بنا فنظرنا فاذا بدابة كانها المدينة العظيمة وهذا الصبي على ظهرها يمص ابهاميه ثم حدثتهم بقصتي وشكرت ربى على ما نالنى وعاهدته ان لا ابرح عن بيته ولا ولا الهو عن خدمته وما سالته بعد ذلك شيأ الا اعطي اياه قال فمددت يدي اليها بنفقة فلم تقبلها وقالت اليك عني احدثك بافضاله وكرمه ونواله وآخذ الرفد من يد غيره فلم اقدر عليها ان تاخذ شيئا فتركتها وانصرفت عنها رحمها الله ونفعنا بها والمسلمين آمين

حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال يا سنحاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنحاريب قد أتاني خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي فلو سمعت وعقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي قال فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفانا كم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكن انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة في الدنيا وعذابا في الآخرة وتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم وبين معكم ولدمك ومن معك اهون عند الله من دم قرادة لو قتلت * ثم ان ملك بني اسرائيل امر امير جيشه فقذف في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم فقال سنحاريب للملك بني اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فامر بهم الملك الى سجن القتل فاوحى الله الى شعياء ان قل للملك يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرموا وليحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع سنحاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم ووحي الله اليه فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها احد وكان في امر سنحاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنه وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده ويقضي بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بني اسرائيل صديقة فمرج امر بني اسرائيل وتنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغي والفساد ونبيهم شعياء فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم في قومك يوح على لسانك فلما قام النبي اطلق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء اسمعي ويا ارض انصتي فان الله اراد ان يقضي شان بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أجاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذي يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأى حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خرنوبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويغيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي والغراس هم وان الخرنوب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة واني قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فهم يتقربون الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الي بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم مزملة بدمائها ويشيدون لي البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم

وحكى عن عبد الله الموصلي
رضي الله تعالى عنه انه قال)
كان عندنا رجل ولهان
يسمى قضيب البان وكان
لا يقدر احد ان يكلمه من
عظم هيبته وحرمته وكان
كثير البكاء فجمعتني به
المقادير في خلوة فقلت له
يا اخي ما الذي اشغلك به
عن سواه ما كان سبب
تولهك وانفرادك عن
الناس فنظر الى نظرة
منكرة ثم بكى واصفر
لونه وغشي عليه فلما
افاق آنسته بالكلام
ولاطفته بالخطاب وسألته
عن ذلك واقسمت عليه
بالله ان يحدثني عن سبب
ذلك فحدثني وهو يبكي
فقال يا اخي كنت اخدم
شيخا وكان من الابدال
لخدمته اربعين سنة فكان
مجتهدا في العبادة فلما كان
قبل موته بثلاثة ايام دعاني
وقال لي يا عبد الله لي عليك
حق ولك علي حق ومن
تمام حقي عليك ان تصغي
لما اقول لك وتحفظ وصيتي
فقلت نعم يا سيدي حبا
وكرامة فقال يا ولدي قد
بقي من عمري ثلاثة ايام
واموت على غير دين
الاسلام فاذا انا مت فضعني
في تابوت بثيابي واحمل
التابوت في الليل الى ارض
كذا وكذا من ظاهر البلد
وامكث حتى تطلع الشمس

وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لي الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لي الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها وأسبح ولتكن معلما لمن أراد ان يصلى فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع الفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ائتهما وهم فى اجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما ان تكونا عوداً واحداً فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عوداً واحداً فقال الله تعالى قل لهم انى قدرت على ان أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا اقدر على الفتهم ان شئت ام كيف لا اقدر على ان افقه قلوبهم وانا الذى صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل حنين الجمال وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ماالذى يمنعنى ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وانظر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين اذات يدى قلت كيف ويداى مبسوطتان بالخير انفق كيف اشاء مفاتيح الخزائن عندى لا يفتحها غيرى ام يقولون رحمتى ضاقت فكيف ورحمتى وسعت كل شيء انما يتراحم المتراحمون بفضلى ام يقولون البخل يعترينى اولست اكرم الاكرمين وانا الفتاح بالخيرات الست اجود من اعطي واكرم من سئل ولو ان هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت فى قلوبهم فتدبروها لم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا ان انفسهم هى اعدى العداة لهم فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربنى وينتهك محارمي ام كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم وانما اجزى عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب لهم دعاء وانما هو قول بالسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما استجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاى رضا المساكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وانصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعدلوا الغائب وادوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي ان اكلم البشر اذا لكلمتهم وكففت اذاهم وكنت نور ابصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم واعمرت اركانهم وكنت قوة ايديهم وارجلهم وكنت السنتهم الا انهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتى انها اقاويل منقولة واحاديث متواترة وتاليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا ان لو يشاؤا ان يأتوا بحديث مثله لفعلوا وان يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اذا طلعوا وكلهم يستخفى بالذي يقول ويسروهم يعلمون انى اعلم غيب السموات والارض واعلم مايبدون وما يكتمون وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته على نفسي وجعلت له اجلاً مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه وفي اي زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها اقضى فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التى ادبر بها امر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فانى قضيت يوم خلقت السموات والارض بان اجعل النبوة في الاحرار واجعل الملك فى الرعاء واجعل العز فى الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى فى الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفاوز والثرى في الغيطان والعلم في الجهلة والحكم في الاميين فسلهم من هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من انشئه ومن اعوان هذا الامر وانصاره فانى باعث لذلك نبيا اميا لا أعمى من العميان ولا ضالا من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق ولا متزيا بالفحش ولا قوالا بالخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره

والتقوى

فاذارايت جماعة قداقبلوا ومعهم تابوت يضعونه الي جانب تابوتى فخذ التابوت الذى ياتون به وعد به الى الزاوية واخرج الرجل الذى فيه وافعل معه ما كان يجب عليك ان تفعله معى فقلت له ياسيدى كيف هذا الحال فقال يا ولدي كان ذلك فى الكتاب مسطوراً هذا ما جرى فى اللوح المحفوظ فلله الامر من قبل ومن بعد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال فلما كان بعد ثلاثة ايام اضطرب الشيخ وتغير لونه واسود وجهه واستدار الي الشرق وانكب على وجهه فبكيت على ذلك بكاء شديدا ولحقني عليه من الحزن مالا يعلمه الا الله تعالى ثم انى تذكرت وصية الشيخ فوضعته في تابوت فلما جاء الليل خرجت به الى المكان الذى قال لى عليه فمكثت به حتي طلعت الشمس فاذا بجماعة قد اقبلوا ومعهم تابوت فوضعوه الى جانب تابوت الشيخ فتقدم رجل وهم ان يحمل ذلك التابوت فمنعته عنه وقلت له لا سبيل لاخذه حتى تخبرنى بخبر صاحب هذا التابوت فقال الرجل نعم يااخى انا خادم هذا البترك الذى في هذا التابوت اربعين سنة فلما كان قبل موته بثلاثة ايام

والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدي امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخملة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد الفقر واجمع به بعد الفرقة واؤلف به قلوبا مختلفة واهواء مشتتة وامما متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء رضوان الله الهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها والله أعلم

﴿ قصة ارمياء عليه السلام ﴾

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعيا رجلا منهم يقال له ناشئة بن اموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر ارمياء بن خلقياء وكان من سبط هرون بن عمران وانما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تزهو خضراء فقال الله تعالى لارمياء حين بعثه الى بني اسرائيل يا ارمياء من قبل ان اخلقك اخترتك ومن قبل ان اصورك في بطن أمك قدستك ومن قبل ان اخرجك من بطن امك طهرتك ومن قبل ان تبلغ السعي نباتك ولامر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمي وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارمياء اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تنصرني فقال الله تعالى أنا الهمك فقام ارمياء فيهم خطيبا ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في اخرها ان الله قال فاني أحلف بعزتي وجلالي ان لم ينتهوا لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى أرمياء عليه السلام اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء بكى وصاح وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع ارمياء وبكاءه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يارب أهلكني قبل ان أرى في بني اسرائيل ما لا اسر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحدا من بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال والذي بعث موسى بالحق لا ارضي بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك اتى الملك الخبر فقال الملك لارمياء انت زعمت ان الله اوحى اليك فقال ارمياء ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل واراد الله هلاكهم بعث الله الى ارمياء ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له يا نبي الله اني أستفتيك في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيد اكرامي اياهم الا استخفافا بي فافتني فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فما مكث الا اياما ثم

أحضرني وقال ياولدي لي عليك حق ولك على حق ومن تمام حقي عليك ان تحفظ وصيتي وتصغي لما اقول لك قلت نعم فقال يا ولدي بقي من عمري ثلاثة ايام واموت على دين الاسلام فاذا مت فضعني في تابوت بثيابي ليلا واخرجني الى المكان فلانى تجد تابوتا موضوعا فضع تابوتي بجانبه وخذ التابوت الذي هناك وارجع به الى الكنيسة ومهما كان يجب عليك ان تفعله معي فافعله مع صاحب ذلك التابوت فانه كان من الابدال فلما كان بعد ثلاثة ايام تهلل وجه البترك بالفرح ونطق بالشهادتين ومات مسلما ففعلت ما امرني به واتيت الى ههنا وهذا حديثي يا اخي قال فحملت ذلك التابوت الذى جاؤا به واخذوا تابوت الشيخ ومضوا به فجئت بذلك التابوت الى الزاوية واحضرت الفقراء وفتحت لهم التابوت فاذا فيه شيخ عليه نور ساطع فاخرجته من التابوت ونزعت ثيابه وغسلته انا والفقراء وصلينا عليه ودفناه في الزاوية وكان يوما مشهودا فهذا حديثي يا اخي ثم خرجت بعد دفنه هائما على وجهي من

أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء اوماطهرت اخلاقهم لك بعد قال يانبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ماعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى اهل رحمه الا قدمتها اليهم وافضل قال أرمياء عليه السلام ارجع الى أهلك فاحسن اليهم وسل الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يانبي الله اين ماوعدك الله به قال اني بربي لواثق ثم اقبل الملك على ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه وقال له انا الذي اتيتك في شأن اهلي مرتين فقال له ارمياء عليه السلام ألم يأن لهم ان ينتهوا من الذي هم فيه فقال له يانبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم رايتهم في عمل لا يرضى الله تعالى فقال ارمياء عليه السلام على اي عمل رايتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك واتيتك لاخبرك واني اسالك بالله الذي بعثك بالحق نبيا الا مادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال ارمياء يامالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم قال فما خرجت الكلمة من فم ارمياء تماما حتى ارسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة ابواب من ابوابه فلما راي ذلك ارمياء صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يامالك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني فنودي انه لم يصبهم الذي اصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن ارمياء عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فطار ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم امر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وامرهم ان يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل ذلك فاصاب كل واحد منهم اربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود واحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبطي زبالون بن يعقوب واربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بني اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقره بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب باوانى بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين الفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التي أنزلها الله على بني اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعني بختنصر وجنوده * وكان بدء أمر بختنصر على ماروي حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد بكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يارب ارني هذا الرجل الذى جعلت هلاك بني اسرائيل على يديه فارى فى المنام انه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال واعبد له وكان رجلا موسرا فقيل له اين تريد قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برىء

خوف سوء الخاتمة وهذا سبب توبتي فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونعوذ به من مكره وغضبه وعقابه

ياويح من خلى سبيل الهدى
وفاته منك بلوغ المرام
فمن اتى حصنك آويته
فركنه فى عزه لا يضام
كم صالح قد صف اقدامه
في الليل يبكى بالدموع السجام
وماله حظ سوى انه
اشقاه مولاه بطول القيام
وكم قريب خاب ظنا وما
نال سوى التعذيب والانتقام
وكم بعيد نال ما يرتجى
وحاز فى عقباه اعلى مقام
من لم يكن للوصل اهلا فما
يفيده القرب ولا الاعتصام
فسطوة الاقدار لا تعتدي
فانتبهوا من نومكم يانيام
ياايها المذنب قم واعتذر
وتب من الذنب وكسب الاثام
الى متى انت ترى غاديا
ورائحا في اللهو طول الدوام
انب الى الله وتب واستقم
من قبل ان تشرب كاس الحمام
فان تخف قبح ذنوب مضت
فلذ بخير الخلق بدر التمام
محمد المختار من هاشم
افضل من حج ولبي وصام

فكساه واعطاه نفقة ثم اذن الاسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلي مايبكيك فقال أبكى لانك فعلت معي مافعلت ولا اجد شيأ أجازيك به فقال جزائي شيء يسير قال وماهو قال له ان صرت ملكا وملكت بيت المقدس أتعطيني ماأطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزئ بي ولا يمنعه ان يعطيه ماسأله الا انه يرى انه يستهزئ به قال فبكى الاسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك ان تعطيني ماسألتك الا الله تعالى يريد ان ينفذ قضاءه فكتب له كتابا وضرب الدهر ضرباته فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو انا ارسلنا طليعة الى الشام قالوا ماضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة الف فخرج بختنصر في مطبخه لم يخرج الاليأكل في مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر اهل الارض فرسانا ورجالا جلدا فكبر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شيء وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجالس مجالس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم ان تغزوا بابل فلو غزوتموها لنلتم منها شيئا كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى نتفقد مجالس أهل الشام ونعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فاخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختنصر رجع معهم فجعل يقول الفراش الملك لو دعاني الملك لاخبرته عن الخبر الذي اخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعاه فاخبره بالخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر اهل الارض كراعا ورجالا جلدا كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء واني لم أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه اسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فضحتني لك مائة الف دينار وترجع عما قلت فقال له لو أعطيتني بيت مال بابل مارجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا أمسكوا ماقدروا عليه فقالوا ماضرك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي اخبرني بما اخبرني فدعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه اربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات صيحون الملك فقالوا استخلفوا املكا قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهم فرسانكم فامهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه فقسمه بين الناس فقالوا ما رأينا احدا احق بالملك منه فهذه القصة الاولى فملكوه على انفسهم (وقال السدى) باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن ارملة من اهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فاقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت امه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى راسه حزمة حطب فالقاها ثم قعد في جانب البيت وكلمه ثم اعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فاكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي اني احب ان تكتب لي امانا اذا انت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر أتسخر مني قال لا أسخر منك ولكن ماعليك أن تجعل عندي لك يدا فكلمته أمه فقالت ماعليك ان كان والا لم ينقصك شيئا فكتب له أمانا فقال أرأيت ان جئتك والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي علامة تعرفني بها قال ترفع صحيفتك على قصبة فاعرفك بها فكتب له امانا واعطاه اياه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيي بن زكريا عليهما السلام ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع امرا دونه وان الملك هوي ان يتزوج بنت امرأة له هذا قول السدي * وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيي بن زكريا عليهم السلام في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه ويريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث في قتل

صلى عليه الله ماشرقت طلائع الصبح وولى الظلام (وحكى عن منصور بن عمار عفا الله عنه انه قال) كان لي اخ في الله تعالى يتفقدني في شدتي ورخائي وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء فلما كان بعد ايام فقدته فسألت عنه فقيل لي انه ضعيف فسرت الى بيته وطرقت عليه الباب فخرجت الي ابنته وقالت ماتريد فقلت لها قولي لابيك فلان اخوك يريد ان يدخل اليك فدخلت وعادت لي وقالت ادخل فدخلت اليه فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على الارض وقد تغيرت صورته واسود وجهه وازرقت عيناه وتقلصت شفتاه فقلت له وانا خائف منه يااخي اكثر من قول لااله الا الله ففتح عينيه ونظر الي ثم غشي عليه فلما افاق قلت له يااخي اكثر من قول لااله الاالله ففعل كما فعل اولا فقلت ثالثا اكثر من قول لا اله الا الله وان لم تقلها لاغسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك ولا دفنتك قال منصور ففتح عينيه ونظر الي وقال يااخي يامنصور كلمة حيل بيني وبينها فقلت لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قلت يااخي فاين الصلاة

يحيي بن زكريا عليهما السلام (رجعنا الى حديث السدى) قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيي حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وطيبتها والبستها من الحلى شيئا لاقيمة له من غايته والبستها فوق ذلك كساء اسود وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه الخمر وان تتعرض له فان راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ماسألته ويكون الذى تسأله ان تأتى برأس يحيي بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتتعرض له فلما اخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أسألك ان تبعث الى يحيي بن زكريا فتأتيني برأسه فى طشت فقال ويحك سليني غير هذا قالت ماريد غير هذا فلما أبت عليه بعث الى يحيي فاتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهى تقول انها لا تحل لك ولما اصبح الملك واذا دم يحيي يغلى فامر بالتراب فالقي عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فالقي عليه ايضا وارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينه وهو مع ذلك يغلى فبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فاتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذي أرسلت تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام اهلها فابعثني فبعث بختنصر حتي اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم اهله تحصنوا فى مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع اصحابه ارادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بني اسرائيل وقالت أين أمير الجند فاتى بها اليه فقالت له بلغني انك تريد الرجوع بجندك قبل ان تفتح هذه المدينه قال نعم قد طال مقامى وجاع اصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت ارأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطينى ما أسألك وتقتل من آمرك بقتله وتكف عمن آمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة اقسام ثم اقم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يارب بادلنا على من قتل يحيي بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تسقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيي ابن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبى لايرضى حتي يقتل من قتله ومن رضي بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بني اسرائيل قتلوا يحيي بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بني اسرائيل وسراياهم

(قصة دانيال عليه الصلاة والسلام)

وذهب دانيال وقوم من اولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسال عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع اصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد احسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لاعبرها له فجاء السجان وأخبر بختنصر بقصة دانيال فقال على به وكان لايقف بين يديه أحد الا سجد له فاتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ماالذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى أن لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره أن ينزع مني العلم الذى آتانى ويهلكني

فاعجب

والعبادة والصيام والبكاء والدعاء فقال كل ذلك كان لغير الله تعالى وانما كنت افعل ذلك رياء للناس وسمعة حتى يقال على واذكر به وكنت اذا خلوت بنفسى اغلقت الابواب وارخيت الستور وشربت الخمور وبارزت مولاى بالمعاصي ودمت على ذلك مدة من الزمان فاصابنى مرض اشرفت منه على الموت فقلت لابنتى هذه ناولينى المصحف فأتت به الى فقرأت فيه حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق مافي هذا المصحف من كلامك القديم أن تعافينى وتفرج عنى وانا لا أعود الى معصيتك ابدا قال ففرج الله عنى وعافانى فلما شفيت عدت لما كنت فيه من اللهو واللعب والشهوات واللذات وانساني الشيطان ذلك العهد الذي بينى وبين مولاى فصرت على ذلك الحال مدة من الزمان فوقعت فى مرض آخر أشرفت منه على الموت فامرت اهلى ان يخرجوني الى وسط الدار ثم طلبت المصحف وقرأت فيه

فاعجب به وقال نعم ماقلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده وأجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال نعم قال فاخبرنى فاخبره برؤياه التى رآها قبل ان يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى فى منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب رأي شجرة اصلها فى الارض وفرعها فى السماء ثم رأى رجلا بيده فاس وسمع مناديا ينادي اضرب جزعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال اما الصنم الذى رايت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت افضل الملوك واما الصدر الذي رايت من فضة فهو ابنك يملك من بعدك واما البطن الذي رايت من نحاس فملك يكون بعد ابنك واما مارايت من الفخذ الذى من حديد فتفرق فرقتان فى فارس تكونان اشد الملوك واما الفخار فآخر ملكهم يكون دون الحديد واما الحجر الذي رايت قد وقع من السماء وربا حتى ملاء ما بين المشرق والمغرب فنبي يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كلهم ويربو ملكه حتى يملاء ما بين المشرق والمغرب واما الشجرة التى رايت والطير الذي عليها والسباع والدواب التى تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائرا نسرا عظيما فتملك الطيور ثم يردك الله ثورا فتملك الدواب ثم يردك الله اسدا فتملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها واما مارايت من ان اصلها قائم فان ملكك قائم فسئل بن منبه اكان مؤمنا ام لا فقال وجدت اهل الكتاب قد اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب التى فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ توبته قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه واخبره بها اكرمه واكرم اصحابه وجعل يقبل عليه ويستشير في اموره حتى كان اكرم الناس عليه واحبهم اليه فحسده المجوس على ذلك فوشوا به وباصحابه وباصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال واصحابه ما يعبدون الهك ولا ياكلون ذبيحتك فدعاهم وسالهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا ناكل من ذبيحتكم فامر باخدود فخدلهم والقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضاريا كلهم ثم قال انطلقوا لنا كل ونشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم بشيء ووجدوا معهم رجلا زائدا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار فى الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدى فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس أيضا ووشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما وشرابا فاكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضربه بالطبرزان فان قال أنا بختنصر فقل له كذبت ان بختنصر أمرني فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرني أن أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه فقتله (وأما) محمد بن اسحق فانه قال في هلاك بختنصر

وقلت اللهم بحق هذا القرآن العظيم الا ماعافيتنى وفرجت عنى وانا لااعود الى معصية ابدا فاستجاب الله تعالى منى وفرج عنى فعدت الى ما كنت فيه حتى وقعت في هذا المرض فامرت أهلى ان يخرجونى الى وسط الدار كما ترى ثم طلبت المصحف لاقرأ فيه فلم يتبين لى فيه حرف واحد فعرفت ان الله سبحانه وتعالى غضب على غضبا شديدا فرفعت بصري الى السماء وقلت الهى بحرمة هذا المصحف الا ما فرجت عني وعافيتني وأنا لا أعود ياجبار السموات والارض فبينما انا كذلك اذ سمعت قائلا يقول ولا أري شخصه شعرا

تتوب من الذنوب اذا مرضتا
وترجع للذنوب اذا بريتا
اذا ما الضر مسك أنت باك * وأخبث مايكون اذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلاء اذا بليتا
اما تخشى هجوم الموت ياذا * وانت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد لطفا عليك ولاخشيت

غيرما قال السدى وذلك أنه قال باسناده لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان فى يده من بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وماهذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فاخبرونى ما الذى يطلع بى الى السماء وأطلع عليها فاقتل من فيها وأتخذها ملكا فانى قدفرغت من الارض ومافيها قالوا مايقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أو لاقتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهو بعوضة دخلت فى منخره ثم ساخت فيه حتي عضت بام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا انامت فشقوا رأسي وانظروا ماالذى قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بام دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقى فى يده من بنى اسرائيل ورحمهم وردهم الى ايلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وستذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين يوما ولما مات بختنصر استخلف ابنه فلسطاس وكانت آنية بيت المقدس التى حملها بختنصر الى بابل عنده وكان نجسها بلحوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطاس قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهده ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ماهى فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتاويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فانجز وجمع ففرق فقال اما قوله وزن فخف أى وزن عملك في الميزان فخف ووعد فانجز اى وعد ملكك بالخراب فانجز اليوم وجمع ففرق اى جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الي يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى اهلكه الله تعالى وضعف ملكهم وبقى دانيال عليه السلام بارض بابل الى ان مات بالسوس والله اعلم

﴿خبر وفاة دانيال عليه السلام﴾

قال اهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد ابى موسى الاشعري فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل ابوموسي ملكها سابور واحتوى على المدينة فغنم مافيها واخذ اموال سابور وملكها وجعل يدور فى الخزائن فيأخذ مافيها حتي افضي الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال ابوموسى الاشعرى لاهل السوس مافى هذه الخزانة فانى اراها مختومة بالرصاص فقالوا والله ايها الامير ليس فيها شيء من حاجتك فقال لابد لى ان اعلم مافيها فافتحوا بابها حتي انظر مافيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل ابوموسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن باكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتعجب ابوموسي من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا انفه فاذا هو يزيد على شبر فقال ابوموسي لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان اهل العراق اذا حبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فاصابنا من قحط المطر ما كان يصيب اهل العراق فارسلنا اليهم وسألناهم ان يدفعوه الينا حتى نستسقى به فابوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى ان لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى ان ادركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فاقام ابوموسي الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره

ولاوعيتا وكم عاهدت ثم نقضت عهدا وأنت لكل معروف نسيتا قال منصور ابن عمار فقمت من عنده وخرجت وعينى تسكب العبرات عليه فما وصلت الى بيتي حتي قيل لى انه قدمات فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فكم من نفس مكر بها عند الموت بعد أن كانت صوامة قوامة فلا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا نعوذ بك من مكرك وغضبك وعقابك ياأكرم الاكرمين ياالله (وحكى عن منصور بن عمار ايضا رضي الله تعالى عنه انه قال) رايت شابا فى بعض الايام يصلى صلاة الخائفين فقلت في نفسي هذا الشاب لعله من اولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له ياشاب اما تعلم ان فى جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما افاق قال زدنى يامنصور رحمك الله فقلت ياايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون

بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وماوالاها وكتب في كتابه امر ذلك الرجل الميت فلماوصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا اكابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن قصة دانيال من اولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره ان يصلي عليه و يدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبي موسى بذلك فلما قرأ ابوموسى كتاب عمر امر اهل السوس ان يكفوا ايديهم الى موضع آخر ثم امر بدانيال فكفن با كفان غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم امر بقبر فحفر له في وسط النهر ثم دفنه واجري عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه الى يومنا هذا والله اعلم (قال الاستاذ) رضي الله تعالى عنه فهذا الذي ذكرت جميع امر بختنصر الذي جاء في التفسير الان رواية من يروى ان بختنصر هو الذي غزا بني اسرائيل عند قتلهم يحيي غلط عند اهل السير والاخبار والعلماء بامور الماضين من اهل الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياء وفي عهد ارمياء عليه السلام وهي الواقعة الاولى التي قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي باس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعني بختنصر وجنوده قالوا ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيي بن زكريا أربعمائة واحدى وستون سنة وذلك انهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى اخر عمرانه في عهد كربن ابن حرسو بن شير بن أصهل ببابل من قبل بهمن اسفندبار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيي بن زكريا ثلثمائه وثلاثون سنة وانما الصحيح في ذلك ماذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنواسرائيل بيت المقدس بعدما عمرت الشام وعاد اليها ملكها بعد خراب بختنصر اياها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا و يحيي وعيسى عليه السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيي بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين اظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم امر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنورازادان صاحب القتل فقال له اني قد حلفت بالهي لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري الا أن لا أجد أحدا أقتله فامره أن يقتلهم حتي يبلغ ذلك منهم ثم ان بنور ازادان دخل بيت المقدس فاقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسالهم عنه فقالوا هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فلذلك هو يغلي كما نراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فقبل منا الا هذا قال ماصدقتموني الخبر فقالوا له لوكان أول دمائنا لقبل منا ولكنه قدانقطعت منا الملوك والانبياء والوحى فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنورازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعة آلاف من بنيهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما راى بنور ازدان الدم لا يهدا قال لهم و يلكم يابني اسرائيل اصدقوني قبل ان افنيكم واصبروا على امر ربكم فلقد طالما ملكتم في

الله ماامرهم و يفعلون ما يؤمرون. قال فخر الشام ميتا رحمة الله عليه فكشفت عن ثيابه لاغسله فوجدت على صدره مكتوبا بقلم القدرة فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية قال منصور فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته ثم نمت فرايته في المنام على سرير من ذهب وعلى راسه تاج من ذهب مكلل باللآلىء وهو في زينة عظيمة فقلت له مافعل الله بك فقال غفرلى وأعطاني ثوابا مثل ثواب أهل بدر وزادني على ذلك اضعافا فقلت له لم ذلك فقال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بمحبة العزيز الغفار رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) كان في قديم الزمان رجلان أحدهما عابد والآخر فاسق وكانا اخوين شقيقين وكان العابد يتمنى ان يري ابليس لعنه الله في محرابه فتمثل له يوما من الايام وقال له يافلان اسفا عليك ضيعت عمرك في اتعاب نفسك وهوار بعون سنة وقد بقي من عمرك مثل مامضى فانطلق الى شهوات نفسك ولذاتها عشرين سنة وتب بعد ذلك وعدالى

الارض تفعلون ماشئتم اصدقوني قبل ان لااترك منكم نافخ نار لاانثي ولاذكرا الاقتلته فلما
راوا الجد وشدة القتل اصدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط
الله فلو اننا اطعناه فيها لكان ارشدلنا وكان يخبرنا بامركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلي فقال
بنورازادان ما كان اسمه قال يحيي بن زكريا قال الآن صدقتموني بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما
راى بنورازادان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا
من جنس كردوس وابقى من بقي من بني اسرائيل ثم قال يا يحيي بن زكريا قد علم ربي وربك ما اصاب
قومك من اجلك وما قتل منهم من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لاابقى احدا من قومك فهدا
دم يحيي بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذى آمنت به بنو اسرائيل
وصدقت به وايقنت انه لارب غيره فاوحى الله تعالى الى راس من رؤس بقية الانبياء ان بنورازادان
حنون صدوق وحنون بالعبرانية حديث الايمان ثم ان بنورازادان قال لبني اسرائيل ان عدو الله
كردوس امرني ان أقتل منكم حتي تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لست استطيع ان اعصيه فقالوا
له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا ثم امر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر
والغنم فذبحوها حتي سال الدم في العسكر وامر بنقل اللذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من
مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الا ان ما في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم الي عسكره
ارسل لي بنورازادان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغتني دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد افني
بني اسرائيل اوكاد ان يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي انزل الله تعالى فيها قوله تعالي وقضينا الى بني
اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الآيات فكانت الواقعة الاولى لبختنصر وجنوده
ثم رد لهم الكرة وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم
من بعد ذلك قائمة ولاراية وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم واليونانية الى ان تناسل بنو اسرائيل
وكثروا وانتشروا بعد ذلك واحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم
بالطوس بن اسنايوس فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالي منهم الملك والرياسة وضرب عليهم
الذلة فليسوا فى امة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والملك فى غيرهم وبقي بيت المقدس خرابا
الى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بامره والله اعلم

﴿باب فى ذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها﴾

قال الله تعالى اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها الآية واختلفوا في ذلك المار من كان
فقال عكرمة وقتادة والربيع بن انس والضحاك والسدى هو عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه
وعبدالله بن حميد وعبيد بن عمير هو ارمياء بن خلقياء وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر
واختلفوا ايضا في القرية التي مر عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هى بيت المقدس وقال
الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدى هى سلماباد وقال الكلبي هى دير سابراباذ وقيل هرقل
وقيل هى قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ماروى محمد بن اسحق
ابن يسار عن وهب بن منبه ان بختنصر لما وطيء الشام وخرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل
وسباهم طار ارمياء حتى خالط الوحوش فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل
اقبل ارمياء على حماره ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشي ايلياء فلما وقف عليها وعاين خرابها قال
انى يحيي هذه الله بعد موتها ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه
الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع الله

السباع

فان الله تعالى غفور رحيم
فقال العابد انى لانزل الى
أخى في أسفل الدار واوافقه
على اللهو واللعب
والشهوات واللذات
عشرين سنة ثم اتوب بعد
ذلك وأعبد الله تعالي
العشرين الاخرى ولم
يعرف ان ذلك مكيدة من
بليس لعنه الله تعالى وقال
اخوه المسرف على نفسه قد
افنيت عمري فى المعاصي
واخى يدخل الجنة وانا
أدخل النار والله لاقومن
ولاصعدن الى اخى
واوافقه على الطاعة
والعبادة باقى عمرى لعل
الله تعالي ان يغفرلى قال
فطلع العاصي على نية التوبه
ونزل العابد على نية المعصية
فزلقت رجل العابد فوقع
على اخيه فمات الاثنان
فحشر العابد على نية المعصية
وحشر العاصى على نية
التوبة فانظر ياأخى كيف
ختم للطائع وكيف ختم
للعاصي كما قال عليه الصلاة
والسلام الاعمال بخواتيمها
وقال انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرء مانوى
فنسأل الله تعالى حسن
الخاتمة ونسأله الامان من
زوال الايمان آمين (وحكى
عن مالك بن دينار عفا
الله تعالى عنه ونفعنا به انه
قال) دخلت جبانة البصرة

اسماع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة ارسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك ان تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وارضها حتى يعودا اعمر ما كانا فانتدب الملك الف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا احد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يامرك ان تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يامرك ان تحيا فقام حماره ينهض باذن الله تعالى وعمر الله ارمياء فهو الذى يوجد فى الفلوات (اخبرنى) ابن فتحويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب اهل الكهف وحمار ارمياء الذى اماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل اربعين الف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم فى العلم فاقدمه مع سبايا بنى اسرائيل الى ارض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك فى البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فاماته الله مائة عام ثم بعثه فاتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وذلك ان الله تعالى اماته ضحى واحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال او بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعنى التين وشرابك يعنى عصير العنب لم يتسنه يعنى لم يتغير وانظر الى حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فاحيا الله تعالى راسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئة يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشرها وقال آخرون اراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو انه عاد الى قريته وأولاده وأولاد اولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو اسود الرأس واللحية (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين ابن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما احيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى محلته فانكر الناس وانكر منازله فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة له فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته فلما اصابها الكبر اصابتها الزمانة فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة احدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فانى انا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فانى انا عزير كان الله قد اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيما فيه الله تعالى ويشفيه فادع

(١) قوله مع كل قهرمان ثلثمائة الف الخ كذا بالاصل وهو مما لا يمكن عادة كما لا يخفى اه مصححه

فاذا سعدون المجنون جالس بها فقلت له كيف انت وكيف حالك ياسعدون فقال كيف حال من امسى واصبح يريد سفرا بعيدا بلا زاد ولا راحلة ولا همه ويقدم على ملك الحاكم بين العباد ثم بكى فقلت له ياسعدون ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت ولكن بكيت ليوم مضى من عمرى لم يحسن فيه عملى وابكانى والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤد ولم ادر بعد ذلك اصير الى الجنة ام الى النار قال مالك فسمعت منه كلام حكمة فقلت له ياسعدون ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وانت اغتررت يامالك بما اغتر به الناس يزعمون انى مجنون ومابى من جنون ولكن حب مولاى قد خالط قلبي واحشائى وجرى بين لحمى ودمى وعظامى وانا والله من حبه هائم مشغوف قال مالك فقلت له ياسعدون فلم لاتخالط الناس ولا تخاطبهم فانشد يقول

خذ عن الناس جانبا
وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئت
تجدهم عقاربا

(قيل) وكان سعدون المجنون رضى الله تعالى عنه

﴿ مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور واختلفوا في نسبه فقال محمد ابن اسحاق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناخور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن اخت ايوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة ايوب وقال الواقدي كان قاضي بني اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من اجل انك اسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولقمان الحكيم كان اسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الحمشاوي لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرني) ابن فنجويه باسناده عن سعيد ابن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء أنه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الحمشاوي عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا عصمه الله تعالى كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه الله فمن عليه بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم انه ان فعل بي اعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان اصاب فارجوا ان ينجوا وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا تبقى له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهوى بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطى داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة

(باب في ذكر بعض ماروى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من اهون مملوك على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاؤا وليس معهم شيء وقد اكلوا الثمرة واحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله امينا فاسقني واياهم ماء حميما ثم ارسلنا لتقذفه ففعل فجعلوا يتقايؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقايا ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فاول ماروي من حكمته انه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فاطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يتجع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على ان يشرب ماء بحيرة فلما افاق عرف ماوقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال اخرج كراسيك واباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على اي شيء خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها مواد فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف يستطيع

الجواري فلما رآها الرجل قال يا جارية صاحب هذه الدار حر أم عبد فقالت له الجارية بل حر فقال لها صدقت لو كان عبدا لاستعمل آداب العبودية وترك اللهو واللعب ثم تركها ومضى قال بشر فاتت الى الجارية واخبرتني بذلك فذهبت الى الباب مسرعا حافيا فوجدت الرجل قد مضى فتبعته حتى لحقته ثم قلت له انت الذي وقفت بالباب فقال نعم فقلت له أعد علي ما قلته فاعاده علي قال بشر فمرغت خدي على التراب وقلت بل عبد ابن عبد ثم همت على وجهي حافيا حتى عرفت بالحافي فقيل لي لم لا تلبس نعلين تقيانك من الحر والبرد فقلت ما صالحني مولاي الا حافيا قال فكان كذلك حتى مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به وببركاته ومددنا من مدده (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) كان ببغداد رجل من التجار كنت سمعته يتكلم في حق السادة الصوفية بكلام قبيح ثم رايته بعد ذلك بمدة يسيرة قد صحبهم وانفق ماله عليهم فقلت له كنت قبل الآن تبغضهم قال نعم كان قلبي مهتما بذلك صليت الجمعة يوما من الايام بمسجد

ان نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (اخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني باطيب مضغتين ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتني باخبث مضغتين منها فجاءه باللسان والقلب فقال له امرتك ان تأتيني باطيبها مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تاتيني باخبثها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب فقال له انه ليس باطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا (واخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد ابن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس (واخبرنا) عبدالله باسناده عن ابى هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له الست العبد الاسود الذى كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانة وترك مالا يعنيني (أخبرنى) الحسين ابن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد ولده كالماء للزرع وعن عبدالله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فلقاه غلامه فى الطريق فقال له ما فعل أبى قال مات قال الحمد لله ملكت امرى قال فما فعلت امرأتى قال ماتت قال جدد فراشى قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل أخى قال مات قال انقطع ظهري (أخبرنا) الحسين بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أى الناس أشرف قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على الناقش (وروى) المحاربى عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثيرون فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا يابنى كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم فى كل يوم ينقصون يابني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخل فيها دخولا فتضر فيها باخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يابني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتمارى به السفهاء او ترائى به في المجالس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة يابني اختر المجالس على عينيك فان رايت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان تكن جاهلا يعلموك ولعل الله ان يطالعهم برحمته فتعمك معهم واذا رايت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا ولعل الله يطالعهم بالعقوبة فتعمك معهم يابنى لا تضع برك الا عند راعيه كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يابنى كن عبدا للاخيار ولا تكن خليلا للاشرار يابني كن امينا تكن غنيا ولا تر الناس انك تخشى الله وقلبك فاجر يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم والطف بهم فى السؤال اذا تركوك ولا تعجزهم فيملوك يابني لا تطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأى ويزرى بالعقل يابنى ان تادبت صغيرا انتفعت كبيرا يابنى اذا سافرت فلا تامن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا ان تكون في محل يمكنك فيه التمدد واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك واياك والسفر فى اول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود من الادوية ما تنتفع به انت ومن معك وكن لاصحابك موافقا موافيا الا في معصية الله يابني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يابني لا تامر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه يابنى لا تحقرن من الامور صغارها ان الصغار غدا تصير كبارا يابنى اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك يذهب حياؤك

بغ ادهم خر بشر الحافي خارجا من الم فقلت فى نفسى انظر الى هذا الرجل الموصوف بالزهد والورع لم يستقر فى المسجد ساعة فتبعته حتى دخل السوق ووقف على الخباز واشترى بدرهم خبزا ثم تقدم الى الشوى فاشترى منه بدرهم ثم اشترى بدرهم حلواء فقلت فى نفسى لا ابرح عنه حتى انظر ماذا يصنع بهذا فخرج الى الصحراء فتبعته وانا اقول يريد الماء والخضرة فما زال يمشي وانا خلفه الى قريب العصر حتى دخل مسجدا خربا فيه مريض فجلس عند راسه وصار يطعمه لقمة بعد لقمة وانا انظر اليه فقمت لانظر ذلك المسجد وما حوله فغبت ساعة ثم رجعت الى المسجد فلم اجد بشرا الحافى فسألت المريض وقلت له اين الذى كان يلقمك فقال بشر الحافى فقلت نعم واين هو فقال توجه الي بغداد فقلت كم بينى وبين بغداد قال اربعون فرسخا يعني مسيرة خمس مراحل قال فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ماهذا الذى فعلت بنفسي وليس معى شيء اكترى به ما اركبه ولم اقدر على المشي قال

١٠ / تنبيه =

و بهائوك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا يا بني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب والزم نفسك التودد في امورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه واظهر بشره و بسطه حظي عند الابرار واحبه الاخيار وجانبه الفجار يا بني لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان اردت ان يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في ايدى الناس فان ما بلغ الانبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما في ايدى الناس يا بني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقي قليل من قليل القليل يا بني اجعل معروفك في اهله ولا تضعه في غير اهله فتخسره في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطيه تبذيرا يا بني الزم الحكمة تكرم بها واعزها تعز بها وسيد اخلاق الحكمة دين الله عزوجل يا بني للحساد ثلاث علامات يغتاب صاحبه ان غاب و يتملق اذا شهد و يشمت فيه بالمصيبة * تم خبر لقمان الحكيم وما وصى لابنه انعم والله اعلم

﴿ مجلس في قصة بلوقيا ﴾

(اخبرنا) ابو بكر محمد ابن عبد الله الجزرقي باسناده عن عبد الله ابن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له اوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف نعت النبي عليه السلام وامته في التوراة فخباه وكتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة ابيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده اوشيا و بقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده فتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسال الخزان عن ذلك فقالوا لا ندرى فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه اوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وامته مختومة بالمسك فمحاها وقرأ ما فيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا ابت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل فرده الى اهله فقال بنوا اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره واخرجناه منه واحرقناه بالنار فقال يا قوم لا ضير انه تبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وامته بالتوراة قال وكانت ام بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال اسأل عن محمد وامته فاسأل الله تعالى ان يرزقني الدخول في دينه فاذنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو يسير اذا انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كأمثال الابل عظما وفي الطول ما شاء الله وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له ايها الخلق المخلوق من انت وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا ايتها الحيات من انتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درك من دركاتها ولا باب من ابوابها ولا سرداق من سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا ايتها الحياة هل في جهنم مثلكن او اكبر منكن فقلن ان في جهنم حيات تدخل احدانا في انف احداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى اتى جزيرة اخرى فاذا هو بحيات كامثال الجذوع والسوارى وعلى متن احداهن حية صغيرة صفراء كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا انفخت صرن تحت الارض خوفا منها قال فلما رأيتها ورأتني قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمى بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبرني

الجوار، عند المريض في المسجد الى الجمعة الاخرى حتى جاء يوم الجمعة ومعه شيء يؤكله المريض فلما فرغ من اطعامه قال له المريض يا ابا نصر هذا الرجل صحبك من بغداد في الجمعة الماضية وهو مقيم عندي قال فنظر الى بشر كالمغضب وقال لم صحبتني فقلت اخطأت يا سيدى واستغفرت الله العظيم مما كان مني فقال بشر الحافي قم فامش فمشيت معه الى قرب المغرب فدخل بغداد قال ابن محلك من بغداد فقلت في المحل الفلاني فقال اذهب ولا تعد لمثل هذا فتبت الى الله تعالى وصحبته رضى الله تعالى عنه ونفعنا به في الدارين آمين) وحكي عن بعضهم رضى الله تعالى عنه انه قال دخلت الخلوة في ايام جزبني وعاهدت ربي عزوجل ان لا آكل شيأ الا بمدار بين يوما فمكثت في الخلوة عشرين يوما فاشتد على الجوع والفاقة والضرورة فخرجت من الخلوة فسرت ولم اشعر بنفسي الا وانا في السوق فبينما انا كذلك اذا بفقير يتمنى على الله رطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء فتعجبت من ذلك وهو يمر على ولا يبكاني فقلت في

ايتها الحية من انت قالت انا موكلة بالحياة واسمى تمليخا ولولا انى موكلة بهن لامتلات بني آدم كلهم فى يوم واحد ولكنني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتى دخلن تحت الارض ولكن يابلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فاتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الخير فاتاه فسلم عليه فقال له يابلوقيا اليس هذا زمان محمد ولا زمان امته بينك و بينه قرون وسنون ثم قال عفان الخير يابلوقيا ارنى موضع الحية التي اسمها تمليخا فان قدرت ان اصيدها رجوت ان انال مملكة ملكا عظيما ونحيا حياة طيبة الى ان يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل فى دينه فمن حرص بلوقيا على الدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم قال انا اريك المكان فقام عفان واخذ تابوتا من حديد وعمل فيه قدحين من فضة في احدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتنحيا فجاءت الحية تبغى الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ودب الى التابوت دبيبا خفيفا فاغلق عليها باب التابوت وحصنه وأخذها ومراجميعا فلم يمرا بشجرة ولا نبت الا كلمهما باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت ياعفان من ياخذنى و يقطعني ويدقني و يعصرني ودهني و يطلي به قدميه فانه يخوض البحار السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق فقال عفان اياك له طلبت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصرماءها وأخرج دهنها وجعله في كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين السماء والارض وهى تقول يابني آدم ما أجرأكم على ربكم ولن تصلوا الى ما تريدون قال فذهبت الحية وسار عفان و بلوقيا الى البحر فطليا أقدامهما ثم دخلا فى اليم ومشيا فى الماء كانما كانا يمشيان على الارض حتى قطعا البحر الاول ثم الثانى فاذا هما بجبل في وسط البحر ليس بعال ولا متدار ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفى الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمني على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تنين وخاتمه بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه فى خاتمه وكان خاتمه من ذهب وفصه من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر فى كل سطر اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت ياعفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه ونرجو الحياة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سال ربه فقال رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدي فاعطاه اياه على ما سال ولا ينال ملك سليمان الي يوم القيامة لدعائه فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله معنا ومعنا اسم الله الاعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين ما اجرأك على ربك ان غلبتنا باسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال وكلما نفخ التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيهما شيأ ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شعلة كانها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته فى البحر فما مرت النفخة بشيء الا أحرقته ولا بماء الا سخنته وأغلته وأن بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الاعظم فلم ينله مكروه ثم تراءي جبريل عليه السلام فى صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطا ولم أتعمد قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضي بلوقيا فطلي قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذى جاء منه وأخذ فى طريق أخرى فسار ومضى ستة أبحر ووقع في السابع فاذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل

نفسي ان هذا الرجل الثقيل كيف يتمني هذه الشهوات العزيزة وانا اطلب كسرة يابسة لم تحصل لى قال فلما كان بعد ساعة حصل له ما تمناه فجاءنى بذلك واعطانيه وقال يافلان اتدرى من هو الثقيل الذى يخرج من الخلوة لاجل الشهوات و ينقض العهد يطلب من الطيبات والنفائس مايرد عليه القوة ثم قال ان الذى يطوى الاربعين يوما يطويها بالتدريج ثم قال لاتعد لمثلها أبدا ثم تركني ومضي فلم اره رضي الله تعالى عنه و نفعنا بهم اجمعين وجميع المسلمين آمين

(وحكي عن الشيخ المسمى بجوهر الشكور المدفون بعدن رضي الله تعالى عنه) أنه كان مملوكا فعتق فكان يبيع و يشتري فى الاسواق الا انه كان يحضر مجالس الفقراء و يعتقدهم اعتقادا شديدا وكان رجلا امينا فلما حضرت وفاة الشيخ العارف بالله تعالى شيخ الطريقة بعدن المدفون بها اجتمعت عليه الفقراء وقالوا ياسيدى من يكون شيخا بعدك فقال الذى يقع على راسه الطائر الاخضر في اليوم الثالث بعد موتي عند اجتماع

والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة يا خاطئ يا ابن الخاطئ لا تأخذ مني شيأ فبقي متعجبا واذا بحذاء الشجرة قوم يتراكضون وبايديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا باجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بني آدم فقالوا ما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذي أوقعك الينا فقال اني خرجت في طلب نبي اسمه محمد صلى الله عليه وسلم واني قد ضللت الطريق الذي أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله في السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامه ولسنا نموت الى يوم القيامه وأنت تصير معنا فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخرا يا صخر أخبرني عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا في سمائه سماه جبليت وخلقا في أرضه سماه تمليت فأما جبليت فانه خلق في صورة أسد وتمليت في صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما ان ينتفضا في النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما أن يتناكحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحي الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت مع الانس ولكنني أجلل فرسي وأرقمه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمال على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هناك فادفع الفرس اليهما وامش في حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والارض لم يبح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر قالا بل جاب بك في هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال خلوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله لعجيب فقالوا عجائب الله لا تنقضي ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي يوحاييل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي اليد اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدي لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت فلذلك الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم

الناس والفقراء عند قبري فيكون هو الشيخ عليكم ثم توفي الشيخ الى رحمة الله تعالى فاجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة ايام ينتظرون ما وعدهم الشيخ رضى الله تعالى عنه فبينما هم كذلك اذا بالطير الاخضر قد وقع قريبا منهم وارتفع فصار كل من الفقراء يتمنى ان يكون هو الموعود به فبينما هم منتظرون الوعد الكريم وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم اذا بالطير قد وقع على راس جوهر ولم يكن يخطر له ذلك ولا لاحد من الفقراء فقام الفقراء يزفونه الى الزاوية وينزلونه منزلة الشيخ فبكى جوهر وقال كيف أصلح لذلك وانا رجل سوقى ولم اكن اعرف طريقة الفقراء وعلى تبعات وبيني وبين الناس معاملات فقال له الفقراء هذا امر من الله عز وجل فالله يتولاك ويعينك ويعلمك وهو يتولى الصالحين فقال لهم جوهر فامهلوني حتى امضي الى السوق وأبرأ من حقوق الناس فاجابوه لذلك فذهب الى السوق ووفى كل ذى حق حقه ورجع الى الفقراء وترك السوق ولزم الزاوية والفقراء وصار جوهرا

بلوقيا ومضي فاذاهو بملك آخر قائم يده اليمني في السماء و يده اليسرى في الارض وقدماه تحت الثري وهو
يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من
بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال مخاييل قال فمالي أرى يمينك في السماء
وشمالك في الماء قال احبس الريح بيميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لزخرت البحار كلها في
ساعة واحدة ولالتطمت باذن الله واغرقت الدنيا ومن عليها ولو رفعت يدي اليمني في الهواء أحبس الريح عن
ولد آدم لان في السماء ريحا تسمى الهائمة ولو ارسلتها لنسفت من في السماء ومن في الارض قال فسلم
بلوقيا ومضى فاذاهو باربعة من الملائكة احدهم راسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر
والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فاما الملك الذى رأسه كراس الثور فانه
يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذ بها وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة
والرحمة كي لا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلني من اهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
يوم القيامة واما الذي راسه كراس النسر فيقول اللهم ارحم الطيور وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف
واجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي راسه كراس الاسد
فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذ بها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني من اهل شفاعة محمد
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذى راسه كراس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذ بهم وادفع عنهم النار واجعلني من اهل شفاعة محمد صلى
الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتي انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان
جبل قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك
فقال له الملك من انت قال انا بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك واين تريد قال خرجت
في طلب نبي من العرب يقال له محمد ولست اري اثره ولا ادري باى بلاد انا فقال له الملك لا اله الا الله محمد
رسول الله قد امرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا ايها الملك ما اسمك قال اسمي حزقيائيل قال وما تصنع
ههنا قال انا امين الله على جبل قاف وفي يده وتر مرة يعقده ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة
عليه والوتر في كفه قال فاذا اراد الله ان يضيق على عباده امرني ان امد الوتر واعقده واوثق
عروق الارض فتضيق الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يوسع عليهم امرني ان ارخي الوتر فافتق
عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يخوف قوما امرني ان احرك عروق تلك
الارض فمن اجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا ايها الملك
ماوراء قاف قال وراء قاف اربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها في كل دنيا اربعمائة الف باب في كل
باب اربعمائة الف ضعف مثل الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وارضها ذهب
عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الهموا ولذلك خلقوا وبه امروا الى يوم القيامة قال بلوقيا
فماوراءهم ايها الملك قال حجب ووراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا اخبرني ايها الملك على اي شيء
هذا الجبل موضوع قال بين قرني ثور راسه بهموت وهو ابيض راسه بالمشرق ومؤخره بالمغرب
بين قرنيه مسيرة ثلاثين الف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم
الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم
عليه بلوقيا ومضي حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل
خاتم من نور وعلى الباب ملكان احدهما رأسه كراس الثور والآخر راسه كراس الكبش

كانت له من الكرامات
والفضائل مايطول
ذكره فسبحان المنان
الكريم ذى العرش
العظيم فصبر على العبادة
حتى مات رضي الله تعالى
عنه (وحكي ان الحجاج
ابن يوسف الثقفي) بعث
الى رجل من اهل الخير
والصلاح والعبادة فلما
حضر بين يديه لم يمهله
دون ان قال انطلقوا اذهبوا
به الى السجن وقيدوه
واكتبوا على قيده مخلد
فلما سمع ذلك الرجل
مقاله الحجاج تبسم وقال
انك تحتاج الى مسمار كبير
يكون وزنه قنطارا فقال
الحجاج ما اصنع به فقال له
الرجل تسمر به الفلك فلعل
هذا من شؤم فلكك وقلة
عقلك وتجارئك على
مولاك وحلمه عليك قال
فاغتاظ الحجاج عند ذلك
وامر السجان ان يأخذه
و يقيده و يسلسله و يبني
له بيتا و يضعه فيه و يسد
أبوابه حتى يموت فيه
فمضى به السجان واحضر
له حدادا ثم وضع القيد في
رجله وامسك عليه
بالرصاص فقال الرجل
عند ذلك حسبي الله لا اله
لا هو عليه توكلت وهو
رب العرش العظيم قال ثم
وضعوه في البيت مقيدا
مسلسلا فلما جاء الليل

وبدنه كبدن الثور وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام
وقالا لبلوقيا ايها الخلق المخلوق ممن انت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وانا من بنى اسرائيل من ولد
آدم فقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا
وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسرائيل فقال
بلوقيا افتحالى الباب حتى اجوز فقالا لا نحسن فتحه وان لله ملكا فى السماء اسمه جبريل عسى ان يقدر
على فتحه فدعا بلوقيا ربه قال فامر الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجراك على
الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر مالح وبحر عزب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح
جبلا من ذهب وفي البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملك على صورة النخلة ومعه ملائكة على تلك
الصورة فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فأخبرهم بصفته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم
قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الاحمر قالوا
هذا كنز الله في الارض فكل ذهب يظهر فى الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ماء فى الدنيا من
ماء عذب أو ملح انما هو هذين البحرين وماؤهما انما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله
الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا
الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت
عظيم يقضى بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وانه خرج بطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه
السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه منى السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم أنه قال
أيتها الحيتان انى جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما اجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت
الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا اكلته تسير أربعين سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش
فأطعمه ذلك الحوت قرصا ابيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه راى شابا يجري
على الماء كانه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذي خلقنى فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر
يمر على الماء ضوؤه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة
فاذا هو بثالث كانه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت على فوقف
وقال لبلوقيا ماذا تستحلفنى قال خشيت أن تفوتنى كما صدر من اصحابك الماضين ثم قال له من
كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثانى ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل
أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون في هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه
فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم واما أمرنا ان نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم
القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة
فقال بلوقيا أيكون في جهنم مثل هذه الحية أو اكبر منها قال نعم ان فى جهنم من الحيات ما تدخل هذه
الحية في أنف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى
جزيرة اخرى فاذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال يا شاب من أنت وما اسمك
قال اسمى صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبى والآخر قبر أمى وكانا صالحين فماتا ههنا وانا عند
قبرهما حتى اموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر
واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ ويداه من زعفران وقوائمه من زمرد واذا
مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام

فقال

مضى السجان الى الرجل
فسمعه قائما يصلى ويقرأ
ويدعوا الله عز وجل
فعجب السجان من ذلك
فلما طلع النهار أتى السجان
الى الرجل فلم يجده ورأى
البيت على حاله والحديد
ملقى على الارض قال
فخاف السجان على نفسه
من ذلك فتوجه الى عياله
واولاده وودعهم واخذ
كفنا ومضى به الى الحجاج
وهو مصفر اللون موقن
بالموت فلما وقف بين يدي
الحجاج قال ما بالك بهذه
الحالة فقص عليه القصة
فقال الحجاج على بالحداد
فحضر بين يديه فقال ما
صنعت بالرجل بالامس
فقال صنعت به كذا وكذا
فقال الحجاج ما كان يقول
عند ذلك فقال السجان
سمعته يقول عند وضع
القيد فى رجليه حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم
فقال الحجاج نعم ان الذى
احتسب به هو الذى
خلصه انه على كل شيء
قدير (وحكى عن هرون
الرشيد رضي الله تعالى عنه)
أنه رأى رجلا من أهل
الخير فسمعه يامر بمعروف
وينهى عن منكر فشق
ذلك على هرون الرشيد
فاحضر الرجل بين يديه
فلما حضر امر ان يحمل

فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثني الى آدم بهذه المائدة لما اهبط من الجنة وانى كنت معه حين لقى حواء وأباح الله له الاكل وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا امين الله عليها الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفآكل منها قال كل فاكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معى أبو العباس يأتينى أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر اذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله فقال بلوقيا طالت غيبتي وأريد الرجوع الى أمى فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام وأنا أدرك اليهاني مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة فأنا أدرك اليهاني مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فانا أدرك اليهاني ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو جالس عند أمه فسألها من جاء بى اليك قالت طيرا بيض يطير بك بين السماء والارض فوضعك قدامى ثم ان بلوقيا حدث بنى اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار فاثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب في البحر والبر سهلا وجبلا والله أعلم

﴿ مجلس في ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام ﴾

قال الله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

﴿ باب في نسبه ولقبه ﴾

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيليبش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهى الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء أن الاسكندر هو أخو دارا بن دارا وذلك أن دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانه وأنها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد منها رائحة كريهة فامر أن يحتال فى زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها البتة لنتنها وعافها فردها على أهلها وقد علقت منه فولدت له فى أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التى غسلت بها اسكندروس فهذا أصل اسمه ثم خففت فقيل اسكندر وكنى بذى القرنين * واختلفوا فى سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمى بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان فى مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى في المنام كانه أخذ بقرنى الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من اهل بيت شرف من قبل ابيه وأمه وقيل لانه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حى وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

﴿ باب فى قصة ذكر بدء أمره وسبب استكمال ملكه ﴾

قال الله تعالى انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا وقال قوم كان فيلبش اليونانى أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الاصغر وكان أبو هلانة جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التى كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك

له بيت ويسد عليه بابه ومنافذه حتى يموت فيه قال ففعلوا ذلك به فلما كان بعد خمسة ايام قال بعض جلساء هرون الرشيد يامولاى انى رايت الرجل الذي امرت بسد البيت عليه وهو يتبختر فى بستانك الفلانى فقال الرشيد على به فاحضروه بين يديه فلما رآه الرشيد قال له من اخرجك من البيت قال الذى ادخلني البستان قال ومن ادخلك البستان قال الذى اخرجني من البيت قال فضحك الرشيد وقال هذا عجيب قال الرجل واى امر ربك ليس بعجيب قال فبكى الرشيد وامر له بالاحسان واركبه فرسا من خواص خيله وامر مناديا ينادي بين يديه ويقول هذا بداعزه مولاه فاراد هرون اهانته فلم يقدر ثم زاد فى احسانه واكرامه واحترامه وهذا من بعض مناقبهم نفعنا الله بهم آمين (وحكى عن الشيخ شاه ابن الشجاع الكرمانى رضي الله تعالى عنه) انه كان له بنت تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وكانت بديعة الحسن والجمال فسمع بها ملك كرمان فاتى اباها ليخطبها منه فاستمهله

الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فآنس بذلك من نفسه القوة فاستعصي على دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا بقصة الخراج والاتاوه عن نفسه وعن ملك الروم فاجابه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه في امتناعه عن حمل الخراج اليه و بعث اليه بصولجان وكرة وقفيزى سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك صبي وأنه ينبغى لك أن تلعب بالصولجان والكرة التى بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به ولا تستعصي والا بعثت اليك من يأتيني بك في وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذي بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر فى جواب ذلك أنى قد فهمت ما كتبت وقد نظرت ما ذكرت فى كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بارضك وأنى محتو على ملكك وأضيفه الى ملكى وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السمسم الذى بعثته الى كنظرى الى الصولجان والكرة و بعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب انما بعثت اليك بذلك لان جنودى مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لحاربة الاسكندر وأن الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى في عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلى الخزر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صنيعته فطعناه فالدياه عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فاخبر بتان دارا فاسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتله وان الذي أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به ثقاته ثم قال سلني عما بدا لك فاسعفك به فقال له دارا ان لى اليك حاجتين احداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكا بى وسماهما و بلادهما والثانية أن تتزوج ابنتى روشنك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

﴿ باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذى القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره الى البلاد والآفاق ﴾

قالت العلماء باخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان فى بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الاوثان وقتل الموابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) فى سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثني عشر ألفا فاحرقوها لحصول ذلك الذهب و بني اثنتى عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراه ومرو وسمرقند ومدينة بارض أصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بارض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأي فى منامه أنه أخذ بقرنى الشمس ورأى فى منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء فى نبوته فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدرى أكان ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض في هذه المسألة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما

الشيخ ثلاثة ايام ثم اقبل والده يطوف المساجد ينظر رجلا فقيرا يزوجه بها فبينما هو كذلك اذ رأى غلاما حسن الوجه يصلى ويحسن الصلاة فلما فرغ من صلاته قال له يا غلام هل لك فى زوجة تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وهى جميلة نظيفة فقال الغلام ومن يزوجني بها ياسيدى فقال انا ازوجك بها تخذ بدرهم خبزا وبدرهم أدما وبدرهم طيبا والامر مفروغ منه ثم عقد له عليها ورجع الى بيته وأخبرها بذلك فلما دخلت الى بيت الغلام رأت فيه رغيفا يابسا على رأس جرة ماء فلما رأته قالت ماهذا فقال لها الغلام هذا رغيف تركته من أمس لنفطر عليه فلما سمعت ذلك ولت راجعة فقال لها الشاب قد علمت ان بنت شاه الكرمانى لا تفرح بفقري ولا ترضي ان أكون لها بعلا فقالت ان بنت شاه ليس خروجها من منزلك لفقرك بل لضعف يقينك وانا اتعجب منك وانما العجب من والدي حين قال لى قد زوجتك بشاب عفيف فكيف يوصف بالعفة من لا يعتمد على الله سبحانه وتعالى الا مع ادخاره رغيفا قال فلما سمع

روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندروس ويقال كان اسمه عياشا وكان عبدا صالحا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين انى قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتي عليهم وهذا تأويل رؤياك وانى باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم في وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحيالها يقال لها منسك وهي عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فأمة في قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهى انك قد ندبتني الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فاخبرني عن هذه الامم التي بعثتني اليها بأى قوة أكابرهم وبأى جمع وحيلة أكاثرهم وبأي صبر أقاسيهم وبأى لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأى سمع أسمع أقوالهم وبأى بصر أنقدهم وبأي حجة أخاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى حلم أصابرهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم أتقن أمورهم وبأي يد أسطو عليهم وبأى رجل أطؤهم وبأى طاقة أحصيهم وبأى جند أقاتلهم وبأى رفق أؤلفهم وليس عندى يا الهى شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقوينى عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملته وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعى كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء وأفتح لك بصرك فتنقد كل شيء وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شيء وأشد لك عضدك فلا يهولك شيء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء وأشد لك يديك فتسطو على كل شيء وأشد لك وطأتك فتهلك كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوط بك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير وألح عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم ان يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه السوارى قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس وتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتي ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف عليه واستغني المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جنده اربعمائة ألف ومن المساكين اربعون ألفا ثم انطلق يؤم الامة التي عند مغرب الشمس وذلك قوله تعالى حتي اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة أى ذات حمأ ومن قرأ حامية بالالف من غير همز فمعناه حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبى بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت ما نقرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأها أمير

الشاب كلامها قال انا عن ذلك معتذر والعفو عن ذلك أولى فقالت تصدق به على مستحق فانى لا اقيم في بيت فيه معلوم فاما ان تتصدق به واما ان اخرج الآمن البيت قال فتصدق الغلام به فدخلت الى البيت (قلت) هذا التزويج صدر من الشيخ العارف بالله تعالى شاه بن الشجاع المذكور بعد ما زهد في الدنيا وترك الملك ودخل في طريق القوم رضى الله عنهم وقد تقدمت حكايته في هذا المجموع رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين (شعر)

فلو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

(وحكي عن سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه) انه قال أول ما رايت من العجائب والكرامات انى خرجت يوما من الايام الى موضع خالى ظاهر البلد التي كنت قاطنا بها فطاب لى المقام فيه ووجدت قلبي قريبا من الله عز وجل فحضرت الصلاة فاردت الوضوء وكانت عادتى في صباى تجديد الوضوء لكل

المؤمنين قال ابن عباس فاطالت الجدال فمهما افارسل معاوية الى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب قال أما العربية فانتم أعلم بها مني وأما الشمس فاني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وأنشدك ماتزداد به تبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ❊ ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق و المغارب يبتغي ❊ أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها ❊ في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقال الطين بكلامهم قال فما الثاط قلت الحمأة قال وما الحرمد قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب مايقول ❊ فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى وقوة و بأسا لا يطيقه الا الله ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى ووجد عندها قوما يعني ناسا فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم و دورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فماجوا وصاحوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التي في قطر الارض اليمين التي يقال لها هاويل وسخر الله قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهي تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أو مخاضة هيأ سفنا من ألواح صغار مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واذا بلغ البحار والانهار فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل فعمل فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس فوجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهي الامة التي بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكنون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش للتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فنراها ثم أنهم قالوا ماهذه العظام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فماتوا ههنا قال فذهبوا هاربين في الارض وقال الكلبي هم أمة يقال لها منسك حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن امية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مجتمعون له مجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فاخبرني انه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك و بينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا احدهم يفرش اذنه و يلتحف الاخرى وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي فوقعت فلما أفقت وهم يمسحون علي بالدهن فلما طلعت

صلاة فاغتممت لفقد الماء غما شديدا وصرت متحيرا فبينما انا كذلك اذ رأيت شيأ قائما يمشي على رجليه فتوهمت انه آدمي فلما قرب مني اذا هو دب عظيم ومعه جرة ماء قد امسكها بيده فلما دنا مني وضع الجرة بين يدي فتعجبت في نفسي عجبا شديدا وقلت من أين هذه الجرة وهذا الماء قال فنطق الدب وسلم علي وقال ياسهل نحن قوم من الوحوش قد انقطعنا الى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل على الله تعالى فبينما نحن نتكلم مع اصحابنا في مسئلة اذ نودينا الا ان سهلا يريد ماء لتجديد وضوءه فقمت من عند اصحابي ووضعت هذه الجرة بين يدي وكانت فارغة واذا بملكين قريبين مني فدنوت منهما فصبا فيها الماء من الهواء وانا اسمع خرير الماء في الجرة قال سهل رضي الله عنه فلما سمعت ذلك غشي علي فلما افقت اذا بالجره موضوعة ولم ادر اين ذهب الدب قال سهل فتوضأت وصليت فلما فرغت من الصلاة اردت ان اشرب من الماء فسمعت قائلا من الوادي يقول ياسهل لم يؤذن لك في شرب هذا

الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربالهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

﴿ باب فى صفة سد ذى القرنين وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء باخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من امر الامم الذين هم في اطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التى في وسط الارض من الجن والانس ويأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم اشباه البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع و يأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على من ينموا من نمائهم وزياداتهم فلا تشك أنهم سيملؤن الارض ويخرجون اهلها منها ويظهرون عليها و يفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقع ان يطلع علينا اولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا اى جعلا واجرا على ان تجعل بيننا و بينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربى اى قوانى عليه خير من خراجكم فاعينونى بقوة اجعل بينكم و بينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتونى زبر الحديد أى قطعه واحدتها زبرة وآتونى النحاس فقالوا من اين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سادلكم على معادنهما قالوا فباى قوة نقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو اشد ما خلق الله في الارض بياضا وهو الذى قطع به سليمان اساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم ارقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منهاز برا مثل الصخور العظام ثم اذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هى من الحديد ثم بني وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير انه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ ولما انشا في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوي بين الصدفين وهما الجبلان ثم امر بالنار فارسلت فيها قال انفخوا حتي جعل يفرغ لقطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تاكل الحطب ويسير النحاس مكان الحطب حتي ازم الحديد النحاس المذاب فصار كانه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته فصار سدا له نقباطو يلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه أي يعلوه وما استطاعوا

(قال قتادة) ذكر لنا ان رجلا قال يانبي الله قد ارايت سد ياجوج وماجوج قال انعته لى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيته و يقال ان موضع السد وراء زخرد بقرب مشرق الارض بينه و بين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان فى خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين الف درهم ورزق سنة واعطاه مائتى بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسماعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى طاجند

الماء فتركتها فاذا هي تطرب وانا أنظر اليها متعجبا ولم ادر أين ذهبت تلك الجرة عفا الله عنهم ونفعنا بركاتهم آمين (وحكى عنه ايضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال توضأت فى يوم جمعة ومضيت الى الجامع وكان ذلك في أيام البداية فوجدت الجامع قد امتلا بالناس وهم الخطيب ان يرقى المنبر فاسأت الادب ولم ازل اتخطى رقاب الناس حتى وصلت الى الصف الاول ثم جلست فاذا عن يميني شاب حسن المنظر كانه من الملوك وعليه أطمار من صوف فلما نظر الى قال كيف ترى حالك ياسهل فقلت بخير اصلحك الله فصرت متحيرا فى معرفته لى ولم اعرفه فبينما أنا كذلك اذ اخذنى حرق بول فازعجني ذلك وصرت متحيرا فى امري فان قمت تخطيت رقاب الناس ثانيا وان جلست لم اتمكن من الصلاة قال سهل فالتفت الى الشاب وقال ياسهل اخذك حرق بول قلت نعم ياسيدى قال فنزع رداءه عن منكبه وغطاني به وقال قم اقض حاجتك واسرع لتدرك الصلاة قال فنظرت فاذا بباب مفتوح وقائل

في بلاد شاه ملك الخزر فاقام عنده حتى اخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساراخمسة وعشرين يوما حتى
انتهوا الى ارض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوامعهم شيئا يشمونه من الرائحة الزكية فساروا
تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن تلك المدن فقالوافدظهرفيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا
الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد
فقالوا لنا من هؤلاء القوم قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك
بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أوشاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى جبل
أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتاه مبنيتان مقابلتا
الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية باللبن من حديد مركبة في نحاس في سمك خمسين
ذراعا واذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على
كل واحدة مقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب في النحاس الى
رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبني بعضها الى
بعض منظومة كل واحدة في صاحبتها فاذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون
ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا قائمان هما في دورهما على قدر الدربند وعلى الباب قفل طوله سبعة
أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة اذرع
غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار
والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طول مائة ذراع سوى
ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل
جمعة في عشر فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل
بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء
ان اولئك لم يحدثوا في الباب حدثا فاذا ضربوا أصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا
وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لأنها عشرة في عشرة
ومع الباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان
وبين الحصنين ماء عين عذب في احد الحصنين آلة البناء التي بني بها السد من قدور الحديد ومغارف
من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدا واللبنة ذراع ونصف في عرض
وشبر وسألنا هل هناك أحد من أهل يأجوج ومأجوج فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف
فهبت ريح سوداء فألقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل في رأي العين شبرا ونصفا قال فلما انصرفنا
أخذ بنا الادلاء على نواحي خراسان فعدلنا اليها فوقعنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ
وكان أصحاب الحصن ثم زودونا الطعام ثم سرنا الى عبدالله بن طاهر فوصلنا بمائة الف درهم ووصل كل رجل
كان معي بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى
الري ورجعنا الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله اعلم

{ باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة }

روى عن على بن ابي طالب كرم الله وجهه أنه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له
خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره فبينماهما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رفائيل
حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال ياذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو
قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما أبدا يقولون سبحان

يقول لي الباب يرحمك الله
فولجت الباب فرأيت
قصرا مشيد البناء شامخ
الاركان واذا بنخلة قائمة
واذا بجانبها مطهرة مملوءة
ماء احلى من الشهد واذا
بمنشفة معلقة وسواك الين
من الحرير قال سهل
فتعجبت من ذلك ثم
حللت لباسي وارقت الماء
واغتسلت وتنشفت
ولبست اثوابي فسمعته
يناديني ويقول ان
كنت قضيت أربك فقل
نعم فقلت نعم فنزع الرداء
عني فاذا انا جالس مكاني
ولم يشعر بي احد فصرت
متفكرا في نفسي متعجبا
مما رأيت وصرت اكذب
نفسي تارة واصدقها تارة
فقامت الصلاة فصليت
مع الجماعة ولم يكن لي شغل
الا ذلك الفتى لاعرفه فلما
فرغنا من الصلاة قام
فتبعته وانا امشي خلفه
حتى دخلت الى درب
فالتفت الي وقال يا سهل
كانك ما ايقنت بما رأيت
فقلت كلا يا سيدي فقال
لي الباب يرحمك الله
فنظرت فاذا الباب بعينه
ثم ولجت القصر فوجدت
النخلة والمطهرة والسواك
المنشفة مبلولة فقلت آمنت
بالله العظيم فقال يا سهل من
اطاع الله اطاعه كل شيء
اطلبه تجده قال سهل

القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال انى أحب أن أعيش فابلغ من عبادة ربى حق عبادته فقال رفائيل أوتحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عينا فى الارض تسمى عين الحياة فيها من الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أنا نتحدث في السماء ان لله فى الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن أن تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم أخبرونى هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسائر من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع في الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء انى قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها أن الله خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التى على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هى مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال انى اريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف ان ينفتح عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن اسلكها فقالوا ايها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لاتبعناك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا فى الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لا بد من ان أسلكها فقالت العلماء شانك بها فقال ذو القرنين أى الدواب بالليل ابصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل ابصر قالوا الاناث قال وأى الاناث ابصر قالوا البكارى قال فارسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس انثى أبكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع الى كل رجل منهم فرسا وعقد رايه للخضر عليه السلام وجعله مقدمته فى ألفين وبقى ذو القرنين في اربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتي عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندرى كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا اصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فليرجع اليها اهل الضلال اين صاحت قال فسار الخضر بين يدى ذى القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر ان العين فى الوادى والقي فى قلبه ذلك فقام على شفير الوادى ومكث طويلا ثم اجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى اليها فاذا هى على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم أنه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فاخطأ الوادى فسلكوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم أنهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض حمراء رملة خشخاشية فاذا هم بقصر مبنى فى تلك الارض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم أنه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بانفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفاك ما وراءك حتى وصلت الى ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر فى الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور فى الارض قال نعم قال فانتفض

فتغرغرت عيناي بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم ار الشاب ولا القصر فصرت متحيرا على ما فاتني منه رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبعلومه واعاد علينا من بركاته آمين (وحكى عنه أيضا عفى الله عنه) انه قيل لبعض اصحاب سهل كيف كان حال سهل فقال خدمته ثلاثين سنة فما رأيته وضع جنبه على فراشه ليلا ولا نهارا وكان يصلى الصبح بوضوء العشاء وهرب من الناس الى جزيرة بين عبادان والبصرة وما فر من الناس الا من رجل حج سنة من السنين فلما رجع قال لاخ له رأيت سهل بن عبد الله في الموقف بعرفة فقال له اخوه نحن كنا عنده فى ذلك اليوم وهو جالس بيننا فحلف بالطلاق الثلاث انه رآه في ذلك اليوم بعرفة فقال له اخوه سر بنا اليه حتي نسأله عن حكم ذلك اليمين وعما جري بينا فى الاختلاف فى ذلك فقاما اليه وسلما عليه فرد عليهما السلام فسألاه عما جرى بينهما من هذا الحديث فقال سهل ما لكم في هذا الحديث حاجة اشتغلوا بالله تعالى ثم التفت الي الحالف وقال له امسك

الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فقال الطائر لا تخف حدثني قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال ياذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال ياذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدرى على ما يهجم حتى استوي على صدر الدرج فاذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذى القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال ياذا القرنين ان الساعة قد قربت وانى منتظر أمر ربى يامرنى أن أنفخ فى الصور ثم أن صاحب الصور أخذ شيأ من بين يديه كانه حجر فقال ياذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شبعت وان جاع هذا جعت فاخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى الى أصحابه فحدثهم بامر الطائر وما قاله وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال اخبرونى ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شبعت وان جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر فى كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه فى الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا الف حجر ثم رفعوا الميزان فمال بالالف جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم لا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا اعلم علمه فاخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم اخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في احدي الكفتين واخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه فى الكفة الاخرى ثم اخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوي فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا معه الف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام ايها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وامره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وانه ابتلانى بك وابتلاك بى فقال ذو القرنين صدقت فاخبرنى ما هذا الحجر فقال الخضر ايها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان الله تعالى مكن لك فى الارض والبلاد فاعطاك منها ما لم يعط احدا من خلقه واوطاك منها ما لم يوطئ لاحد من خلقه فلم تشبع وآتيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه انس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثي عليه التراب ولا يملأ جوفه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت ياخضر فى ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أثرا فى البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان في وسط الظلمة وطىء الوادى الذي فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ما هذا الذى تحتنا ايها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من اخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من اخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروه اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادى الزبرجد في مبدأ أمره ما ترك منه شيأ حتى كان يخرجه الى الناس لانه كان راغبا في الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كلها ومات في طريقه قبل وصوله بشهر (وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا في أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه

عليك زوجتك ولا تخبر بذلك أحد بعد ذلك ثم مضى الى الجزيرة المذكورة هاربا من الناس عفا الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته آمين (وحكى عن خادمة رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها) انها قالت كانت رابعة العدوية تصلى الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت هجعة فى مصلاها حتى يسفر الفجر فكنت اسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهى فزعة يا نفس كم تنامين والى كم تقومين يوشك انك تنامين نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور فكان هذا دابها حتي ماتت رحمه الله تعالى عليها (قالت) خادمتها رضي الله تعالى عنها لما حضرت وفاة رابعة احضرتنى ثم قالت يافلانة اذا أنا مت فلا تعلمى بى أحدا وكفنيني في جبتى هذه وكانت جبتها من شعر كانت تقوم فيها اذا نامت عيون النائمين قالت فكفنتها فيها وفي خمار من صوف فلما دفنتها رأيتها فى المنام وعليها حلة خضراء من استبرق وخمار من سندس أخضر فقلت لها يارابية ما فعل الله بالجبة التى كفنتك فيها والخمار الصوف قالت انه نزعهما عني وأبدلت هذا الذى

اسكندروس من بعده وأبى واختار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوءوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة في حياة الاسكندروس بعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية وابني اسرائيل بيت المقدس ونواحيها والديانة والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

﴿ مجالس في قصة زكريا وابنه يحيي ومريم وعيسى عليهم السلام ﴾

وهو مجالس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام امورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بعث فيهم من انبيائهم زكريا ويحيي وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام

﴿ نسب زكريا عليه السلام ﴾

هو زكريا بن يوحنا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناخور ابن سلوم بن سهفاساط بن أبيا بن رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام

﴿ باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها ﴾

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبى موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميشا بن حزقيا بن أحريف بن نؤام بن عزاز يا بن امصيا بن ناوس بن نوثا بن بارض ابن يهوشافاط بن رادم بن أبيا بن رحيعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة في ذلك أن زكريا ابن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين باختين احداهما عند زكريا بن يوحنا وهي ايشاع بنت فاقوذ أم يحيي وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائر يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتني ولدا أن انصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقالت رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا أى عتيقا عن الدنيا واشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيتك المقدس حبيسا عليه مفرغا لعبادة الله ولخدمته فتقبل مني انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتي يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وأن أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الا من فى نسله محرر البيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذي فحررت أم مريم ما في بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثي والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعتذارا الى الله تعالى رب انى وضعتها انثي والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أى فى خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى وانى سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أريته وطويت اكفاني وختم عليها ورفعت فى عليين ليكون لى ثوابها يوم القيامة قالت فقلت لمثل هذا فليعمل العاملون فقالت وما هذا عند الله من اكرامه لاوليائه بشيء فقلت لها مريني بأمر أتقرب به الى الله عز وجل فقالت عليك بذكر الله تعالى فانه يوشك ان تغبطي بذلك فى قبرك رضي الله تعالى عنها (وحكى عن أحمد بن أبى الحوارى عفا الله عنه) انه قال كانت لرابعة العدوية احوال شتي فكانت مرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف فكانت تنشد فى الحب هذا الشعر

حبيبي لا يعادله حبيب
وما لسواه فى قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى
ولكن عن فؤادى لا يغيب

وسمعتها في حال الانس تقول هذا الكلام

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى
وأبحت جسمى من اراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس
وحبيب قلبي فى الفؤاد أنيسي

حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واني أعيذها أي أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهيل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (واخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شيء قال وذكروا لنا انهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة اى فتقبل الله النذيرة اي مريم من حنة وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في المدة اليسيرة كما ينبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج وانبتها يعني غذاءها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة قالوا فلما ولدت مريم اخذتها امها حنة فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما في الحجبة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها منكم لان عندي خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس واقربهم اليها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فالقوا اقلامهم اى سهامهم وقيل أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت اقلامهم ورسبت في الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدي بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كانه في طين وجرت اقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها وقال ابن اسحق فلما كفلها زكريا ضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى اذا نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أى غرفة في المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها ابوابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أى فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها أنى لك هذا فتقول هو من عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهي صغيرة يأتيها رزقها وقال محمد بن اسحق ثم أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بني اسرائيل وقال يا بني اسرائيل تعلمون والله أني لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله تعالى وكثره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبد الله ابن حامد باسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت

وسمعتها في حال الخوف تقول
وزادي قليل ما اراه مبلغي
اللزاد ابكي أم لطول مسافتي
اتحرقني بالنار ياغاية المنى
فاين رجائي فيك اين مخافتي
قال زوجها فنامت لها ليلة من الليالي وقد قامت من أول الليل يا رابعة ما رأيت من يقوم اول الليل غيرك فقالت سبحان الله مثلك من يتكلم على ذلك انما اقوم والله اذا نوديت للقيام (قال) زوجها وجلست يوما من الايام آكل وهي جالسة بجانبي فقعدت تذكر اهوال يوم القيامة فقلت لها دعينا نتهنأ بطعامنا فقالت ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام بذكر الآخرة ثم قالت لي والله لست أحبك حب الازواج انما أحبك حب الاخوان فكانت اذا طبخت قدرا قالت كله ياسيدي فما طبخ الا بالتسبيح ثم قالت لي اذهب فتزوج فتزوجت بثلاثة نساء فكانت تطعمني اللحم وتقول لي اذهب بقوتك الى اهلك وكانت تاتيها الجن بكل ما تطلب وكان لها كرامات خارقة حتى ماتت رحمها

أحد منهن شيا فاتى فاطمة رضى الله عنها فقال يابنية هل عندك شيء آكل فاني جائع فقالت لا والله بابي أنت وأمي فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت اليها جارية لها برغيفين و بضعة لحم فاخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لاوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام وبعثت حسنا وحسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت بابي أنت وأمي يارسول الله قد أتانا الله بشيء فخبأته لك قال فهلمي به فاتى به وكشف عن الجفنة فاذا هي مملوءة خبزا ولحما ولما نظرت اليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يابنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة بنى اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فاتى فأكل الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم جميعا حتى شبعوا و بقيت الجفنة كما هى قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسعت منها على جميع جيراني وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا وكان أصل الجفنة رغيفين و بضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

﴿ باب في مولد يحيي بن زكريا عليه السلام ﴾

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء باخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة فى غير حينها قال ان الذي قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك اى فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لي اي اعطني من لدنك ذرية طيبة نسلا تقيا صالحا راضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان و يفتح باب المذبح فلا يدخل احد حتى ياذن له بالدخول فبينما هو فى محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرون ان ياذن لهم بالدخول اذا برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يازكريا ان الله يبشرك بيحيى * واختلفوا لم سمي يحى قال ابن عباس لان الله تعالى احيا به عقر امه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله فاخبرنى به الحسن بن فتحويه باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أحد يلقي الله عز وجل الا وقد هم بخطيئة او عملها الا يحى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل قال الاستاذ وكان شيخنا أبو القاسم الجنيد يقول سمى بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله ان يحى ابن زكريا قتلته امراة قال وسمعت ابا منصور الحمشاوى يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي اوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام ان قل لسارة وكان اسمها كذلك انى مخرج منكما عبدا لايهم بمعصيتى اسمه حى فهبي له من اسمك حرفا فوهبته أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمى كلمة لان الله تعالى قال له من غير اب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد و يحي اول من امن بعيسى وصدقه وذلك ان امه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها ام يحى يامريم احامل أنت فقالت لماذا تقولين هذا قالت انى ارى مافي بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحى أكبر من عيسى بستة اشهر وذلك مولد يحى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل

الله تعالى ونفعنا ببركاتها آمين (وروي) عن عمرة زوجة حبيب العجمى رضى الله تعالى عنهما انها كانت توقظ زوجها بالليل وتقول له قم يارجل قد ذهب الليل وبين يديك طريق بعيدة والزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت رضى الله عنهم اجمعين (وقال بعضهم عفا الله عنه ونفعنا به) تزوجت امرأة جميلة حسنة الخلق فكانت اذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخترت ثم تاتني وتقول لى الك من حاجة ياسيدي فان قلت نعم كانت معى وان قلت لا تمضي وتنزع ثيابها وتلبس ثيابا غيرها وتصلى الى الصباح فكان هذا دأبها وطريقتها رضي الله تعالى عنها (وحكى عن بعض اصحاب احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه) قال لما مات أحمد بن حنبل رضي الله عنه رأيته فى المنام وهو يمشي و يتبختر فى مشيته فقلت له يااخي اى مشية هذه فقال مشية الخدام فى دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفرلى والبسني نعلين من ذهب أحمر وقال هذا بقولك القرآن كلام الله

يحيى قبل ان يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم قال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذي لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا ماء له ودليل هذا التأويل ما اخبرني به ابن فنجويه باسناده عن ابي صالح عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد اذنبه يعذبه عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فاخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المدني الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الاباطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب اي ياسيدي قاله لجبريل هذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا يارب لله لا لجبريل أنى يكون لي غلام من أين يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم انكر زكريا ذلك وسال الآية بعد ما بشرته الملائكة اكان شكا في وحيه ام انكارا لقدرته وهذا لا يجوز ان يوصف به اهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قاله عكرمة والسدى ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يازكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لاوحاه اليك خفية كما ناديته خفية وكما يوحى اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه الذي يكون منه الولد فقال أنى يكون لي ولد اي كيف يكون لي ولد أتجعلني وامرأتي شابين ام نرزقه كذا على كبرنا ام ترزقني من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك متخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة أيام وقيل بكليتك على عبادتي وطاعتي لا انه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهي عنه يدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار هذا قول قوم من اهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة ايام الا رمزا اي اشارة وعلى هذا اكثر المفسرين وقال عطاء اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفي بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذى بانهار الجنة حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يضيء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

{ باب في صفته وحليته عليه السلام }

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الغيرة قويا في طاعة الله تعالى وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته

{ فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده }* قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون أنه نبي صغيرا فكان يعظ الناس و يقف لهم في أعيادهم وجمعهم و يدعوهم الى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبيدا من خالص ماله ثم

اسكنهم

منزل غير مخلوق ثم قيل لي يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فاذا بسفيان الثوري رضي الله عنه له جناحان يطير بهما من شجرة الى اخرى وهو يقرأ هذه الآية الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين قال فقلت له ما فعل الله بعبد الرزاق الواعظ قال تركته في بحر من نور في مركب من نور يزار به العزيز الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث فقال بخ بخ ومن مثل بشر ابن الحرث تركته على مائدة بين يدي الجليل وهو مقبل عليه و يقول له كل يا من لم تأكل واشرب يا من لم تشرب وتنعم يا من لم تتنعم فقلت ما فعل الله بمعروف الكرخي فقال تركته تحت العرش والحق جل جلاله يقول للملائكة من هذا فقالوا يارب أنت اعلم فقال هذا معروف الكرخي سكران بحبي فلا يفيق الا بلقائي (وقال) الربيع ابن سليمان رايت الامام الشافعي رضي الله عنه فقلت يا ابا عبد الله ما فعل الله بك فقال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر على

أسكنهم دارا له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبيد الى فضل الربح فدفعوه الى عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال ان مثل المصلى كمثل رجل استأذن على ملك فاذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهتم بحاجته فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فاقبل عليهم عدوهم فدخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وامرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل اليه وتستره (واما سيرته) فروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان من زهد يحيي انه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف وبرانس الصوف واذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوها الى سواري المسجد فلما نظر الى ذلك أتى امه فقال يا أماه انسجي لى مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتي آتى الى بيت المقدس واعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان فقالت له امه حتي يأتى نبي الله زكريا عليه السلام فاؤامره في ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال لها يحيي فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك الى هذا وانما انت صبى صغير فقال له يا ابت اما رأيت من هو اصغر منى ذاق الموت قال بلى فقال لامه انسجي لنا مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الى ما قد نحل من جسمه فبكى فاوحي الله تعالى اليه يا يحيي أتبكى على ما قد نحل من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح فبكى يحيي حتي أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين اضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه واقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لهذا يا بنى انما سألت ربى ان يهبك لى لتقر بك عينى قال أنت امرتنى بذلك يا ابت قال ومتى قال الست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا البكاؤن من خشية الله تعالى قال بلى قال فجد واجتهد وقام فنفض مدرعته فأخذته امه فقالت اتاذن لى يا بنى ان اتخذ لك قطعتين من لبد يواريان اضراسك وينشفان دموعك فقال لها شانك فاتخذت له قطعتى لبد يواريان اضراسه وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم اخذهما فعصرهما فتحدرت الدموع من بين اصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع راسه الى السماء وقال اللهم ان هذا ابنى وهذه دموع عينيه وانت ارحم الراحمين وكان زكريا اذا اراد ان يعظ بني اسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما يعظ بني اسرائيل واقبل يحيي قد لف راسه بعباءة وجلس فى غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فانشا يقول حدثنى حبيبى جبريل عن الله عز وجل ان في جهنم جبلا يقال له السكران في اصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار فى تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار واغلال من نار فرفع يحيي راسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحى فقال لها يا ام يحي قومي فاطلبى يحى فانى قد تخوفت ان لا تراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فمرت بفتيان من بنى اسرائيل فقالوا لها يا ام يحيي اين تريدين قالت اطلب ولدى يحيي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت ام يحى والفتية معها حتى مرت براعى غنم فقالت يا راعى هل رايت شابا من صفته كذا وكذا فقال لعلك تطلبين يحى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا ناقعا قدميه فى الماء رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يا مولاى لا اذوق بارد الشراب

اللؤلؤ الرطب وأباح لى الجنة وهذا من بعض مناقبهم رضى الله عنهم (وحكى عن بعضهم رضى الله عنه) انه قال كنت فى مركب سنة من السنين وكان فى المركب رجل من أهل الخير وكان ضعيفا فلما مات أخذنا فى غسله وتجهيزه واردنا القاءه في البحر فبينما نحن كذلك اذا البحر قد انشق ونزلت السفينة الي ارض فخرجنا منها ونظرنا فاذا بقبر مرخم وليس فيه احد فدفناه فيه فلما فرغنا من دفنه استوى الماء وارتفعت السفينة فتعجبنا من ذلك وسرنا رحمة الله عليه (وحكي عن الشيخ ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه) أنه قال كنت بمكة سنة من السنين فمررت بباب بني شيبة فرأيت شابا حسن الشباب وهو ملقي على الارض ميتا فنظرت في وجهه فرايته يضحك فتعجبت من ذلك فقال لى يا ابا سعيد أتعجب من موتى وانت تعرف ان الاحياء احياء فهم وان ماتوا انما والله ينقلون من دار الى دار قال ابو سعيد فدهشت من ذلك ثم اخذت فى غسله وتجهيزه ودفنه وانا متحير في امرى متفكر فيما رايته

حتى انظر الي منزلي منك فاقبلت امه فلما رأته دنت منه فاخذت براسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله ان
ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك ان تخلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك
الصوف فانه الين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فاكل واستوفى فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه
يا يحيي اردت دارا خيرا من داري وجوارا خيرا من جواري فاستيقظ وقام وقال رب اقل عثرتي وعزتك
لا استظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت انكما ستورداني المهالك
فتقدمت اليه امه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا يا ام يحيي دعيه فان ولدي قد كشف له عن قناع
غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيي فلبس مدرعته ووضع البرنس على راسه ثم اتى بيت المقدس فجعل يعبد الله
مع الاحبار والرهبان حتى كان من امره ما كان والله اعلم

﴿ باب فى مقتله عليه السلام ﴾

اختلف العلماء فى سبب قتله فقال كان يحيي عليه السلام فى زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان
له امراة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيي
يزجرها عن ذلك و يقول لها لا تبرزى كاشفة وجهك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب فى التوراة ان الزناة
يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيي فسجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك وكان
كثيرا ما يختلف اليها بالليل فعلم بها وبه يحيي فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فحملت بنت لها واستقبلت بها زوجها
فقال لها لما ولدت ذلك فقالت وجب لها عليك حق فقال سلي ماشئت فقالت البنت استوهبت منك اهل
الحبس اصنع بهم ماشئت فظن ابوها انها ترحمهم . تتزوجهم فقال ابوها قد فعلت فأمرت امها باهل السجن
فعرضوا عليها فلما مر بها يحيي امرت به فذبح واخذت رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى ابيها بامر أمها
وقالت ايها الملك اني قد ذبحت لك ذبيحة من اعظم ما وجدته ولو كان مثله الف لذبحتهم لك قال وما هو قالت
يحيي بن زكريا فقال هلكت واهلكت أبويك فنزع ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبويها
وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروي) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسي بن
مريم ويحيي بن زكريا فى اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان
للملك بنت اخ تعجبه يريد ان يتزوجها وكان لها فى كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ امها انه ينهى
عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيي بن
زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتي ان تذبح يحيي بن زكريا فقال سلي غير هذا فقالت
ما اسألك الا هذا فلما ابت عليه دعا بيحيي بن زكريا ودعا بطشت فذبحه فيه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي
حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فجاءت عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فالقى الله في قلبه أن
يقتل على ذلك الدم سبعين الفا منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن (وقال السدى) باسناده كان ملك
بنى اسرائيل يكرم يحيي بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره فى امره ولا يقطع امرا دونه وانه هوى أن يتزوج
ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيي فنهاه عنه وقال لست ارضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيي حين
نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها
من الحلى والبستها فوق ذلك كساء اسود وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه وأن تتعرض له فاذا راودها
عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا اعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيي بن زكريا في طشت
ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما اخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا افعل حتى
تعطيني ما اسألك قال وما تسأليني قالت ان تبعث الى رأس يحيي بن زكريا فى هذا الطشت قال ويحك سليني
غير هذا قالت ما اسألك الا هذا فلما ابت عليه بعث اليه فاتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو

يقول

رضى الله تعالى عنه (وحكى
عن ابى يعقوب السوسى
نفعنا الله ببركاته) انه قال
جاءني بعض المريدين
بمكة وسلم علي وقال
يا استاذي غدا عند الظهر
اموت فخذ هذا
الدينار فكفني بنصفه
واحفر لي قبرا بنصفه ثم
امض من عندي فلما كان
الغد عند الظهر جاء فطاف
سبعا ثم ابتعد نحو القبلة
فمات رحمة الله تعالى عليه
فنظرت في وجهه ففتح
عينيه فى وجهي وهو
يضحك فقلت له يا أخى
أنت ميت ام حى فقال
بل حى وكل محب لله
فهو حى قال فتعجبت منه
ثم اخذت في غسله
وتكفينه وتجهيزه ودفنه
رضي الله تعالى عنه
(وحكي عن الشيخ
أبى على الروزبارى
عفا الله عنه) انه قال ورد
على جماعة من الفقراء
فمرض منهم رجل ومكث
في مرضه اياما كثيرة فمل
اصحابه من خدمته واشتكوا
الى ذلك فخالفت نفسي
وحلفت ان لا يتولى
خدمته احد غيري
فصرت أخدمه بنفسي
أياما حتى مات رحمة
الله تعالى عليه ثم غسلته
وكفنته وصليت عليه
ولحدته فبينما انا عند

يقول لا تحل لك فلما اصبح اداه ميغلي فامر بتراب فالقي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي و يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنجاريب و بختنصر كما قدمنا ذكره في اخبار بختنصر (وقالت علماء النصارى) الذي قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هيردويا كانت امرأة اخ له يقال له فليقوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى واعلمه انها لا تحل له فسالت المرأة هيردوس ان ياتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيى من اجمل الناس وجها واحسنهم في زمانه فاحبته امرأة الملك الذي كان في زمانه حبا شديدا فارسلت اليه تراوده عن نفسه فارسل اليها انه لا علم له بالنساء والملك احق ان يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا قالت كيف لي ان اقتله ولا يخبر الناس اني قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فارسلت اليه وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود من ضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وباهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

﴿ ذكر مقتل زكريا عليه السلام ﴾

(قال كعب الاحبار) فلما سمع زكريا ان ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا نبي الله الى ههنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى اخذ بطرف ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا اخبرهم ولذلك تصنع اليهود الخيوط في اطراف أرديتهم لا يدرون لما امروا بذلك واخذ الملك واهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل في هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فاني اريكم علامة تصدقوني بها قالوا فارناها فاراهم طرف ردائه فاخذوا المنشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط عليهم اخبث اهل الارض علجا مجوسيا فانتقم الله به من بني اسرائيل بدم يحيي وزكريا فقتل عظماء بني اسرائيل وسبي منهم مائة وسبعين الفا (وقيل) ان السبب في قتل زكريا ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف مريم بزكريا وقال ما احبلها احد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفهاؤهم واشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان في صورة راع فمال يا زكريا قد ادركوك فادع الله ان يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها واخرج ابليس هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رايت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفي ان الشمس بكت على يحيي اربعين صباحا وكان بكاؤها ان طلعت وغربت حمراء وروي ان يحيى الخبر سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله اعلم

﴿ مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به ﴾

قال الله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا قالت العلماء باخبار الانبياء لما مضي من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة ايام ومريم يومئذ بنت خمسة عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفذ ماؤها وماء يوسف اخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام

اضجاعه في قبره اذ نظرت الى عينيه فوجدتهما مفتوحتين ثم اقسم وقال يا لي لا انصرنك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني وحالفت نفسك بخدمتي ثم أسبل عينيه رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين بركاته (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) انه قال قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض المشايخ وكان رجلا عالما وليا زاهدا ورعا فلما حضروا بين يديه اقيمت الصلاة فصلوا خلفه فسمعوه يلحن في قراءته فتغير اعتقادهم فيه فكاشف عليهم الشيخ فلما ناموا سلط الله عليهم الاحتلام فاحتلموا كلهم في تلك الليلة فخرجوا الى البحر ليغتسلوا فوضعوا ثيابهم الى جانب البحر ونزلوا جميعا في الماء وكان ذلك في زمن الشتاء فجاء الاسد فجلس على ثيابهم فلاقوا من البرد شدة عظيمة ولم يعرفوا ان الشيخ علم بحالهم فبينماهم كذلك اذا الشيخ قد اقبل وقال لهم انتم استوجبتم البلل ثم اخذ باذن الاسد وقال له اما قلت لك لا تتعرض لضيفاني فخرجوا من الماء ولبسوا ثيابهم ثم اتوا الى الشيخ يعتذرون له

وكان اطول يوم في السنة واشده حرا نفد ماؤها فقالت الا تذهب بنا يا يوسف فنستقى فقال ان عندي لفضلا من ماء اكتفى به يومى هذا الى غد قالت ولكنى والله ما عندى ماء فاخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثنى اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اى مؤمنا مطيعا قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه علمت ان التقى ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلا من بنى آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب امرد مضيء الوجه جعد الشعر سوى الخلق قالت الحكماء انما ارسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التى هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملات قلتها وانصرفت الى المسجد * وقال السدى وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون فى المسجد مادامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أى مشرقا لانه كان فى الشتاء في أقصر يوم فى السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فضربت من دونهم حجابا أى سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هى كذلك في تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ فى جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الي المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بانفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم فى زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذى بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأي الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع فى نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدرى فقالت له قل قولا جميلا قال لها اخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي انبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه ان الذى بها شيء من امر الله وانه لا يسعه ان يسالها عنه وذلك لما رأي من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس وسمعت من الثقات ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين سلوان وسالت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التى خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد افصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون ان عيسى عليه

السلام

ويقبلون يديه ويستغفرون الله تعالى فقال لهم الشيخ انتم اشتغلتم باصلاح الظاهر فخفتم الاسد ونحن اشتغلنا باصلاح الباطن فخافنا الاسد رضي الله تعالى عنه ورضى عنا وعن جميع المسلمين ببركاته (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) اشارة لطيفة قال لما ذهب ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الى النمروذ امنه الله يدعوه الى عبادة الله عزوجل عظم عليه ذلك وجمع اهل مملكته وخواص رعيته وقال لهم ماتشيرون على به فى امر هذا الرجل الذى تجارأ علينا وكسر الاصنام وعطل ديننا بين الانام فقولوا ما بدالكم فانى راجع الى اقوال القائلين فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال فعمدوا الى فلاة من الارض وحفروا فيها حفيرا متسعا ثم نادي النمروذ في اقطار مملكته الا من اطاع النمروذ فليحتطب حزمة من الحطب الهشيم لاحراق ابراهيم قال فبادرت اليه العباد من اقطار البلاد واقاموا حولا كاملا يجمعون الاحطاب الى ان

السلام لما قتل دخل فيها فبعد ثلاثة ايام عرج به الى السماء فلا ينقطع ابد الدهر منها وانه ينزل فيها والله اعلم

﴿ باب في ذكر ميلاده عليه السلام ﴾

قالوا لما اثقلت مريم ودنا نفاسها اوحي الله تعالى اليها ان مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابرزي الى موضع تأوين فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها اخت امها ام يحيي فلما دخلت عليها قامت ام يحيي واستقبلتها فالتزمتها فقالت امراة زكريا يامريم شعرت انى حبلى قالت مريم وانت ايضا شعرت انى حبلى قالت امراة زكريا فاني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما اوت بيت خالتها اوحى الله اليها انك ان ولدت بين اظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعني من عندهم اى فاخرجي * وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبين الاكاف شيء فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من ارض مصر في منقطع بلاد قومها ادرك مريم النفاس فالجاها الى اصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق اراد قتلها فاتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسي عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة اشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية اخرى لانه لم يعش مولود لثمانية اشهر غير عيسي وقيل ستة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو الا ان حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا اى بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته امه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسي قالوا فلما اشتد بها المخاض التجات الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا محدقين بها اى محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اى جيفة ملقاة فنوديت ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها ان لا تحزني من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسي عليه السلام لما خرج من بطن امه ناداها وكلمها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسي أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد اذا شربت منه وفاتر اذا استعملته فذلك قوله تعالي قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فتدلت غصونها واورقت واثمرت وارطبت وقيل لها هزى اليك بجذع النخلة اى حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا قال الربيع ابن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما ادرى للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به اولاد الصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء في وصف التمر علة الصغير ونهلة الكبير قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذ قد ضربها البرد ثم شعل لها نارا لتصطلى بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت في خرجه فاطعمها اياها فمن اجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز (قال وهب) فلما ولد عليه السلام اصبحت الاصنام كلها بكل ارض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل

ماؤا ذلك الحفير بالاخشاب فقال قوم نكبله وندعه في النار ونضرمها عليه واختلفوا في ذلك فاتاهم ابليس لعنه الله وقال لهم اضرموا النيران فاذا راى لهيبها وعاينها يرجع عن دينه الى دينكم ثم وضع لهم المنجنيق وقال لهم اذا أبى فضعوه في كفته وارموه في ذلك فانه يصعد به المنجنيق في الهواء ويوقعه في النار وأنتم تنظرون كيف يحترق قال فاتخذ النمروذ مكانا مرتفعا من الارض مبنيا بالجص وجلس ينظر كيف يحترق ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال فلما اوقدوا النيران كاد أن يضيء لها المشرق والمغرب وصعد لهيبها الى ان اطبق ما بين الخافقين حتى ان الطير كان اذا طار في الجو حرقه لهب النيران ثم اتى بابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما نظر الى ذلك التفت يمينا وشمالا الى الكافرين وقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال فوضعوه في المنجنيق ورموه في الجو فضجت ملائكة السماء وقالوا الهنا وسيدنا ومولانا هذا عدوك فهل بخليلك ماترى

بالعرش يوم كان على الماء فاتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما راى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم اشتاتا فسالهم فاخبروه انه حدث فى الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شىء اعون على هلاك بني آدم منها لانهم كانوا يدخلون في اجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون انها هي التى تكلمهم فلما اصابها هذا الحدث صغرها في أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا (واعلم) انا لم نكن نأتيك حتي أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شىء فلم نزدد الا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الأمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذي ولد فيه عيسى فلما رأي الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد ان يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فاراد ان يدخل من بينهم فمنعوه عن ذلك يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن في الحجاب * قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى احصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبحرها والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغته في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم انثى على ولد الا بعلمي ولا وضعته الا وانا حاضرها واني لارجو ان يضل به أكثر ممن يهتدي به وما كان نبي أشد علي وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج فى تلك الليلة يؤمونه من اجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسالهم أين تريدون فاخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان اهديتموه بهذه الاشياء قالوا تلك أمثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا نبي صلى الله عليه وسلم سيد اهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يشفي الله به كل سقم ومرض ولان اللبان دخانه يدخل السماء لا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه الله الى السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم بمكانه فاعلموني بذلك فاني راغب فى مثل ما رغبتم فيه من امره فانطلقوا حتي قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية اليها عليها السلام وارادوا ان يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك فقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما اراد قتله فانصرفوا في طريق آخر وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع والله اعلم

(باب فى رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها أسباب ولادتها قال كلي يامريم من الرطب واشربي من الماء العذب وقري عينا وطيبي نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولي انى نذرت للرحمن صوما أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود وأنس وذلك انهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن اكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قال الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وعيسي الى غار فادخلهما فيه اربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فاتت مريم تحمله بعد اربعين يوما فكلمها عيسي فى الطريق فقال ياامه ابشري فاني عبدالله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل

بيت

فائذن لنا أن نخسف به الارض وننجى خليلك ابراهيم فقال الجليل جل جلاله ياملائكتي كل ذلك بين قدرتي وانا اللطيف الخبير ثم قال الله تعالي ياجبريل ادرك خليلي ابراهيم وسلمه اير بدفانا اقرب اليه من حبل الوريد قال فهبط اليه جبريل مسرعا وهو صاعد فى الهواء قبل هبوطه الى النار فقال السلام عليك ياابراهيم فقال وعليك السلام ياجبريل فقال ألك من حاجة فقال له ابراهيم أما اليك فلا فقال جبريل سل من اليه حوائجك فقال ابراهيم علمه بحالى يغنى عن سؤالى فقال الله تبارك وتعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فصارت تلك النار جنة نعيم وجرت فيها عين من تسنيم وفرش فيها مهاد التنعيم ونودى بلسان التفهيم سلام قولا من رب رحيم وكان من أمره ماكان (فلما) آن ظهور اشراق بهجة المصطفي سيد الامم طه المكرم صلى الله عليه وسلم واينعت اغصان الاسلام وأثمرت وبزغت في ليل الشرك شمس الايمان وظهرت وولد سيد البشر وشاع

بيت صالحين فقالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا فظيما عظيما يا اخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من اتقياء بني اسرائيل وليس بهرون أخي موسى وذكر وانه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من أفسق بني اسرائيل واظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت امك بغيا أي زانية فمن أين لك هذا الولد فاشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال وهب فاتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما اني عبد الله آتاني الكتاب الاية فاقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا للنصارى والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وارادوا أن يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد مضي اثنتين واربعين سنة من ملك اغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار واخبره بما اراد هردوس وأمره ان يهرب بالغلام وأمه الى مصر واوحى الله الي مريم ان الحقي بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعي الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر ابو اسحق الثعلبي) في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هي اقرب الارض الي السماء وقال ابو زيد هي مصر وقال الضحاك هي غوطة دمشق وقال ابو العالية هي ايلياء وقال الفزاز الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فاقامت مريم بمصر اثنتى عشرة سنه تغزل الكتان وتلتقط السنبل في اثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذى فيه السنبل في منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة (وروى) عن محمد ابن على الباقر رضي الله عنه انه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كانه ابن شهر فلما كان تسعة اشهر اخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب واقعدته بين يدى المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل ابجد فرفع عيسى عليه السلام راسه فقال له هل تدرى ما ابجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يامؤدب لا تضربني ان كنت تدرى والا فاسألني حتى افسر لك فقال له المؤدب فسره لى فقال عيسى الالف لااله الا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله هو زالهاء هي جهنم وهى الهاوية والواو ويل لاهل النار والزاى زفير أهل جهنم حطى حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت تقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم فقال المؤدب لامه أيها المرأة خذى ابنك فقد علم ولا حاجة الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المعسر باسناده عن ابى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته امه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما ادري

ذكره وانتشر وبلغ اشده واستوى اتاه المطوق بالنور الامين جبريل عليه السلام من الملك وقال له يا محمد اجب الملك الجليل قد اتيتك بالبراق لتعلو السبع الطباق فقد دعاك لحضرته الملك الخلاق وها انا في ركابك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم قدما بالمسجد الحرام وقدما بالمسجد الاقصي والثالث بعنان السماء فتقدم وصلى بالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ثم اخترق سماء بعد سماء حتى انتهى الى عرش الاستواء واخترق الحجب والاستار الى ان سمع صريف القلم على صفحات اللوح المحفوظ فعند ذلك وقف جبريل عليه السلام فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مابالك تركتني فقال له جبريل ياكرم الخلق على الله تقدم على ربك وذرنى فهذا مكانى متى تقدمت قدر ذرة احرقتني انوار الهيبة وشعاع العظمة وما منا الا له مقام معلوم فلما هم المصطفى صلى الله عليه وسلم بان يتقدم و ينزل جبريل عليه السلام قال له ياامين الوحى الك من حاجة الى الله تعالى في هذا المقام كما تقدم منك لابى ابراهيم

قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

(باب فى صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلاً أحمر مائلا الى البياض ماهو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشى حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا الا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشي على وجه الماء فى البحر وكان اشمث الرأس صغير الوجه زاهدا فى الدنيا راغبا في الاخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله اعلم

(باب فى ذكر الايات والمعجزات التى ظهرت لعيسي عليه السلام في صباه الى ان نبيء)

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى ان امه كانت نازلة فى دار دهقان من ارض مصر انزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك لدهقان تأوى اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن امه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه اتحبين ان ادله على ماله قالت نعم يا بني قال لها قولى له يجمع المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد والى رجلين منهم احدهما اعمى والاخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمي وقال له قم به فقال الاعمى انا اضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوي المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتال على مالك البارحة لان الاعمي استعان بقوة المقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضعه فى خزانته وقال يامريم خذي نصفه فقالت انى لم اخلق لذلك قال الدهقان فاعطيه لابنك قالت هو اعظم مني شأنا ثم لم يلبث الدهقان ان اعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه اهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من اهل الشام لم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما راي عيسي اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فامر عيسى يده على افواهها وهو يمشى فكلما امر يده على جرة امتلأت شرابا حتي اتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنى عشرة سنة (آية اخرى) قال السدى كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم و يقول للغلام انطلق فقدا كل اهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى اهله فيبكى عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسي يطلبهم فقالوا له ليس ههنا فقال لهم فما فى هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذاهم خنازير ففشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية اخرى) قال السدي لما خرج عيسى وامه عليهما السلام يسيحان فى الارض اذ ترك بني اسرائيل ونزلا فى قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مغتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ماشأن زوجك اراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت اخبريني لعل الله يفرج كربه على يدى فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه و يسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا سعة قالت فقولى له لا يهتم بشيء فانه قد احسن الينا وانى آمر ابنى ان يدعو له فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسي فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا نبالي لانه احسن الينا واكرمنا قال عيسي

فقالت نعم ياسيد البشر فقال وماهى فقال تسأل الله لى عز وجل الامن من مكره وسخطه وعنا به قال فتقدم صلى الله عليه وسلم الى مكان لم يصل اليه نبي مرسل ولا ملك مقرب فابتدأه بالتحية والسلام ذو الجلال والاكرام ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى فاوحى الي عبده ماأوحى فقال صلى الله عليه وسلم يارب امتى فقال الله عز وجل يامحمد انى قد مننت على امتك بثمانية اشياء لم امن بها على احد من الامم السابقة (الاول) انى لم اخلق خلقا فى السماء ولا فى الارض اكرم على من امتك (الثانى) ان مائة الف واربعة وعشرين الفا من الانبياء مشتاقون اليك والى امتك (الثالث) انى لم اعط امتك الكثير من الاموال مثل ماسبق من الامم لئلا يطول عليهم الحساب يوم القيامة رحمة لهم وشفقة عليهم (الرابع) انى لم اعط امتك القوة بالاموال والاولاد مثل الامم السابقة حتى كفروا وجحدوا نعمتي (الخامس انى لم اطول اعمارهم فتجتمع عليهم الذنوب من كتقدم من غيرهم

فقولي له اذا قترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سئل من اين هذا الخمر قال له من ارض كذا وكذا قال الملك فان خمرى قد أتى بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من ارض اخرى فلما خلط على الملك وشدد عليه قال اخبرني على الحق قال فانا أخبرك عندى غلام ماسأل الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيى ابنى فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لاتفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لاابالى بعد ان اراه قال عيسى ان أحييته تتركونى انا وامى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنى موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وامه

(آية اخري) قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبى فوكزه برجله فقتله فالقاه بين يدى عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فاخذوه وانطلقوا به الى قاضى مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لاادرى من قتله وما أنا بصاحبه فارادوا أن يبطشوا بعيسي عليه السلام فقال لهم ائتونى بالغلام فقالوا له ماتريد منه قال اريد أن اسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فاخذوه واتوا به الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء فاحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلني فلان على الذى قتله فقال بنوا اسرائيل من هذا قال هذا عيسى ابن مريم قالوا فمن هذا الذى معه قال قاضى بنى اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى امه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه يا بنى الم انهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية اخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعد مااخرجته من الكتاب الى اعمال شتى فكان اخر مادفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسه ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج فى سفر لاارجع الي عشرة ايام وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يصبغ به فاحب ان تكون فارغا منها وقت قدومى ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال لها كونى باذن الله تعالى على ما اريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال ياعيسى مافعلت قال فرغت منها قال اين هى قال فى الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد لقد افسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا اخضر وثوبا احمر الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى مافعل عيسي عليه السلام فامن به هو واصحابه وهم الحواريون والله عز وجل اعلم

(باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس)

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام اوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويامرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وامه عليهما السلام وسكنا فى جبل الخيل فى قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصاري وكان عيسي يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة اوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمني والعميان والمجانين ويقمع

(السادس) انى لم اعاقب امتك عند كل ذنب كما عاقبت الامم السابقة (السابع) انى اخرتهم الى آخر الزمان وجعلتهم آخر الامم حتى لايطول مكثهم فى التراب (الثامن) انى لم افش سرهم كما أفشيت سر الامم واخبارهم اليك والى امتك وانه ليس بعدك نبي ولا قرآن وهذا كله ببركتك يامحمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ان عبدك جبريل سألني ان اسالك ان تؤمنه مكرك فلم يسمع جوابا قال فراجع ربه ثانيا فى امره حتى سمع الخطاب من الملك الوهاب يامحمد قد امنته مكرى فعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو فرح مسرور واخبره بذلك ففرح جبريل بذلك وقال الحمد لله على كثرة انعامه ثم قال يامحمد كل ذلك ببركتك وعلو قدرك عند ربك صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين

(وروي عن ابى بكر الصديق رضي الله عنه) انه اتى يوما من الايام الى المسجد للصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد صلى فقعد

الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه فقعل ما أمره به فاحبه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت اتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون الفاً فمن أطاق منهم أن يمشي اليه مشي اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان * ودعاؤه الذى كان يشفى به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت اله من فى السماء واله من في الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من فى الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من فى الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من فى السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك باسمائك الكرام انك على كل شيء قدير

﴿ باب فى قصة الحواريين عليهم السلام ﴾

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أي الهمتهم ووفقتهم أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اعلم ان الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثنى عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدى ويحيي أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوماو متى العشار ويعقوب بن حلفاوليا الذى يدعي تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخر يوطى عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم لم سموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معى حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال ندعوا الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربى فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه وقال السدي كانوا ملاحين وقال ابن ارطاة كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها (أخبرنا) ابن فتحويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا ياروح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا ياروح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا ياروح الله من أفضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك انى أترك ملكي وأتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقدمضت القصة * قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله ابن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما نوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وحوارى الزبير فهؤلاء حواريو عيسى ابن مريم عليه السلام فاما حواريو هذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينورى باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو عبيدة ابن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين

ذكر

حريننا في اخر المسجد لما فاتته الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان الله سبحانه وتعالى خلقني قبل ان يخلق السموات والارض بالفى عام فكنت اسبحه واقدسه فبينما انا على تلك الحالة اذا قبة من نور بيضاء تضيء فجعلت تمر مر السحاب واذا بصوت منها يقول احد احد فرد صمد فقلت يارب من هذا الخلق خلقته قبلي ام خلق تخلقه بعدى فقال الله عز وجل هذا خلق اخلقه فى اخر الزمان وهو نبي مكرم اسمه محمد وامته خير الانام فقلت يارب اسالك بحقه عليك ان تجعلني سفيرا بينك وبينه فكان كذلك فبينما انا كذلك اذا بقبة اخرى تليها وهي تمر مر السحاب واذا بصوت منها يقول صدق صدق فقلت ومن هذا يارب فقال رجل من امة هذا النبي يكون اول من يصدقه يسمى الصديق فلما بعثك الله يا محمد اقام ابو بكر

﴿ ذكر خصائص عيسي عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه ﴾

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها فى سورة المائدة واذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس * واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نفخ فيه الروح اضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهرة وسمى عيسي عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيدة ابن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالي واذ علمتك الكتاب أى الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه كمل الطير خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له ثديا واسنانا ويلد ويحيض ويطير (قال وهب) كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرىء الاكمه والابرص باذنى والابرص الذى به وضح والاكمه الذي ولد أعمى ولم يبصر ضوأ قط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعيا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسي الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك (ويروى) أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ماهؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فطمسوا أعينهم بايديهم فقال لهم مادعاكم الي هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بانفسنا ماترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذاهم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذنى وأحيا منهم أمواتا منهم العاذر وكان صديقا له فارسلت أخته الى عيسى أن أخاك العاذر يموت فاته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فاتاه هو وأصحابه فوجدوه قدمات منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقى بنا الي قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو فى صخرة مطبقة فقال عيسي اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم أنى أحيي الموتى باذنك فاحى العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقى وولد له (ومنها) ابن العجوز وكانت القصة فيه ان عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان فى هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا ياروح الله لايدخل هذه القرية أحد غريب الاقتلوه فقال لهم عيسي مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتي دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم ياأهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أماترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعمونى فبينما عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسي أضفنى ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسي أما أنك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما ان تكون مجنونا واما ان تكون عيسى بن مريم قال انا عيسي فاضافه وبات عنده فلما أصبح قال له اغدوادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيامر بضربك واخراجك فمضى

ينتظرك قبل امتك باربعين عاما فلما بعثت بادر اليك وصدقك فيستحق منك ان تصبر له ساعة حتى يصلى معك وينال من بركتك ثم مضي جبريل عليه السلام فقام النبي صلى الله عليه وسلم واخذ بيد ابى بكر وعاهده انه لم يكن ليصلى فرضا الا ان يكون خلفه رضي الله تعالى عنه وعن كل الصحابة اجمعين (وحكى عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما نحن جلوس بالمسجد واذا برجل اعمى قد دخل علينا وسلم فرددنا عليه السلام واجلسناه بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يقضيني حاجة فى حب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه ماحاجتك ياشيخ فقال ان لى اهلا ولم يكن عندي مانقتات به واريد من يدفع لنا شيأ نقتات به فى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنهض ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال نعم انا اعطيك مايقوم بك فى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هل من

الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت اليك أخطب ابنتك فأمر بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فاخبره الخبر فقال اذا كان غدا فاذهب اليه واخطب ابنته فانه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضرب دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال ارجع اليه فانه سوف يقول لك أنا أزوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة ومافيه من ذهب وفضة وزبرجد فقل له أفعل ذلك فاذا بعث معك احدا فاخرج به فانك سوف تجده ولا تحدث فيه شيأ ثم انه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمي قال وما حكمك فحكم بالذى سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك فبعث معه رجالا فسلم اليهم ما سأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال ياروح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحالة فقال له عيسى انى آثرت مايبقى على مايفنى فقال الفتى انا أيضا ادعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فاخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذى قلت لكم فكان معه ابن العجوز الى ان مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقى وولد له (ومنها ابنة العاشر رجل كان ياخذ العشر قيل له أتحييها وقد ماتت بالامس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولد لها (ومنها) سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الاعظم وضرب التل بعصاه وقال احى باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف راسه فقال اقد قامت القيامة قال لا ولكني دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر فى قصة نوح عليه السلام (ومنها) عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام احيه والا احرقناك بالنار وجمعوا له حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوبا على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا ان يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فاخبروه فناولهم اناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو فى اكفانه والارض لا تاكل اجساد الانبياء ثم أنه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احى ياعزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل ذلك تراه اعينهم فقالوا ياعزير ماتشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد انه عبد الله ورسوله فقالوا ياعيسى ادع لنا ربك يبقه لنا ليكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره فعاد ميتا فآمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من عاند قال الكلبي كان عيسى يحيي الموتى بياحى ياقيوم (ومنها) اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل اخبارا عنه وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال الكلبي لما أبرأ عيسى الاكمه والابرص واحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن اخبرنا بما ناكل وماندخر فكان يخبر الرجل بما ياكل فى غدائه وبما ياكل فى عشائه (ومنها) مشيه عليه السلام على الماء يروي انه خرج فى بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشى على الماء قال فانغمس فى الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ماقلت ياقصير فاخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك فى غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ماقلت فتب الى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التى وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الحمشاوى باسناده عن معاذ

ابن

حاجة اخرى فقال نعم ان لى ابنة اريد من تزوج بها فى حياتى حبا فى محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه انا أتزوج بها فى حياتك حبا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من حاجة اخرى فقال نعم اريد ان اضع يدى فى شيبة ابى بكر الصديق رضى الله عنه حبا فى محمد صلى الله عليه وسلم قال فنهض أبو بكر رضى الله عنه ووضع لحيته فى يد الاعمى وقال امسك لحيتي فى حب محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبض الاعمى بلحية ابى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال يارب اسألك بحرمة شيبة ابى بكر الا مارددت على بصرى قال فرد الله عليه بصره لوقته فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يامحمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك وعزته وجلاله لو اقسم على كل اعمى بحرمة شيبة أبى بكر الصديق لرددت عليه بصره وما تركت على وجه الارض اعمى وهذا كله ببركتك وعلو قدرك وشأنك عند ربك اللهم شفعه فينا والمسلمين

ابن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذى ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا قالوا يارسول الله قد بلغنا ان عيسي بن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفا ويقينا لمشى على الهواء قالوا يارسول الله ما كنا نرى ان الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شانا من ان يبلغ أحد شانه

﴿ ذكر حديث جامع في هذا الباب ﴾

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودى رغيفان ومع عيسي رغيف فقال له عيسى تشاركنى فى طعامك قال اليهودى نعم فلما رأي انه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسي الى الصلاة وذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضي عيسي صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه اين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فاكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاء الى شجرة فقال عيسي لصاحبه لو انا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم اصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرايت ان انا عالجتك حتي يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسي لليهودى بالذى اراك الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسي عنه ومر فاذا هما بمقعد فقال له عيسى أرايت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى مارأيت مثل هذا قط فقال له عيسي بالذى أراك الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه الا رغيف واحد فسكت عنه عيسى فانطلقا حتى انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لا اري جسرا ولا سفينة فخذ بحجزتى من ورائى وضع قدمك موضع قدمى ففعل فمشيا على الماء فقال له عيسي بالذى أراك أمر الاعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعى فدعا عيسى بظبي فذبحه وشوي منه بعضا واكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عزوجل فاذا الظبي يعدوا فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي اراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فمرا بصاحب بقر فنادى عيسى ياصاحب البقر اجزرلنا من بقرك هذه عجلا فقال ابعث صاحبك اليهودى يأخذه فانطلق اليهودى فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كلوا لا تكسروا عظما فلما فرغوا قذف بعظامه فى جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى ياصاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من انت قال أنا عيسي بن مريم قال عيسي السحار ثم فرمنه فقال عيسى لصاحبه بالذى احيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسي فى اسفلها واليهودى فى اعلاها فاخذ اليهودى عصا عيسى وقال انا الآن ابرىء المرضي واحيى الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنفا فانطلق اليهودي ونادى من يبتغى طبيبا حتى اتى باب الملك فاخبر بوجعه فقال ادخلونى عليه فانا ابرئه وان رايتموه قدمات فانا احييه فقيل له ان وجع الملك قد اعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه الا صلبه فقال ادخلونى عليه فادخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصاة وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فاخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسي فاقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم ولو أحييت لكم الملك هل تتركون لى صاحبي قالوا نعم فدعا الله عزوجل فاحياه وقام فانزل اليهودى من الخشبة فقال ياعيسي انت اعظم الناس على منة والله لا افارقك ابدا فقال له عيسي أنشدك الله الذى احيا الظبي والعجل بعدما اكلناهما واحيا هذا بعدما مات وانزلك من على الجذع بعد ما صلبك كم كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معى الا رغيف واحد فقال عيسي لا بأس

(ومما نقل من حكايات الخلفاء الراشدين رحمهم الله تعالى (حدث ابو موسي الفضل عن ابيه قال سمعت زينب بنت سليمان ابن على بن عبد الله بن عباس تقول كنت عند الخيزان جارية المهدي وكان عادتها اذا كنت عندها انها تجلس في عتبة باب بيت من بيوت القصر واجلس بازائها في الصدر فى مجلس كان المهدى يجلس فيه اذا قصدنا وكان يقصدنا فى كل وقت يجلس عندنا ساعة ثم ينهض فبينما نحن جلوس اذ دخلت علينا جارية من جوارى الخيزران اللاتى يحجبنها فقالت اعز الله السيدة ان بالباب امرأة ذات جمال وخلق حسن وهي على غاية من سوء الحال تستاذن فى الدخول عليك وقد سالتها عن اسمها فامتنعت من ان تخبرنى قالت زينب فاشارت الخيزران الى فقالت ماتريد فقلت ما يضرنا دخولها فلابد من فائدة او ثواب فدخلت المرأة فاذا هي أجمل مايكون من النساء وكمالهن فوقفت الى جانب الباب وسلمت وقالت انا مزنة بنت مروان بن عبد الملك

فانطلقا حتي آتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لي وواحدة لك وواحدة للذي اكل الرغيف الثالث فقال اليهودي لعيسى انا صاحب الرغيف الثالث اكلته وانت تصلي فقال عيسى هي لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودي تتطلع الى المال ويكره أن يعصي عيسى ويعجزه حمل المال فانطلق مع عيسى فبينما هو كذلك اذ مر بالمال ثلاثة نفر فتواعليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فائتنا بطعام وشراب ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال احدهما للآخر هل لك ان تقتله اذا رجع ونقتسم المال بيننا قال نعم وقال الذي ذهب في نفسه أنا اجعل في الطعام سما فاذا اكلاه ماتا ويصير المال كله لي ففعل ذلك فلما رجع اليهما ووصل قتلاه ثم اكلا الطعام الذي جاء به اليهما فماتا وان عيسى عليه السلام مر به وهم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا تصنع الدنيا باهلها ثم ان عيسى أحياهم باذن الله فاعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيأ فتطلعت نفس اليهودي صاحب عيسى الى المال فقال اعطني المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك في الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسى عليه السلام ﴿ ومنها نزول المائدة ﴾ قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروي قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك انهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم اني فاعل ذلك وانها مقيمة لكم مالم تخبؤا او تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضي يومهم حتي خانوا وخبؤا وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل ابدا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا ان عملنا لاحد فقضينا عمله اطعمنا طعاما وان صمنا وجعنا فادع الله ان ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وروي عطاء بن السائب وغيره انه كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدي فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفي نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال وهب انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغني عنهم من شيء قال بلى ولكن الله ضاعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتي اكلوا باجمعهم وفضل وقال كعب الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال اني منزلها عليكم كما سألتم فمن اكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان افضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان وستة ارغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وانزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا شهدنا انك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة أخري فانزل الله خمسة ارغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع في المرة الاولى

فلما

ابن محمد الاموي قالت زينب فكنت متكئة فاستويت جالسة وقالت مرنة قاتلك الله ولا حياك ولا رعاك ولا سلمك ولا سلم عليك والحمد لله الذي ازال النعمة عنك وهتك سترك واهانك بين الناس اتذكرين يا عدوة الله حين اتاك نساء بني العباس يسألنك بالله ان تكلمي اباك في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن واسمعتهن اخشن الكلام واغلظ القول وخرجن على الحالة التي علمت بها قالت زينب فلما سمعت كلامي ضحكت فوالله ما انسي حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت اي بنية عمي اي شيء اعجبك ما صنع الله بي حتى اردت ان تسيئيني والله لقد صنعت بنساء اهلك ما قد ذكرت ولكن حق على الله تعالى ان تكلميني ذليلة جائعة عريانة افكان هذا شكرك لله على ما اولاك ثم قالت زينب فالتفت ونظرت فاذا هي تبكي فنادت الخيزران يا مرنة دخلت باذني فلا تخرجي الا باذني وصاحت بحجابها ردوها فرجعت وقالت ما ساقني الا الضر والجهد وسوء الحال قال فنهضت الخيزران وقامت

فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع الي كفره فمسخوا قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثو كذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ويروى عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوى ولا انتهر يتيما ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا أخذ على انفه مرتين شيأ قط ولا عبث قط ولما ساله الحواريون ان ينزل عليهم الموائد صنوفا قال اللهم انزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاما نأكل وانت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتي سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضا وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحواليها من انواع البقول ما خلا الكرات واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا أم طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سالتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا ياروح الله لو اريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال عيسى ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسالون اشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم ان تعذبوا ياسمكة عودى كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا ياروح الله كن اول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سالها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها عيسى اهل الفاقة والمرضي وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها الف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشا ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برىء ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغني ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون حتي تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فاوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا اترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلكتم فشمروا لعذاب الله فاوحى الله تعالى الى عيسى أني شرطت على المكذبين شرطا أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسي عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما راي الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين اهلوهم فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسي يدعوهم

فعانقتها فقال مالك في اوضع شيء من الحال الذى انا فيه فقالت الخيزران لجواريها عليكن بالحمام لي سرعة فدخلوا بها الحمام وامرت بعض الجوارى بخدمتها ثم وافتها بالخلع المذهبة والطيب ثم قامت اليها الخيزران واعتنقتها واجلستها في المجلس الذى يجلس فيه امير المؤمنين المهدي وقدمت اليها الموائد فجعلت تأكل وهى تلقمها الى ان اكتفت غسلت يديها ثم قالت لها الخيزران فهل عندك احد اينتظرك فقالت مالى احد فقالت الخيزران فقومى فاختارى لك مقصورة من مقاصيري فاسكني فيها عندى ولا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاختارت اوسعها وانزهها فحول اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والملابس الحرير والرقيق ثم قالت الخيزران ان هذه امرأة مسها الضر واورثها الفقر ما لا نقدر عليه ولا يغسل ما في قلبها الا المال احملوا اليها خمسمائة الف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدى في آخر الامر فقال ما بالكم فنهضت اليه زينب واعلمته بجميع

باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا (ومنها) ماروي ان عيسي عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال يا عبدالله اراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال ياروح الله هذه امرأة كان لى من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولى عندها وديعة قال افتحب ان أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضا عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا اسود قد خرج من القبر كانه جذع محترق فقال له من أنت فقال يارسول الله انا رجل فى عذاب منذ اربعين سنة فلما كنت فى هذه الساعة قيل لى اجب فاجبت ثم قال يارسول الله قد مر على من اليم العذاب ما ان ردنى الله الى الدنيا أعطيته عهدا ان لا أعصيه ابدا فادع الله لى فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يارسول الله لقد غلطت بالقبر انما قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فاخذ الرجل بيدها حتى انتهيا الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه فى حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فاشار اليها فوضعت راس زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها فتفقدها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتى فقال الفتى هى جاريتي فبينما هم كذلك اذ طلع عيسي عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسي ماتقولين قالت انا جارية هذا ولا اعرف هذا فقال لها عيسى ردي علينا ما اعطيناك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل اماته الله كافرا ثم بعثه فامن وهل رايتم امرأة اماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت (ومنها) رفعه الي السماء اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (وروى) الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم انت ربى وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبنى وسب امى فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وامه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يامعشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فادخله خوخة ووراره فى سقفها ورفعه الله تعالى من روزنته فامر رأس اليهود رجلا من اصحابه يقال له فلطيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم يرعيسي فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيها فالقي الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضرونى الليلة فلي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضيهم ويمسح ايديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال الا من رد على ما أصنع فليس مني ولا انا منه فاقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدى الا ليكون لكم بى أسوة وانكم ترون أنى خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم واما الحاجة التى استعنتكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وارادوا

ان

ماجرى وما قالت حين دخلت عليها فغضب غضبا شديدا وقال هذا سجودك لله تعالى شكرا على ما أنعم عليك فوالله لولا الك حرمة لاحلفن ان لا أكلمك ابدا فقالت ياامير المؤمنين قد طاب قلبها واعتذرت اليها ونقلت ما بها الخيزران كذا وكذا فسره ذلك وقال احملوا اليها من عندي مائة الف درهم وقال للخادم [illegible] على رأسه بلغها مني السلام وقل لها انى ما سررت بشيء منذ دهري كسروري اليوم بمقامك عندنا ولولا احتشامك لسرت اليك مسلما عليك قاضيا لحقك قال فلما مضي الخادم بالرسالة جاءت الى المهدى وسلمت عليه وقالت ما على امير المؤمنين مني احتشام فاني صرت من جواريه فقال امير المؤمنين لا والله بل اعز من ولدى قال فلم تزل المرأة عند الخيزران حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها وعلى الخيزران وعلى امير المؤمنين المهدي وجزاهم الله تعالى عن معروفهم ومكارم اخلاقهم خيرا (ولما حج امير المؤمنين المنصور رحمة الله تعالى عليه) عرض عليه جوهر نفيس له قيمة

ان يجتهدوا ارسل الله عليهم النوم حتي لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم و يقول سبحان الله ما تصبرون في ليلة واحدة وتعينونني فيها فقالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا و بينه فقال يذهب الراعى وتبقى الغنم وجعل ياتى بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني احدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحابه فجحد وقال ما انا من اصحابه فتركوه ثم آخر فجحده كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى واحزنه ذلك فلما أصبح أتى احد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم ما تجعلون لى ان دللتكم عليه فجعلوا ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه و يقولون انت كنت تحيي الموتى وتبرىء الاكمه والابرص افلا تفك نفسك من هذا الحبل و يبصقون عليه و يلقون عليه الشوك ثم أنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الي الخشبة ليصلبوه اظلمت الارض وارسل الله الملائكة فحالوا بينهم و بين عيسى والقى شبه عيسى على الذى دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون انه عيسي وتوفي الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم ام عيسى وامراة كان عيسى دعا لها وابراها من الجنون يبكيان عند المصلوب فاتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله رفعنى فلم يصبني الا خيرا وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاء الملك فرفعه الى السماء والقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود انه عيسى فاخذوه وكان يقول لهم انى لست عيسى انى فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل من القوم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسي ورفعه اليه وقيل ان الذى شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى اشيوع بن قنديرا والله اعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة ايام)

(قال وهب) وغيره من اهل الكتب لما رفع الله عيسي عليه السلام لبث فى السماء سبعة ايام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود اعجلوك عن المهد الى اصحابك فانزل عليهم واوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن عليك احد حزنها فانزل عليها واخبرها انها اول من تلحق بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم فى الارض دعاة الى الله تعالى * وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل فى قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام و بما كان يشفى الله على يديه من المرضي والزمني أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسي وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بنية حسنة وانه قد اعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتى فأذهب الله عنها ما بها وبرئت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التى اهبط فيها هى الليلة التى تزخرفها النصاري قالوا

عظيمة الثمن فعرفه وقال هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقي من الامويين غيره ولا بد لى منه ثم التفت الي حاجبه الربيع وقال اذا كان الغد وصليت بالناس فى المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب ووكل بها جماعة من الثقات وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا يخرج احد حتي تعرفه فاذا ظفرت بمحمد بن هشام فائتنى به فلما كان الغد اغلق الربيع الابواب وفعل ما امر به المنصور وكان محمد ابن هشام فى المسجد فعرف انه المطلوب وايقن انه مأخوذ مقتول فتحير وارتاب واضطرب فبينما هو على تلك الحالة اذ اقبل محمد ابن زيد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم فلما رآه متحيرا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال ياهذا ما بالك فقال لاشيء فقال قل ولك امان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن انت قال محمد بن زيد بن على ابن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وايقن بالموت فقال لا تجزع فانك لست اتل ابى ولا جدى وليس

فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومتى الى الارض التي ياكل أهلها الناس وتوماريا الى ارض المشرق وفيلبس ويهوذا الى القيروان وأفريقية ويحيي الى افسوس قرية أصحاب الكهف والبعقوبين الى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتولماوس الى الاعرابية وهي أرض الحجاز وشمعون الى ارض بربر فاصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشتمونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لي من امره فوالله لو علمت لخليت بينه و بينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فاخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التي صلب عليها فاكرمها وصانها مسها منه وغزا بني اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هنالك كانت اصل النصرانية في الروم (وقال أهل التوراة) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من ارض اورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين واوحي الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس اليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

﴿ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام ﴾

(قال) وهب أراد الله تعالى ان يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فامر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفار والآخر يحيي أن يلتزما امه ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه امر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فخافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها واقبل ماروت ملك الروم واصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا انه امر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه به فاسلم كما ذكرنا والله اعلم

﴿ ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان ﴾

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن يكهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد واني أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني و بينه نبي و يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل ينزل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال و يهل من الروحاء حاجا أو معتمرا أو ملبيا بهما جميعا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين و يهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين سنة و يتزوج و يولد له ثم يتوفى و يصلي عليه المسلمون و يدفنونه في المدينة بجنب عمر اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي قبل

موت

لي عليك ثار وانا اجتهد في خلاصك ان شاء الله تعالى ولكن اعذرني فيما انا صانع بك من مكروه وقبيح فطرح رداءه على وجهه وغطى رأسه وجذبه الى قريب من الربيع فقال يا ابا الفضل ان هذا الخبيث جمال من اهل الكوفة اكراني جماله فلما دفعت اليه الاجرة هرب مني واكرى جماله لبعض اهل خراسان ولي عليه شهود وارید منك ان توصله معي الى القاضي وتمسك جماله عن الذهاب مع الخراسانيين فوكل به الربيع رجلين وقال لا تفارقاه الى القاضي ومحمد قابض على الرداء وقد استتر به وجهه وخرجوا جميعا من المسجد فلما بعدوا من الربيع قال له محمد ويلك وما ينفعك الفجور فقال يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجعت الى الحق واعترفت لك فقال محمد للرسولين انصرفا عنه فقد اعترف بالحق فتركاه وانصرفا عنه فلما بعدا عنه قال محمد اذهب الى سبيلك فقبل محمد بن هشام يده ورأسه وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ثم اخرج جوهرا قيمته كثيرة وقال لله تعالى يا ابن بنت

موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الامة مايعيش ثم يموت في مدينتي هذه
و يدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرني أبي) قال حدثني الحسين بن
أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك الله أمة أنا في
أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها

﴿ باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف ﴾

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام اذ ارسلنا
اليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق فاروض ورماض وقال وهب يحيى و يونس وقال
مقاتل يومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أي فقوينا برسول ثالث
وهو شمعون الصفار رأس الحواريين في قول اكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان
(قالت) العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية
فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما
عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن
قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرئ المريض ونشفي الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا
مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فلما نظرا
الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعوا له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحا
ففشا الخبر في المدينة و شفي الله على يديهما كثيرا من المرضي وكان في مدينة انطاكية فرعون
من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين (وقال وهب) اسمه ابطيحيس وكان من ملوك الروم قالوا
فانتهي الخبر الى الملك فدعاهما اليه و قال لهما من أنتما قالا رسولا عيسي قال و ما آيتكما قالا نبرئ
الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى قال وفيم جئتانا قالا جئناك ندعوك من عبادة مالا يسمع
ولا يبصر الى عبادة من يسمع و يبصر قال الملك أولنا اله سوى آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك بعد
عدمك وآلهتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما في السوق (وقال وهب)
بعث عيسي بهذين الرسولين الى أنطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات
يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب
الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد
متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به
وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى
غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني و بين ذلك قال فان رأي الملك دعاهما حتى نطلع
على ماعندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى
هنا قالا الذى خلق كل شيء فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل مايشاء و يحكم مايريد فقال
شمعون وما آيتكما قالا ماتتمناه نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى والزمني باذن الله قال فامر الملك
فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فمازالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذا
بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت
سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لي عنك سر اعلم أن

رسول الله صلى الله عليه
وسلم سرني بقبول هذا
فقال له اذهب بمتاعك
فنحن اهل بيت
لانقبل على اصطناع
المعروف مكافأة رضى الله
تعالى عنهم (وقيل
للاحنف ابن قيس)
ممن تعلمت الحلم قال من
قيس بن عاصم رايته
يوما من الايام قاعدا
بفناء داره متقلدا
بحمائل سيفه يحدث قومه
فبينما هو كذلك اذ اتى
برجلين احدهما مقتول
والاخر مكتوف فقيل له
هذا ابن اخيك قد قتل
ابنك قال فوالله ماقطع
كلامه ولا اغتاظ ثم التفت
الي ابن اخيه وقال يا ابن
اخي اثمت بربك ورميت
نفسك بسهمك وقتلت
ابن عمك ثم قال لابنه
الاخر يا بني قم فادفن
اخاك وحل كتاف ابن
عمك وسق الى امك
مائة ناقة دية ولدها
فانها غريبة منا (وروي
عنه ايضا (انه جالس في
داره يوما على المائدة ومعه
ولد صغير فجاءت جارية
بسفود عليه شواء حار فسقط
السفود منها فوقع على الولد
فمات من وقته فدهشت
الجارية وتغير لونها فقال لا
باس عليك انت حرة
لوجه الله تعالى وهذا من

الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذى تعبدانه يقدر على احياء الميت قالا الهنا يقدر على كل شىء فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم انى قدمت منذ سبعة أيام مشركا فادخلت في سبعة أودية من النار وأنا وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لى فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قولهم قد أثر فى الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار قال وهب وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفا ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه ان قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه في غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالى لا أعبد الذي فطرنى واليه ترجعون الى قوله انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا خرقا فى حلقه وعلقوه فى سور المدينة ودفنوه فى سوق انطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون أي ميتون (أخبرنا) أبو بكر الحمشاوى باسناده عن ابن أبى ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

﴿ قصة يونس بن متي عليه السلام ﴾

قيل متي أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء باخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية من قري الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس ابن متى عليه السلام بالنهى عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ

مكارم الاخلاق رضي الله تعالى عنه (ولما حج معاوية ابن ابى سفيان رضي الله تعالى عنه) لم يترك شيأ الا قدم به الى مكة والمدينة من دراهم ودنانير وثياب وطيب ودواب وغير ذلك فلما قدم المدينة قسم على اهلها اكثر من اهل مكة وبعث الى رجل من الانصار بالف درهم وعشرة اثواب وكان الرجل الانصارى من اهل بدر فاتاه الرسول بذلك العطاء فغضب وقال اما وجد معاوية من يرسل اليه بمثل هذا العطاء غيري اردده عليه فقال الرسول لا اقدر على ذلك فدعا الانصارى ابناله وقال يابني اسالك بحقي عليك الا رددت هذا العطاء على معاوية وضربت بهذه الثياب وجهه فاخذها ابن الانصارى واتى الى معاوية فعرف معاوية الشر في وجهه فقال ماتريد فقال ان ابى يقرئك السلام ويقول امثلى ترسل اليه بمثل هذا العطاء فقال معاوية من الرسول الى ابيك فقال فلان فقال قاتله الله انما هذا العطاء لغير ابيك وعطاء ابيك دفعه الى رجل غيره ثم قال ياغلام على بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا ووصايف

الربيع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهي رواية الضحاك والعوفي عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكانوا اثنى عشر سبطا فيهم النبوة والملك فاوحى الله تعالى الى شعياء النبي أن سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فاني ألقي الخوف في قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوي أمين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال هل سماني لك قال لا فقال ههنا غيري أنبياء أقوياء أمناء فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه فاتى بحر الروم وكان من أمره ما كان * وقال الحسن البصري انما غاضب ربه من أجل أنه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقال له الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله فلم ينظره فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي ان آخذ نعلي فذهب مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال اتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا فقال له التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة فكان من امره ما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس قبل نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد ان نبذه الحوت ودليل هذا القول ان الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عنها بقوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعد ما اوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما اوعدهم ولم يعلم السبب الذي رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال والله لا ارجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم وفي بعض الاخبار ان قومه كان من عادتهم ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي أوعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كيف ارجع الى قومي وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم لانه كان قد خرج من بين اظهرهم ابن نزل العذاب قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان احدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا (قال ابن عباس) وابن مسعود وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة اخرى فان اجابوك والا فاني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا فيهم وقال اني محذركم العذاب الى ثلاثة ايام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية ذلك ان تتغير الوانكم فلما اصبحوا تغيرت الوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان ليلة الاربعين ورأى يونس تغير الوانهم علم ان العذاب نازل بهم فخرج من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب (قال سعيد بن جبير) كما يغشى الثوب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب اغيمت السماء غيما اسود هائلا تدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة والهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة لله واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب

ووصيفة مسرعاً فحضر الجميع وقال يا ابن اخي خذ الجميع وعد الى ابيك واعتذر لي من ابيك وعرفه خطأ الرسول فقال يا امير المؤمنين ان للوالد حقا وله امر مطاع وقد امرني ان افعل شيئا قال معاوية ما هو يا ابن اخي قال انه دفع الي الثياب وقال بحق عليك الا ضربت بها وجهه فقال معاوية يا ابن اخي اطع والدك وارفق بعمك فتقدم الغلام ورمى بها وجهه برفق وتوجه الغلام الى ابيه واخبره بذلك وهو من حسن اخلاقهم (وقيل نزل بعض اللصوص الى دار خلف بن ايوب وهو قائم يصلي بالليل فجمع اللص جميع ما في البيت من قماش وغيره وشده وحمله على راسه وخلف ينظر اليه ولا يكلمه ثم خرج اللص من البيت الى الحائط يريد النهوض فلم يقدر على ذلك فقال له خلف يا ابن اخي خذ المفتاح وافتح الباب واخرج فالملك محتاج الى ذلك فقال ان مثلك والله لن يؤذي ثم ترك ما كان اخذه وتاب الى الله تعالى (وحكى بعضهم) قال كان لعبد الله بن الزبير ارض مجاورة لارض معاوية بن ابي

والاسام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما
جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلهم وذلك يوم
عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة اهل نينوى ان ترادوا
المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المرى
عن عمران الجونى عن ابى خالد قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد
نزل بنا العذاب فماترى قال قولوا يا حي حين لاحي يا حي حين تحيي الموتى لا اله الا انت فقالوها فكشف الله
عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت اى فلم تكن قرية آمنت وضع التحضيض
موضع النفى لان فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها في وقت الياس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا
نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى
حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين اظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب
ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف ارجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق مغاضبا لربه مغاضبا لقومه فأتى البحر
كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي ان لن نقضي عليه العقوبة تقول العرب قدر
الله الشيء يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقدرا قرئ بهما جميعا في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله
تعالى الذى قدر فهدى هذا قول اكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس من
قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (قال
ابن زيد) هو استفهام معناه افظن ان لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن ان يعجز ربه فلا يقدر عليه قال
وبلغنى ان يونس لما اصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه فاستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان له
سلف وعبادة فابى الله ان يدعه للشيطان فلما اتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير اجرة فلما
دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده
وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال انا الآبق فقالوا تلقى فى
الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من
المدحضين فلما وقع فى الماء وكل الله به حوتا فابتلعه واوحى الله تعالى الى الحوت انى لم اجعله لك رزقا بل
جعلناك له حرزا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى
مسكنه فى البحر فالتقمه حوت اخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم مر به على دجلة ثم
انطلق به الى نينوي ويقال ان الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يري جميع ما في البحر فلما انتهى به
الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله تعالى اليه وهو فى بطن الحوت ان هذا
تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا
معروفا بارض مجهولة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته فى بطن الحوت فى البحر فقالوا العبد الصالح
الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى فى
الظلمات ان لا اله الا انت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك انى
كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اسم الله الذي اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطي دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هي ليونس
ابن متى خاصة ام لجماعة المسلمين فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها الم تسمع قوله تعالى
فنادى فى الظلمات الى قوله وكذلك ننجي المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت
فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء اى بوجه الارض وهو سقيم اي عليل ضعيف

كالفرخ

سفيان وكان له فى كل
ارض عبيد لعمارتها
فدخل عبيد معاوية
في ارض عبد الله
ابن الزبير وغصبوا منها
قطعة فكتب عبد الله بن
الزبير الى معاوية اما بعد
يا معاوية فان عبيدك قد
غصبوا ارضي فامرهم بان
يتكفوا عنها والا كان لى
ولكم شان فلما وقف
معاوية على كتابه دفعه
الى ولده يزيد فلما قرأه
قال ماترى يا يزيد قال
ارى ان تبعث له
جيشا اوله عنده واخره
عندنا يأتيك برأسه فقير يحك
منه فقال معاوية عندى
خير من ذلك يا ابني قال
ماهو يا ابت فقال على
بداوة وقرطاس فكتب
فيه قد وقفت على كتاب
ابن حوارى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فساءنى والله ماساءه
والدنيا وما فيها هينة
فى حبك ورضاك وقد
كتبت على نفسى مسطور
اشهدت فيه الله وجماعة
من المسلمين على ان
الارض والعبيد الذي فيها
ملكك فضمها الى ارضك
والعبيد الى عبيدك
والسلام قال فلما قرأه
عبد الله ابن الزبير
كتب اليه يقول قد وقفت
على كتاب امير المؤمنين

كالفرخ الممعط (واختلفوا) فى مدة مكث يونس فى بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة ايام وقال عطاء سبعة ايام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدى والكلبي اربعين يوما فلما اخرجه الله من بطن الحوت انبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا وذلك قوله تعالى وانبتنا عليه اى عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من اين انت يا غلام قال انا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لى بينة قتلت فمن يشهد لى فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة واشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام مرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك انى قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فامر الملك بقتله وقال كذبت فقال ان لى بينة فارسلوا معى احدا يشهد فارسلوا معه رجالا فاتى البقعة والشجرة والشاة وقال انشدكم بالله هل اشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام واجلسه في مجلسه وقال انت احق بهذا المكان منى قال فاقام لهم امرهم ذلك الغلام اربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وامنوا به فاقام لهم امرهم (يروي) ان يونس عليه السلام مضي من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فاوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار ان يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شيء عملته بيدى أعيش فيه وأتمتع بثمنه أنا وعيالى تامرنى بكسره فبكى يونس فاوحي الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم تطب نفسه بكسره وانت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة الف او يزيدون من عبادى فمضي يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام قالت لهم ان اردتم يونس فاهبطوا الوادى، فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسالوه ان يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لى فى مدينتكم فبكوا والحوا عليه فاجابهم للدخول فاتى بعجلة من فضة واجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاضا على سبابته وهو ينادى هذا مجلس الجبارين فوثب يونس عن العجلة وجعل يمشى حتى دخل معهم المدينة فمكث مع اهله وولده اربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصير الغلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس فى زمان ملوك الطوائف والله اعلم

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال النعمان بن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ اصابتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فاوصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لى اجراء يعملون عملا لى فاستأجرت كل رجل منهم باجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشطر اصحابه فعمل فى بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرايت على من الاكرام ان لا انقصه شيأ مما استاجرت به اصحابه لما اجتهد في عمله فقال رجل منهم اتعطي هذا مثل ما اعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيئا من شرطك انما هو مالى أحكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك اجرته فوضعت حقه في جانب من

الاعدمنى الله بقاءه ولا اعدمه هذا الراي الذى احله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على الكتاب ناوله الى ولده يزيد فلما قرأه تهلل وجهه فرحا فقال له معاوية يابنى اذا بليت بشيء من هذا هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء وانا انوم لم نر فى الحلم الا خيرا رضى الله عنه (وحكى ان المهلب ابن ابى صفرة) مر بحى من اهل همدان فرآه شاب من اهل الحى فقال هذا المهلب قالوا نعم فقال والله ما يساوي خمسمائة درهم وكان المهلب رجلا اعور فسمعه المهلب فلما كان الليل اخذ المهلب في كمه خمسمائة درهم واتى الى الحى فارتعب الشاب حين رآه فاتى اليه وقال له افتح حجرك ففتح الشاب حجره فصب فيه الخمسمائة درهم وقال خذ قيمة عمك المهلب والله يا ابن اخى لو قاومتنى بخمسة آلاف دينار لاتيتك بها فسمع شيخ من اهل الحى فقال والله ما اخطا فيك من جعلك سيدا (وقال احمد ابن ابى داود) ماريت رجلا عرض على الموت ورأى النطع مفروشا

البيت ماشاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر فاشتريت به فنميته فبلغت ماشاء الله فمر بي بعد ذلك شيخ ضعيف لا اعرفه فقال لي ان لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى اعرفه قال فذكره فقلت له اياك ابغي وهذا حقك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي ان لم تتصدق علي فاعطني حتى فقلت والله ما اسخر ان هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى ابصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك فابت علي وذهبت ثم انها رجعت فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت والله ماهو دون نفسك فابت علي وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها زوجها أعطيه نفسك واغيثي عيالك فرجعت الي تنشدني بالله فابيت عليها وقلت والله ماهو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتي فقلت لها ماشانك فقالت اني اخاف الله رب العالمين فقلت لها اخفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفنا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي ابوان كبيران وكان لي غنم فكنت اطعم ابوي واسقيهما ثم ارجع الى غنمي قال فاصابني يوما غيث فحبسني حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلابي فحلبت غنمي وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى ابوي فوجدتهما قد ناما فشق علي ان اوقظهما وشق علي ان أترك غنمي فما برحت جالسا ومحلابي في يدي حتي أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم واد بين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه اصحاب الكهف قال كعب هي قريتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه اسماء اهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر اصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال اهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر اصحاب الكهف في ايام ملوك الطوائف بين عيسي ومحمد عليهما الصلاة والسلام (واما قصتهم) فيقال لما ولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة اتاه قوم من احبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولي الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد أن نسألك عن خصال ان اخبرتنا بها علمنا ان الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا ان الاسلام باطل وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن اقفال السموات ماهي واخبرنا عن مفاتيح السموات ماهي وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ماهو واخبرنا عمن انذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس واخبرنا عن خمسة اشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا في الارحام وأخبرنا مايقول الدراج في صياحه ومايقول الديك في صراخه ومايقول الفرس في صهيله ومايقول الضفدع في نقيقه ومايقول القنبر في صفيره قال فنكس عمر راسه في الارض ثم قال لا عيب بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وان يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد ان محمدا لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا ابا الحسن اغث الاسلام فقال وماذاك فاخبره الخبر فاقبل يرفل في بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا ابا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا علي كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمني الف باب من العلم فتشعب لي من كل باب الف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه ان لي عليكم شريطة اذا اخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن اقفال

والسيف مسلولا ولم يكترث لذلك ولا عدل عما اراد الانعم ابن جميل وقد كان خرج على المعتصم ولقد رايته وقد جيء به أسيرا مكتوفا وقد اجتمع الناس من الآفاق والنواحي ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلسا منكرا وامر الناس بالدخول ودخل تميم وحضر السياف وفرش النطع وكان تميم جميل الوجه تام الخلقة عذب المنطق فرآه المعتصم غير دهش ولا مكترث لما نزل به فاحب المعتصم ان يستنطقه ليعلم أين عقله في ذلك الوقت فقال له المعتصم ان كان لك عذر يا تميم فائت به فقال اما انت يا امير المؤمنين فالحمد لله الذي جبر بك الدين ولم بك شعث المسلمين وانار بك اسنار الحق واخمد بك شهاب الباطل وان الذنوب يا امير المؤمنين لتخرس الالسن الفصيحة وتصدع الافئدة الصحيحة ووالله لقد كبر الذنب وعظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك او انتقامك وانت الى العفو اقرب وهو بك اشبه واليق وانشد يقول

اری الموت بين السيف والنطع كامنا

السموات ماهي قال اقفال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فاخبرنا عن مفاتيح السموات ماهي قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض يقولون صدق الفتى قالوا فاخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذى التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة فقالوا أخبرنا عمن انذر قومه لا هو من الجن ولا من الانس قال هي نملة سليمان بن داود قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فاخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا في الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى قالوا فاخبرنا ما يقول الدراج في صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فاخبرنا ما يقول الديك في صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلون قالوا أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله قال يقول اذا مشي المؤمنين الي الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فاخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه قال يقول لعن الله العشار وينهق في اعين الشيطان قالوا فاخبرنا ما يقول الضفدع فى نقيقه قال يقول سبحان ربى المعبود المسبح فى لجج البحار قالوا فاخبرنا ما يقول القنبر في صفيره قال يقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال يا على لقد وقع في قلوب أصحابى ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقى خصلة واحدة اسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرنى عن قوم فى اول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم احياهم الله فما كان من قصتهم قال على رضي الله عنه يا يهودى هؤلاء اصحاب الكهف وقد انزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودى ما اكثر ما قد سمعنا قراءتكم ان كنت عالما فاخبرنى باسمائهم واسماء آبائهم واسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاحتبي على كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أخا العرب حدثنى حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم انه كان بارض رومية مدينة يقال لها افسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فاقبل فى عساكره حتي دخل افسوس فاتخذها دار ملكه وبنى فيها قصرا فوثب اليهودى وقال ان كنت عالما فصف لى ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخا اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ فى عرض فرسخ واتخذ فيه اربعة آلاف اسطوانة من الذهب والف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج فى كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرقى المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا في عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فاجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فاجلس عليها هراقلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت عالما فاخبرنى مم كان تاجه فقال يا أخا اليهود كان تاجه من الذهب السبيك له تسعة اركان على كل ركن لؤلؤة تضيء كما يضيء المصباح في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من ابناء البطارقة فمنطقهم بمناطق من الديباج الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم واعطاهم عمد الذهب واقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من اولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع امرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت صادقا فاخبرنى ما كانت اسماء الستة فقال على كرم الله وجهه حدثنى حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فمرطليوس وكشطوس وسادنيوس وكان يستشيرهم فى جميع اموره وكان اذا جلس كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك

يلاحظني من حيث لا التفت
واكثر ظني انك اليوم قاتلي
واي امرىء مما قضي الله يفلت
ومن ذا الذى ياتى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه يصلت
وما جزعي من ان اتى الموت انني
لاعلم ان الموت شىء مؤقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم
واكبادهم من حسرة تتفتت
كانى اراهم حين انعى اليهم
وقد اخمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة
اذود الردي عنهم وان مت موتوا
(قال) فبكى المعتصم حتى ابتلت لحيته وقال ان من البيان لسحرا ثم قال والله يا تميم لقد غلب السيف العفو وقد وهبتك لله ولصبيتك وعفوت عن زلتك ثم امر بقناة فعقدله على موضعه الذى كان خرج عنه ووصله بشيء كثير (وحكي عن بعضهم) قال قدم الى معن ابن زائدة اسارى فعرضهم على السيف فقام اليه رجل

وفي يد الثاني جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثاني فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من اجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه باجمعهم فأقاموا في ملكه زمانا يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتاج على رأسه اذ اتى بعض بطارقته فاخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فاكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شيء منعني عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال اطلت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم اطلت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي لئلا تميد بهم ثم اطلت فكري في نفسي فقلت من اخرجني جنينا من بطن أمي ومن غذاني ورباني ان لهذا صانعا ومدبرا سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا يا تمليخا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فاشر علينا فقال يا اخوتي ما اجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة اميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على ارجلكم لعل الله يجعل لكم من امركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على ارجلهم سبع فراسخ حتى صارت ارجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشي على اقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا ايها الراعي أعندك شربة ماء اولبن فقال عندي ما تحبون ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك وما اظنكم الا هرابا فاخبروني بقصتكم فقالوا يا هذا انا دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فاخبروه بقصتهم فانكب الراعي على ارجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا الى ههنا حتى أرد الاغنام الى اربابها وأعود اليكم فوقفوا له فردها واقبل يسعى فتبعه كلب له فوثب اليهودي قائما وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال يا اخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان ابلق بسواد وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء في لون كلب أصحاب أهل الكهف فقال ابن عباس كان أنمر وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروى عن علي كرم الله وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي احدى الروايات عن علي وقال شعيب الجبائي كان اسمه حمرا وقال الاوزاعي نتوى وقال مجاهد قطمور يا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب واسمه تغني (وأخبرني ابن فنجويه) باسناده عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه أن كلبهم كان قطمورو قيل قطفير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسلمينا وتمليخا ومرطليوس وبينوس وساونوس وداونوس

وكشطوس

منهم وقال انها الامير نحن اسراك ونحن والله جياع من أثر الطريق فان رايت ان تطعمنا ففي كل كبد حراء اجر فامر باطعامهم فاحضرت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا واكلوا ومن ينظر اليهم فلما فرغوا قام رجل اخر وقال ايها الامير كنا اسراك وقد صرنا اضيافك فانظر ماذا يصنع مثلك باضيافه فخلى سبيلهم وانعم عليهم عفا الله تعالى عنه وعن جميع المسلمين (وعرض) على الحجاج اسرى فامر بقتلهم فقتل منهم جماعة ثم قال رجل منهم وقد عرض على القتل لاجزاك الله عن السنة خيرا يا حجاج فانا وان كنا قد اسأنا في الذنب فوالله ما احسنت في العفو فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قوله في الكفار فكيف في المسلمين وقال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نكفهم
اذا اثقل الاعناق حمل القلائد

فقال الحجاج تبا لهؤلاء الجيف والله لو قالوا مثل

وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطي ودون الكركي وقال محمد ابن اسحق القلطي الكلب الصغير وقال ما بقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكتبه ابو عمرو الجبري عني (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف ان يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق ياقوم لم تطردونني وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودي وقال يا علي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين يا أخا اليهود اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم ﴿رجعنا الى الحديث﴾ قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فاكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فاووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون في السنة مرة لئلا تاكل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقليبهم قال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقليبان ﴿رجعنا الى الحديث﴾ قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال * فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين الف فارس وجعل يقفوا آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشيء ما عاقبتهم باكثر مما عوقبوا به أنفسهم فائتوني بالبنائين فاتي بهم فرموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذي في السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهبوا من رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمرنا هذا لفي عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت في ليلة واحدة فالقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أي أحلى وأجود وأطيب فقال لهم تمليخا يا أخوتي لا ياتيكم أحد بالطعام غيري ولكن أيها الراعي ادفع الي ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتي أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول اراني نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر باقوام يقرؤن الانجيل واستقبله اقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت صادقا فان امري عجيب ادفع الي بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني كم كان وزن الدرهم منها فقال يا اخا اليهود اخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز يا هذا انك قد اصبت كنزا فاعطني بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تمليخا ما اصبت كنزا وانما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة ايام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال الا ترضى ان اصبت كنزا ان تعطيني بعضه حتي تذكر رجلا جبارا كان يدعي

ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم احدا ولكن اطلقوا سبيلهم (ولما) ولي الحجاج العراق قال علي بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها انت بالامس في وقعة ابن الزبير كنت تحرضين الناس على قتل رجالي ونهب اموالي فقالت المرأة نعم قد كان ذلك فالتفت الحجاج الي وزرائه وقال ما ترون فيها قالوا عجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال لها على من تضحكين قالت من وزرائك فان وزراء فرعون كانوا خيرا منهم فنظر الحجاج الى وزرائه فرآهم خجلوا فقال لها كيف ذلك فقالت لانهم قالوا ارجئه واخاه حين استشارهم في قتل موسى وهؤلاء يستعجلونك في قتلي قال فضحك الحجاج وامر لها بعطاء واطلقها ولم يشوش عليها (وحضر الهرمزان الفارسي) بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماسورا فدعاه عمر الي الاسلام فابى فامر بقتله فقال يا أمير المؤمنين قبل ان تقتلني اسقني شربة ماء ولا تقتلني ظمآن فامر بقدح من ماء فلما صار القدح بيده

الريوبية قدمات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بي ثم امسكه واجتمع الناس ثم انهم اتوا به الى الملك وكان عاقلا عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتي قالوا اصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام امرنا ان لا ناخذ من الكنوز الا خمسها فادفع الي خمس هذا الكنز وامض سالما فقال ايها الملك تثبت في امري ما اصبت كنزا وانما انا من اهل هذه المدينة فقال له انت من اهلها قال نعم قال افتعرف فيها احدا قال نعم قال فسم لنا فسمى له نحوا من الف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما نعرف هذه الاسماء وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار قال نعم أيها الملك فابعث معي أحدا فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم دارا أربع دار في المدينة وقال هذه داري ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم ان هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى تمليخا وتبينه وقال له ما اسمك قال تمليخا بن فلسطين فقال الشيخ اعد علي فاعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهي ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له يا تمليخا ما فعل باصحابك فاخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذا تمليخا فلما صار واقريبا من الكهف قال لهم تمليخا يا قوم اني أخاف أن اخوتي يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون ان دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل اليهم فاخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس فقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن اهل المدينة بالله العظيم وقد جاؤكم فقالوا له يا تمليخا تريدان تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع ايدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا الا قبضت ارواحنا ولم يطلع علينا أحد فامر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف واقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة ايام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فايقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وان احوالهم كانت عبرة اراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا وانا ابني على باب الكهف مسجدا وقال النصراني بل ماتوا على ديني فانا ابني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني فبني على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم * ثم قال علي كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي اوافق هذا ما في توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا ابا الحسن لا تسمني يهوديا فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وأنك اعلم هذه الامة (وقال عبيد بن عمير) كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم في زي عظيم وموكب واخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله في قلوبهم الايمان وكان احدهم وزير الملك فآمنوا واخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا في انفسهم من غير ان يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين اظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره من غير ان يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا

لبعضهم

بين يدي الهرمزان قال انا امن حتي أشرب هذا القدح يا امير المؤمنين قال نعم لك الامان حتى تشرب هذا الماء فالقى الاناء من يده فأراقه على الارض ثم قال الوفاء الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر دعوه حتى ننظر في امره فلما وضع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال له عمر لقد اسلمت خير الاسلام فما اخرك قال خشيت ان يقال عني اني اسلمت خوفا من السيف فقال عمر لقد استحق بها ما كان فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش ويعمل برأيه رضي الله تعالى عنهم اجمعين (وقيل) سرق شاب سرقة فاتى به الى المأمون فامر بقطع يده فربطت لتقطع فانشد يقول

يدى يا امير المؤمنين اعيذها
بعفوك من عار عليها يشينها

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها
إذا ما شمال فارقتها يمينها

قال وكانت ام الشاب واقفة على رأسه فانكبت عليه وبكت وقالت يا امير المؤمنين ولدي وواحدي

لبعضهم ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم امره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما امره لصاحبه فقبلا وهما مستبشران الى اصحابهما فقالا قد اتفقنا على امر واحد واذاهم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الثقفي باسناده عن أبي جعفر الباقر قال كان اصحاب الكهف صيارفة * وقال وهب بن منبه جاء حواري من اصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة اصحاب الكهف فاراد ان يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها احد الا سجد له فكره ان يدخلها فاتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي وكان يعمل فيه فرأي صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام ان الليل لا يحول بيني وبينه أحد فيصلي فكان على ذلك الحال حتى اتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحواري وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم دخلا الحمام فماتا جميعا في الحمام فاتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في اصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد ان يدخله فقال قائل اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم أن راعيا ادركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت فيه غنمي من المطر ولم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين اصبحوا (وقال) محمد بن اسحق مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن اقام على دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا بدين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة اصحاب الكهف وهي افسوس فلما نزلها كبر ذلك على اهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتبع اهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتتبعون أهل الايمان في اماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ماقطع من اجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من اقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأي ذلك الفتنة حزنوا حزنا شديدا فقاموا واوصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس

ناشدتك الله الارحمت قلبي وارات روعتي بالعفو عمن استحق العقوبة فقال المامون هذا حد من حدود الله تعالي فقالت يا امير المؤمنين اجعل عفوك عن ولدي ذنبا من الذنوب التي تستغفر الله منها قال فرق المأمون لها وعفا عن ولدها واطلق سبيله عفا الله عنه (وعن عبد الملك بن مروان) انه اتى برجل من بني مخزوم وكان من اصحاب ابن الزبير فلما حضر بين يدي عبد الملك قال اليس قد ردك الله الى بئس المرد ورجع بك الى سوء المرجع فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ان الله ردني الى بئس مرد ورجع بي الى سوء مرجع فانت اخبر بنفسك فقال عبد الملك اطلقوه وامر له بجائزة وانعم عليه رضى الله عنه (وقيل) كان يزيد بن المهلب واليا على خراسان وكان حسن الوجه جميل الصورة فمكث مدة وانصرف عنها وتولى مكانه قتيبة بن مسلم فقال فيه بعض الشعراء

كانت خراسان ارضا اذ يزيد بها
وكل باب من الخيرات مفتوح
فبدلت بعده قردا يطوف بها

والدعاء وكانوا من اشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا
البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذ ادركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم
فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون و يتضرعون الى الله تعالى و يسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته
فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى
دقيانوس فقالوا تجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك و يعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم
تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي نعبدها في
الارض وأن تجعلوا أنفسكم كنظيركم ثم انهم خيروا اما أن يذبحوا لآلهتهم كما ذبح غيرهم من الناس واما أن يقتلهم
الملك فقال مكسلمينا وكان اكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه الها أبدا ولن
نقر بهذا الذي تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الذي له التحميد والتكبير والتسبيح والتقديس من انفسنا
خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير واما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدا لك ثم قال اصحاب
مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك امر بهم فنزع ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم
قال لهم انكم اذا فعلتم ما فعلتم فاني سأؤخركم وأتفرغ لكم فانجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما يمنعني ان اعجل
لكم ذلك لأني اراكم شبابا حديثة اسنانكم فلا احب أن اهلككم حتى اجعل لكم أجلا فتراجعوا فيه عقولكم
ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى
مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم
بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا
منها و يتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ناجلوس فيسكنون فيه و يعبدون
الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل
فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لاحدهم
حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه * وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب
على دينهم وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فنبح عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون
مني لا تخشوا جانبي فاني أحب أحباب الله فناموا حتى احرسكم (رجعنا الى حديث ابن اسحق) فلبثوا في
ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان
يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلدهم واجملهم فكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة
يضع ثيابا كانت عليه حسانا و يأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ
دراهمه فينطلق الى المدينة فيشتري طعاما وشرابا و يتسمع و يتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم
بشيء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فامر العظماء فذبحوا للطواغيت
ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري طعاما فرجع الى اصحابه وهو يبكي
ومعه طعام فاخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ليذبحوا
للطواغيت فلما اخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى و يتضرعون اليه و يتعوذون
به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا
رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على انفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا
يتحدثون و يذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد بباب الكهف فاصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض

كانّ وجهه بالخل منضوح
فبلغ ذلك قتيبة فطلبه
فهرب الشاعر منه ومضى
الى أم قتيبة فأخذ منها
كتابا بالوصية به وقدم الى
قتيبة فلما دخل عليه قال
يا ولدي باي وجه تلقاني
قال بالوجه الذي القى به
ربي فان احسانه لي
اكثر من احسانك لي
ومخالفتي له اكثر من مخالفتي
لك قال فضحك قتيبة
وترك سبيله وعفا عنه
(واشرف المأمون يوما
من قصره) فرأى رجلا
قائما وبيده فحمة يكتب
بها على حائط القصر فقال
لاحد غلمانه انزل الى
ذلك الرجل وامسك
يده واقرأ ما كتبه فقرأه
فاذا هو هذا الشعر
يا قصر جمع فيك اللؤم
والشؤم
متى يعشش في اركانك
البوم
يوم يعشش فيك البوم من
فرحي
اكون اول من يرعاك
مرغوم
فقال له اجب امير المؤمنين
فقال له الرجل سألتك بالله
يا غلام لا تذهب بي اليه
فقال له الغلام انه رآك من
القصر فاخذه واوقفه بين
يدي امير المؤمنين وقال
وجدته كتب كذا وكذا
فقال المأمون ويلك

قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون انى غضبان عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمرى فانى لا اغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما انت بحقيق ان ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت اجلت لهم اجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى آبائهم فسألهم عنهم وقال اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له اما نحن فلم نعصك ولم نقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمي ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فالقي الله في نفسه ان يأمر بالكهف فيسد عليهم واراد الله تعالى ان يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وان يبين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا وليكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال قال ثم ان رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما تندروس والآخر روباس ائتمرا ان يكتبا شأن الفتية وأنسابهم واسماؤهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلاه في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله ان يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعلا ذلك وبنيا عليه فبقى دقيانوس ما بقى ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثلاثين سنة فتحزب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأي اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد واما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما في الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الي من كان يظن فيه خيرا وانهم كانوا ائمة في الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا ان يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأي الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي مما يرى فيه الناس ويقول اى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذى يكره اختلاف العباد اراد ان يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شانهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستجيب لعبده الصالح تندوسيس وانه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى اعطاه وان لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيئا وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقي الله في نفس رجل من اهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا عليهم باب الكهف وحجبهم الله عن الناس فيزعمون ان اشجع من يريد ان ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتي يرى كلبهم نائما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كانما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا اصبحوا من ليلتهم التى يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شيأ ينكرونه انما هم كهيئتهم حين رقدوا يرون ان ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا ليمليخا صاحب نفقاتهم بين لنا ما الذى قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا

ما حملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لم يخف عنك ما حواه قصرك من خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والامتعة والفرش والجوارى والخدم فمررت عليه وانا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت متفكرا في امرى وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لي فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم منه رخامة أو خشبة او مسمارا ابيعه واتقوت بثمنه او ما علم امير المؤمنين ما قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ
نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير انه
يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام اعطه الف دينار ثم قال هى لك في كل سنة ما دام قصرنا عامرا (وانشد في المعنى)

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا
فعما قليل انت ماض وتاركه
فكم دحت الايام ارباب دولة
وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

(وروي عن موسى بن

الجبار وهم يظنون انهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم انهم قد ناموا كاطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم عمليخا التمستم في المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم غدا ثم قالوا يا عمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم وتلطف ولا تشعرن بك احدا وابتغ لنا طعاما واتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به أمس فانه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ففعل عمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق عمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوفا ان يراه احد من اهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح ان دقيانوس واهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأي عمليخا باب المدينة رفع بصره فرأي فوق ظهر الباب علامة لاهل الايمان فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من ابوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له ان المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأي ناسا كثيرين محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشي و يتعجب و يخيل اليه انه حيران ثم انه رجع الي الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب بينه و بين نفسه و يقول ليت شعرى اما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة و يستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة املى حالم ثم يري انه لم ينم فاخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين اظهر اهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا وراي انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية أمس فليس على الارض احد يذكر عيسى الا قتل واما الغداة فاسمع كل انسان يذكر عيسي و لا يخشى ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة أعرفها فانى أسمع كلام اهلها و لا اعرف واحدا منهم والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجها ثم انه لقى فتي من اهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال افسوس فقال في نفسه لعل بى مسا او امرا اذهب عقلي والله يحق لى ان ابادر الخروج منها قبل ان يصيبنى شر فاهلك هذا ما يحدث به عمليخا اصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه * ثم افاق وقال لو عجلت الخروج من المدينة قبل ان يفطن بى لكان اكيس لى فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم اخرج الورق التى كانت معه فاعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله بعني بهذه طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من اصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون و يقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل يرتعد و يظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه و يتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق انفضلوا قد اخذتم ورقى فامسكتموها فلا حاجة لى في طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين فانت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه يخف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل نأت السلطان ونسلمك اليه فلما سمع قولهم عجب فى نفسه ثم قال قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ثم قالوا والله يا فتى انك لا تستطيع ان تكتم ما وجدت ولا تظن في نفسك أن سيخفى عليك فتحير في نفسه وايس يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة مكبلا حتى سمع به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه

عمران صلوات الله عليه) انه خرج يوما نحو الطور واذا هو برجل واقف على الطريق فقال الى اين يا نبى الله قال الى المناجاة فقال لى اليك حاجة قال فما هي قال قل له يكرمني بقدر حبة من محبته فلما وقف موسي عليه السلام للمناجاة نسى الرسالة من حلاوة المناجاة فناداه ربه يا موسى نسيت حاجة عبدى قال يارب انت اعلم بما قال عبدك قال نعم ولكن الرسالة حقها ان تؤدي ومن لم يؤد الرسالة فقد خان وانا لا أحب الخائنين يا موسى قد وهبت له جميع ما اراد فرجع موسي فلم يجده في مكانه فقال الهى وسيدي اين ذهب الرجل صاحب الحاجة فقال يا موسى هرب منك قال لم قال من احبنا لا يلتفت الي غيرنا قال اردت ان تراه يا موسي فادخل هذه الغيضة قال فدخل ونظر فاذا اسد يا كله فقال الهي ما هذا فقال هذا صنعي باحبابى في دار الفناء انظر يا موسي الى دار البقاء فنظر فاذا بقبة من ياقوتة حمراء مثل الدنيا ثلاث مرات فقال يا موسى هذه له واناله (وقيل فى هذا المعنى شعر)
طال اشتياقى فهل لى

اهل

أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ماهذا الفتى من أهل هذه المدينة ومارأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا مايدرى مايقول لهم مع مايسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا ان اباه واخوته في المدينة وان حسبه في اهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن انه في عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وانه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض اهله فيخلصه من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها وهما رجلان صالحان اسم احدهما ارموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن تمليخا انهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل تمليخا يبكى ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض افرغ على اليوم صبرا واولج معى روحا منك تؤيدنى به عند هذا الجبار وجعل يبكى ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون مالقيت فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد توافقنا لنكونن معا لا نكفر بالله ولا نفترق فى موت ولا حياة ابدا ياليت شعري ماهو فاعل بى هل هو قاتلى ام لا * هذا ماحدث به تمليخا اصحابه عن نفسه حين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس فلما علم تمليخا انه لم يذهب به الى دقيانوس افاق وسكن مابه فاخذ ارموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال احدهما اين الكنز الذي وجدت يافتى فقال ماوجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ماادري ماشأنى وما ادرى مااقول لكم فقال احدهما من أنت فقال له تمليخا قال فمن ابوك ومن يعرفك بها فانبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا مايقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكى ينفلت منكم فقام احدهما ونظر اليه نظرا شديدا وقال له اتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال أبيك ولضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن أن تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لاعذبنك عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذى وجدت فلما قال له ذلك قال له تمليخا انبئونى عن شىء اسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل لا نكتمك شيأ قال مافعل بالملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له تمليخا فوالله ماأجد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتبهنا خرجت لاشترى لاصحابى طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معى الى الكهف الذى فى جبل ناجلوس أريكم أصحابى فلما سمع أرموس مايقول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه فانطلق معه ارموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا أن تمليخا قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم في القدر الذى كان يأتى فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدى دقيانوس ينتظر متي نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهرانى الكهف لم يشعروا الا وارموس وأصحابه وقوف على

فيكم وطمع
كيف اصطبارى
والاحشاء تقتطع
كيف الفرار الى من لا فرار
له
موله القلب للاحباب
منقطع يبكى الديار بدمع
هامل هطل
له من الجزع احباب وما
رجعوا
(وقال ابراهيم بن ادهم
نفعنا الله به) نزلت
مسجدا بالشام وكانت
ليلة شاتية فقال لى القيم
قم واخرج حتى اغلق
الباب فقلت انى غريب
ابيت ههنا فقال الغرباء
يسرقون القناديل
والحصر وقد حلفت ان
لا يبيت فيه احد ولو كان
ابراهيم بن ادهم فقلت انا
ابراهيم ابن ادهم فقال
كفى ماانت فيه حتى
تكذب ثم قال اخرج
وجعل يجرنى من
رجلى على وجهي
حتى رمانى خارج المسجد
بازاء حمام فرأيت شابا
حسن الوجه يوقد النار في
تنور ذلك الحمام فسلمت
عليه فلم يرد على السلام
حتي فرغ قال ياهذا انى
اجير وخفت ان اشتغلت
بالسلام عليك ان اكون
خائنا في عملى قلت بكم
تعمل كل يوم قال بدرهم

باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم أنهم سألوه عن شانه فاخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتحوا التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونش وداسيوس وتكريوس وبطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذى أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنباهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان ارموس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح تندوسيس اعجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالي قد أظهرها الله فى ملكك فاعجل الي فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التى كان عليها وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض تطولت على ورحمتني برحمتك فلم تطفيء النور الذى جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطيطوس الملك فلما نبا به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما راي الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخروا سجدا لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتي يبعثنا الله منه فامر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد ان يدخل عليهم وامر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر ان يؤتى كل سنة وقيل انهم لما اتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني ادخل على أصحابي فابشرهم فدخل وقبض الله روحه وارواحهم وعمى عليهم مكانهم فلم يهتدوا اليه كما ذكر على بن ابى طالب كرم الله وجهه فهذا خبر اصحاب الكهف ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سال ربه ان يراهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم قال ابسط كساءك واجلس على طرف من اطرافه أبابكر وعلى الثانى عمر وعلى الثالث على بن ابى طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أباذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها ان تطيعك ففعل النبي عليه الصلاة والسلام ما امره به (١) فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام الكلب حين ابصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه واوما برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا باجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان نبي الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا باجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد

(١) قوله فحملتهم الريح الخ هذا معارض لقوله تعالى (رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى) فليتنبه

صلى

ودانق انفقته بدانق ثم أنفق الدرهم على اولاد أخ لى في الله مات وتركهم قلت له هل سألت الله في حاجة قط قال نعم منذ عشرين سنة وما قضيت قلت له وما هي قال بلغنى ان فتى تميز على الزاهدين وفاق على العابدين يقال له ابراهيم بن ادهم فتمنيت على الله رؤيته واموت فقلت له ابشر يا اخى فقد قضيت حاجتك ومارضى لى بان آتيك الا سحبا على وجهى فوثب من مكانه وعانقني وسمعته يقول قضيت حاجتى فاقبضنى فوقع ميتا (شعر)

أبدى شواهده في قلب شاهده
وانى لشاهده فيما يحاكيه

الحمد لله لا بين ولا صلة
هذا بيان لمعنى من معانيه

(وقال عطاء السلمى رضي الله عنه) بعثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى غزاة وكنا اربعة الاف فحاصرنا قلعة على جبل لاتصل السلاحة اليه وفيها مجوس واميرهم امرأة حسناء قال فطلعت على السور فنظرت الى عسكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم فرأت شابا مليحا من العرب ونعم جميلا فارسا شجاعا يضرب بالسيف ويطعن بالرمح فقالت ياه ياه فقالت

صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا محمد صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدى فيقال ان المهدى يسلم فيحييهم الله تعالى له انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم وما الذى اجابوكم فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام باجمعهم وبلغناهم رسالتك فاجابوا واذا بوا وشهدوا انك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما اكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين اصهارى واحبائى واغفر لمن احبنى واحب أهل بيتى واحب امتى واحب اصحابى

﴿ مجلس فى ذكر جرجيس عليه السلام ﴾

أخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه اليمانى قال كان فى الموصل ملك يقال له زادانه وكان قد ملك الشام كلها ودان له اهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من اهل فلسطين قد ادرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يامن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل معه مال يريدان يهديه اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز في مجلس له وامر بصنمه افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بانواع العذاب وقد اوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون ألقي فى تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع فزع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقي الله فى نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذى اراد ان يهديه له فقسمه في اهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره ان يجاهده بالمال واحب ان يلى ذلك بنفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا لغيرك وان لك ربا هو الذي يملكك وغيرك وهو الذى خلقك ورزقك ويحييك ويميتك يضرك و ينفعك واذا قال لشيء كن يكون وانك انما عمدت الى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغنى عنك شيئا من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له ان سأله عن حاله وامره ومن هو ومن اين هو فقال جرجيس انا عبد الله وابن عبده وابن امته اذل عباده وافقرهم اليه من التراب خلقت واليه اصير فقال له الملك لو كان ربك الذى تزعم كما تقول لرؤي أثره عليك كما رؤى أثرى على من حولى ومن هو في طاعتى فاجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم امره ثم قال له اتعدل افلون الاصم الابكم الذى لا يغنى عنك شيئا برب العالمين الذى قامت السموات والارض بامره أم تعدل طوفليا وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان في بدء أمره آدميا يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى انبت له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخاطيس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وامه آية للمعتبرين أم تعدل هذه الروح الطيبة التى اختارها الله بكلمته وفضلها على امائه وما نالت بولاية الله بازبيل وما نالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله مع عظيم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب فى بيتها فانتهشت لحمها وولغت فى دمها وقطعت الضباع اوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشيء ليس لنا به علم فائتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى انظر اليهما وانى انكر أن يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى واما الرجلان فلن تراهما ولم يريك الا ان تعمل بعملهما فتنزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد اعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك فخرت بامور عجزت عنها ولم تات بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين

لها جاريتها ما بالك قالت ان حصننا قد فتح فقالت الجارية وكيف ذلك فقالت ستريني بعد ساعة ثم ارسلت الى الشاب هل أجد اليك سبيلا قال نعم بشرط ان تسلمي الحصن الظاهر الينا والباطن لله فقالت اما الظاهر فاعرفه واما الباطن فما هو قال قلبك تسلمينه لله وتقرين بوحدانيته فارسلت اليه تعال بعسكرك فلما دخل الحصن وعرض عليها الاسلام قالت انى امرأة كثيرة الهيبة هل في عسكرك من هو اكبر منك حتي اسلم على يديه قال نعم فارتحلت مع العسكر ومعها اموال كثيرة حتى دخلت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت هل ههنا اكبر منك حتى اسلم على يديه قال نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبره قالت لا اسلم الا على يديه فجلست عند قبره وقالت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم قالت خرجت من دار الكفر غير انى اخشى ان اقع بعد الاسلام في المعصية فاسأل ربك الذى ارسلك ان لا اعصيه قال ثم وضعت خدها على حائط القبر

السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذى رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت
لى والا فاخسأ ايها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل
عليها امشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه في خلال ذلك بالخل
والخردل فحفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما راى الملك ان ذلك لم يقتله امر بستة مسامير من حديد
فاحميت حتي جعلت نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظه من الالم والهلاك فلما راي ذلك انه لم
يقتله امر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتي اذا جعله نارا أمر به فادخل في جوفه واطبق عليه فلم يزل فيه
حتي برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له ياجرجيس اما تجد الم هذا العذاب الذى تعذب به فقال
ان ربى الذي اخبرتك به حمل العذاب عني وصبرني لاحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على نفسه
وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا فى السجن يكلم الناس
أوشك ان يميل بهم عليك ولكن مر له بعذاب فى السجن يشغله عن كلام الناس فامر به فبطح على وجهه ثم
اوتد في يديه ورجليه اربعة اوتاد من حديد فى كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على
ظهره ثم انه حمل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر فلما ادركه الليل
أرسل الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما ايده الله تعالى بالملائكة وأول ماجاء به الوحي فقطع عنه الحجر
ونزع الاوتاد من يديه ورجليه واطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق
بعدوك فجاهده في الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فانى قد ابتليتك بعدوي هذا سبع سنين
يعذبك و يقتلك فيهن اربع مرات وفي كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كان فى القتلة الرابعة تقبلت روحك
واوفيتك اجرك فلم يشعروا الا وقد وقف جرجيس على رؤسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك ياجرجيس
من اخرجك من السجن فقال اخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملئ غيظا ودعا باصناف
العذاب حتى لم يخل منها شيئا فلما رآها جرجيس أوجس فى نفسه خيفة وجزعا ثم اقبل على نفسه يعاتبها باعلى
صوته وهم يسمعون فلما فرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق راسه
فنشروه حتي سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم عمدوا الى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة اسود
ضارية كانت فى جب وكانت صنفا من اصناف عذابه فرموا بجسده اليها فلما هوى نحوها امرها الله عز
وجل فخضعت برؤسها واعناقها وقامت على براثنها تقيه الالم فظل يومه ميتا وكانت اول موتة ماتها فلما ادركه
الليل جمع الله له جسده الذى قطعوه وضم بعضه الى بعض حتي سواه ثم رد الله اليه روحه وارسل الله ملكا
فاخرجه من قعر الجب فاطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما اصبحوا قال له الملك ياجرجيس قال لبيك قال له اعلم
ان القدرة التى خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من قعر الجب اخرج فالحق بعدوك وجاهده فى الله حق
جهاده ومت موت الصابرين فلم يشعر الملك واصحابه الآخرون الا وقد اقبل جرجيس وهم عكوف على
عيد لهم قد صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما اشبه هذا الرجل
بجرجيس فقالوا كانه هو فقال الملك ليس هو وحقا الاترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال جرجيس بل هو
أنا فبئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فاحياني الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب العظيم الذي أراكم ما اراكم فلما قال
لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر اعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من السحرة فلما جاء
السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحرك ما يسر عيني فقال ادع لى بثور من البقر فلما أتى به نفث
في احدى أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفخ فى الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا ببذر فحرث وبذر ونبت
الزرع وحصد ثم داس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك فى ساعة واحدة وهم يرون فقال لهم الملك هل
تقدر ان تمسخ لى جرجيس دابة فقال الساحر اى دابة تطلب أمسخه لك كلبا فقال اسحر ادع لى بقدح من

ماء

وماتت من ساعتها قال
عمر رضي الله عنه طوبى لمن
مات وجوارحه مستريحة
من المعاصي رضي الله
عنهم ورضى عنا بهم (وقال
ذو النون المصرى رضي الله
عنه) رايت في البادية
ظلا يلوح مرة و يغيب
اخرى والشخص مستور
عني فقلت بالله عليك
ياصاحب الظل الا ما
اظهرت نفسك لكي
اراك قال فظهر فاذا هي
امرأة فقالت ياذا النون
ما اكثر فضولك ما تصنع
بى فقلت انى احب
الصالحين فقالت لقد
احببت سواه فقلت انى
احبكم تقربا الى الله تعالى
فقالت واى فرق بينك
و بين عبدة الاصنام اذ
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفي قال فتعجبت
من كلامها فبينما نحن في
الحديث اذ قالوا جاءت
الخيل لنهب القافلة فبكى
الناس وهي تضحك فقلت
لها الناس يبكون وانت
تضحكين فقالت ما
ضحكي الا من
مخافتهم من مخلوق
فقلت قد وجب عليك ان
تسالي الله لنا فقالت نعم ثم
رفعت طرفها الى السماء
وقالت يارافع السماء بلا
عماد يامن هو على فكرة
العباد بحق ما تعلم من

ماء فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه ان يشرب به فشرب به جرجيس حتى اتى على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد قال ما اجد الا خيرا كنت قد عطشت فلطف الله لى بهذا الشراب وقوانى به عليكم فلما قال ذلك اقبل الساحر على الملك وقال له اعلم ايها الملك انك لو كنت تقايس رجلا مثلك اذا لكنت غالبه ولكنك تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام وقد كانت امرأة مسكينة من الشام قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الاعاجيب فاتته وهو فى اشد مافيه من البلاء فقالت له يا جرجيس انا امرأة مسكينة لم يكن لى مال الا ثوران كنت احرث عليهما فانا فجئتك لترحمني وتدعو الله ان يحيي لى ثورى فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله ان يحيي لها ثوريها ثم انه اعطاها عصا وقال لها اذهبي الى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولي لهما احييا باذن الله تعالى وقالت له يا جرجيس ان ثورى قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع بيني و بينهما ايام فقال لها ولو لم تجدي منهما الا شيأ يسيرا وقرعتيه بالعصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما وكان اول شىء بدا لها من ثوريها قرن احدهما وشعر اذنى الآخر فجمعت احدهما الى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها فقام الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما حتي جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان اعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم امر هذا الرجل على السحر وانكم قد عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدرأ عن نفسه الموت او احيا ميتا قط فقالوا له ان كلامك لكلام رجل قد صبأ اليه فلعله استهواك اليه فقال آمنت بالله وأشهد انى برىء مما تعتقدون فقام اليه الملك واصحابه بالخناجر فقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد الملك اليهم فلم يزل يعذبهم بالوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فأحيا لك اصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك فقال جرجيس ما خلى بيني و بينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخليطس انك زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك امرا ان فعلته آمنت بك وصدقتك وكفيتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها أقداح وصحاف من اشجار شتى فادع ربك ينشئ هذه الكراسى والاوانى كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها انبوبته وورقه و زهره فقال له جرجيس لقد سالت امرا عزيزا على وعليك وانه على الله لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسى والاوانى كلها وساخت عروقها وتلبست باللحم وتشعبت واورقت وأزهرت واثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم مخليطس الذى تمنى عليه ما تمني فقال انا اعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم أنه عمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشو فى جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهبت وذاب كل شيء فيها واختلط جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السماء سحابا اسود فيه رعد و برق وصواعق وارسل الله أعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود ما بين السماء والارض فمكثوا أياما متحيرين فى تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وارسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتي اذا أقلها ضرب بها الارض ففزع من روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم انكشفت الغمة واسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طرفليا لا ندرى يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب ام ربك فان كان ربك هو الذى يصنع فادعه يحيي لنا موتانا التي فى هذه القبور فان فيها اموانا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس لقد علمت ان ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه الاعاجيب الا لتكون عليكم حجة فتستوجبوا بها غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت وهى عظام رفات وأقبل جرجيس على

ودادى الا كفيتهم مؤنة الاعادى قال فما تم كلامها حتى اذهب الله الاعداء وجاء الامان وذهب الردي ثم غابت عني فلم ارها رضي الله تعالى عنها (وقيل) انه كان فى بني اسرائيل شاب مسرف على نفسه بالمعاصى فاخرجوه من بينهم فحضرته الوفاة وهو فى خربة على باب البلد فاوحى الله تعالى الى موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ياموسى ان وليا من اوليائى قد حضره الموت في مكان كذا فاحضره وغسله وكفنه وصل عليه وقل لمن كان معك ان يصلى عليه فنادي موسى في بني اسرائيل فحضروه فلما نظروا اليه عرفوه وقالوا يا نبي الله هذا فلان الفاسق الذى اخرجناه فتعجب موسى من ذلك فاوحى الله تعالى اليه انهم صدقوا لكنه لما حضرته الوفاة فى هذه الخربة نظر يمينا وشمالا فلم ير احدا ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة منكسره فرفع بصره الى وقال الهى وسيدى ومولاي عبد من عبيدك غريب فى بلادك فلو علمت ان عذابى يزيد فى ملكك

الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاثة صبية واذا فيهم
شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي نوبيل قال متى مت قال في زمان كذا
وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى ما فعل قالوا ما بقي من أصناف
العذاب شيء الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها
ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصروه في بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع
قال للعجوز هل عندك من طعام او شراب فقالت لا والذي يحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج
ألتمس لك شيئا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا فدعاها الى الله فصدقته
ثم أنها انطلقت تطلب له شيئا وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فاقبل على الدعاء
فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل او تعرف حتى كان مما أنبتت اللوبية والليازوه ومثل البردى
يكون بالشام وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظله من فوقه فاقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت
الذى حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذى أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفي ابني
فقال لها ادنيه مني فادنته فبصق في عينيه فابصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له اطلق لسانه ورجليه رحمك الله
فقال لها أخريه فان له يوما عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال انى
أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت بذلك الساحر الذى أردت ان تعذبه
بالجوع فهو فيما شاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فامر الملك بالبيت فهدم
وبالشجرة ان تقطع فلما هموا بقطعها أيبس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وامر
بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فاوقر اسطوانا وجعل في أسفل العجل
خناجر وشفارا ثم أمر باربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع
فامر بقطعه أن تحرق فالقيت في النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر
فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر ان الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب
فاني أريد أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فاخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صبرة واحدة
كهيئته قبل ان يذري فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر
الصوت الذي سمعوه والريح الذى جمعته فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لى ولك مما نحن فيه
ولولا أن يقول الناس انك غلبتني وقهرتني لاتبعتك وآمنت بك ولكن أسجد لافلون سجدة واحدة واذبح
لا شاة واحدة ثم انى أفعل ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فادخلني على صنمك ففرح الملك بقوله وقام
اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له عزم عليك ان تظل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة الا في بيتي وعلى
فراشي وفي كرامتي حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ويرى الناس كرامتك علي فاخلى له بيته
فظل فيه جرجيس حتى اذا ادركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة
الملك استجابت له فلم يشعر الا وهي خلفه تبكي فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكتمت
ايمانها فلما ان اصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل
ابنها على عاتقها توبخ جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه
نظروا واذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فنطق
وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشي على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك
بقدميه قط فلما وقف بين يدى جرجيس قال له اذهب فادع لى هذه الاصنام وهي يومئذ سبعون صنما على
منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعو الاصنام فقال له قل لها

لم اسالك المغفرة
وليس لى رجاء الا انت
وقد سمعت فيما انزلت
تقول انى انا الغفور الرحيم
ا كان يحسن ان ارده
يا موسى وقد توسل
بى وتضرع الى وعزتى
وجلالى لو سالني
فى المذنبين من اهل
الارض لوهبتهم له وانا
الغفور الرحيم (وروي)
انه كان في بني اسرائيل
ملك جبار وكان يكره
الفقراء والصدقة وأدي
فى المدينة كل من تصدق
بشيء قطعت يده وكان
فى المدينة امرأة صالحة
مات زوجها ومعها
ولدان فكانت تغزل
وتشتري كل يوم دقيقا
وتعمل منه ثلاثة اقراص
لها ولولدين فبينما هى
على تلك الحالة اذ سائل
ببابها فاعطته قرصها
صدقة وقالت له لا تاكل
عند احد خوفا
عليه من الملك فاخذه
ومضي فلما كان في بعض
الطريق اخرج قرص
ليا كله فلقيه بعض اعوان
الملك وقال له من اين اتاك
هذا الرغيف فقال اعطتنيه
امرأة فقبض عليه
ورجع به الى الملك واخبره
بقصته فقال امضوا به
الى موضعها وائتوني
بها والفقير يحجب

ان جرجيس يسألك و يعزم عليك بالذي خلقك الا ما اجبتيه فلما قال لها الغلام ذلك قامت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله فخسف بها و بعنا صرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس اخبرني ايها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذى يحملك على ان تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما اشرقت عليه الشمس و بين ما اظلم عليه الليل و بين هلكة احد من بنى آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لى من الشهوة واللذة فى ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس ان الله تعالى أسجد لابيك آدم جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا خلى سبيله جرجيس فما دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعدها فيما يذكرون أبدا فقال الملك يا جرجيس غررتني وخدعتني وأهلكت آلهتي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت منى فكيف ثقتك و يلك بآلهة لم تمنع انفسها منى وانما انا مخلوق ضعيف لا أملك الا ما ملكنى ربى فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم أفعال جرجيس والعبر التى أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فيخسف بكم الارض كما خسف باصنامكم الله الله أيها القوم فى أنفسكم فقال لها الملك و يحك يا اسكندرة ما أسرع ما أضلك هذا الساحر فى ليلة واحدة وأنا اقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر منى بشىء فقالت له اما رأيت الله كيف يظفره بك و يسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة عليك في كل موطن فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها وجعلت عليها الامشاط التى جعلت على جرجيس فلما آلمها قالت ادع ربك يا جرجيس فيخفف عنى فانى قد آلمنى العذاب فقال لها انظرى فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذى يضحكك قالت أرى ملكين فوقي معهما تاج من حلى الجنة ينتظرون به خروج روحى فلما خرجت روحها زيناها بذلك التاج ثم صعد بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني منازل الشهداء فهذا آخر أيامى الذى كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم انى أسألك أن لا تقبض روحى ولا أزول من مكانى هذا حتي تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم حتى تشفى به صدرى وتقر به عيني فانهم ظلمونى وعذبونى فيك اللهم وأسألك أن لا يدعوا بعدى داع في بلاء وكرب فيذكرني و ينشدك باسمي الا فرجت عنه ورحمته وأجبته وشفعتني فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه أربعة وثلاثين الفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة جرجيس في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

{ باب في قصة شمسون النبي عليه السلام }

قال الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من الف شهر (أخبرنا) أبو عمرو العراقى باسناده عن ابن أبى نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر التي لبس الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل و كانت أمه

انه يريد ان يعطيها شيأ عوض صدقتها فاحضروها عند الملك فقال لها اما سمعت النداء ثم امر بقطع يدها فقطعت وعلقت فى عنقها فجاءت الى منزلها واقامت تعبد الله وكانت صائمة قائمة الى ان افطرت ونامت وهى شاكرة لله تعالى فلما اصبح الصبح مر فقير يقول يامن يتصدق بصدقة تنفعه فاعطته قرصا من اقراص اولادها فذهب وهو يقول جزى الله عنى هذه المرأة خيرا كما انها تصدقت على فسمعه احد خدام الملك فقبض عليه واتى به الى الملك فامر باحضارها فحضرت بين يديه فامر بقطع يدها الاخري فقطعت و باتت بمنزلها واذا بسائل يقول من يتصدق على الجائع المسكين الذى طاف هذه المدينة فلم يعطه احد من اهلها لقمة واحدة قال فلما سمعته اخرجت اليه قرصا فاخذه ومضي فاذا برجل من اعوان الملك فقبض عليه واتى به الى الملك فاخبره بالمرأة فقال هى لم تنته وامر بقطع رجلها واقامت تلك الليلة واذا

قد جماعته نذيرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده و يجاهدهم في الله فيقتل منهم و يسبي و يصيب الاموال وكان اذا لقيهم لقيهم بالجحفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروي وكان قد أعطي قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجاهدهم في الله الف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شيء فاحتالوا عليه وقالوا لا نأتيه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فاجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فاوثقي يديه الى عنقه حتى نأتيه فناخذه فلما نام اوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذبه بيده فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت لأجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيأ فارسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه فلما هب جذبها فوقعت من عنقه و يده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الارض شيء يغلبك قال لا الا شيء واحد قالت وما هو قال ما انا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أمي كانت اخبرتني ان لا يغلبني شيء ابدا ولا يغيظني الا شعري فلما نام اوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا واخذوه فجدعوا انفه واذنيه وفقؤا عينيه واوقفوه للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فامر أن ياخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدما وهلكت أيضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿ باب في قصة أصحاب الاخدود ﴾

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله بن الثامر يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يتخلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطيء عند الراهب و يأتي المعلم فيضربه و يقول له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه و يقول له ما بطاك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسني أبي واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فمر بها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فاتى الراهب واخبره فقال له الراهب أنت قتلتها قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص و يشفي المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاءه مع قائد وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله ان يرد علي بصري فقال له الغلام ارايت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فقال له الملك اخبرني من علمك هذا فابى فلم يزل يعذبه

بسائل يقول يا من يتصدق على الفقير المسكين الذي له مدة وهو مسافر وليس له قوت الا نبات الارض فزحفت واعطته قرصا فرآه نديم الملك فاخبره بما كان من المرأة فامر بقطع رجلها الاخرى فاقامت الى ان افطرت فلما جاء الفجر زحفت الى البحر لتتوضأ وكان قريبا من بابها فاستيقظ اولادها فلم يروها فصاروا يحبون حتى خرجوا من الدار واذا بذئب واقف على الباب فخطف احدهما في فمه فلما رأته امه زحفت خلف الذئب فلم تلحقه فرجعت وهي صابرة حامدة شاكرة فرأت الولد الاخر صار يحبو الى البحر حتي انقلب فيه ولم تدر كدامه فقالت اللهم اني استودعتكهما يا من لا تخيب عنده الودائع يا ارحم الراحمين قال فما اتمت دعاءها حتي فتحت ابواب السماء وضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فامر الجليل جبريل فنزل اليها وقال لها يا امة الله امرني رب العالمين ان ارد يديك ورجليك وولديك ببركة

حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام اني لا اشفي أحدا وانما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار ووضعه في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جيء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من اصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهي السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه في البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك اقتلوه بالسيف فنبا السيف عنه وفشا خبره في الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا أنه هو واصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا ان تفعل ما آمرك به فقال وماهو قال تجمع أهل مملكتك وانت على سريرك فتصلبني على جزع وترميني بسهم وتقول باسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فاصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبدالله بن السامر ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك واغلق ابواب المدينة واخذ افواه السكك وخد اخدودا وملاه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن يرجع القاه في الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد اسلمت فيمن اسلم ولها اولاد ثلاثة احدهم رضيع فقال لها الملك أترجعين عن دينك والا القيتك انت واولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقي في النار ثم اخذ الاوسط وقال ارجعي عن دينك فابت فالقي ايضا في النار ثم اخذ الرضيع وقال لها ارجعي فابت فامر بالقائه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا اماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا باس عليك فالقي الصبي في النار وامه على اثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرنا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) ابو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيي بن زكريا وعيسى ابن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود (وقال سعيد بن المسيب) كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ ورد عليه كتاب انهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فانطياخوس الرومي احرق قوما من المؤمنين واما الذي بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) ما اخبرنا عبدالله بن حامد باسناده عن ابن روي قال لما هزم المسلمون اهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نبي عمر فاجتمعوا وقالوا أي شيء نجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب وليسوا من مشركي العرب فقال علي كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول اخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماهذا الذي اتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه انك تخطب الناس فتقول ايها الناس ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال ايها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا ما جاءنا بهذا نبي ولا انزل

الصدقة ثم اخذ يديها ورجليها والصقها بقدرة من يقول للشيء كن فيكون فقامت باذن الله تعالى وورد الله تعالى عليها ولديها من الذئب والبحر فبلغ ذلك الملك فاحضر المرأة بين يديه وتعجب في صنع الله تعالى فقالت له ان الذي تصدقت من اجله رد على يدي ورجلي واولادي فقام على قدميه وقال امنت بالذي خلقك وسواك وصار يعبد الله تعالى حتى توفاه الله هو والمراة في يوم واحد ووضعا في قبة من الجنة وارتفعت بهم الى السماء حتى خفيت عن الابصار نفعنا الله بهما وبيركاتهما في الدنيا والاخرة امين (وقيل) كان ببغداد رجل يعرف بابن الرومي وكان له زوجة واولاد فنزل بالناس مجاعة عظيمة فاقام الفتي وعياله ثلاثة ايام لم يعرفوا الطعام واشتد بهم الامر فلما كان في اليوم الرابع قالت زوجته وكانت

علينا فى كتاب فرجع الى اخته وقال ويحك ان الناس قد ابوا على فقالت ابسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فقال لها ان الناس قد ابو قالت فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا قالت فخد لهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن ابى فاقذفه فى النار فخد الاخدود واوقد فيه النيران وعرض اهل مملكته على ذاك فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب خلى سبيله فانزل الله تعالى فيهم قتل اصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق واما الذى فى اليمن فهو يوسف ذو نواس ابن شرحبيل بن تبع بن بشرخ الحميرى وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحاق بن بشار عن وهب بن منبه ان رجلا كان بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فاجابوه فخيرهم ذو نواس بين النار واليهودية فابوا عليه فاحرق منهم اثنا عشر الفا وقال مقاتل انما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الكلبي كان اصحاب الاخدود سبعين الفا فلما قذفو المؤمنين في النار خرجت النار الى اعلى شفير الاخدود فاحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثني عشر زراعا ونجا ذو نواس فسلط الله عليهم ارياط الحبشى حتى غلب على اليمن فخرج هار بافاقتحم البحر فاغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو ابن معديكرب

أتوعدنى كانك نورعيني * بأنعم عيشة اوذونواس
وقدما كان قبلك في نعيم * وملك ثابت في الناس راسي
فقدتم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاسي
فامسي اهله بادوا وامسى * ينقل في اناس من اناس

﴿ باب قصة أصحاب الفيل وبيان مافيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحاق بن بشار كان من حديث اصحاب الفيل ماذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقى من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذو نواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الاما كان من أهل نجران فانهم كانوا علي دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن السامر فدعاهم الى اليهودية فابوا فخيرهم فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود وصنف لهم اصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من القى في النار الارجلا من اهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له بركض حتى اعجزهم فى الرمل فاتى قيصر فذكر له مابلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكنى اكتب ذلك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشى يامره بنصره فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واخرب ثلث بلادها وابعث الى بثلث سباياها فلما دخلها ناوشهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعمل بما امره النجاشى فقال ذوجدن الحميرى فيما اصاب اهل اليمن

دعيني لاابالك لم تطيقى * لحاك الله قد انزفت ريقى
بذا عزف القيان اذا انتشينا * اذا نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا * اذا لم يشكني فيها رفيقى
وان الموت لاينهاه ناه * ولوشرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب فى أسطوان * يناطح جلده بيض الانوق
وغمدان الذي نبئت عنه * بنوه ممسكا فى رأس نيق
لتهمه وأسفله حروث * وجر الموجل اللثق الزليق
مصابيح الصليط يلحن فيه * اذا يمسى كرمضان البروق

بنت عمه يا ابن عمى انا وانت نصبر على الجوع فكيف الحيلة فى هؤلاء الاطفال فقال لها تعرفين شغلا افعله قالت نعم اعمد الى سوق البنائين فلو عملت بنصف درهم كان فيه قوت الاطفال فقال حبا وكرامة قال فاخذ فاسا وزنبيلا وخرج يطلب سوق البنائين فوجد فى طريقه مسجدا مهجورا فدخله وقال وعزتك وجلالك لاعملت اليوم الا لك وكان بوضوء صلاة الفجر قال فاستقبل القبلة ولم يزل راكعا وساجدا يومه كله فقرا في ذلك اليوم في صلاته سورة الاخلاص احد عشر الف مرة ثم صلى المغرب وهم بالخروج فقال فى نفسه كيف امضي الى اهلى وماذا اقول لهم ان قالوا ماذا عملت وعزتك وجلالك لابرحت حتى اصلى العشاء الأخيرة ولم يزل راكعا وساجدا حتي صلى العشاء الاخيرة ومضى الى منزله

فاصبح بعد جدته رماداً * وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق
واسلم ذو نواس مستبيناً * وحذر قومه ضنك المضيق

قال فقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي ان اثبت بجندك ومن معك فاقام حيناً ثم ان ابرهه بن الصباح ساخطه في امر الحبشة حتى انصدعوا وصدعين فكانت معه طائفة ومع ابرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الي ارياط انك لا تصنع شيئاً فلا نلق الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج الي فاينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فارسل اليه انك قد انصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيماً عظيماً وسيما في يده حربة وكان أبرهة رجلاً قصيراً حذر حليما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف ابرهة وزير له يقال له عتودة فلما دنوا رفع ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وانفه وشفته فلذلك سمي ابرهة الاشرم فلما رأي عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على ابرهة فبلغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع ابرهة حتى يجز ناصيته ويطا بلاده ثم انه كتب الى ابرهة انك عدوت على اميرى فقتلته بغير امرى وكان ابرهة رجلا ماردا فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملأ جراباً من تراب ارضه وكتب الى النجاشي ايها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك اختلفنا في امرك وكنت أعلم بامر الحبشة وأسوس لها وكنت أردته ان يعتزل فابى فقتلته وقد بلغني الذى حلف عليه الملك وقد حلقت راسى وبعثت به اليك وملات جراباً من تراب ارضي وبعثته اليك ليضعه الملك فيبرقسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه واقره على عمله وكتب اليه بان اثبت بمن معك من الجند ثم ان ابرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم ير الملك مثلها قط ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بنى مالك بن كنانة فخرج الي القليس فدخلها ليلا فعذر فيها تهاونا بها وتعصبا للكعبة فبلغ ذلك ابرهة ويقال انه أتاها ناظرا اليها فدخلها ووجد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من اهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع بالذى قلت فصنع هذا فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة الى مكة واخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذونفر عن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه واخذ ذونفر فاتى به ابرهة فقال ايها الملك لا تقتلني فان استبقاءك لي خيرلك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجل حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي فى قبيلتى خثعم وهما شهران وناهش ومن اجتمع من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا اسيرا فقال له ايها الملك انى دليلك بارض العرب فلا تقتلني وها انا ادى على قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف فخرج اليه مسعود بن مغيث الثقفي فى رجال من ثقيف وقال له ايها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف وليس بيننا هذا الذى تريد يعني به اللات انما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا ابارغال مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالمغمس مات ابورغال فهو الذى ترجم قبره العرب وبعث ابرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود ابن مقصود على مقدمة خيله فجمع اليه اموالا واصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتى بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة الحميري الى اهل مكة سفيرا فقال سل عن شريفها ثم ابلغه انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلني اليك لاخبرك أنه لم يأت القتال الا ان يقاتلوه انما اتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ستخلى بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت

فسمع ضحكا عظيما فظن في نفسه شرا وقال انا لله وانا اليه راجعون غبت عن المرأة ومعها الاطفال وهم فى شدة عظيمة من الجوع فليت شعرى ماجرى عليهم ثم بكى بكاء شديدا وقرع الباب فخرجت اليه زوجته مسرعة وقالت له اهلا وسهلا وهى فرحة مسرورة ثم قالت ما كان يومك الا مباركا اشبع الله بطنك كما اشبعت بطوننا فدخل المنزل فرأى فيه نورا عظيما فالتفت فاذا بمائدتين عظيمتين على كل مائدة منديل حسن فقال ماهاتان المائدتان قالت يا ابن عمى انا جالسة فى وقت الغروب وقد اجهدنى الجوع والاطفال يتجرعون الموت واذا بطارق يطرق الباب فنهضت الي الباب ففتحته فاذا بغلام شاب وعليه حلتان خضراوتان ومعه اثنان معهما مائدتان فقال يا ايتها الشابة هذا

خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل اسير لا يأمن من ان يقتل بكرة او عشية ولكن سابعث لك الى انيس سائس الفيل فانه صديق لي فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير و يعظم منزلتك وحظك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعطي و يطعم الناس من السهل والجبل والوحش والطير في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي واني أحب ما يصل اليه من الخير ثم ان انيسا دخل على ابرهة هو وعبد المطلب فقال له ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد جاءنا غير ناصب لك حربا ولا مخالف عليك يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل عليه جلس بين يديه فاقامه وأجلسه معه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي أن يرد على مائتي بعير أصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له لم قال حيث جئت الى بيت هو دينك و دين آبائك لا هدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني فقال له انت وذاك ثم أمر له بابله فردت عليه قال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب الى ابرهة بعمرو ابن معدي كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على ابرهة ثلث اموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فابى ان يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فاخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب و يتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم ان يخربوا قراكا

{ وقال أيضا }

لاهم ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم ابدا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فامر ما بدا لك *

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وعبي جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى ابرهة وكان فيلا لم ير مثله في الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبي لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة و يقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) وانما وحد على هذا التأويل لوفاق رؤس الآي و يقال نسبهم الى الفيل الاعظم قال فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم فاخذ باذنه وقال ابرك محمود أو ارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى ان يقوم فضربوه بالمعول في رأسه فابى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فابى فوجهوه

منزل ابن الرومي قلت نعم قال هذه صرة فيها الف دينار ادفعيها اليه وقولي له مولاك يقرئك السلام و يقول لك زد في العمل ازدك في الاجرة وهذا عشاؤه قالت فاخذت ذلك منه وانصرف ثم دخلت وكشفت المائدتين فوجدت عليهما طعاما طيبا وخبزا كثيرا ونعمة عظيمة ما رايت مثلها قط فبالله يا ابن عمي عند من عملت اليوم قلت له عند ملك كريم ما رايت قط اسخى منه ولا اكرم عملت عنده شيئا يسيرا فاعطاني هذا الخير الكثير فقالت يا ابن عمي اكلت انا والاولاد فكل انت ثم فقال ان علي صلاة فاذا اديت صلاتي نمت ثم اقبل الى المحراب ولم يزل راكعا ساجدا حتى مضى من الليل اكثره فغلبه النوم فنام فرأى في النوم كانه واقف بين يدي الله تعالى وهو يقول يا ابن الرومي كيف رايت معاملتنا قلت خير

١ (قوله وانما وحد الخ) المراد ان الافراد في الآية على هذا القول لوفاق رؤس الآي

راجما الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى ان يقوم ثم ان نفيلا خرج من عندهم وصعد في الجبل وارسل الله تعالى طيرا من البحر كامثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم ارسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا اهلكت وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى طيرا ابابيل أي متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها انياب كانياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال أبو الجوزاء أنشأها الله في الهواء في ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

﴿ وقال أيضا في ذلك ﴾

ألا حييت عنا ياردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت ولم تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت امري * ولم تأسى على مافات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كان على للحبشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طير الابابيل كانوا اقبلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤس الرجال واكبرها كالابل البزل ما رمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى على ابرهة داء في جسده فجعل تتساقط انامله كلما سقطت أنملة أتبعتها أنملة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقي من اصحابه فمات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر حديث اصحاب الفيل هو ان فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سندها حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسرخسان فنزل القوم في سندها فجمعوا حطبا وأججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم صائف فهجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشي فاخبره فاسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا نستغني فيه عن رأيك فما رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها هديا لله تعالى وقلدها نعلا وانبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك

(٢) (قوله أي سنك كل) لفظ فارسي معربه سجيل

المعاملة فقال يا ابن الرومي قد رفعت لك عشرة الاف درجة وكتبت لك عشرة الاف حسنة ومحوت عنك مائة الف سيئة فهل انت عني راض قلت نعم يارب فقال يا ابن الرومي اسألني اعطك قلت يارب اسألك ان تقبلني على ما انا فيه وعليه من قبل ان تقبضني اليك فقال الله تعالى اني مقدر الاجال لا ازيد فيها ولا انقص وقد بقي من عمرك تسعة ايام قلت الهي احفظني حتى تتوفاني مسلما فقال حفظتك قلت وعزتك لا يدن في العمل فقال الله وعزتي وجلالي لاعطينك براءة من النار ولاسكننك جواري في دار القرار قال فانتبهت من نومي فحدثت زوجتي بما رايت فحزنت حزنا شديدا ثم انى اشتريت لها ولاولادها منزلا ياوون فيه وخادما يخدمهم وودع اخوانه واهله يوم التاسع ومضي الى محرابه وصلى

اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزرا ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيأ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤسنا له فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وانها لطير بارضنا غير مؤنسة قال ماقدرها قال امثال اليعاسيب فى مناقيرها حصى كانها حصى الجذف قد اقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها بعضها امام كل فرقة طير يقودها احمر المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها بحيالهم أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما اصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم انهما مشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم ساهدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من معسكر الفيل فاذاهم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويخرق دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب أخذ فاسا وحفر حتى اعمق فى الارض فملأ من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لابى مسعود هات خاتمك واخيرك فاختر فان شئت اخذت حفرتى وان شئت أخذت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال له أبو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى جعلت أجود المتاع في حفرتى فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادي عبد المطلب في الناس فرجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى ان ماتا (وقال الواقدى) باسانيده غزا النجاشى ارياط في أربعة آلاف الى اليمن فغلب عليها فاكرم الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة الاشرم أبو يكسوم فدعا الى طاعته فاجابوه فقتل ارياط وغلب على اليمن فرأي الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو قالوا من حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتى من ههنا من الوصائل فقال والمسيح لابنين خيرا منه فبنى لهم بيتا بالرخام الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له ابوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وامر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون فامهل نفيل الخثعمي حتى كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فاخبر ابرهة بذلك فغضب أبرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لاجل بيتهم ثم انه قال لانقضنه حجرا حجرا ثم انه كتب الى النجاشى يخبره بذلك ويسأله أن يبعث اليه بفيله محمود وكان فيلا لم ير مثله فى الارض عظما وجسما وقوة فبعثه اليه فغزا البيت كما ذكرنا الى أن قال اقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فقذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيأ الا هشمته وبعث الله سيلا اتى اليهم فذهب بهم الى البحر فالقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هاربا فجعل ابرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات واما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا واما الفيلة الاخرى فخمت فحصبت وهلكت وهو اول وقت رؤي عليه الجدرى والحصبة وقال أمية ابن أبى الصلت في ذاك

ان آيات ربنا بينات * ما يمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور
حوله من رجال كندة فتيان * مصاليب في الحروب صقور

فيه ماشاء الله ثم جعل وجهه الي الكعبة وقضى نحبه ولحق بربه رحمة الله تعالى عليه (وروى عن بعض الصالحين رضي الله تعالي عنه) ان اسدا دخل فى قرية فى بني اسرائيل فاخذ منها صبيا فالقاه على ظهره واتى به الى مكانه ليأكله فعلمت امه بذلك فتبعته صائحة مستغيثة فبينما هى كذلك اذ ظهر فارس وعليه ثوب ابيض وعمامة بيضاء وبيده رمح فقال للاسد يا ابا الحرث ضع الولد وامض بسلام فلما سمع الاسد ذلك منه القي الولد عن ظهره ودخل مكانه ولم يتعرض له بسوء فقالت امه للفارس من انت الذي احييت ولدي فقال الملك الموكل بالرحمة ارسلني الله عز وجل الى هذا الاسد لاخلص ولدك منه كما رحمت يوم كذا وكذا مسكينا وتصدقت عليه بقرص من الخبز فلقمته بلقمة ففرحت المرأة ذات

غادروه وقد تولوا سراعا * كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبي لما اهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا ابرهه الاشرم بن يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما اصابهم فما استتم كلامه حتى رماه الطائر فسقط ميتا فارى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه (وقال الواقدي) كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم و آمن به (واختلفوا في تاريخ عام الفيل) فقال مقاتل كان أمر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقال عبيد بن عمير الكلبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة وقال آخرون كانت قصة الفيل في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال حدثنا عبد العزيز بن ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الجوزاء قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لغياث بن أسيم الكناني يا غياث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا اسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقعت بي امي على روث الفيل و يدل عليه ايضا ما روى ان عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله امر اصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقالوا هم أهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل اعلم واحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين

الحمد لله الذي قص علينا في كتابه الحكيم من اخبار الانبياء والمرسلين ما به عبرة لكل ذي قلب سليم ليستيقظ الغافلون و يعلم الجاهلون والصلاة والسلام على من اطلعه على ما كان وما يكون وآله ذوي العلوم اللدنية واصحابه المستضيئين بأنوار معارفه الالهية

(وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب قصص الانبياء الموسوم بالعرائس الحاوى من الاخبار نفائس النفائس للعلامه الفاضل واللوذعي الكامل أبي اسحاق احمد بن محمد الثعلبي رحمه الله وأثابه رضاه

وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب روض الرياحين في مناقب الصالحين للامام اليافعي رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه وذلك بمطبعة العلوم الادبيه في سنة ١٣٤٤ من هجرة بدر التمام عليه وعلى آله واصحابه افضل صلاة وازكى سلام آمين

واخذت ولدها وانصرفت (وروي) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لاتدفع البلاء المبرم النازل من السماء (وروت عائشة رضي الله عنها) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السخاء شجرة اصلها في الجنة واغصانها متدلية في الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى الجنة وان البخل شجرة اصلها في النار واغصانها متدلية في الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى النار (وقال) صلى الله عليه وسلم البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار والسخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار اجارنا الله منها ومن عذابها ومن كل عمل يقربنا اليها آمين

فهرست

(كتاب قصص الانبياء للعلامه ابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رضي الله عنه ونفعنا به آمين)

صحيفه

صحيفة

صحيفة